

رجال ونساء أسلموا

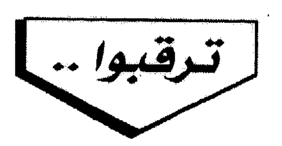
إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل العشي

مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقًا

المكتب المصري الحديث

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات



شخصيات الحلقة الثانية

- فاطمة هيرين
- حسين رؤوف
- اللورد هيدلي الفاروق
- محمد أسد
- الدكتور عبد الكريم جرمانوس
- جوليوس ورفر
- عبد الله آرشيبالد هاملتون
- وليم بيرشل بشير بيكارد
- آمنة ناكامورا وأختها
- محمد عبد الله (دونالد ركويل سابقًا)
- فاطمة تزفسكن
- بيجي رودريك
- محمد ضياء الرحمن الأعظمي
- أحمد عبد الله كوبسيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام الله:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

[آل عمران: ٨٥]

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]

رجال ونساء أسلموا

الطبعة الجديدة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

رقم الايداع بدار الكتب
٢٠٠١ / ٩٤٤١
الترقيم الدولى I. S. B.N.
977-209-069-4:

الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القـــاهـــرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندريـــة : ٧ شـــارع نوبـــار المنشيـــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابـــــــع : طريق مصر ـ اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٧٤٠ / ٤٤٤١٠٧٠



رجال ونساء أسلموا

إعداد وترجمة

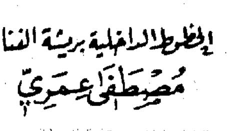
الدكتور عرفات كامل العشي

مراجعة وتعليق

الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد

الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقاً

المكتب المصري الحديث



تصميم الغلاف
ناصر حامد

مقدمة الطبعة الجديدة

يسرني بعد طول غياب أن أعود إلى قراء سلسلة (رجال ونساء أسلموا) بإعادة طباعة السلسلة مرة أخرى، بعد سنوات من بدء صدورها قبل نيف وثلاثين عامًا. والفضل يعود فى ذلك بعد الله تعالى للأخ الكبير الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد الذى أبدى فى زيارة له إلى كندا، واجتماعى به بقدر من الله، رغبة فى إعادة طباعة السلسلة، وبدا منه تشجيع كبير.

إنها سلسلة أبدية لا تنتهى فهى غيض من فيض فى قافلة الناس الذين شاء الله لهم الهداية، وسيظل هذا التيار يتضاعف وينمو حتى يعم الإسلام - إن شاء الله - المعمورة بأسرها، حسبما وعد الله تعالى، وبشر رسول الله ﷺ.

ولئن كان إسهامنا المتواضع لا يعدو قطرة من بحر خضم، فإننا بكل تواضع نتشبث بهذه القطرة لعل الله يتقبلها، ويبارك فيها، ويقينا بها عذابه، ويكرمنا بثوابه وعظيم جزائه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

د. عرفات العشي

(كندا - تورنتو - غرة المحرم ١٤٢٢هـ)

❁❁❁

بين يدى هذه الطبعة الجديدة

بقلم الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد

الحمد لله الذى هدانا للإسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

وبعد:

فهذه سلسلة نادرة من قصص الرجال والنساء الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وأسعدهم به فى الدنيا، وهو المأمول دائمًا أن يسعدنا وإياهم بالإسلام فى ظلال رضوانه وجناته يوم الدين.

وسيجد القارئ فى هذه القصص العجيبة آيات بينات من تدبير الله لعباده، والعبر النافعة، والأفكار المنيرة، فضلاً عن الدراسات العميقة، والنظرات الصائبة، التى هدى الله إليها هذه الأفواج المتتابعة التى لا ينقطع مددها، ولا يحصى عددها، على امتداد القارات، وعلى اختلاف اللغات والثقافات، وتباين الأعمار والمستويات.

وقد كانت لى قصة قديمة مع هذه السلسلة الذهبية:

فقد حصلت على خمسة أجزاء من الطبعة الكويتية منذ أكثر من عشرين سنة، وقد أعجبت بها، واستوعبت قراءتها، وكنت دائب التنبيه على فوائدها فى دروسى ومحاضراتى، حين أريد تنبيه المسلمين أنفسهم إلى عظمة الإسلام دين الله الحق، وكيف سكب فى قلوب الحيارى والضائعين - من شتى الأمم - السكينة والطمأنينة، ووجدوا فيه شاطئ النجاة والسلامة بعد طول شرود فى بحار المذاهب المتلاطمة، وركام العقائد والأفكار المتضاربة!!

وقد شكا لى كثيرون بأنهم لا يجدون هذه السلسلة، رغم كثرة البحث عنها، بل لم أستطع أنا الحصول على بقية أجزائها بعد مغادرتى مدينة الرياض منذ عشرين سنة.

ثم شاء الله الحكيم فى تدبيره أن أقوم بجولة دعوية طويلة فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا فى شهر رجب ١٤٢١هـ (أيلول ٢٠٠٠م)، وكان مما زرناه مدينة (تورنتو) بكندا فقابلت جامع هذه السلسلة ومترجمها: (د. عرفات العشى)، وكان أول ما سألته عن هذه السلسلة، وعلمت منه أنها بلغت عشرة أجزاء، وأنها ترجمت إلى الإنجليزية، فشكوت له ندرة الطبعة العربية، فقال: إنها نفذت منذ سنين طويلة، وحبذا لو طبعتموها فى القاهرة، وقد رحبت بذلك لما أرى فى هذه السلسلة من فوائد جمة للمسلمين أنفسهم، حتى يزدادوا بَصراً بعظمة المنهاج الإلهى الذى هداهم الله إليه، وشرفهم به من غير كدّ ولا تعب.

ومن هناك بدأت قصة هذه الطبعة الجديدة:

فقد أمدنى المؤلف - تباعًا - بجميع أجزائها بعد عودتى إلى القاهرة، وعكفت على مراجعتها، وتصحيح بعض ما فيها، والتعليق الضرورى عليها، ووضع عناوين فرعية فى داخل كثير من قصصها لمزيد من الإيضاح وتركيز الإفادة، وحذف بعض المعلومات التى لا تتناسب مع هذه الطبعة الجديدة، وتعديل مواقع بعض القصص لمزيد من التناسب والبيان، وكذلك ترقيم القصص ترقيمًا متسلسلاً ليَسهل الإحالة إليها، أو الرجوع لها.

لذلك نرجو أن تكون هذه الطبعة الجديدة قد جاءت على هيئة أتم وأوفى، خدمة للغرض التى سيقت من أجله، وهو خدمة الإسلام والمسلمين فى المقام الأول، وليس الدخول فى جدليات فارغة يثيرها بعض المحترفين من أهل المذاهب المخالفة لدين الله، المجافية للحق والفطرة، والتى أشقت أبناءها أنفسهم، ففروا منها إلى الإسلام العظيم، يلتمسون لأنفسهم الخير والنجاة، فهنيئًا لهم هداية الله وتوفيقه الجليل، ونسأله سبحانه أن يهدينا جميعًا إلى الصراط المستقيم.

نظرة موضوعية وخطوط مشتركة

حين قرأت هذه القصص الكثيرة خرجت بخطوط جامعة مشتركة بين أصحابها جميعًا، رغم اختلافهم - قبل إسلامهم - زمانًا ومكانًا، وسنًا وثقافة، ولغة وعقيدة ومذهبًا ... الخ.

ومن هذه الخطوط المشتركة الجامعة:

أولاً: الإيمان بوحدانية الله تعالى هو فطرة إلهية فطر الله الناس عليها، وهي تغلب ما عداها من موروثات البشر. وتحريفات المضلين، وكان هذا في غالب القصص هو المفتاح الذي حرك النفوس والقلوب، حتى انتهت بهؤلاء السعداء إلى الإسلام دين الفطرة، متخطية كل العقبات التي تقف في طريقها.

ولذلك فكل مذهب أو دين يقوم على الشرك والوثنية هو ظلام مضاد للحق والفطرة، ولابد أن ينفض عنه أتباعه عند أول بادرة من العلم الصحيح، أو التفكير السليم.

ثانيًا: في كل هذه القصص نجد الشك، والحيرة، والقلق العاصف ينتاب الرجال والنساء، فإذا اكتشفوا الإسلام انسكبت في نفوسهم وقلوبهم السكينة والطمأنينة، وامتلأت جوانبهم بالرضا والسلام الداخلي مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

ثالثًا: تشمل هذه القصص رجالاً ونساء من كل الطبقات ابتداء من علماء الدين، والمادة، والطبيعة، والذرة، والمفكرين والأدباء والفلاسفة، وانتهاء بالأفراد العاديين من كل لون.

والملاحظ أن جميعهم كانوا من أذكى الناس عقلاً وفهما، وأن أحداً منهم لم يسلم إلا بعد بحث وتدقيق، وفحص ودراسة، بل سجل كثير منهم ضروبًا عجيبة من التحليل والموازنة، وأفكاراً غاية في الجودة والدقة والترتيب، ولعلهم لهذا كانت لديهم تلك القدرة الحاسمة للتفرقة الواضحة بين ما درسوه عن عظمة الإسلام، وبين ما عليه كثير من المسلمين المعاصرين من تخلف واضطراب، لقد فهموا أن هذا سببه عدم تطبيق الإسلام تطبيقًا صحيحًا، فاستمروا على الهداية العظمى التي شرح الله صدورهم لها، بل تحولوا دعاة يذكرون المسلمين بوجوب تطبيق دينهم الحق.

ومن هذا يتبين أن إسلام هؤلاء هو اعتقاد واقتناع، وإيمان خالص، لا مدخل فيه للخداع، أو الإكراه، أو المصالح الشخصية وغيرها.

رابعًا: سجل هؤلاء المهتدون إعجابهم المطلق بالشمول الإسلامى لكل نواحى الحياة الدينية والدنيوية، المادية والروحية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ.

وكان هذا الاكتشاف أحد الأسباب المؤثرة فى جذب كثير منهم إلى الإسلام، أو التى أدت إلى ثباتهم على الإسلام بعد دخوله، لأنه يلبى الحاجات الفطرية لكل منهم، ويناسب شخصيته رغم تعدد البيئات، والقوميات، والعقائد، والعوائد السابقة لكل منهم.

إن كثيراً منهم يسجل انبهاره بصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وقدرة الإسلام على إقامة مجتمع تسوده قيم الإخاء، والمساواة، وعدم التفريق بين الألوان والأجناس، لقد تحول كل هذا إلى واقع عملى تطبيقى، بينما كان ذلك فى غير الإسلام شعارات جوفاء، وألفاظًا رنانة ليس لها برنامج عملى فى واقع الحياة.

خامسًا: معظم هؤلاء المهتدين نجحوا فى تشخيص الداء المدمر فى جسم الحضارة الغربية المعاصرة، والخلل الرهيب فى نمط «التدين» الذى قدمته إليها الكنائس المتعددة، والذى يقوم على ما وصفه به أحدهم من «سلبية الإيمان» والفشل الذريع فى تحقيق أى تقدم روحى حقيقى رغم البريق الحضارى، والتفوق العلمى والصناعى، الذى أدى إلى تفاقم مشكلات الإنسان، بإغراقه فى مزيد من الشهوات المادية، والملذات الجنسية، والتبلد الوجدانى، والقسوة والأنانية، التى باتت تنخر كالسوس فى كيان الحضارة الفارهة!!!

سادسًا: من الخطوط المشتركة ذات الأهمية البالغة فى هذه القصص بيان الأثر الجميل للصداقة النبيلة، والمناقشة الهادئة، والقدوة الحسنة، والدعوة اللطيفة، أو الهدية الخالصة، أو العلاقة الفردية والاجتماعية القائمة على المحبة والمودة، فإن لذلك كله آثاراً بالغة فى دعوة الناس إلى دين الله الحق المبين.

يقول النبى ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» رواه مسلم.

وفى هذه القصص أهدى طالب مسلم لصديقه الأمريكى مصحفًا باللغة العربية التى

لا يعرفها، ومع ذلك انتهى به الْقَدَر إلى السعادة العظمى بدخول الإسلام (انظر القصة رقم:٧) وغير ذلك كثير في بقية القصص، ولذلك ينبغي أن يتنبه المسلمون في كل مكان إلى هذا المعنى الجميل في الدعوة إلى الله تعالى.

سابعًا: معظم القصص تسجل (ظاهرة) مريرة، وهي: جهل أصحابها المطلق بالإسلام قبل معرفته، أو كراهيته كراهية شديدة بتأثير الدعاية الحاقدة على دين الله تعالى في الهند، أو في الغرب عامة من جراء الأكاذيب التي أذاعتها الكنيسة الكاثولوكية الجاهلة وأمثالها، وكذلك بفعل اليهود أعداء الوحي الإلهي من قديم، وأعداء كل رسول بعثه الله إليهم أو إلى غيرهم!!

والمسلمون مطالبون في كل مكان أن يكونوا خير عنوان لدينهم العظيم، حتى يردوا بأخلاقهم مزاعم الكذابين، الذين شحنوا نفوس الأمم بغاية الحقد والبغضاء للإسلام والمسلمين، والله من ورائهم محيط.

ثامنًا: معظم هذه القصص حرص المؤلف - جزاه الله خيراً - على توثيقها بذكر مراجعها، أو ببيان أنها نتيجة لقاء شخصي مع صاحبها، أو أرسلت إليه من أصحابها أنفسهم، أو كتبها ألصق الناس بهم، ونحو ذلك من ضروب التوثيق العلمي، الذي يحمل على الاطمئنان إليها، والثقة بها، ويبعدها عن ذلك اللون من المنشورات التي تقوم على الأكاذيب، وتلفيق القصص، خدمة لمذاهب وعقائد متهافتة، متناقضة، لا تستند إلا على أكاذيب من جنسها، فيفضح الله الباطل من طرفيه، والله لا يصلح عمل المفسدين!!

وبعد:

فإن الإسلام دين الله لعباده في كل العصور، وعلى لسان كل رسول، وقد زكّى رسالته الخاتمة فقال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا . . . ﴾ [المائدة:٣].

وهذه القصص جميعًا شهادة عالمية بأن هذا الدين الذى جاء به محمد ﷺ هو الحق من عند الله، وأنه هو المتفرد بالصحة والحفظ من الله تعالى، ولذلك ينحاز إليه عقلاء الأمم وسعداء البشر فى كل الأجيال.

وفى هذا تذكرة للمسلمين قبل غيرهم بمقدار النعمة الإلهية التى أهديت إليهم، ليقوموا بحقها عملاً وبلاغًا للعالمين، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه باقة من القصص الإسلامية وفق الله إلى جمعها وترجمتها، أقدمها اليوم للجيل الجديد من قراء العربية ليتبينوا ما هم فيه من نعمة الهدى والإيمان بدين الإسلام الحنيف، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما معناه: لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وأخشى ما كان يخشاه الخليفة الفاروق أن ينشأ المسلمون لا يعلمون من أمر الجاهلية شيئا، فلا يعرف الشىء إلا بضده، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فهناك الليل والنهار، والذكر والأنثى، والشمس والقمر، والظلام والنور، كذلك هناك الهدى والضلال، والسعادة والشقاء، والجنة والنار.. إلخ، ولقد قالها ربعى بن عامر لرستم أحد أمراء الجاهلية (الفارسى) حين سأله رستم: ما الذى جاء بكم؟ قال ربعى بن عامر: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ربَّ قائل يقول: إن المسلمين اليوم بعيدون عن الإسلام بعداً كبيرا، إلا أن أعداداً كبيرة من الناس فى الشرق والغرب فى أفريقيا وآسيا وأمريكا وأوربا تدخل فى هذا الدين أفواجاً، فتؤمن به وتجاهد فى سبيل إقامته فى أنفسها وفيمن حولها فما سبب ذلك يا ترى؟ مع أن نشاط الدعوة الإسلامية محدود، وجنودها قلائل وإمكانياتها ضئيلة؟ قال أحد العلماء: أن السبب يكمن فى الإسلام ذاته؛ هذا الدين الخالد الذى أنزله الله وتكفل

بحفظه واستمراره، ولقد عرف أعداء الإسلام هذه الصفة الربانية فكرسوا جهودهم لتشويهه وطمس حقائقه، وأصدروا مئات الكتب لذلك وطبعوا القرآن محرفا، ولكن دون جدوى وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

هذا هو التفسير الحقيقى لما نسمعه كثيرا من قصص يحير الفكر ويثير الدهشة، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة من التاريخ القديم والحديث:

ها هى جحافل التتار تكتسح البلاد الإسلامية فلا تبقى ولا تذر ثم يشاء الله لهم الهداية فيهتدى ملوكهم ويسلمون وينتصر دين الله على جبروتهم فيخضعهم ويقودهم إلى طاعة ربهم، وما قصة الأتراك السلاجقة منا ببعيد. هذا فيما مضى.

أما فى العصر الحديث فهناك أمثلة فردية كثيرة. يحدثك بعض الناس عن مستشرق ماكر، وعالم فذ يستخدم علمه ودهاءه فى الكيد للإسلام والمسلمين فيدس السم فى الدسم، ويظهر الباطل حقًا ويفعل ويفعل، وبين عشية وضحاها تسمع أنه أشهر إسلامه وأصبح على ثغرة من ثغور المسلمين يدافع عنهم، ويرد كيد عدوهم ويذب عن حياضهم، فتعجب وتقول: سبحان الله! ولكنه الدين الإلهى العظيم، الذى أنزل بهذه القوة منذ الوهلة الأولى فأحل الأخوة والتواد محل العداوة والغضاء، وفى هذا المعنى يذكر الله تعالى المؤمنين فى كتابه العزيز فيقول جل شأنه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبين يديك أخى القارئ مجموعة من هذه الأمثلة الحديثة مختارة من بين مئات القصص التى لا تقع تحت الحصر، عسى الله أن ينفع بها إنه سميع مجيب، ولا أنسى أن أقدم شكرى وامتنانى إلى كل من ساهم معى فى إخراجها وإعدادها وجمعها، كما أتوجه بالدعاء إلى الله أن يهدى قومى إلى دينه إنه ولى ذلك والقادر عليه. وأخص بالشكر الأخت المسلمة والكاتبة الإسلامية الكبيرة مريم جميلة التى تفضلت مشكورة بتزويدى بقصة إسلامها، كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الكبير والمجاهد الفاضل الدكتور عيسى عبده إبراهيم الذى زودنى بقصة إسلام والده المرحوم الدكتور عبده

إبراهيم نضّر الله ثراه، كما أشكر الأستاذ الشيخ محمد المجذوب - المدرس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة الذى تفضل بالإسهام بقصة «هدى» المسلمة الفرنسية وهى القصة التى سبق أن نشرها فى مجلة حضارة الإسلام الغراء.

كما أتوجه بشكرى الجزيل إلى أخى وأستاذى الشيخ عبد الله العقيل الذى بذل جهده المبارك لتشجيع إصدار هذه السلسلة.

وَاللهُ الموفِّقُ إلى مَا يُرِيدُ

الكويت فى ٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ
٢٠ آب (أغسطس) ١٩٦٨م

د. عرفات العشي

ألمانيا:

١. محمد صدّيق
مسلم ألماني

قام صاحب هذه القصة بزيارة الكويت عام ١٩٦٦
وأجريت معه مقابلة هذه هي خلاصتها

س: نحب أن نتعرف بكم:

ج: اسمي محمد صديق، ولدت في عام ١٩٤٤ في مدينة برلين بألمانيا الغربية، وذهبت إلى المدرسة مدة عشر سنوات ثم دخلت مصرفًا كي أصبح كاتبًا فيه، وفي غضون ذلك بدأت صلتي بالإسلام لأول مرة، فاعتنقت الإسلام في عام ١٩٦٢، وكان لدي رغبة في الدراسة الجامعية ولذلك فبعد أن أنهيت دراستي في المصرف وبعد أن أصبحت كاتبًا عدت إلى المدرسة وقضيت فيها ثلاث سنوات، حتى حصلت على شهادتي النهائية التي تخولني حق الدراسة في أي جامعة، وآمل أن أدرس الشريعة الإسلامية في كلية الشريعة بدمشق.

س: لماذا اعتنقت الإسلام؟

ج : في عام ١٩٦١ دعاني مسلم ألماني إلى اجتماع لبعض المسلمين في برلين وفي ذلك المساء رأيت لأول مرة صلاة الجماعة في الإسلام، ورغم أنني كنت أضحك في بداية الأمر من شكل الصلاة، فإن هذه الصورة ذاتها هي التي جعلتني أفكر في الإسلام، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية؟ فاستنتجت أنها خير سبيل يختاره الإنسان لعبادة خالقه، فبدأت وأنا ما زلت بروتستانتيًا في أداء الصلاة بالكيفية الإسلامية، وكنت في ذلك الحين في السادسة عشرة من العمر، وهي المرحلة التي كنت أبحث فيها عن الحقيقة والمعرفة، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة والإسلام على وجه الخصوص، فأيقنت في غضون دراستي أن دنيا تفكيري وإحساسي أقرب للإسلام منه للنصرانية، وبالتدريج اكتشفت أن الإسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة

الوجوه مع فطرتى البشرية.. واستطيع هنا أن أضرب مثالا نظرياً وآخر عملياً، فمثلاً: عندما درست وجهة النظر الإسلامية حول النبى عيسى عليه السلام عرفت أننى لم يحدث قط أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله، كما عرفت فيما بعد من أستاذ بروتستانتى أن عددا كبيرا من النصارى - حوالى ٨٠٪ - أقرب إلى الإسلام منهم إلى النصرانية فى هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم.

أما من الناحية العملية فحتى قبل إسلامى كنت أنفر من الخمور والرقص وما شابه ذلك من الأمور التى عرفت فيما بعد أنها محرمة فى الإسلام، وهكذا كان الإسلام بالنسبة لى كعملية اكتشافى لفطرتى ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

س: لماذا تريد دراسة الشريعة الإسلامية وما أهدافك من وراء هذه الدراسة؟

ج: من تجاربى فى ألمانيا وغيرها من البلاد الأوروبية اقتنعت أن الحركة الإسلامية فى أوروبا وفى المانيا بصفة خاصة بحاجة ماسة إلى متفرغين للعمل الإسلامى، لأنه حتى الآن فإن جانبا كبيراً من كافة أنواع النشاط الإسلامى يقع على عاتق جمعيات الطلبة المسلمين هناك، وبطبيعة الحال فإن الأخ القادم إلى ديار الغرب باحثاً عن المعرفة لا يستطيع أن يقضى كل ما لديه من وقت فى العمل الإسلامى، إذ يستطيع هؤلاء الطلاب أن يقضوا ساعة أو ساعتين يومياً فى الدعوة، ولكن لابد من وجود أخ يستطيع أن ينظم، وهذا التنظيم يحتاج إلى متفرغ، ومعرفتى بالإسلام حسب المصادر التى توفرت لدى لا تعتبر كافية لملء هذه الوظيفة، ولذلك أريد دراسة الإسلام فى جامعة إسلامية أولاً: كى أتمكن من الإسهام بثقافتى فى الحركة الإسلامية فى أوروبا، وأنا مقتنع بالطبع أن الإسلام اليوم فى أمس الحاجة إلى متخصصين فى ميادين أخرى، ولكن التخصص فى أى ناحية أخرى لن يمكننى من التفرغ لتنظيم الجمعيات الإسلامية فى ألمانيا، ومعنى هذا إننا بحاجة إلى مفكرين كما إننا بحاجة إلى جنود للدعوة الإسلامية، وأحب أن أكون من النوع الأخير.

س: ما هى نواحى النشاط الإسلامى فى ألمانيا؟

ج: إن النشاط الإسلامى فى المانيا حديث العهد جدا، فقد تأسست جمعيات الطلبة

المسلمين فى غضون الثمانى أو العشر سنوات الماضية، فكان هناك نشاطات محلية ومنذ أربع سنوات فقط بدأت هذه الجمعيات المحلية تشكل منظمات على مستويات أشمل كاتحاد الطلبة المسلمين فى انجلترا، واتحاد الطلبة المسلمين بأوروبا، فقد تأسس كل منهما منذ أربع سنوات فقط، وتعتبر أوجه نشاطهما حتى الآن محدودة للغاية، وسبب ذلك هو الحاجة إلى التنظيم، وتتألف نشاطات الجمعيات الإسلامية المحلية من إقامة الشعائر الدينية والقاء المحاضرات الأسبوعية للمسلمين والندوات العامة وحلقات النقاش لغير المسلمين، كما شرعت بعض الجمعيات فى إنشاء مدارس الجمعة لأبناء المسلمين، كما أن هناك عدداً صغيراً من المطبوعات الإسلامية باللغة المحلية، كذلك تجرى الاحتفالات الإسلامية، كما بدأت الجمعيات مؤخراً فى عقد الاجتماعات الأسبوعية وأعتقد إننا سنستفيد كثيراً من إنشاء مراكز صغيرة فى كل جامعة وأعنى بهذه المراكز استئجار شقة أو بيت صغير يتألف من غرفة للصلاة ومكتبة وغرف أخرى تكفى لثمانية أو عشرة من الأخوة على الأقل للعيش معا، وتأليف مجموعة للقيام بشتى نواحى النشاط الإسلامى.

س: ما هو انطباعك عن المسلمين فى العالم الإسلامى؟

ج: اعتدت منذ عام ١٩٦٢ أن أقوم كل عام بزيارة لبعض الأقطار الإسلامية، وإذا تذكرت معنى الزيارة أستطيع أن أقول إن زيارتى الأولى فقط هى التى رضيت عنها، ذلك لأننى قضيت معظم الوقت من هذه الرحلة فى بلدة صغيرة بالأردن وكانت الحياة العامة فى هذه البلدة فى ذلك الوقت على الأقل قد أعطتنى فكرة جزئية عن خلق المسلمين فى حياتهم العامة، وسرعان ما تلاشت هذه الصورة عندما شاهدت أماكن أخرى، كما شاهدت هذه البلدة ذاتها بعد بضع سنين، وأستطيع أن أقول بصفة عامة أن مظاهر الحياة العامة فى بعض الأقطار الإسلامية تتنافى مع ما جاء به الدين الإسلامى.

س: ما دور الحركة الإسلامية فى الغرب؟

ج: إننى أعتقد أن وجود حركة إسلامية منظمة تنظيما دقيقا فى ديار الغرب يمكن أن يلعب دوراً بارزاً فى العالم الإسلامى المعاصر، وذلك لسببين: الأول أننا كمسلمين نشطين يمكننا أن نعمل للإسلام فى البلاد الغربية بقدر أكبر من الحرية عنه فى معظم

البلاد الإسلامية المعاصرة، فبينما يتعرض المرء لصعوبات كبيرة إبان عمله للإسلام فى بعض البلاد الإسلامية، فإنه يكون فى مأمن من مثل هذه الأخطار على حياته الشخصية، والسبب الثانى هو أن كثيرا من الطلبة الدارسين فى الغرب سيلعبون دورا فعالا فى الحياة العامة فى بلادهم بعد عودتهم إليها، فلو عاد عدد من هؤلاء إلى بلادهم كمسلمين ممتازين سيؤدى ذلك إلى خير الإسلام فى المستقبل القريب، ومعنى ذلك أن قيام حركة إسلامية منظمة فى الغرب مهم جدا لمستقبل الإسلام.

س: ما موقف المسلم في أوروبا من الحضارة الغربية؟

ج: إن موقف المهتدين إلى الإسلام من الحضارة الغربية موقف سلبى، فكثير منهم اختاروا الإسلام منهجا لحياتهم لأنهم لم يجدوا سبيلا آخر لحل مشكلاتهم فى ضوء اعتبارهم أن الإنسان من مخلوقات الله، والحضارة الغربية تضع حلا لمشاكل الحياة المادية فحسب، وقد أقر هذه الحقيقة المسلمون وغير المسلمين فى أوروبا ونحن نشاهد الأثر المدمر للحضارة الغربية على الحياة الإنسانية، فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلات المودة بين الأفراد، فضاعت على المجتمع فرصة حل مشكلات أفراده بصورة إنسانية صحيحة، لذلك كان لزاما علينا أن نقول بأننا إذا شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات إنسانية فلا بد لنا أن نعرض عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية، وبطبيعة الحال هناك مسلمون فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن إعجابهم بالحضارة الغربية ويحاكونها محاكاة عمياء، فعليهم أن يتذكروا ما قاله برتراند راسل الفيلسوف الإنجليزى الذى نال جائزة الدولة، فقد كتب فى أحد مؤلفاته بأن الناس في الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الإنسانى من الحياة بنفس الكمية التى تتقدم بها الناحية المادية، وإن كل خطوة إلى الأمام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو فناء الإنسان، وليس معنى ذلك أننا لابد أن نرفض كافة المخترعات الغربية، ولا أن ننكر العلم الذى أحرزه الغرب فى عدة ميادين من الحياة العلمية، ولكن علينا أن نكون دائمًا على يقظة. فلا نلقى بأنفسنا تحت زحمة هذه الحضارة، بل نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقى عن كاهلنا عفنها وفسادها. وهذا الأمر ممكن لو آمنا بالإسلام عن بينة وهدى.

❖❖❖

انجلترا :

٢- عائشة برجت هونى ٭

فتاة انجليزية تعمل مدرِّسة فى مدرسة عليا فى نيجيريا . وفيما يلى نص المقابلة التى أجريت معها ونشرت فى بعض المجلات الإسلامية باللغتين الانجليزية والأوردية.

س : متى اهتديت إلى الإسلام وكم كان سنك فى ذلك الحين ؟

عائشة: منذ ثلاث سنوات ونصف أضاء الله قلبى بنور الإسلام. وكنت أبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما .

س : هل لك أن تحدثينا عن كيفية اعتناقك لهذا الدين الحنيف ؟

عائشة: نشأت فى أسرة انجليزية لا تختلف عن عامة البيوت الانجليزية من الناحية الدينية. فقد كانت أمى نصرانية لا تؤدى الشعائر الدينية النصرانية ولم يكن والدى يؤمن بأى دين من الأديان. وقضيت مرحلة الطفولة فى إحدى المدارس الدينية التابعة للكنيسة فتعلمت كافة الموضوعات التى تدرس فيها. إلا أن محادثاتنا لم تكن تمت للدين بصلة. فلا أذكر أننى سمعت فى منزلى فى أى يوم من أيام طفولتى أى ذكر لاسم الله. ولم أكن مقتنعة ببعض المبادئ الرئيسة فى الديانة النصرانية وخاصة فكرة التثليث ومبدأ تكفير الذنوب الذى يزعم أن الله أو المسيح قد قدم نفسه فدية للناس فرضى أن يصلب تكفيراً عن جميع ذنوبهم. ورغم ما سمعته من مناقشات حول هذه المعتقدات لم أقتنع بشئ من ذلك وشعرت أن كل ما سمعته لا يمثل إلا جانبا واحداً من الحقيقة. وكنت أريد أن أعرف الحق كاملاً غير منقوص. صحيح إن مدرستى التى قضيت فيها طفولتى كانت نصرانية إلا إننى تخرجت منها غير مؤمنة.

حيرة فى شتى المذاهب :

كنت شغوفة بالفلسفة وكانت لدى رغبة شديدة فى التوصل إلى الحقيقة. فلما بلغت

٭ نشرت هذه القصة بالانجليزية فى مجلة العرفان الباكستانية.

من العمر خمسة عشر عاما طالعت كتاب «طاوته شنج» وكان عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة حول فلسفة «طاو» الصينية. فتأثرت بأفكاره، ثم حدث أن عثرت على بعض المعلومات اليسيرة عن الديانة البوذية فقررت أن أتعمق فى دراسة هذين المبدأين الفلسفيين كليهما. فشرعت فى تعلم اللغة الصينية ولم يكن ذلك بالأمر الهين على فتاة مثلى فى الخامسة عشر من العمر بلا نقود ولا إمكانيات. لذلك سافرت إلى كندا بعد أن بلغت من العمر سبعة عشر عاما. فاشتغلت لمدة سنتين جمعت خلالها نقوداً تكفى لإكمال دراستى. وكان برنامجى يتلخص فى الحصول على الشهادة الثانوية ودخول الجامعة لتعلم اللغة الصينية. وعندما كنت فى كندا تعلمت الفلسفة الهندوكية وقرأت الكتب الهندوكية المقدسة. وكانت المبادىء الثلاثة التى كنت أعرفها فى ذلك الحين هى الطاوية والهندوكية والبوذية. صحيح إن تلك المبادىء تتميز بالجمال والعمق والسمو إلا إنها لم تشبع عقلى ولم ترض مشاعرى. فقد فشلت هذه المبادئ فشلا ذريعًا فى الاستقرار أو الثبات فى هذا الكون الفسيح وفى الحياة اليومية التى يعيشها الناس بعضهم مع بعض. فهى تغفل جانباً أو آخر من جوانب الحياة إغفالا تامًا. فقد كان مؤسس الديانة الطاوية مثلا يهيم على وجهه فى الأماكن النائية من العالم فى صورة راهب أو متصوف. كذلك ترك بوذا زوجته وأهله وخرج باحثاً عن الحقيقة. والكتب الهندوكية أخلاقية من أساسها. ولكن هل يكفى أن تكون التصورات البشرية للحياة الاجتماعية مجرد هلوسة لا أساس لها من الحقيقة؟ إن هذا التساؤل قد حيرنى .. فلم يكن بوسعى الإيمان بأى من هذه المبادئ الثلاثة. ولكن بم أؤمن إذن؟ وما الهدف من الحياة؟ هل الحياة صدفة كما يزعم بعض الناس؟ وبمرور الزمن ازداد القلق والحيرة بصورة لم أكن أذوق معها طعماً للنوم ليالى بأكملها. لذلك لم يعد هناك أى جدوى من نجاحى فى امتحان الثانوية ودخولى الجامعة لدراسة اللغة الصينية. صحيح إننى حققت رغبتى فى تعلم اللغة الصينية ولكن الحقيقة التى كنت أبحث عنها كانت لا تزال بعيدة نائية ...

التعرف على الإسلام والقرآن:

وبعد التحاقى بالجامعة أتيحت لى فرصة التعرف على المسلمين، ولم أكن قبل ذلك قد قرأت أو سمعت شيئاً عن الإسلام، بل الحقيقة إننى كنت كسائر الغربيين أكنُّ أحقاداً

وشكوكًا وشبهات حول الإسلام. فشرح لى الطلاب المسلمون فى الجامعة مبادئ دينهم الإساسية بكل هدوء وموعظة حسنة. وأجابوا على كافة اعتراضاتى كما أهدوا لى بعض الكتب لمطالعتها. فكنت فى مستهل الأم أقلب صفحات هذه الكتب بصورة سريعة فى أوقات فراغى واعتبرت ذلك مجرد تسلية وترفيه لى، ثم حدث تغير مفاجئ عندما شرعت فى قراءة فقرات من هذه الكتب، فقد أخذت الشبهات العالقة فى نفسى حول الإسلام تتلاشى شيئاً فشيئاً، وانكببت على قراءتها بصورة جدية، فأذهلنى أسلوبها فى العرض وطريقتها الجديدة فى الشرح والتعليق، وتأثرت غاية التأثر بمنطق المناقشة التى تناولت بها فكرة الخالق والمخلوق والحياة بعد الموت، ثم أهدى لى هولاء الطلاب المسلمون نسخة من ترجمة معانى القرآن باللغة الإنجليزية. ولن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذى تركه القرآن فى قلبى، فلم أكد انتهى من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتنى ساجدة لخالق هذا الكون. فكانت هذه أول صلاة لى فى الإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا مسلمة والحمد لله، فقد اعتنقت الإسلام بعد أقل من ثلاثة أشهر من بدء سماعى بهذا الدين، لذلك لم أكن أعرف منه إلا أركانه الأساسية. فأخذت أوجه أسئلة كثيرة لإخوانى المسلمين وأناقشهم فى تفصيلاتها.

وكثيراً ما يسألنى الناس عن الدوافع الرئيسية التى أدت إلى اعتناقى للإسلام. فأجيب بأنه ليس من اليسير علىَّ أن أقدم إجابة مرضية لذلك. فالإسلام فى تصورى وكما يراه أحد الأوروبيين المسلمين كمثل نموذج هندسى بديع كامل يكمل كل جزء من أجزائه بقية الأجزاء الأخرى ويكمن سر جماله فى انسجام هذه الأجراء وتلاؤمها. وهذه الخاصية الإسلامية هى التى تمارس تأثيرها العميق فى النفس الإنسانية. فإذا تأملنا تصور الإسلام العميق لعموم الأشياء والأهداف والدوافع والأفعال وتفسيراته للحكمة الإسلامية فإن ذلك يثير دهشتنا، وإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيها خير هاد لحياة اجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة. فالمسلم مثلا يذكر اسم الله فى مبدأ كل عمل. ومن هنا يتم الترابط بين حياته اليومية ودينه فتتزن الحياة وتنسجم.

س : كيف كان أثر اعتناقك للإسلام بالنسبة لأسرتك وأصدقائك؟

ج: لم يُبد والداى اهتمامًا كبيراً لذلك فى مبدأ الأمر. فحسبوا أن ذلك مجرد هواية

أمارسها، كالحصان الخشبى مثلا، أو كرغبتى السابقة فى تعلم اللغة الصينية وإننى سرعان ما يخفف حماسى ثم أنساها بمرور الزمن. ولكن الأيام أثبتت خطأ تفكيرهما. فقد رسخت عقيدتى لدرجة تخطت معها مرحلة التفكير وامتدت إلى التأثير فى عاداتى وتصرفاتى بل غيرت أسلوب حياتى. عند ذلك أخذ والداى يعربان عن أسفهما لما سببت لهما من مضايقات بامتناعى عن الخمر ولحم الخنزير. كما كرها مشاهدتى ملفوفة فى غطاء رأسى والاحتفاظ بهذه الهيئة فى غدواتى وروحاتى، والحقيقة أنهم. كانوا يوجهون جل اهتمامهم إلى ما يقوله الناس عنى، ولم يكن يهمهم أمر الاعتقاد والإيمان، إلا أن أصدقائى الانجليز كانوا على النقيض من ذلك، فقد كانوا يتمتعون بمقدرة كبيرة على المناقشة والجدل، وكانوا يقبلون كل شىء يثبت بالدليل العقلى، وعندما كنت أحدثهم عن التصور الإسلامى ومقوماته فى الحياة الاجتماعية كانوا يسلّمون بحكمته وسموه. وذات مرة حدثت مناقشة بينى وبين بعض الأصدقاء حول موضوع تعدد الزوجات فى الإسلام والحدود التى فرضها الله فيها. فشرحت لهم وجهة النظر الإسلامية وقارنت ذلك بما يقابله فى الحضارة الغربية فاقتنع الجميع أن التعدد الإسلامى يعتبر أفضل حل لبعض جوانب الحياة الزوجية.

س : هل واجهت مشكلة أو مضايقة ما على أثر اعتناقك الإسلام؟

ج: إن ضعفاء العقول من غير المسلمين يضمرون تزمتًا شديداً ضد الإسلام. فكثيراً ما يهزأون بالمسلمين ولو لم يفعلوا ذلك أمامهم لمزوهم من وراء ظهورهم. ومن ناحية أخرى لا يختصم هؤلاء الجهلة مع الملحدين والكفرة بل يحترمونهم لما يضمرون لهم من حرية فكرية زائفة! أما الإسلام والمسلمون فيسببون لهم ضيقًا شديداً! ورغم ذلك كله أقول بإننى لم أواجه أية صعوبة تذكر فى هذا السبيل، ولعل مرد ذلك إلى إننى طالبة جامعية فى معهد الدراسات الشرقية والإفريقية فلم أكن أحتك إلا بأناس يعرفون شيئاً عن الديانات والعقائد. إلا إننى أشعر بما يقاسيه كثير من المسلمين. فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

س : هل لى إن أسألك عن مستوى ثقافتك الإسلامية؟

ج: اقتصرت دراستى للإسلام على الكتب التى وصلت إليها يدى. كما تعلمت كثيراً من أسئلتى التى وجهتها لبعض العلماء المسلمين ومن مناقشتى لبعض المسلمين فى

شتى الأماكن. وفى العام الماضى تعلمت التصور الإسلامى الصحيح والفلسفة الغربية من طالب سودانى كان يعقد اجتماعًا أسبوعيًا يؤمه فى العادة عشرة أشخاص، حيث كنا نقرأ الترجمات المهمة لمعانى القرآن الكريم ونقارنها بالنص العربى كما نناقش كل آية حسب فهمنا لها. ويؤسفنى أن أذكر إنه بعد سفر هذا الأخ السودانى لم أجد أحداً فى لندن لديه من العلم والحماس ما يدفعه إلى مواصلة هذا العمل بصفة مستمرة.

س : هل تعتقدين أن الإسلام يمكن أن يؤثر فى الحضارة الحديثة بأى شكل من الأشكال؟ وما نوع هذا التأثير؟

ج: يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام، وليس هناك أى بصيص من الأمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس. فكل من يعرف الوضع الحقيقى للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمية، التى تختفى خلف بريق التقدم والأبداع المادى الزائف. فالناس فى الغرب «والشرق» يبحثون عن مخلص من العقبات التى تحيق بهم. ولكنهم لا يرون منها مخرجًا. فبحثهم عقيم. وليس أمامهم إلا أن يواصلوا سيرهم نحو جحيم الفناء والكارثة. لكن الانسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قويًا فى أيامنا هذه . وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين، وأن يقدم للرجل الغربى التصور الحقيقى للحياة، وأن يقنعه بالجهاد فى سبيل مرضاة الله مما من شأنه أن يضمن له الفوز فى الآخرة، نسأل الله أن يقدر لنا النجاح فى الحياة الدنيا والآخرة.

س : ما خير سبيل فى رأيك لنشر الإسلام؟

ج: قبل أن نحرص على نشر الإسلام لابد أن نرتفع بحياتنا وأفعالنا إلى المستوى اللائق بديننا. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] فإذا أصبحنا دعاة مخلصين للإسلام فلا داعى للقلق على شىء. فلابد لنا أن نفهم الإسلام فهما حقيقيًا وكاملا. وعندها فقط وبتطبيق ما نفهم نكون دعاة للإسلام بمعنى الكلمة. فتسهل علينا حينئذ الإجابة على كافة الاستفسارات والاعتراضات

ونكون قدوة عملية لما ندعو الناس إليه . ولا شك أن توفر الكتب الإسلامية الناضجة يفيد كثيراً فى تحقيق ذلك. فأثر الكتاب أبلغ بكثير من أثر المناقشة والجدل. ولسوء الحظ ليس هناك كتب إسلامية كثيرة باللغة الانجليزية(*) وختاما أؤكد أهمية القدوة الصالحة. فمن واجبنا أن نكون نماذج حية لما يأمرنا به القرآن.

س : هل هناك عقبات خاصة تعترض سبيل المسلمين فى بريطانيا بالذات ؟ وما هذه العقبات ؟

ج: إذا قامت أسرة إنجليزية بكامل أفرادها باعتناق الإسلام، تتلاشى جميع المشكلات وتعيش بسلام لأنها تطبق منهاج الحياة الاجتماعية فى الإسلام ولكن عندما يهتدى إلى الإسلام شخص واحد فقط - شاب أو فتاة غير متزوجة فى أسرة غير مسلمة - فلابد أن يواجه كل منهما صعوبات جمة. ولابد أن يشعر باستمرار أن المجتمع البريطانى وبيئته العامة ليس مجتمعهم ولا بيئتهم. ولما كان الواحد منهما يعيش فى مجتمع جاهلى لذلك لابد أن يواجه كثيراً من المشقة فى إقامة الصلاة والصوم فى الأوقات المحددة لذلك، أما الأسر المسلمة فلا يشكل ذلك أية مشكلة بالنسبة لها. ولكننا نحن المسلمين فى بريطانيا بحاجة ماسة إلى علماء يمثلون الحضارة الإسلامية قولا وعملا، ويعينون المهتدين إلى الإسلام على فهم القرآن والسنة. فكثير من هؤلاء يريد أن يفهم الإسلام ولكنه يعدم الوسيلة لذلك. ومما يؤسف له أن المراكز الإسلامية فى لندن لا تفعل شيئاً من ذلك بل يقتصر الأمر على الطلبة المسلمين دون غيرهم، وهؤلاء ليس لديهم الوقت الكافى للقيام بهذه المهمة.

ولابد أن أنوه فى ختام حديثى إلى ما لاحظته من إعجاب الشباب المسلم الناشىء بمنجزات الغرب الزائفة، فخدعوا ببريقها وعموا عن زيفها. كما أود أن أسجل هنا حبى الشديد للعلاقات الأسرية المتينة والحياة العشائرية الاجتماعية التى يتمتع بها المسلمون . فلو قارنّاها بالحياة الاجتماعية الغربية لظهر لنا سموها ورفعتها. حبذا لو قامت حياة اجتماعية إسلامية بالمعنى الصحيح. لأنها هى الحياة الرائعة!

اللهم اجعلنا مسلمين مخلصين وفقا لما يرتضيه الإسلام آمين

(*) الناشر: يبدى استعداده لتوفير الكتب الإسلامية ولمن شاء عليه مراسلة الناشر، وكذلك الرجوع إلى المراكز الإسلامية المنشور أسماؤها وعنوانيها.

بلچيكا :

٣. هُـــدَى ❊

(بوليت غيورسابقًا)

قصة من بلچيكا

مقتطف من مجلة حضارة الإسلام العدد السادس يناير ١٩٦٤م

- ١ -

على مقربة من جامعة بروكسل، حيث شارع (١٠، فيلا ١٩) وفى حى فخم يجاور بحيرتى (اكسل) الرائعتين، يقع ذلك البناء الذى شاء القدر أن يكون مركز الدائرة فى أحداث هذه القصة..

مَنْزِلٌ وَجِيرَانٌ :

هذا البناء الأنيق ذو المدخل الواحد، يتألف من طابقين فى الأعلى أعدا للأجرة، ثم طبقة أرضية استقلت بها الأسرة المالكة للبناء، وكانت أثناء ذلك تتكون من السيدة (نيلى) التى أوغلت فى العقد السادس وقرينها السيد (بلانشار) الموظف المتقاعد الذى لعله لا يسبقها بأكثر من خمس سنوات، وإن كان ظاهرهما يخدع الناظر عن حقيقة عمرهما، فلا يقدر لهما معًا أكثر من العقد الخامس، ومرد ذلك إلى تلك الحياة الهنيئة التى يعيشانها، بل يصنعانها بحسن تفاهمهما وتدبيرهما.. وإنها لحياة هادئة لينة، يطبعها التهذيب الرفيع والرغبة فى إيثار الكلمة الطيبة. و لا شك أن للتربية المدنية العريقة أثرها العميق فى هذا اللون من الحياة، يضاف إليها أن الزوجين يعتمدان فى معيشتهما بالدرجة الأولى على ما يتقاضيانه من أجور للطابقين العلويين، ومن شأن أمر كهذا أن يجعلهما شديدى الحرص على مرضاة النزلاء أيًا كان لونهم وجنسياتهم.. مما جعل المستأجرين أنفسهم شديدى الارتياح إلى جوارهما، فلا يكاد النزيل يفارق ملكهما إلا إذا اضطره إلى ذلك سفر أو هجرة... ولهذه الميزة كان نزيلا الطابق الثانى – من

❊ ساهم بهذه القصة الأستاذ محمد المجذوب – وهى قصة واقعية بأشخاصها وأحداثها.

الطلاب السوريين - على أتم الرضى بمجاورة هذين المخلوقين، إذ يجدان في هدوئهما وحسن معاملتهما الجو الذى تتطلبه دراستهما، وطريقة حياتهما، التى تخالف إلى حد بعيد طريقة الكثيرين من أبناء بلدتهما...

أما الدور الأول من هذا البناء فقد أصبح من حظ شخصين من الأوروبيين ظلا حتى الآن، على الرغم من مرور ستة أشهر على سكناهما، مجهولين، لا يعرف أحد فى البناء كله من أمرهما شيئًا، سوى أن أحدهما امرأة فرنسية من مواليد بلچيكا اسمها (بوليت غيو)، وأن ثانيهما رجل هولندى يرجح أنه بغير عمل، لأنه قلما يغادر الدار، إلا يوم الأحد، حيث يخرج مع هذه المرأة فى رحلة تستغرق أكثر النهار، وقليل من الناس يعرف اسمه.

ولقد عرف النزيلان جنسية هذين الجارين المجهولين عن طريق صاحبة الدار، التى كان لابد لها عند تأجيرهما من أن تعرف بعض الأشياء الضرورية عنهما، ومن ذلك عمل المرأة التى سجلت بجانب اسمها أنها تقوم بمهمة (سكرتيرة) لمدير القسم الخاص بسيارات (فولكس فاجن) من شركة (اتيره ن) لصناعة السيارات...

وبدافع من الفضول الشرقى سأل عدنان - وهو أصغر الأخوين الطالبين - صاحبة الدار عما إذا كان ذلك الرجل الهولندى زوج المرأة.. فنفت ذلك، وذكرته بأن هذا الأمر لا يهمها، بل لا يهم سواهما، وكل ما يعنيها منهما هو أن يكونا جارين مهذبين، وأن يؤديا أجرة الدار تامة فى الموعد المعين.. وكلا الأمرين مؤمّنان على أكمل وجه...

وكان مألوفًا أن يتلاقى الأخوان وهذه الجارة الفرنسية معظم الأيام، على مدخل الدار السفلى، أو أثناء الدرج فلا يكون بينهم أكثر من تحية طائرة تفرضها المجاملة. دون أن تجر وراءها كلمة واحدة.. على كثرة ما تكررت..

تَبَرُّجُ الجَاهِلِيَّةِ:

على أن أكثر ما يلفت النظر فى هذه المرأة هو عنايتها الصارخة بزينتها اليومية، فهى بالرغم من أنها لا تستطيع حجب سنها الناطقة بما فوق الأربعين، لا تكاد تفارق الدار إلى عملها فى الصباح إلا بعد أن ينال كل عضو من جسمها حصته من التبرج الغالى.. ومع أن التبرج فى الحياة الأوروبية هو الطابع الرئيسى فى المرأة.. تفتن به

لتفجر الكمين المتماسك من رغبة الرجل، غير أنه فى هذه المرأة يعدو المألوف من ذلك.. إذ لا تعرف فيه حداً للاعتدال، فالأحمر الذى تقتنع منه الأوروبية بالقليل على حافة الشفتين، يتجاوز عندها المجال الذى حدده العرف، حتى يصبغ مساحة أبعد حولها.. والثوب الذى ترك واجب الستر حتى أصبحت وظيفته مجرد الإغراء.. قد بات على جسدها أقرب إلى (تبان) السباحة، فلا يستر بمقدار ما يجسِّم.. حتى نظارتاها ذاتا الإطار الذهبى الأنيق لا تستعملهما لتعديل النظر بمقدار ما تريد منهما الإثارة...!

وبأوجز تعبير: كانت المرأة انموذجًا من الاستهتار الذى لا يقيم وزنًا لأى مقياس أو تقدير...

ومع ذلك كله فهى تمر بالطالبين وزائريهما، كما تمر بالآخرين من الناس فى الشارع والترام والسيارة والشركة نفسها متجاهلة الجميع، لا تثبت نظرها فى وجه، إلا بمقدار ما يتطلب الموقف.. فكأن غرضها الوحيد من ذلك الاستهتار هو فقط اجتذاب الأبصار، وإثارة الفضول دون أى شىء آخر...!

-٢-

هَدِيَّةٌ وزِيارَة :

وحدث ذات يوم أن محمداً، وهو أكبر الطالبين، قد عاد من أجازته الصيفية فى دمشق، ليستأنف دراسته بقسم الدكتوراه فى الكيمياء الصيدلية، وكدأبهما فى مثل هذه المناسبة كان عليه أن يخص جيرانه ببعض الهدايا الشرقية، فملأ لصاحبى البناء طبقًا من الحلوى، ثم مضى بمثله إلى جاريهما الجديدين المجهولين.. وعلى مدخل الدور وقف يضغط الجرس، وينتظر.. ولما أطلت الجارة الفرنسية تتعرف الطارق فوجئت بما لم تتوقع.. وجمدت قليلا قبل أن ترد تحيته ثم سألت فى لهجة لم تخل من الاستغراب: ماذا ؟

ومد محمد يده بالطبق الشهى، وهو يقول إنها هدية صغيرة من حلويات دمشق، قدمت مثلها إلى جيراننا الآخرين، فهل تتكرمين بقبولها ؟

وسكب محمد هذه الكلمات فى عبارة فرنسية أنيقة، اختار لها الكلمات المناسبة،

وانثالت على لسانه فى صوت حيى سرعان ما بعث الاطمئنان فى قلب المرأة، فتناولت الهدية شاكرة، ودعته إلى الدخول وألحت بذلك، فلم يسعه إلا الاستجابة.. واتخذ مجلسه إلى يمين الهولندى الذى قدمته إليه باسم رفيقها السيد (....؟ ...) والذى لم يعره إلا قليلا جداً من الاهتمام، إذ سرعان ما عاد إلى محفظة الصور التى بيده يقلب فيها النظر..

ودخلت بالهدية إلى غرفة الطعام، ثم عادت ومعها صحفة فضية يعلوها قدح صغير مذهب.. وانحنت وهى تقدمه إليه.. ولكن محمداً وضع يده على صدره وهو يعتذر، سأكون شاكرا إذا أعفيتنى.

- ولكنها خمر جيدة من أحسن أنواع الكونياك.

- لا أشك فى حسن ذوقك.. ولكنى لا أشرب الخمر..

- لماذا؟

- مسلم!!..

وانزلقت الكلمة فى عفوية ممزوجة بالدهشة وجمدت عيناها لحظة على وجه ضيفها، إنها تريد أن تتبين خصائص هذه الكلمة الغريبة من خلال ملامحه وقسماته.

الإسلام المجهول:

ولم تشأ أن تحرج الفتى بالإلحاح.. فوضعت الكأس فى الصفحة الفضية على النضد النصفى، ثم أخذت مجلسها فى مقعد مجاور، وجعلت تنظر إليه، وهى تقول: الإسلام! هذا شىء أذكر أنى قرأت عنه فى بعض الكتب.. وقد أعجبنى منه دعوته إلى النظافة.

فقال محمد: إن النظافة فى الإسلام من الصفات الأساسية.. ولكنى أرجو مع ذلك أن يكون الكتاب الذى قرأته عنه من الكتب النظيفة، التى لا تعتمد تشويه الحق.

ويظهر أن حرارة اللهجة التى مازجت كلمات الفتى قد استهوت مشاعر المرأة فعقبت تقول: الحق أننى لم اقرأ الكثير عن هذا الدين الشرقى، ولم أتعمد البحث عن مضمونه.. حتى أننى لا أذكر بالضبط أين قرأت عنه.

وكان محمد يستمع إلى تلك العبارة، وهو يجيل بصره فى الكتب المنضودة بأناقة على رفوف الخزانة التى بجانبه، فقال دون أن يحول بصره عنها: يبدو أن السيدين مولعان بالمطالعة.. وفى الكتب الفلسفية بخاصة؟!..

فلم ينبس الرجل بحرف.. واكتفى بزم شفتيه كأنه يرفض المشاركة فى الحديث.. أو يشير إلى عدم اهتمامه بالمطالعة، ولكن المرأة أجابت: المطالعة أحب هواياتى.. وخاصة فى الفلسفة والأدب..

الهدية الثانية :

قال: هل ترغبين فى قراءة شىء عن الإسلام؟.. لدى كتاب بالفرنسية ذو أسلوب أدبى معجب.. وفيه كثير من الحقائق الموضوعية عن هذا الدين.. الإلهى.

وتعمد استخدام كلمة (الإلهى) ليجعلها مقابل كلمة (الشرقى) التى وردت فى تعبيرها.. وقد عنى بإخراجها فى نبرات خاصة تلفت الانتباه.. فلم تتردد أن قالت: سأكون شاكرة إذا أعرتنى هذا الكتاب ما دمت واثقاً من موضوعيته..

ولم يشأ أن يؤخر الأمر فاستأذن ليأتيها به.. وما هى إلا دقيقتان حتى أقبل عليها.. وهو يقول: إنه مقدمة لكتاب ضخم ألفه مصرى أسمه (عبدالله دراز) بعنوان (أخلاق القرآن).. لينال به إجازة الدكتوراه من باريس[1].

وقبل أن يغادر باب المنزل للمرة الأخيرة التفت إلى المرأة يقول: لعل سؤالا ما يخطر فى بالك أثناء قراءته.. فلو كتبت ذلك لكان فرصة حسنة لبذل ما نستطيعه من الخدمة.

- ٣ -

إخوان ونشاط مبارك :

كانت شقة محمد وأخيه عدنان أشبه بمكتبة الجامعة، يرتادها العديد من الطلاب العرب فى مختلف أوقات النهار.. وقد تطور أمرها أخيرا حتى أصبح بين روادها

---

(١) الدكتور محمد عبدالله دراز كان من كبار علماء الأزهر الشريف، توفى فى (لاهور) الباكستانية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م أثناء مشاركته فى مؤتمر إسلامى، وقد ترجم كتابه إلى اللغة العربية تحت عنوان: (دستور الأخلاق فى القرآن).

الأفريقى الأسود، والهندى الأحمر، والألبانى الأبيض.. وبذلك لم يقف دور الشقة عند حدود المذاكرات الجامعية، بل تجاوزها إلى المدارسات الإسلامية، والعبادات الجماعية وطبيعى أن هؤلاء الرواد لم يكونوا من طبقة الطلاب وحدها بل تعددت هوياتهم كما تعددت جنسياتهم، ففيهم الطالب والعامل والتاجر.. والفقير والثرى يفدون إلى الدار من أنحاء العاصمة، ليتعاونوا على فهم دينهم، وتجديد عقيدتهم، والبحث فى شئون شعوبهم وأوطانهم.. وقد رأوا أن يخصصوا يوماً من الأسبوع يتلاقون فيه على حصص منظمة من الدراسة والعبادة، فحصص للقرآن، وأخرى للحديث، ومثلها للفقه، ووقت خاص لبعض المؤلفات الإسلامية الحديثة.. وفترات خاصة للاستجمام، وللعبادة.. وهكذا كان يوم الاثنين من كل أسبوع هو اليوم الجامع لهؤلاء الرفاق، يتزودون منه بما يعوزهم لبقية الأيام، ويتهيئون له بالأفكار الجديدة، والأسئلة العديدة..

وفى جو هذه الاجتماعات يتعذر على من يحضرها لأول مرة أن يعرف مؤسسيها ودعاتها، لأن روح الأخوة لا تدع مجالا لأى تمييز بين الواحد والآخر، لكن القدامى منهم يعلمون أن الأخوين الدمشقيين محمداً وعدنان.. هما نقطة الإنطلاق والارتكاز فى هذا التجمع، وقد بدأ جهدهما فى نطاق العمل القومى بعقد المؤتمرات الطلابية للدعوة إلى قضايا الوطن العربى.. ولمجابهة الدسائس الصهيونية، ولكن سرعان ما ألفوا أنفسهم أمام خيبة محزنه، إذ وجدوا هذه المؤتمرات لا تتجاوز حدود الجعجعة إلا قليلا، وكثيرا ما تبدأ حتى تستحيل معارك تلعب فيها الأيدى والمقاعد وقنانى الشمبانيا.. ثم يخيم عليها الصمت، ويعقب الصمت النسيان.. فلا حركة.. ولا بركة.. وكأن الله قد كون هذين الفتيين ضرباً مميزا من الناس، فهما ينظران إلى الحياة من خلال الواجب والمثل التى جاءا بها من دمشق، وقلما تمضى عليهما ليلة دون أن يحاسبا نفسيهما على ما صنعا فى نهارهما، وطبيعى أن مثل هذه النفوس يستعصى انقيادها إلى مثل هاتيك التمثيليات، التى لا حصيلة لها سوى التنافس المؤسف على أمجاد وهمية لا وجود لها خارج أذهان الفارغين.. ومن هنا كان عليهما أن يشقا لنفسيهما طريقا آخر إلى عمل مثمر، ينسجم مع أخلاقهما التى لم تألف الانحراف عن سبيل الحق.. وهكذا انتهيا إلى الاتفاق على مخطط مدروس، ذى شعبتين: أولاهما ذاتية تتركز فى تعهد نفسيهما بالجهاد المتصل، سواء فى حقل الدراسة، أو التهذيب الروحى، حتى يحصناهما من تلك

المفاسد.. التى تكتسح الكثرة من مواطنيهم فى مختلف أقطار أوروبا..أما ثانيتهما فموضوعية وبالأصح إنسانية تستهدف تنظيم الطاقات الإسلامية فى نفوس الشباب المؤمن، ليس فقط فى بروكسل، بل فى أى مكان يمكن أن يتاح لهما الاتصال به فى بلجيكا وخارجها.. وقد امتلأت نفساهما يقيناً بأن هذا هو الطريق الأمثل لخدمة القضايا العربية، ولمبارزة الدعاية الصهيونية فى مختلف الميادين، لأن الفرد الذى سيعمل فى نطاق هذا المخطط لن تصرفه شهوة عن الواجب، ولن يراوده الكسل لصده عن مواصلة الجهد: مهما يطول طريقه..

ومنذ ذلك اليوم بدأ نشاطهما فى نفسيهما والأقربين من رفاقهما.. ثم مضوا جميعاً متعاونين فى توسيع مجالات هذا النشاط، حتى استطاعوا أن ينقلوا خطواتهم الأولى فى سبيل إنشاء المركز الإسلامى الذى يحلمون به.. وكان ذلك حين أحرزوا موافقة الحكومة البلجيكية على إعطائهم البناء الخاص بالحكومة التركية فى معرض بروكسل.. وهو البناء الذى أنشئ على صورة المسجد بقبته ومنارته، ثم أصبح فارغاً معطلا بعد انفضاض العرض.. وها هم أولاء يعدون عدتهم منذ اليوم ليقيموا فيه صلاة عيد الفطر الذى بات موعده وشيكاً.. ثم ليجعلوه فيما بعد مسرح نشاطهم الذى لم يعد يتسع له البيت..

وقد أصبح لديهم مكتبة متنقلة تحتوى طائفة من أنفس الكتب الإسلامية بالعربية وغيرها، وتقدم بطريق الاستعارة للرجال والنساء على سواء.. ولقيت حركتهم عطفاً مشجعاً لدى بعض السفارات الإسلامية، وبخاصة سفارة السنغال التى يقوم على رأسها رجل من أصح المسلمين عقيدة وغيرة، يحيط به قلة من الموظفين لا يقلون عنه حباً للإسلام، واهتماماً بشؤون المسلمين، ولم تعد حركتهم محصورة فى حدود المسلمين وحدهم، بل بدأت الاتصال بعناصر مثقفة من البلجيكيين والأوروبيين أنفسهم، وها هو ذا عدد منهم نساء ورجالا يحضرون اجتماعاتهم الأسبوعية، ليستمعوا إلى معانى القرآن والحديث، وليشاركوا فى مناقشة الأفكار المختلفة التى تقرأ فى بعض هذه الاجتماعات عن الإسلام والمسلمين.

وفى هذه الغمرة من العمل الدائب كاد محمد ينسى تلك الجارة الفرنسية والكتاب الذى أعارها إياه، لولا ذلك اللقاء اليومى الذى يذكرهم بها عند مدخل البناء، أو على الدرج المشترك، فلا يزيد عن تحية يوردها ثم يمضى كل فى طريقه دون سؤال..

ولكن حدث اليوم شىء جديد لم يعهد مثله منذ حلت هذه المرأة ورفيقها مكانها من هذا البناء..

الانقلاب الكبير:

كان اليوم هو الأثنين، موعد الاجتماع الأسبوعى، وبينما الشقة مكتظة بالرواد مالئين غرفها الثلاث وردهتها الواسعة، إذا بصوت الفرنسية يقتحم عليهم الشقة صاعداً من تحت.. وفيه تعنيف يصل إلى مستوى الإهانة، موجهاً إلى الرفيق الهولندى.. دعنى.. إلى متى تمص مالى، وأنت لاصق بمقعدك كالعنكبوت؟!.. لم أعد أطيق رؤيتك..

ويرتفع صوت الهولندى خلال ذلك، ولكن فى لغة خليط لا يكاد يفهم منها شىء.. ثم لم تلبث الضجة أن همدت وأعقبها وقع أقدام الرجل يهبط السلم وهو يقذف باللعنات يميناً وشمالا..

ولم يستطع محمد إلا أن يستكشف النبأ فهبط إلى الدور الأرضى يستوضح السيدة (نيلى بلانشار مالكة البناء) الأمر فإذا هى تخبره أن هذه الفرنسية بدأت تضيق بوجود ذلك الرفيق منذ أكثر من شهر.. وقد أعلمتها أمس أنها قد تضطر قريباً لمغادرة المنزل إلى شقة صغيرة تكفيها وحدها..

ويبدو أنها قد تخلت عن الرجل.. فهى إذن على وشك الانتقال من البناء كله..!

وكأن محمداً وجد فى هذا الخبر الشىء الذى هو بحاجة إليه.. فلم يتمالك أن قال لصاحبة البناء: «بوسع هذه الجارة أن تحتل مكاننا إذا كانت تؤثر شقة صغيرة.. على أن ننزل نحن إلى مكانها.. لأننا بحاجة كما ترين لدار أوسع..».

ولم تر المرأة مانعاً من تحقيق هذا المقترح فوافقت بسرعة.. وأخذت طريقها إلى فوق وهى تقول لمحمد: ذلك خير لكم ولنا.. لأننا لا نتوقع جاراً أطيب منها..

- ٤ -

وعاد الإخوان مساء ليجدا كل شيء قد تم على ما يرام بل فوق المرام.. لقد بدلت الدار بالدار، ورتبت أشياءهما، من كتب وثياب وحقائب وما إلى ذلك مما يملك المسافر، في أمكنتها المناسبة من المنزل الجديد.. وكانت الدار بأثاثها الأصلي الفاخر غاية في الأناقة التي يحلم بها طالب في منزل أجرة (بانسيون).. فاستشعرا روح الهناءة، ووقفا هنيهة يخططان للاجتماعات المقبلة.. ولم ينسيا أن يخصصا قاعدة مناسبة لصلاة الجماعة وقيام الليل المشترك في أوقاته الأسبوعية.. وأشد ما أدهشهم منظر بياضهم مغسولا مطوياً، وثيابهم منظفة مكوية، وقد نسقت على مشاجبها في الخزائن! فقدرا فضل الجيران الذين نهضوا بهذا العبء متبرعين، وهمَّا بالهبوط إلى الدور الأرضي ليشكرا السيدين على جهدهما المبرور، ولكنهما فوجئا بالجرس يدق، ولما فتح الباب أطلت منه المرأة الفرنسية تحييهما، وتسألهما إذا كانت ثمة من خدمة أخرى تستطيع تقديمها لهما؟ عند ذلك شكرها الإخوان ودعواها للدخول.

واستجابت المرأة لدعوتهما، فجلست لترشف قدح الشاي الذي صب لها.. وقالت رداً على الثناء الذي وجهاه إليها.. لم أفعل شيئا كبيراً.. لقد وجدت نفسي في فراغ الأحد، وكان لابد من نقل أمتعتي إلى داركما الأولى كما اتفقنا، فبدلا من أن أعود فارغة إلى فوق في كل مرة كنت أحمل بعض أمتعتكما في طريقي، بمساعدة الجارة الكريمة صاحبة البناء، ثم وجدت لدي بقية من فراغ فسليت نفسي بإنجاز بعض الأشياء التي قد يضيق وقتكما عن إنجازها في الوقت المناسب.

قال عدنان: ولكن هذا كثير أيتها الجارة المحترمة..

قال محمد : لقد وضعتنا بذلك تحت عبء من الفضل قد نعجز عن مكافأته.. وهنا أثبتت نظرها قليلا في وجه الفتى الذي صبغه الحياء، وبرق ببوادر الشعور بالجميل.. ثم قالت: «بل لعل الأمر على العكس.. ولو علمت ما أحدث كتابك - الذي أعرتني - في نفسي لأدركت أنك أنت المتفضل..».

الإسلام العظيم:

وفجأة وثب إلى خيال محمد صورة تلك الليلة التى طواها وراء ستة أشهر، وتذكر الكتاب الذى أعارها إياه.. فقال: أرجو أن يكون وقتك قد اتسع لقراءة الكتاب!

- لقد أعدت قراءته خمس مرات..

- وبالطبع كتبت ملاحظاتك عليه..!

- الملاحظات كثيرة.. ولكنى لم أكتب واحدة منها خارج قلبى.. أجل.. لقد نقشت انطباعاتى بالكتاب هنا .. على صفحة قلبى التى لا تقبل المحو.

وسكتت وسكت الفتيان يفكران بما يسمعان.. وينظر كل منهما إلى الآخر دون كلام.. حتى عادت المرأة تقول: كنت أحسب أن تجاربى الماضية كانت كافية لصرفى نهائياً عن أى تفكير دينى.. ولكن هذا الكتاب قد كشف لى بشكل مباغت أننى على أتم الجهل بجوهر الدين، وأننى لأول مرة أجد نفسى فى مواجهة الحقائق الإلهية، التى قضيت شطراً كبيراً من عمرى فى البحث عنها بغير طائل..

قال عدنان: ذلك حال طبيعى.. فالقلب الإنسانى كالقفل الدقيق لا يستجيب إلا إلى مفتاحه وليست الحقائق الإلهية إلا ذلك المفتاح..

- تمثيل رائع.. واستطيع القول بنتيجة خبراتى الشخصية أن هذه الحقائق هى وحدها التى تروى عطش القلب الضائع فى صحراء المجهول.. وكل تفكير دينى مجرد عنها هو كالماء الملح لا يزيد النفس الظامئة إلا تلهفا واحتراقاً..

وفى غير تعمد انسرب بصر محمد يجول فى مظهر هذه المرأة، كأنه يفتش عن الدليل الذى يؤكد أنها جادة فى الذى تقوله، فإذا هو يصطدم بالواقع.. الواقع البعيد عن كل صلة بهذه الحقائق..!

إن الأحمر الذى يغرق شفتيها.. والركبتين تشدان النظر إلى ما وراءهما فى إغراء وقح.. والضغط الصارخ الذى يلصق الثوب القزم بكل جزء من أنحاء هذا الجسم المصنَّع.. والذى لا يزال محتفظا بالكثير من مغريات الفتنة ..كل أولئك من شأنه أن

يفرغ كلامها المحكم من كل معنى جاد.. وبخاصة فى مقياسه هو الذى لا يستطيع التفريق بين الفضائل الروحية وسلوك مدعيها.. ولذلك لم يستطع منع وجهه من ابتسامة خفيفة لا يفوت الذكى ما وراءها!!.

وعادت الفرنسية إلى الكلام: «لقد اطمأن عقلى وقلبى إلى هذا الدين.. وأريد أن أسألكما عن السبيل إلى اعتناقه..»؟

قال محمد: إن مجرد الاقتناع به اعتناقه.. ويبقى إعلان ذلك بالشهادتين أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله..

- فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، لأننى مقتنعة من قديم بهذه الحقيقة وأما رسالة محمد فلا ينكرها إلا كافر بعقله، أو كاره للحق.. فهل أنا إذن مسلمة الآن؟!

دِينٌ وَدُنيَا:

- بالتأكيد.. ولكن هناك مشكلة..

- مشكلة.. وما هى؟

- هى إن الإسلام نظام كامل.. يؤخذ جملة لا تفاريق.. وهو يفرض على معتنقه سلوكاً معيناً، ومظهراً خاصاً، وخلقاً مميزاً بحيث يمثل فى شخصه المتميز، الخطوط العملية الكبرى لحقيقته الإلهية.

- أدركت هذا من سلوككم.. الذى أعطانى فى الواقع كثيراً من التفسيرات التى لم يتسع لها الكتاب.. لقد سئمت الأديان التى تفصل بين السلوك الشخصى والمعبد .. وتتساهل حتى فى الفضائل الرئيسية: فلا تتورع عن استخدام المسابح المختلطة، والملاهى العابثة، والمراقص المنكرة، كوسيلة لاستبقاء الرباط بينهما وبين الشباب الطائش.. وكرهت من رجال هذه الأديان بوجه خاص وقوفهم فى نطاق الطقوس الرمزية داخل حدود المعبد، فيفصلون بذلك بين المعبد والشارع، إذ يفصلون بين لحظات العبادة وبقية الحياة، فيكتفون من المتدين أن يظل على صلة بمعبدهم ولو ساعة فى الأسبوع، ثم لاعليه بعد ذلك أن ينطلق وراء غرائزه فى سباق محموم لا يعترف بأية رقابة لعين الله،

ولا أية مسئولية تجاهه.. ! وذلك بخلاف الإسلام الذى تبين لى أنه من الشمول بحيث يعتبر الأرض كلها معبداً، وكل عمل صالح عبادة ما دام المؤمن يأتيه وهو مستهدف رضوان به.. ومن هنا كان المسلم الحق صورة صحيحة للإسلام.. وهو لا شك سعيد بذلك، لأنه لا يستشعر أى تناقض بينه وبين قوانين الطبيعة من حوله وفى داخله، بل إنه ليشعر بديل ذلك بأتم الانسحاب بينه وبين الحياة وأن كل شذوذ عن موجبات هذا الدين مؤد إلى شقائه، لأنه تصادم مع مبادئ الحياة نفسها..

وأمسكت قليلا تحدث فى ما بين يديها دون تركيز على شىء بعينه، وقد غرق البهو كله فى صمت عميق، وأطرق كل من الفتيين مثلها يسبح فى غمرة هذه المعانى، التى فتحت أمام نفسيهما آفاقاً مانعة، يخيل إليهما أنهما يستشرفانها لأول مرة.

دِينُ الفِطْرَةِ :

وقطعت الصمت كرة أخرى لتقول: «من أجل ذلك استجابت نفسى كلها لهذا الإسلام، إذ وجدت فيه دعوة الله المتجاوبة مع أعماق الفطرة الإنسانية.. وقد صممت على أن أخضع جميع تصرفاتى إلى أحكامه.. »

ولم يشأ محمد أن يؤخر ملاحظاته أو يجمجم بها فقال: ولو قضت هذه الأحكام بتغيير نظام حياتك كله؟!

وفى تصميم قاطع أجابت: وما فائدتى من الإسلام إذا هو لم يغير طريقتى فى الحياة!.. وهل تظن أننى كنت راضية عن نفسى.. ونظام حياتى.. وعن أى شىء مما حولى؟!

ثق أيها الجار الكريم أننى كنت إنسانة ضائعة، بل غريقة يتلاعب بها تيار المجتمع على كره منها ولم تكن تصرفاتى الشخصية جميعها إلا محاولة للهروب من الواقع الحائر، الذى تفرضه علىّ حضارة لا أؤمن بها لأنها حضارة عوراء، لا ترى من الإنسان إلا جانبه الجسدى، ولا تقيم وزنا لأى ظمأ داخلى خارج نطاق المادة، ولقد كان لقائى بك ليلة الهدية أول صدمة شدتنى إلى الاتجاه الآخر.. ثم جاء كتاب الدكتور دراز فدفعنى شوطاً بعيداً فى هذا الطريق وكان لطريقة حياتكم فى هذا الجوار الطيب أثرها العملى

فى صيرورتى إلى هذا التقرير المطمئن.. وأنا اليوم بما أدركته من هذا الدين أشعر بأننى عثرت على نفسى ووجدت حقيقتى، ووضعت قدمى فى الطريق السوى.. فكيف لا أخضع وجودى كله لحقائق الإسلام، وهو الذى أنقذنى من ذلك التمزق، وهدانى السبيل بعد ذلك الضياع الوبيل..

تَكَالِيفُ وَعَقَبَاتُ الطَّرِيقِ :

وعقب عدنان على ذلك قائلا: ولكن عناء جديداً ينتظر القابض على هذا الدين.. لعل أهون منه قبض الجمر.. أنه يفرض تطهير الجسد كما يفرض تطهير داخله سواء بسواء.. ويتطلب من المسلمة بوجه خاص التخلص نهائياً من مثل هذه الثياب إلى أشكال أخرى تتم بها الحشمة، دون تضيق ولا تقصير ولا خلاعة.. حتى الشعر لا يأذن بظهوره لأجنبى.. وهناك صلوات خمس فى كل يوم وليلة لا مندوح من أدائها.. ثم صيام رمضان الذى نحن فيه هذه الأيام.. ثم كف النفس عن كل شهوة حرمها الله.. كالخمر والرقص المختلط، والخلوة بالأجنبى.. وأقل ما يجره هذا لاتجاه هو أن تصبحى هزأة لدى الذين سيرون منك كل هذا التغيير دون مسوغ مقنع..

وكف عن الكلام ليرى أثره فى نفسها فإذا هى تقول: أما هذه الثياب فستتغير فى أسرع وقت.. وفى الصلوات الخمس فرص سعيدة يتاح لى فيها أن أروى ظمأ قلبى إلى مناجاة الله.. وسأجد فى الصيام دون ريب متعة رائعة، إذ تعرفنى حاجة الإنسان إلى نعم الله التى ألف ألا يعيرها تفكيراً.. ولقد مجت نفسى تلك الشهوات التى لم تزدنى إلا استشعاراً للفراغ الروحى الذى طالما عانيته.. أما هزء الناس فقد توقعته، ووطنت نفسى على احتمال كل شىء..

ولم يبق لدى الفتيين ما يقولانه بإزاء هذا الإصرار الحاسم.. فاكتفيا بأن قدما إليها الأوراق التى كتب فيها بالفرنسية صيغ الوضوء والصلاة.. وما لا مندوحة عن معرفته للمسلم المبتدئ..

ثم قال محمد: سنكون جميعنا مسرورين باستقبالك أصيل كل اثنين، إذا شئت أن تحضرى معنا بعض الدراسات والعبادات، وسترحب بك أخوات من السنغال وألبانيا وأندونيسيا وأنحاء أخرى من العالم..

كان أول شيء قامت به (هدى) - وهو الاسم الذى اختارته بوليت غيو الفرنسية لشخصيتها الجديدة - أن دخلت فى صباح اليوم التالى على مدير الشركة البلجيكى فقالت له: لدى خبر أرى من واجبى اطلاعك عليه لكى لا يفاجئك..

وابتسم المدير لسكرتيرته فى لطف أبوى وقال:

ابتداء من الغد سترون تغيراً بل انقلاباً فى حياتى كلها، وأول ما تلمحونه من ذلك فى ثيابى التى ستكون أدنى إلى أردية الرواهب..

- لعلك راغبة فى اللجوء إلى الدير!

- كلا.. لا شيء من ذلك.. إنما قررت أن أكون مسلمة..

- مسلمة.. وهل يعنى ذلك أن تتركى الكاثوليكية؟

- هو ذاك لأن الإسلام شيء غير النصرانية المعروفة كلها.. وسأعرفك به عندما تريد..

- ولكن الإسلام كما قرأت وكما أخبرنا بعض القسس يحتقر المرأة.. ويجعلها قعيدة بيتها لا تصلح لأى عمل..!

- ذلك من دسائس أعداء الإسلام الذى لا تعرفه مع الأسف إلا عن طريقهم.. أما الواقع فهو أن المرأة لم تسترد اعتبارها الإنسانى إلا فى ظل الإسلام.. وقد لبثت أحقاباً لا تعدو منزلة الشياطين فى حكم رجال الكنيسة، حتى هبت على أوروبا نفحات الحضارة الإسلامية عن طريق الاندلس والحروب الصليبية، فإذا رجال الكنيسة يعدلون رأيهم فى المرأة ثم لا يزالون يعدلون حتى انتهوا إلى الاعتراف ببعض حقوقها التى قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.. ومهما يكن فذلك بحث نرجئه إلى وقته المناسب.. ولكن هذا لن يؤثر على إخلاصى فى عملى بل سيزيدنى رغبة فيه واتقاناً له، لأننى بذلك أحقق أحد تعاليم دينى الجديد..

ولم ير المدير فى أمر سكرتيرته أى أمر ذى بال، ما دام إسلامها لن يحول دون استمرارها على عملها بالنشاط المعتاد نفسه.. وقلب شفتيه ويديه وهو يقول لها: ذلك أمر يخصك ولا يهمنى..

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمى الشركة، تنقل إليهم النبأ فى لهجة مثقلة بالجد.. وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد لأنه مخالف لمألوفهم، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير، وأنها لن تسبب شيئا من الازعاج..

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمى الشركة، تنقل إليهم النبأ فى لهجة مثقلة بالجد.. وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد لأنه مخالف لمألوفهم، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير، وأنها لن تسبب شيئاً من الازعاج..

وجاء اليوم الثانى.. وغادرت هدى الشقة إلى عملها اليومى فى زيها الإسلامى الجديد، الذى أعدته لها أختها فاطمة الإندونيسية: ثوب صابغ أبيض يمتد من أعلى النحر إلى أسفل الساق وقد اتسع حتى لا يمثل أى عضو تحته، وخمار زبدى اللون أدير على الرأس، وحول العنق، بصورة لا أناقة فيها ولا سذاجة، وفى القدمين المجوربتين حذاء قليل الارتفاع لا يوحى بأى إغراء أو تبذل.. وقد تعمدت أن تكون نظارتاها من اللون الأسود، لتستطيع حجب تأثيرها من الأشياء المزعجة التى تتوقع أن تراها أثناء اليوم وربما كان أغرب ظواهرها هو هذا الوجه الذى تقابل به الناس لأول مرة منذ ثلاثين سنة ونيف خاليا من كل أثر للزينة أو الطلاء.. فلا أبيض، ولا دهان، ولا أحمر اللهم إلا حمرة الخجل الذى غشى وجهها جميعا بلون ساحر...!

المَوَاجَهَةُ الصَّعْبَةُ :

وفى سيارة الشركة، التى اعتادت أن تمر بها كل صباح، تلقت أول صدمة.. وذلك حين انصبَّت عليها أحداث العمال والمستخدمين فاغرى الأفواه من الدهشة.. لا تكاد أعينهم تصدق أن هذه هى سكرتيرة المدير... وحتى الرجال والفتيات الذين أنبأتهم خبرها بالأمس لم يتمكنوا من كتمان دهشتهم فراحوا يتغامزون ويتهامسون وهم يسارقونها النظر.. وفى هذه الغمرة من المفاجآت لم تلحظ مدى أن أحداً رد عليها تحيتها، كأنهم لم يسمعوها أو كأنهم شغلوا عن الرد بهذا المنظر.. حتى جعلت تراجع نفسها فلا تدرى أألقت تحيتها أم صرفها انشغال فكرها عن ذلك..

ولم تتمالك رعشة سرت فى جسدها وهى تستقبل هذه المفاجأة، ثم غلبها الضعف فإذا دمعتان كبيرتان تتدحرجان على خديها، فتسرع إلى مسحهما بمنديل صغير كانت تشغل أصابعها بلمسه وتقليبه..

وودت لو تطير بها السيارة لتتخلص من هذا الجو.. وقد قررت أن تلوذ بغرفتها فلا تغادرها إلا لضرورة قاهرة، وأن تتجنب هذه الأنظار فلا تخالط أصحابها إلا بعد أن يألفوا منظرها الغريب!

ولكن سرعان ما خاب فأل المسكينة إذ ما كادت تهبط من السيارة إلى داخل مكتبها حتى فوجئت بالمدير، يطل عليها من الباب الخاص، ليقلب نظره طويلا فى هذا الزى الذى لمحه عن بعد.. والذى سمع المستخدمين يتهامسون بشأنها..

وانتبه المدير إلى موقفه فلم يسعه إلا أن يتكلم أسعدت صباحًا أيتها الآنسة.. أرجو ألا تجدى ما يزعجك طوال اليوم...

وأدركت ما يريد، وتذكرت كلمات عدنان.. وتصميمها السابق، فردت تحيته بكل ما استطاعت من لطف ثم قالت: ليثق حضرة المدير أن لا شىء يزعجنى.. لأننى مطمئنة إلى أن مسلكى هو الأفضل.. وكل استغراب له إنما يرجع إلى بعد المستغربين عن فهم الحقائق الإلهية..

ولم يجب المدير بشىء.. وترك لشفتيه أن تتمتما ببعض الكلمات الغامضة.. ثم انسحب إلى مكتبه...

الصَّبْرُ المَرِيرُ:

وانتفعت هدى بتصميمها، وتذكرت أيضا أن الإسلام يستحق منها أكثر من هذه المزعجات.. أنه غريب فى بروكسل كغربته من قبل فى مكة.. ولقد تلقى أتباعه الأولون، بين اخوتهم الكافرين به، ألوان العذاب فى سبيله، قبل أن تحتل مكانته الطبيعية فى وطنه الأول، فلم لا تحتمل هى اليوم بعض ذلك العذاب؟.. فى سبيل تعريفه إلى الناس فى هذا البلد البعيد عن روحه وحقائقه!!

.. واستمرت حياة هدى على هذا المنوال أياماً طوالا.. لقيت أثناءها الأمرّين من

فضول الناس.. فلم تجتز شارعاً، ولم تطأ حانوتاً، ولم تركب حافلة، ولم تدخل مركز الشركة إلا سمعت الهمس، ورأت الغمز واللمز.. وقابلت ذلك كله بجلد هائل.. ولكنها ما تكاد تخلو إلى نفسها في بيتها حتى تستسلم إلى بكاء طويل ونشيج محرق..!

وجاءت صاحبة البناء ذات يوم إلى دار الطلاب، لتخبرهم أن جارتهم التي من حقها أن تكون سعيدة في عيد ميلادها اليوم قد أغلقت عليها بابها لتنخرط في بكاء حزين.

وهبطوا: عدنان ومحمد والبلجيكية لاستطلاع خبرها.. وبعدها أكثر من دقيقة استجابت لدعوة الجرس وفتحت لهم الباب، فدخل الفتيان إلى الردهة ليأخذوا مكانهما بانتظارها.. ولما عادت نحوهما في رداء الاستقبال، كان أثر الدمع لا يزال بارزاً من تحت نظارتيها السوداوين.. ورحبت بهم في صوت لم تستطع إخلاءه من أثر البكاء..

وتكلم محمد في كثير من التحفظ: لقد كثرت أحزانك في هذه الأيام.. ولا بد أنها نتيجة لوضعك الجديد، ولما يواجهك بسببه من مزعجات.. وكان الأولى أن تقابلي ذلك بالصبر الذي وراءه الأجر..

وأنها أحست في تلك العبارة ما حرك أشجانها من جديد، فلم تستطع منع عينيها من الدمع.. وترددت ملياً تغالب نفسها، وتسترد أنفاسها، حتى استطاعت أن تستأنف «.. حقاً إنها لأحداث مزعجة تلك التي أصادفها في كل مكان.. ولكنها لا تزيدني إلا شعورا بالرضا وإشفاقا على هؤلاء المساكين الذين لا يعلمون ما يعملون.. ولعل كثيرا من دموعي وأحزاني لا تعدو أن تكون تعبيرا عن الغبطة الروحية التي تستغرقني، عندما أشعر بأنني أتحمل بعض التضحية في سبيل الله.. غير أن أخوف ما يخيفني هو أن يكون البعض الآخر من هذه الدموع والأحزان نتيجة لضعف خفي في قوتي الروحية...»

وتهدج صوتها، ثم عاقها النشيج عن متابعة الكلام.. فامسكت لتمسح دموعها وتهدىء أعصابها.

ورأى محمد أن يساعدها على هواجسها فقال: إن مثل هذه الظاهرة تبدو جلية في جميع الذين هدوا إلى الإسلام من أخواتنا الأوروبيين، وهذا إسماعيل الذي كان اسمه روجيه، كثيرا ما تتهيج مشاعره حتى لا يجد راحة لقلبه في غير البكاء.. وهذا كما

يبدو لى نتيجة رهافة بالغة فى العواطف، ولدتها الأسواق الروحية والتأمل المستديم فى معانى القرآن الحكيم.. وهنا رفعت هدى بصرها إلى محدثها وقد شاع فى وجهها بشر خفى، ثم قالت وفى صوتها رنة السعادة: «لكم يسرنى أن يكون استنتاجك مصيباً أيها الأخ.. الحق أننى أحس فى قلبى رقة لم أعهدها قبل إسلامى.. وكثيرا ما يطغى علىّ هذا الشعور حتى أغيب فى فيضه عن كل شىء، إلا تلك الإشارات السماوية التى اكتشفتها كل يوم فى الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية..»

الثبات والعمل الصالح

وتوقفت قليلا كأنما أعترضها خاطر مفاجىء.. ثم قالت: لقد عرضت علىّ أختى بنت سفير السنغال أن أترك الشركة إلى سفارتهم، لأجد الجو الإسلامى الذى يريحنى من مضايقات المخالفين.. فترددت أولا، ثم رأيت أن أقبل هذا العرض وإن كان دخله دون مرتبى الأول، إلا إنه سيوفر لى من الراحة النفسية ما أنا فى مسيس الحاجة إليه.. وفى هذه المناسبة أقول لكما إننى قررت الاكتفاء بالضرورى من دخلى لأجعل ما يزيد عن حاجتى فى خدمة الدعوة ، ولمساعدة الفقراء من لاجئى الألبان المسلمين... وسوف أفتح منزلى لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم إلى تركهم للعمل أثناء النهار.. وعندى اقتراح آخر هو أن تتخذ من هذا المنزل مركزا خاصاً لاجتماعات نسائية أسبوعية، تضم المسلمات وغير المسلمات، من المثقفات الأوروبيات اللواتى نأنس فيهن رغبة فى الحق، وقدرة على فهمه..

وكان الساعة قد بلغت الخامسة مساء.. فتذكر الأخوان موعدهما مع بعض زملائهما الجامعيين من البلجيك والهولنديين، فأستأذنا بالخروج لاستقبالهم، بعد أن اتفقا مع هدى على جميع النقاط التى أثارتها.. ووضعوا لكل منها الترتيب المناسب.

❖❖❖

إنجلترا وأمريكا :

٤ . ركس انجرام (*)

(أشهر مخرج سينمائى فى هوليود)

ولدت فى اسكتلندا لأب وأم إنجليزيين، ولم أر أبى الذى قتل فى حرب البوير عام ١٩٠٠م وما زلت طفلاً، ومرت الأيام ونحن نعيش عيشًا رغيداً حتى قامت الحرب العظمى الأولى عام ١٩١٤م فتطوعت فى الجيش وركبت البحر إلى فرنسا وانضممت إلى فرقة الفرسان وتقاذفتنى ميادين القتال كأنها ديار الجحيم، وقضيت فى الميدان الغربى فترة رأيت فيها من أهوال الحرب وفظائعها، ما لا طاقة لى بوصفه، وفى أواخر عام ١٩١٨، وبعد أن أمضيت أربع سنوات فى هذا الجحيم عدت فوجدت أمى قد ماتت، وأخوتى الثلاثة قد قتلوا فى الحرب، فهمت على وجهى، ورحت أطوف الدنيا فجست خلال الهند والصين واليابان ولم أجد ما أقطع به الوقت سوى دراسة اللغات والديانات، وفى سوريا تعلمت اللغة العربية ودرست مختلف الأديان فلم أجد مثل ما وجدت من العزاء والطمأنينة فى مطالعة القرآن الكريم طالعته مراراً وتمعنت فى معانيه وأشربت به روحى فرأيت فيه عذوبة وروعة ولم يكن يوم يمر بى دون أن أتلو آياته.

رؤيا عجيبة :

وفى الثلاثينات قدمت إلى الإسكندرية وهمت على وجهى حتى وصلت إلى دمنهور وعلى شاطئ ترعة هناك رقدت وفى أثناء نومى رأيت دخانًا يتصاعد من الأرض حتى يتكاثف فى السماء، وينعقد وقد أضاء نوراً عجيبًا ثم تكونت منه كلمة «الإسلام» وصحوت وكلمة الإسلام لا تزال ملء ناظرى وحواسى، وما كنت أفكر من قبل فى اعتناق الإسلام، وشعرت للمرة الأولى براحة وطمأنينة، وفى الطريق ما مررت بقروى إلا أقرأنى السلام ودعانى للطعام، وبذل جهده فى إكرامى واستضافتى فى منزله. أنا غربى وهم شرقيون أختلف عنهم طبعًا ودينا فما بالهم يسارعون إلى إكرامى؟ أنا الذى رأيت كيف يرتاب الناس من بعضهم. ولو أنك مررت على فلاح فى أوربا، وأقرأته السلام

(*) أخذت هذه القصة من صحيفة الدعوة السعودية بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها.

فهل يكرمك مثل هذا الإكرام؟ وإذا وجدت رجلاً يأكل ووقفت إلى جانبه، فهل هو يشركك طعامه عن طيب خاطر؟ وهل إذا قرعت بابا يفتح لك على مصراعيه فتنزل ضيفًا كريمًا؟؟ تواردت هذه الخواطر على نفسي، وحاولت الإجابة عنها وعند ذلك علمت أن «الإسلام» هو الذى جعل تلك النفوس سامية كريمة.

ونمت مرة أخرى ورأيت عمود الدخان ينقلب حروفًا من ضوء تتجمع فتكون كلمة «الإسلام» وأفقت وقد أيقنت أن الله اختار لى الإسلام دينا وشعرت براحة عجيبة، فى أن أعتنق هذا الدين، دين الشفقة والحنو والإيثار.

ولكن لماذا اسلمت، لماذا اتخذت الإسلام دينا؟

ذلك لأنى أعتقد أن الإسلام هو الدين الذى يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى فى هذه الحياة، وقد تسربت روح الإسلام إلى نفسى فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهى، وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم.

أَسلمتُ بعدَ بحثٍ طويل:

إنى لم أقدم على هذا التغيير لمجرد خاطر وقتى طرأ على فكرى، بل إنى قد درست الدين الإسلامى عدة سنين، ولم اتخذه دينا إلا بعد بحث قلبى عميق، وتحليل نفسى طويل، لم أغير دينى إلا لكى أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنونى، ولأنعم بالسكينة فى ظلال الهدوء والتأمل بعيداً عن متاعب الهموم والمحن التى يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال، الذى أصبح اليوم معبود البشر وإلاههم، ولأخلّص نفسى من براثن الإغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب والمخدرات وجنون فرقة الجاز. أسلمت لكى أنقذ ذهنى وعقلى وحياتى من الهدم والتدمير.

أذكر أننى ذات مرة - وأنا أعمل مصوراً سينمائيًا - كان علىَّ أن التقط شريطًا سينمائيًا لرجل عربى طويل مهيب يقف فى رأس مئذنة ويؤذن للصلاة. وبينما كان يفعل ذلك... وأنا أقف جانبًا، أرقب ما يفعل، كان صوته فى ارتفاعه وانخفاضه ينفذ إلى أعماق قلبى..

ولما انتهينا من التصوير دعوت هذا العربى إلى مكتبى وأخذت أسأله عن دقائق الديانة الإسلامية، واعتنقت الإسلام بعد ذلك، وأخذت أصلى معه وشعرت بقناعة النفس

تغمرنى رويداً رويداً ، وبدأت أشعر بالسعادة وأكره كل الرغائب التى كانت تأسر نفسى.

الاستسلام لله:

وكان بعد ذلك أن جاء اليوم الذى اعتقدت فيه أنى لا أستطيع أن أوفق بين عملى السينمائى وديانتى الإسلامية ولا بد أن يذهب أحدهما ، فأيهما ؟ وكان ثمة عراك نفسى شديد. هل أضحى بعملى ومستقبلى من أجل دينى؟ أم بدينى من أجل مستقبلى؟ هكذا بقيت أسهر الليلة بعد الليلة راقداً فى فراشى وعيناى مفتوحتان حتى الصباح، أفكر فى حل هذه المشكلة، حتى جاءنى الرد من الله.

يجب أن أترك عملى السينمائى وأبتعد عن أخاديع «هوليود» ومغرياتها ، ولقد كان ذلك مؤلمًا لى عندما كنت أقوم بعمل شريط سينمائى فى (نيس) فقد قمت ذات ليلة أصلى وبقيت أصلى مدة طويلة، فزادت قوتى، واشتدت عزيمتى، وفى اليوم التالى أدرت ظهرى لعملى، وأعطيت جسمى ونفسى وحياتى للإسلام.

وأنا اليوم ابن الإسلام وإنى سعيد أكثر مما كنت فى أى يوم من أيام حياتى وفى مدينتى الغربية ومع ثيابى الغربية. سعيد كمؤمن يدين بالإسلام الخالد الذى هو أكمل دين سماوى ارتضاه الله للبشرية.

تعليق:

فى سنة ١٩٢٨م فوجئت الأوساط الفنية فى (هوليود) وغيرها ، بنبأ عجيب جداً هو إسلام «ركس إنجرام»، وكان من أنجح المخرجين السينمائيين فى ذلك الزمن، بل ربما كان أنجحهم على الإطلاق، وقد وصفت جريدة السياسة الأسبوعية الصادرة فى القاهرة بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٢٨ نبأ إسلام «ركس إنجرام» أكبر مخرج سينما توغرافى فى العالم، وأكبر أقطاب صناعة السينما ، الذى أقلع تمام الإقلاع عن كل ما حرم الله، واصطفى بعض المسلمين فى فرنسا ليعلموه أحكام الدين، فى القصر الذى اشتراه خصيصًا فى مدينة (نيس) ليعيش فيه حيث نفذ إلى قلبه أول قبس من نور الإسلام فى هذه المدينة الفرنسية. (انظر كتاب: الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، للمستشار محمد عزت الطهطاوى).

أمريكا :

٥ . مريم جميلة (*)
(مارجريت ماركوس سابقاً)
من اليهودية إلى الإسلام

بدأ اهتمامي بالإسلام وأنا طفلة في العاشرة من عمري سنة ١٩٤٤م عندما كنت أتردد على إحدى مدارس الأحد اليهودية. فقد سحرتني العلاقة التاريخية بين اليهود والعرب. وتعلمت من كتب الدراسة اليهودية أن إبراهيم عليه السلام كان أبا للعرب واليهود على السواء. وقرأت كيف رحبت أسبانيا المسلمة بعد ذلك بقرون باليهود الذين كانوا عرضة للاضطهاد النصراني في أوربا العصور الوسطى، فاستحالت معه حياتهم إلى جحيم لا يطاق، وكيف أدى سمو أخلاق هذه الحضارة العربية الإسلامية ذاتها إلى تحفيز الثقافة العبرية لتبلغ ذروة منجزاتها، فدفعني تفكيري الساذج حينئذ وجهلي التام بحقيقة الحركة الصهيونية إلى الظن بأن اليهود قد أخذوا الآن يعودون إلى فلسطين لتدعيم أواصر القربى الوثيقة في الدين والثقافة بينهم وبين أبناء عمومتهم العرب الساميين. وحسبت أن كلا من اليهود والعرب سيتعاونون على إقامة عصر ذهبي جديد من الحضارة في الشرق الأوسط.

وبالرغم من إعجابي بدراسة التاريخ اليهودي فقد أحسست بالشقاء التام في مدرسة الأحد. وكنت في تلك الآونة مرهفة الإحساس بمشاعر الشعب اليهودي في أوربا حيث كان يتعرض لمصير مفزع على يد النازيين. وصدمني ما لاحظته من عدم اهتمام زملائي في المدرسة وعدم اكتراث آبائهم بالدين اليهودي وأخذهم له مأخذ الهزل. فقد اعتاد الأولاد أثناء الصلاة في المعبد أن يقرأوا قصاصات مضحكة كانوا يخفونها في كتب الصلاة ويضحكون إلى درجة الاستهزاء بالطقوس الدينية. وبلغوا درجة من الفوضى وعدم النظام بحيث عجز أساتذتهم عن تنظيمهم وكانوا يعانون كثيراً في ضبط الفصول. ولم يكن جو الاهتمام بالدين في البيت بأفضل من هذا بكثير. فقد كانت شقيقتي الكبرى تمقت مدرسة الأحد إلى درجة تضطر والدتي إلى جرها بالغصب من فراشها كل

(*) هذه ترجمة عربية لقصة إسلام السيدة مريم جميلة تفضلت بإرسالها للمترجم.

صباح ولم تذهب في يوم من الأيام إلى المدرسة إلا وهي تغالب الدموع معربة عن سخطها الشديد. وأخيراً نفد صبر والديّ فسمحوا لأختي بترك المدرسة. وفي أعظم الأعياد اليهودية المقدسة كنا نؤخذ أنا وشقيقتي من المدرسة ونذهب في رحلات عائلية وحفلات مرحة نقضيها في المطاعم الأنيقة بدلاً من حضور الصلاة في المعبد وصيام اليوم الكبير (Yom Kippur). وسرعان ما استطعت وشقيقتي إقناع والدينا بإحساسنا بالشقاء في مدرسة الأحد فالتحق الاثنان بمنظمة إنسانية لا أدرية[1] (ملحدة) كانت تعرف بحركة الثقافة الأخلاقية.

دين الإلحاد:

تأسست حركة الثقافة الأخلاقية في أواخر القرن التاسع عشر على يد فليكس أدلار (Felix Adler) الذي اقتنع بدين جديد ظن أنه الدين الوحيد الذي يناسب العلم الحديث وذلك أثناء استعداده لنيل شهادة «حبر». ويتلخص هذا الدين المزعوم في الإيمان بنسبية القيم الأخلاقية وكونها من صنع البشر، وعبث الاعتقاد بأية فلسفة أو دين يؤمن بما وراء الطبيعة. وكنت أذهب كل أسبوع إلى مدرسة الأحد التابعة لحركة الثقافة الأخلاقية منذ أن كان عمري أحد عشر عامًا إلى أن تخرجت منها وأنا في الخامسة عشر من العمر. وفي هذه المدرسة آمنت إيمانًا كاملاً بآراء الحركة ونظرت إلى كافة الأديان التقليدية نظرة ازدراء واحتقار.

لقد بقيت تحت تأثير الفلسفة الإنسانية طوال فترة المراهقة حتى إذا اكتملت مداركي الفكرية لم أعد أرضى بالإلحاد. فشرعت من جديد أبحث عن ذاتي. فالتحقت بطائفة بهائية[2] بنيويورك فترة من الزمان كانت تسمى قافلة الشرق والغرب بقيادة رجل فارسي يدعى ميرزا أحمد صهراب - توفي عام ١٩٥٨ وقد أخبرني أنه كان يعمل سكرتيراً لعبد البهاء أحد مؤسسي الحركة البهائية. وأعجبتني البهائية بصفة مبدئية تبعًا لأصلها الإسلامي ودعوتها بوحدة بني الإنسان إلا أنني هجرتها بعد ذلك بعام واحد وأنا أحس بخيبة أمل مريرة عندما اكتشفت مدى فشلها في تطبيق هذا المبدأ.

---

(١) اللاادرية تقول بأنها لا تفهم الوحي وتنكر الرسالات السماوية. المترجم.

(٢) البهائية: نسبة إلى بهاء الله، الذي زعم أنه هو الله، وهي طائفة منحرفة نبتت في إيران، وهي تعفي معتنقيها من كثير من التكاليف الشرعية في الإسلام كالصلاة والصوم وغيرها، لذلك لم تعد جزءاً من جسم الأمة الإسلامية. انظر رسالة البهائية للأستاذ محب الدين الخطيب - رحمه الله.

تحريفات اليهود:

وفى الثامنة عشر من عمرى أصبحت عضواً فى فرع محلى لحركة شباب صهيونية دينية تعرف باسم ميزراشى هاتزائير (Mizrachi Hatzair) ثم انفصلت عنها بعد ذلك بخمسة أشهر وكلى استياء من حقيقة الدعوة الصهيونية التى اكتشفت أنها تجعل العداء بين اليهود والعرب أمراً مستحكمًا لا يمكن تلافيه. وعندما أصبحت فى العشرين من عمرى وكنت حينئذ طالبة فى جامعة نيويورك كانت إحدى الدورات المرشحة لى تحت عنوان «اليهودية فى الإسلام» للبروفيسور الحبر إبراهام إسحق كاتش رئيس قسم الدراسات العبرية فى الجامعة. وكان لا يألو جهداً فى إقناع تلامذته - وكلهم من اليهود الذين يطمح كثير منهم أن يصبح حبرا - بأن الإسلام مشتق من اليهودية. وكان كتابنا المقرر وهو من تأليفه[١] يأخذ كل آية من القرآن ويسعى جاهداً فى تتبع أصلها اليهودى المزعوم. وبالرغم من أن هدفه الحقيقى هو أن يثبت لطلابه استعلاء اليهودية على الإسلام فقد أقنعنى بعكس ذلك تمامًا. فقد نفرت من تأويله للدار الآخرة التى يصورها القرآن الكريم بعبارات حية للغاية وتحريفه لها بأنها تعنى حق اليهود الباطل فى العودة إلى فلسطين. وكان تصورى لإله اليهود كما ذكر فى العهد القديم وفى كتاب الصلاة عند اليهود مشوهًا وغير لائق فقد بدا لى الله فى صورة وكيل مقاطعة دنيوية. وكنت اعتقد أن الخلط بين القومية الضيقة والدين قد أدى إلى افقار اليهودية روحيًا إلى الأبد. وأحسست أن الانعزال الشديد للديانة اليهودية له صلة كبيرة بحملات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود خلال مراحل تاريخهم. وقلت بأنه ربما كان من الممكن تفادى هذه المآسى لو أن اليهود كانوا ينافسون بقوة العقائد الأخرى فى كسب المهتدين الجدد. وسرعان ما تكشفت لى أن الصهيونية لم تكن سوى مزيج من الناحيتين العنصرية والقبلية للديانة اليهودية مضافًا إليها القومية العلمانية الحديثة. وازداد تصورى للصهيونية سوءاً عندما علمت أن قليلاً من زعمائها - على فرض وجود هذا القليل - كانوا يتمسكون بالديانة اليهودية. وأنه ربما لا يوجد أى بلد فى العالم ينظر إلى الديانة اليهودية التقليدية باحتقار وازدراء مثلما تفعل إسرائيل. وعندما علمت أن معظم القادة اليهود البارزين فى أمريكا يساندون الصهيونية بلا تحفظ ولا تؤنبهم ضمائرهم بسبب

(١) «اليهودية فى الإسلام» للمؤلف نفسه.

الظلم الصارخ الذى يتجرعه الفلسطينيون العرب عندها لم أعد اعتبر نفسى يهودية حقًا.

اهتديت إلى الإسلام:

وفى صبيحة يوم من أيام نوفمبر عام ١٩٥٤ جادل البروفسور كاتشى فى محاضرته بمنطق لا يقبل الدحض أن التوحيد الذى نادى به موسى عليه السلام والقوانين الإلهية التى نزلت عليه فى سيناء لابد أن تكون أساسًا ضروريًا لكافة القيم الخلقية العليا. فإذا كانت الأخلاق من صنع البشر وحدهم كما كانت تزعم حركة الثقافة الأخلاقية وغيرها من الفلسفات اللادرية والملحدة، فيمكن أن تتغير بمجرد الهوى ووفقًا لما يقتضيه الظرف والمصلحة. فتكون النتيجة الفوضى الكاملة التى تؤدى إلى فساد الفرد والجماعة. ثم أضاف البروفسور كاتش قائلاً أن الإيمان باليوم الآخر كما نص عليه الأحبار فى التلمود لم يكن مجرد تفكير إدارى ولكنه ضرورة أخلاقية. وقال بأنه لا يملك الاستعداد النفسى للتضحية بالمتاع الزائل وتحمل الصعوبات والمشاق لبلوغ الخير السرمدى - لا يملك ذلك الاستعداد إلا من كان يؤمن إيمانًا عميقًا بأن كلا منا سيقف أمام الله يوم القيامة ليحاسبه عما عمل فى حياته الدنيا فيكافئه أو يعاقبه بحسب عمله.

بينما كان البروفسور كاتش يمضى فى محاضرته بهذا المنطق كنت أقارن بين ما قرأت فى العهد القديم والتلمود وبين ما يذكره القرآن والحديث. وعندها ظهر لى قصور اليهودية وعيبها فاهتديت إلى الإسلام. ومع إننى أردت أن أصبح مسلمة منذ عام ١٩٥٤ إلا أن أسرتى تمكنت من إقناعى باجتناب ذلك وحذرتنى بأن الإسلام سيؤدى إلى تعقيد حياتى لأنه ليس جزءاً من الحياة الأمريكية كاليهودية والنصرانية. ونبئت أن الإسلام سيجعلنى غريبة عن أسرتى ويعزلنى عن المجتمع. ولم يكن إيمانى فى ذلك الحين من القوة بحيث يصمد أمام هذه الضغوط. ونتيجة لهذا وعلى أثر الصراع الداخلى الذى كان يعتمل فى صدرى، أصبحت مريضة إلى درجة جعلتنى أقطع دراستى فى الكلية قبل التخرج بأمد طويل فلم أحصل قط على أى دبلوم. وبقيت طوال العامين التاليين طريحة الفراش فى البيت تحت العناية الطبية الخاصة وحالتى تنتقل من سيىء إلى أسوأ.

وعندما يئس والداى من شفائى حجزونى فى الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٧ - ١٩٥٩

في المستشفيات الخاصة والعامة حيث آليت على نفسي أن أعتنق الإسلام إذا قدر لي الشفاء والخروج من المستشفى.

وبعد أن سمح لي بالعودة إلى البيت استنفذت كافة الفرص التي تمكنني من الالتقاء بالمسلمين في مدينة نيويورك. وكان من حسن طالعي أن تعرفت على مجموعة من خيرة الرجال والنساء الذين يطمح أي امرىء أن يلتقي بهم. كما شرعت في كتابة مقالات في المجلات الإسلامية وأجريت مراسلات واسعة النطاق مع القادة المسلمين في كافة أنحاء العالم. فراسلت المرحوم الشيخ بشير الإبراهيمي رئيس العلماء في الجزائر والدكتور محمد البهي الأستاذ بالأزهر والدكتور محمود حب الله الذي كان مديراً للمركز الإسلامي في واشنطن في ذلك الحين والدكتور محمد حميد الله في باريس والدكتور سعيد رمضان مدير المركز الإسلامي في جنيف ومولانا السيد أبا الأعلى المودودي.

دِفَاعٌ عَنْ أَصْلِ العَقِيدَة :

لقد وجدت حتى قبل اعتناقي الرسمي للإسلام أن كيان العقيدة في العالم المعاصر يتعرض لتهديد خطير من قِبل ما يسمى بحركة التجديد التي تهدف إلى إفساد تعاليم الدين بفلسفات «وإصلاحات» من صنع البشر. وكنت مقتنعة بأنه إذا نجح دعاة التجديد هؤلاء فلن يبقى أي أثر لأصل العقيدة وجوهرها. فقد شاهدت بأم عيني وأنا طفلة كيف أفسد المتحررون في أسرتي ما كان في وقت ما دينًا سماويًا منزلاً. وحيث أنني كنت يهودية المولد والمنشأ فقد شاهدت مدى بطلان محاولة التوفيق بين الدين وأية بيئة ملحدة. فقد فشلت اليهودية الجديدة في الحيلولة دون الذوبان الثقافي لليهود الذين كنت أعرفهم وليس ذلك فحسب بل أدى التجديد إلى دفع عملية الاستيعاب هذه.. ونتيجة لذلك لم يبق لليهود إلا أسماؤهم اليهودية ولم يكن أحد منهم متدينًا بصورة تستحق الذكر وظلت الخيانة الفكرية والنفاق والسطحية التي تميزت بها اليهودية الجديدة تجربة حيَّة طوال عهد طفولتي.. وعلمت حتى في ذلك السن المبكر أن مثل هذا التوفيق الفاتر لا يمكن أن يطمح أبداً في الحفاظ على ولاء اتباعه ناهيك عن ولاء أبنائهم. وكم كان فزعي شديداً حينما وجدت هذا الخطر نفسه بين المسلمين. لقد كانت صدمتي عظيمة حين وجدت في صلب الأمة المسلمة علماء وقادة سياسيين يرتكبون نفس الآثام التي من أجلها لعن الله اليهود في القرآن الكريم! فأقسمت أن أكرس كافة جهودي الأدبية

لمحاربة هذا الخطر من الداخل قبل فوات الأوان وقد أيقنت أن الله لن ينجينا من الكوارث وسيكتب علينا مصيراً مماثلاً للمصير الذى ذاق اليهود وباله ما لم نخلص فى التوبة إلى الله ونغير ما بأنفسنا.

لذلك كتب مولانا المودودى فى أول رسالة بعثها لى فى يناير ١٩٦١ قائلاً: لقد شعرت وأنا أتصفح مقالاتك كأنى أقرأ أفكارى، وآمل أن يكون إحساسك كذلك عندما تتاح لك فرصة تعلم اللغة الأوردية ودراسة مؤلفاتى. فبالرغم من عدم وجود تعارف سابق بيننا فلا شك أن هذه المشاركة والتجانس الفكرى المتبادل بيننا قد نجم بصورة مباشرة عن الحقيقة بأن كلا منا قد استقى الهامه من مصدر واحد بعينه ألا وهو الإسلام!

كيف اكتشفت القرآن الكريم ومدى أثره فى حياتى :

اكتشفت القرآن الكريم بطريقة متعرجة أوردتنى إلى شعاب غريبة، إلا أننى لم أحس قط بالأسى أو الندم على تجاربى ما دامت نهاية المطاف جديرة بذلك كله إلى درجة كبيرة.

كنت أتمتع فى طفولتى بأذن موسيقية مرهفة، وكان لى شغف خاص بالأوبرات والسيمفونيات الكلاسيكية التى تعتبر من مظاهر الثقافة العالية فى الغرب، وكانت الموسيقى هى الموضوع المفضل بالنسبة لى فى المدرسة، فأبدعت فيها أيما إبداع، وحدث من قبيل الصدفة المحضة أن استمعت إلى الموسيقى العربية من جهاز الراديو فأبهجنى سماعها لدرجة أننى قررت الاستماع إلى المزيد، وبمجرد سماعى للموسيقى العربية لم أعد أكترث لسماع الموسيقى الغربية، وأخذت ألح على والدىّ حتى أخذنى والدى فى النهاية إلى الجناح السورى من مدينة نيويورك حيث اشتريت مجموعة من أسطوانات ترتيل سورة مريم من القرآن الكريم بصوت أم كلثوم، كان ذلك فى عام ١٩٤٧. وكنت فى ذلك الحين معجبة بصوتها الجميل فى تلاوة تلك الفقرات من القرآن الكريم بشعور فياض، وهكذا كان إصغائى لهذه التسجيلات سبباً فى حبى لسماع الصوت العربى رغم أننى لم أكن أفهمه، فلولا هذا التذوق للموسيقى العربية التى تبدو نشازاً بالنسبة للرجل الغربى لما كان من الممكن أن أحب التلاوة، فكان والداى وأقربائى وجيراننا يعتبرون

العربية وموسيقاها غريبة للغاية وكانت بغيضة إلى آذانهم لدرجة أنهم كانوا يطالبونني بإغلاق كافة الأبواب والنوافذ فى غرفتى كلما أردت أن استمع للأسطوانات العربية خشية أن أزعجهم.

القرآن بدل الموسيقى[1]:

وبعد أن أعتنقت الإسلام فى عام ١٩٦١ كنت أجلس مأسورة فى مسجد نيويورك استمع إلى تلاوة القارئ المصرى الشهير عبد الباسط الساعة تلو الأخرى.

وفى يوم من الأيام لم يشغل الإمام تلك التسجيلات قبل صلاة الجمعة كالمعتاد. وكان بين المصلين ضيف خاص. فنظرت فإذا بشاب أسود قصير نحيل البدن رث الثياب عرفنا بنفسه كطالب من زنجبار. ولكنه ما أن استهل تلاوة القرآن حتى أيقنت أننى لم استمع قط لمثل تلك التلاوة الرائعة!! ولا حتى من عبد الباسط، فقد وهب هذا الشاب الأفريقى الغامض صوتًا ذهبيًا جعلنى أقول فى نفسى: لابد أن بلالاً رضى الله عنه كان يملك مثل هذا الصوت الندى!

ذكرت فى قصة إسلامى إننى عندما بلغت العاشرة من عمرى بدأت أحس بميل نحو قراءة جميع المؤلفات التى تقع عليها يداى عن العرب سواء فى مدرستى أو فى المكتبات العامة فى المنطقة التى كنت أعيش فيها. وكنت أميل بشكل خاص إلى الكتب التى تتناول العلاقات التاريخية بين اليهود والعرب. ثم مضت تسع سنوات أخرى حتى ورد بخاطرى إشباع حبى لمعرفة القرآن الكريم. ومع ذلك بدأت أشعر بصورة تدريجية أن الإسلام هو الذى رفع العرب من مجرد قبائل صحراوية همجية وجعلهم سادة الدنيا. كان ذلك عندما كنت فى نهاية مرحلة المراهقة. ولم أفكر قط فى قراءة القرآن الكريم بنفسى حتى تشوقت لمعرفة كيفية حدوث هذا الانقلاب العجيب وأسبابه.

أكاذيب أعداء الإسلام:

وفى صيف عام ١٩٥٣ ارهقت نفسى فى الكلية فتجشمت دورة سريعة ذات موضوعات كثيرة. وفى شهر أغسطس من ذلك العام سقطت ضحية المرض واضطررت إلى وقف كل جهد يهدف إلى إكمال الفصل الدراسى. وفى إحدى الأمسيات، بينما

كانت أمى تستعد للذهاب إلى المكتبة العامة سألتنى عن حاجتى إلى مطالعة أى كتاب؟ فطلبت منها نسخة من القرآن الكريم. فعادت بعد ساعة ومعها نسخة من ترجمة معانى القرآن لمبشر وعالم نصرانى عاش فى القرن الثامن عشر وهو جورج سيل. فلم أفهم منها إلا القدر اليسير تبعًا للغتها الركيكة وامتلائها بالتعليقات الكثيرة من البيضاوى والزمخشرى المنتزعة من سياقها وذلك بقصد دحض النص القرآنى من وجهة النظر النصرانية. وفى ذلك الحين كان عقلى الناقص النمو يعتبر القرآن مجرد روايات مشوهة محرفة للقصص المعروفة فى الإنجيل.

ولم يكن بوسعى أن أبتعد عن التأثر بالقرآن بالرغم من أن انطباعاتى الأولى عنه كانت سلبية. فقد أخذت اقرأه بصورة مستمرة طيلة ثلاثة أيام بلياليها. وعندما فرغت من قراءته كانت جميع قواى قد استنزفت. ورغم إننى كنت فى التاسعة عشر من عمرى شعرت بضعف شديد كما لو كنت امرأة فى الثمانين!. ولم استرد كامل قواى أو نشاطى بعد ذلك!

ترجمة أمينة لمعانى القرآن:

وهكذا ظللت أحمل فكرة هزيلة عن القرآن الكريم حتى كان يوم من الأيام عندما عثرت فى إحدى المكتبات على نسخة رخيصة من ترجمة القرآن لمحمد مرمادوك بكثال[1]. فما أن فتحت ذلك الكتاب حتى شعرت أنه وحى من السماء! فقد جرفنى أسلوبه الفصيح. يقول السيد بكثال فى الفقرة الأولى من مقدمته ما يلى:

«إن الغاية من هذا العمل هى أن يقدم للقراء الإنجليز ما يؤمن المسلمون فى العالم كله بأنه معنى كلمات القرآن وأن يعرفهم بطبيعة ذلك الكتاب بأسلوب لائق مركز آخذاً بعين الاعتبار ما يحتاج إليه المسلمون الناطقون بالإنجليزية، ويمكن القول بأنه لا يمكن القيام بترجمة أى كتاب سماوى ترجمة منصفة على يد شخص لا يؤمن به وحيا بل يكفر برسالته، وهذه هى أول ترجمة انجليزية يقدمها رجل انجليزى مسلم فبعض الترجمات تتضمن تعليقات معادية للمسلمين وجميعها تقريبا تستخدم أسلوبا يشعر المسلمون بتفاهته على الفور.

(١) ستأتى قصة إسلامه فى هذا الكتاب برقم ١٠٠

لا يمكن ترجمة القرآن، هذا هو اعتقاد المشايخ القدماء كما أنه عقيدة الكاتب الحالى، وهذه محاولة لترجمة معانى القرآن الحرفية وقد بذلت كل ما فى وسعى لانتقاء الألفاظ المناسبة ولكن ثمرة العمل ليست القرآن العظيم تلك المعجزة الفريدة الخالدة التى يجهش الناس بدموع الفرح والسعادة لمجرد سماعها، وما هذه الترجمة إلا محاولة لتقديم معانى القرآن مع شيء من سحره وروعته إلى قراء الإنجليزية، ولا يمكن لها بحال من الأحوال أن تحل محل القرآن باللغة العربية ولا هى مقصودة لتحقيق ذلك...»

حينئذ عرفت السر الذى يجعل ترجمة جورج سيل جائرة، ومن ثمة انصرفت عن قراءة ترجمته ولم اقرأ أية ترجمة أخرى للقرآن الكريم بقلم غير المسلمين، واكتشفت بعد مطالعة ترجمة بكثال، ترجمات إنجليزية أخرى ليوسف على ومحمد على اللاهورى ومولانا عبد الماجد داريابادى. وسرعان ما شعرت بالضيق من تعليقات عبدالله يوسف على ومحمد على اللاهورى تبعا لأسلوبهما الاعتذارى ومحاولاتهما الغريبة لتأويل ما يتعارض من القرآن مع الفلسفات الحديثة والتصورات العلمية المتقلبة. كما أن ترجمتهما للنص كانت ضعيفة فى نظرى، وبالرغم من محاولة السيد عبدالماجد داريابادى صوغ ترجمته للقرآن بأسلوب مبتذل على منوال نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس، مما أزعجنى إلى درجة كبيرة، إلا أننى وجدت تعليقه رائعاً وخاصة فى تلك الفقرات التى عالج فيها الأديان المقارنة، فتعلمت منها الشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك ظلت ترجمة بكثال أحب الترجمات إلى نفسى ولم أجد حتى الآن أية ترجمة انجليزية تضارعها فى فصاحتها وقوة أسلوبها ورزانتها، فمعظم الترجمات الأخرى تخطىء فتستخدم كلمة (God) للدلالة على الذات الإلهية، أما بكثال فيستخدم كلمة «الله» من أول ترجمته إلى آخرها، وهذا يجعل دعوة الإسلام تمارس تأثيراً قويا على القارئ الغربى، وكنت احتفظ فى أحلك أيام حياتى التى استمرت عدة سنوات فى المستشفى بنسخة عادية من ترجمة بكثال لا أفارقها أبداً بل أقرأها المرة تلو الأخرى حتى أننى استهلكت نصف دستة من النسخ، جزى الله عنى بكثال خير الجزاء وأجزل له العطاء لتيسيره تعلم القرآن وجعله فى متناول الناس فى انجلترا وأمريكا فيعلم الله أنه لولاه لما تمكنت من فهم القرآن وتعلمه.

السُّنَّة النَّبويَّة بعد القرآن :

ثم خرجت من المستشفى فى عام ١٩٥٩ فأخذت أقضى معظم أوقات فراغى فى قراءة الكتب عن الإسلام وذلك فى الجناح الشرقى لمكتبة نيويورك العامة وهناك عثرت على ترجمة انجليزية لمشكاة المصابيح مؤلفة من أربعة مجلدات ضخمة قام بترجمتها الحاج فضل الرحمن - من كلكتا ، عندئذ أيقنت أنه لن يتسنى لى فهم القرآن فهماً مناسباً وتفصيلياً ما لم أتعلم شيئا من الحديث النبوى الشريف فكيف يمكن فهم كلام الله فهماً صحيحاً ما لم يكن ذلك فى إطار تصور النبى الكريم الذى أنزل عليه القرآن وعلى ضوء سيرته؟ وكل من يكفر بالحديث يكفر بالقرآن لأن هذا الوحى السماوى ينص بوضوح على أنه لا يتحقق التسليم الكامل لله ما لم نسلم ونذعن إذعانا كاملا لما جاء به النبى الكريم عليه الصلاة والسلام.

وعندما قرأت المشكاة بدأت أؤمن بأن القرآن وحى من السماء، والسبب فى اقتناعى بأن القرآن لا بد أن يكون من عند الله لا من عند محمد ﷺ تلك الإجابات المرضية المقنعة التى يوردها الله رداً على كافة الأسئلة المهمة فى الحياة والتى لم أعثر لها على إجابة فى أى كتاب آخر.

الدَّارُ الآخِرَةُ :

كنت فى طفولتى شديدة الخوف من الموت وخاصة عندما كنت أفكر فى موتى أنا حتى أننى كنت أحياناً أستصرخ والدى فى منتصف الليل على أثر رؤيتى لكابوس مخيف عن الموت، وعندما كنت أسألهم لماذا يجب أن أموت وماذا يمكن أن يحدث بعد الموت؟ كان كل ما يقولانه لى هو أن من واجبى أن أسلم بالأمر المحتم وأن الموت بعيد وحيث إن العلوم الطبية فى تقدم دائب فربما أعيش مئة عام! وكان والدى وبقية أفراد أسرتى وجميع أصدقائنا يهزأون من أى تفكير فى الآخرة ويقولون بأنها خرافة محضة، وأن الإيمان بيوم القيامة والجزاء فى الجنة والعقاب فى النار ضرب من الأفكار البالية من مخلفات العصور القديمة، وعبثًا حاولت التنقيب فى الفصول الكثيرة للعهد القديم للعثور على تصور واضح لا لبس فيه بالنسبة للدار الآخرة فجميع الأنبياء والبطارقة والحكماء فى الكتاب المقدس يلاقون جزاءهم أو عقوبتهم فى الحياة الدنيا فحسب، مثال

ذلك قصة أيوب عليه السلام فقد قضى على فلذات كبده وأحبابه بالموت كما جرد من أملاكه وأصيب بمرض خبيث لاختبار قوة إيمانه، فأخذ أيوب يشكو بثه وهمه إلى الله ويناجي ربه قائلا: لماذا تجعلنى أقاسي وأنا رجل تقى صالح!؟ وفى نهاية القصة يعوض الله عليه كافة خسائره الأرضية وليس هناك أى ذكر لأية نتائج فى الدار الآخرة.

أكاذيب اليهود:

صحيح أننى وجدت مفهوم الدار الآخرة محدداً فى العهد الجديد إلا إنها كانت فى نظرى غامضة لا تشبع تطلعى إذا قورنت بما جاء عنها فى القرآن الكريم، ولم أجد أية إجابة على مسألة الموت فى اليهودية التقليدية، فالتلمود يقول: بأنه الحياة الدنيا فى أسوأ صورها أفضل من الموت فى أشرف مقاماته، وكانت فلسفة والدى تتلخص فى أن على الواحد منا أن يتجنب التفكير فى الموت وأن يتمتع بمباهج الحياة بأقصى ما يستطيع فالغاية من الوجود الإنسانى فى رأيهم هى المتعة والبهجة التى تتحقق عن طريق الافصاح عن المواهب الشخصية لكل إنسان، كما تتمثل فى حب الرجل لأسرته وعلاقته الوثيقة بأصدقائه بالإضافة إلى الحياة الهنيئة والانغماس فى شتى الشهوات التى تيسرها الحياة فى أمريكا بصورة كبيرة، وهم يدعون إلى هذا المنهج السطحى فى الحياة لضمان سعادتهم وثروتهم واستمرارها، ولقد علمتنى التجارب المريرة أن الانغماس فى شهوات الجسد وملذاته لا يؤدى إلا إلى مزيد من من الشقاء ولا يتحقق أي عمل كبير يستحق الذكر إلا بالعناء والتضحية بالنفس.

كنت أتطلع دائما منذ طفولتى المبكرة جداً إلى تحقيق أمور مهمة تستحق الذكر، وكنت أريد قبل كل شيء أن أضمن قبل دنو أجلى أننى لم أنفق حياتى سدى ، ولم أقترف أعمالا آثمة ولم أسلك سبلا عابثة، كما أننى كنت طوال حياتى أميل إلى الجد، وأبغض اللهو والعبث وهما الصفتان الغالبتان فى الحضارة المعاصرة.

وذات مرة سبب لى والدي انزعاجا كبيراً باعتقاده بعدم وجود قيم دائمة، وقوله بأنه ما دام كل شيء فى العصر الحديث يتغير باستمرار فالأفضل الإذعان للتيارات الحاضرة واعتبارها أمورها محتمة وتكييف النفس على منوالها، أما أنا فكنت متلهفة للوصول إلى أمر يبقى أبد الدهر.

القرآن نور:

والقرآن الكريم هو الذى علمنى أن هذا الأمل ممكن الوصول إليه فلا يضيع عمل صالح يقصد به رضوان الله تعالى، وحتى إذا لم يجن الإنسان ثمرة عمله الصالح فى الدنيا فجزاؤه موفور فى الدار الآخرة، ومن ناحية أخرى يرشدنا القرآن الكريم إلى أن الذين لا يلتزمون بأى اعتبار خلقى ويجرون وراء المتاع العاجل واللياقة الاجتماعية ويريدون أن يكونوا أحرارا فى اقتراف ما يشاؤون بصرف النظر عن الكسب الدنيوى أو الرفاهية التى يحققونها، هؤلاء هم الخاسرون يوم القيامة مهما تمتعوا فى هذه الحياة الدنيا الفانية.

والإسلام يوصينا بترك كافة الأعمال العابثة التافهة التى تصرفنا عن غايتنا فى تكريس جل اهتمامنا للنهوض بحقوق الله وحقوق عباده علينا، وقد لقيت تعاليم القرآن هذه وما يفسرها من أحاديث نبوية شريفة انسجاما كاملا مع مزاجى، وعندما اعتنقت الإسلام كان والداى وأقربائى وأصدقائى يعتبرون أننى متعصبة لأننى لم أكن أفكر ولا أتحدث عن شىء آخر غير ذلك، فالدين فى نظرهم مسألة شخصية يمكن أن ينمى كهواية من الهوايات، ولكن بمجرد قراءتى للقرآن الكريم علمت أن الإسلام ليس مجرد هواية من الهوايات أبداً ولا هو مجرد أمر ثانوى فى الحياة بل هو الحياة ذاتها!

الفرار من الظلمات إلى النور:

منذ عهد مراهقتى المبكرة إلى أن هاجرت إلى الباكستان فى الثامنة والعشرين من عمرى لم أكن فتاة اجتماعية ناجحة، فكنت شابة جادة منهمكة بين أكوام الكتب فى المكتبة، أكره السينما وأبغض الرقص والموسيقى الصاخبة ولم أكن استمتع بالمواعيد الغرامية والحفلات المختلطة، ولم أكن أكترث بالقصص العاطفية والبهرجة وأدوات التجميل الصناعية والمجوهرات والأزياء الأنيقة، لذلك كله كنت غريبة.

وهكذا هاجرت إلى باكستان بعد أن فررت من مستقبل مظلم فى أمريكا التى لا مكان فيها لفتاة مثلى، ومع أن باكستان قد تلطخت بشىء من قذارة أوربا وأمريكا إلا أنه لا يزال فيها عدد كاف من الباكستانيين المسلمين الذين يكونون بيئة إسلامية صالحة

تمكن الإنسان من العيش وفقًا لتعاليم الإسلام. ولابد لى أن أعترف أننى لا أستطيع فى بعض الأحيان أن أطبق بعض ما يأمر به الإسلام، ومع ذلك فلا أنغمس فى تأويل القرآن والسنة تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان تبريراً لعجزى وتقصيرى، بل أسارع إلى الاستغفار وإصلاح أخطائى كلما أذنبت. والسر فى سعادتى التى أحس بها فى حياتى الجديدة هو أن الإسلام يقدر الصفات والأمزجة الفطرية التى يسخر منها المجتمع الغربى ويستهزئ بها!!(١).

❊❊❊

(١) بقى أن نذكر أن السيدة مريم جميلة تزوجت رجلاً باكستانيًا متدينًا، كما أنها تقضى معظم وقت فراغها فى التأليف الإسلامى، فلها عدد من الكتب أهمها: «الإسلام بين العقيدة والتطبيق»، «والإسلام ومذهب التجديد»، وقصة لاجئ فلسطينى بعنوان «أحمد خليل» وغير ذلك من المؤلفات التى كتبتها باللغة الإنجليزية، كما أنها تحرر مقالات كثيرة فى الصحف والمجلات الإسلامية الناطقة بالإنجليزية.

أوروبا:

٦. يعقوب ريموند

لماذا أسلمت...؟

لقد وجدت ثلاثة فروق جذرية بين النصرانية والإسلام ساهمت في اقناعي بصدق الإسلام.

الفارق الأول هو: أن النصرانية في الوقت الذي تقر وتعترف فيه بكافة الأنبياء قبلها تجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الألوهية، كما تنكر نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالكلية. فلم أجد لذلك أي مبرر. إذ أن حضرة النبي محمد ﷺ يؤمن بجميع الأنبياء السابقين، ويؤكد أن الرسالة السماوية التي أنزلت إليه هي الرسالة السماوية الوحيدة التي لا تزال محفوظة لم تمس بسوء.

أما الفارق الثاني فهو أن النصرانية تنادي بالنظرية القائلة بأن عيسى ابن الله وأنه طرف في التثليث المقدس. وبذلك يكون عيسى في نظرها إلهاً وابن الله في وقت واحد مما يتعذر فهمه. كما أن هذه النظرية تناقض التعاليم التي نادى بها موسى وإبراهيم. فقد علما الناس بأن يعبدوا إلهاً واحداً لا شريك له. كذلك نجم عن التصور بأن عيسى ابن الله نتيجة أخرى هي إقامة الفوارق بين الأنبياء وتقسيمهم إلى بشر وآلهة!

وأما الفارق الثالث فهو أن النصرانية تجعل الكنيسة وسيطاً بين الناس وربهم، فهي تقول لك: اقترف ما شئت من الآثام والكنيسة تعفو عنك وتضمن لك الخلاص والنجاة. ومن هنا فالخالق في تصور النصرانية ليس مختاراً يفعل ما يشاء بل لابد للكنيسة أن تقوده - سبحانه - يوم القيامة.

قد وجدت لحسن الحظ تصويباً لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحاً لها في الإسلام. فالدين الإسلامي يبين أن الله وحده لا شريك له هو الذي سيقضي يوم القيامة في الأعمال التي اكتسبها كل ذكر وأنثى في حياتهم الدنيا دون أي تدخل أو نفوذ من أية جهة من الجهات. وهذه صفة طبيعية لازمة للخالق تظهر بجلاء لكل ذي فكر صحيح.

ثم سألت نفسي: أين الاستقرار والثبات بالنسبة للدين الذى تظل فيه تعاليمه عرضة للتعديلات المستمرة حسب ما تقتضية العادات المتغيرة المتقلبة؟ وآخر مثال على هذه التعديلات هو مجلس الفاتيكان الثانى. إذ يتضح من هذا أن الديانة النصرانية تقدم عادات البشر وتقاليدهم وتضعها فى منزلة أسمى من إرادة الله. أما فى الإسلام فكلمة الله وإرادة الله هى الأسمى.

ومما زاد فى إقصائى عن النصرانية إلى جانب ما قدم، ما لاحظته بأن أساليب الحياة المادية البحتة التى انتشرت فى أوروبا وأميركا الشمالية فى الأوقات الحاضرة قد أدت إلى تحطيم أبسط القيم الإنسانية تحطيماً كاملاً. فينحصر اهتمام الناس فى الأقطار الأوروبية والأميركية فى تحقيق هدف واحد فى الحياة وهو تأمين مزيد من وسائل الراحة المادية بصرف النظر عن العزاء النفسى والروحى. فترى كل واحد منهم يلهث وراء ملذاته الشخصية. كما ينعدم الإحساس بالأخوة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

لقد اختفت فكرة رعاية شؤون المجتمع وأصبحت النزعة الفردية هى الفلسفة الغالبة المسيطرة فى هذا القرن العشرين. تلك صورة مؤسفة أرسمها عن بنى وطنى إلا أن واجبى كمسلم هو الذى دفعنى إلى البيان لأخوتى المسلمين فى الأقطار الشرقية كيف كانت الأنانية الحاضرة فى أوروبا وأميركا نتيجة لتصورهما الخاطئ لحقيقة الخالق.

أدعو الله أن يأتى اليوم الذى يصبح الإسلام الدين الوحيد فى كافة القارات فى العالم. وأننى موقن بالإجابة إن شاء الله.



أمريكا :

٧. استريد هيرما سمارت

كيف اعتنقت الإسلام ولماذا...؟

يبدأ الأخ سمارت قصته بقوله :

دعيت لإبداء الأسباب حول اعتناقى الإسلام ويسعدنى كثيراً أن ألبى رغبة أولئك الذين ساعدونى فى سلوك طريق طويل وشاق، وإن شاء الله سيرشدوننى أكثر ونحن معا على الدرب.. قد تبدو هذه العبارة مبتذلة يقولها كل من يعتنق دينا أو مذهبا سياسياً جديداً، ولتعديل هذا الرأى اسمحوا لى أن أبين أن مجرد ذكر كلمة «مسلم جديد» يؤلمنى كثيراً، فهذا التعبير فيما أعتقد يحمل فى اللغة الإنجليزية معنى خبيثاً، فيشير إلى ذلك المسكين العاجز فالحمد لله الذى خلصنا منه، وأنا لا أعتبر نفسى مسكينا بحال من الأحوال، فقد نشأت فى ربوع حكمة قديمة هى أن الله يعين هؤلاء الذين يعينون أنفسهم، كما أن من العسير علىَّ أن أصوغ مبادئى الدينية فى كلمات.

البداية :

بدأت القصة منذ ثلاث سنوات عندما كنت ملتحقاً بجامعة الينوى (Illinois University) بالولايات المتحدة الأميركية فقد التقيت حينئذ بمسلم مصرى قدم لى نسخة من القرآن الكريم هدية فى عيد ميلادى، ومما آلمنى كثيراً أنه كان مكتوباً باللغة العربية وكنت شاباً أميركيا، فتحمست لمعرفة ما فيه، وكنت طالباً أدرس اللغات وأعتقد بضرورة قراءة ما يقوله الآخرون فى لغاتهم، وهنا قررت لأسباب ثقافية بحتة فى ذلك الحين أن أتعلم اللغة العربية كى أتمكن من قراءة «كتابى الصغير المقدس»، كما كنت أسميه، وكنت أؤمن باحترام كتب الأديان كلها رغم أن هذا الموقف لا يمثل النظرة النصرانية، وما زلت أذكر بعض المناقشات التى نشبت بينى وبين أصدقائى النصارى، وبقى القرآن فى جيبى ملفوفاً بمعطفى كيلا يتسخ فحملته معى حيثما رحت بالرغم من عدم فهمى لكلمة واحدة منه...

الصُّحبةُ الصَّالِحَةُ :

ومضى الزمن فانتقلت إلى الجالية العربية فى جامعة الينوى وكنت أدعى دائما للاشتراك فى شؤون الأسرة الجامعية العربية. وأداء المهمات التى كنت أستمتع بها حتى أننى كنت أبدى احترامى وعرفانى بالجميل لاعتبارهم لى أحد أفراد الأسرة فقد بذلت وقتى وما لدى من مهارات قليلة للمساعدة متى لزمت، ويسرنى أنّى كنت سائقاً فى كثير من النزهات التى رتبها أعضاء الاتحاد العربى، وكنت أشترك فى إعداد الطعام وتناوله كذلك، كما شاركت فى إقامة المعارض فى الأسبوع الدولى للمعارض، وكنت مرشداً فى اللغة الألمانية لصديق كان يستعد لاختبارات لغوية مطلوبة ضمن برنامج الجامعة لنيل درجة الدكتوراه، وقد أتقن ذلك تماماً. ولم يقف الأمر عند حد استمتاعى كثيراً بأداء هذا النشاط بل كسبت مزيداً من التمعن والفهم للعقلية الإسلامية من الذين اتصلت بهم. صحيح أن النصرانية تنادى بالشفقة وأن يكون المرء حارساً لأخيه، ولكن إذا قورنت هذه العبارة بأخلاق مسلمى (الينوى) وأعمالهم ومدى عطفهم على بعضهم البعض وعلى الآخرين فإنها تبدو عبارة جوفاء، وسأذكر أمثلة لذلك: فَمَن غير المسلم يتبرع بتوصيلى إلى البيت وسط عاصفة ممطرة. وقد علمت فيما بعد أنه تلقى رسالة من عائلته بنبأ وفاة والده؟.

ومن غير المسلم يجمع التبرعات لأخيه المسلم الذى استنزف أمواله كى يتسنى له دراسة سنة أخرى لإنهاء إجازة الدكتوراه؟

ومن غير المسلمين يساعدون أخا لهم على نقل أغراضه التى ملأت ثلاث سيارات عندما طلب إليه إخلاء البيت فجأة؟ وقد قام بهذه العملية حوالى ثمانية عشر مسلماً. وعلى الرغم من ملاحظتى لكل هذه الحقائق فإنى لم أفعل شيئاً سوى أننى كنت استمع لراديو القاهرة عند دعوتى إلى تناول الغداء مع بعض الأصحاب فى بيت صديق فتذوقت القرآن الكريم، وكنت فى ذلك الحين عضوا فى معسكر نصرانى أحضر الصلوات دوماً فى الكنيسة أيام الآحاد.

تأمُّلاتٌ فى التناقُضاتِ حولى :

ولا أذكر الوقت والمكان الذى بدأت أتدبر فيه التناقضات الظاهرة فى النصرانية فقد

بدا لى فى أحد الأيام أن الإيمان بثالوث الآلهة لا يمكن أن يتناسب مع مبادئى. وعبثا حاولت فهم الكتب النصرانية فقلبت ما قيل فيها بالنسبة لميلاد العذراء ولكن دون جدوى. وتساءلت كيف تمثلت روح عيد الحصاد فى حمامة؟! واحتشدت التساؤلات الكثيرة فى مخيلتى لذلك شرعت فى الاستفسار من أصدقائى عن دينهم، كما أخذت فى حضور الندوات التى يعقدها المسلمون بانتظام فى جامعة الينوى فاكتشفت أن الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد. وعرفت ذلك بمساعدة أصدقائى المسلمين وبفضل الردود التى ترد فى الندوات كما اكتشفت أن هذه الحقيقة مسجلة فى القرآن الكريم. وبعد بحث عثرت على الآية التى تقول ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤] وهكذا وضعت المسيح فى موضعه الصحيح من تصورى، لمكانته كنبى من أنبياء الله المرسلين، كما اصطدمت منذ زمن مع العرف النصرانى السائد باعتبار القسيس وسيطا بين الله والناس مع أن لدى الثقة الكاملة التى أستطيع بها أداء الصلاة. ولم أصدق حكمة الصلب أبداً، فلأى شىء يموت إنسان ضحية أخطاء وذنوب يرتكبها آخرون؟ إن الأمثلة الملموسة حول مغزى هذا الموضوع لا أصدّقها، لماذا لا توجد الوثائق؟ لماذا لم يكتب أى شىء عن حياة المسيح حتى مر وقت طويل بعد وفاته، فكل ما هو موجود الآن هو من قبيل الروايات، لقد كان بإمكان الكنيسة النصرانية أن تكتم سر تلفيق الأمبراطور قسطنطين مدة ألف عام، مما حدا بالأسقف الروسى باعتباره أول سلطة بابوية لم يدع لحضور مؤتمر فينيقيا إلى كشف السر. هذه مسألة تاريخية كما أن التاريخ يشهد بقيام الكنيسة بالسماح لأسقف ما ينز بتزوير الجريمة، ولكنها لم تعترف بذلك إلى قرابة عام ١٨٠٠م ولم يكن بوسع الكنيسة تقديم وثيقة أصلية تثبت أن المسيح ابن الله، فلا وجود لمثل هذه الوثيقة. لذلك بدأت أفكر وأتساءل.

الاتحاد الإسلامى:

وفى إبريل عام ١٩٦٣ شعر المسلمون فى جامعة الينوى بالحاجة إلى هيئة تقربهم وتربط بعضهم ببعض وتثبت حيوية الإسلام والمسلمين، فقاموا بتأسيس اتحاد. وقد وجهت لى الدعوة لحضور جلسات افتتاح الاتحاد. فرأيت لأول مرة كيف استطاع المسلمون من مختلف الجنسيات أن يعملوا معاً فى هيئة واحدة على مستوى البرلمان. ولا

أكتمكم أنني تأثرت بهذه البادرة الطيبة غاية التأثر. وقد لقيت ترحيباً كبيراً من المشتركين حتى أنهم منحوني عضوية فخرية في الاتحاد. وبعد بضعة أشهر انتقلت إلى كاليفورنيا وكلي تصميم على أن أدعم الاتحاد ما وسعني ذلك. وقبل وداعهم لي ابتهجت كثيراً بدعوتهم لي لحضور حفلة غداء جمعتني بعضو مخلص من أعضاء الاتحاد، وهو مهنس عبقري غادرنا للقيام بالتدريس في جامعة ستانفورد لمدة عام واحد.

دُخُولي في الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّة :

ثم استأنفت دراستي في كاليفورنيا وبعد الفترة الصيفية في عام ١٩٦٤ في بركلي وجدت لدي وقتاً كافياً لمتابعة قراءتي فشرعت جاداً بقراءة الكتب السماوية، وبعد أن أقنعت نفسي تركت المعتقدات النصرانية التي ولدت وعمِّدت فيها وطلبت الانتساب إلى الكتلة العظيمة من البشر ألا وهي الأمة الإسلامية، كان ذلك بفضل الله وهداه ثم بمساعدة الاتحاد وعلى الأخص رئيس الاتحاد في ذلك الحين.

أحمد الله العلي القدير الواحد الأحد الذي أنار طريقي ببصيص من النور يوقد من شجرة مباركة هي نعمة الإيمان بالله. وأتوجه بالشكر لأعضاء الاتحاد في أميركا ورئيسه الذين قدموا لي كل عون ممكن وأعربوا عن استعدادهم لمساعدتي أثناء بحثي الطويل عن الحقيقة، فهناك اعتبارات كثيرة تحتاج إلى استفسار كالعرف والذوق والنظام.. الخ، لم يكونوا يألون أي جهد في وسعهم. كما تنشأ أسئلة كثيرة أخرى. فأنا أوافق ارسطو في قوله «إن معرفتي بجهلي هو حكمتي الوحيدة» وإن شاء الله سأجد لأسئلتي أجوبة واضحة.

الهند:

٨ . بشير أحمد عبد الرحمن باتيل ❁

هكذا هداني الله إلى الإسلام:

يسرنى أن أبلغكم أننى اعتنقت الإسلام بفضل من الله وهداه يوم الجمعة الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ حينما ذهبت بهدوء إلى المحكمة الشرعية ووقعت شهادة اعتراف خطية أمام القاضى ، قررت فيها أننى أعتنق الإسلام وأعرب عن إيمانى العميق بالله الواحد الأحد وأشهد أن محمدا ﷺ رسول الله، وإننى سأبذل قصارى جهدى لاتباع الإسلام الصحيح بدراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة دراسة استيعاب وفهم وتطبيق. واتخذت لنفسى اسما جديدا هو بشير أحمد عبدالرحمن باتيل بدلا من اسمى السابق: راميش شاندرا. ب. باتيل.

بحث طويل الأمد:

جاء اعتناقى للإسلام ثمرة بحث طويل الأمد فى أعماق نفسى وفى خارجها فكان تأكيدا لفطرتى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] ومع ذلك فربما لم يكن من اللازم أن أحس بالحاجة إلى اعتناق الإسلام صراحة فقد كنت أسير على هديه فى ذات نفسى من حيث هو عقيدة وصلاح. فمشيئة الله هى التى هدتنى إلى اعتناقه وهو وحده الذى يعلم سر هذا ا لحادث.

هناك عوامل أخلاقية، و روحية واجتماعية متعددة لعبت دورها فى اهتدائى إلى الاسلام ومن العسير علىَّ أن أشرح كل شىء فى اللحظة الراهنة إلا أننى آمل أن أكتب المزيد فى المستقبل.

ولدت فى الهند فى عام ١٩٢٩ وسط أسرة هندوكية عريقة ذات شرف وثقافة .. ونشأت فى ظل تقاليد العقيدة الهندوكية العليا. وآلمنى أشد الإيلام ما شاهدته من إيمان العقيدة الهندوكية بآلهة كثيرة، وعبادتها لها من خلال أحجار وصور وإيمانها

❁ هذه ترجمة عربية للقصة التى زودنى بها الأخ بشير أحمد عبدالرحمن باتيل باللغة الانجليزية.

بأنهار مقدسة تغسل فيها الآثام، واعتقادها بالبرهمية - وهى عقيدة الرهبان الذين بوسعهم أن يساوموا الآلهة لمنح الخلاص لزبائنهم الدينيين، ثم ما تميزت به من ألوان التفرقة الطائفية وتكبرها واتباعها الهوى لا فى المجتمع فحسب بل فى المجال الدينى كذلك. كل هذه الأمور جعلتنى أضيق بها ذرعًا قلبًا وقالبًا فشرعت بهدى من فطرتى أعلق أهمية أكبر على الاستقامة فى السلوك. إلا أن هذا لم يشبع القوة الدافعة فى نفسى. وكنت أحس بالسلام النفسى المؤقت تبعًا لأعمال الخير التى كنت أعملها من أجل الإنسان مجردة عن أى تعصب للطائفة أو اللون أو العقيدة أو المكانة أو الحالة أو الجنسية. ورغم ذلك كنت أحس بحاجة فى نفسى. لقد أرادت نفسى أن تعرف الحقيقة بالنسبة لخالق هذا الكون وسر الخلق. وفى جانب الحياة الظاهرة كنت أحس إحساسا عميقا بالمآسى الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والروحية التى تتعرض لها البشرية المكافحة. ولما شعرت بخيبة الأمل فى قرارة نفسى أخذت أبحث عن مذهب سياسى بوسعه أن يحل المشكلات الإنسانية فى هذه الدنيا، وحسبت أن الخدمة الاجتماعية ترضى اعتقادى بأن خدمة الإنسان خدمة لله.

سَرَابُ الشِّيوعِيَّة :

فاتجهت إلى الشيوعية وسرت فترة فى حياتى تعمقت خلالها فى المذهب الشيوعى أكثر فأكثر، وبينما كنت أدرس هذا المذهب وأطبقه أخذ إيمانى بالله يتلاشى تدريجيا وأخذت القيم الروحية تفقد وزنها أمام الحجج العقلية المحدودة . ومرت سنوات حرمت خلالها من الإيمان بالله اللهم إلا إيمانى بالعدالة والاستقامة. ولكنى أحسست فى أعماق نفسى بالشقاء الكامل. كأن روحى كانت تصرخ لحرمانها من اندفاعها الفطرى للانضمام إلى الروح العلوية. وجاء الوقت الذى لم يستطع فيه عقلى المتعثر أن يقنع قلبى الذى كان فى لهفة شديدة إلى مبدأ حق يؤمن به. فقد عجزت الحياة المادية والخلقية والفكرية عن تحقيق السلام النفسى. وكانت روحى متعطشة لمبدأ روحى يحقق لها ما تصبو إليه من سلام.

ثم عاد لى إيمانى المفقود بإلهى من جديد وهو ما كنت أحس أنه روح قائمة بذاتها سامية تملأ الكون. ولكن كيف السبيل إلى الإحساس بوجوده؟ إذ أن العقل يغاير الشعور والإحساس ومن هنا أصبحت بحاجة إلى منهج ومنار هدى يقودنى إلى الشعور

بالنور الرباني. فبدأت من جديد أبحث وأنقب فى ملتى الهندوكية الواسعة التى ولدت فى أحضانها، وأخذت أقرأ عن النصرانية والبوذية والجينية «Jainism» واليهودية وديانة السيخ والزرادشتية والفلسفة الصينية القديمة والبهائية والتصوف وأخيراً بدأت أدرس الإسلام. الذى كنت أحسن دوما بميل نفسى قوى يدفعنى إليه. وكان من عادتى أن ألتقى برجال متدينين ورجال دين يمثلون مختلف النحل باحثًا عن الصراط العملى المستقيم. ودفعتنى دراستى للكتب والمناهج المختلفة إلى الجزم بأن كافة الديانات السماوية قد أنزلت على الناس فى أوقات وأماكن معينة حملها إليهم أكثرهم صلاحا لهداية البشرية إلى معرفة إله الكون الواحد. وإن كل دين من الأديان السماوية المتعاقبة قد أخذ بيد الإنسانية المعذبة وقادها تجاه مرحلة أسمى من سابقتها. واتفقت جميع الأديان السماوية فى فهمها لغاية الوجود الإنسانى وهى الاعتصام بالنور الألهى، فمهما يكن المنهج الذى يسلكه الإنسان فلابد أن يحقق غاية وجوده الإنسانى شريطة أن يتوفر له الفهم الصحيح كما يتوقف ذلك على مدى ما يرثه ويتوسع فيه من فهم لصفات الذات الألهية. وظلت النفس الإنسانية تشوق لهذه الغاية التى جاء بها الدين بمعناه الصحيح. فلم يحدث قط أن عاش الإنسان بلا دين ما دامت لديه روحه الفطرية. ومن هنا كان المطلوب من الإنسان أن يفهم وأن يسلك النهج الصحيح الذى بلغ الكمال حتى يتناسب والحاجة الراهنة.

الإسلام منهاج الحياة:

هذه بعض الخواطر التى كانت تدور فى خلدى وأنا أقلب الكتب المقدسة عند مختلف الأديان.

لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الذى يحقق هذه الغاية، فهو يمتاز بالبساطة والواقعية والاستعلاء والحساسية والشمول. فالإسلام يحترم كافة الأديان ويوقر جميع الأنبياء والقديسين والحكماء. قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فهل هناك أبلغ من هذا الدليل على شمول الإسلام وعقيدته وإيمانه بالله الواحد

الأحد؟ وهل أفضل من قول الله تعالى كبرهان على ختم التنزيل: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كل هذه الحقائق بالإضافة إلى الإحساس الداخلى ودعوة الله فى أعماق نفسى، كل ذلك دفعنى إلى اعتناق الإسلام، هذا الدين الذى فسره القرآن وطبقه النبى الكريم محمد ﷺ فكان نموذجاً رائعاً لتخليص الإنسانية «من شقائها».

هذه هى العقيدة التى رضى بها عقلى وتجلت لفكرى وحببت إلى قلبى فبددت كافة الشبهات والشرور.

دعوة إلى المسلمين:

إننى أعمل الآن لدى حكومة تنزانيا كموظف فى التربية، فأنا الآن رئيس قسم اللغة الإنجليزية والتاريخ فى إحدى المدارس الثانوية المحلية، كما أننى أدرس الانجليزية فى الفرع المحلى لمعهد تربية الراشدين التابع لجامعة دار السلام. ويوجد فى دار السلام ست مدارس ثانوية منها مدرسة للبنات، أربعة من هذه المدارس نصرانية تبشيرية، وبالرغم من عدم وجود أية تفرقة دينية هنا فى تنزانيا، وبالرغم من أن الطلاب يرفعون حسب مواهبهم وتحصيلهم إلا أننى أعتقد أن الطلاب المسلمين لا تزيد نسبتهم فى هذه المدارس عن ٢٠٪ من مجموع الطلاب، والمسلمون يشكلون أغلبية السكان هنا فى تنزانيا إلا أن حالة التعليم بين المسلمين مؤسفة ومحزنة. وربما كان السبب كامنا فى جهلهم بحقيقة الإسلام وروحه، وفى الإغراء المادى للثقافة الغربية والديانة النصرانية. إن الجهل بكافة أشكاله الفكرية والروحية والاجتماعية والثقافية هو مصدر كافة ألوان الشقاء وخيبة الأمل التى يعانى منها المسلمون سواء فى هذا البلد أو غيره، والعلاج لا يكون إلا بإصلاح النفوس من الداخل، وصدق القائل:

«أقيموا دولة الإسلام فى نفوسكم تقم على أرضكم».

إن الإسلام فى أيامنا هذه يحتاج إلى وحدة الصف الداخلى، والتنظيم لمحاربة شياطين الجهالة، وتبديد الآفات التى تعمل من الداخل أولاً، فإذا لم نعالج الصف من الداخل فلا ينتظر منا أن نعيش لنحيى مجد الإسلام القديم ونجعله الحقيقة السرمدية، فلم يحدث أن

تمكنت أمة من تحقيق فوز دائم ما لم تتضافر جميع جهودها المعنوية والمادية والروحية فتصبح عنصراً واحداً، إن قوة الإسلام فى ذاته، فى خصائصه الروحية وشموله، وهذا هو سر غلبته فى النهاية. فإلى متى يظل الباطل والهوى الفانى والمتاع المادى يستعبد روح الحق وإشراقه فى نفس الإنسان؟ فإذا تحققت هذه الروح للمسلم فلن يفكر فى شىء إلا فى الفوز وعندها ستأتى البشرية الضائعة فى الشرق أو فى الغرب، فى الشمال أو الجنوب ستأتى صاغرة مطأطئة رأسها للإسلام تنشد الخلاص وتسارع للوصول إلى دار الخلد والخروج من الدنيا الفانية.

الأمل للباحثين عن الحق:

كثير من الناس فى الوقت الحاضر يبحثون عن النور ولكنهم لا يعرفون له سبيلاً بسبب جهلهم وتحيزهم. وكثير آخرون عثروا عليه إلا إنهم تعوزهم الشجاعة الأدبية للتخلى عن الارتباط العاطفى، وربما كانوا يعانون من شبهات فى ذوات أنفسهم تحول دون انضمامهم إلى الإسلام وثقافته وسيلعب الزمن والروح دورهما ولكن الذى يمكننا القيام به نحن المسلمين هو التمهيد لهذا الوقت. ولذلك فالباحثون عن النور جزء من مسئوليتنا.

إننى أفكر حاليًا فى وضع خطة لبعث الإسلام من الداخل ونشر النور بين الناس وعلى الأخص بين هؤلاء الأخوة الذين فشلت المادية والإبداع العلمى فى توفير السلام النفسى لهم. وها أنذا استعد فكريًا وماديًا وروحيًا كى أتمكن من القيام بدورى الذى أرجو أن يقدره الله لى. لابد أن أتعلم اللغة العربية لأزداد تعمقًا فى فهم الإسلام. لابد أن أعيش بالإسلام حتى أحس به من الداخل والخارج. لابد أن أسعى لاكتشاف السبل التى تمكننى من الإعداد لهذا الهدف ولابد أن أكتب وأعمل بنشاط لخدمة الدين والإنسانية.

فإذا اعتقدت - أيها القارئ الكريم بصحة اتجاهى، يمكنك أن تنقل أفكارى وآرائى للآخرين من أشخاص ومعاهد لها اهتمامات مماثلة. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

❁❁❁

نيجيريا:

٩. إبراهيم نياس نواجي

منصر يعتنق الإسلام

زار الكويت فى مطلع عام (١٩٦٨م) داعية مسلم من نيچيريا الشرقية هو الحاج إبراهيم نياس نواجى مدير المركز الإسلامى فى أفيكبو بنيچيريا الشرقية، وكان الهدف من الزيارة مناشدة المسلمين فى البلاد العربية لتقديم المساعدات المادية والمعنوية إلى إخوانهم المسلمين فى نيچيريا ، ومما هو جدير بالذكر أنه روى لنا طرفًا من قصة إسلامه نورده فيما يلى:

كان الحاج إبراهيم نياس نواجى مبشراً نصرانيًا يشرف على كنيسة فى شرق نيچيريا. وكان اسمه (نيوجى) ثم أراد الله له الهداية فأسلم على يد أصحاب الطريقة التيجانية - وهى طريقة صوفية لها اتباعها فى أفريقيا ، وسمى نفسه إبراهيم نياس تشبهًا بصاحب الطريقة التيجانية فى السنغال. فأصبح صوفيًا يعتزل الحياة العامة. ثم التقى بتاجر مسلم فى نيچيريا من أصل شامى أخذ يدعوه إلى التحول إلى داعية مسلم فى نيچيريا بدلاً من حياة الاعتكاف والدروشة ويقول: لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم. وبعد محاولات كثيرة وبعد أخذ و رد كان يحتج بقوله ينقصنا المال. فيجيبه التاجر المسلم: خذ ما شئت من مالى ولا تعتبره عقبة فى طريقك. فما كان من إبراهيم نياس إلا أن وافق وأخذ شيئًا من المال وأخذ يعمل للدعوة الإسلامية. فأسلم على يديه ستة آلاف شخص كانوا يسكنون قريته التى كان يعمل فيها مبشراً نصرانيًا كما ذكرنا.

وسرعان ما فكر إبراهيم نياس فى إنشاء مسجد للدعوة الإسلامية. فالتفت حوله فلم يجد إلا الكنيسة الخاوية التى هجرها سكان البلدة على أثر إسلامهم. فأخذ يعمل على تحويلها إلى مسجد. ولما باءت محاولاته بالفشل حض أتباعه على إحراقها. فما كان منهم إلا أن أحرقوها. ومن هنا ثارت ضجة هائلة فى الصحف النصرانية وأعتقل الحاج إبراهيم نياس هو وزوجته التى أسلمت معه، ثم قدّم للمحاكمة فدافع عن نفسه بأن

الكنيسة بنيت من ماله هو ومن أموال أهل بلدته الذين أسلموا[1]، فأسقط في يد القاضي. ولما عجز عن إثبات إدانته حكم عليه بغرامة مالية لمخالفته أوامر البلدية بهدمه الكنيسة دون استئذانها. فدفع الغرامة بعد أن قضى هو وزوجته في السجن بضع سنين صبر خلالها على دينه وكان بمثابة جلاء لروحه ونفسه.

خرج إبراهيم نياس من السجن وهو أشد عزمًا وأصلب عوداً وأقوى إيمانًا. فأخذ يعمل على إقامة مسجد في أفيكبو وقاد حملة لجمع التبرعات. وبنى المسجد الذى كان يحلم به. وهكذا انطلق بدعوته حتى كثر عدد الذين هداهم الله على يديه. ثم اتسعت دائرة نشاطه فأخذ يعمل على إنشاء مركز إسلامى إلى جانب المسجد. وقام بجولة فى العالم الإسلامى لجمع التبرعات وكسب التأييد لمشروعه. فمرّ بالكويت حيث حصل على خمسة عشر ألف دينار. وبعد أن أكمل جولته عاد إلى بلاده فرحًا مسروراً وسرعان ما شيد المركز الإسلامى ووضع حجر الأساس لبناء مستشفى للمسلمين. وانتشرت الدعوة الإسلامية على يدية حتى بلغ عدد المسلمين فى شرق نيجيريا حوالى مئة وخمسين ألفًا كلهم من الأيبو - القبيلة النصرانية هناك-.

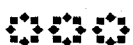
شرع أعداء الإسلام فى الكيد لهذا الداعية الجديد. وخافوا على مستقبل شرق نيجيريا الغنية بمواردها الطبيعية. وأخذوا يحذرون بأنه إذا لم يوقف النشاط الإسلامى فلم يمض وقت طويل حتى يصبح أغلبية السكان من المسلمين. وما يجدر ذكره أن السفارة الإسرائيلية فى نيجيريا بعثت إلى إبراهيم نياس وهو فى لحظة كان يحتاج فيها إلى المال، بعثت له رجلاً منافقًا يظهر إسلامه فقال له: إن السفارة الإسرائيلية على استعداد لمنحك ٥٥ ألف دولار شريطة أن تصبح قاديانيًا. فما كان من إبراهيم نياس إلا أن رفض ذلك وقال: إن معى ربى يغنينى عنك وعنها.

وبينما كانت دائرة نشاط الحاج إبراهيم نياس تتسع وتتسع وبينما كان عدد المسلمين يتزايد أعلنت نيجيريا الشرقية انشقاقها عن نيجيريا الاتحادية. واشتعلت نار حرب ضروس بينها وبين المسئولين فى الحكومة الاتحادية. فبدأت مرحلة حساسة دقيقة من

(١) الإسلام دين السلام، ولذلك ما كان ينبغى أن تحرق الكنيسة، وإنما يحاول أصحابها تحويلها بالحكمة والصبر، ولعل عذرهم هو أنهم حديثو عهد بالإسلام، ثم هم أصحاب الكنيسة الخالية، ومع ذلك لا يصح إحراق دور العبادة بمثل هذه الشبهة، والله أعلم.

حياة إبراهيم نياس ودعوته الإسلامية. وشعر أعداء الإسلام أن الفرصة قد أصبحت مواتية للقضاء عليه. فما كان منهم إلا أن حضوا الحكومة الانفصالية على مطالبة المسلمين بالتطوع في صفوف الجيش لقتال إخوانهم في نيچيريا الاتحادية والدفاع عن بيافرا - وهذا اسم نيچيريا الشرقية بعد الانفصال - فما كان من المسلمين إلا أن رفضوا. وكان على رأسهم إبراهيم نياس. فأصدرت حكومة بيافرا العسكرية أمرا بمصادرة أملاكهم وفي مقدمتها المسجد والمركز الإسلامي. وأخذ رجال الجيش ينكلون بالمسلمين حتى قتل خلق كثير. وفر الباقون إلى لاجوس عاصمة نيچيريا الاتحادية. ومما يؤسف له أن عدد اللاجئين المسلمين الذين وصلوا إلى لاجوس قد بلغ حوالي تسعة آلاف لاجئ مسلم مجردين من أموالهم وممتلكاتهم. وهم يستصرخون العالم الإسلامي كي يهب لإنقاذهم. فيا ليت قومي يعلمون!

بالرغم من كل هذه النكبات لم تفتر عزيمة الحاج إبراهيم نياس نواجي وها هو ذا يناشد المسلمين في كل مكان لمساعدة إخوانهم المنكوبين. ويقوم بجولة في أنحاء العالم الإسلامي لتعويض الخسائر والمضي قدمًا في الدعوة الإسلامية دونما خوف أو وجل. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.



كندا:

١٠. عبد الرحمن باركر *

إن السيد عبد الرحمن باركر رجل دخل فى الإسلام وهجر النصرانية وهو من أصل كندى وأستاذ اللغة الأوردية بجامعة مجل فى كندا، وبناء على طلب من رئيس اتحاد الجمعيات التبشيرية الإسلامية نهض ليخاطب المستمعين ويشرح الظروف التى أدت إلى إسلامه، فتحدث باللغة الأوردية بطلاقة تامة.

فقال بأنه فى صغره اكتشف أن نصف الكرة الغربى تشيع فيه المادية ولم يأبه النصارى ولا اليهود بالدين، وكان والده رجلاً ملحداً اعتاد أن يقول: بأنه إذا كان الله موجوداً فكيف يستطيع أن يهتم بصلاة كل فرد من مخلوقاته الذين لا يأتى عليهم الحصر والذين يعيشون فى كافة الأجرام السماوية؟ إلا أن باركر الشاب كان مهتماً بدراسة الدين وكان حريصاً على اكتشاف العقيدة الصادقة فأذن له أبوه أن يختار لنفسه اعتناق أى دين من الأديان، ومن ثمة شرع السيد باركر يبحث عن العقيدة الحقة، فأجرى دراسة مقارنة للأديان المختلفة بما فى ذلك الهندوكية، ولما كان الإسلام قد اتخذ صورة مشوهة فى الغرب وحيث إنه يوصف بأنه دين البرابرة الأجلاف الذين يهيمون بقطع رؤوس النصارى فإنه لم يبذل أية محاولة جادة لدراسته، ولكنه لم يجد ملجأ فى النهاية إلا فى الدين الإسلامى.

وذات مرة بينما كان فى (لكهنؤ) لقيه طالب مسلم يعتنق الشيوعية وقال له: «إذا أردت أن تشاهد أكبر رجل محافظ على الدين فى العالم فتعالى معى إلى والدى» فذهب السيد باركر لمشاهدة والد زميله الطالب فوجده شيخاً وقوراً للغاية يشع من وجهه نور الإيمان وشفافية الروح فأهدى إلى السيد باركر ترجمة إنجليزية لمعانى القرآن الكريم.

وسارت عجلة الزمن وأخذ السيد باركر يجرى بحثاً فى لغة هندية معينة فى أشد

* مقتطف من مجلة ذاميناريت – باكستان – عدد أغسطس ١٩٦٦.

المقاطعات الهندية تأخراً، وفى أحد الأيام وبينما كان يبحث عن كتاب مشوق يقرأه عثر فى حقيبة عفشه على الترجمة الإنجليزية لمعانى القرآن، ولما لم يكن معه كتاب آخر غيرها أكب على قراءتها، وما أن قرأ عدة صفحات حتى أسره جمال الكتاب وحكمته، وعندما انتهى من قراءة الترجمة اقتنع بصدق الإسلام ولم يكن حينئذ أى داع للتأخير، فذهب لتوه إلى لكهنؤ ودخل فى الإسلام على يد ذات الرجل الربانى الذى أهدى إليه الترجمة.. وقال السيد باركر بأن الناس فى الغرب ينظرون إلى الإسلام من خلال المسلمين فيرون أن نسبة كبيرة من المسلمين لا يعلقون أهمية كبيرة على النظافة ويظلون على قذارتهم، فيتهم الغربيون الإسلام بذلك، فقد يكون بعض المسلمين كذلك فعلا إلا أن الإسلام دين النظافة، وقال بأن الإسلام يتضمن كل ما هو خير، وأن من واجب المسلمين اليوم أن يكونوا صوراً صادقة لإسلامهم، ودعا الشبان المسلمين الذاهبين إلى ديار الغرب أن ينفقوا جزءاً من وقتهم للتعريف بالإسلام فى كافة أنحاء العالم.

❖❖❖

مصر:

١١- الدكتور عَبْده إبراهِيمْ(*)

(تعريف فى سطور)

- هو المرحوم الدكتور عبده إبراهيم، ابن إبراهيم أفندى عبد الملاك من حى الظاهر بالقاهرة.
- ولد فى عام ١٨٨٤ ميلادية.
- وصل إلى المرحلة الثانوية (ولها شأن فى تاريخ حياته) بين عامى ١٨٩٦ - ١٩٠٠.
- درس الطب بالقصر العينى خمسة أعوام ولهذه المرحلة (بدورها) شأن فى تاريخ حياته، وكان ذلك بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٠٥.
- التحق بالوظيفة العامة من سنة ١٩٠٥.
- تزوج فى صيف سنة ١٩٠٦.
- رزق بابنه الأول فى يوليو سنة ١٩٠٧.
- ورزق بابنه الثانى فى يناير سنة ١٩٠٩.

ولكل من الابن الأول والابن الثانى شأن فى تاريخ حياته.

- كان أول عهده بالوظيفة العامة بمصلحة السجون (طبيب السجن) بين عامى ١٩٠٥-١٩١٠.

- وكان آخر عهده بالوظيفة العامة بوزارة الصحة (طبيب مركز) بالسنبلاوين دقهلية بين عامى ١٩١٠-١٩١٤، ثم طبيب مركز ههيا (الشرقية) بين عامى ١٩١٤-١٩١٨.

(*) هذه القصة كتبها الدكتور عيسى عبده إبراهيم الذى كان له فى هذه القصة شأن مهم وطريف يبدأ منذ ولادته.

- توفى إلى رحمة الله بالقاهرة فى شهر يونيه سنة ١٩١٨ بحمى التيفوس، وكانت العدوى قد انتقلت إليه أثناء عمله فى المخيمات التى يعزل فيها المرضى، وكان الوباء قد انتشر فى بعض مواقع الشرقية بسبب تحركات الجنود الذين حشدهم الحلفاء فى الحرب الكبرى (١٩١٤-١٩١٨) .

- ظن الطبيب بحكم الممارسة المتصلة أن الخطر الذى يهدده غير يسير (ولعله أحس أيضاً بدنو الأجل، فقد كان صالحاً يرحمه الله) ولذلك أقفل الدار والعيادة الخاصة واصطحب أسرته كلها (زوجة وأربعة أبناء وطفلة فى الشهر الثانى من عمرها) وشغل ديواناً بالدرجة الثانية بالقطار، واعتزل هو وأسرته جميع الركاب لوقاية الناس من احتمال العدوى.. وفى القاهرة بحى السيدة زينب بجنينة قاميش فى منزل صهره المرحوم الشيخ عبدالحميد مصطفى عكف الأطباء على علاجه أو متابعة المرض، ستة أيام.. وافاه بعدها الأجل يوم ١٩١٨/٦/١٨ بعد المغرب بقليل.. وكان من بين الأطباء الذين باشروا العلاج المرحوم محمد توفيق صدقى والمرحوم محمد عبدالحى، والمرحوم محمد رضا.. ودفن فى مقابر أصهاره بقرافة الإمام الشافعى بالقاهرة.

القِصَّةُ كَامِلَةَ :

فى أواخر القرن التاسع عشر كان «الخواجة» إبراهيم أفندى عبدالملاك يعيش في حى الظاهر بالقاهرة، ومن حوله أسرة كبيرة العدد من الأقرباء والأصهار.. فقد كان التقليد المتبع هو تجمع الأصول والفروع فى مساكن متقاربة (فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية) كما كان بعض الأحياء يميز بأن سكانه من القبط القدامى فى مصر.. ومن هذه الأحياء حى الظاهر.. وقد شغل الخواجة إبراهيم عبدالملاك منزلاً متوسطاً (رقم ٧٢شارع الظاهر) أما لقب «خواجة» فقد كان يطلق على وجهاء القبط ورجال الأعمال.. ومنهم إبراهيم أفندى الذى احترف تجارة الجملة والوكالة بالعمولة، واتخذ مقراً له بحى الجمالية حيث يقضى يومه كله.. ولا يستقر فى الدار إلا يوما واحداً فى الأسبوع هو الأحد.. وفى هذا اليوم تجتمع الأسرة من حول مائدة الغداء.. ويحرص البعيدون عن حى الظاهر من أفراد الأسرة المقيمين بالقاهرة على هذا الاجتماع العائلى الدورى (ولهذه الجزئية صلة بموضوعنا).

رزق الخواجة إبراهيم عبدالملاك أربعة أبناء هم: عبده ونسيم وفهيم وسليم.. بالإضافة إلى عدد من البنات، وحرص على تعليم الأولاد فألحقهم بالمدارس ووفَّر لكل منهم فى دوره كل ما يلزمه .. وكان ولده الأكبر «عبده» مجتهداً فلم يتخلف سنة واحدة حتى وصل إلى السنة الثالثة الثانوية.. حين صادفته ظروف خاصة ترتب عليها أن بقى للإعادة.

فكيف تخلف التلميذ المجتهد «عبده إبراهيم» فى امتحان البكالوريا ولم يعهد عليه ضعف أو تراخ.. فضلاً عن الرسوب فى الامتحان؟ هذا هو أول الطريق إلى صلب الموضوع .

زُمَلاءُ الدِّرَاسَةِ :

اتبع بعض نظار المدارس الثانوية فى أواخر القرن قبل الماضى (أعنى التاسع عشر الميلادى) أسلوب الخلايا العلمية التى تقوم على أسس من التآلف بين الطلاب.. دون تحديد عدد معين ودون محاولة الربط بين خلية وأخرى.. إذ كان القصد هو مجرد التجمع فى «صحبة» أو «شلة» أو «ربع» ليكون نشاطهم العلمى والاجتماعى أصلح من الناحية التربوية.. مما لو ترك الفرد فى سن المراهقة وأول النضج.. وحيداً فى نزهته حبيساً فى حجرة الاستذكار بداره.

وهكذا اجتمع محمد توفيق صدقى، وأحمد نجيب برادة، وعبده إبراهيم فى خلية واحدة، تآلف أفرادها من أول الدراسة الثانوية.. وما وصل ثلاثتهم إلى السنة الثالثة حتى كانت المودة تشد بعضهم إلى بعض.. وسنشير إلى كل منهم فيما يلى باسم واحد توخياً للإيجاز فنقول:

صدقى - برادة - عبده.

كان صدقى أيسر حالا وتقع داره فى (جنينة لاظ) المتاخمة (لجنينة قاميش) بحى السيدة، وللدار منظرة فى الداخل إلى اليسار.. تكاد تنفصل هى ومنافعها عن البيت كله.. ومرة أخرى نكرر القول بأن هذه الإشارة لها ما بعدها.

أما برادة فقد كان رقيق الحال كفله عمه بعد وفاة أبيه.. فلم يكن الصحب يغشون دار

عمه هذا بالحلمية إلا نادراً.. وكانت الدار فسيحة على الطراز القديم ولها صحن فيه بئر ودلو.

وكانت دار عبده (بالظاهر) بعيدة عن السيدة زينب وعن الحلمية بمسافة طويلة.. بمعايير ذلك العهد فضلاً عن وقوع حجرته الخاصة فى الطابق الثالث مع الأسرة.. وهكذا اضطلحت العوامل على تفضيل «منظرة» صدقى للقاء بقصد الاستذكار وما يصحبه من صخب الشباب أحياناً.. وزاد من قيمة هذه المنظرة قربها من مواقع المدارس الثانوية ثم المدارس العليا.

أول الطريق :

لكن الأصحاب الثلاثة كانوا يغشون دار العم «برّادة» بالحلمية أحيانًا.. وفيها الصحن والبئر والدلو.. فإذا وجبت الصلاة قام صدقى وبرادة وتوضأ كل منهما بدوره.. ثم أقاما الصلاة.. ومن دونهما عبده يرقب بعض الوقت ويتشاغل عنهما بالنظر فى أوراقه ما أمكنه ذلك.. وبتكرار هذه المواقف (من وقت لآخر) خلال السنتين الأولى والثانية من الدراسة الثانوية قام فى نفس عبده تساؤل عنيف عن سلوك صاحبيه.. ما شأنهما ؟ وأفضى إليهما بقلقه من وجود خلاف بينهم كجماعة متحابة ومتماسكة فى أمر جوهرى كهذا، وبخاصة وأن هذا الخلف لم يكن باختيارهم.. وإنما بحكم التوارث وحسب فهو لا يفعل فعلهم لأنه جاء إلى هذه الحياة الدنيا فى أسرة نصرانية.. ولو كان مثلهم من أسرة مسلمة لما كان الخلاف، ثم إنهما كذلك لا يذهبان إلى الكنيسة فى يوم الأحد ولا يفكران فى شىء من ذلك لأنهما ولدا فى محيط إسلامى.. قال عبده فيما يرويه برادة (رحمه الله الذى عاش طويلاً بعد صاحبيه) قال عبده: ليس هذا هو الشأن بين إخوة جمع بينهم رباط العلم.. وإنه لمن الإخلال بواجب المودة الخالصة من شوائب المادة أن تستمر الحال هكذا..فإما أن يكونا هما مخدوعين وإما أن يكون هو جاهلاً بما يؤمنون به.

ثم نهض عبده من مجلسه وتقدم إلى البئر.. وتبعه صاحباه وقال: أريانى كيف تفعلان وأعينانى كما تتعاونان فى إخراج الماء وصبه.. ثم أجرى الماء على يديه ووجهه

وذراعيه وقدميه فى تجربة بدائية لا تهدف إلا للوقوف على شىء ما.. أو على بعض هذا الشىء المجهول له: ما حكمة صب الماء على أعضاء من الجسم مع التكرار.. ومن التجربة لاحظ أن أول الآثار التى أحاطت به قدر من اليقظة والانتباه نتيجة لصب الماء البارد الذى يرفعه الدلو من بطن البئر.. ثم تأمل نظافة الأيدى ومنافذ الوجه والقدمين، وقال: يبدو لى أن فى الأمر سراً.. فما هذا الذى تصنعان عبث صغير.. بل أرى من ورائه بعض المعانى التى يحجبها عنى جهلى بدينكما فحدثانى عن حكمة الوضوء وعن حكمة القيام والقعود الذين تصنعان فى دأب وتكرار.

البَحثُ عَنِ الحَقِيقَةِ:

لم يكن صاحباه من العلم بمنزلة تؤهلهما لإجابة شافية.. قال: أنتما مقلدان وأنا مقلد.. ولا خير فينا، فهلا تعاهدنا على البحث فى حقائق الدين وأسباب ما نحن فيه من خلاف!! فكان العهد الذى أخلص له كل من صدقى وعبده.. إخلاصاً صرفهما معظم السنة الثالثة الثانوية عن دروسهما واقتصد برادة فى الوفاء بالعهد لأنه كان يشعر بأن حاجته الكبرى قد كانت إلى اختصار الضيافة التى فرضتها الأحداث على عمه، وهكذا استغرق الشابان فى الإطلاع على ما وصلت إليه يداهما من المراجع الباحثة فى الدين.. وتوفر الثالث على دروسه قبل كل شىء فحصل وحده على شهادة البكالوريا ورسب صاحباه وبقيا للإعادة، وقيل فى تفسير هذه الظاهرة المفاجئة فى حياة كل من صدقى وعبده.. ما قيل وتهامس الأهل بأنهما أغرقا أو غلبت عليهما الأهواء.

وجد صدقى أن ثقافته فى الدين لا تذكر، وشعر بأن وصفه بأنه يقلد هو أقل ما يقال فى حقه.. فتعلق بدراسات شتى تقربه من المعرفة.. وبدأ يهتم بأخبار ندوات العلوم الدينية ومجالسها والمحاضرات العامة، ومن هنا نشأت بينه وبين المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا علاقة زادت على الأيام ثباتاً وعمقاً.. وكان عبده يصحبه أحياناً إلى هذه المجالس.. وينصرف إلى التأمل والموازنة بين ما حوته المراجع التى تتكلم عن الأديان من زاوية ومن أخرى، ودخل فى مرحلة الشك من أمر اتباعه لدين معين بمجرد تتابع الأجيال.. ونال من الهم ما لم يكن منه خلاص إلا بمزيد من البحث والتأمل.. وانقضى

عام الإعادة. والتحق الصديقان بمدرسة الطب وزاد اقترابهما من الوفاء بالعهد.. بقدر ما انشغل بإرادة بدراسة القانون إذ كان طالباً بمدرسة الحقوق من تاريخ حصوله على البكالوريا.

لم ينفرط عقد الصحاب الثلاثة ولا تنكر أحدهم للموثق الذى واثقوه.. وإنما اقترب اثنان منهما بحكم الزمالة وبعد الثالث بحكم تفرده بتخصص قائم بذاته.

وكانت تجربة الرسوب مريرة.. فاعتزم الصاحبان أن ينصرفا عن كل راحة أو لهو برئ.. وأن يقسما الوقت والجهد بين علوم الطب وعلوم الدين.

وانتقلا من المقدمات التى تدور حول وظائف الأعضاء ونحوها إلى ما هو أدخل فى اختصاصهما حتى حصلا على قدر من المعرفة بجسم الإنسان من دراسة التشريح، وكان عبده (بوجه خاص) ينهل من المراجع العلمية ليرتوى.. لا لكى يحصل على إجازة تفتح له باب الوظيفة أو الكسب من المهنة.. كان يعانى من ظمأ هائل لا يطفئه إلا شىء من العلم بحقائق هذا الكون.. ولو فى بعض ما احتواه.

كان يصعِّد النظر فى السماء ويدور ببصره إلى هذه الأجرام من حوله التى لا يحصيها عدّ الإنسان قطعاً.. ثم يرتد البصر حسيراً إذ تقوم بينه وبين حقائق هذه السماء الدنيا حجب من الجهل التام بفرع من المعرفة لا يستطيع أن يقترب منه.. ثم يعود إلى جسم الإنسان، وقد تهيأت له ظروف الإمعان فى دقائقه والغوص فى خفاياه.. فيشبع نهمه إلى المعرفة هنا لعله يدرك من دراسة هذا المخلوق الذى يسمى «الإنسان» شيئاً لا يزال يجهله.. هو قدرة من خلق الإنسان على هذه الصورة، وقد كانت فى نظره صورة مذهلة.. تدل على قدرة لا تحيط بها الأبصار.. وتعلقت آماله بأن يكون حقاً أن البصائر تدركها.. وهنا بدأ يفكر فى أن الظاهرات المادية التى سمع عنها كالتجسد والميلاد وأكل الطعام والصلب.. يجوز أن تكون كلها أو بعضها مقبولة من حيث المبدأ.. إذا أضيفت إلى جسم الإنسان الحادث الزائل عن الوجود.. أما إضافة شىء منها إلى من خلق.. فهذا أمر يدمغه حكم العقل بالفساد، وتأباه الفطرة السليمة فضلاً عن القوة العاقلة المدبرة.

الفرار إلى الإسلام:

قال محدثي (المرحوم أحمد نجيب برادة) لم يكن الإسلام بعيداً عن صاحبنا وزميلنا عبده مذ توفر على دراسة الأديان قدر اجتهاده في آخر عهده بالدراسة الثانوية وأول عهده بدراسة الطب.. ولكن دراسة التشريح نحو من عشرين شهراً نقلته من حال إلى حال.. فقد تملكه خوف من لقاء الله وهو في تردده وجهالته بحقيقة التوحيد، والبعث والثواب والعقاب.. فاجتمع إلى صاحبيه وقال: بأنه آمن بالذي هما عليه، وبأنه سيبدأ باتخاذ ما هو مستقر من إجراء للتوثيق والشهر.

فزع صاحباه من هذه العجلة وقالا: بينك وبين التخرج ومدة الامتياز عامان ونصف عام.. وهذا الذي تقدم عليه ستكون له آثار شديدة على والدك وأسرتك.. ستطرد من الدار وتحارب.. وستعرض مستقبلك للبوار، وقد أمرنا ديننا بالحكمة وبالتعقل.. والرأي عندنا أن تسكت وأن تستخفي بدينك الذي تريد أن تعتنقه حتى تتخرج وتكون لك وظيفة ثم إنك في حاجة إلى مزيد من الدراسة والله يعلم إن كنت صادقاً فيما تدعيه فأنت عنده مقبول إن صحت نيتك.. دون توثيق ودون شهر حتى تكون العلانية مأمونة.

تطبيقٌ ومُعاناة:

رضخ «عبده» للرأي الذي اتفق عليه صاحباه ووضح له ما في العجلة من مجازفة، وكتم إيمانه زمناً ثم عاد يتصرف دون الرجوع إلى صاحبيه حتى لا يشيرا بما لا يحبه ويرضاه، فعكف على القرآن يتلو آيات منه كلما وجد فراغاً، وحرص على أن يكون في جيبه دائماً، وبدأ يؤدي من الصلوات ما يتيسر له أداؤه في خفاء خارج البيت أحيانا وفي حجرته الخاصة أحيانا.. ومضى عامان إلا قليلاً وبدأت مدة الامتياز (وهي أقل من عام) وحل شهر رمضان فاعتزم طبيب الامتياز أمراً، وما عاد يستشير أحداً.

تخلف عن حضور الغداء من يوم الأحد على عادته وعادة الأسرة كلها.. وسأل عنه أبوه ظهراً وعصراً ومساء حتى جاء في ساعة متأخرة وقيل له بأن الأسرة كلها قلقة لهذا التخلف.. وذهبت بهم الظنون كل مذهب.. قال إن الأعمال في «الاستقبال» كانت وفيرة على غير المألوف، واعتذر بعض زملائه فقضى اليوم كله في مواجهة حالات عاجلة.

وجاء الأحد الذى يليه.. وتوقف الخواجة إبراهيم عن أن يذوق طعاماً حتى يصل ابنه الطبيب.. وطال انتظاره ساعات ثم قام إلى فراشه وقد داخله هَمٌّ لا يعرف مأتاه.. أو يعرف .. ولكنه يفزع بآماله إلى الكذب ..

وفى الليل وصل طبيب الامتياز وعليه من آثار الاجهاد ما يظنه شفيعاً.. واتجه لحجرته وتبعته أمه.. قالت إن أباك لم يذق طعاماً لأنه يكره أن يكون مكانك خالياً من غداء الأحد فهلا ترفقت بنفسك فيما تقبله من واجبات الزملاء، وهل ترفقت بوالدك وقد تقدمت به السن؟

قال يا أماه.. وحشد من صنوف المعاذير ما يظنه مقنعاً.. وهما لا يزالان فى حوار وإذا بالتومرجى يقف بالباب ويطلب «الدكتور» على عجل لوقوع حادث كبير زادت بسببه الحالات وتعين استدعاء الأطباء من الراحة.. كان ذلك فى منتصف الليل.. ولما يمض على عودة صاحبنا «عبده إبراهيم» من الخارج ساعتان قضاهما فى حوار هادئ ومرير مع أمه.. فطلب منها أن تعينه على إبدال ملابسه والمضى فوراً مع التومرجى.. الذى بقى بالباب ثم انصرفا ولف المكان سكون ينبئ بقرب هبوب العاصفة.

وفى الليلة التالية جاء من يوقظ الطبيب الشاب فى منتصف الليل لأن الطبيب النوبتجى اعتذر فجأة.. وبعدها تكرر الطلب فى جوف الليل من جديد.. مرة بعد أخرى وتنوعت الأعذار حتى جاء الأحد الثالث.. وأبوه يتابع ولا يتكلم.. فقد غشيه من الهم غاشية لا قِبل له بها.. وعلى مائدة الغداء جلس ذاهلاً ينتظر ساعات.. ثم تحامل على نفسه وأعانه بنوه حتى جلس فى مقعد مقابل لمدخل الدار وعينه شاخصة فى كل قادم.. وانقضت ساعات وساعات حتى قارب الليل أن ينتصف، وقد غرقت الدار فى سكون حزين.

حوار ثم العاصفة :

وأقبل الطبيب الذى تخلف عن غداء الأحد ثلاثاً متواليات.. وألفى أباه لدى مدخل الدار فتمالك نفسه وحياه.. قال أبوه من غير أن يرد التحية: أين كنت طول هذا اليوم؟ قال: بالمستشفى كعادتى ثم جلس على مقربة، وساد الصمت فترة حتى تمالك الرجل

نفسه وقال فى هدوء مصطنع: يا بنى.. لم يعد الأمر خافياً وإنى محدثك بما اجتمع عندنا من دلالات خلال العامين الأخيرين... واعلم أن الظنون التى أحاطت بى تكاد تقتلنى فحدثنى بحقيقة الخبر واصدقنى القول.. فإن اليقين فى حد ذاته أرحم مما أنا فيه أيا كان هذا اليقين.

قال الطبيب الشاب: إنى محدثك بالصدق يا أبى.. فما هى هذه الظنون والدلالات التى تشير إليها؟

قال الوالد: كتاب المسلمين وجده (المكوجى) فى جيبك من نحو عامين.. وهذا هو.. انظر إليه ألا يخصك هذا الكتاب؟

سكت الطبيب لحظة ثم قال: بلى يخصنى.

عاد الوالد يقول: وأخوك «سليم» زعم أنه رآك من ثقب الباب وأنت تقوم وتقعد على غير هيئة الصلاة عندنا وحدّث أمه فكذبته ونهرته.. ثم راقبتك هى.. حتى ثبت عندها صدق مقالة أخيك فهل تفعل هذا حقاً حين تخلو إلى نفسك فى هذه الدار؟

سكت الطبيب وقد بدا له أن الأمر جد ما بعده جد.. وعاد الوالد يقول: لقد أصابنى من هذا ما لا قِبل لى باحتماله.. ولكنى آثرت الصمت وحملت هذا كله على حبك للبحث والتنقيب حتى كان الأحد الذى مضى من ثلاثة أسابيع والذى بعده وهذا اليوم حين اتصل غيابك النهار كله وتكرر خروجك فى الليل.. لقد ظننت أن هذا التصرف الغريب من جانبك له صلة بالشهر الجارى الذى يصومه المسلمون.. فهل أنت تفعل فعلهم.. أم هذه كلها مصادفات؟

فوجئ طبيب الامتياز الغارق فى التدريب والبحث العلمى.. بهذا الموقف الذى انتهى إليه بإصراره على ممارسة العبادات قبل أن يكون حراً فى حياته الخاصة كما نصحه صاحباه.. وأمام المفاجأة رأى أن يفرغ من حالة القلق.. فأقبل على والده وقال: لقد وعدتك بأن أكون صادقاً.. وما أردت أن أخفى عنك أمراً مصيره إلى العلانية حتمًا.. وإنما أردت أن أؤخر حديثى إليك فى هذا الشأن حتى تخف واجباتى بالمستشفى (ثم

سكت لحظة.. عاد بعدها يقول) ولكن مادمت تريد أن تستعجل هذا الأمر.. فاعلم أننى وجدت الدين الإسلامى حقًا واقتنعت بأنه قد بعث به نبى كريم.. كالذين بعثوا من قبل.

وقاطعه أبوه مستفهماً: ودينك الذى عليه آباؤك وأجدادك؟

قال: أى ضير يمس الأديان السابقة إذا جاء دين جديد يتمم الذى جاءت به الرسل من قبل؟

عاد أبوه متسائلاً: هل تعرف ما تتكلم عنه.. أم أن فى الأمر سراً نجهله..؟ لعلك على صلة بفتاة مسلمة اشترطت عليك أن تدخل دينها..؟ وهذا أمر جائز الوقوع.. ويحدث من وقت لآخر.. ولكن أن تدعى العلم بالأديان وأنها واحد كما تقول فهذا جهل فاضح بتعاليم دينك.. إن المسلمين لا يعرفون الأقانيم ولا يؤمنون بالرب المخلص «أبانا يسوع الذى فى السماء» وهم لا يعترفون بالمسيح الحى.. وهم.. وهم.. ثم استمر الوالد يعظ ولده وهو يظن بأنه يجهل حقائقه.. فصبر الطبيب برهة حتى أتم والده الحديث.. وتقدم منه خطوة.. وقد استجمع ما تفرق من نفسه لحظة المفاجأة.. ثم ابتسم لأبيه وقال:

يا أبى.. لقد درست هذا كله وأنا فى المرحلة الثانوية ومعذرة إذا قلت لك بأن وقتك لا يسمح بالتعمق فى شىء من ذلك.. فأنت مشغول بكسب معاشنا جميعاً.. وأنا أكبر أبنائك ولا أزال عبئاً عليك إلى وقتنا هذا.. إننى أقدر جهادك من أجلنا وأحبك لما أنت فيه من فناء فى سبيل المحافظة علينا.. وإن أقل ما أسديه إليك من معروف أن أتولى عنك دراسة هذا الخلاف بين الأديان.. وقد فعلت وأنا كبير الأمل أن يهديك الله إلى الدين الحق.. فتنجو من عذاب الآخرة.. ولا أظن أن والدتى تتخلف عنك أو أخوتى يختارون طريقاً غير التى يختار.. هذا الأمل كبير، يا والدى: هو الذى تعلقت به نفسى لأننى أكره أن أخالفكم إلى طريق النجاة وأن تنتهى همتى عند إنقاذ نفسى وحسب.. إننى إذن جاحد فضلك علىَّ...

صبر الوالد .. ما صبر.. ثم انفجر فى ولده الذى تحول إلى داعية وهو لايزال أمامه - فى تقديره الخاص - فى موقف المتهم.. صبر الوالد حتى نفد صبره.. ولم يبق إلا أن ينفجر فى ثورة عارمة.. أيقظت من فى الدار.. وإذا به يلعن اليوم الذى رأى فيه وجه

ولد عاق جرئ فى ضلاله.. وأحاط به بنوه وزوجته يهدئون من روعه وقد اشتد به الغضب.. ولا يزال يهدر بالشتائم وينذر بالويل والثبور.. وما من سبب واضح.. فالدار خالية منه.. فما سر هذه الثورة العارمة؟

إلى أين ؟!

كان الطبيب قد أدرك فى لمح البصر (بعد أن فرغ من حديثه عن الأمل الذى يعيش من أجله) أدرك أنه قد ارتكب عدة أخطاء.. لا خطأ واحداً.. فاندفع إلى خارج الدار لا يلوى على شيء.. وما حمل قرطاساً ولا قلماً ولا أى شيء من لوازمه.. وفى لحظات.. وجد نفسه فى الطريق العام.. وسار مجداً لعله يبتعد عن حى الظاهر كله.. وقد خشى أن يلاحقه أبوه أو بعض إخوته.. وإذ أوغل فى الطريق واقترب من حى ساهر كما اعتاد الناس فى شهر رمضان.. أحس بالحاجة الملحة إلى شيء من الهدوء.. لعله يلتقط أنفاسه.. وصادفه مقهى عامر بالرواد.. فانتحى منه ناحية وجلس يتأمل أحداث هذه الساعة من الزمان.. كيف بدأت وكيف انتهت.. ثم تحسس جيبه ليعلم كم قرشاً حواه.. وقفزت أمامه أسئلة شديدة الإلحاح الكتب والمراجع ومذكراته الخاصة.. وملابسه ولوازمه كطبيب؟ كلها فى حجرته الخاصة التى لم يقترب منها فى ليلته هذه.. مجرد اقتراب.. فماذا يكون من أمره فى غد، وفيما بقى من شهور حتى يستكمل مؤهله العلمى؟ ومن ثم يلتحق بوظيفة تعينه على الحياة!!

أزمة الأصحاب:

أدرك الموقف على حقيقته.. بعد قليل من التأمل.. واتجه من فوره إلى بيت صدقى ووصله آخر الليل، ولكن السهر فى رمضان شجعه على المضى حتى قابل صاحبه وأفضى إليه بتفصيل ما كان.

قال صدقى: هذه حجرتك من الآن (وهى المنظرة التى اعتادوا اللقاء فيها) وفى غد إن شاء الله تعالى فى طريقنا إلى المستشفى ننظر فى هذا الموقف المفاجئ.

قال محدثى بأن عبده إبراهيم كان منقطع الصلة بالحياة العامة تماماً... لانصرافه التام إلى الدرس والتحصيل لمهنته ... وللدين الذى أعتنقه.. وكانت لهذه الحال آثار فى

حياته الخاصة من يوم أن خرج من دار أبيه إلى أواخر أيامه.. بما فى ذلك اختيار الوظيفة والبيئة التى تحيط بها.

وكان لزاما أن يجتمع الأصحاب الثلاثة فى اليوم التالى، وأن يتدارسوا الموقف واحتمالاته ومنها: ثورة الخواجة إبراهيم على صدقى وبرادة، وملاحقته لولده عبده.. فضلاً عن تسامع الأحياء القريبة من مسرح الأحداث بهذا الأمر.. فسيكون فى حى الظاهر لغط وشائعات.. وسيكون فى حى السيدة زينب نظير ذلك.. ثم تتسع الدوائر من حول هذين القطبين وتنتشر التعليقات والأقاصيص.. ولكن الخطر القريب هو الصدام المرتقب بين الخواجة إبراهيم وبين الصاحبين صدقى وبرادة.. قالا لزميلهما: لقد تسرعت فى تصرفاتك الخاصة، وأخطأت بما ظننته من قدرة على هداية أبيك ومن بعده بقية أهلك.. وأوقعتنا جميعاً فى مأزق ما كان أغنانا عنه.

والطبيب الشاب.. ساكن هادئ.. يذكر قول الله تعالى ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾ وبوده أن يراجع النص الكريم ونظائره وما تُحمل عليه الآية من تأويل وتفسير.. وكأنما هو فى أمن تام كما كان إلى الأمس القريب.. أمن تام من الحاجة إلى أبسط ضرورات الحياة.

قال محدثى (المرحوم أحمد نجيب برادة المحامى) وكان ذلك فى بعض المناسبات فى العقد الخامس من القرن العشرين.. قال: بأنه اجتزأ من موارده ثلاثة جنيهات فرنسية «ونتو» شهرياً وخصصها لصاحبه «عبده» واستمرت الحال كذلك عشرة أشهر حتى اكتمل الدَّيْنُ ثلاثين (ونتو) .. ردها الطبيب بعد استقراره فى أول وظيفة.. قال محدثى بأنه كان عندئذ أيسرهم حالا بعد أن كان الأرق حالا.. فقد سبق إلى التخرج قبلهم.. وأدخر ونشط إلى أداء بعض الأعمال الخاصة بالإضافة للوظيفة.. ومن ثم كان الأقدر على التمويل فى هذه الأزمة التى واجهها الأصحاب الثلاثة.. أما صدقى فقد كان إسهامه بالمأوى أسبق من إسهام برادة، وأما أدوات المهنة ومراجع الدراسة واللوازم الخاصة.. فقد خرجت من يدهم جميعاً ولا سبيل إلى تعويضها زمنا قد يطول.

بقى الخطر الكبير.. خطر المواجهة، وعنه قال الصاحبان: لا شأن لنا بذلك.. أنت صاحب فكرة الدعوة إلى دين الله ولما تخرج من دينك القديم بعد.. ولقد نصحنا لك فلم تستمع إلينا.. ونحن نرفض التدخل فيما ستمر به من أحداث.. وجاء الغيورون على

مستقبل الطبيب الشاب من أهله الأقربين والبعيدين.. وبحثوا عنه فى مكان وجوده، ولم يرهقهم البحث.. فهو لم يغير مكانه من منظرة الأضياف بمنزل صدقى بشارع الرصافة بجنينة لاظ.. لقد كان هذا الأمر معروفاً لهم جميعاً من وقت التحاقه بالدراسة الثانوية، وتوافد الغيورون زرافات ووحدانا وتكرر الحديث وتواكبت الملاحقة.. حتى ظن بأن هذا الفعل يشبه المؤامرة على مستقبله الذى يوشك أن يبدأ على نحو يرضيه.

مُوَاجِهَاتٌ وَمجَادلاتٌ :

قال: ما حاجتكم وما هدفكم؟ قال: أرشدهم (وهو خاله) يا بنى أنك فرد مرموق فى أسرتنا وفى جملة القبط كلهم.. خلقاً وحسن سمعة.. ثم أنك توشك أن تكون طبيباً، وهذا الذى فعلت خسارة لنا لا نطيقها فضلا عن أنه فضيحة وعار لأسرتك وللنصارى فى مصر وفى غيرها فهلا استمعت إلينا؟

قال: إنى مستمع إليك لعلى أصل معكم إلى حل يحفظ لكم ولى أوقاتنا ومصالحنا.. بدلاً من هذه الملاحقة التى لا تجدى.

قال أرشدهم: إن أباك يدعوك إلى الاستماع لكلمة الحق من رجال الدين فهم أقدر على تبيان أوجه الضلال الذى أوقعك فيها خصوم ديننا.

قال: ما أوقعنى أحد.. فافهموا عنى هذا وإنما هدانى رب العالمين.

قال قائل منهم: إن كنت مؤمنًا بفعلتك هذه عن بينة وحجة.. فما عليك إلا أن تواجه علماءنا.

قال: لكم ما تريدون.. وإذ سئل عن المهلة التى يطلبها قال: بل أى موعد تضربون، وتم الاتفاق على تحديد يوم أحد قريب من مجلسهم هذا.. وانطلقت الأسرة إلى البحث والموازنة بين فريق من الكهان وعلماء اللاهوت لاختيار أكثرهم إطلاعاً على دقائق الدين والموازنات بين الفرق والنحل على أساس أن صاحبهم الذى ترك دينهم إنما فتن عن دينه الحق.. وكان الموعد فى دار أبيه الخواجة إبراهيم، وأنفق عن سخاء لإنقاذ ولده الأكبر مما هو فيه أو مما هو مقدم عليه.

حضر الطبيب الشاب منفرداً أمام جمع كبير.. ودارت المناقشات حتى ارتفع النهار

ثم استؤنفت لتمتد إلى أوائل الليل.. وبلغ الجهد من الفريقين ما بلغه.. وتوقف الطبيب عن تقديم إجابة مقنعة فى أمور ثلاثة.. حسبت عليه إلا أن يدلى بجديد من الأسانيد.. ولكنه مرهق وعلمه محدود.. فطلب مهلة أسبوع واحد.. وإذا كانت لجنة الإرشاد كذلك مرهقة.. فقد استجابت واعتبرت الجلسة ممتدة إلى الأحد الذى يليه..

حجج الإسلام :

لجأ الطبيب إلى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا، وكان يختلف إلى مجلسه من وقت لآخر.. ونفض إليه جملة الخبر فبين له ما غاب عنه وأمده بالأدلة من الكتب القديمة .. إذ لا يحتج عند لجنة الإرشاد بما جاء بعد عيسى عليه السلام.. ثم إن الشيخ رحمه الله.. زوده بأسئلة مضادة ... يثيرها حين يفرغ من الأمور التى توقف دون جلائها أو إثباتها.

وجاءت الجلسة الحاسمة.. فبدأت هادئة والكل ينصت لما يدور من قرع الحجة بالحجة.. والنصوص حاضرة تتلى من مراجعها على مسمع من الجميع.. فلم يعد كبير مجال للتهوين من تصرف الطبيب الشاب على أساس أنه رأى فرد ضال.. كما لم يبق مجال للقول بأنه واقع تحت عوامل الإغراء التى يقع فيها بعض الناس.. وأدركت لجنة الإرشاد أن الأمر جد.. فشددت النكير.. ولكنها وجدت لكل سؤال جوابًا.. ثم ووجهت بأسئلة مضادة أجابت عنها بعبارات تلوكها الألسن فى غير وعى أو تعقل.. وواجهها الطبيب بنصوص متعارضة فى الأناجيل وباعترافات لفريق من علماء أهل الكتاب.. الذين اعتنقوا الإسلام مع تحديد الزمان والمكان.. وإذا بهم من جنسيات شتى.. ومن مستويات علمية لا يسهل التشكيك فيها.. وأردف هذا كله.. برأى عالم فى اللاهوت يدحض رأى زميل له بشأن حقيقة الإسلام وثالث يسفه رأى الثانى.. ورابع يسخر من سابقه حتى وضح لكل ذى عينين أن رفض الإسلام لم يكن عن بينة عند أى من هؤلاء.

كان الحديث يدور عن التجسد والأقانيم الثلاثة.. وسابقة القول بالبنوة عند بعض اليهود.. وجرأة أهل الكتاب على جملة الأنبياء وانحدارهم فى هذا الأمر إلى مستوى من الإسفاف لم تعرفه البشرية.. ودعوى أبوة الجسد ليوسف النجار.. وقول فريق من

النصارى عن مريم ابنة عمران قولا كبيراً ووقائع الصلب فى كتب الرومان واليهود وتضارب أقوالهم بشأن الحادث وبشأن القيامة.. ثم عن الإسلام دار الحديث عن حقيقة الوحى والقرآن.. وحيرة أهل الكتاب من أمر إعجازه وتصديقه لما جاءت به الكتب من قبل وصدق الأنبياء بأنه لا رسول من بعده.. ولم يكن الطبيب يصدر فى أقواله عن رأى من عنده أو نص من حفظه.. وإنما كان يبسط الأسانيد العلمية وينسب القول إلى قائلة من كبار علماء الدين.. وبخاصة الكتابيين.

فوجئت لجنة الإرشاد والهداية بهذا التحول فى أسبوع واحد.. وأيقنت أن هذا الطبيب يعرف طريقه إلى الاستعداد لمواجهة الشبهات وما اصطلح بتسميته «الأسرار» فأنهت جلسة الصباح وعقدت اجتماعاً مغلقا تداولت فيه.. وخرجت إلى الجمع بقرار.. واتجهت الظنون إلى أن يكون القرار استئناف العمل بعد الظهيرة.. أو التأجيل أسوة بما حدث فى الأسبوع السابق.. ولكن هذا الجمع الحاشد فوجئ بقرار لا يبرره موقف الفريقين.. فالقضايا معلقة والأسئلة لا تزال على الشفاه حائرة. والكل فى شوق إلى متابعة هذا الجدال حتى ينكشف أمر هذا الفرد الذى تخلف عن السير فى موكب آبائه وأجداده.. وقد جاء من فحول العلماء ومن خبراء التبشير كل مقتدر على انقاذ هذا الشاب من ضلاله!! وإنه لأمر يعنى جميع الحضور.. ولا يعنى الخواجة إبراهيم وحده.

عجز ثم طرد من الرحمة المزعومة:

ولكن اللجنة رأت غير ذلك.. فأعلن رئيسها أنه بعد المداولة السرية.. أيقنت اللجنة بأن عبده إبراهيم بن الخواجة إبراهيم أفندى عبدالملاك.. من أسرة كذا التابعة لكنيسة كذا.. قد حلت عليه اللعنة الأبدية لهذه الكنيسة.. وأنه مطرود من رحمة أبينا يسوع المسيح.. مخلصنا وراعينا..وأنه، وأنه، إلى آخر ما لا يجوز إغفاله فى تصريح تاريخى كهذا.. له عندهم أصول وقواعد.

وما كاد الحبر الكبير يلقى بيانه وقد تعلقت الأنفاس من رهبة الموقف.. حتى حل الهرج والمرج محل السكون والوقار.. وارتفع الصخب فجأة.. بأخلاط من الأصوات فهذا

نحيب وذاك نواح.. وهؤلاء رجال أفزعهم المصير الذى ينتظر فتى كان من خيرة شبابهم.. وتلك النسوة تجمع بين البكاء وبين أقبح الأصوات.

آكلوا السحت باسم الدين:

وإذا بالطبيب الشاب يشهد للمرة الثانية موقفا مزعجاً فى نفس المكان.. لقد فوجئ بقرار «المحكمة» قبل تمام المحاكمة.. ولذلك بقى فى مكانه مشدوها.. حال التلاوة.. وإذ بدأ الهرج والتدافع بالأيدى وبالمناكب.. تسلل من مجلسه إلى خارج الدار.. ثم إلى مسكنه المتواضع.. وقد تملكه شعور لم يكن يحس به من قبل.. ذلك أنه رأى لأول مرة.. رجال الدين الذين يتخذون من الهداية والإرشاد وسيلة لكسب المعاش يتصرفون على نحو أذهله .. فخالطه شعور بالعطف على عامة الناس الذين يلتمسون عندهم الرشاد .. قال الطبيب لصاحبيه: لقد احترمت هؤلاء الناس حين ثبتوا ودافعوا عن أمور خيل إليهم أنها صواب.. وكان ذلك فى أول لقاء معهم.. ولكن حقيقة أمرهم تكشفت لى فى المجلس الثانى.. حين فرّوا من الميدان مخافة أن ينكشف ما هم عليه من جهل وصغار فهم يأكلون السحت.. ويجعلون رزقهم أنهم يكذبون.. ألا ساء ما يزرون.

قال صاحباه: أو لم يكف ما لقيناه من تطلعك إلى دعوة الناس للرشاد، وأنت لم تفرغ بعد من تثبيت أقدامك .. ثم نصحاه بالتوفر على ما بقى من مراحل للحصول على الإجازة العلمية ومن ثم الوظيفة التى يقيم بها أوده.. وقد كان.. فانقطع لهذا الأمر بضعة أشهر حتى تخرج طبيبا يمارس المهنة.. ونظر من حوله باحثا عن مجتمع يأنس به أو يأنس إليه.. فوجد النصارى حاقدين ووجد من المسلمين ترقبا فى حذر فرغب فى البعد عن الناس، طلباً للهدوء ولمزيد من الإطلاع، ولم يجد خيرا من خدمة السجون.. وبدأ حياته العملية عام ١٩٠٥ طبيبا لبعض السجون بمديرية الجيزة، وهكذا تهيأ له البعد عن الناس جميعاً وإن كان على مقربة من القاهرة.. حيث نشأ وحيث مرت به أحداث لا يمحوها مر الزمان.. كان يقضى ساعات العمل بمكتبه وله دار ملحقة بالمبنى ذاته ومن حولها حديقة مناسبة، فكان يقضى أوقات الفراغ بين القراءة حينا وخدمة هذه الرقعة الصغيرة من الأرض.. وخيل إليه أنها أرحب من القاهرة وما حولها.. وجد فى

سكون الليل واقفار الجو المحيط بالسجن من علامات الحياة.. سكناً لم يجده فى المدينة الصاخبة.. ثم عرف واعظ السجن وخالط المسجونين كإنسان يحس بآلام غيره من الناس..

قال محدثي: ولعله كان في وحشة شديدة في دخيلة نفسه، ولذلك غلب عليه العطف على من ضاق بهم المجتمع وضاقوا به.. وتحولت الوظيفة في تقديره من معاش يطلبه إلى رياضة نفسية وتأمل.. ومضى عام وبعض عام.. وهو لا يرى صاحبيه إلا نادراً.. بل لا يرى الناس إلا في حدود البيئة الموحشة التى احتوت ليله ونهاره فى نظام رتيب.

خطبة ثم فسخ مزعج :

وفي غضون هذا العام الأول أشار إلى زميله صدقى أنه يريد أن يستقر في دار وأسرة.. فإن رزقه الله بزوجة صالحة فإن حديقة السجن تكون فى تقديره من جنات الحياة قال صدقى: أما هذا فمطلب عسير.. ذلك أن طالب الزواج لم يتواضع فى طلبه.. بل غالى كثيراً فيما أملاه من شروط.. وصاحبه يقلب كفيه عجباً من أطماع ولد آدم.. وصارحه بأن شروطه هذه لا تقبل من مسلم أصيل.. فكيف به هو والناس لا تعرف من أمره إلا ما تتسامع به المجالس.. وإذ تكرر الطلب وتكرر التنبيه.. لم يجد طالب الزواج بداً من تفويض صاحبه وله أن يغفل بعض الشروط.. ذلك أن لهذا الصاحب زوجة.. وهى التى تتصل ببعض الأسر، وتراعى ما هو مفضل من الأوصاف.. وأخيراً تمت الخطبة غيابياً في مجلس ضم الرجال.. واستند الخاطب إلى أوصاف مطربة حدثه بها زميله صدقى نقلا عن زوجته.. وتحدد موعد للعقد ومن بعده يكون الزفاف.. وإذا بحادث يقع.. وكانت له أبعد الآثار فى حياة طبيبنا الشاب.

كان الدكتور عبده إبراهيم فى زيارة زميله الدكتور صدقى، ذات يوم، بعد الخطبة بزمن قصير.. وقد جلسا فى منظرة الضيوف التى احتلها زمنا كما رأينا.. وإذا بانقلاب مفاجئ فى هذه الحى الهادئ الساكن.. وإذا باستغاثات تشق عنان السماء.. فما الخبر؟ شاب ألقى بنفسه من النافذة قاصداً الانتحار لأنه رسب فى الامتحان.. ولم يكن أولى من الطبيبين بتقدم الجموع التى زحمت المكان فقاما بالإسعاف وصاحبا الفتى المنتحر..

وقد أخطأه الموت لأن النافذة لم تكن على ارتفاع كبير.. وكان من حوله نساء يندبن ويبكين رغم توكيد الطبيبين بأنه لا خطر على حياة المصاب.. وفي غمرة هذه الفوضى المفاجئة همس صدقي في أذن زميله.. أن أنظر إلى يمينك بهذه شقيقة المصاب وهي خطيبتك.. فنظر.. وبعد قليل انتهت مهزلة الشاب المنتحر وعاد الحي إلى سكونه.. إلا أن عبده إبراهيم.. عادت إليه همومه أشد مما كانت في أي وقت مضى.. قال لزميله صدقي: أفكنت تعلم من أمر هذه الخطيبة ما أخفيته عني؟ أم خدعتك زوجك وجئت تخدعني؟.. وقامت بين الصديقين مناقشة حادة لم يقتصد فيها طالب الزواج.. قال هذه عانس شوهاء.. هذه مارد يفوقني طولا وعرضا، هذه داكنة اللون وقد قلتم إنها خمرية وكان طلبي البياض.. وهذه.. وهذه.. فما كان من الدكتور صدقي إلا أن ضاق بصاحبه.. وافترقا على خلاف.

عاد طبيب السجن إلى صاحبه بعد يوم (على غير عادته) وأنذره بأن هذه الخطبة مفسوخة.. بل هي فاسدة من أساسها لأنه خدع بما نقل إليه من أوصاف.. واشتد الخلاف .. فقد عز على صدقي أن يكلف زوجه بنقل الخبر.. واستحال عليه أن يقنع صاحبه بقبول ما جرت به المقادير.. ووجد أن مصاحبته لزميله هذا لا تعود عليه إلا بالمتاعب.. وانصرف عبده إبراهيم غاضبًا ومعلنًا سخطه على ما كان من غش وإيهام، وأعلن أنه لن يقترب من هذه الدار التي دخلها خاطباً.. وأسقط في يد زميله.. ومرت الأيام .. الخاطب لا يظهر واقترب موعد العقد.. ولم يجد صدقي بداً من تكليف زوجته بنقل الخبر على أيسر صورة مستطاعة .. قالت إن الطبيب الخاطب نقل فجأة إلى الحدود وقد ذهب إلى السودان.. ويبدو أن ظروفه هذه تجعله غير صالح.. ثم إنه سافر بالفعل وألغى موعد العقد.

قامت الدنيا من خلال صدقي، في الحي الذي يعيش فيه.. ومن قبله عاشت أسرته عشرات السنين.. وما عرف عنه قبل هذا الحادث أن يكون عابثًا بسمعة جيرانه.. فقد أشاعت أسرة الخطيبة أنها اكتشفت في الخاطب ما لا تحب أن تتكلم عنه.. فهو كافر متلاعب وله زوجة من دينه الأصلي.. ولذلك رفض وطرد.. وما كان للدكتور صدقي أن يتعرض لأسرة كريمة على نحو ما فعل.. وما كان له أن يبعث بزوجته خاطبة لمن هذه صفاته.. ولا يستطيع أن يدعي الجهل بحقيقة الأمر لأن الخاطب زميله.. ولأن

صدقى قدمه لرجال الأسرة على أنه من أصحابه المقربين نحو عشر سنوات، ولذلك يعرفه ويضمنه.. فكيف يتضح بعد ذلك أنه كان مخادعا؟! وما أكثر ما قيل حتى اضطر الطبيبان إلى التوارى عن الناس طويلا، والشائعات لا تهدأ .. وأسرة الخطيبة لا تترفق فى الانتقام.. وفى هذا العهد المبكر من القرن العشرين (أوائل عام ١٩٠٦) كانت الأسرة المسلمة شديدة المحافظة وكان الرأى المحلى فى الأحياء القديمة شديد الحساسية وقاسيًا فى ملاحقة المنحرف.. ولذلك أصاب الصديقين جميعا من هذا العدول عن عقد الزواج ضرر بالغ فى السمعة واحترام الأهل والجيران.. وتناهت الأخبار إلى شيوخ الحى وأفاضل السكان.. وهم النقباء كأمر واقع وأن لم يلتمسوا من الناس أصواتهم على نحو ما استجد من الربع الثانى للقرن العشرين.

تدخل شيوخ الحىّ :

كان الشيخ عبدالحميد مصطفى أحد الرجال البارزين .. درس العلم فى الأزهر الشريف حتى خيف على بصره فتوقف بأمر الأطباء.. واشتغل بمقاولات المبانى ولقى فى عمله توفيقًا وكان كريمًا فى حياته الخاصة وفى معاملاته وصلاته بالناس.. ولذلك انتهت إليه الأنباء على أنها عبث صغير من شباب غير مسئول يستهين بكرامة أسرة محافظة ويعرض سمعة فتاة شريفة للقيل والقال.. بما أقدم عليه هذا الشاب من معلومات كاذبة أدت إلى فشل الزواج.. ولئن كان فسخ الخطبة قد جاء من جانب العروس وأهلها إلا أن الضرر وقع على أية حالة.. ويجب أن يحاسب هذان المستهتران بأقدار الكرام من أهل الحى.. وفى كل يوم رواية وفى كل دار ثرثرة لا تريد أن تنتهى.. حتى اقتنع الشيخ عبد الحميد بأنه مطالب بأن يتخذ إجراء ما لتهدئة الخواطر الثائرة.. فأرسل فى طلب الدكتور صدقى وكان بمنزلة الابن لأنه زميل لبعض أبناء الشيخ عبد الحميد ولوجود علاقات وثيقة بين الأسرتين من جيل سابق.. ولكن صدقى غير موجود نهاراً وغير موجود ليلاً.. لأن مقابلة كبار رجال الأسرة أو الحى.. كانت لها رهبة فى نفوس الشباب عندئذ.. وكان صدقى يعلم الحقيقة كاملة ولكن لا يستطيع أن ينفى الحظ السيء فى كل ما حدث.. وأنه كان الواسطة.. وإذ أمعن الدكتور صدقى فى تجنب مقابلة الشيخ.. ازداد هذا تمسكًا بطلبه.. وداخلته الشكوك فى تصرف هذا الولد الذى كان يظنه صالحًا.. حتى وقع

الدكتور صدقى بين يدى الشيخ وهو فى الطريق العام... ولم يبق مفر من المواجهة والحساب.

حوار صعب:

قال الشيخ: كيف فعلت هذا يا صدقى وأنت الآن طبيب يؤتمن على خصائص الناس.. وقد يعرف من أسرار البيوت ما لا يعرفه غيره بحكم ممارسة المهنة.. أية بداهة هذه؟ وفى أهلك وعشيرتك؟؟ لبئس ما صنعت.. وصبر الطبيب الناشىء فى الحى على قسوة أحد شيوخه.. إذ كانت له فى نفسه منزلة الوالد.. صبر حتى استراح الشيخ إلى أنه قد أثخنه بالجراح جزاء فعلته التى ألقت الجيرة كلها فى أتون من الغضب.

قال الشيخ: ألا تجيب؟... فرفع رأسه وصوته وقال: هل تأذن لى يا عماه بأن أتكلم؟؟ قال الشيخ: على أن تصدقنى الحديث.. وإنى أحذرك من محاولة خداعى كما فعلت مع أسرة فلان، وما عاد الأمر سراً!!

قال صدقى: بل أصدقك القول يا عم.. فما كنت كاذبًا ولا مخادعًا.. وستجد بنفسك أننى لم أتغير عمن عرفت وكل الذى أرجوه أن تمنحنى الصبر حتى أتم حديثى.. ثم أحكم على وعلى زميلى.. وحكمك العدل..

ثم إن صدقى سرد التاريخ كله بإيجاز.. حتى إذا وصل إلى أحداث الخطبة والعدول.. لم يتردد فى ذلك التفصيلات.. واعترف بأنه تحت إلحاح صديقه وحاجته إلى الاستقرار وفى مواجهة الصعاب العملية التى يلاقيها إن هو بحث له عن فتاة وأخرى حتى يصادف من يرتاح إليها.. فقد سمح لنفسه إن يهون من الفروق الكبيرة بين أوصاف الخطيبة وبين ما تخيله طالب الزواج.. وما قصد من تصرفه هذا إلا أن يجد حلاً لمعضلة عسيرة.. إذ الحق أنه من العسير أن أجد أسرة تحترم نفسها وتقبل مصاهرته.. فلا هو من بيت ذى حسب قديم ولا هو من ملتنا ولا هو غنى.. ومع ذلك يضع الشروط ولا يقتصد.. ولا يجد من يعاونه فى إنجاز هذا الأمر الجوهرى إلا خاصة أصدقائه.. ولا أعرف إلا نفسى وصاحبى برادة..

قال صدقى: هذه هى جملة القول يا عم.. وما كتمت عنكم شيئًا.. ونحن جميعًا (ثلاثتنا) نجلُّك ونحترمك ونؤكد لك أننا ما اجتمعنا إلا على الخير.. ولا قصدنا إيذاء أحد من الناس فضلاً عن فتاة من حقها أن تجد رجلاً جديراً بها.. وأن زميلى عبده كفء لها وزيادة.. ولكنه ضاق بها إذ رآها.. كما حدثتك.. وقامت بينى وبينه مشاحنات لم يتسامع بها الناس.. وإنما تسامع الناس بما أطلقته أسرة الفتاة من شائعات.. ونحن نلتزم الصمت.. لعل فى الهجوم علينا ما يهدىء من الغضب ويمهد لنسيان هذه القصة كلها.. فقد غلب عليها سوء الحظ وحسب.

قال الشيخ: ولكن لماذا تيأس من محاولة اختيار فتاة تصلح له وتقف عند من وصفت وهى لا تشبه اختيار صاحبك كما تقول؟

قال صدقى: إنه اليأس من أن تقبل أية أسرة كريمة مصاهرة زميلى!! ولو كان فى أسرتى فتاة تنطبق عليها الصفات التى يريدها.. لما وجدت الطريق معبداً لإنجاح مسعاه.. رغم وساطتى..

سُبحانَ مُقلّبِ القُلوب:

قال الشيخ: ولكنك تذكره فى حديثك معى.. وكأنما تعدّه ملكًا أو وليًا من أولياء الله.. فكيف تعجز عن تقديمه للناس.. وهذا تقديرك له؟

قال صدقى: إن تقديرى له يستند إلى صحبة طويلة.. قرابة عشرة أعوام فى كل حال يكون عليها الشباب من إقبال على الدرس.. أو انصراف إلى اللهو البرىء.. وكنا نقضى معظم ساعات النهار والليل فى الاستذكار وفى البحث من الدراسة الثانوية إلى الطب إلى وقتنا هذا.. ولئن كان صديقنا برآدة على الدرب ذاته إلا أن زمالة الطب ربطت بيننا نحن الاثنين فوق ما كانت الحال ونحن صحاب ثلاثة.. ولذلك من العسير أن أطلب من الناس أو أن أتوقع منهم تقديراً كتقديرى القائم على معرفة حقيقة أمره فى مدى طويل..

سكت الشيخ قليلاً ثم عاد يتساءل: ما اسمه الآن؟ قال صدقى: «عبده إبراهيم». قال الشيخ: وقبل أن يشهر إسلامه؟ أجاب صدقى: «عبده إبراهيم». فتوقف الشيخ

لحظة واستأنف قائلاً: عجيب.. عجيب أمر صاحبك هذا، أفلا يتخذ اسمًا يدل على فضل الله عليه أن هداه؟

قال صدقى: هذه فعلاً واحدة من نظراته الخاصة إلى ما هو فيه من شأن جد خطير.. ولقد نصحه بعض المحبين له، بأن يتخذ اسمًا علمًا شاهداً على إسلامه.. فاعتذر بأن الإيمان الحق إنما يستقر فى القلوب وتصدقه الأعمال.. وما هو لافتات كعناوين الكتب والمتاجر.. وما هو بشعارات عالية الصوت جوفاء.. وإنى لأجل الهداية التى أنعم بها ربى علىّ.. أن أنزل بها إلى مستوى شبيه بالدعاية وطلب الشهرة.. فى أمر لا يغنى فيه إلا الصدق الصدوق..

توقف الشيخ قليلاً.. ثم قال: يا صديقى.. آتنى بصديقك هذا من فورك.. وتعال معه.. قالها وقد سرى عنه ما كان فيه من غضب وما بدأ به من تهديد ووعيد.. واطمأنت نفس صدقى إلى أنه كسب سنداً وأنه لا يسهل بعد اليوم أن يهاجمه المهاجمون..

كانت غاية الفرحة التى غمرت الطبيب الشاب صدقى من هذه المقابلة.. أنه استطاع أن يقنع الشيخ ببراءته وبراءة صاحبه.. وما درى أن هذا اللقاء قد كان نقطة تحول كبرى فى حياة صاحبه.

جاء الموعد والتقى الطبيبان بالشيخ.. وكان تعارف أعقبته مقابلات.. وفيها سأل الشيخ والدكتور عبده إبراهيم يجيب.. ثم تتشعب الأبحاث ويفيض الطبيب الذى آمن فى سرد بعض الأدلة التى ملكت عليه كل المدارك.. وبخاصة حين تقدم فى دراسة الطب ورأى فى جسم الإنسان آيات على قدرة الخالق جل وعلا.

ثم رأى صدقى أنه من الخير ألا يطمع كثيراً فى تلطف الشيخ وهو فى حكم والده.. وبحسبه هو وصاحبه أنهما وجدا فيه رجلاً فاضلاً ومنصفًا أسكت المتخرصين ومروجى الشائعات.

ومضى بعض الوقت.. وكل فى مشاغله.. حتى أرسل الشيخ إلى ولده صدقى يدعوه.. ويسأله: لماذا تباعد اللقاء بيننا؟ قال مراعاة لحقكم علينا.. فحسبنا ما أخذنا

من وقتكم وما لقيناه من عطف.. قال الشيخ: ما أحسنت التقدير.. إننى آنس إلى حديث صاحبك لأنه على سنة الأولين.. والحق أنه كسب إعجابى واحترامى.. وكان مثل هذا القول مفاجأة لصدقى.. وما وسعه إلا أن يشكر وأن يصل ما انقطع من الزيارات.

ذهب صدقى إلى عبده.. وقال له: يا زميلى إننى لا أصدق ما أرى وأسمع.. إننى فى حيرة ودهشة.. ولكن لعل الله يريد أن يحدث بعد ذلك أمراً!! قال صاحبه: ما وراءك؟ قال صدقى: إنه الشيخ يا عبده، إنه الشيخ.. لقد كسبت مودته وإعجابه إلى حد أنه يطلب منك ألا تنقطع عن زيارته.. ثم شرد بنظراته كأنه مأخوذ بأمر خطير.. وسكت. حتى ارتاب صاحبه فى الحال المتقلبة.. وسأله ما بالك يا صديقى.. أتراك بالغت فى وصف ما لقيته من عمنا الشيخ الفاضل؟! قال لا بل الأمر أجل فيما أظن.. والعلم عند الله.. ثم لاذ بالصمت.

وفى لقاء جديد وثان وثالث ظهر للطبيبين معًا أن العالم الجليل والوجيه فى قومه عبد الحميد مصطفى.. يحسن اللقاء ويشجع على مزيد من البحث فى قصة الإيمان عن يقين حتى بدا لصدقى أن يصارح صديقه بما يدور فى ذهنه من أيام.. فقال: أصغ إلى يا عبده.. إن هذا رجل كبير فى حينا.. وأنت رأيت بنفسك كيف يحيطك بالمودة وأنت فى مجلسه.. وقبل أن يلقاك كان ساخطًا علىّ من أجلك وكان لا يطيق أن يسمع بأنك تظهر فى هذا الحى.. كعابر سبيل.. من فرط ما نسب إلينا جميعًا.. قال عبده: وبعد.. ماذا تريد أن تقول؟

تردد صدقى بعض الوقت ثم قال: إنى أراك قادراً على كسب ثقة الشيخ ومحبته كواحد من أولاده.. ولئن وصلت إلى هذا الحد من النجاح.. فإن مشكلتك الكبرى تجد أحسن الحلول.

ضاق الدكتور عبده بهذه الإشارات البعيدة.. فقال لزميله: كم من الوقت أضعنا فى تأملاتك وفى الفروض والاحتمالات التى أراها تشغلك.. فماذا تريد أن تقول؟

قال صدقى: إن للشيخ ابنة فى سن الزواج.. وهى كالتى تخيلت أنت ووصفت.. ولئن

قدر لك أن تحافظ على مودته واحترامه لك.. على نحو ما أرى فى اجتماعاتنا الأخيرة.. فإنه لا يرفضك خاطبًا.. فيما أظن.

قال صاحبه: ما أراك إلا جننت.. أى أمل هذا الذى يراودك، على أى أساس يجوز لى أن أفاتح صديقًا فاضلاً كهذا فى أمر المصاهرة ونحن حديثو عهد بالتعارف.. ولى فى الحى تاريخ حافل.. هذا بالإضافة إلى قرب العهد بمأساة الخطبة الأولى.. لا ياصدقى.. أنا لا أفكر فى خطوة ، كهذه.. وأرجوك أن تتزن.. حتى لا تكون التجربة الثانية أقسى من الأولى.. وما زالا يقلبان الآراء حتى قررا إشراك صاحبهما القديم «برادة» ثم اتفق ثلاثتهم على أن الخطوة الأولى لا تكون من الخاطب بل من صاحبيه.. وفى حدود التعرف على مدى الاستجابة أو الفتور من ناحية اقتراح كهذا.. وكانت زيارات غاب عنها الدكتور عبده.. ثم ظهر من جديد وتقدم خاطبًا وأجيب.. وبدأت فى حياته وفى حياة الشيخ صعاب ما كانت فى الحساب.

الزَّوجَةُ الصَّالِحَةُ:

تسامع الناس بأن القبطى الذى سخر من أسرة كذا قد أوقع الشيخ فى حبائل سحره وحصل على وعد بالمصاهرة.. وكان لرب الأسرة فى هذا العهد هيبة عالية.. ولكن زوجة الشيخ ثارت ثورة عارمة وانطلقت إلى أهلها غاضبة.. واجتمعت الأسرة بأصولها وبفروعها وألحت على الشيخ أن يراجع نفسه فيما صدر عنه من وعد بالقبول.. وبدأت الشائعات وتوافد الخاطبون ومعهم الشفعاء لإنقاذ الموقف.. أى لتعطيل هذه المصاهرة.. حتى ضاق الشيخ بما تكرر من الجراة على مكانته من الأسرة.. فعجل بالعقد وبالزفاف جميعًا.. فى ليلة أحاط بها الغموض والترقب من جانب المستريبين من أمر هذا الطبيب الشاب.. وساعد على فتور المناسبة ومفارقتها للمألوف.. أن الزوج حضر منفرداً.. لا يصحبه من أهله أحد، على الإطلاق.. وأن والدة العروس قاطعت الحفل، وجاملها أهلها.. والشيخ مصرّ وماض فى طريقه.. وأخيراً عاد للحى هدوء مشوب بالقلق.. بعد سفر الزوجين إلى مقرهما الملحق بسجن «طرة» من أعمال مديرية الجيزة فى ذلك العهد (عام ١٩٠٦).

المَوْلُود الجَدِيد والعَاصِفَة الجَدِيدَة :

ومضى عام.. وإذا بالعروس تعود إلى دار أبيها.. فى مناسبة الوضع.. ورزقت بولدها الأول فى ١٩٠٧/٧/٢٧.. وفى يوم أو بعض يوم.. حضر الطبيب الوالد مهنئًا.. وأحضر معه شهادة الميلاد.. وقد أثبت فيها اسم ولده الأول «عيسى» وأقبل على زوجته يرشدها إلى ما ينبغى من احتياط.. وفى ساعات عاد إلى مقر عمله فى «طرة» وخلت الأسرة إلى هذا الموقف الجديد.. وإذا بالشيخ الذى أحب صهره.. يضرب كفًا بكف.. ويقول: واعجبا.. أليس فى الأسماء التى خلقها الرحمن اسم جدير بهذا المخلوق... إلاَّ هذا الاسم.. استغفر الله العظيم.. قالها ثلاثًا.. واعتكف فى داره لا يرى أحداً.. وأما زوجته فقد كانت تغالب دموعها.. لما تحقق من ظنها البصير بهذا الطبيب وأساليبه.. كانت تغالب دموعها حتى لا تفجع ابنتها فيما انتهت إليه حالها وما جناه عليها أبوها بغفلته وعناده. وفى اليوم السابع أضيئت الشموع ذراً للرماد فى العيون.. وتمويهًا على الأم البائسة التى ارتبطت بزوج قيل بأنه أسلم وحسن إسلامه.. وإذا به يعلن فى غير مواربة أنه مخلص لماضيه.. لا ينساه.. ولم ينقض اليوم السابع حتى أحاطت بأسرة الشيخ موجة من الهمّ.. فوق الذى تجمع من قبل.. ذلك أن جاء البشير من أسرة الظاهر يهنىء الوالدة بولدها عيسى.. ولم يكن من قبل ود ولا اتصال.. فكانت هذه التهنئة ذات معان غير خافية.. فتماسك الشيخ واصطنع الثبات اصطناعًا.. حتى كان الغد.. فخرج من الفجر.. يريد صهره فى داره قبل أن يخرج من داره إلى العمل.

قال الشيخ: ما هذا الذى فعلت يا سيدى الدكتور؟؟

لقد سكتنا على التزامك بعد اعتناق الإسلام.. نفس الاسم الذى عرفت به من قبل.. وأحسنا الظن بما سقته من حجج كانت تبدو صادقة.. ولكن.. هذه الفعلة الشنعاء، فى حالتك الخاصة!! أفلا تعلم أن اختيارك لهذا الاسم يتضمن من المعانى ما لا يخفى على أحد؟ ألم تسمع بأنباء التهانى التى بعث بها أبوك وماتنطوى عليه من سخرية بعقولنا وشماتة بمصير ابنتى البريئة.. التى جنيت عليها؟!

ظل الشيخ يهدر غاضبًا.. وكانت الدماء تندفع حمراء قانية من صدره إلى الجبين..

والطبيب يستمع هادئًا ساكنًا.. وقد أطرق برأسه حتى تمر العاصفة.. ولكن حالة الشيخ كانت تنبىء بأنه يعانى من خيبة فى الرجال قوضت ما كان فيه من اطمئنان إلى هذه الرابطة.. التى أكثر الناصحون بالحذر منها.. وكان فزعه من التطورات المحتملة يصد من بعض العواصف التى تهتاجه.. فقد قال بصريح العبارة: «وبعد، بماذا تفجعنى الأيام من ناحيتك فى الغد القريب والبعيد... بعد الذى فعلت؟» حتى إذا استنفد من الجهد ما أضناه.. توقف لاهثًا.. وقال: يا أخى ويا بنى.. ما أسأت إليك حتى تجنى على ما جنيت؟؟ وأيًا كان جوابك.. أفلم يكن من الواجب أن تستشيرنى فى أمر يمس سمعتى ومكانتى بين الناس.. إن كنت ترضاه لنفسك؟

قال الطبيب الناشىء لعمه: إن كنت قد فرغت من كل ما تحب لى أن أسمعه منك.. فسأتكلم.. وإن أردت أن تزيدنى إيلامًا فأنا بين يديك.. ما تغيرت.. فأنت صهرى وعمى وأبى.. وليس لى من الناس من هو أقرب إلىَّ منك.. وستجدنى طوع أمرك فيما تظنه صوابًا.. وسأقبل حكمك أيًا كان.. فهلا منحتنى بعض الصبر.. لعلى أحدثك بما عندى؟

كانت لهجة الطبيب هادئة.. رغم ما صبه عليه صهره من لوم وتقريع.. ورغم شناعة الصورة التى رسمها صهره.. من فزع أحاط بالأسرة وأحداث جسام توشك أن تعصف بالجميع.. فلا الطبيب ناج بفعلته هذه، ولا أصهاره سعداء بما يمكن أن ينزلوه به من انتقام لسمعتهم التى ألحق بها خزيًا ما بعده خزى.. هكذا كانت الصورة التى ارتسمت فى جو من المصارحة التى تهيأت للشيخ وقد انفرد بصهره. ومع كل هذا القتام ظل الطبيب هادئًا ثابتًا وظلت لهجته فى إطار من التوقير الواجب للشيخ وإن قسا الشيخ فى حملته، ثم قال وقد تمالك بعض زمام نفسه الثائرة:

- تكلم.. قل ما عندك.. ولا تخفى عنى شيئًا.. واعلم أنك قد ألقيتنى فى الجحيم.. جزاء صنيعى معك.. فابتسم الطبيب وهو يقول: كأنك لا تريدنى يا عم أن أتكلم!!

قال: بل إنى مصغ إليك.. والله يعيننى على ما أنا فيه..

قال الطبيب الناشيء: إن بيني وبين ربى عهداً لا يعلمه إلا هو.. وإنى أسير على الدرب لا أحيد.. وما وجدت من ربى إلا الفضل يتلوه الفضل.. وفى ظنى (والعلم عند الله جل شأنه) أن هذا الحادث الذى أفزعكم حتى آذيتمونى هو أكبر نعمة منَّ الله بها علىَّ بعد نعمة الإسلام.

تمتم الشيخ فى صوت حزين: أكبر نعمة؟ اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام.. اللهم أفرغ علىَّ صبراً من عندك.. فلا حول لى ولا قوة بهذا البلاء.

عاد الطبيب يقول: نعم.. قد يكون هذا التتابع فى الأحداث بشيراً لى بأن الله قد سمع منى الدعاء واستجاب.. له الحمد فى الأولى والآخر.

.. ثم استطرد يقول: إننى يا سيدى حين تمسكت بالاسم الذى اختاره أبى وهو كما تعرف «عبده» تعلق رجائى بأن يمتد بى الأجل.. حتى أكون كفئًا لزوجة صالحة من بيت طيب.. وأن أرزق منها مولوداً يكون أول أبنائى وأن أدعوه «عيسى» وقد تحقق هذا كله بفضل من الله ونعمة.

قاطعه الشيخ محتداً: وأى فضل تريد أن تراه فى كل ما ذكرت؟

فارتفع صوت الطبيب فيما يشبه الغضب.. وقال يا سيدى صبراً.. ما أتممت بعد!!! ثم استطرد يقول.. إلى هنا ينصرف الحديث إلى أمور وقعت.. وكلنا يراها ماثلة فى بساطة ويسر بحيث إنها لا تستوقف النظر.. ولكنى رأيتها من قبل آمالاً ترتفع إليها يداى بالدعاء.. فى عديد من الليالى الحالكة التى أحاطت بى لبضع سنوات مضت.. وأن الله الذى أنعم علىّ بهذا كله.. لأكرم من أن يرد ما بقى لى من رجاء..

قال الشيخ: وما هذا الرجاء؟

قال الطبيب: إنه رجاء إن شئت وإنه عهد وميثاق إذا أمعنا النظر.. لقد عاهدت ربى إن رزقنى بهذا الصبى لأحرصن على تنشئته نشأة صالحة ولأدعونّ له بطول العمر.. وبالتوفيق إلى ما فيه رضاء الله.. وبأن يكون له فى حياته ومن بعد حياته أحسن الذكر على ألسنة العباد..

ضاق الشيخ بأحلام هذا الولد الحدث.. وقاطعه.. قائلاً: وأى والد لا يرجو لولده مثل



ذلك؟ وأية صلة بين هذا الرجاء وذلك الميثاق وبين اختيار اسم المسيح عيسى ابن مريم ليكون علمًا على ولدك الذى تريد له ما تقول؟؟

عيسى[١] عبده لا ابنه :

قال يا عم.. إننى لا أحصى ثناءً على ربى ولا أقدر على حمده كفاء ما أنعم به عليَّ.. ولذلك جعلت من وجود هذا الولد.. شهادة تنبض بالحياة.. وما بقيت له الحياة.. بأن «عيسى» «عبده» وما هو بولده.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. فكلما ذكره الذاكرون غائبًا أو حاضراً.. حيًا أو ميتًا.. كان ذكرهم هذه شهادة منى بين يدى الله جلّ وعلا.. بأن «عيسى» «عبده».. ولقد استجاب ربى لأول الدعاء وها هو المخلوق الصغير حقيقة ماثلة بين يدى. وشهادة منى بما آمنت به.. وأن الذى أسبغ عليّ هذه النعمة الكبرى.. لقادر على أن يمد فى أجله وأن يهديه سواء السبيل حتى يكون أهلاً لحمل هذه الشهادة.. التى فرقت فى حياتى الخاصة بين ضلال كنت فيه وهداية أرجو أن تزيد..

ظل الشيخ صامتًا مطرقًا.. وكأنما يقلّب النظر فى قول ما مرّ بخاطره أنه سيسمع شيئًا منه.. فاستطرد الطبيب حديثه بلهجة المطمئن الواثق.... قال: يا عم.. إن الغيب من ضنائن الرحمن وأنا لا ندرى أيكون هذا الصبى صالحًا أم غير صالح.. ولا ندرى هل كتب له من العمر ما يطول، أم كانت الأخرى.. ولكنى أعلم من الله أنه ما خذلنى وما أسلمنى لأمر لا أحبه.. مذ سرى فى أطرافى هذه الشوق إلى الوضوء.. وأنا بعد صبى لا أميز بين عقيدة وأخرى.. وأن قلبى يحدّثنى بأن الله قد استجاب لكل ما دعوت.. وسيكون من حياة هذ الصبى وذكره بين الناس نور يفيض عليّ فى قبرى.. ويقضى عنى بعض حق الله عليّ.. حق الحمد والثناء عليه.. فى حياتى ومن بهدا الأجيال تجىء.. وفى كل منها يتكاثر القول الحق.. بأن «عيسى» «عبده» فهذا ما آمنتُ به وصدّقتُ.. هذا ما أريد له أن يجرى على ألسنة الخلق من بعدى.. ما بقى لهذا الصبى ولذريته ذكر بين الناس[١].. قال هذا وسكت.. لعل الشيخ يخرج من صمته.. ولكنه كان سابحًا فى

(١) لقد حقق الله تعالى أمل هذا الوالد، ورجاءه فيه، إذ صار «عيسى عبده» من أنشط دعاة الإسلام وكان له أعظم الآثار فى الدعوة إلى إبراز علم (الاقتصاد الإسلامى)، وقد انتهى إلى العمل أستاذاً بالمعهد العالى للدعوة الإسلامية بالرياض، وتوفى بها سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) وأكرمه الله فدفن بالمدينة المنورة.

ملكوت الله.. فعاد الطبيب يقول: ثم إنى دعوتُ الله أن يرزقنى ولداً ثانيًا.. ولا حرج على فضل الله.. ولئن استجاب بمنه وكرمه فسيكون ولدى الثانى «محمداً».

خرج الشيخ من صمته فجأة وهو يكرّر مقالة صهره.. ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على المبعوث رحمة للعالمين.. وكأنما سرى عنه بما سمع آخراً.. فتبدلت حاله من الهم والقلق.. إلى كثير من الرجاء أن تكون أحداث الأيام الأخيرة وهمًا تجسم وتفاقم فى جو من القيل والقال... ولكنه ظلّ صامتًا.. وعاد إلى أطراقه.. فقال الطبيب الشاب.. يا عم: إذا فرغت من الشهادة التى أرجو أن تكون شفيعى عند الواحد الأحد.. على نحو ما عاهدت عليه ربى.. فأى الأسماء بعد ذلك يكون أحق بالاختيار. فى حالتى هذه..؟ أوليس من تمام الإيمان.. شهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. وإنى لأرجو الله العلى القدير أن يكون حفيدك الثانى «محمد عبده» ثم ضحك قائلاً.. إن زوجتى الودود الولود... وأن غداً لناظره قريب.. ولئن كانت آمالى فيما دعوت به لولدى الأول رهينة بحجب الغيب فى عشرات السنين.. أو تزيد.. فإن تسمية الولد الثانى.. احتمال إن شاء الله قريب...

قام الشيخ عن المجلس ليخلو إلى نفسه طويلاً.. بين صلاة وتسبيح.. وقال لصهره قم لعملك يرعاك الله.. وسأراك إذا انصرفت.

وفى طريق الشيخ إلى القطار.. أمضى لحظات مع صهره فى مكتبه.. وحدّثه هامسًا.. قال: يا بنى إنى عائد إلى مصر.. والله يعلم ما أنا فيه... إنك تعيش فى جوّ من الصفاء لا تعيش فيه كثرة الناس، وإن أعمالك وأقوالك لا يفهمها إلا من حاط دين الله من جميع جوانبه.. وما أقلهم فى زماننا.. ثم سكت لحظة.. وعاد يقول: لقد أتعبتنى مذ عرفتك، ولا أخالك إلا هكذا ما حييت.. عفا الله عنك. ثم شدّ على يده مودعًا.. وقال: على أننى لا أضيق بيوم التقينا فيه.. ولا أتمنى غير الذى جرت به المقادير.. ثم انصرف..

عاد الشيخ إلى داره وأقبل على ابنته وحفيده.. إقبالاً غير مرتقب وطفق يبالغ فى

الإكرام والتدليل حتى ظنت الأسرة أنه يعمد إلى تغطية ما كان من هزة عنيفة بالأمس القريب.. حين وصلت التهانى من حى الظاهر.. ظنت الأسرة أن الشيخ يخاف على ابنته، ويريد أن يوهمها بأنه راض.. ولكن صهره الطبيب جاء بعد ذلك زائراً.. فأحاطه بالرعاية مرة بعد أخرى.. حتى جاء اليوم الذى اصطحب فيه أسرته.. وإذا بها قد غدت.. حين قرر الشيخ أن تكون «سيدة» (وهى الجارية المفضلة فى الدار) عضوا فى أسرة الطبيب من يومها هذا لا تفارق الصغير ولا يفارقها.. ولا تكلف بعمل إلا رعايته.. وخلع عليها الشيخ خلعة فى هذه المناسبة.. جرت هذه الأحداث سراعا.. وأسرة الشيخ لا تدرى كيف تبدلت الحال.. ومرت الأيام والشهور.. ولا جديد حتى نسيت العاصفة التى هبت مع قدوم الولد الأول.. وفى يناير ١٩٠٩ أقام الشيخ حفلا جامعًا للأسرة وللأصدقاء تكريمًا لحفيده «محمد».

قال محدثى أنه سمع من الخواجة إبراهيم عبد الملاك.. إنه ما رأى فى حياته يومًا أشد هولا عليه من يوم الأحد الذى أعلن فيه رجال الكنيسة طرد ولده الأكبر من رحمة يسوع.. وبقيت صورته حاضرة أمام ناظريه.. وهو يهرول مسرعا إلى خارج الدار والهيئة المقدسة تعلن أنه مفقود مفقود.. قال الخواجة إبراهيم «إن هذا اليوم كان أكثر الأيام حلكة كسواد الليل البهيم.. وهذه الصورة كانت لا تفارقنى لأنها أتعس ما رأيت.. حتى جاءنى الخبر بأن ولدى «عبده» الطبيب الناجح.. يدعو ولده الثانى محمدا.. فكانت القاضية.. على ما بقى من أمل أو رجاء».

ومضت شهور فيما يشبه الاستقرار.. سكتت أسرة الشيخ عن نشر مخاوفها وإشاعة الشكوك.. ويئست أسرة الخواجة إبراهيم من السراب الذى بدا حين سمعوا بمولد الابن الأول.. وانصرف كل إلى شأنه الخاص بعد طول اهتمام بالطبيب الشاب وقصته.. حتى كان صيف هذا العام (١٩٠٩) والأسرة الصغيرة فى حياتها الوادعة.. على مقربة من سجن طرة.. والوقت بعد الظهيرة.. والحر قائظ.. والطبيب أنهى عمله وعاد إلى داره.. وإذا بواحد من مساعديه يصعد الدرج مسرعا ويقترب منه.. ليلقى إليه كلاما بصوت منخفض..

الزِّيَارَةُ المفَاجِئَةُ :

بدا على وجه الطبيب أنه لا يكاد يصدق.. ثم رفع صوته متسائلا: أين هو؟؟ قال إنه بباب الدار فنزل من فوره وعاد ومعه ضيف من القاهرة..

كان هذا الضيف هو الخواجة إبراهيم والد الطبيب.. وصل فجأة وبعد قطيعة تامة ومتصلة.. مذ كان ولده فى فترة الامتياز بقصر العينى.. فانسحبت الزوجة والمربية والطفلان إلى داخل الدار.. وبقى الطبيب ووالده لا يجدان ما يقال.. بعد أن تبادلا ما هو مألوف من تحية ومجاملة فى اقتضاب.

قال الطبيب: كيف حال أمى وإخوتى.. وكيف حالك يا أبى؟

وإذ هم الوالد بالجواب.. احتبست الألفاظ فى صدره واعتمد رأسه بين يديه لحظة ثم انهارت بقية المقاومة التى كان يعانيها من وقت مضى.. ثم انفجر كالثاكلات.. ولم يحاول ولده أن يمنعه بل تركه برهة يفرج فيها من همومه.. وأخلى له المكان..

أقبل الطبيب على أبيه حين عاوده الهدوء.. وقال ماذا بك يا أبى.. وكيف أمى وإخوتى؟

قال الوالد إنهم بخير.. نحمد الرب.. ولكن أباك على حافة الهاوية!!

قال الطبيب: هون عليك وأشركنى فيما يؤودك حمله.. لعلى أكون فى عونك..

قال الوالد: لهذا جئت.. ولا أخفى عنك أننى ما سعيت إليك إلا وقد انسدت الدنيا كلها فى وجهى.. وكادت الفضيحة أن تحطم حياتى.. ثم سكت لحظة عاد بعدها يقول وقد تهدج صوته من جديد.. يا عبده: إن البيت الذى ولدت فيه ونشأت حتى أتممت معظم دراسة الطب.. هذا البيت الذى يأوينا ويتسع لأسرتنا كلها.. سيباع بأبخس الأثمان أمام دائرة البيوع بالمحكمة المختلطة وفاء لدين استحق للبنك.. كان الدين صغيرا ولكن «الفوايظ»[1] ومصاريف التقاضى ضاعفته.. والأمر لله. ظل الطبيب ساكنًا يتأمل هذا الحديث المفاجئ.. وعاد والده يقول: وأختك يا عبده.. أختك «ماريجوه» ابنتى الكبرى.. سيكون أكليلها بعد أسبوع واحد.. ولا أعلم كيف أوارى فضيحتى المالية وطردى من البيت.. عن أصهارى الذين يحسنون بى الظن.. وأى مصير سيكون مصير شقيقاتك الأخريات إذا خابت الأولى لإفلاسى.. وإذ ذكر الرجل ابنته الكبرى وفرحتها المهددة دون أن تدرى.. وإذ ذكر بعدها بقية البنات والأولاد.. وما هم معرضون له جميعا من اضطرار لكراء المساكن واحدا بعد الآخر.. على غير ما هو مألوف

(١) يعنى الفوائد الربوية، والعامة فى مصر ينطقونها هكذا: (الفوايظ) تغليظا لحرمتها وتحقيرا لها.

عندهم وعند آبائهم لأجيال مضت.. أظلمت الدنيا فى وجه الرجل وخانته قواه.. وعاد يبكى وينتحب.. حتى رجاه ولده أن يتجلد حتى يتم الحديث.. وسأله كم تبلغ القيمة؟

قال الوالد ثمانمائة جنيه.. والبيت يساوى أضعاف هذه القيمة ولكن جلسات البيع يسودها جو من المناورات والاحتكار البشع.. وإن موظفى البنك أنفسهم يحيطون مثل هذه البيوع بإجراءات جهنمية.. تكفل لهم توجيه البيوع.. على هواهم..

قال الطبيب.. إن هذا عجيب!! أوليست المحاكم تقوم من أجل الحق والعدل.. فضحك الوالد فى مرارة.. قال: يا بنى إنك تعيش فى برجك العاجى .. بعيدا عما يدور فى الأسواق من ظلم وفساد.. إن الدَّين الصغير يكفى للإطاحة بثروة كبيرة.. خاصة إذا وصل الأمر إلى دائرة البيوع، حيث يدفع المبلغ المحكوم به كاملا، نقداً وعداً فى الجلسة.. العلنية.. ومن حول هذه الجلسة الثابتة المواعيد زبانية عتاة.. يتسمعون الأخبار ويتعرفون على كل واحد للمزاد.. حتى ينسحب أو يخضع لتنظيم جائر يحصر البيوع فى عدد من المحترفين.. وهؤلاء بطول الممارسة.. كونوا ثروات كبيرة وأموالهم الحاضرة فى جيوبهم تكفى فى كل جلسة.. لتوجيه البيوع لصالحهم.. وكما ذكرت لك.. إنهم يتصلون بموظفى البنوك ويعلمون من أسرار الناس ما ينتفعون به فى الإجهاز على من يقع فى أيديهم.. فى أنسب الأوقات..

قال الطبيب: لماذا لا تدفع جانبًا من الدين ثم تتدبر فى أمر التسوية الشاملة.. فى فسحة من الوقت..؟ وكأنما شعر الوالد أن ولده لا يريد أن يمد يد المساعدة.. فقال بشىء من نفاد الصبر: يا بنى يا عبده.. قلت لك إن هذا كله قد فات أوانه.. إننى أواجه حكما بنزع الملكية وفاء لدين مقداره كذا.. وإن قلم الكتاب يحصى الأصل (والفايظ) والمصاريف.. وما من رقيب.. وإن سماسرة السوء والكسب الحرام، وسادتهم من المرابين يملكون الجلسة وكأنها عمل خاص بهم.. والقضاء لا يستطيع أن يحسم الداء الذى بدأ ينتشر فى الآونة الأخيرة.. وما هذا البيت الذى يحزننى فقده إلا شيئا تافها بين يدى هؤلاء الدهاة ولكنه مأوانا وملاذنا من قرن مضى.. ثم سكت فيما يشبه اليأس وعاد بعد لحظات يقول: عفوا يا بنى.. لقد أفسدت عليك وقت الراحة.. والجو شديد الحرارة.. ولكن عذرى واضح لك.. وبقيت كلمة أخيرة، أقولها وأنا واثق من أن جميع إخوتك يؤيدونها راضين.. يا عبده: أنت أولى من الغريب فتعال معى فى جلسة البيوع واشتر

أنت البيت قبل جلسة المزاد لقاء دفع قيمة الحكم كاملة.. فلا يضع الغريب يده على دارنا ويسيء إلى أبيك وسائر أفراد أسرتك.

أخلاق الإسلام :

قال الطبيب لأبيه: وهذا ظنك بى يا أبى؟ أن أستفيد مما أنت فيه من ضيق؟!

قال الوالد: ما قصدت شيئا من ذلك أبدا.. وإنما أقول: أنت أولى من الغريب.. ثم إنك لا تلقى بأهلك إلى الطريق العام إن قصّروا فى دفع الايجار.. ثم إن لك أسرة خاصة الآن.. ولها حق على مالك.. هذا ما قصدت فلا تزدنى ألما.. وبحسبى ما أنا فيه..

قال الطبيب.. لا عليك.. اصبر يا والدى وأذن لى بتركك برهة قصيرة.. ودخل إلى حجرته الخاصة.. ثم عاد يحمل شيئا فى يده كأكياس الصيارفة.. ودفعه إلى أبيه.. وقال هذه ثمانمائة جنيه ذهبا.. هى لك يا والدى تصرف فيها كيف تشاء.. دهش الوالد من هذا التحول من الجدال إلى الفعل الناجز.. وسأل فى تكرار: والدار، متى تحضر لاتخاذ إجراءات نقل الملكية إليك؟ قال: لا حاجة لى بها إلا أن تبقى دارك أنت.. فأنت والد الجميع ومن مركزك فى الظاهر وفى الجمالية.. تستمد الأسرة كلها تقدير الناس.. وإنه ليسرنى أن يبقى أبى محل ثقة الناس واحترامهم.

وضع الوالد صرة المال بجواره على «الكنبة» وأطرق وهو يقلب عصاه بين يديه.. ويقول فى صوت خافت تتجاوب فيه أصداء من الشعور بالخجل وبالصغار.. «ماذا فعلت بك وأنا قادر عليك؟.. وماذا فعلت بى وأنت قادر علىّ»؟ وتساقط الدمع من عينيه فى صمت ذليل.. حتى رق له قلب ولده فبكى لبكائه!!

وانصرف الخواجة إبراهيم عبد الملاك يحمل الصرة.. ونجا من ضائقة كادت تعصف به.. وعاد الطبيب إلى داره بعد فترة قصيرة قضاها فى وداع أبيه إلى أن تحرك القطار.. عاد الطبيب وهو يمنى نفسه بساعة من النوم العميق.. ولكنه أخطأ الحساب وأسرف فى الأمل!!

ثورة وغضب :

دخل الدار التى تركها من برهة قصيرة.. وقد كانت هادئة ساكنة.. فإذا بها مسرح



لأحداث تجرى سراعا.. «سيدة» المربية عاكفة على صرة ضخمة من لوازم الدار وملابس الصغار والكبار.. تنسق شيئا من فوق أشياء. وإلى جوارها صرة أخرى فرغت من شد وثاقها.. والصغيران قد وضعا فى ثياب الزينة والزيارات. والزوجة تذهب وتجىء من ركن فى الدار إلى درج يؤدى للسطح.. وهى فى غدوها ورواحها تنقل الأشياء وترفع بعضها وتضع بعضا آخر.. لا تلتفت لهذا القادم إلى داره يريد شيئا من الراحة بعدما كان بين الظهيرة وعصر ذلك اليوم من أحداث مفاجئة.

ظل الطبيب يرقب هذه الحركة الناشطة.. وسكت عن السؤال بعد أن وضح له أن أهل الدار قد صاموا عن الكلام.. وأنهم قد اعتزموا أمرا.. ظل يرقب ويرقب.. حتى رفعت المربية أصغر الولدين إلى كتفها وأمسكت بيد الأكبر.. ورفعت المربية صرة بعد أخرى.. وكان مزاج العصر فى الطبقة الوسطى أن تكون لكل دار مجموعة فاخرة أو متواضعة من الصرات.. لنقل الملابس والحاجيات الصغيرة الأحجام.. ويقال للصرة فى جميع الأوساط «بقجة» أما شنطة السفر فقد تأخر انتشارها إلى عهد طويل بعد الذى عاشته هذه الأحداث.. واستعد الركب للرحيل وتقدمت الزوجة نحو الباب وهى ثابتة على صمتها.. وفى عينيها أثر واضح لدمع تغالبه.. وجاءت المربية من خلفها.. والطبيب الذى أجهده عمل اليوم ولقاء بعده مثير.. ساكن فى ضيق وصبر.. إذ لم يكن الوقت مناسبا حتى لإعلان الغضب عليه.. وإن أبسط قواعد الرحمة تكفل له الإمهال.. حتى يستعيد من طاقاته ما تبدد.. ولكن هكذا كانت الحال عندما عاد..

تقدم الطبيب خطوة إلىّ مدخل الدار واعترض سبيل زوجته وهى توشك أن تنصرف.. فتوقفت. قال إلى أين؟؟ ولا جواب.. والصغير على كتفها والمربية تحمل الأثقال.. والزوج لا يتحول عن مدخل الدار.. وهذه حال لا يطول الصبر عليها فهبطت الأحمال والأثقال إلى أرض الصالة وتقدمت الزوجة من زوجها قائلة: لا تعترض طريقى.. قال حتى أعرف إلى أين؟ قالت إلى بيت أبى.. وهل لى بيت سواه! قال هذا بيتك وهو أحق بك وبأبنائنا.. قالت كنت واهمة كما أنت واهم الآن.. قال كيف؟ قالت إن ما بيننا قد انتهى.. فعاد يسأل: والأسباب؟ قالت ما من سبب ولا غضب.. ويكفى أن تعلم أنك مجنون.. وأنا لا أعاشر المجانين!!

لم يكن الطبيب قد سمع من زوجته الوديعة المهذبة كلامًا كهذا فى أشد الأيام التى مرت بهما.. وبدا له أنها فى حالة من الثورة النفسية لا يؤمن معها نقاش أو جدال فلجأ

إلى الحكمة.. وخلى بينها وبين مدخل الدار.. وقبع فى زاوية من «الكنبة» يرقب التطورات.

انفجرت براكين الغضب الكامن فى أعماق الزوجة وأغراها سكوته.. قالت: إنك مجنون.. تصبح وتمسى لا تذكر إلا الموت.. وأنه قريب من الآدمى ولا حديث لك إذا خلونا سوى التوصية بولديك.. فكيف أعمل بوصاياك وكيف أقوم على تنشئة ولديك إن كنت تتلف المال بهذه البساطة؟ وهو تدبير ما انقضى من عمرك فى الوظيفة وفى المهنة جميعا.. ثم سكتت تغالب دمعها حتى ملكها الغضب من جديد.. قالت: وإلى من دفعت المال؟ إلى من يحترم أصهارك ويحب ولديك؟ إلى من يؤتمن على تربيتهما من بعدك إذا وافاك الأجل صغيراً كما تقول؟ ثم أقبلت على زوجها وجلست فى مواجهته وعلا صوتها وهى تقول: لقد نظرت فى خزانتنا.. فما وجدت إلا حفنة من الدراهم.. وكل ما عندنا من مال للزمن ذهب به أبوك.. فمن أبوك هذا ؟ أوليس هو الذى طردك من الدار ليلا.. كما تقول.. وأغرى بك الكنيسة تلاحقك!! أليس هو الذى قاطعك خمس سنوات أو تزيد.. لا يعنى بشىء من أمرك إلا أن يكون شامتاً فيك أو ساخراً منك ومنا نحن الذين آويناك؟

ظلت الزوجة فى غضبتها الجامحة.. والزوج يلوذ بالصمت.. وقد شعر بأن حق الوالد قد كان مرعيا.. ولكن ما بال الحقوق الأخرى!! كانت الزوجة تصب جام غضبها وهو غارق فى تأمل الموقف من جديد.. ويسائل نفسه: تُرى هل أصبت فى كل شىء، أم فاتتنى أشياء؟؟!!

لم تجد الزوجة بدا من المضى فيما أعلنته من هجر الدار إلى بيت أبيها.. ولم تجد بدا من السكوت بعد أن أفرغت ما عندها من عبارات اللوم والتسفيه.. لما وقع فيه زوجها من تبديد مال مشترك بينه وبين عياله.. وظل الطبيب بغير حراك.. حتى انصرف الجمع الصغير وهدأت الدار.. فاتجه إلى حجرته الخاصة.. وقد بلغ منه الإجهاد.

زيارة الشيخ:

ومضى يومان.. وفى الصباح الباكر من اليوم الثالث.. إذا بصهره يدخل عليه فى

بشاشة ورضا. ومعه أسرته التى ثارت عليه وقاطعته.. وكانت الزوجة تتجنب النظر إليه وتختصر فى رد المقال.. وانسحب النساء والصغار وبقى الشيخ وصهره يتجاذبان أطراف الحديث فى هدوء يسوده كثير من الوئام.

قال الشيخ: ما عرفت على ابنتى أنها كاذبة.. وإنى لأحمد الله على ذلك حمدا كثيرا.. ولقد قصت علىّ كل ما جرى فى هذه الأيام الأخيرة.. وكل الذى وجهته إليك من أقوال كما وصفت تصرفك معها.. ورأت بعد أن سكت عنها الغضب أنها أخطأت.. من الألف إلى الياء..

ضحك الطبيب الشاب.. وقال ما أظنها جرأت على أن تنقل إليك ما ألقت به فى وجهى من قصائد المدح والثناء!! قال الشيخ يجوز أنها اقتصرت فى هذا الأمر.. حياء مما صنعت ولكن القدر الذى اعترفت به كان كافيا لإدانتها والحكم ببراءتك.. وما بك من حاجة إلى إحصاء المزيد من الحيثيات.. ثم أن الشيخ ترك هذا التبسط فى القول ونقل الحديث إلى أمر الموازنة بين واجبات الزوج نحو أسرته الصغيرة الناشئة وما يواجهها من أدوار فى الحياة تتطلب الحرص والحذر.. هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى واجباته نحو أهله بوجه عام وأبويه بوجه خاص..

وكأنما كان يمهد لابداء رأيه فيما وقع على ابنته وولديها من غبن واضح.. ثم استأنف الحديث بعبارة أكثر صراحة.. قال الشيخ: وفى حالتك يا دكتور عبده.. أنت أدرى الناس بما حدث.. ثم إن والدك هذا قاطعك سنوات.. ولم يظهر فجأة إلا ليستدر عطفك عليه وهو فى محنة تمس البيت كله!! وبأى حق يطلب منك إنقاذ بيته ومستقبل ابنته وقد فرق بينك وبينهم الدين؟! فأنت لا ترث أباك ولا أمك ولا أحدا من قرابتك.. وهم جميعا لا يرثون!!

حكم الله عز وجل:

كان الطبيب مطرقا وهو يستمع.. ثم رفع رأسه وهو يجيب على هذا التساؤل.. وقال: بحق الوصية التى فرضها له الملك الديان.. بحق الكتاب الذى آمنت به وجعلته وسيلتى إلى رضاء خالقى.. الذى هدانى.. أو ليس من كلام الله جل وعلا قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨].. توقف الطبيب برهة.. ثم استأنف الحديث وهو يقول: وآيات سورة لقمان.. أليست تزيد التوصية تفصيلا.. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

ساد الصمت برهة وكل من الرجلين يتدبر النص الكريم ويستعيد الوقائع التى مرت تباعا فى الأعوام العشرة الماضية.. مذ كان عبده إبراهيم لا يزال بالمرحلة الثانوية وما تلا ذلك من أحداث.. ثم عاد الطبيب يقول: هذا القول يتلوه كل مسلم ويؤمن به.. ما فى ذلك من ريب.. ولكن حدثنى بربك يا شيخ عبد الحميد وأنت رجل علم وتجربة.. ألست ترى معى أن هذه الآيات تأخذ بناصيتى وبناصية كل عبد هداه الله من بين فئة كبيرة على ضلال؟

ظل الشيخ ساكنًا لا يبدىء ولا يعيد.. واستأنف الطبيب قوله: لقد جاهدانى.. وأشهد الله.. ولعل أبى كان أشد قسوة.. ولكن أمى كانت تراقبنى وتمهد لمن يراقبنى وتغرى بى أبى ظنا منها بأن هذه الملاحقة فيها الخير لى.. وقد ربط الله برحمته على قلبى فما أطعتهما.. وضربت بيننا الأيام حجابا من مشاغل الحياة ومن ضيق النفوس بالقيل والقال.. وما أظننى على صواب فيما كان من قطيعة.. لأن الله جل وعلا يقول ﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾ فأى معروف هذا إن كنت أصر على قطع ما بينى وبين أبوى..؟ ثم ارتفع صوته وهو يقول: وأى معروف هذا لو أن أبى عاد من زيارتى دون أن أنقذه.. وبقى المال راكدا فى خزانتى؟ أتظن يا شيخ عبد الحميد أن المال هو الذى يصلح من شأن العيال بعد فقد عائلهم؟ أنت تعلم أن الأمر على خلاف ذلك.. وأن الحق هو ما أنبأنا به الرحمن حين قال فى سورة الكهف ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾.

بقى الشيخ ملازما الصمت والإطراق.. وعاد الطبيب يقول فيما يشبه الاستفهام: أو

لا ترى معى يا شيخ عبد الحميد أن مجىء أبى إلى دارى بعد أن سمع بمولد محمد.. قد كان من جانبه كركوب أشد الأهوال وأقساها؟؟.. أو لا ترى أن هذا السعى من جانبه.. إلى بيت ولده الذى عرف حقيقة أمره، هو نصر من عند الله لى..؟

إننى لا أنكر أن التصرف الذى صدر عنى قد مس حقوق أبنائى وزوجتى.. ولكن المبادرة كانت قضاء لا فكاك منه.. ومع ذلك سننظر فيما تأتى به المقادير إن شاء الله تعالى.. قال هذا وقد اعتزم فى نفسه أمرا..

قام الشيخ يريد الانصراف.. وإذا بابنته تعترض على ذلك.. وتتشبث به.. فرفع عصاه.. ولكن الزوج أسرع.. وقال ما هكذا يكون الاقناع.. قال الشيخ لابنته: يا هذه.. إنك لا تدرين شيئا، إنك لا تعرفين مع من تعيشين.. فاحمدى الله أن هيأ لك ما أنت فيه..

- كان هذا الموقف فاصلا بين عهد لا يخلو من قلق وارتياب وبين عهد ساده الاطمئنان إلى دخيلة الطبيب الشاب وصدق إسلامه وحرصه على اتباع أحكام الدين الحق.. فزاد قربه من الأسرة ومن الناس.. واتجه إلى الخروج من العزلة التى كان يرتاح إليها فى خدمة السجون.. والتحق بوزارة الصحة.. فكان طبيبا لمركز السنبلاوين نحو أربعة أعوام، ثم قضى مثلها فى مركز ههيا.. حتى وافاه الأجل فى شهر يونيو سنة ١٩١٨.

- رزق من العقب، بعد من تقدم ذكرهما، باثنين هما محمود وإبراهيم.. وقبيل وفاته رزق بابنته الوحيدة «علية» قال وهو ينتظر المولود الخامس.. هو على أو هى علية.

- ومن خصاله رحمه الله.. حرصه على تربية أبنائه بنفسه رغم مشاغله الكثيرة.. فهو يحاسبهم على نشاطهم العلمى يوما بيوم، ويقرئهم القرآن فى يوم الجمعة من كل أسبوع.. ويمتحنهم فيما حفظوه.. وكان يتحدث إليهم باللغة العربية الفصحى فى كل شئونهم.. ما كان منها يتصل بالدراسة وما كان هينا من شئون الحياة اليومية.. ويصلى بهم إماما حين تجب الصلاة وهو بينهم.. وفى مجال الرياضة البدنية وفلاحة البستان الصغير الملحق بالدار.. كان يشرف عليهم ويسهم بمقدار.

- وفى حياته العملية والاجتماعية.. لم يكن له عديد من الأصدقاء.. وإنما كان

يفرض احترامه على الناس بسلوكه.. روى لى من لا أتهم.. قال إن الدكتور عبده وجد إهمالا بالغا بالشئون الصحية لواحد من المساجد فى قرية تقع فى اختصاصه.. فنبه إلى النتائج الخطرة التى تترتب على تلوث الماء، ومن ثم نقل العدوى، وطلب من العمدة أن ينصح الناس بأن يكون حضورهم للمسجد بعد أن يتطهروا فى بيوتهم.. وبأن يتركوا الدورة حتى يعاد بناؤها كما ينبغى.. ولكن بيوت الفلاحين لا تسعف بشىء من ذلك.. وادراكهم لمعنى العدوى وآثارها لا يدعوهم إلى تأمل نصائح الطبيب وتقديرها.. فما استجابوا لشىء منها.. وظنوا أن الخلاص من تدخله ميسور بطريق أيسر.. وفى تفتيش تال.. كانت الحال أسوأ.. واتصل الطبيب بالمركز تليفونيا وطلب من الإدارة أن تتدخل بالقوة الجبرية لانفاذ توصياته.. وكان لابد من مرور وقت كاف لوصول هذه القوة بقيادة المعاون.. وفى هذه الأثناء.. أكد العمدة أنهم يقدرون تعب الطبيب وغيرته وعلمه والتمس منه باسم الأهالى ألا يمضى فى الإجراءات التى بدأها.. وأيد العمدة أقواله والتماسه بشىء دسه فى جيب الطبيب.. يقول الراوية: لم يحدث مثل ذلك إلا نادراً.. وأن تصرف الرجل فى أمثال هذه المواقف.. له دلالات.. فماذا فعل الدكتور عبده.. والسلطات الإدارية بالطريق.. وكل من المعاون والمأمور يحرص على مودته ولا يتردد فى أحكام الحلقات من حول العمدة ومن شاركه فى فعلته هذه!!

نادى الطبيب شيخ البلد وفريقًا من رجال القرية يرقبون تطور الأحداث وأقبل عليهم فى هدوء.. وقال يا أهل البلد.. اعلموا أن عمدتكم قد حاول أن يشترى سكوتى عن اهماله الخطير فى حقكم.. بمال لا حق لى فيه.. فهو مالكم.. وأنتم به أولى ومسجدكم أحق به إن كنتم لقيمة المساجد واعين.. ولمقدار الخطر المحيق بكم مقدرين.. ألا فاعلموا أننى لا أبغى إلا رضاء الله جل وعلا بالمحافظة على طهارة بيته.. وإنى لأرجو أن تسمحوا لى بحكم الصلاة الجامعة التى تربط بين كل مسلم وأخيه المسلم فى هذا المسجد وفى كل مسجد.. أن يكون لى من الثواب نصيب.

ثم التفت الدكتور عبده إلى عمدة البلد.. وقال له: هذا مالك، عفا الله عنك، وهذا قدر ضئيل أسهم به.. ولا أبرح مكانى هذا حتى أرى ما أنتم صانعون.. فإن أصغيتم لصوت العقل فإن أحدا منكم لا يمسه سوء.

قال محدثى: بادر بعض المتحمسين فبسط غطاء رأسه على الأرض.. والقى فيه بكل

ما كان في جيبه.. وتنافس الغني والفقير.. وانطلق بعض من شهد الاجتماع إلى داره ليعود بشيء يقدمه.. وتسامعت القرية بالخبر.. فما بقي من رجل في القرية لم يلق في المال المرصود للمسجد بقليل أو كثير.. وإذا بالنفقة التي ظنها المسئولون عن القرية.. مانعة..إذا بها تجمع في ساعة أو بعض ساعة.. ووصلت قوة من المركز تسأل عن الواقعة وظروفها.. وفيم كان استدعاؤها.. وتولى طبيب المركز .. (أو مفتش الصحة كما كانوا يقولون) وقرر في المحضر الرسمي.. أنه أخذ على العمدة تقصيره في طهارة المسجد..وإذْ أثبت العمدة حسن نيته وأن ما منعه لم يكن إلا العجز المالي للقرية.. فقد عدل الطبيب عن شكواه وأثبت في المحضر القيمة التي جمعت والهيئة التي اختارها الأهالي من بينهم لتنفيذ التوصيات الصحية.

ولئن كان هذا المثل بالغ التواضع إذا قيس بالقدر الذي جمعته القرية.. إلا أنه كبير القدر بدوافعه وأهدافه.. ثم أنه مثل صالح لسلوك الموظف العام.. إذا كان سليم العقيدة، مراقبًا لله تعالى في أقواله وأفعاله.

❋❋❋

كوريا الجنوبية :

١٢- عبد القوى روسبنج أوك
(بطل رياضي)

عبد القوى روسبنج أوك بطل رياضة الكوندو الكورى، مسلم قوى كما يدل على ذلك اسمه، فهو يتمثل الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول ﷺ: «المسلم القوى خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف، وفى كل خير».

وقد يتساءل المرء: هل هناك مسلمون ونشاط إسلامى فى كوريا ؟ والجواب: بالفعل هناك نشاط إسلامى ناشىء فى كوريا الجنوبية. ففى مدينة (سول) العاصمة التى يقدر عدد سكانها بحوالى أربعة ملايين نسمة هناك مسجد كبير فى قلب العاصمة، وهناك اتحاد مسلمى كوريا الذى يضم نخبة ممتازة من الشباب المسلم، وهناك مجلة كوريا إسلام هيرالد.

ومن أهم العاملين للإسلام فى كوريا شيخ باكستانى مسلم يدعى: (سيد محمد جميل) الذى تجاوز السبعين من العمر، والذى يزور كوريا من حين لآخر فيهتدى على يديه مئات الناس هناك.

لم يكن له دين !!

بدأ لقاؤنا بالأخ عبد القوى بسؤاله عن رياضة (الكوندو) ؟ وهل تشبه (الكاراتيه) ؟ فأجاب بقوله: إنها تعتمد اعتماداً كبيراً على (الكاراتيه) ولكنها تستغل كل مفاصل وأعضاء الجسم فى الدفاع عن النفس.

ثم سئل عن دينه السابق فأجاب: لم يكن لى دين من قبل، إلا إنّ الإنسانية فى سائر الجهات وفى جميع الأوقات تحس فى وجدانها بالحاجة إلى التعلق بسلطان غيبى فوق ما فى الكون من قوة ومن أسباب، وإن هذا الشعور قد أوجد عندها نوعًا من التدين المطلق، أى التعبد الفطرى لرب تتعلق به فى كل ما تحتاج إليه، ولكن قد يجد الإنسان أن هذا الرب تقوم حوله الشكوك، ويجد أن هذا الدين المتّبع فى مجتمعه لا يهدى إلى

سواء السبيل، وهذا ما لمسته فى كل المعتقدات التى تعرفت عليها ما عدا دين الإسلام الحنيف.

الإيمان بالله فطرة أصيلة :

ثم كان السؤال التالى للأخ عبد القوى: هل تعتقد أن فطرة التدين نابعة من حاجات بيولوچية وفسيولوچية يتصور معها الإنسان الضعيف أن للكون إلها ؟ ثم إذا تقدمت عقليته لم يعد يشعر بمبرر للاعتراف بالألوهية مثلما يردد بعض الملحدين اليوم؟ وما تعليقك على ذلك؟ فأجاب بقوله: لقد ساد هذا الاعتقاد على أثر انتشار نظرية دارون التى تتحدث عن أصل الأنواع ثم ظهرت الفلسفة المادية الإلحادية، ولكن لا يستطيع عاقل أن يصدق ما يقوله الملحدون ويفسرون أصل الكون بأنه نتيجة الخلق الذاتى، وأن الانتخاب الطبيعى هو سبب النشوء والارتقاء، إذ كيف نتصور قيام هذه الحياة بكافة صورها وأشكالها التى تتعدى الحصر فى البر والبحر والجو وفى الإنسان والحيوان والنبات والجماد.. كيف يمكن أن تنشأ هذه المخلوقات من تلقاء نفسها ؟ هذا منطق مغلوط يأباه العقل السليم وتأباه الفطرة، ولا تردده إلا جهات متآمرة على البشرية وعلى الأديان كلها!!

ويضيف الأخ عبد القوى قائلاً: ليس الخوف من الطبيعة وحده هو الباعث على التدين، لأن الإنسان المعاصر لم يتخل عن فطرة التدين رغم تحرره من الخوف، ولن تحل النظريات العلمية والفلسفية الحديثة مهما بلغت من التقدم محل الإيمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر، ولا تؤدى وظيفة هذه العقيدة فى إصلاح النفوس والمجتمعات وتحقيق الخير للأمم والشعوب.

الطبيعة من مخلوقات الله :

ولعل من المناسب هنا أن نضيف بأن الفارق الجوهرى بين موقف الإسلام من الطبيعة وموقف العلماء الماديين المعاصرين منها هو أن الإسلام يعتبر الطبيعة صديقًا من أصدقاء الإنسان فهى من مخلوقات الله، وهى تسبّح الله مع الإنسان، لذلك يأمر الإسلام أتباعه بالتفكر فى ملكوت الله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ فلا خوف فى الإسلام من الطبيعة، وإنما صداقة ومودة، ورغم ذلك فقد أدى هذا التصور الإسلامى إلى

معرفة الخالق سبحانه وتعالى، أما العلم الحديث القائم على المادية فهو فى الحقيقة ثمرة طبيعية من ثمار تلك النظرة المتخلفة إلى الطبيعة والخوف منها، لأن العلم الحديث يعتقد أنه فى صراع مع الطبيعة وأن عليه التغلب عليها، ومن هنا كانت هذه النظرة نتيجة خاطئة لمقدمات مغلوطة.

يقول الأخ عبد القوى: لقد أدركت أن الدين يهدى الفرد إلى معرفة الأشياء، ويدلّه على أقوم السبل وأوضحها للوصول إلى خير الدنيا والآخرة، فهو المنطلق الذى يرشد الفطرة الإنسانية لتحقيق الصعود فى مجالات الرقى ومعارج التقدم فى مختلف أنواع المعرفة والحضارة.

الإيمان بالله روح الحياة:

ثم سئل الأخ عبد القوى: ما أثر الإيمان بالله فى حياتك؟ فأجاب: إن الحياة بدون الإيمان بالله كالحياة فى جزيرة موحشة، والحياة مع الإيمان خروج من ضراوة الظلام إلى حنان النور، ومن غيبوبة الفكر إلى صحوة العقل، لقد كنت كاليتيم الذى لا يجد من يؤويه فأصبحت بالإيمان أشعر بالدفء لانتمائى إلى أسرة تملك كنزاً لا يفنى وأعنى به الإيمان بخالق هذا الكون، الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

ثم كان السؤال التالى:

أنت نجم عالمى تملأ الأضواء حياتك ومع ذلك شعرتَ بحاجتك إلى الإيمان بالله فما هى الأسباب التى دعتك إلى ذلك؟

يقول الأخ عبد القوى جوابًا على السؤال:

رغم كل تلك الأضواء وهذه الشهرة كنت أعيش فى فراغ، ولم تستطع تلك الشهرة أن تبعد عنى حالات القلق والسأم وشعرت أنه لابد من شىء يملأ القلب، ويشعرنى أن هناك ما هو أغلى من هذه الحياة وأكثر قدسية منها، وأنقى من الوجود نفسه، فلم أكن أشعر بمتعة النفس مهما نالت من الشهوات، كنت أفكر فى دين يملأ قلبى بالحب والإيمان والطمأنينة.

- وهل وجدت ضالّتك فى الإسلام؟

الإسلام غاية حياتي :

نعم، لقد وجدت فى الإسلام ضالتى المنشودة وسعدت به، وشددت رحالى إلى القاهرة بعد اعتناقى الإسلام راغبًا فى التزود بتعاليم الإسلام وعلومه وفقه الدين والدنيا ، لقد قدمت أوراقى لجامعة القاهرة وأخذت أدرس الاقتصاد والعلوم السياسية قسم الدراسات العليا ، كما بدأت أتعلم اللغة العربية لا لكى أكون مجيداً لها للتخاطب فحسب، بل أريد أن أدرس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، حتى أكون داعية للإسلام فى وطنى كوريا .

ثم سئل الأخ عبد القوى عن أثر الإسلام فى حياته ؟

فقال: إن الإسلام دين يزرع فى القلب الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى، ومتى آمن الإنسان بالخالق تمسك بمبادئ الإيمان التى أمر الله بها،والتى طبقها ونفذها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

الرياضة تربية وإرادة :

وبصفة الأخ عبد القوى بطلاً فى رياضة (الكوندو) وُجِّه له السؤال التالى:

هل عملت على نشر رياضة الكوندو بين الشباب المسلم؟ فأجاب بقوله:

لقد حرصت منذ أن وصلت إلى القاهرة على زيارة الأندية الرياضية، كما أساهم فعلاً فى تدريب الشباب على هذه الرياضة التى بدأت تنتشر ويتسابق العالم فيها ، وهذه الرياضة تنفر من العنف رغم أنها عنيفة لأنها ضد المعتدين، فهى لا تستخدم إلا فى حالات الدفاع عن النفس إذا كان المدافع عن نفسه أعزلَ من السلاح وكان المعتدى مسلحًا .

ولما كان الأخ عبد القوى نحيف الجسم ضامره سئل عن مدى استطاعته القيام بهذه الرياضة الشاقة؟ فقال: أنا لا أغادر غرفتى كل صباح يوميًا إلا بعد تدريب نفسى على قوة الإرادة، وطريقة ضبط النفس والتنفس الصحى، وتحريك كل جزء من جسمى وتدريب كل عضلة، وضبط شهوة النفس عند حد معين فى المأكل والمشرب والتصرف الخاص والعام.

بعد ذلك وجهنا للأخ عبد القوى السؤال المثير التالي:

يقال أنك تستطيع مواجهة ثلاثين رجلاً بمفردك، وتستطيع التغلب عليهم بهذه الرياضة فهل هذا صحيح؟ فأجاب بقوله:

نعم، ولكن اعتمادى لا يكون على تلك الحركات بل على العقل الذى تدرب على استغلال نقاط الضعف فى مفاصل الجسم البشرى، وعلى التدريب الشاق المتواصل.

الأخلاق والمثل العليا:

ثم سئل الأخ عبد القوى عن وضع الإسلام والمسلمين فى منطقة شرق آسيا فقال: أحب أن أوضح أن أبناء شرق آسيا لم تلوثهم المدنية الحديثة، وقد يتوصل بعضهم إلى درجات عالية من العلم الحديث والتكنولوجيا، ولكن يظل الواحد منهم ثابتًا على معتقداته الدينية، كما يتميز أبناء هذه المنطقة بالحكمة، ويعشقون الخلق الرفيع ويقدرون المثل العليا، ولكى نحظى باحترام هذه الأقوام وحبها ينبغى أن نكون مثالاً طيبًا للتمسك بالأخلاق الكريمة، والإسلام يقول: الدين حسن الخلق كما جاء فى معنى الحديث الشريف، فإذا طبق المسلمون ذلك كانوا بحق خير دعاية للإسلام.

تعليق المؤلف:

وبعد، فهذا الحوار مع الأخ عبد القوى يستدعى التعليق من ناحيتين:

الأولى، أن الإسلام الذى يسعى إلى السمو بروح الإنسان ويقوى صلته بالله وبالدار الآخرة، لا يهمل فى الوقت ذاته جسم هذا الإنسان، والعبادات فى الإسلام أساسها نظافة البدن وطهارته، حتى إن على المسلم أن يتزين عند كل صلاة، ومن هنا وجد الأخ عبد القوى مكانًا مناسبًا له فى هذا الدين.

والناحية الثانية، هى أن كوريا الجنوبية بدأ كثير من أبنائها يتجه إلى الإسلام، فهناك مئات العمال الكوريين يعملون فى شركات للمقاولات فى العالم العربى وكثير منهم مسلمون، كما أن هناك مؤلفات عن الإسلام باللغة الكورية، ومن أبرز المسلمين الكوريين الحاج (صبرى سوه)، فهناك بداية نهضة إسلامية فى كوريا تحتاج إلى رعاية والله غالب على أمره.

انجلترا:

١٣- رودا جوردون أمين

هذه قصة امرأة إنجليزية تلقت تعليمها فى مدارس الكنيسة الإنجليزية، وكانت تعتقد أن الإسلام دين الوثنيين، وأن الدين المسيحى هو الدين الحق الوحيد. تقول الأخت روداجوردون أمين فى مقابلة لها مع مجلة إسلامية:

فن وأساطير:

ما أصعب أن يكتشف المرء حقيقة دين من الأديان، إنك إذا تلمست البساطة والعذوبة اللتين يتحلى بهما تمثال منحوت على البوابة الغربية لكاتدرائية شارتر، أو تتبعتَ الأقواس الشاهقة فوق صحن كنيسة إميان، فإنك بلا شك تقتبس نفسًا من الإلهام الدينى لهؤلاء الفنانين الغوطيين. ولكنك إذا تأملت المعالم الأخرى فلا تملك إلا أن تنفر من الأساطير التى تعبر عنها، والشياطين التى تنتظر المتهورين ذوى الوجوه كوجوه الخنازير من المخلوقات التى هى دون مرتبة البشر، تلك المخلوقات التى تقطن البلاد الشريرة خارج نطاق المسيحية، هذا هو التناقض الهائل فى الفن المنحوت بين ما يمثل المسيحية وما يمثل كل ما هو خارجها.

صُورَةٌ وَهْمِيَّةٌ عَنِ الإِسْلَامِ:

وتضيف الأخت رودا قائلة:

صحيح أن الناس فى الشرق والغرب قد أصبحوا الآن أكثر تعرفًا على معتقدات ومبادئ بعضهم بعضًا إلى أن ظلال العصور الوسطى لا تزال قابعة فى مؤخرة الصور التى نرسمها عن بعضنا البعض، فالفكرة التى يكوّنها كثير منا نحن الغربيين عن الدين الإسلام بالذات، والتى يغرسها نظامنا التعليمى، لا تزال باطلة خيالية وهمية، وقد ساعدت بعض المؤلفات فى الآونة الأخيرة على تبديد الشبهات، إلا أننى أنا شخصيًا، وكنت أذهب إلى المدرسة قبل الحرب العالمية الثانية أشهد بما يلى بكل أمانة:

فى أيام مراهقتى لم أتلق أى تعليم رسمى فى الدين المقارن، بل تعلمت أن الدين

المسيحى هو الدين المقارن، بل تعلمت أن الدين المسيحى هو الدين الحق الوحيد، وأن الكنيسة الإنجليزية - دون سائر الكنائس الأخرى - هى الكنيسة الصحيحة كذلك.

ثم تقول الأخت رودا: ومما يبعث على السرور أن هناك فى الوقت الحاضر، حركة لتحقيق الوحدة بين شتى الكنائس، كما أن عدداً متزايداً من الأفراد يبحثون عن فهم متبادل بين الأديان الكبرى، فمنذ أشهرٍ قليلة مثلاً، جاء أعضاء أمريكيون فى جمعية الأصدقاء إلى هذا الجزء من العالم الذى يسمى الشرق الأوسط بالنسبة لموقعه من الغرب، والذى يجب أن يدعى كما يقول الأستاذ أرنولد توينبى فى محاضراته التى ألقاها هنا فى الآونة الأخيرة: «المركز»، مركز العالم القديم على الأقل، هؤلاء الأعضاء قدموا إلى البلاد الإسلامية لمقابلة قادة الفكر الإسلامى لإجراء حوار معهم، يهدف إلى تحقيق فهم أفضل بين الأديان.

وكان السؤال التالى للأخت رودا: هل تعتقدين بوحدة الأديان الكبرى فى العالم؟

فأجابت بقوله: هناك فى الواقع اعتقاد متزايد، أشارك فى الإيمان به، بوحدة رسالات الأديان الكبرى، وحدة أخفتها العداوات والشبهات التى أوجدها الإنسان نفسه. وهذا الاعتقاد ليس جديداً، فقد نادى به محمد عبده عندما قال: إن الدين فى جوهره واحد، وأن جميع الأنبياء يؤمنون بدين واحد، وأن جمال أى شخص لا يتمثل فى الدين الذى يعتنقه رسميًا، بقدر ما يتمثل فى كيفية تفسيره وفهمه لهذا الدين، وكيفية تصرفه تجاه ذلك التفسير وهذا الفهم.

لماذا اخترت الإسلام؟

ولك أن تسأل لماذا اخترت الإسلام بالذات؟ لِمَ لَمْ أنضم إلى الحركة الإنسانية الجديدة التى ظهرت مؤخراً؟ أو إلى المحاولات العلمانية التى تسعى إلى رؤية عالمية؟ والجواب هو تمامًا كما لو فقدتُ عقداً من اللآلئ الحقيقية فى تراب غرفة مهملة، فأنا أفضل أن أبحث عنه فى هذا التراب، وأسعى جاهدة لإزالة ما علق به وصقله بعناية، بدلاً من أن أندفع لشراء عقد من اللآلئ الصناعية ذات البريق الكاذب، واللآلئ هى الحكمة المتجمعة من خبرة الإنسان وتجاربه الدينية.

ثم توضح الأخت رودا الفارق فى نظرها بين الدين والعلم فتقول: إن الدين، والأخلاق

بصورة عامة، لا تتطور بنفس الطريقة التى يتطور بها العلم، صحيح أن العلم يجمع حصيلة الخبرات أيضا فى إطار خبراته وطريقته، إلا أنه يمضى قدمًا فى مراحل واضحة ممكنة من استبعاد ونبذ نظرياته السابقة بشكل صارم متيقن، وقد ظهرت هذه الحقيقة فى بعض الأحيان بشكل درامى كما حدث فى تطور علم أصل الكون من جهة، وفى علم الفيزياء النووية من جهة أخرى. فنظريات الماضى بالنسبة للعلم ليس لها فى الغالب إلا قيمة تاريخية بحتة.

ثم تقول: صحيح أن الدين قد تطور من المراحل البدائية لعبادة الطبيعة والسحر[1]، إلا أن تقدمنا فى مجال الأخلاق منذ عهد الأنبياء لا يزال موضع خلاف، فإذا عَرَّفنا الدين بأنه إدراك للحقائق الأخلاقية، واتباع للحياة الطيبة، فلا يمكن أن نجد أننا فى حالة سعيدة من التقدم المستمر كما هو الحال بالنسبة للعلم، فقد عاشت هذه الحياة الطيبة الخيِّرة نماذجُ من العصور السابقة، ويمكننا أن نتعلم منهم كما نتعلم من أفضل معاصرينا، وبديهى أننا فى وضع دقيق الآن بالنسبة لأخلاقنا التى لم تتطور بشكل يوازى قوة أسلحتنا.

وتضيف قائلة، لذلك لا مبرر لنا أن ننبذ رسالات الأنبياء مثلما نبذنا جانبًا علم أصل الكون عند بطليموس، أو محاولات تفسير الطيف قبل تطور الأجهزة الذرية لقياس ذلك، فالحياة الطيبة أشد صعوبة فى تحقيقها من التقدم العلمى، نستطيع بعلمنا أن نصنع لآلئ صناعية مزيفة، ولكننا لا يمكن أن نصنع لآلئ الحكمة الحقيقية، لذلك كان من الأفضل لنا أن نجمع الجواهر الحقيقية التى منحنا إياها الأنبياء، وهى الرسالات القيّمة للتجارب الدينية المقنعة والرؤية الخلقية والوحى المنزل من السماء.

ثم تقول: وبالإضافة إلى ذلكَ كله شعرت بحاجة داخلية إلى عقيدة تستند إلى العقل، وقد سعى الإمام محمد عبده إلى توحيد الأديان فى ظل الإسلام، فقال بأن أديان التوحيد الكبرى عبارة عن سلسلة لوحى سماوى مستمر، وهو بذلك أراد أن يعقد صلحًا بين الأديان الكبرى فى العالم، والإسلام يبدو لى بأنه يعبر عن هذه الوحدة، فهو يعلن أن موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم جميعًا رسل الله الواحد سبحانه.

(١) الذى تطور فى مراحل هو أديان البشر التى اخترعوها، أما الدين الإلهى الذى جاءت به الرسل فقد بدأ منذ آدم عليه السلام على غاية الكمال.

دين العقل والفطرة:

وهذه بعض الأركان الأساسية فى الإسلام وجدتها مقنعة ومنسجمة مع العقل:

١- إن الإسلام يعلن بطريقة لا لبس فيها أن الله واحد لا شريك له، ولا يدع أى مجال لأى تعقيد أو شك فى هذه القضية المهمة.

٢- إن رسالة الإسلام موجهة للناس كافة، وهذه ثمرة من ثمار التوحيد.

٣- إن الإسلام دين التسامح، فمن الواضح أن المسلمين لهم سجل حافل بالتسامح أكثر من اتباع كافة الديانات الأخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر محاكم التفتيش فى أسبانيا، وكيف كان اليهود مضطهدين من قبل النصارى فى العصور الوسطى ولكنهم فى الوقت ذاته كانوا يتمتعون بحرية العقيدة فى ظل الحكم الإسلامى، ويساهمون فى تطور الحضارة والثقافة. وشاهدنا على ذلك ابن ميمونة اليهودى. ولعمرى إن التسامح هو التربة الخصبة لوحدة الإنسانية.

٤- إن الإسلام يخاطب العقل ويدعو إلى طلب العلم، فكثير من آيات القرآن الكريم تدعو إلى النظر فى آيات الله فى الخلق، وهنا نجد وحدة بين العقيدة والمنطق ودمجًا بين النواميس الطبيعية والقوانين الأخلاقية، وهذا يدعونى إلى مناقشة المعجزات.

فتنزيل القرآن بالوحى يُعتبر معجزة تمامًا كالوحى السابق الذى نزل على الأنبياء السابقين، كما أن آيات الله فى الكون هى أيضًا معجزات فى الخلق ذاته، وفى رأيى أن معجزة الخلق ذاتها هى أعظم المعجزات. لأن من المناسب أن تعتقد أن الله يجرى نواميس الكون حسبما خلقها لا العكس، ونحن فى لحظات الوعى الشديد المتيقظ نحس أن الطبيعة التى ألفناها من حولنا هى من أعظم المعجزات، ابتداءً بأشعة الشمس التى توقظنا فى كل يوم جديد، إلى النملة الصغيرة التى نجدها فى السكر.

ظروف ومقدمات الإسلام:

ثم تقول: سأذكر الآن بعض الظروف التى ساهمت فى إعدادى وتهيئتى لقبول دين غير معروف من قبل لدىّ، وفى البلد الذى ولدت فيه:

أولاً: ولدت ونشأت فى الصين، وقامت مربية بوذية بالعناية بى، وكانت طيبة كأى



امرأة مسيحية تمامًا، وتعلمت لفترة من الزمن بين أطفال من مختلف الجنسيات والأديان.

ثانيًا: رغم أن والديّ كانا أعضاء في الكنيسة الاسكتلدنية المعمدانية حيث قاما بتعميدي، فلم يكونا متدينين بالمفهوم الضيق للكلمة؛ اعتقد أنهما كانا متدينين بأفضل ما يمكن أن تحمله هذه الكلمة من معان. وقد علماني دومًا أنا وإخوتي أن علينا أن نحترم أديان الآخرين التي تختلف عن ديننا، وأن هناك أناسًا طيبين خارج الكنيسة تمامًا كما هو موجود داخلها.

ثالثًا: في الجامعة تعلمت شيئًا من الشجاعة الأدبية فتساءلت عن المعتقدات السائدة؟ وأعربت عن شكوكي التي كانت تساورني، بعد أن كنت أخفيها حتى عن نفسي؛ لقد أحببت شخصية المسيح وتعاليمه، إلا أنني لم استرح فكريًا لقصة التضحية التي لم يكن منها بد من جانب الرب من أجل أن ينقذنا، وكثير من الطلاب في الجامعة أعلنوا عدم إيمانهم لأنهم نظروا إلى المسيح كرجل فحسب، رجل يحب قومه مثل غاندي[1]، وفي الجامعة أيضًا كان هناك طلاب لهم عقائد أخرى، وكان من بين أصدقائي فتاة باكستانية مسلمة تدعى عقيلة بيرلاس كانت تحدثني عن دينها بأسلوب مقبول تمامًا، وفي الجامعة تعرفت على الإسلام من خلال هذه الفتاة ومن دراستي العلمية أيضًا، وتزوجت رجلاً مسلمًا إلا أنني لم أرض أن أسلم لإسلامه، وظللت في حذر وترقب حتى أسلمت عن اقتناع فألفت كتابي «سبع سنوات في الشمس» خصصت جزءًا منه للتحدث عن الإسلام.

وبهذه الطريقة التدريجية كان إسلامي، فاخترت العقل والنور حين اخترت الإسلام.

۞ ۞ ۞

(١) شتان بين المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وبين غاندي الزعيم الهندي الذي كان يدافع عن عبادة الهندوس للبقر، وكلاهما بشر خلقه الله.

تايلاند:

١٤ - عثمان عبد الله

(بريشا بنكمرت سابقاً)

بريشا بنكمرت من رجال التربية والتعليم بمملكة تايلاند. نشأ فى أسرة بوذية يتمسك أفرادها بتعاليم وفلسفة بوذا، ويحرصون على الانخراط فى سلك الرهبنة لفترات معينة من حياتهم، ورغم تفانى هذه الأسرة فى الأخذ بمبادئ بوذا وفلسفته التى لم يتبق منها غير الأساطير والخرافات - وهذا هو شأن الوثنية فى جميع مراحلها وأطوارها - لم يطمئن بريشا إلى هذه الديانة، ولم يأبه بالضجة التى يثيرها الرهبان فى بيت والده، من أن باستطاعتهم كشف عالم الروح وما فيه من خوارق، وأنهم بفضل هذا الاتصال يستطيعون الإتيان بالعجائب من شفاء المرضى وتأليف القلوب، وإطفاء نار الكراهية بين المتباغضين، وجلب الرزق، وجمع الحبيب بحبيبه. وهى أمور يعجز عنها، فى زعمهم، رجال الدين فى أية ملة أخرى.

لم يصدق بريشا كل ذلك، وطالما وجه الأسئلة إلى والده وإلى الرهبان من حوله لمعرفة أصول ديانته، ودورها فى الحياة. فكان جوابهم الدائم له: إذا أردتَ المعرفة فانخرط فى سلك الرهبنة.

الرَّهبانيَّة المتَماوتة:

ولكن بريشا الشاب لم يكن يرتاح لهذا الجواب، إذ لم تكن لديه الرغبة فى أن يصبح راهبًا ولو لفترة وجيزة، فهو يكره أن يصير كهؤلاء الكسالى العاطلين الذين يعيشون على هامش الحياة، لا هَمّ لهم إلا حمل الأوانى الفخارية، والخروج بها من معابدهم كل يوم قبل شروق الشمس ثم الوقوف على جانبى الطريق يتلمسون الهبات من الشيوخ والمسنين والنساء الذين يملأونها بالأرز المسلوق والسمك المجفف.

والشىء الذى هيأ للشاب بريشا الابتعاد عن ديانته أكثر من ذلك وفاة والده، الذى

فقد الرهبان بموته محسنًا كريمًا. وانقطعت صلتهم بأهل البيت عندما أكمل بريشا دراسته، واستلم وظيفة بإحدى المدن البعيدة عن ولايته. وكان له إخوة صغار زغب يرعاهم وينفق عليهم.

وهكذا أدى العبء الثقيل الملقى على عاتق بريشا ومسئوليته نحو أسرته إلى ابتعاده عن المجتمعات، وقضائه وقت فراغه فى البيت مع إخوته يناقشهم فيما درسوه ويشرح لهم ما صعب عليهم من الدروس والمسائل.. فى تلك الآونة كان يخلو أحيانًا إلى نفسه فيتأمل هذا الكون الفسيح، وما فيه من نظام بديع وجمال متسق. فلا يملك أن يتساءل: أحقًا أن الطبيعة كما يقولون أوجدت نفسها بالصدفة؟!!

دين البشرية:

ومن هنا حببت إليه دراسة الأديان، والبحث عن الدين الذى يجدر أن يكون «دين البشرية ودين الحياة» كما يصفه.

ويتحدث بريشا فى مقال نشرته له مجلة الرابطة الإسلامية التى تصدر فى بانكوك باللغة التايلاندية فيقول:

«لقد ظللت أبحث عن الدين الذى يصح أن نقول بحق إنه دين البشرية، وأحمد الله إذ أنار لى طريق الهدى فرأيت الحق، وانشرح صدرى للإسلام».

وفى ٢٤ يناير ١٩٧١م أعلنت إسلامى وغيرت اسمى من بريشا بنكمرت إلى عثمان عبد الله.

موقف البوذيين:

وما أن علم البوزيون بإسلامى حتى أقبلت جموعهم إلى بيتى وأخذوا يتساءلون بنوع من التهكم والسخرية:

كيف يكون الإسلام خيراً من دينك ودين آبائك..؟؟! ألا ترى المسلمين هنا، وما هم عليه من فرقة وتخلف وجهل؟!! ماذا رأيت من فضيلة فى الإسلام حتى دعتك نفسك لاعتناقه؟! ألا يكفيك مظهر المسلمين فى بلادنا؟

فكان جوابى لكل هذه التساؤلات:

لا تعجلوا على يا قوم، فالإسلام دين السلام والمساواة والحرية، والأخاء والكرامة والعزة. يظهر ذلك جليًا فى أحكامه ومبادئه وآدابه. فالصوم فى الإسلام ليس كالصوم فى الأديان الأخرى، لأن مشكلة الإنسان ليست فى أن يكبت مطالب جسده، وأن يتغلب عليها حتى تكون أقرب إلى العدم منها إلى الوجود. فهذا أمر ممكن بالمران والتعود ومستطاع، فشهوة الجنس مثلاً يمكن استئصالها باستئصال المذاكير، وشهوة الطعام والشراب بالحرمان، مثلما يفعل الرهبان حتى يصير جسد الواحد منهم أشبه بهيكل عظمى متحرك، ولكنهم مع ذلك لم يتركوا بذلك أى أثر لهم فى الحياة كبشر درجوا على وجه هذه البسيطة وعمروا ما أمكنهم عمرانه فيها، بل انصرفوا عن ذلك فى عجز وحسرة.

دِينُ الفِطْرَةِ:

لذلك فالإسلام، الذى هو دين الفطرة، لم يرض للمؤمنين به هذا السلوك السلبى الانعزالى، ولم يشرعه لهم. بل عَدَّل مطالب الجسد وهذبها، ولم يكبتها.. ونمى الغريزة وعلاَّها ولم يستأصلها ورسم الطريق السوى للسير بها نحو الكمال.

فالصوم فى الإسلام تعويد للنفس على الصبر والجهاد ضد الشهوات الآثمة المحرمة، ومراقبة الله فى السر والعلن: واستشعار لطعم الحرمان والجوع كى يعطف الصائم على المحرومين. كما أن فى الصوم فرصة لإعطاء الجسم راحة من التخمة. فالصوم مفيد للشخص فى صحته وروحه وعقله، وللمجتمع فى تقاربه وتعاونه واتحاده. كما أن الصوم فى الإسلام يعود الإنسان على عدم الإسراف أو التطلع لما فى يد الغير لأنه قد تعود أن يستغنى بما فى جسمه سحابة النهار كله، وتدرب على الاكتفاء بما لديه شهراً كاملاً. وهذا ضرب من محاربة الجشع والإسراف وخلق لروح جديدة من الاكتفاء الذاتى وهو مبدأ اقتصادى عام.

وجملة القول إن الصوم فى الإسلام ليس حرمانًا من تناول الحلال الطيب مأكولاً أو مشروبًا، ولا انهماكًا فى تناوله بلا حساب. فكلا الطرفين دميم. وخيرهما ما هو وسط.



أما الزكاة.. فلم أجد دينًا وضع لها تشريعًا شاملاً كالإسلام، والمجتمع الإسلامى الذى يحرص على إخراج الزكاة يخلو من الفقر والحرمان والتشرد، ولا يشعر اليتامى فيه ولا الأرامل بضيق العيش أو نكد الحياة.

إننى أتصور لو أن العالم كله اهتدى إلى الإسلام لما بقى على ظهر الأرض جائع أو محروم أو شقى. والمجتمع المسلم الذى يلتزم بأحكام الإسلام وآدابه مجتمع نظيف سعيد تنعدم فيه الجرائم بكافة ألوانها. ورغم الصعوبات التى تعترض طريقى والمضايقات التى ألقاها فإننى أتجمل بالصبر ولا أتهرب من مواجهة من يلقانى لعلمى أن الهداية الربانية جَلَتْ قلبى، وأن واجبى الصمود فى وجه الأعاصير ليتسنى لى القدرة على خوض ميدان الدعوة إلى الإسلام بروح من الحب والعزم والسلام والرحمة، ولكى أستطيع بذل الجهد الممكن فى الدعوة إلى الإسلام... ذلك الدين الذى اقتضت العناية الإلهية أن يكون الدين العام الخالد للبشرية بمختلف ألوانها وأجناسها ولغاتها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

نشرت قصة إسلام الأخ عثمان فى العدد ٣٤ من مجلة «الرابطة الإسلامية» الصادر فى بانكوك - تايلاند بتاريخ فبراير ١٩٧١م

فهرس الجزء الأول

السعر ٤ جنيهات

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها والإنسان خلق من روحٍ وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

وقد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجالٍ ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا فى مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع

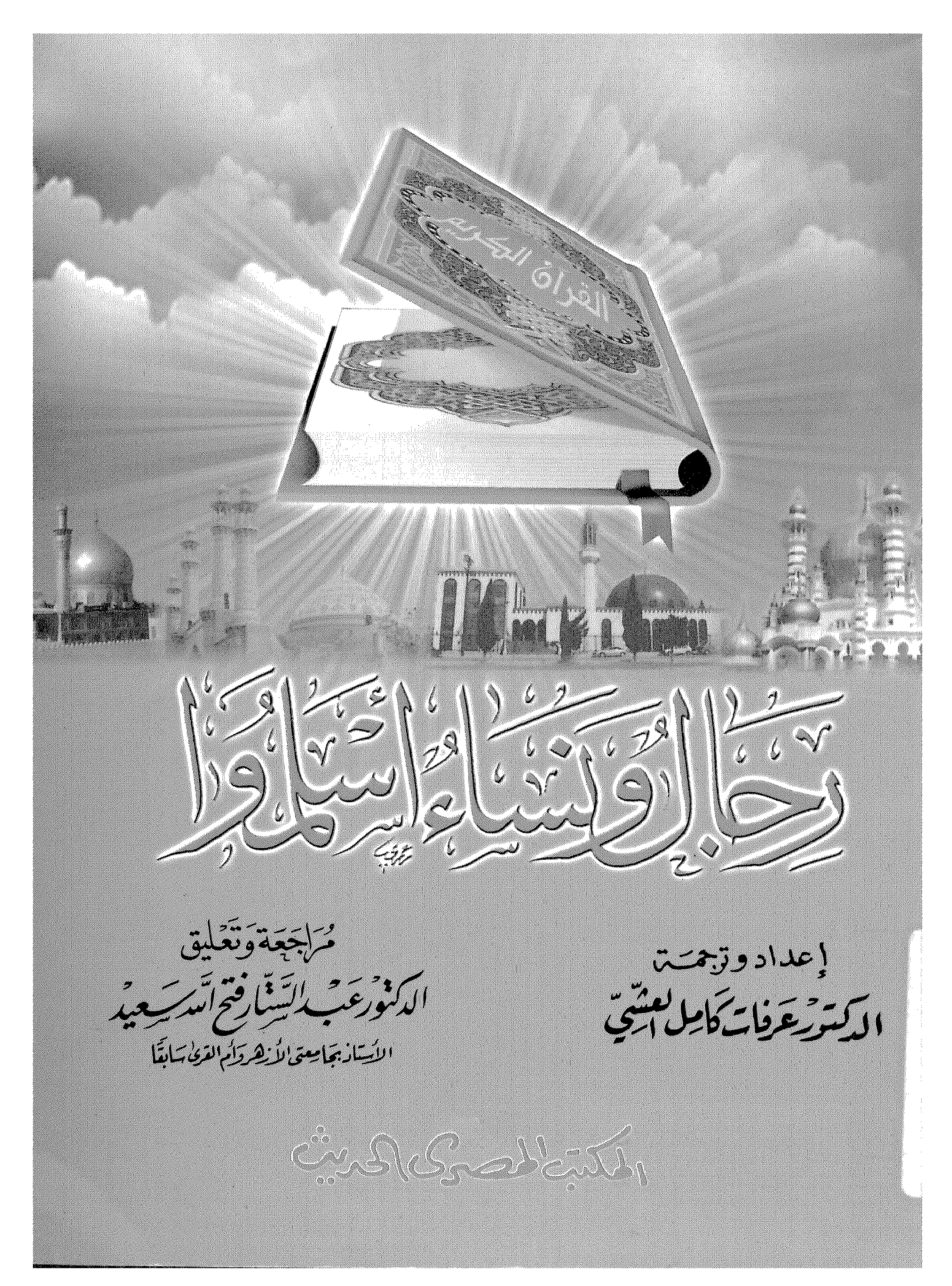
وهذا الكتاب موجه إلى المسلمين فى المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذى بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

وهذه كلمات جائت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت :"يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والإنسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ماجد أحمد يحيى




القرآن الكريم
رجال ونساء أسلموا
إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل العشي
مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقًا
المكتب المصري الحديث

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات



شخصيات الحلقة الثالثة

- ك.ل. جاويا
- أحمد زيتونى
- فاطمة سى لامير
- توماس محمد كلايتون
- عبد العزيز كانجولى
- عبد الله بنيامين
- كريم عبد الجبار
- خالد. س. بروتديش
- الحاج أحمد بن عبد الله
- محمد طاهر
- الدكتور م.ح. دورانى
- الدكتور شوقى فوتاكى
- (مالكولم إكس) أو مالك شباز
- ميخائيل هيمز
- عمر أمين شوارك
- فرانسيس سترين
- الحاج إبراهيم خليل أحمد
- قمر الدين عبد الله
- جميلة قرار
- خليل شاه
- زينب توراه
- على يول
- دونالد.س. روكويل
- السيد إحسان شاه
- الحاج ولى محمد
- السيدة مارى أوليفر

مقدمة للصفحات التالية

بقلم د. عيسى عبده (*)

الحمد لله القائل في محكم آياته ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠] ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ،

أما بعد: فقد طلب المؤلف أن أكتب كلمة بين يدى هذه الصفحات التالية من المادة التى يجمعها .. عن رجال ونساء أسلموا.. فبادرت إلى الصفحات الأولى أستزيد من إمعان النظر فيها ، وقد كنت قرأتها حال ظهورها .. ثم عكفت على مادة هذه الصفحات التالية التى يجدها القارئ بين يديه ..وكان غرضى من الرجوع إلى أول السلسلة أن أصحب المؤلف الفاضل فى خطواته الرتيبة من جديد ، لعلى أجد فى هذا المنهج مزيدا من القربى إلى هذه الجماعة الصالحة التى رضى الله عنها فتمسكت بحبله المتين، بعد أن كاد كل فرد منها أن «تهوى به الريح فى مكان سحيق».

طبيعى أن أحدثك هنا عن هذه القصص التالية دون غيرها ، ولكن أمراً مهما دعانى إلى ذكر ما تقدم بيانه..وذلك أنى رجوت المؤلف الفاضل أن يحرص فى الطبعة الثانية للسلسلة من أولها ، إن شاء الله تعالى ، على أن يتبع كل بيان أو تقرير قصة عن هؤلاء الذين أسلموا .. بتعقيب يبسط الموجز ، حيثما ينبغى الشرح والإطناب .. ويرجع بالسلوك أو بالرأى الذى يبديه من اعتنق الاسلام ، إلى أصل ثابت فى الكتاب والسنة أو اجتهاد سليم يلقى على الأصول الثابتة بيانا يزيدها وضوحا فى هذا الزمان المتأخر.. وقد عرف كل غيور على دين الله ، أن انصراف الأمة عنه قد أقام حجابا من الظلمة بين النفوس اللاهية وبين هذه البصائر الخالدة ..

وإذ دعوت صاحب السلسلة إلى الأخذ بهذا المنهج .. فقد كان لزاما أن أضرب

(*) انظر قصة إسلام والده، وسبب تسمية الابن باسم (عيسى) فى القصة رقم (١١) سابقاً.

الأمثال فى تقديمى هذا .. أما التعقيب الوافى فإنى أدعو الله أن يجعله ميسرا للمؤلف بعد أن يصل بالجمع والترتيب إلى مرحلة مناسبة .. فلن يتوقف الدخول فى دين الله طواعية واختيارا .. ولن تنفد مادة هذا القصص الراشد إن شاء الله رب العالمين .

وبعد فقد نظرت فى أصول الكتاب مليا .. واستمعت لكل راوية وهو يعرض الدوافع التى حملته على اعتناق الإسلام .. وأفدت من ذلك دروسا يهمنى أن أضعها بين يدى القارئ .. لأنها وثيقة الصلة بما نلمحه من يقظة فى مفتتح هذا القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام .

ومن هذه الدروس ما يتصل بالجهود الجماعية للمسلمين .. كاختيار الأساليب المقبولة عند الأوروبى والأمريكى وغيرهما ، فى زمننا هذا .. وخطورة الفرقة القائمة بين المسلمين والعزلة التى يعيش فيها من اعتنق الإسلام وبقى فى بيئة أصبحت غريبة عليه .. كما أصبح هو غريبا فيها ، بعد أن عاش فى ظلها طويلا .. هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى تجد دروسا أقرب إلى تركيز عقيدة الفرد وتهذيب سلوكه وتدعيم روابط الأسرة .. وليس عجيبا أن ينتبه الباحث فى الإسلام عن اقتناع ، إلى أمر لا ينتبه إليه المسلم بالميراث وبالتقليد .. وإذ نعرض لأهم القصص تباعا سنرى بوضوح ما فى تفكير كل واحد من هؤلاء المهتدين من اتزان ، وما فى سلوكهم من رشاد يرتضيه العبد الصالح لنفسه .. ثم نختتم القول بما يصح اعتباره توصية للأمة الاسلامية مجتمعة حال مواجهتها لتيارات الإلحاد الجارفة وحال قيامها بالواجب نحو الداخلين تباعا فى دين الله .

•••

جاء ذكر السيدة (فاطمة هيرين) فى رأس القائمة التى بلغت أربع عشرة حالة ..[1] والسيدة فاطمة ألمانية حباها الله بنفس واعية .. إذ بدأت تنظر ما حولها وهى لاتزال بين العاشرة والعشرين .. وبعد ذلك بقليل اعتنقت الإسلام .. وفى قصتها أمر جد خطير .. ذلك أنها كرهت رجال الكنيسة لسبب يصعب على الفتاة الغربية أن تتحمس

(١) يقصد الدكتور عيسى عبده الحالات التى تناولها بالتعليق حسب تقسيم حلقات الكتاب فى الطبعة القديمة.

له وهى فى سن الشباب الجامح، وفى بيئة غرقت فى الرذيلة تحت ستار يقال له النضج والواقعية .. قالت السيدة فاطمة بإنها فزعت من مسلك رجال الدين ووصفت الكنيسة من أجل ذلك بأنها « متهاونة مساومة » ونسبت إليها أنها تتنكر لمبادئها وتعاليمها من أجل الإبقاء على سلطانها ، وما يكفله من أجر ومن مركز فى المجتمع الذى تعيش فيه.

ونريد أن نقف عند هذه الجزئية وحدها دون التعرض لأحداث القصة .. فهى فى مكانها من هذا الكتاب .. قالت السيدة فاطمة إن المجتمع الغربى هوى إلى الحضيض حين سلم بأن الزواج (من الناحية الواقعية) لا يكون ناجحا إلا بعد التجربة ، حتى يطمئن كل من الزوجين إلى وجود قدر كاف من الانسجام فى الاتصال الجنسى ..وإلا فإن التجربة تفشل وتنتقل الأجساد من ابتذال إلى ابتذال .. وإلى هنا لاتريد السيدة الفاضلة أن تقف طويلا .. بل تخطت هذا كله إلى موقف الكنيسة .. فهى (من الناحية النظرية) تدعو إلى العفة وطهارة النفوس والأبدان .. ولكن بحسب كل من الفاعل والفاعلة أن يعترف بالخطيئة للقس حتى يقيم للمعترف صلاة أو صلاتين .. وبهذا يكون خلاص النفس مما وقعت فيه من الإثم .. ويستعيد البدن طهارته مما تردى فيه من فوضى البهيمية!!

لم تقتنع السيدة فاطمة بما تدعيه الكنيسة من قدرة على الغفران، ودمغتها بأن سلوكها هذا له دوافع من المصلحة الخاصة .. للإبقاء على سلطان هذا الهيكل الجاثم فوق مجتمع يظن أنه يتبع دينا سماويا .. فكرهت هذا الأمر وقالت بأنها فقدت إيمانها بالكنيسة وخاب رجاؤها ..بعد أن ظنت أنها المنقذ من ضلالة الإلحاد وقد فرضت عليها تعاليم منذ أن كانت فى الحادية عشرة من عمرها (سنة ١٩٤٥) وقد احتلت القوات الروسية شرق المانيا .. فلا الإلحاد أرضاها ولا الكنيسة ارتفعت إلى المستوى الذى ظنته للقائمين على رسالات السماء.. وكان لقاؤها مع رجل ألمانى اعتنق الإسلام ، وهى فى الثالثة والعشرين ، خاتمة المطاف فى مراحل البحث ، كما كان هذا اللقاء أول الطريق إلى الدين الحق .. وهذا كله مبسوط بين يديك فى موضعه.. ولكننا هنا سنقف عند أمر لم تعرض له السيدة ، وفيه أصل هذا الفساد الذى غرق فيه أدعياء المقدرة على محو

السيئات وتبرئة ساحة المرتكبين لأكبر الكبائر.. وذلك أن إقامة الصلاة لمحو الخطيئة لها أصل لاينتسب إلى النصرانية بسبب على الإطلاق.. ونريد هنا بالنصرانية .. التعاليم الصحيحة التى جاء بها السيد المسيح وعرفناها من القرآن الكريم ..

أما هذه الإضافات التى جاء بها تجار صكوك الغفران وصلوات البراءة من الخطيئة.. فهى من النصرانية الرومية التى ابتدعها المحترفون للهداية بوصفها مهنة، وكل ذلك من وقت مبكر .. منذ أن وصل بعض أتباع السيد المسيح إلى روما بعد رفعه إلى السماء . هنالك دعا هؤلاء الأتباع أهل روما إلى اعتناق النصرانية .. فما تنصر الروم ولكن النصارى ترومّوا(١) ومنذ ذلك العهد .. ودين الأمم الغربية لا ينتمى إلى المسيح .. بل هو نصرانية رومية .. وفيها فرق ومذاهب وكنائس وأناجيل إلى آخر ما هو مشهور عند الباحثين .

ولكن الذى يعنينا فى موقف السيدة فاطمة التى حكمت بفطرتها السليمة .. بما حكمت به على الكنيسة .. أن التقاليد المتبعة عند العابدين والعابدات ، الزاهدين فى الدنيا الواهبين أنفسهم للمخلّص .. هى الأصل فى هذا الفسق الشامل الذى تردت فيه أمم كثيرة فى الغرب وفى الشرق .. يقول القاضى عبد الجبار ما يلى بالنص : «ومثل صنيع بولص مع الروم فى مساعدتهم على دينهم ومفارقة دين المسيح ، صنع (مانى) القس ، وهو رئيس المثانية» ثم يقول فى موضع تال :«وكان يكتب من مانى عبد اليسوع ..كما كان بولص يكتب ، وكان يتشبه به ويقفو أثره » ثم يقول أيضا : «ومن سيرتهم أن النساء الديرانيات العابدات ومن انقطع إلى الْبِيَع والعبادة .. يطفن على العزاب والرهبان ويخرجن إلى الحصون التى فيها الرجال العزاب .. يبحن لهم أنفسهن ابتغاء وجه الله والآخرة والرحمة بالعزاب ، ومن فعل هذا منهن كان عندهم مشكورا محمودا على هذا الفعل ويدعى له، ويقال لها: لاينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة»(٢) ؟

(١) هذه العبارة مستفادة من كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمزانى (المتوفى سنة ٤١٥)، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان (الجزء الأول).

(٢) المرجع السابق من صفحة ١٦٩ إلى صفحة ١٧١.



انتشر هذا الفساد فى روما وما حولها كما انتشر فى الشرق الأوسط إلى بلاد الفرس.. على تفصيل يجده الباحث فى مظانه.. ولقد افتن كل من العابدين والعابدات.. حتى قادهم الشيطان إلى الربط بين عقيدة التثليث وبين هذا التدلى إلى أسفل سافلين.. وذلك أن بعض العمالقة الشرهين من العابدين كان يختص نفسه بثلاث من العابدات.. ويوهمهن بأن هذا الارتباط الجنسى الثلاثى هو من قبيل تجسيد العقيدة فى فعل ملموس .. وأن البركة مضاعفة والثواب أعظم!!

كتب باحث بريطانى طرفا من المخازى التى تكشفت عند إعادة تخطيط بعض المواقع فى أوروبا فى أول العهد بالثورة الصناعية.. وظهرت رواسب هذا النشاط الجنسى فى قلب أوروبا[1] ومن ذلك فى فرنسا لعهد نابليون حين وجد المنقبون - عن غير قصد - عظام الأطفال الذين كانوا يوءدون حال الولادة فى الأديرة.. إذ الأمهات مشغولات بالعبادة.. والآباء لا يعنيهم من أمر الاتصال الجنسى إلا فعل البهائم.. ثم إن القضية كلها محفوفة بسر من أسرار البركات.. التى قصد بها وجه الله والآخرة على نحو ما تقدم ذكره.. فلا عجب أن جاء القرن التاسع عشر.. وفيه اندفاع إلى تشغيل الجنسين وإلى مزيد من الاختلاط.. لاعجب أن أفلت الزمام حتى عم اليأس.. وسلمت الكنيسة بما سلمت به مستندة إلى التقاليد الثابتة وراضخة للأمر الواقع.. وإلا فإن الكنيسة التى لا تمنح البراءة من الذنب .. أو التى تعجز عن محو الخطيئة بعد ممارسة الاتصال الجنسى .. هذه الكنيسة العاجزة تفقد علة وجودها ومن ثم يفقد رجالها أرزاقهم .. والحق أن دعوى الدخول فى التجارب العملية بقصد ضمان الانسجام .. ليست أسوأ من دعوى الرحمة وابتغاء وجه الله والآخرة فيما عمد إليه العابدون والعابدات من القرون الأولى للنصرانية الرومية .. !!

وإنما قصدت بهذا التعقيب الوجيز على عبارة واحدة من كلام السيدة فاطمة هيرين.. أن أنبه الشباب المسلم إلى خطورة التقدمية التى يريدونها صورة من مجتمعات الكفار.. كما قصدت إلى نفى هذا الفساد عن رسالة السيد المسيح .. وما كانت هذه الرذائل

(١) راجع كتاب «الطلاق» لمؤلفه كيتشن "Divorce by Kitchen".

المدسوسة على دين سماوى .. إلا «رومية فى نشأتها وفرقها .. وفى كنائسها .. وإذ يرتد كل هذا الفساد إلى أصله الرومى فإن منطق الأحداث يكون مفهوما ».

وعلى الرغم من هذه الإطالة فى الكلام عن القصة الأولى بقى أمر جدير بالذكر.. ذلك أن الزوجين (فاطمة وزوجها) وجدا أن المعيشة فى وطنهما تفرض عليهما بعض التنازلات والمضايقات.. وهذا قول مهم ينبهنا إلى أخطار يتعرض لها الشباب المسلم إذ يغترب ويعيش فى أوساط لا تؤمن بالدين الحق .. كما كانت معيشة هذين الزوجين شاقة فى بلدهما (ألمانيا) ولذلك هاجرا إلى الباكستان ..

•••

وعند القصة التالية .. للسيد حسين رؤوف .. سيقف القارئ مرة بعد أخرى ليرى كيف يكون البحث الجاد من أجل التمييز بين الجوهر الأصيل وبين الزيف الكاذب.. لقد درس بعض المذاهب النصرانية ودرس الفلسفات والبوذية وغير ذلك.. وترك الإسلام جانبا على الرغم من أنه عاش فى الشرق وخالط العرب والمسلمين .. ثم يثير من عنده هذا التساؤل..لأنه يعلم أن القارئ يريد عنه جوابا: كيف درس الكثير من الملل والنحل وترك الإسلام حتى جاء اهتمامه به مصادفة؟.. قال السيد حسين رؤوف بأنه اكتفى فى أول الأمر بنظرة عابرة إلى الإسلام.. ثم تركه جانبا.. وقال بأن السبب هو أنه قرأ القرآن بقلم الكاتب رودويل RODWELL!! وترك القارئ ليفهم ما يشاء ..وهذه مقالة حق نطق بها السيد حسين رؤوف أثابه الله ..

إن القرآن الكريم قد امتدت إليه أيدى العابثين الأدعياء ونقلوه أو ترجموه نصا كما يزعمون.. أو نقلوا معانيه كما يدعى المرجفون.. ومن نتاج عصرنا هذا قول جديد.. قال قائل منهم إننا نترجم التفسير ولا نترجم القرآن.. واشترط بعض الناس أن يبلغ التفسير ثلاثة أمثال النص حتى تكون الترجمة جائزة!! ولقد بلغت التراجم ما يزيد على مائتين بعشرات اللغات.. وهى فى الإنجليزية وحدها تزيد على خمسين.. وما رأيت جرأة على كتاب الله كهذه الجرأة.. يستوى فى ذلك أن يكون النقل عن النص العربى أو عن ترجمة سابقة إلى لغة أخرى.. ويستوى فى ذلك أن يكون النقل بالنص أو بالمعنى وأن يكون

الناقل كافرا أو غير كافر.. فهذا كله اعتداء على كلام الله وحجب لما فيه من صور الإعجاز وما تفرد به من الحق.. ولايتسع المجال لأكثر من هذه الإشارة.. إن هى إلا تحية إلى أخ فى الله.. اعتنق الإسلام حديثا ويصارحنا بأنه ما أبطأ به السعى إلى الدين الحق إلا أنه قرأ كتاب رودويل..

وسيجد القارئ فى قصة تالية ، أن السيد «وليم بيرشيل بشير بيكارد» قد تأثر بترجمة فرنسية .. وجهته إلى مزيد من البحث .. ومثل هذه الحالات لاتنقض الذى قرره السيد حسين رؤوف ..بل تؤيده .. فلو أن المسلمين عرضوا تعاليم الاسلام وأحكامه ونظمه وآدابه وتاريخه بكل لغة مقروءة .. لأفادوا الباحثين عن الهداية وقربوا إليهم من المفاهيم ما يحبب إليهم الاستماع إلى كلام الله جل شأنه ، ومن ثم يكون انتشار لغة القرآن .. وفى هذا تفصيل تحدث فيه السلف الصالح ومنهم الإمام الشافعى .. رضى الله عنه .. فلينظر إذن قارئ هذه الفصول إلى مثل هذه المواقف التى يمر بها الدارسون للأديان طلبا للهداية .

●●●

ثم تتتابع نظرات هؤلاء المهتدين .. ولكل منهم نظرة فاحصة ، وفيها خير كثير .. يقول اللورد هيدلى - الذى اعتنق الاسلام وهو فى الثامنة والخمسين من العمر - بأن النصرانى مطالب بأن يفكر بعقيدة التثليث.. هذا إن أراد الخلاص .. فإن ناقش فى ذلك فهو مهدد باللعنة الأبدية .. ولقد فطن اللورد هيدلى إلى ضعف هذا القول الذى يستند للتهديد وحده ويتساءل عن هذا الإله الذى يهتز فى وجوده أو فى حقيقته لمجرد إنكار مبدأ التثليث؟ ولذلك ينتقم ممن يناقشه مجرد مناقشة .. ومن أهم أقواله إن جمًا غفيراً من الناس قد أسلموا لله فى أعماق نفوسهم، ولكنهم يخافون الجهر بما اهتدوا إليه.. وفى مثل هذا المعنى يقول أحمد شوقى:

«إن الشجاعة فى القلوب كثيرة

ورأيت شجعان العقول قليلا»

●●●

ومن خير ما قاله «محمد أسد »من النمسا.. أنه أدخل نفسه فى إطار فكرى من الإسلام الصحيح وجعل يوازن بين عظمة المسلمين فى عصورهم الزاهية.. وبين هوان الأجيال المتأخرة والمعاصرة .. ودرس وحلل .. ثم انتهى إلى أن هذا الهوان لم يكن إلا نتيجة لهجر المسلمين أصول دينهم وتطبيقاته .. حتى عاد الإسلام التقدمى المعاصر جسدا بغير روح .. والحق أننا نعترض على كل قول يشير إلى التقدم والتطوير فى شريعة الله جل شأنه لعلها تساير العصر كما يزعمون .. نعترض على كل قول من هذا القبيل ونراه ضلالاً مبيناً.. لأن الإسلام قد جاء كاملا ومصدره مفارق لقدرات البشر.. وكل محاولة للتقدمية فى هذا المجال لا تصدر إلا عن جهالة أو حرب على دين الله.

●●●

ومن خير ما قاله « عبد الله ارشيبالد هاملتون » أنه عاش من أجل أمنية واحدة.. هى أن يحقق السلام بين شخصه الضعيف الفانى وبين خالقه الذى آمن به وهو لايزال فى أول الشباب.. وقد سعى جهده واتبع كلا من الكنيسة الإنجليزية وكنيسة روما دون جدوى.. ثم لفت نظره إلى الإسلام أمور منها أنه ثابت على الزمان رغم الهجوم والطعن.. حقداً وحسداً.. وأنه يعترف لصاحب التفوق بحقه فى ثمرة هذا التفوق ويحرص على تنظيم التراحم بين الناس ويجعل الكسب اجتهادا وبذلا وتضحية.. ولا يقر الغرر والصدفة كما فى القمار واليانصيب..

●●●

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى فضليات النساء اللاتى اعتنقن الإسلام عن دراسة واقتناع فسنجد اثنتين من اليابان ، وهما ابنتان لوالد سبقهما إلى الإسلام.. ولكنهما لم يتابعا أباهما تقليدا.. بل قلّبا الامر على وجوهه وانصرفت عنايتهما إلى حقوق المرأة فى هذا الدين الخاتم.. وقد قيل لهما من قبل (افتراء على الله) بأن الإسلام لايسوى بين الرجال والنساء.. وإذا بآية واحدة من سورة الأحزاب تكشف لهما ما يروّجه خصوم الإسلام من مفتريات .

●●●

ويقول دونالد ركويل (الأمريكى) بأن الإسلام ملك عليه نفسه لتفرده بالخصائص الكبرى .. ومنها : بساطة العقيدة ووضوحها فلا ألغاز ولا تعقيدات ولا أسرار .. ومنها قرب المخلوق من الخالق فلا وساطة ولاكهانة .. وقد ركز القول على أمر له خطورته .. حين تساءل: كيف يمنح العبد العاجز ما يشاء من بركة ومغفرة ، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا خيراً ؟.. واشتد إعجابه بنظام الزكاة وما فيه من تكافل .

•••

وهذه سيدة من تشيكوسلوفاكيا اسمها فاطمة تزفسكن.. تواجه قضية اختيار الدين الصحيح بأسلوب حكيم.. تقول بحسب الباحث أن يواجه سؤالاً واحداً.. مواجهة علمية صريحة ومنصفة.. وإذا به يتخذ القرار الصواب.. أما هذا السؤال فهو: أكان النبى (عليه الصلاة والسلام) مفكراً أو فيلسوفاً يجئ بهذا الدين من عنده، أم كان عبداً اختاره الله ليتلقى الوحى من لدن رب العباد ؟

وأشارت بدورها إلى المفارقة الخطيرة بين واقع المسلمين وعظمة الدين الذى يدعون اتباعه.. ونعت على مسلمى هذا الزمان أن وسائلهم للتعريف بالدين هى وسائل عاجزة.. وزادت أن المسلمين أنفسهم فى حاجة إلى من يوضح لهم أمور دينهم.. ونبهت إلى أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم فى ظل اخلاط من الثقافات، وإن صد المؤثرات الغريبة عن تراثهم واجب مقدم على غيره.. ودعت إلى الإكثار من المراكز الإسلامية فى كل أرض، حتى يجد النفر القليل الذى يعتنق الإسلام فى هذه البيئات الغريبة واحة يأوى إليها من ضاق بالجو الخانق الذى يحيط به.

ومما قالته إنها تحسن الظن بسلامة العقيدة عند جماعات المسلمين ولذلك هى مطمئنة إلى أن صرح هذه الأمة سيظل عالياً وإن تكاثرت عليه عوامل الضعف والوهن.. وهذا قول له خطورته.. ونريد أن نحمله على التمنى أو الدعاء.. وحسب، وإلا فنحن نرى أن العقيدة إن صحت وسلمت من كل زيغ وانحراف، فإن السلوك الظاهر والسلوك الباطن لا يخرجان عن إطار الشريعة.. وترتب على ذلك أن الخطوة الأولى، حين يأذن الله جل شأنه بصلاح حال المسلمين، هى تركيز العقيدة وتثبيتها فى وضوح واستقامة.

•••

ومن أفراد هذا الجمع الصالح رجل ولد في بيت إنجليزى هندى إبان الحكم البريطانى للهند.. وتلقى تعليمه فى مدارس التبشير حيث كانت دراسة الدين إجبارية.. وقد اتبع هذا الباحث أسلوب الموازنة بين نص وآخر.. كما ربط بين القواعد التى يدعو الإنجيل إلى الأخذ بها وبين النتائج الحتمية.. وفي هذا يقول «لو أن المستمسكين بالنصرانية طبقوا تعاليم الإنجيل في عموم.. لقضوا على الحضارة» ويقول فى موضع آخر «أن هذه التعاليم لا تناسب البشر فى نشاطهم الدائب.. وقد تصلح لناسك منقطع عن الدنيا، ولكن لو أرادت حكومة معاصرة أن تسن من القوانين الوضعية نظاماً يقع فى إطار هذه التعاليم لا نقلبت الحياة فوضى وغلب الشر وغاض الحياء والخير جميعاً.. ولو أن أمة من الأمم ارتضت هذه التعاليم، اختيارا، والتزمت تطبيقها لوصلت إلى النتيجة ذاتها»..

لذلك ضاق هذا الباحث بقواعد وبنصوص لا تصلح للتطبيق.. كما ضاق بما هو شائع فى العالم النصرانى، من الفصل بين الدين فى ناحية وكل من السياسة والعلم فى ناحية أخرى، مما أدى إلى ظهور فلسفات بائرة كفلسفة (ميكيافيلى).. وظهور مذاهب ليس لها ضابط.. مما دمغ القرون الأخيرة بإنها عصور تزاحمت فيها الفلسفات والأفكار والآراء فى جميع النظم.. ما كان منها فى الاجتماع والحكم والسياسة والاقتصاد والأسرة والتربية.. إلى آخر ما يتعين توافره فى شمول وثبات لكى يصل المجتمع البشرى إلى شىء من الاستقرار.. ثم إنه يورد نصوصاً من بعض الأناجيل تحض النصرانى على أن يكون له سيف.. كناية عن القوة والغلبة، ثم يستطرد ليقول: بأن السيد المسيح لم يعلم أتباعه.. حتى ولا كيف يستخدمون هذا السيف!!

ويترقى الباحث فى مدارج التحليل الدقيق حين يقول: وهكذا أدت هذه التعاليم التى تجمع بين الغموض والتعارض والنقص إلى أن النصرانى أصبح يجد دافعاً من الخلافات المادية الزائلة لكى يبطش بأخيه النصرانى.. ووجدت الكنيسة ألف حجة وحجة لتبرير قتل الأبرياء من الشعوب النصرانية بأسلحة النصارى أنفسهم.. وأصبحت الكنيسة أداة فى أيدى المستعمرين الذين يتجرون بما فى الأرض من طيّبات وبما عليها من الناس.. ثم يضرب الأمثال.. ويقول بأن الكنيسة التى تقوم أساساً على بث الرحمة والتعاطف.. أيدت الغزاة فى إبادة الشعوب الآمنة فى كل أرض امتدت إليها أنظار المغامرين..

وزحفت جيوش الأمم النصرانية على الكثير من شعوب آسيا وأفريقيا ونيوزيلندا وأمريكا الشمالية واستراليا.. فأبادت السكان الأصليين.. فإن بقيت منهم جماعات لا حول لها ولا قوة.. حصرتهم فى الوهاد والجبال والصحارى.. يقول الباحث: هكذا كانت حال الكنيسة فى الأجيال التى مضت.. وهكذا حالها اليوم..

وتأبى النفس الزكية لهذا السيد (بيجى رودريك) أن ينسب إلى أى دين سماوى هذا الطغيان الهمجى.. ثم يقول بأن نقطة التحول فى حياته الخاصة جاءت حين أسقطت الولايات المتحدة قنبلتين من القنابل الذرية على الشعب المدنى الآمن فى اليابان.. ويقول بأنه تابع هذه المأساة وحرص على جمع الإحصاءات عن الوفيات والمشوهين، وأكثر من الإطلاع على تفصيلات الوصف الذى نشر عن هذا السلاح الجهنمى.. وما انتشر بسببه من المآسى التى حصدت النفوس تدريجاً، وأنزلت بأقوام أبرياء عذاباً ليس له ضريب.. ثم يقول بأن جرائم الجيش الأمريكى فى اليابان كانت مادة الدراسة والتأمل فى حياته الخاصة.. وفى عديد من الليالى.. حتى امتلأت نفسه بالفزع مما وصلت إليه جرائم البشر.. وينتقل الباحث مرة أخرى إلى مستويات رفيعة من دقة التحليل والإنصاف حين يتابع جهود شعب متحضر حضارة مادية مذهلة ومتمسك - فيما يزعم - بدين السيد المسيح، ويوازن بين سلوك هذا الشعب وبين تعاليم الدين السمح.. ويقف عند أمور بالغة الدلالة.. ويقول بأنه بعد هذا العذاب الذى أنزلته الولايات المتحدة بالشعب اليابانى أطلقت عليه جموعاً غفيرة من العسكريين ومن المبشرين.. لاحتلال الأرض والموارد والنفوس جميعاً.. وتعلقت آمال الساسة بأن تؤدى هذه الخطة إلى تنصير عدد كبير من سكان اليابان، ليكونوا عوناً على تدعيم الاحتلال!!

ثم يعود الباحث إلى نظراته الهادئة العميقة ليقرر بأنه إذ يخلو إلى نفسه، فإنه يسترجع الذى سمع وقرأ عن المجتمعات غير النصرانية.. ومنها عبدة الأوثان.. ويسترجع الوصف التقليدى لكل شعب لا يتّبع كنائس هذا الزمان.. بأنه شعب من الكفار.. ثم يوازن بين الذى سمع وقرأ، وبين واقع الحال الذى رآه رأى العين.. فإذا به يجد من التراحم والإنسانية فى أوساط الوثنيين، ما لا يجده عن الأمم المتحضرة المقتدرة.. التى تنتمى ظلماً إلى دين جاء بالفضيلة وبالتسامح!!

وفى غمار هذه الدراسات الواعية، التقى بصديق مسلم يفهم دينه، فكانت النقطة الثانية والأخيرة من نقاط التحول عن الظلام والحيرة والفزع.. إلى الرجاء ومن بعده الإيمان.. وفى حديث هذا العبد الصالح عن الإسلام رصانة فى غير وعورة.. يقول بأنه مما أعجبه فى هذا الدين أنه يجمع بين المثالية والواقعية، وأن الفرد يستطيع أن يكون عابداً ومقبولاً عند الله.. دون أن يتكلف الحرمان عن عمد من متاع الحياة الدنيا فى إطار دقيق من التقنين والتنظيم.. وأن الفرد من عامة الناس كالفرد من أصحاب السلطان وحملة الأمانات.. فالكل يلتزم بمجموعة من القواعد لا تحيد.. وقال بأنه لا أثر فى الإسلام للكهانة والكهنوت وامتيازات من يقال لهم فى غير الإسلام بأنهم رجال الدين.. وأنه لا فصل بين الأولى والآخرة.. وأن المسلمين يحرصون على إقامة العدل فى أرضهم وفى المعاملات الدولية.. ثم يقول بأنه.. والحالة هذه.. لا يبقى مجال للتمييز العنصرى ولا لحروب البطش والاستغلال والاستعمار.. كما أنه لا يبقى مجال للصراع الطبقى وإثارة بعض الناس على بعض آخر.. فى داخل الأمة الواحدة وفى شمول وعموم للشعوب قاطبة.. ولم يغفل هذا الباحث عن بعض القواعد الخاصة الثابتة فى التراث الخالد.. فضرب مثلا من قوانين الحرب كما أقرها الإسلام.. ووازن بين ما فيها من ضوابط وشهامة وإنسانية وترفع عن إيذاء الضعيف والمرأة والعابد وطالب الأمان.. هذا من جهة.. وبين وحشية قوانين الحروب المتبعة عند أكثر البلاد حضارة كما يظن الواهمون.. وتكلم عن تدمير المستشفيات وضرب المعابد لتوهين عزيمة المدنيين غير المشتركين فى القتال.. وفى هذا المجال إضافات يندى لها جبين الزمان.. لما حمل من أوضار البشر وذنوبه.. فمع انتشار الحروب الصغيرة والكبيرة استجدت تقاليد.. من الانحلال الخلقى إلى إنطلاق الغرائز الدنيا.. فهذا تنظيم للتجسس وتخريب الذمم قبل الصراع وفى إبانه ومن بعده.. وهذا تنظيم للبغاء العلنى الرسمى على نطاق واسع فى صفوف المقاتلين.. تحت ستار مفضوح.. يقال له الترفيه!!

وفى آخر المطاف.. رفع الباحث نظره إلى طائفة من القمم الشامخات فى تعاليم هذا الدين المتين.. وهى فى مكانها من فوق أصول راسخات.. فتكلم عن الأخوة فى الإسلام وعن معايير التفاضل على أسس من النفع لكل الناس.. وتكلم عن أنه لا إكراه فى الدين..

●●●

وبعد: فقد آن للقارئ أن يستمع إلى أصول هذه الخلجان الزكية فى نفوس مطهرة مؤمنة.. بعد أن طال استماعه إلى أصداء تجاويت فى نفس قارئ واحد أتيح له أن يجلس ساعة من الزمان إلى هؤلاء المصدّقين بيوم الدين.

وأنه ليطيب لكل غيور على الإسلام أن ينظر إلى جملة هذه الباقة من الأفكار المستنيرة،. وأن يرى فيها توصيات عامة شاملة.. هى التى أشرت إليها فى أول الحديث.. ومن ذلك أمور تكرر ذكرها وخرجت من نطاق الاهتمام الشخصى للفرد إلى الحرص على نشر الهداية فى أوسع المجالات.. وأخص هذه الأمور:

- عجز الأساليب المتبعة فى الدعوة إلى الإسلام.. على الرغم من مواجهتها لأكثر الجهود تنظيماً وسخاء من عند المبشرين ومن يؤيدهم.
- حاجة البلاد المتقدمة فى الفنون والصناعات إلى منهج قويم لا يعطل مواكب الإبداع والإتقان.. ولا يتركها طليقة من قيود الفضيلة والتراحم والإنسانية.
- ضرورة النظر فى حاضر المسلمين وبُعده عن الإسلام الصحيح.. ووضع حد لهذه الحالة التى أنزلت بالأمة عوامل الفرقة والفشل، حتى أصبحت جماعات المسلمين تبعاً لطواغيت البشر.. من الفراعنة ومن المفسدين فى الأرض!!
- خطورة الفصل بين أحكام الدين والنشاط الدنيوى وضرورة الانتباه إلى الحق الذى طال إغفاله.. وهو أن الرسالة الخاتمة قد جاءت مهيمنة على كل رسالة سابقة، وجاءت بصائر للناس فى يقظتهم وفى منامهم.. فى أمورهم الخاصة وعلاقة بعضهم ببعض، فى أضيق الدوائر كالأسرة الواحدة والجار بالجنب.. وفى أوسع الدوائر التى تشمل الأمة كما تشمل سائر الشعوب..

كما جاءت هذه الرسالة بصائر للناس فى أمور المعاش والمعاد جميعاً.. يوم يقوم الناس لرب العالمين..

وما قصدت إلى الاحاطة ولا التّوفية.. إن هى إلا تذكرة.. بين يدى الأصول التى فاضت بها نفوس زاكية طاهرة.

عيسى عبده

❁❁❁

ألمانيا :

١٥- فاطمة هيرين Fatima Heeren

هذه قصة فتاة ألمانية اعتنقت الإسلام بعد أن عاشت فى ظل البلاد الشيوعية الملحدة، ثم انتقلت إلى الكنيسة النصرانية فلم تقتنع فطرتها السليمة بالطقوس الدينية النصرانية المعقدة، فما كان منها إلا أن اهتدت إلى الإسلام، وتزوجت من رجل ألمانى مُسلم، وفيما يلى تفاصيل قصتها كما ترويها هى مترجمة عن مجلة «مسلم أفريكا» الصادرة فى جوهانسبرج - جنوب أفريقيا العدد الأول المجلد الأول - ديسمبر ١٩٦٧م.

المترجم

البداية :

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٥ كنت طالبة فى الحادية عشرة من عمرى، وكان والداى ينشئان أبناءهما - وهم ابنتان وولدان - وفق المثل الاشتراكية القومية وهذا أمر طبيعى إذ كان والدى قائداً فى الجيش. ومن ثم كانت لدينا فكرة عن وجود الله، ولكنه كان بالنسبة إلينا شيئاً نائيا للغاية، أعظم بكثير من أن يهتم بأمر الناس وشئونهم اليومية، كان الله فى مخيلتنا شخصاً خلق سنن الطبيعة منذ ملايين السنين، وهذه القوانين أوجدت بدورها الكائنات البشرية بمحض الصدفة فى أغلب الظن.

مُثل زائفة :

كانت النصرانية العقيدة الوحيدة التى واجهتنا فى الحقيقة. وكانت تقدم لنا على أنها «أفيون الشعوب» وأنها عقيدة قطيع الغنم لا تتحرك إلا بالخشية من الموت. وكنا نفهم أن كل إنسان مسئول عن نفسه وحسب، وأنه حر التصرف بها كيفما يشاء مادام ذلك لا يؤذى الآخرين. وكنا نتصور أن الضمير هو النبراس الوحيد الذى يهدينا. وكانت القومية خلال السنوات التى سبقت الحرب وفى أثنائها وسيلة ممتازة لدفع الألمان وتشجيعهم إلى بذل أقصى الجهود. فكان همنا الوحيد الذى نسير قدما فى بذل مهجنا الغالية من أجله

هو الوطن الأم. وعندما وضعت الحرب أوزارها لم تمزق بلادنا فحسب وإنما تبعثرت عظمة أمتنا وتبددت كافة المثل التى كانت تبذل الأرواح من أجلها.

وأحسب أن من الضرورى أن أصف الجو السائد فى البلاد التى انحدرت منها. كثير من الناس لا يسعدون مثلى بطريقة المجتمع الحديث لكنهم مع ذلك يزعمون أنهم سعداء، وعندما يفيقون بعد ليلة بهيجة يقضونها فى الرقص والسكر فإنهم يشعرون بفراغ يملأ صدورهم ولا سبيل إلى مغالبته بتعليل النفس بمزيد من الرقص والشراب أو المغازلة فى الأمسيات التالية. لقد أيقنت أن الضمير الفردى والمثل الإنسانية المتعارف عليها فى المجتمع لا تكفى وحدها لتكون مشاعل هداية اهتدى بها فى حياتى. فلم أكن أحس بالسعادة الحقة وأنا أتمتع بالنعيم الميسور لى من غير أن أوجه الشكر لأحد على كل هذا الخير الذى شملنى. فاحتفظت بدفتر لتسجيل مذكراتى اليومية ووجدتنى مرة أسجل فيه العبارة التالية: «لقد كان يوما بهيجاً فشكراً لك كثيرا يا رب!».

وأحسست فى مبدأ الأمر بالخجل بينى وبين نفسى، لكنى أيقنت بعد ذلك أنه لا يكفينى مجرد الإيمان بإله لا يهتم إلا بنواميس الطبيعة، فتوقد حب الله فى نفسى، وكنت أهتف باسم الله، حتى علمت أن من واجبى أن أعمل على التماسه وأن أبحث عن سبيل إلى شكره وعبادته.

كَنِيسَةٌ مُتَهَاوِنَةٌ مُسَاوِمَةٌ :

كان السبيل الوحيد إلى تلك الغاية فى ذلك الحين مقتصراً على العقيدة النصرانية، فأخذت أحضر دروساً لدى أحد القسس وقرأت بعض الكتب النصرانية كما حضرت صلوات فى الكنيسة، ولكنى لم أستطع أن ازدد من الله قرباً، فأشار القسيس علىّ أن أعتنق النصرانية وأن أذهب إلى العشاء الربانى، وقال: لأنك حين تمارسين الديانة النصرانية فسوف تعثرين على سبيلك إلى الله بكل تأكيد، فاتبعت مشورته ولكنى لم أوفق فى تحقيق السلام الحقيقى لعقلى، وأبلغ شىء أدى إلى تثبيط عزيمتى هو أنه لا مناص لنا نحن النصارى من الرضا بتنازلات فى عقيدتنا من أجل أن نحيا فى مجتمعنا، فالكنيسة على استعداد دائم لعمل مساومات فى سبيل المحافظة على

سلطانها في مجتمعنا، ولنضرب لذلك مثالاً واحداً: تقول الكنيسة إن العلاقات الجنسية يجب ألا تبدأ إلا بعد الزواج على اسم الله، إلا أنه يكاد لا يوجد أحد من الرجال أو النساء في الغرب (يرضى بشراء القطة في حقيبتها)، وهذا مثل دارج معناه أن يدخل المرء الحياة الزوجية دون أن يجرب قبل ذلك مدى انسجام الشريكين جنسياً مع بعضهما البعض. والقسيس على استعداد دائم لتبرئة ساحة كل من يعترف بهذه الخطيئة حال أداء صلاة أو صلاتين. لم يكن بوسعي أبداً أن أؤمن بكنيسة تتهاون بهذه المسائل المهمة إلى هذا الحد، بل كنت أتطلع إلى مبدأ كامل حقاً أعتصم به كصراط لحياتي. وبهذه الشكوك لم أستطع أن أقترب من الله حتى في وقت ركوعي في الكنيسة.

وكنت في الثالثة والعشرين من عمري حين قابلت لأول مرة الرجل الذي كان من المقدر له أن يكون زوجي بعد سنتين من ذلك الحين، وكان رجلاً عادياً لا فرق بينه وبين أي رجل ألماني آخر إلا أنه عندما أخبرني بأنه اعتنق الإسلام قبل سبع سنوات دهشت إلى درجة كبيرة، جعلتني أتلهف لمعرفة السبب الذي من أجله اختار رجل مثقف مثله هذا السبيل، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة.

ما هو الإسلام..؟

أخذ زوجي يشرح لي معنى الإسلام فقال: بأن الله ليس رب المسلمين وحدهم، وإنما هذه الكلمة «الله» ترادف معنى «الألوهية» عندنا، وأن المسلمين يؤمنون بوحدانية الخالق المطلقة وأنهم لا يعبدون نبيهم محمداً - عليه الصلاة والسلام - مثلما يفعل النصارى إذ يعبدون المسيح عيسى، وأن كلمة «الإسلام» معناها الإذعان الكامل لله الواحد الأحد، وقال لي: إن جميع الكائنات من أناسي وحيوانات وغيرها هو مسلم بالضرورة من وجهة النظر الإسلامية، بمعنى أنهم لابد أن يذعنوا ويسلموا لنواميس الله، فإن لم يفعلوا فهم مهددون بالفناء، وأضاف قائلاً: إن الإنسان وحده بصرف النظر عن إسلام بدنه طوعاً أو كرهاً، قد رزقه الله حرية الإرادة والاختيار ليقرر ما إذا كان يريد أن يكون مسلماً في حياته الروحية والبدنية على السواء، فإن فعل ذلك وعاش وفق ما ينص عليه هذا القرآن فإنه حينئذ يتصل بالله، وسيجد مع المخلوقات الأخرى الانسجام



والسلام النفسى فى الحياة الدنيا، كما سيلقى السعادة فى الدار الآخرة، أما إذا تمرد على سنن الله المبينة لنا بجلاء وروعة لا مثيل لها فى القرآن الكريم فإنه خاسر فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة، وتعلمت من زوجى كذلك أن الإسلام ليس بالدين الجديد، إذ أن القرآن فى الحقيقة هو الكتاب الوحيد المنزه من كل زيغ أو شائبة، وهو آخر كتاب سماوى ضمن سلسلة طويلة من الكتب أبرزها الوحى المنزل فى التوراة والإنجيل.

وهكذا أشرقت أمام ناظرى آفاق عالم جديد. فشرعت تحت توجيه زوجى بقراءة الكتب المعدودة المتوفرة عن الإسلام باللغة الألمانية، وأعنى بها الكتب المعدودة المتوفرة من وجهة النظر الإسلامية، وكان من أهمها كتاب محمد أسد [1] «الطريق إلى مكة» فقد كان مصدر إلهام كبير بالنسبة لى، وبعد زواجنا ببضعة أشهر تعلمت كيف أقيم الصلاة باللغة العربية، كما تعلمت كيف أصوم، ودرست القرآن الكريم كل ذلك قبل أن أعتنق الإسلام فى عام ١٩٦٠. وكنت أريد أن أستوثق من نفسى بأننى أستطيع أن أقوم بواجباتى الإسلامية. لقد ملأت حكمة القرآن نفسى بالحب والإعجاب، ولكن قرة عينى فى الصلاة فقد أحسست إحساساً قوياً أن الله معى وأنا أقف خاشعة بين يديه أرتل القرآن وأصلى.

الهجرة إلى باكستان :

لقد اتفقت مع زوجى أن معيشتنا كمسلمين فى بلد غربى تضطرنا إلى كثير من التنازلات. فليس الإسلام مجرد دين بالمفهوم الشائع، وإنما هو منهج حياة كامل لا يمكن تطبيقه فى أنقى صوره إلا فى مجتمع مسلم، ولما كان كل منا قد اختار هذا الدين عن طواعية كاملة فإننا لم نرد إسلاماً فاتراً ضعيفاً، لذلك وبعد انتظار طويل سنحت لنا فرصة فى عام ١٩٦٢ للهجرة إلى باكستان بعد أن وفرنا نقوداً تكفى لتغطية نفقات الرحلة [2] .

(١) انظر قصة إسلامه رقم (١٨) من هذا الكتاب.

(٢) علمت من الأستاذ غلام محمد - أمير الجماعة الإسلامية فرع كراتشى - أنها قد عادت مع زوجها إلى ميونيخ فى ألمانيا الغربية، وهى تعيش عيشة إسلامية بسيطة، وقد زارهما وسر أبلغ السرور، وزودنى بعنوانهما للمراسلة.

تطبيق الإسلام مع الرضا النفسي:

شرعت في إقامة الصلوات الخمس بانتظام. فتعلمت أن الصلاة ليست أمراً يؤدى كيفما اتفق، ولكنها في الحقيقة نظام لابد أن يصاغ اليوم كله على منواله، وقررت أن ألتزم الحجاب الإسلامي فتعلمت أن أرضى بالوضع الذي يجلس فيه زوجي مع إخوانه في الدين يتجاذب وإياهم أطراف الحديث النير، في الوقت الذي أعد لهم الشاي وأقدمه عند الباب دون أن أعرف الأشخاص الذين أعددت لهم ذلك، وبدلاً من الذهاب إلى الأسواق تعودت أن أمكث في البيت لمطالعة الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، كما أخذت أصوم واعتدت أن أحضّر وجبات الطعام دون أن أذوقها رغم شدة الجوع والعطش في بعض الأحيان. وتعلمت أن أحب نبينا محمداً ﷺ وصحابته من خلال قراءتي لكتب الحديث النبوي الشريف. فقد أصبحوا في نظري شخصيات بشرية حية لا مجرد نماذج تاريخية معجبة، كما غدت أمثلة العطف والشجاعة والتفاني والصلاح التي ضربها هؤلاء الأولون في حياتهم البشرية نجوم هداية لي، فأصبح من الجليّ الواضح أمامي كيف أشكل حياتي بصورة تجعلني من الطيبين الراضين في هذه الحياة الدنيا ، وهي المكان الذي يقرر سلوكنا فيه نوع الجزاء الذي سنلقاه في الدار الآخرة.

الرد على المتهجمين:

إذا كان المتحاملون على الإسلام يقولون بأن من الهمجية أن يتخذ الرجل الواحد لنفسه عدداً من الزوجات فهل لهم أن يبينوا لي الخير الكامن في تصرفاتهم عندما يتخذ الزوج لنفسه خليلات إلى جانب زوجته؟! وهو أمر شائع في الغرب بصورة تفوق انتشار زواج التعدد في الأقطار المسلمة، وإذا كانوا يزعمون أنه لا ضرر في تعاطيهم للكحول فهل لهم أن يفسروا سبب الشقاء الذي تحدثه هذه العادة في الغرب؟! وإذا كانوا يقولون بأن الصوم يضعف القوة العاملة والأحوال الصحية للأمة فليلقوا نظرة إلى المنجزات العظيمة التي حققها المؤمنون وخاصة في شهر رمضان المبارك (١).

وليقرأوا التقارير المهمة التي سجلها الأطباء المسلمون مؤخراً حول تجاربهم الطبية مع

---

(١) كانت كثير من معارك الإسلام الفاصلة في شهر رمضان كغزوة بدر الكبرى وغيرها.

المرضى الصائمين، فإن قالوا بأن فصل الجنسين عن بعضهما تأخرٌ فليقارنوا بين الشباب في أي بلد مسلم والشباب في أية أمة غربية، إذ أن الجريمة الخلقية بين الفتى والفتاة تعتبر استثناءً بين المسلمين، أما في أوساط الغربيين فمن النادر جداً أن تجد زواجاً واحداً بين فتى وفتاة عفيفين، وإن زعم المتحاملون على الإسلام أن إقامة خمس صلوات في كل يوم وليلة بلغة غير معروفة من قبل كثير من المؤمنين [١] يعتبر مضيعة للوقت وصرفاً للجهد في غير فائدة، فليبينوا لنا نظاماً واحداً في الغرب يوحد بين الناس بطريقة أقوى وأسلم للجسم والروح من الشعائر التعبدية بين المسلمين، دعهم يثبتوا أن الغربيين ينجزون أعمالاً أكثر فائدة في أوقات فراغهم من المسلم الذي يخصص ساعة كل يوم لإقامة الصلاة.

لقد صلح الإسلام منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد ولا يزال كذلك في زمننا شريطة أن نحمله دون تنازلات مشوهة، فالدين عند الله الإسلام. والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ولقد أيقن كثير من الناس بهذه الحقيقة في أيامنا هذه، وسوف يتعاونون إن شاء الله لبيانه للعالم المريض المعذب الشقي الذي يتطلع إليهم [٢] .

❁❁❁

(١) وتعني بذلك المسلمين من غير العرب الذين يقيمون الصلاة باللغة العربية وكثير منهم لا يعرفونها.

(٢) وبعد فهذه المرأة المسلمة الأخت فاطمة هي التي ترجمت بعض المؤلفات الإسلامية الحديثة إلى اللغة الألمانية إسهاماً منها في نقل الفكر الإسلامي إلى أبناء جلدتها الألمان، وقامت إحدى المنظمات الإسلامية العالمية مشكورة بطباعة تلك الكتب، لتوزع بين الألمان كنتاج لجهد مؤمنة كانت من قبل من النصارى. فسبحان الله.. وعجبا لدين الله الذي يغزو القلوب فيحول الأعداء إلى أحباء، ويستحيل به الخصوم الألداء إلى رجال ونساء مؤمنين ومؤمنات يحملون هذا الدين إلى الناس كافة.

إنجلترا:

١٦- حسين رووف Husain Rofe

هذه قصة إسلام رجل إنجليزى كان مصلحا اجتماعياً عاش فى أسرة أحد أركانها يهودى والآخر نصرانى، فأتيحت له بذلك المقارنة العملية بين الديانتين، ثم وجد ضالته المنشودة فى الإسلام.

عندما يقرر الناس اعتناق دين جديد غير الذى وضعتهم فيه ظروف الميلاد فإنهم يفعلون ذلك عادة على أساس عاطفى أو فلسفى أو اجتماعى، أما بالنسبة لى فقد كانت فطرتى تتطلع إلى عقيدة تلبى المطلبين الأخيرين، وكل ما عملته هو أننى قررت أن أدرس بدقة الدعاوى والكتب المقدسة والنتائج التى حققتها كافة الأديان الرئيسة فى العالم.

ولدت لأبوين يمثلان الديانتين اليهودية والكاثوليكية - وهى إحدى الطوائف النصرانية - ونشأت وسط تقاليد الكنيسة الإنجليزية فعرفتها جيدا خلال السنوات التى كنت أحضر فيها الطقوس الدينية التى تتميز بها الحياة اليومية فى المدارس الإنجليزية العامة، فشرعت فى سن مبكر أقابل وأقارن بين التعاليم والشعائر التعبدية فى الديانة اليهودية والديانة النصرانية، فدفعنى وجدانى إلى إنكار مذهب (التجسيد الإلهى) ومبدأ (الكفارة) الذى يمارسه القسس،كما أن عقلى لم يجد ضالته فى كثير من الفروض الإنجيلية ولم يرض بانعدام وجود عقيدة حية تقوم على المنطق، وهذا ما لاحظته فى التصور التقليدى للذات الإلهية فى أوساط الكنيسة الاعتيادية فى انجلترا النصرانية.

عقائد أخرى عجيبة:

وفى الديانة اليهودية وجدت تصوراً أكثر إجلالاً وتوقيراً للذات الإلهية مما هو فى الديانة النصرانية، مع أن هذا التصور يخالف ما جاء فى كتب الإنجيل. وقلت فى نفسى: هذه عقيدة تحتفظ بحظ وافر من صفائها ونقائها الأصليين (١)، فتعلمت منها

(١) عقيدة اليهود فى الذات الإلهية بالغة السوء، لأنهم قالوا: «عزيز ابن الله»، وقالوا: «يد الله مغلولة».. إلخ ولكنها لم تبلغ التعقيد والضلال المطلق الذى بلغته عقيدة النصارى؛ وهذا سبب المدح النسبى لليهودية هنا.

الشيء الكثير، ولكنى أنكرت الشيء الكثير كذلك، إذ أن اتِّباع القواعد والتعاليم اليهودية كلها لا يدع لك من الوقت إلا النزر اليسير لإنجاز الأعمال الدنيوية، ولا مفر للعقل من أن يتركز وينهمك فى شكليات وطقوس لا نهاية لها، وأسوأ من ذلك كله أن الديانة اليهودية جاءت من أجل فئة قليلة من البشر مما أدى ضمناً إلى إيجاد هوة بين الفئات الاجتماعية المختلفة.

لقد حضرت الصلاة فى الكنيسة الإنجليزية وشاركت فى الطقوس الدينية التى تقيمها المعابد اليهودية، إلا أننى لم أعتنق قط أيا من الديانتين المذكورتين، إذ وجدت فى الكاثوليكية الرومية كثيراً من الغموض وإخضاع العباد لسلطان العباد، كما تكشف لى كثير من الضعف الذى لا يليق بالمكانة التى أعطيت للبابا وحاشيته والتى تقترب من التقديس.

ومن هنا التفتُ إلى الفلسفة الهندوكية وخاصة إلى تعاليم (Upanishads) أو بانيشادز وفيدانتا (Vedanta) الأخيرة، وهنا تعلمت الكثير كذلك واحترمت الكثير وأنكرت الكثير كذلك، فلم أجد حلا للشرور الاجتماعية لدى فلسفة الهنادك، كما أن العقيدة الكهنوتية قد حُفت بميزات لا تقع تحت الحصر، هذا فى حين أن أحداً من أتباعها لم يمدد يد العون لأى فقير مشرد لأنه يعتبر مصيره ناجماً عن خطئه هو، فإن صبر فى تحمله فقد تأتيه الحياة فى المستقبل بما هو خير، وهذه طريقة قاسية لإخضاع الجماهير وإذلالها، والظاهر أن الدين فى نظرها معناه فرض درجات كهنوتية قوية تستشهد بالله كلما لزم الأمر لتدلل على أن مشيئته تقتضى بقاء الأمور على حالها.

وأما البوذية فقد علمتنى الكثير عن العقل البشرى وقوانيه، وكشفت لى طريقة سهلة لفهم الكون بصورة تماثل فى يسرها إجراء تجربة كيميائية شريطة أن أبذل التضحيات اللازمة، وهنا يوجد رد فعل لنظام العقيدة.

ولكنى لم أجد فى البوذية ولا فى الهندوكية أى تعليم خلقى، صحيح أننى تعلمت كيف أكتسب قوة خارقة تفوق طاقة البشر أو هكذا يعتبرها الجمهور، ولكن سرعان ما علمت أن هذا لا يعتبر دليلاً على السمو الروحانى بل يدل على مقدرة لإتقان علم معين

أو وسيلة للتسلية ذات مستوى أرفع بكثير من الرياضة الخلقية، وأعنى بذلك وسيلة لضبط المشاعر وتنظيم كافة الرغائب وإخضاعها كما كان موقف الفلاسفة الرواقيين. إلا أن مسألة وجود الله لم يجر بحثها أبداً، فليس هناك أدنى ذكر لخالق هذا الكون كله، وإنما يقتصر الأمر فى هذه الديانة على وجود منهج يتبعه المرء من أجل خلاص نفسه ولمساعدة الغير على تحقيق ذلك، وهنا توجد زاوية روحية لا تقتصر على مجرد التحكم فى القوى البهيمية الفطرية، لقد كان بوسع البوذية أن تنقذ العالم نظرياً كما كان فى مقدور النصرانية الأساسية التى آمن بها (تولستوى) أن تفعل ذلك بعد أن تقتصر على كلمات النبى عيسى - عليه السلام - وبعد تجريدها مما ران عليها من إضافات وتحريفات.

من أجل فئة قليلة :

ولكن إذا كانت العقائد المجردة تستطيع أن تنقذ العالم نظرياً فلماذا فشلت فى تحقيق ذلك فى عالم الواقع؟

والجواب هو أنها كانت من أجل فئة قليلة من الناس ولم تكن للجماهير، فإذا أردنا أن نفهم النصرانية والبوذية كما تنص تعاليم مؤسسيها فإننا نجد كلا منهما تتحاشى المشكلات الاجتماعية لأنها لا تهتم بها. فقد كان كل من السيد المسيح عليه السلام وبوذا يدعو إلى هجر كافة الممتلكات وإفناء النفس الدنيا إفناءً كلياً فى سبيل البحث عن الله، «لا تقاوم الشر» «لا تفكر فى الغد» إننى أكنّ أعظم تقدير للذين يستطيعون اتباع هذا المنهج، وأنا واثق من أنه سيقودهم إلى الله [1] ولكنى واثق كذلك أنه لن يتسنى للجماهير أن تطبقه، وأنه لا يستطيع أن يحسن حال الفلاح الجاهل، لهذا كانت قيمته الاجتماعية ضئيلة، إنه تعليم عظيم يصلح لعملاق روحى. ولكنه فاشل فشلاً ذريعاً بالنسبة لجماهير البشر، ولا يصلح لإحداث ثورة بين الجماهير تستهدف تحسين أحوالهم الروحية والفكرية والمادية خلال فترة وجيزة من الزمن.

(١) يقصد بذلك الافتراض وتقريب الأمور، لأن المسلم يعتقد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ كما قال الله تعالى [سورة آل عمران: ١٩، ٨٥].

إلى الإسلام:

قد يكون الأمر مستغرباً إذا قلت إننى رغم حياتى فى البلاد العربية فإن الدين الإسلامى لم ينل منى غير اهتمام عابر، كما أننى لم أفحصه فحصاً دقيقاً مثلما فعلت بالنسبة لكافة العقائد الأخرى فى العالم، إلا أننى عندما أذكر أن معرفتى السابقة لهذا الدين كانت تقتصر على قراءتى لترجمة القرآن بالإنجليزية التى أعدها رودويل Rodwell حينئذ ينتهى العجب من عدم تحمسى للإسلام (١).

بعد ذلك بكثير التقيت بداعية مسلم معروف فى لندن، ولاحظت فيما بعد أن معظم البلاد العربية لا تفعل شيئاً يذكر لاستقطاب غير المسلمين إلى الإسلام، ونشر تعاليمه فى الأماكن التى يمكن فيها أن تؤتى أكلها الطيب. فكثيراً ما يقابل الرجل الأجنبى بالحذر وعدم الثقة حتى أصبحت ذلك صفة مميزة للسياسة الشرقية التى تتمثل فى الإخفاء والتستر بدلاً من النشر والإعلان، ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفت ضالتى المنشودة التى قضيت فى البحث عنها سنين عدداً، كان ذلك فى ظل التوجيه الذكى لرجل مسلم زودنى بنسخة من القرآن مترجمة ومعلق عليها بقلم عالم مسلم، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المؤلفات النافعة الأخرى مما هيأ لى تصوراً حقيقياً عن الإسلام. ودعيت ذات يوم لمشاهدة الصلاة والمشاركة فى تناول طعام الغداء الذى قدم عقب صلاة العيد، كان ذلك فى عام ١٩٤٥م مما أتاح لى الفرصة لتأمل مجموعة دولية من المسلمين عن كثب، لم تكن تلك المجموعة من العرب ولا من أية قومية أخرى، وإنما كانت ثلة تمثل مختلف أجناس الدنيا وطبقاتها الاجتماعية، وكانت فيها شتى ألوان البشر، فقد التقيت ضمن هذه المجموعة بأمير تركى كما لقيت أناساً يمكن اعتبارهم فى الحياة العملية من طبقة الشحاذين، وجلس هؤلاء وأولئك جميعاً يتناولون طعام الغداء بعضهم مع بعض، ولم تبد من الأغنياء أية بادرة تنم عن التواضع المفتعل، كما لم تشم أية رائحة من النفاق المغرور بالنسبة للشعور بالمساواة التى كانت تنبعث من الرجال البيض وهم يتحدثون مع جيرانهم الزنوج (٢) ولم تجر أية محاولة للانسحاب أو الانعزال

(١) انظر تعليق الدكتور عيسى عبده فى المقدمة (ص١٣٤)، ومعلوم أن ترجمة معانى القرآن لرودويل مليئة بالجهل، والتعصب، والافتراء على القرآن والإسلام.

(٢) فى أمريكا مطاعم فخمة عليها لافتات كبيرة مكتوب عليها: ممنوع دخول الزنوج والكلاب .

بالنفس عن بقية البشر، كما لم أشاهد أى تعاظم مضحك من قبل أحد منهم يتصنع الفضيلة ويخفى الأثرَة.

إن المجال لا يتسع ها هنا لكى أصف كافة جوانب الحياة التى اكتشفتها فى ظل تعاليم الإسلام. وهذا شيء لم أعثر على مثله فى أى مكان آخر، وحسبى أن أقول إننى دخلت هذا الدين بعد تفكير وتأمل مناسب، وبعد دراسة جميع الأديان المهمة فى العالم دون أن أعتنق أى دين منها.

لهذا كله غدوت اليوم من المسلمين، ولكن ما سبق بيانه لا يبين سر اعتزازى بإسلامى. إذ أن هذا الإحساس بالفخر والاعتزاز لم يتم إلا بمرور الزمن وعن طريق التجربة.

لقد درست الثقافة الإسلامية فى جامعة إنجليزية وتعلمت للمرة الأولى أن هذه الثقافة ذاتها هى التى أخرجت أوروبا من عصور الظلام، وتعلمت من التاريخ كيف كان عدد كبير من أعظم الامبراطوريات فى العالم امبراطوريات إسلامية، وأن جانباً كبيراً من العلم الحديث لابد من الإقرار بأنه تراث إسلامى.

وعندما أقبل علىّ الناس وقالوا لى بأننى اتخذت خطوة إلى الوراء، عندئذ ابتسمت من جهلهم وخلطهم بين العلة والمعلول، هل يحق للعالم أن يذم الإسلام تبعاً للعوامل الخارجية التى أنشأت الانحطاط الذى حدث فى بلاد المسلمين؟ [1] وهل يعتبر الفن فى عصر النهضة مثلا أقل صدقاً لأن حوادث الإجهاض يجرى تصويرها اليوم فى العالم كله؟ وهل يجوز لنا وَصْم النصرانية بالبربرية المتعطشة للدماء بسبب محاكم التفتيش التى جرت فى العصور الوسطى فى أسبانيا؟ لابد أن نسجل هنا أن أعظم العقليات وأكثرها نبوغاً قد أعربت فى كل العصور عن احترامها للثقافة الإسلامية [2] التى يخفى على الغرب كثير من جواهرها ولآلئها.

(١) هذه إشارة إلى أن حال المسلمين اليوم لا يشجع الآخرين على الدخول فى الإسلام. وحسبى أن أردد هنا هذا الدعاء القرآنى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) فالمسلمون اليوم يصدون عن دينهم، وليس لهم منه مع الأسف إلا الاسم. هذا بالنسبة لأكثرهم.

(٢) من ذلك أقوال كارليل وبرنادشو الإنجليزيين وإشادتهما بالإسلام. يقول برناردشو: إن أعظم شخصية عرفتها الدنيا هى شخصية محمد. ويقول: لو أن العالم احتكم اليوم إلى الإسلام لكان فى أحسن حال..

لقد سافرت إلى أقطار كثيرة فى أنحاء العالم، وأتيحت لى فرصة كافية لملاحظة طريقة استقبال الأجانب فى كل مكان، فلم أجد أحداً من أتباع الديانات الأخرى كالمسلمين فى كرم ضيافتهم وعطفهم على الغرباء، المبرأ من كل مصلحة بصرف النظر عن رد الفعل المبدئى المتمثل أحيانا فى الرغبة فى مساعدة الغريب أو مسألة معرفة هويته واكتشاف المزايا والفوائد التى يمكن جنيها من ورائه، ومن الناحية الاقتصادية لا نجد كالمسلمين فى تقارب الفروق بين غنيهم وفقيرهم بشكل لا يستدعى الفقراء إلى العمل على قلب نظام الحكم أو إشاعة الفوضى. لذلك لم يكن بوسع الشيوعية السوفيتية أن تشيع فى أية دولة مسلمة (*)

❁❁❁

(*) عن مجلة مسلم نيوز انترناشنال الباكستانية المسلمة - عدد أغسطس ١٩٦٨م الموافق جمادى الأولى ١٣٨٨هـ.

إنجلترا :

١٧- الشيخ رحمة الله الفاروق
(اللورد هيدلي سابقاً)

Lord Headlcy Al- Farooq "England'

تعريف في سطور

ولد اللورد هيدلى الفاروق فى عام ١٨٥٥ وكان أميرا بريطانيا بارزا وسياسيا ومؤلفا. وكان تعليمه فى جامعة كامبرج ثم أصبح أميرا فى عام ١٨٧٧م. وخدم في الجيش فشغل رتبة كابتن ثم مقدم فى الفيلق البريطانى الرابع. وعلى الرغم من كونه مهندسا بحكم المهنة فقد كان يتمتع بأذواق أدبية واسعة. وكان فى وقت من الأوقات رئيسا لتحرير جريدة «سولزيورى»، كما كان مؤلفا لعديد من الكتب أشهرها بعنوان «رجل غربى يصحو فيعتنق الإسلام» وقد اعتنق اللورد هيدلى الإسلام فى ١٦ نوفمبر ١٩١٣ واتخذ لنفسه اسما مسلما هو الشيخ رحمة الله الفاروق فى وقت كان المسلمون فى أشد حالات الضعف والضياع، وكان كثير الأسفار فقد قام بزيارة للهند فى عام ١٩٢٨. ولنتركه يحدثنا :

ثمرة تفكير:

ربما يظن بعض أصدقائى أننى تأثرت بالمسلمين. إلا أن ذلك ليس السبب فى اعتناقى دين الإسلام. إذ أن معتقداتى الحاضرة ليست إلا ثمرة تفكير استمر سنوات عديدة. ولم تبدأ مناقشاتى الفعلية مع المثقفين المسلمين فى موضوع الدين إلا منذ بضعة أسابيع خلت. ولست بحاجة إلى القول بأننى سعيد غاية السعادة إذ أجد أن جميع نظرياتى واستنتاجاتى تتفق تمام الاتفاق مع ما جاء به الاسلام. ينص القرآن الكريم على أن الاتجاه إلى اعتناق دين جديد لابد أن يكون نابعاً من الاختيار الحر والحكم الذاتى الطبيعى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وهذا ما أشار إليه السيد المسيح عليه

السلام حين قال لأنصاره كما ورد في انجيل مارك ٦- ٢٠: «ولكل إنسان الحق في عدم استقبالكم والامتناع عن سماعكم عندما ترحلون إلى هناك».

دعوة بلا حكمة:

إننى أعرف أمثلة كثيرة جداً قام فيها رجال من البروتستانت المتحمسين وظنوا أن من واجبهم زيارة منازل الروم الكاثوليك بغية كسب سكانها إلى الديانة البروتستانتية[1]. وهذا التصرف المزعج المنافى لآداب الجوار يعتبر بطبيعة الحال شنيعاً للغاية، وقد أدى كثيرا الى إساءة المشاعر كما أثار النزاع وكاد يصم الدين بالاحتقار والسخرية، ويؤسفنى أن أذكر أن المبشرين النصارى قد سلكوا هذا المسلك كذلك مع إخوانهم المسلمين، ولكن لست أدرى لماذا يسعى هؤلاء إلى تنصير من هم أنصار لعيسى عليه السلام أكثر منهم أنفسهم؟ أقول هذا عن علم لأن ما تتميز به العقيدة الإسلامية من إحسان وتسامح وسعة أفق أقرب إلى تعاليم عيسى عليه السلام من المعتقدات الضيقة الأفق التى تنادى بها الكنائس النصرانية المختلفة.

ولنضرب مثالا لذلك بالعقيدة الأثناسية «Athnasian Creed» التى تتناول مبدأ الثالوث بطريقة محيرة للغاية، فهذه العقيدة التى تعتبر فى غاية الأهمية لمعالجتها لمبدأ أساسى من مبادئ الكنائس تصرح بوضوح تام أنها تمثل العقيدة الكاثوليكية، وأننا إذا لم نصدقها فسوف نموت إلى الأبد، ثم نسمع أننا لابد أن نتدبر مبدأ التثليث إذا أردنا الخلاص، وبعبارة أخرى علينا أن نتأمل فكرة إله نخلع عليه صفة الرحمة والقوة، وفى ذات الوقت نتهمه بالظلم والقسوة، وهى صفات ننسبها إلى أشد الطغاة المتعطشين للدماء من بنى الإنسان. كأن الله العلى الكبير وهو الأول والمهيمن يمكن أن يتأثر بصورة من الصور برأى الإنسان الفانى المسكين فى مبدأ التثليث.

خذ مثالا آخر يدل على قلة الإحسان، تلقيت رسالة تناولت ميلى إلى الإسلام يخبرنى فيها مرسلها أننى إذا لم أؤمن بألوهية المسيح فلا سبيل إلى نجاتى، لم يحدث قط أن ظهرت لى مسألة ألوهية المسيح من الأهمية بمكان بحيث توازى القضية التالية: «هل بلّغ المسيح رسالة ربه للناس؟» لو كنت أرتاب فى ذلك فلا بد أن أعانى كثيرا من

(١) البروتستانتية معناها المعارضة وهى طائفة دينية انشقت عن الكاثوليكية على يد مارتن لوثر الألمانى.

القلق، ولكنى والحمد لله معافى من كل ريب، وآمل أن يكون إيمانى بالمسيح وتعاليمه المهمة قويًا راسخاً كإيمان أى مسلم أو نصرانى آخر، وكما ذكرت وكررت كثيرا من قبل: إن الإسلام والنصرانية التى جاء بها المسيح نفسه عليه السلام توأمان لا يفصل بينهما إلا بعض التعاليم والاصطلاحات التى يمكن التجاوز فيها عن طيب خاطر.

عندما يطلب إلىّ الناس فى أيامنا هذه الإيمان بمعتقدات جامدة متعصبة نجدهم يميلون إلى الإلحاد ، ولكن مما لا شك فيه أن فى صدورهم حنيناً إلى دين يتمشى مع العقل والعواطف الإنسانية، فهل سمعتم بمسلم يرتد إلى ملحد؟ ربما توجد بعض الحالات الشاذة ولكنى أشك فى ذلك كثيراً.

مُسلِمُونَ بقُلُوبِهِمْ :

أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمون فى أعماق قلوبهم، و لكن التقاليد والخوف من التعليقات الشديدة والرغبة فى تجنب كل إزعاج أو تغيير ، تتضافر كل هذه الأمور للحيلولة دون تصريحهم بالحقيقة الواقعة على رؤوس الأشهاد، وإننى إذ أتخذ هذه الخطوة أعلم تماماً أن كثيراً من أصدقائى وأقاربى ينظرون إلى متوهمين أننى خسرت روحى وأن لا أمل فى الدعاء لى، مع أننى مُازلت أؤمن بنفس العقائد التى آمنت بها منذ عشرين عاماً ولكن النطق الصريح بحقيقة أمرى هو الذى أفقدنى رأيهم الحسن.

بعد بيان بعض الأسباب التى من أجلها اعتنقت تعاليم الإسلام، وبعد أن شرحت للقراء أننى أعتبر نفسى بذلك العمل أقربْ إلى النصرانية الحقة مما كنت من قبل، فكلى أمل فى أن يحذو الآخرون حذوى ، فهى قدوة إلى الخير تجلب السعادة لكل من يعتبر من هذه الخطوة ويفهم أنها خطوة إلى الأمام. أما من يعادى النصرانية الحقة فلا أمل فيه(*).

❁❁❁

(*) عن كتاب اخترنا الإسلام (Islam Our Choice) طباعة أوقاف بوانى - باكستان.

النمسا:

١٨- محمد أسد

(ليوبولد فايس) سابقًا

تعريف في سطور:

ولد محمد أسد أو ليوبولد فايس «Lcopold Wciss» كما كان اسمه قبل الإسلام فى مدينة ليفو (Livow) بالنمسا، والتى أصبحت فيما بعد فى بولندا - ولد فى عام ١٩٠٠ ميلادية. ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام بزيارة الشرق الأوسط. وأصبح بعد ذلك مراسلا خارجيا شهيرا لمجلة فرانكفورتر زايتونج Frankfurter Zeitung وبعد دخوله فى دين الإسلام تجول واشتغل فى سائر أنحاء العالم الإسلامى من شمال أفريقيا غربا إلى أفغانستان شرقا .وقد أصبح محمد أسد واحدا من أبرز علماء المسلمين فى عصرنا الحاضر بعد سنوات طويلة من الدراسة الجادة، ولما تم إنشاء دولة باكستان عين مديرا لقسم التعمير الإسلامى فى بنجاب الغربية، ثم أصبح ممثل باكستان الدورى لدى الأمم المتحدة .وله مؤلفات باللغات الألمانية والانجليزية والعربية ومن أبرز كتبه: «الطريق إلى مكة» وقد ترجم إلى العربية، و«الطريق إلى الإسلام» تحدث فيه عن قصة إسلامه تفصيلا، وكتابه «الإسلام على مفترق الطرق» وهو على صغره من أجمل ما كتب عن الإسلام، وكتاب «نظام الحكم فى الإسلام» وغيرها، كذلك أصدر مجلة شهرية سماها «عرفات». وله ترجمة معانى القرآن بالإنجليزية، ولندعه الآن يحدثنا عن جانب من قصة إسلامه ويستطيع من يريد الاستزادة من القراء الكرام أن يرجع إلى مقدمة كتابه الثانى «الإسلام على مفترق الطرق». وهو سياسى وصحفى ومؤلف. وقد كان آخر المطاف له الإقامة بمدينة طنجة بالمغرب حيث توفاه الله، رضى الله عنه وأرضاه.

بداية الطريق:

فى عام ١٩٢٢م تركت وطنى الأصلى النمسا وسافرت عبر أفريقيا وآسيا كمراسل خاص لبعض الصحف الأوروبية المهمة، ومنذ ذلك العام وما بعده قضيت معظم أوقاتى

فى بلاد الشرق الإسلامى. وكان شغفى بالشعوب التى خالطتها مقتصراً فى مبدأ الأمر على كونى أجنبياً، فرأيت أمام ناظرى نظاماً اجتماعياً وتصوراً للحياة يختلف اختلافاً جذرياً عن النظام الأوروبى، وأخذ يكبر فى نفسى منذ الوهلة الأولى شعور بالتعاطف الوجدانى مع التصور الحياتى الإسلامى الأكثر هدوءاً، بل لابد أن أقول بأنه الأكثر إنسانية إذا قورن بأسلوب الحياة الخاطف فى سرعته، الآلى فى طريقته فى البلاد الأوروبية، وقادنى هذا الشعور شيئاً فشيئاً إلى التنقيب عن الأسباب الكامنة فى هذا التباين. فأصبحت مهتماً بالتعاليم الدينية لدى المسلمين.

لم يكن ذلك الاهتمام فى تلك الآونة على درجة من القوة بحيث يشدنى إلى اعتناق الإسلام، ولكنه فتح أمامى زاوية جديدة لمجتمع إنسانى متقدم منظم يتسم بحد أدنى من الصراع الداخلى، وحد أقصى من الإحساس الأخوى الصادق، إلا أن واقع الحياة الإسلامية فى العصر الحاضر قد بدا لى بعيداً غاية البعد عن الاحتمالات المثالية التى تزخر بها تعاليم الإسلام. فقد تحول كل ما فى الإسلام من تقدم وحركة إلى كسل وركود فى أوساط المسلمين، وحل ضيق الأفق وحب الحياة الهانئة الميسرة محل الكرم والاستعداد للبذل والتضحية.

بين الأمس واليوم:

لقد دفعنى هذا الاكتشاف وتلك الحيرة الناجمة عن المفارقة الواضحة بين الأمس واليوم إلى محاولة تناول المشكلة الماثلة أمامى من زاوية أكثر إخلاصاً، فتصورت أننى داخل إطار الإسلام. وكانت هذه تجربة فكرية محضة كشفت لى الحل الصحيح خلال فترة وجيزة. فقد أيقنت أن علة العلل فى انحلال المسلمين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية تتمثل فى هجرهم روح التعاليم الإسلامية. فالإسلام موجود ولكنه فى نفوسهم جسد بلا روح، فنفس العنصر الذى تمثلت فيه قوة العالم الإسلامى قد أصبح اليوم مظنة ضعف هذا العالم، ولقد قام المجتمع الإسلامى بادىء ذى بدء على أسس دينية مجردة لذلك كان لزاماً أن يؤدى ضعف الأسس إلى زعزعة البناء الثقافى، مما قد يؤدى إلى تلاشيه التام.

كيف يهجر المسلمون دينهم..؟

عجباً لأمر المسلمين! كلما تعمقت فى فهم الصفة التطبيقية الملموسة التى تتميز بها

التعاليم الإسلامية كلما اشتد تساؤلي: لماذا هجر المسلمون تطبيق هذه التعاليم في الحياة الواقعة؟ لقد بحثت هذه القضية مع كثير من المفكرين المسلمين في معظم الأقطار التي تقع بين الصحراء الليبية والبامير Pamirs وبين مضيق البسفور وبحر العرب، حتى غدت هذه القضية بمثابة عقدة تغلغلت في نهاية المطاف في كافة اهتماماتي الفكرية الأخرى في عالم الإسلام، ثم اشتدت وطأة هذا التساؤل واطردت حتى أخذت أنا الرجل غير المسلم في بحثها مع المسلمين، وكأن من واجبي أن أدفع عن الإسلام إهمالهم وتكاسلهم.

كان هذا التقدم غير محسوس بالنسبة لي، إلى أن كان يوم من أيام خريف عام ١٩٢٥م عندما كنت في جبال أفغانستان إذ التفت إليّ حاكم شاب من حكام إحدى المقاطعات الأفغانية وقال: «ولكنك مسلم. كل ما في الأمر أنك لا تعرف نفسك»، لقد هزتني هذه العبارة ولكنني التزمت جانب الصمت، وعندما عدت ثانية إلى أوروبا في عام ١٩٢٦ رأيت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لموقفي هي أن أعتنق الإسلام.

أكتفي بما ذكرت آنفاً عن الظروف التي أحاطت باعتناقي للإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا أسأل المرة تلو الأخرى: «لماذا أسلمت؟ ما الذي جذبك إلى الإسلام بصورة خاصة؟».

الإسلام البناء الشامل:

والحق أنني لابد أن أعترف أنني لا أملك إجابة شافية لذلك، فلم يجذبني إلى هذا الدين تعليم إسلامي معين وإنما الذي استقطبني إليه هو ذلك البناء العظيم الشامل المتناسق الذي يبلغ حداً لا يمكن وصفه، والذي يتضمن تعاليم خلقية كما يتضمن برنامج حياة واقعي، لست أدري حتى الآن أي جانب من الإسلام يستميلني أكثر من غيره، لأن الإسلام في نظري بمثابة بناء هندسي بديع لا يشوهه أي عيب، قد صممت كافة جزئياته وائتلفت يكمل بعضها البعض الآخر، ليس فيه زيادة أو نقصان مما أدى إلى التوازن المطلق والائتلاف المكين.

ربما يكون هذا الإحساس بأن كل شيء في تعاليم الإسلام ومبادئه يقع في مكانه المناسب هو الذي ترك أعظم الأثر في نفسي، وقد تكون إلى جانبه مشاعر أخرى من العسير عليّ الآن أن أحللها، والمسألة على كل حال عبارة عن قضية حب، والحب يتألف

من أمور شتى تدخل فيها رغباتنا وشعورنا بالوحشة وآمالنا السامية وعيوبنا، كما تدخل فيها قوتنا وضعفنا . وكذلك الحال بالنسبة لى، فقد أتانى الإسلام متسللا كالطيف حين يدخل منزلا ما فى حلكة الليل المظلم. لكنه يختلف عن الطيف فى أنه دخل ليبقى إلى الأبد.

الإسلام أعظم قوة :

منذ أن أسلمت وأنا أسعى جاهداً لطلب أكبر قدر من العلم الإسلامى. فقد درست القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما درست لغة الإسلام وتاريخه وجانباً كبيراً مما كتب عنه وما كتب ضده، وأمضيت خمس سنوات ونيف فى الحجاز ونجد، كان معظمها فى المدينة المنورة على أمل أن أتذوق الحياة وسط البيئة الأصلية التى نبت فيها هذا الدين، حيث دعا إليه النبى العربى صلوات الله وسلامه عليه، ولما كانت الحجاز نقطة التقاء المسلمين من أقطار كثيرة فقد أمكننى أن أقارن بين معظم الآراء الدينية والاجتماعية المختلفة السائدة فى العالم الإسلامى فى أيامنا هذه، حتى أحدثت هذه الدراسات والمقارنات اعتقاداً راسخاً فى نفسى بأن الإسلام كظاهرة روحية اجتماعية لا يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية ، رغم كافة السقطات التى ترجع إلى قصور المسلمين أنفسهم، لذلك أصبح همى الأول منصباً منذ ذلك الحين على قضية بعث الإسلام من جديد.

۞۞۞

هنغاريا: "المجر"

١٩- الدكتور عبد الكريم جرمانوس

"مستشرق مجري"

تعريف في سطور

هو الحاج الدكتور عبدالكريم جرمانوس مستشرق هنغارى «مجرى» معروف وعالم له شهرته فى العالم، زار الهند فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين واتصل بجامعة طاغور بعضا من الوقت، ثم قدم إلى الجمعية الملية فى نيودلهى حيث اعتنق الإسلام. والدكتور جرمانوس عالم فى اللغويات فهو حجة فى اللغة التركية، وأدبها، ولقد دخل فى الإسلام عن طريق الدراسات الشرقية. وكان يعمل فى الستينات أستاذا ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية فى جامعة بودابست بهنغاريا. - المترجم.

***

فى إحدى أمسيات الشتاء من عهد مراهقتى كنت أطالع مجلة مصورة قديمة امتزجت فيها الأحداث الجارية فى الواقع بالخيال كما انتشرت فى صفحاتها أوصاف البلاد النائية. ومكثت برهة أقلب صفحات المجلة دون اهتمام. وفجأة استوقف نظرى منظر خشبى رأيت فيه منازل ذات سُقف منبسطة تبرز من بينها هنا وهناك قباب مستديرة يزينها الهلال وسط سماء مظلمة. كما شاهدت رجالا يجلسون القرفصاء على السطح وعليهم حلل غريبة وقد انتشرت ظلالهم فى صفوف غامضة.

ابتهاج ودراسات:

لقد ابتهج خيالى بهذه الصورة تبعًا لاختلافها الشديد عن المناظر الطبيعية المعتادة فى أوربا، فقد كانت منظراً شرقيًا فى مكان ما من الشرق العربى حيث جلس أحد الرواة يقص على مستمعيه المدثرين قصصه المبهرجة. وكانت الصورة حية بشكل جعلنى أتخيل أننى أسمع صوته العذب وهو يسلينا: مستمعيه العرب الجالسين معه على السطح، وأنا الطالب البالغ من العمر ستة عشر عامًا- والجالس على كرسى مريح فى بلادى هنغاريا-

لقد أحسست بشغف لم أستطع مقاومته لمعرفة ذلك النور الذى يصارع الظلمة فى الصورة.

من هنا بدأت أتعلم اللغة التركية، فعرفت أن اللغة الأدبية التركية لا تتضمن إلا قليلا من الكلمات التركية. فالشعر التركى غنى بالعناصر الفارسية والنثر العربى. فأخذت أعمل على إجادة هذه اللغات الثلاث حتى أدخل ذلك العالم الروحى الذى طلع على البشرية بهذا النور الساطع.

الاتصال الأول : سلام لا عداوة :

لقد كان من حسن طالعى أن أسافر فى إحدى الأجازات الصيفية إلى بلاد «البوسنا» وهى أقرب بلد شرقى مجاور لهنغاريا، وما أن نزلت فى أحد الفنادق حتى خرجت مندفعاً بغية مشاهدة المسلمين الأحياء الذين كانت لغتهم التركية تطلع علىّ من خلال حروفها العربية المتشابكة، وذلك فى صفحات كتب النحو والصرف، وكان الزمان ليلا فسرعان ما اكتشفت فى الشوارع ذات الضوء الخافت مقهى متواضعاً جلس فيه رجلان من أهل «البوسنا» على مقاعد منخفضة «يكيفان». كان كل منهما يرتدى سروالا تقليدياً منتفخًا يمسكه حزام عريض مزين بالخناجر اللامعة ومعقود حول الخاصرة، كما أن لباس الرأس والحلة الغريبة الشكل التى كان يرتديها كل منهما قد أكسبتهما مظهراً شرساً، فدخلت «القهوة خانة» - كما يسمونها - وقلبى يدق بشدة من الفزع وجلست بحذر فى ركن بعيد. فالتفت الرجلان نحوى بعيون يبدو فيها الاستغراب. وسرعان ما تذكرت القصص التى يتجمد الدم فى الشرايين من هول سماعها. تلك القصص التى كنت أطالعها فى كتب خيالية حول تعصب المسلمين. ولاحظت أنهما كانا يهمسان فيما بينهما وأن حضورى غير المنتظر هو موضوع همسهما. فما كان من خيالى الصبيانى إلا أن تأجج بالرعب وقلت فى نفسى: لابد أنهما ينويان أن يشهرا خنجريهما فى وجه «الكافر» الدخيل. وتمنيت أن أخرج بسلام من هذا الجو المنذر بالخطر. ولكننى لم أجرؤ على الإتيان بأية حركة.

وبعد ثوان قليلة أتانى الخادم بفنجان من القهوة الزكية الرائحة وأومأ إلى مجلس الرجلين المخيفين، فأدرت وجهى الفزع نحوهما فما كان من أحدهما إلا أن أفشى سلاماً ودياً وعلى وجهه ابتسامة لطيفة ، فجرت ابتسامة مفتعلة متلكئة على شفتى المرتعشتين، وقام الرجلان اللذان تصورت أنهما عَدُوّان واقتربا ببطء من منضدتى

الصغيرة، فثار في قلبي المضطرب التساؤل التالي: ترى ماذا سيفعلان بي الآن؟ هل سيطرداني؟ لا بل لقد طرحا على سلاماً آخر، وجلس الرجلان من حولي وقدم لي أحدهما سيجارة، ولما أشعلتها لاحظت أن لباسهما العسكري يخفي وراءه روحاً مضيافةً كريمة، فجمعت قوتي وخاطبتهما بلهجتي التركية البدائية: فكان ذلك الحديث كالعصا السحرية، إذ استنارت في روح من المودة التي تشرف على الحب، وبدلا من العداوة دعاني هذان الرجلان إلى زيارة بيتيهما، وبدلا من الخناجر الزائفة المتوقعة غمرت بالتسامح، ذلك هو لقائي الشخصي بالمسلمين لأول مرة.

العُلومُ الإسْلامِيَّة :

ثم مضت سنوات زاخرة بشتى الأحداث والأسفار والدراسات فتحت كل واحدة منها آفاقاً جديدة أمام ناظري. فعبرت كافة الأقطار الأوروبية ودرست في جامعة اسطنبول فأعجبت بروائع آسيا الصغرى وسوريا. وتعلمت اللغة التركية والفارسية والعربية وحصلت على كرسي الدراسات الإسلامية بجامعة بودابست. والتهمت كافة العلوم النظرية المختزنة عبر القرون كما طالعت آلاف الصحائف في المؤلفات العلمية. ولكن روحي بقيت ظمأى. لقد وجدت خيط اريادنه «Ariadne» الأخضر في كتب العلم، ولكني تشوقت إلى جنة التجربة الدينية ذات الخضرة السرمدية. لقد بلغ عقلي حد التشبع إلا أن روحي ظلت متعطشة. فجردت نفسي من كثير من المعارف التي حصلتها كي أستعيدها من خلال التجربة الباطنية بعد صهرها بنار الألم، كمثل الحديد الخام الذي تحيله قسوة البرودة المفاجئة إلى حديد صلب مطاوع.

رُؤْيَايَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ :

وفي إحدى الليالي رأيت النبي محمداً ﷺ أمامي. كانت لحيته الكثة محمرة بالحناء وكان رداؤه بسيطاً رائعًا تنبعث منه رائحة زكية. وقد أشرقت عيناه بإشعاع نوراني. فخاطبني بصوت رجولي قائلا: «لماذا تكتنفك الهموم؟ إن الصراط المستقيم مبسوط أمامك كسطح الأرض المستوية يزينه الأمن. فَسِرْ بخطى واثقة ثابتة مدعمة بقوة الإيمان».

فصحت متعجباً بلسان عربي في ذلك المنام المؤثر قائلاً: «يا رسول الله! إنّه أمر

ميسر لك أنت الذى عبرت الطريق وهزمت جميع الأعداء، بعد أن دفعك الذكر الربانى فى سبيلك حتى تُوِّجت مساعيك بالنصر والفوز المبين، أما أنا فلابد لى من أن أقاسى. ومن يدرى متى أجد راحتى!».

فنظر إلى نظرة جادة استغرق على إثرها فى تفكير عميق ولكنه عاد فتكلم بعد برهة، كان كلامه العربى من الوضوح بحيث كانت كل كلمة فيه تجلجل كأجراس الفضة، إن هذا الكلام النبوى الذى تضمن أوامر الله كان بمثابة حمل ثقيل ساحق فوق صدرى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٦-٩]. فتنهدت متألماً: «لا أستطيع أن أنام، لا أستطيع أن أحل الأسرار المغطاة بحجب كثيفة لا يمكن خرقها، فكن عونى يا محمد يا رسول الله أعنى!» ثم انطلقت من جوفى صرخة شديدة متقطعة. وارتميت تحت وطأة الكابوس وقد كدت أن أختنق. وأصبحت أخشى من غضب النبى. ثم شعرت وكأننى وقعت فى أعماق سحيقة. وفجأة استيقظت. فوجدت الدم قد احتبس فى وجناتى، كما وجدت جسدى غارقا فى العرق وكل عضو فيه يؤلمنى. ولفَّنى صمت قاتل، ثم أحسست بالأسى الشديد والوحشة العظيمة.

المشهد العظيم في صلاة الجمعة:

ثم كان يوم الجمعة التالى فشهد منظراً مثيراً للدهشة وذلك فى المسجد الجامع الكبير فى نيودلهى، حيث شوهد رجل غريب أشهب الشعر، شاحب الوجه يشق طريقه بين جماهير المصلين ومعه بعض الشيوخ. كنت ذلك الرجل، وعلىّ لباس هندى وعلى رأسى قبعة رامبوريه Rampuri صغيرة، وعلى صدرى أوسمة تركية أهديت لى من قبل السلاطين السابقين، فنظر إلىّ المؤمنون نظرة ملؤها الدهشة والاستغراب، واستمرت مجموعتنا الصغيرة فى اتجاهها إلى المحراب الذى يحيط به علماء أجلاء طاعنون فى السن، فاستقبلونى بالسلام رافعين أصواتهم، وجلست قريباً من المنبر وطوفت ببصرى أتأمل واجهة المسجد ذات الزخارف الجميلة.

لحظة معظمة ومسلم جديد :

وفجأة رفع الأذان ووقف المكبرون فى أماكن شتى من الرواق ينقلون النداء إلى أبعد ناحية فى المسجد، ثم قام ما يقارب الأربعة آلاف رجل مثلما يقوم الجنود ملبين هذا الأمر السماوى. واصطفوا فى صفوف متقاربة وأقاموا الصلاة بخشوع تام، وكنت بينهم، فكانت لحظة مليئة بالتعظيم . وبعد انتهاء الخطبة والصلاة أخذ أحد المسلمين واسمه عبدالحى بيدى وقادنى إلى المنبر، لقد جاءت الحادثة العظيمة، فما أن وقفت على درجات المنبر حتى بدأ الحشد الهائل من الناس فى التحرك، وأخذ آلاف الرجال المعممين يتمتمون مع بعضهم البعض مشيرين إلىّ باستغراب. كما أحاط بى علماء ذوو لحى بيضاء ومسحونى بنظراتهم المشجعة فأيقظوا فى نفسى ثباتاً غير عادى، فأخذت أصعد ببطء إلى الدرجة السابعة من المنبر دون وجل، ومن فوقها استعرضت الجمهور المختلف الألوان وكان يزخر تحتى كالبحر تماما ، كان الجالسون فى الصفوف الخلفية يمدون أعناقهم نحوى فكان ذلك يوحى بانتشار الحركة فى القاعة كلها ، وقال بعض الجالسين بالقرب منى متعجبين: ما شاء الله! وكانت عيونهم تشع بنظرات المودة والحب.

ثم بدأت خطابى باللغة العربية فقلت: أيها السادة الكرام: لقد أتيت من بلاد نائية كى أحصّل معرفة لم أستطع تحصيلها فى بلادى. جئتكم لأقتبس منكم الإلهام فاستجبتم لذلك. وواصلت حديثى فتكلمت عن الدور الذى أدّاه الإسلام فى تاريخ العالم وعن الآية التى أودعها الله فى نبيه عليه الصلاة والسلام، وشرحت سبب تأخر المسلمين المعاصرين وكيف يستعيدون عزهم من جديد، وقلت بأن هناك قولا إسلامياً مفاده أن كل شىء يتوقف على مشيئة الله، ولكن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فبنيت حديثى على هذه الآية القرآنية وعرجت للثناء على حياة الصلاح والتقوى ومحاربة الشر. ثم جلست فتأثرت برد الفعل الساحر الذى تركه حديثى إذ أخذت عبارة «الله أكبر» تتردد بها جنبات المسجد. وكانت الإثارة شاملة، وكل ما أذكره أن «إسلام» - أحد المسلمين - دعانى إلى النزول عن المنبر وأمسك بعضدى حتى سحبنى خارج المسجد. فسألته عن سر هذه العجلة فلم يجب.

حَبٌّ ومَوَدَّةٌ بَالِغَة :

لقد وقف الرجال أمامي وأخذوا يعانقونني كما نظر إليَّ كثير من المساكين نظرات ملؤها التوسل، وصاروا يتبركون بي وهمّوا أن يقبلوا رأسي، فقلت متعجباً: يا إلهي! لا تدع هذه النفوس البريئة ترفعني فوقها، فما أنا إلا دودة من دود الأرض، أو تائه يسير نحو النور عاجز لا حول لي ولا قوة مثل سائر المخلوقات البائسة. لقد أخجلتني تنهدات البرءاء وآمالهم فشعرت وكأنني قد سرقت أو خدعت. فيا له من حمل ثقيل يوضع على كاهل الرجل السياسي مثلا، حين يحوز على ثقة الناس حتى يجعلوه أملهم الذي يعينهم وصاروا يقدمونه على أنفسهم.

ثم جاء «إسلام» فخلصني من عناق إخواني الجدد، ووضعني في مركبة وقادني إلى البيت، وفي اليوم التالي والأيام التي تلته احتشد الناس لتهنئتي فجمعت من دفء المودة وارتفاع الروح المعنوية على أثر حبهم لي ما يكفيني طيلة حياتي الباقية(*).

❁❁❁

(*) مقتطفة من مجلة مسلم نيوز انترناشنال عدد يوليو ١٩٦٨م. الصادرة شهرياً في باكستان.

هنغاريا: "المجر"

٢٠- حسن ورفـر
(جوليوس ورفر سابقاً)

هذه قصة شاب هنغارى يبلغ من العمر حين لقيته نيفا وثلاثين سنة وهو إنسان عاطفي للغاية حضر إلى الكويت وأجريت معه عدة لقاءات كانت السطور التالية ثمرة جلسة خلا فيها لنفسه فكتب هذه الخلجات . وهو متيم في حبه للبلاد العربية .

* * *

ولدت فى بلاد المجر «هنغاريا» . ولم يمض وقت طويل على ولادتى حتى انفصل والداى بالطلاق. وعندما كبرت قليلا وجدت نفسى أتنقل بينهما وأستمع الى الشتائم والخلافات. ولم أسمع شيئا عن الله، اللهم إلا من الخدم. ثم ذهبت إلى المدرسة وكانت مدرسة بروتستانتية كما هو مذهبنا بينما كان مذهب الخدم الرومية الكاثوليكية لذلك تعلمت فى المدرسة ديناً جديداً يغاير الدين الذى كنت أعرفه. إذ كان المعلمون فى المدرسة يهاجمون المذهب الكاثوليكى جهاراً نهاراً ويقولون بأن الكاثوليك مخطئون خطأ فاحشاً. ومضى وقت طويل دون أن أعرف الصواب من الخطأ فى حديث أساتذتى. وكنت فى ذلك الحين فتى غضاً لا أفهم كثيراً من الأمور.

لقد تعودت أن أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية. فتعلمت منها الوصايا العشر التى أثرت فى نفسى كثيراً لأننى كنت آخذ كل كلمة فيها مأخذ الجد. فقد اشتغل تفكيرى بالوصية الأولى التى تقول: "لا تتخذ آلهة غيرى!

مَنِ الوثنِيّ : ؟!

وفى المدرسة العليا درست شيئا عن الشعوب غير النصرانية كالعرب والأتراك وكانوا يلقبون بالوثنيين(١). فقد عاش الترك فى هنغاريا منذ حوالى مئة وخمسين عاما حتى

(١) اعتاد النصارى أن يسموا المسلمين بالوثنيين زعما منهم إن المسلمين يعبدون «الله» وهو أحد الأصنام التى اختارها لهم محمد. وهذه مغالطة كبيرة مقصودة كما هو واضح. فالمسلمون موحدون والنصارى هم الوثنيون حقا . المترجم.

خلفوا آثارا لا تنمحى فى البلاد، وتعلمنا كذلك أن الأتراك مسلمون وأن النبى محمداً ﷺ هو مؤسس الإسلام - وكان الإسلام يلقب بالدين الوثنى الذى لا يؤمن بالمسيح-(١). كذلك يجد الدارس للأدب الهنغارى كثيرا من المؤلفات عن الأتراك والعصر التركى.

ففى روائع الأدب الهنغارى يوصف الترك بأنهم بشر غريبو الأطوار متدينون. وقد أحببت الأتراك بعد أن قرأت إحدى روائع الأدب الهنغارى، وأحسست أننى واحد منهم بحيث أننى عندما كنت أشترك فى التمثيل كنت أنتقى دور أحد الباشاوات الأتراك أو دور شريف عربى.

وقلت فى نفسى: أريد أن أعرف لماذا نسمى هؤلاء الناس بالوثنيين؟ لماذا ندعوهم بالمسلمين؟ وما هو الإسلام؟ ثم وقعت الحرب العالمية الثانية وحدثت تطورات كثيرة أصبحت بلادى على أثرها ميدانًا للمعركة وأخيراً جاء الاحتلال الروسى، فأحضر الروس معهم مبدأهم الإلحادى وهو الشيوعية. ومنعونا نحن الشبان من الذهاب إلى الكنيسة. وكنت كما ذكرت آنفاً شاباً بروتستنتياً أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية لإحساسى بأن القساوسة البروتستانت ينشرون الضلال والنفاق. كما أن الكاثوليكى يؤمن بالأب والابن والروح القدس، وفى الوقت ذاته يدعو إلى الإيمان بالله وحده. لم أستطع أن أفهم ذلك مما سبب لى إزعاجاً كبيراً.

وعندما تعمقت فى الكاثوليكية أكثر فأكثر أيقنت أننى لم أكن أسلك الطريق الصحيح، فتركتها إلى الأبد، ومضت سنوات أحسست خلالها بفراغ قاتل نسيت معه الصلاة بالكلية، وكنت أكتفى بالنظر فى السماء فتواجهنى الشمس القوية التى تزغلل البصر ولا تهدى إلى الرشد، ثم نظرت فى النجوم فلم أهتد. ثم أخذت أتدبر وأفكر. قلت فى نفسى:

«ماذا يحدث لو أننى تمددت على الأرض وأخذت ببساطة أصلى لله؟ هل يتغير حالى؟ هل أكون آثماً؟ أم أكون مصيبًا؟ وماذا يمكن أن يقول الناس عنى»؟ استمرت هذه الأفكار المحيرة تراودنى وتحيط بى سنوات طويلة حتى أننى شعرت ذات يوم ببؤس

(١) الإسلام يؤمن بنبوة المسيح بمعنى أن المسيح عيسى هو عبدالله ورسوله ولكن الإسلام ينكر ألوهية المسيح- المترجم.



وشقاء شديد لم أستطع معه النوم. فسجدت على الأرض إلى جوار فراشي وصليت لله. وكانت صلاتي بسيطة عبارة عن الدعاء التالي: «اللهم يا عزيز يا قوي! آمنت بك وحدك لا شريك لك. اللهم يا ذا الجلال يا من يملك زمام يوم القيامة أعني يارب».

ولما فرغت من صلاتي شعرت أنني خفيف الحمل سعيد لا تثقلني الهموم. فنمت طيلة الليل.

أسفار إلى بلاد المسلمين:

ثم حدثت الثورة الهنغارية فغادرت وطني وسافرت إلى انجلترا. ومضت سنوات عديدة ولكن حبي وإعجابي بالعرب والبلاد العربية لم ينته، ولما أتيحت لي فرصة العمل على ظهر سفينة من السفن سافرت على ظهرها عبر قناة السويس والبحر الأحمر حتى وصلت إلى عدن ثم إلى استراليا. وكانت تجربة مثيرة للغاية قابلت خلالها العرب فأحسست منذ اللحظة الأولى أنني واحد منهم، كان قلبي يدق بشدة، وكنت أشعر أنني أصبحت إنساناً جديداً. ولم أكن أحس أنني في بلد جديد وإنما شعرت أن هذه البلاد الغريبة بلادي.

أحسست وكأن التاريخ يحيط بي، ونظرت شمالي فوجدت شبه جزيرة سيناء والتفت إلى اليمين فرأيت مصر، فقلت: هذا هو موطني. ولشدة تأثري نسيت أنني على ظهر سفينة عابرة، إلا أنني لم أكن أعرف في ذلك الحين عن الإسلام - دين العرب - إلا النزر اليسير. ولم أكن أشعر بالتعب رغم الإرهاق البدني الكبير الذي ينتابني ، ومن عمق هذه التجربة الحبيبة شعرت أن هذه الأرض والماء والهواء كلها لي، لأنني أنتمي إليها.

وسافرت السفينة مسرعة حتى كانت السعودية عن يساري، تلك الأرض الطيبة المقدسة حيث تقع مكة المكرمة، ونادى مناد أن ها قد وصلنا إلى عدن. وكنت حتى تلك اللحظة لم أتحدث إلى أي عربي. وكانت عدن البلد الوحيد الذي استطعت فيه أن أخاطب العرب، وما ذلك إلا لتأخر السفينة وانتظارها في ذلك البلد، وكنت أنادي الناس: «يا إخوتي!» لأنني لم أكن أحس أنني غريب عنهم. بل شعرت أنهم أهلي.

حياة محمد ﷺ :

كان عملى فى السفينة معاوناً لبائع الكتب. وكنا نبيع كثيراً من المؤلفات. وفى أحد الأيام عندما كنا على مقربة من أستراليا أوصدنا المحل وانتقيت لنفسى كتاباً مسلياً كان بعنوان «حياة محمد» أخذت أطالعه. وكان كتاباً عظيم الأثر فى نفسى إذ لم أستطع أن أتركه حتى فرغت من قراءته. ففهمت منه عن الإسلام ما كنت بحاجة إلى معرفته، وكان فى نفسى حنين لا أستطيع أن أكتمه إلى الجزيرة العربية وبعد أن وصلنا إلى أستراليا ومكثنا فيها ما قدر لنا أن نمكث انطلقت السفينة عائدة إلى انجلترا.

وهناك واجهت مصاعب جمة، كان لزاماً على أن أوفر لنفسى عملاً آخر ومسكناً وشغلنى ذلك حيناً من الدهر، إلا أن حنينى إلى بلاد العرب لم ينطفئ، فاتصلت بهيئة الصليب الأحمر الدولية للعمل معها كممرض فى بلاد العرب، إلا أنه لم يسعفنى الحظ فى الحال، ومضى عام ونصف عام استطعت بعدها أن أذهب إلى السعودية ثم إلى بلاد اليمن.

أعلنت إسلامى :

لا أستطيع أن أصف مشاعرى حين وصلت إلى جدة، فقد بلغت قمة السعادة، إذ هممت أن أقبل ثراها، وفى جدة التقيت برجل أوروبى مسلم وجهت إليه كثيراً من الأسئلة عن الإسلام، فتعلمت منه الكثير، وعندها أعلنت إسلامى وآمنت بالدين الحق، وبذلك أصبحت إنساناً جديداً، لقد أحسست وكأننى ولدت من جديد.

لم يمض وقت طويل حتى سقطت فريسة المرض، فلم أستطع أن أتحمل المناخ فى جدة، وهنا لم يكن بد من الرحيل عنها، فركبت السفينة وتوجهت إلى بيروت، وقضيت رحلة ممتعة حتى بلغت بيروت، ولما توجهت السفينة تلقاء لندن أخذت أبكى طوال الوقت حتى بلغت جنيف، وفى شهر سبتمبر وصلنا إلى لندن فوجدنا المناخ بارداً شديد البرودة هناك بحيث كنت أحتبس فى غرفتى الخاصة، وحاولت الاتصال بالمركز الإسلامى فى تلك المدينة ولكن دون جدوى، وعثرت على عمل فى مستشفى سبق لى أن عملت فيه.

ولما كان والدى يعيش فى كندا دعانى للسفر إلى تلك البلاد فلبيت الدعوة، وقد يعجب القارئ لو علم أننى كنت أشعر بالشقاء التام لا لشىء إلا لأن جميع محاولاتى

للذهاب إلى بلاد العرب قد باءت بالفشل، وكندا بلاد بعيدة لا أستطيع بحال من الأحوال أن أوفر المال الذى أغطى به نفقات السفر إلى الشرق الأوسط، وما أن وصلت إلى كندا حتى عثرت فى الحال على عمل لى إلا أننى مرضت منذ اللحظة الأولى، وقضيت فى المستشفيات فترة طويلة من الزمن، وكنت فى تلك الأثناء اقرأ كتباً كثيرة عن الإسلام الحنيف.. وأخذت أبحث عن واحة للإسلام في تلك الديار، حتى عثرت فى نهاية المطاف على عنوان فى إحدى الصحف الكندية المحلية ألا وهو عنوان المركز الإسلامى الكندى فى أدمنتون (Edmonton) إلا أن تلك المدينة كانت تبعد حوالى ٣٠٠٠ كيلو مترا عن البلد الذى نزلت فيه، فماذا ترانى فعلت؟ لقد كتبت إلى إخوتى فى الإسلام فى أدمنتون فسرعان ما جاءنى ردهم بأن لى بعض الإخوة المسلمين فى مدينتى، فطفقت من فورى أبحث عنهم، وفى اليوم ذاته كنت فى طريقى إلى المركز الإسلامى فى مدينتى.

منذ ذلك الحين ذهب عنى الشقاء والشعور بالوحشة، فلم أعد وحيداً كما كنت من قبل، وفى ظل الإسلام تمتعت بالسلام النفسى، إذ أن هذا الدين السماوى يمنحنى القوة وها هى ذى حياتى اليومية قد غدت ميسرة للغاية، فقد سهل على أن أتجه بكل كيانى إلى الله عز وجل، وها أنذا قد حضرت إلى الكويت كى أعيش بين إخوتى فى الدين، ولا أريد أن أعود إلى أى بلد فى الدنيا، لا إلى أمريكا ولا أوروبا ولا أى مكان آخر، لأننى سعيد لقربى من الأراضى المقدسة، وكلما أقرأ المزيد عن الإسلام وعن رجالاته أحس دوماً بأن هذا الدين هو الدين الحق، إننى أشعر أننى فى بلادى وبين أهلى، لذلك كله فأنا سعيد غاية السعادة(*).

❀❀❀

(*) هذه القصة من فم الأخ المسلم جوليوس ورفر شخصيا وقد سلمها لى عندما كان يعمل ممرضا لدى وزارة الصحة فى الكويت، ولكنه سافر إلى السعودية مؤخرا ثم جاءتنى منه رسالة علمت منها أنه عاد إلى كندا. ثم وردتنى منه الرسائل تباعا قال لى فى إحداها: أن الناس فى أمريكا يبحثون عن دين جديد، دين يتناسب مع الفطرة السليمة، فمنذ أسابيع خلت، حدثت ضجة فى الصحف الكندية. إذ أن إحدى كبرياتها قد أعدت مقابلة مع أربعة من صغار الشبان الكنديين، ثلاثة منهم نصارى يمثلون شتى الفرق ويهودى ووجهت لهم السؤال التالى: هل الله حى أم ميت؟ فأجاب الثلاثة النصارى بأنه ميت وقال اليهودى بأنه موجود ولكن لا شأن له به، كما هاجموا جميعا الكنائس والمعابد التابعة لدينهم - المترجم.

إنجلترا:

٢١- عبد الله أرشيبالد هاملتون

(أرشيبالد واتكنز هاملتون سابقًا)

(قائد في سلاح الدفاع الملكي البريطاني)

تعريف في سطور

عرف السيد عبد الله آرشيبالد هاملتون قبل إسلامه بلقب (سير شارلز إدوارد آرشيبالد واتكنز هاملتون) اعتنق الإسلام في العشرين من ديسمبر ١٩٢٣ وكان سياسيًا إنجليزيًا معروفًا. وكان قد نال لقب بارون من الدرجة الثانية في عام ١٩١٩. أما ميلاده فكان في العاشر من ديسمبر ١٨٧٦. وقد شغل منصب قائد في سلاح الدفاع الملكي البريطاني، كما كان رئيسًا لجمعية سلسي للمحافظين. وفيما يلي حديثه الذي أنقله عن كتاب Islam Our Choice الصادر في باكستان عن أوقاف السيدة المسلمة عائشة بواني وهو باللغة الإنجليزية:

***

لقد ظل جمال الإسلام ونقاؤه البسيط يشدني إليه دائمًا منذ أن بلغت سن الرشد. ولم يكن بوسعي قط، رغم ولادتي ونشأتي في بيئة نصرانية، أن أؤمن بالجانب التعسفي من الكنيسة، وكنت على الدوام أقدم المنطق والعقل على الإيمان الأعلى المجرد. وبمرور الزمن تمنيت أن أعيش بسلام مع خالقي وأيقنت ألا فائدة لي من كلا الكنيستين الإنجليزية، وكنيسة روما على حد سواء.

أصبحت إنسانًا حقيقيًا:

كان اعتناقي للدين الإسلام تلبية خالصة لما يمليه ضميري، ومنذ ذلك الحين وأنا أحس أنني غدوت رجلاً أفضل وأصبحت إنسانًا حقيقيًا، ليس هناك أي دين من الأديان تعرض لمثل ما تعرض له الإسلام من إساءة على يد الجهلة والمتزمتين. ولكن ياليت قومي يعلمون!

إن الإسلام يمنح القوة للضعيف والغنى للفقير. وتنقسم البشرية فى نظرى إلى ثلاث طبقات: الأولى هى طبقة أولئك الذين حباهم الله من فضله وآتاهم ملكًا وثروة. والطبقة الثانية تتمثل فى الذين لا مناص لهم من الكد والعمل لكسب قوتهم. وأخيراً هناك الحشد الهائل من المتعطشين أو الذين سقطوا على جانب الطريق بلا جريرة من أنفسهم.

هذا ويعترف الإسلام بالعبقرية والنبوغ والتميز الشخصى. فهو دين بناء وعمارة لا دين تخريب. فإن كان هناك على سبيل المثال رجل يملك أرضًا وهو على جانب من الثراء فلا يحتاج إلى فلاحة أرضه وقد تركها بوراً، فإذا انقضت مدة معينة على ذلك الحال تنتقل ملكيتها بصورة طبيعية إلى الأراضى العامة، وتنص الشريعة الإسلامية على أن ملكيتها تنتقل إلى يد أول رجل يقوم بزراعتها(١).

والإسلام يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط فى أية صفقة من صفقات اليانصيب، كما يحرم كافة المشروبات الكحولية ويمنع الربا الذى كان فى حالات كثيرة سببًا فى الأسى والشقاء الذى أصاب بنى الإنسان. لذلك فالإسلام يحول دون أى نوع من الاستغلال الدنىء قد يقترفه أحد الناس ضد التعساء.

ونحن المسلمين لا نؤمن بالقدرية ولا بالجبرية وإنما نؤمن بالقضاء والقدر، فالعقيدة بلا عمل تعتبر فى رأينا أمراً لا وجود له، لأن العقيدة لا تكفى إذا لم نسع إلى تطبيقها فى واقع حياتنا، كما نؤمن بأننا سنحاسب على أعمالنا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة. وعلى كل منا أن يتحمل أعباءه. فلا تزر وازرة وزر أخرى. والإسلام يؤمن بأن الإنسان يولد على الفطرة مبرأ من الذنوب. كما يقرر أن الرجل والمرأة ينحدران من نفس واحدة وجوهر واحد، وقد زودهما الله بمقدرات فكرية وروحية وخلقية متكافئة. ولا أحسب أننى بحاجة إلى الحديث كثيراً عن مبدأ الأخوة العالمية بين البشر فى الإسلام، فهذه حقيقة مسلّم بها إذ أن الأمير والحقير والغنى والفقير كلهم سواسية، وإننى ألمس دائمًا هذه الروح الكريمة

---

(١) هذا بالنسبة للأرض الموات التى لا مالك لها، أما الأرض التى لها مالك فيجب أن يزرعها، أو يمنحها أخاه المسلم ليقوم بزراعتها مؤاجرة، أو مزارعة، أو هبة.

بين إخوانى المسلمين كما أثق بحديثهم، فقد لقيت منهم كل معاملة عادلة كرجل عادى وأخ لهم كما تكرموا على أعظم الكرم واستضافونى أحسن الضيافة.

فأنا أشعر دائمًا أننى واحد منهم.

مُوَازَنَة مُهِمَّة :

وفى ختام كلمتى أقول: إنه بينما نجد أن الإسلام يهدى البشرية فى حياتها العملية اليومية، فإن ما يسمى بالنصرانية المعاصرة تعلّم أتباعها بصفة غير مباشرة وفى مجال الواقع أن يعبدوا الله فى أيام الآحاد فحسب، وأن يفترسوا عباده ومخلوقاته فى بقية أيام الأسبوع.

۞۞۞

إنجلترا :

٢٢- وليم بيرشل بشير بيكارد

بين يدي كلمة المسلم الجديد :

إن صاحب هذه القصة مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالإنجليزية «ليلى ومجنون» «ومغامرات القاسم» وكتاب «عالم جديد» وغيرها. وهو إنجليزى تخرج من كانتربورى Canterbury والقصة منقولة من المصدر السابق ذكره فى القصة السابقة.

***

قال رسول الله ﷺ ما معناه:

«يولد ابن آدم على الفطرة، وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[1] صدق رسول الله ﷺ.

لقد مضت سنوات عديدة قبل أن أدرك هذه الحقيقة وأعنى بها ولادتى على الفطرة أى على الإسلام، ففى المدرسة والكلية كنت منهمكًا أكثر مما ينبغى بشئون اللحظة العابرة ومتطلباتها، ولست أعتبر حياتى فى تلك الحقبة من الزمن مشرقة إلا أنها كانت فى تقدم مستمر، فقد تعلمت فى البيئة النصرانية الحياة الطيبة، وكنت أبتهج عند تصور الله وتذكر العبادة والصلاح، وإذا كان ثمة شىء أعبده حينئذ فقد كان ذلك متمثلاً فى النبل والشجاعة.

وعلى أثر تخرجى من جامعة (كامبرج) ذهبت إلى أواسط أفريقيا وعينت فى إحدى

(١) معنى الحديث الشريف إن ابن آدم يولد على دين الإسلام - دين الفطرة - كما ورد فى الآية الكريمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ومعنى بقية الحديث أن الأبوين هما اللذان يحولان دين أبنائهما إما إلى اليهودية أو إلى النصرانية أو إلى المجوسية. المترجم.

الوظائف الإدارية في محمية أوغندا، وقد عشت في تلك البلاد حياة ممتعة مثيرة إلى درجة لم أكن أحلم بها من قبل في بلادي إنكلترا، واضطرتني الظروف إلى العيش بين إخواني السود الذين أحبهم حبًا جمًا تبعًا لنظرتهم إلى الحياة التي اتصفت بالبهجة والبساطة، وكان الشرق يستهويني بصورة دائمة، وكنت قد قرأت في كامبرج قصص الليالي العربية (ألف ليلة وليلة) كما قرأتها وحيداً في أفريقيا، كما أن حياة التجول التي قضيتها في محمية أوغندا لم تجعل الشرق أقل معزة عندي.

أهوال الحروب:

ثم قامت الحرب العالمية الأولى فأودت بحياتي الهادئة، إذ أسرعت بالعودة إلى أوربا وتدهورت صحتي. وما أن تم شفائي حتى قدمت طلبًا للالتحاق بالجيش إلا أن طلبي قوبل بالرفض لأسباب صحية، فعوضت ذلك بأن التحقت بسلاح الفرسان المتطوعين في الجيش، وتمكنت من النجاح في الفحص الطبي واستلمت حلة عسكرية كجندي في سلاح المشاة مما بعث السرور في نفسي، وخدمت في فرنسا في الجبهة الغربية واشتركت في معركة الصوم Somme التي وقعت في عام ١٩١٧م فجرحت فيها وأصبحت أسير حرب، فسافرت عبر بلجيكا إلى ألمانيا وهناك نزلت المستشفى وفي ألمانيا شاهدت كثيراً من صور البؤس والألم الذي تعرض له بنو الإنسان وخاصة الروس الذين أهلكتهم الدوزنتاريا (Dysentry) وكنت على شفا الموت من شدة الجوع، ولما كنت أعاني من تمزق في ذراعي الأيمن لم يلتئم جرحي في الحال وإنما استغرق ذلك وقتًا طويلاً كنت خلاله عديم النفع بالنسبة للألمان، لذلك أرسلت إلى سويسرا للعلاج وإجراء عملية في المستشفى.

ترجمة معاني القرآن:

وأذكر جيداً كيف كتبت رسالة إلى وطني أثناء إقامتي في ألمانيا طلبت فيها نسخة من ترجمة چورچ سيل لمعاني القرآن(*).

(*) وهي ترجمة محرفة بقلم أحد القسس. وخير ترجمة باللغة الإنجليزية بقلم محمد بكثال المؤلف الإنجليزي المسلم واسمها: (The Meanings of The Glorius Koran)، وانظر قصة إسلام (محمد بكثال) نفسه رقم (١٠٠).

وقد علمت في السنوات التالية أنه تم إرسالها لي ولكنها لم تصل بحال من الأحوال. ثم تماثلت للشفاء في سويسرا بعد أن أجريت عملية في الذراع والساق، وأصبح في مقدوري أن أخرج من المستشفى وأتجول، فابتعت نسخة من ترجمة سافاري (Savary) الفرنسية لمعاني القرآن وهي أغلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيراً حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق عليّ بنوره المبارك، ولما لم تزل يدي اليمنى متعطلة أخذت أتدرب على كتابة القرآن بيدي اليسرى، ومما يوضح مدى تعلقي بالقرآن أن من أعظم الذكريات الحية الباقية في نفسي من الليالي العربية قصة الشاب الذي تم اكتشافه وحيداً في مدينة الموتى، وهو جالس يقرأ القرآن من غير أن يحس بما كان يدور حوله.

آمنت بالله والقرآن:

وفي تلك الأيام التي قضيتها في سويسرا كنت مستسلمًا لله بكل معنى الكلمة، وبعبارة أخرى كنت مسلمًا، ثم عدت إلى لندن في ديسمبر عام ١٩١٨ عقب توقيع اتفاقية الهدنة، وبعد ذلك بعامين أو ثلاثة أي في عام ١٩٢١ التحقت بدورة للدراسة الأدبية بجامعة لندن، وكانت اللغة العربية أحد الموضوعات التي وقع اختياري عليها، فأخذت أستمع للمحاضرات التي ألقيت عن اللغة العربية في كلية الملك (Kings College)، وفي تلك الكلية وقف أستاذ اللغة العربية في أحد الأيام وهو المرحوم السيد بلشاه – وكان من العراق – فذكر في معرض دراستنا القرآن الكريم فقال: «سواء آمنت به أو لم تؤمن فلا بد أن تجده كتابًا ممتعًا للغاية جديراً بالدراسة» فكان جوابي على ذلك أن هتفت قائلاً: «آوه! ولكني أومن به حقًا!» فأدت هذه الملاحظة إلى إثارة الدهشة والاهتمام الشديد في نفس الأستاذ. فدعاني بعد وقت قصير إلى مرافقته إلى المصلى الكائن في نوطنج هيل جيت (Notting Hill Gate).

إنضمامي إلى أمة الإسلام:

وأخذت بعدها أكثر من الذهاب إلى ذلك المصلى. وتعلمت المزيد عن الجانب

التطبيقى فى الإسلام حتى كان يوم رأس السنة الميلادية الجديدة فى عام ١٩٢٢م حين أعلنت على الملأ انضمامى إلى أمة الإسلام. كان ذلك قبل أكثر من ربع قرن مضى[١]. ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش عيشة إسلامية صرفة من الناحيتين النظرية والعملية وبالقدر الذى أستطيع، إن قوة الله وحكمته ورحمته لا حدود لها، وإن آفاق المعرفة تمتد أمامنا إلى ما وراء الأفق، وإننى على يقين تام بأن خير لباس يمكننا أن نرتديه فى رحلتنا عبر هذه الحياة هو لباس الإسلام والخضوع لله، وأن نجعل الحمد فوق نواصينا وأن تكون محبة الله الواحد الأحد ملء قلوبنا.

❁❁❁

(١) هذا بالنسبة لتاريخ كتابة هذه القصة من قبل صاحبها عام ١٩٤٩م تقريبًا، وهذا يدل على ثباته على الإسلام الذى دخله عن طواعية وفهم عميق.



اليابان :

٢٣- آمنة سعد ناكامورا وأختها

(أختان يابانيتان تعتنقان الإسلام)

كان السيد «ناكامورا» واسمه الإسلامي «سعد» أحد اليابانيين الستة الذين اعتنقوا الإسلام أثناء الفترة التي أقمناها في «النيجي» أشهر معبود للبوذيين في مدينة «أنزان» التي تبعد مائة كيلو متر جنوبي طوكيو.

نحو الإسلام :

وقد كان سعد هذا محمود السيرة ميسور الحال قوي التأثير في قريته بمقاطعة «يمنشي» وقد أثبت سعد ناكامورا فيما بعد أنه مسلم حقًا. ارتحل على حسابه الخاص إلى الباكستان والهند ليتعلم الإسلام في مجاله العملي، وكان له ثلاث بنات إحداهن متزوجة من صاحب مطبعة، والأخريان ولعلهما توأمان، تدرسان معًا في جامعة طوكيو في السنوات الأخيرة قبيل التخرج، وكانت اللغة الإنجليزية هي موضوع تخصصهما المشترك، وكان سعد ناكامورا مهتمًا جداً بشأن إسلام ابنتيه اللتين تدرسان في الجامعة، إذ قد يستفاد منهما كثيراً في نشر الإسلام بين اليابانيات، فكتب إلينا ذات مرة لكي نقابل الأختين وندعوهما إلى الإسلام، وحدد الموعد تلفونيًا، وفي إحدى الأمسيات زرنا بيت صاحب المطبعة وقابلنا الأختين، بيد أننا وجدنا جو المنزل غير لائق بمهمتنا المقدسة، فالصور غير اللائقة منتشرة هنا وهناك على الجدران، وبرامج التلفزيون كذلك من الأمور التي لا توائم هذه الزيارة.

فأرجأنا الاجتماع بعد مقدمة قصيرة عن الإسلام ودعوناهما إلى منزلنا لتناول الطعام فلبتا الدعوة بدون تردد إلى عشاء باكستاني في يوم الجمعة التالي.. ذلك العشاء الذي اتخذناه وسيلة لمناقشة أخرى عن الإسلام. فالحاجي قائد جماعتنا المحترم، بجانب ما يتحلى به من صفات عجيبة في عقله وقلبه، كان طاهيًا ممتازاً جداً (للبلاد) وهو الطبق الباكستاني المشهور الذي جعلناه طُعمًا دائمًا عندما كنا نريد أن ندعو أصدقاءنا اليابانيين.

إشكال مفاجىء:

وحضرت الأختان ناكامورا فى الموعد المضروب. وكنا قد بسطنا المائدة قبل حضورهما ولكنهما أعلنتا حين وصولهما بأنهما لن تتناولا أى شىء ما لم تعرفا بادىء ذى بدء ماذا يقول الإسلام عن المرأة.. . وقد علمنا فيما بعد بأنه بعد مقابلتنا الأخيرة لهما قام أحد أعداء الإسلام بتسميم أذهانهما عن الدين الإلهى بإخبارهما أن الإسلام كان شديد القسوة على النساء، وأنهن لا يعاملن فى الإسلام على قدم المساواة مع الرجال من حيث الامتيازات والحقوق، إلى حد أنه حرمهن كثيراً من مباهج الحياة الدنيا والآخرة، ولم نكن آنذاك مستعدين لمثل هذا التطور المفاجىء، وكانت التعليمات عندنا بأن نلجأ إلى الله عز وجل نسأله العون، لمواجهة هذه المفاجآت، وأظن أننا فعلنا ذلك.

هداية الله:

فإذا بفكرة تفاجىء عقلى وإذا بى أقول للفتاتين: أتريدان أن تريا بنفسيكما ماذا قال الله عز وجل عن هذه المسألة؟ فأعلنتا قائلتين: سيكون ذلك جميلاً.. فذهبت بهدوء إلى رف الكتب وأمسكت بالقرآن المجيد ترجمة محمد بكثال، وطلبت من الأختين أن تقرآ معنى الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لم يحدث من قبل أن مررت بتجربة رأيت فيها تأثير الكلمات الإلهية بهذه السرعة المدهشة على غير المسلمين مثلما رأيته على هاتين النفسين الطيبتين اللتين قالتا بتعجب: يا لها من مساواة تامة!!

وبدون أن أطيل الشرح أقول بأنهما استطاعتا أن تتحققا من أنه لا يوجد مانع فى الإسلام يعوق المرأة من الوصول إلى الذروة العليا من الفوز والتقدم.

وعلى كل فإن من السخافة والحماقة أن يطالب أحد من النساء أو الرجال بالتساوى



مع النوع الآخر، في العمل الذي لا يليق ولا يناسب الطرف الثاني، من حيث التركيب الفسيولوچي لأجسامهما، فإذا قام أي رجل بعمل يبتغي من ورائة الفوز بالجنة فليس هناك ما يمنع المرأة من أن تقوم بمثل هذا العمل بغية الفوز بالجنة.

ثم إن التوأمين طلبتا منا أن نذهب إلى الغرفة المجاورة وأن نتركهما وحدهما دقائق معدودة لتبادل الرأي والمشورة فأعطيناهما كافة التسهيلات، وإنه لمن أعظم سروري في الحياة أن الأختين عادتا بعد دقائق لتعلنا قولهما:

إسلام الأختين:

«لقد اقتنعنا أن الإسلام وحده هو الدين الحق وأننا نرجوكم قبولنا في دين الإسلام قبل أن نتناول طعام العشاء». فكانت كلمة (الحمد لله) تتردد على شفتي كل واحد منا، وكان سرورنا لا تحده حدود حقًا. وبعد إجراء بعض الأمور الرسمية الضرورية طلب منهما قائدنا أن تكررا الشهادتين فكررتاهما وكانتا متلهفتين على أن نختار لهما أسماء إسلامية، فأسمينا واحدة (آمنة) باسم أم الرسول ﷺ، وأما اسم الأخرى فقد غاب عن ذاكرتي الآن.

وعندما جلسنا جميعًا لتناول الطعام كانت الأطباق التي طهاها لنا الحاجي أشهى مذاقًا في فمي ألف مرة من أي طبق ذقته من قبل(*).

۞۞۞

(*) المتحدث هو أحد دعاة الإسلام في اليابان وكان يدرس هناك ويقوم في وقت فراغه بالدعوة الإسلامية بين اليابانيين، وقد كتب الكلمة السابقة ونشرها في مجلة حضارة الإسلام الغراء العدد الثامن – السنة الرابعة – مارس ١٩٦٤ (صفحة ٥٠).

أمريكا:

٢٤- محمد عبد الله (*)

(دونالد ركويل سابقاً)

ولد السيد دونالد ركويل في تيلورفيل (Taylor Ville) بالولايات المتحدة الأمريكية، وتلقى علومه في مدرسة «سبرنج فيلد» (Spring Field) العليا بواشنطن. ثم أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولومبيا حيث نال جوائز كثيرة، وهو شاعر وناقد أدبي وكاتب صحفي، وهو يشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الشخصيات الإذاعية ج» وقد تسمى باسم محمد عبدالله بعد إسلامه تيمنا باسم الرسول ﷺ، ولماذا اعتنق الإسلام دونالد ركويل؟

فلندعه هو شخصياً يتكلم عن ظروف إسلامه قال:

لماذا أسلمت ..؟

لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة، ودواع مختلفة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعًا، لأن منها الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح ويكمن في خبايا الضمير، لقد قرأت عن الإسلام وقرأت القرآن وشيئًا من سيرة محمد بن عبد الله النبي الكريم. فلفت نظري أشياء كثيرة:

محاسن الإسلام:

* لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها، فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقشها، بل مرد الإيمان إلى العقل، والنظر في ملكوت الله، وأن ما في الكون من نظام بديع يهدي - ضرورة - إلى وجود إله متصرف له ﴿الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإذا عرفت الله وآمنت بوجوده فالإسلام يقول لك إن الله أقرب إليك من حبل الوريد، والله يخبرك عن نفسه فيقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(*) عن مجلة حضارة الإسلام العدد السابق.

فلا ضرورة من ثم إلى وسيط بينك وبين خالقك ولا حاجة بك إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك، أو هيكل لا تتم العبادة إلا فيه:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

* وراعنى حقًا، تلك السماحة التى يعامل بها الإسلام مخالفيه. سماحة فى السلم وسماحة فى الحرب.. ولين بيّن مع أهل الكتاب من نصارى ويهود. والجانب الإنسانى فى الإسلام واضح ملموس فى كل وصية من وصاياه وفى كل تشريع جاء به، فالناس وإن اختلفوا فى حظوظ الدنيا ومتاعها متساوون أمام الله، لا فضل لأحد على آخر بسبب غنى أو جنس أو لون.. وإنما يتفاضلون بالتقوى. وللفقير والعاجز والمحتاج حقه المعلوم على القادرين يؤدونه زكاة واجبة.

* والإسلام لا يقعد بمتبعه عن ركب التقدم والعمران بل يأمر الناس أن يأخذوا بالأسباب، كما قال النبى الكريم عليه الصلاة والسلام: «.. اعقلها وتوكل». وهو لا يحرم الإنسان الطيب من متاع الدنيا، كما قال تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

كثير من محاسن الإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملات - لا يمكننى حصره ها هنا - دعانى إلى اعتناق ذلك الدين. وإذاكان ما ينبغى أن أختم به الكلام فهو تلك العظمة التى تطالع كل من يقرأ سيرة الرسول وتاريخه. .. عظمة فى الدعوة.. عظمة فى الشخصية.. وعظمة فى الجهاد... فلا جرم أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين. وقد أسميت نفسى «محمد عبد الله» تيمنًا بتلك الشخصية الكريمة وإعجابًا بسجاياها الكاملة.

وبالله التوفيق

❊❊❊



تشيكوسلوفاكيا:

٢٥- فاطمة تزفسكن

أو (مونيكا) سابقًا

Fatima Zucsken

– مقدمة –

لقد كان من أثر احتكاك الطلبة المسلمين الذين يتابعون دراستهم العالية فى ديار الغرب بالطلاب الأوروبيين أن اعتنق عدد غير قليل من هؤلاء الإسلام، وفيما يلى قصة فتاة تشيكوسلوفاكية كانت تحمل اسم (مونيكا). وتدل هذه الظاهرة دلالة واضحة على مدى حاجة الناس إلى الإسلام الذى يحقق الأمن والسلام والسعادة لأرواحهم ونفوسهم، وأسرهم ومجتمعاتهم،ويخرجهم من الظلمات إلى النور. كما تدل على قدرة الإسلام العجيبة على فتح مغاليق القلوب والعقول فى كل زمان ومكان وفى كل الظروف، متى وجد من يحسن عرضه ومتى وجد من يجسده بسلوكه وأخلاقه وتصرفاته، والآن مع الآنسة فاطمة فى قصة إسلامها(*).

* * *

س : ما هو الاسم الجديد الذى وقع اختيارك عليه وماذا كان اسمك فى السابق؟

جـ: اسمى الجديد «فاطمة كزفسكن» Fatima Zucsken وكان اسمى النصرانى مونيكا Monika .

س : كم هو عمرك وما عملك؟

جـ: ولدت فى ١٩٤٣/٩/٢ فى نويتتشاين (Neutitachein) فى تشيكوسلوفاكيا وعملى هو الرسم الهندسى.

(*) نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام، العدد الثانى، السنة الخامسة.

س: لماذا اعتنقت الإسلام؟

ج: عندما يواجه الأشخاص من البلاد غير الإسلامية السؤال التالي: هل كان محمد فيلسوفاً أم أنزل إليه الوحي من عند الله؟ وعندما تستقر أنفسهم على الشق الأخير من السؤال فتلك علامة مباشرة على رحمة الله بهم. أما بالنسبة للفرد ذاته فتلك نهاية بحث طويل، فطرياً كان أو إرادياً عن الطريق الموصل إلى الحقيقة والذى هو الحقيقة ذاتها. وفى نفس الوقت يبتدئ العبور السعيد لهذا الطريق الذى اختاره الله للوصول إليه.

الطريق الطويل وهداية الله:

لقد بدأ هذا الطريق الذى أوصلنى الله من خلاله إلى الإسلام قبل أن أهتم بأمر هذا الدين بزمن طويل، منذ وقت مبكر وأنا أهتم بالاتجاهات الفلسفية والدينية المختلفة وأجمع عنها قدر ما أستطيع من المعلومات، ولابد أن السبب فى ذلك كان شعورى بحاجتى إلى شىء ما لا أستطيع تحديده، ولكنى كنت أعرف بفطرتى أن هذا الشىء موجود فى داخلى وأننى لابد أن أعثر عليه، واستطعت أن أقدر قيمة الحضارة الشرقية حق قدرها إلى حد كبير عن طريق دراستى للمذاهب المختلفة ورحلاتى الكثيرة التى قمت بها فى البلاد الأجنبية.

وكان اتصالى بالمسلمين فى ألمانيا دافعاً لى على الاهتمام بأمر هذا الدين، ولم تكن انطباعاتى المبدئية ممتازة بحال من الأحوال، فتعطل طريقى إلى المعرفة كثيراً لأن المسلمين الذين عرفتهم كانوا ممن ينتمون إلى الاتجاه التحفظى القديم، أو ممن كانوا لا يعرفون إلا الإسلام المشوه الذى يطبقه الناس فى بلاد الشرق، ورغم ذلك كنت معجبة بمستواهم الخلقى المرتفع بصفة عامة.

ولم يتبين لى الفرق الشاسع بين تعاليم الإسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلا عندما دخلت عالم الإسلام الروحى عن طريق القرآن والكتابات الإسلامية وعن طريق محاضرة للأستاذ عمر ف. اهرنفلز (المسلم الألمانى). وقرأت فى القرآن الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فشعرت ببطء كيف يجذبنى الإسلام، وكانت تعاليمه تخاطب عقلى وفطرتى، وكان من أهم ما شدنى إلى النظام

الاجتماعي المثالي في الإسلام تساوي جميع الأجناس والتسامح الذي لا حد له، والحرية التامة في جميع المجالات الدنيوية والروحية، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة، والاجتهاد في طلب العلم الذي يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأعجبت بصورة عامة بالمكانة المرموقة التي أعطيت للمرأة. وأخيراً وليس آخراً أعجبت بالعلاقة المباشرة بين العبد وربه.

ومن أجل أن أكون على بصيرة أخذت أتلو كتاب الله القرآن الكريم، إلا أنني كنت أقرأه بقلب مسلم إذ بدا لي في غضون ذلك أن الإسلام وحده هو الطريق الذي علمه الله للناس منذ بدء الخليقة وأنه هو الحق.

س: ما هو تاريخ اعتناقك للإسلام؟

ج: دخلت الإسلام رسمياً بتاريخ ١٩٦٣/٤/٢١م.

س: ما الذي أعجبك في الدين الإسلامي على وجه الخصوص؟

دِينُ التَّكَامُلِ الرُّوحِيِّ وَالعَقْلِيِّ :

ج: في اعتقادي أنه يصعب علي أن أحدد نواحيَ معينة أعجبت بها من بين تعاليم الإسلام. إذ من العسير على المرء أن يفهم تفصيلات الإسلام وجزئياته ما لم يكن قد أحاط به بصفة كلية. فكل شيء في الإسلام وثيق الصلة بالآخر. ولذا فإن المسلم المؤمن لا يمكنه أن يركز كل اهتمامه في موضوع واحد فحسب، لأن القرآن الكريم يعالج كافة النواحي الدنيوية والروحية. وكل كلمة فيه على درجة كبيرة من الأهمية والسمو لأن كل كلمة فيه من عند الله سبحانه. ولذلك فإنني حين أحاول الإجابة عن هذا السؤال أعرف تماماً مقدار قصور إجابتي.

والمسألة تختلف إن كنت سأقصر إجابتي على المطالب الشخصية أو أجعلها تشمل كل ما ينظم حياتي في المجتمع. أما ما يتعلق بي شخصياً فأكثر ما يهمني من تعاليم ديني هو تلك المعلومات والقواعد التي تعينني على تحقيق التكامل الروحي والعقلي أي الناحية الروحية والعقلية. أما ما يختص بواجباتي في المجتمع فهنا تبرز أهمية المبادئ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإسلام لأنني بفضل فهمي الجيد لهذه النواحي أستطيع أن أساهم في العمل على تطبيق الإسلام تطبيقاً سليماً.

س: كيف كان رد الفعل بالنسبة لعائلتك وأصدقائك ومعارفك عندما اعتنقت الإسلام؟

جـ: كان رد الفعل متنوعاً إلى درجة كبيرة، فكان اعتناقى للإسلام فرصة طيبة لأن أعرف أى الناس يهتم بى أكثر من اهتمامه بالأفكار المتحاملة الضيقة الأفق، أما والدتى فقد قالت لى والدموع فى عينيها: «إن سعادتك ورضاك يا بنيتى هما أعز شىء عندى» وأما جدتى فبعد دراسة قصيرة للإسلام تأكد لها أنه دين رائع وشىء لم تكن تتصور إمكان وجوده من قبل، إلا إن إحدى صديقاتى أعلنت بكل صراحة عن رأيها بقولها: «إنك لا شك قد جننت. وإننى أريد قطع علاقتى معك بالمرة»!

وهكذا قابلتنى شتى أنواع المشاعر ابتداء من التقدير المخلص لموقفى حتى العداء الصريح وبين هذا وذاك كثير من التهكم واللامبالاة.

س: ما هى أحسن وسيلة فى رأيك لنشر تعاليم الإسلام؟

جـ: لا يوجد للأسف عند المسلمين حالياً إمكانيات كثيرة، وأبسط وسيلة يستطيع العامل للإسلام أو الطالب المسلم أن يستخدمها هى أن يكون مثلاً طيباً، كما يستطيع بالمظهر النظيف والخلق المهذب المتسامح والثبات على تطبيق الفرائض الدينية أن ينقل إلى غير المسلمين من حوله صورة إيجابية عن الإسلام. أما إذا أراد أحد من غير المسلمين المهتمين بمحاولة سبر أغوار العالم الروحى فى الإسلام فكثيراً ما تعجز إمكانات المسلمين فى هذا الصدد عن توفير السبيل له لذلك، وأعنى بذلك التربية الإسلامية فى محيط إسلامى، لذلك ينبغى على كل أخ مسلم وأخت مسلمة أن يوطدا علاقتهما بأقرب جماعة إسلامية حيث يستطيعان أن يزداد علماً على يد أهل العلم من المسلمين وأن يرشدا غيرهما من المهتمين بهذا الدين.

وأفضل أساس يمكن أن يقوم عليه انتشار الإسلام بصورة مجدية سريعة هو اتحاد الأقطار الإسلامية بعضها مع بعض، فعند ذلك تتوقف الدعاية المضادة للإسلام التى تنشرها الدول غير الإسلامية، لأنها ترى فجأة أمام عينيها قوة هائلة للعالم الإسلامى المتحد، ولأغراض سياسية بحتة ستعمل تلك الدول جاهدة على إنشاء علاقات طيبة مع

القوة الإسلامية الفتية، وبالمساعدات المالية يمكن أن تقام المساجد والمراكز الثقافية كما يمكن نشر ترجمات القرآن [١]. والمؤلفات الإسلامية القيِّمة لأن غالبية الترجمات والكتب المؤلفة عن الإسلام باللغات الأجنبية تميل إلى اتخاذ موقف عدائي من الدين الإسلامي.

إن واجب نشر الإسلام لا يقع على البلاد غير الإسلامية وإنما لابد أن يتم ذلك أولاً بين المسلمين، إذ لابد من وجود روح الإسلام الأصيلة في نفوسهم حتى يتخذ تفكير المسلمين اتجاهاً جديداً مستنيراً، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحقق النجاح في الدعوة.

هناك فرصة ذهبية لانتشار الإسلام في العالم المعاصر، فالإسلام يشتمل على كافة الصفات التي تجعله بحق ديناً عالمياً سرمدياً يمكنه أن يحقق جميع المطالب الروحية والمادية لإنسان هذا العصر.

س: ما رأيك في الحالة الحاضرة التي يعيشها المسلمون اليوم؟

ج: لقد سعيت إلى إبداء رأيي فيهم في الإجابات السابقة، وأقول هنا بإيجاز: إن حالة المسلمين المحزنة في العالم لا تخفى علي أبداً، ولقد عرفت من دراستي لتاريخ الحضارة كيف صاروا إلى ما هم فيه اليوم. فقد كان المسلمون يخلطون العادات الجاهلية بالتقاليد والأخلاق الإسلامية، وكان من واجبهم أن يواجهوا مؤثرات العالم الغربي الذي سبب كثيراً من الاضطراب. ولكن الشعوب المسلمة بحمد الله لا تنقصها العقيدة وإنما تفتقر إلى القيادة الصالحة، والظاهر أن الحكومات في البلاد الإسلامية تسعى عن قصد إلى تقليد الغرب تقليداً أعمى من أجل الوصول بشعوبها إلى عقيدة مادية لا ربانية بدلاً من العمل على إنشاء دولة إسلامية ربانية. لذلك فإنه ينبغي على جميع الشعوب المسلمة أن تساند الجماعة المسلمة التي تنبهت إلى شر هذا التطور وتريد أن توحد البلاد الإسلامية على أساس ما أمر الله به.

---

(١) اتفق كثير من علماء المسلمين على أن ترجمة القرآن إلى أية لغة أخرى تعتبر أمراً لا ضرورة له، وإنما يمكن تفسير القرآن باللغات الأخرى. فالقرآن لا يمكن نقله أو ترجمته وحبذا لو يتجه الجهد لإعداد مؤلفات مبسطة للتعريف بالإسلام في سائر اللغات، وكذلك لتيسير تعليم اللغة العربية لكل راغب حتى يزال الحاجز بين العالم والقرآن العظيم.



س : ما هو أملك وهدفك فى الحياة؟

تميز المرأة المسلمة:

ج: إنى أود أن أدرس فى إحدى الجامعات الإسلامية عاجلاً أو آجلاً حتى أساهم بثقافتى الإسلامية التى أكتسبها فى نشر الدين الإسلامى الحنيف، كما أن لى رغبة عزيزة فى أن أبين للمرأة فى بلاد الشرق حقوقها الرفيعة الجميلة التى منحها الله إياها فى الدين الإسلامى، وأن أوضح لها مدى تميزها عن غيرها من النساء فى العالم بفضل تمتعها بهذه الحقوق، كما أود بعد عدة سنوات أن أتزوج من رجل مسلم يماثلنى فى انطباعى، وأن أكوّن عائلة مسلمة، وفيما عدا ذلك فجوابى عن السؤال الثالث يبين آمالى، وأننى أجتهد فى التعمق فى فهم أسرار القرآن الكريم.

س : ما الذى يحتاج إليه المسلمون فى أوروبا ؟

ج: يحتاج المسلمون فى أوروبا إلى معونات أدبية ومالية.. معونة أدبية حتى لا يضعفوا فيقعوا صرعى أمام المغريات الخطيرة التى تقدمها لهم الحياة فى أوروبا، ومن واجب المسلمين جميعاً أن ينظموا أنفسهم فى جماعات، وكل جماعة ينبغى أن يكون لها إمام وهذا التنظيم يحتاج إلى العون المالى والأدبى، فبفضل هذه الجماعة يتماسك المسلمون ويتعاونون - بعضهم مع بعض - فى السراء والضراء. فلابد فى كل مدينة من مسجد أو حجرة للصلاة يتجمع فيها المسلمون لإقامة الصلاة خمس مرات كل يوم، وقد يستطيع الموسرون منهم أن يساهموا فى ذلك بإنشاء عدد كبير من المساجد والمراكز الإسلامية الصغيرة فى أوروبا.

❖ ❖ ❖

الهند:

٢٦- بيجى رودريك (*)

Peggy Radcrik - India

تحريفات الإنجيل:

ولدت فى بيت إنجليزى إبان الحكم البريطانى لشبه الجزيرة الهندية. وتلقيت تعليمى المبكر فى إحدى المدارس التبشيرية المسيحية حيث كانت الدراسة الدينية موضوعًا إجباريًا. فأعجبت بقصة السيد المسيح. إلا أننى أيقنت فى وقت مبكر من حياتى أن تعاليم الإنجيل ليست صحيحة ولا صادقة[1]. فإذا شئنا أن نطبقها على نطاق واسع فعلى الحضارة الإنسانية السلام. وإليك بعض الأمثلة من تعاليم الإنجيل.

يقول إنجيل لوقا ما يلى على لسان السيد المسيح:

«وإذاجاءنى أى إنسان لا يبغض والده وأمه وزوجته وأبناءه وإخوانه وأخواته بل ولا يبغض نفسه فلا يمكن له أن يكون تلميذى» لوقا ١٤/ ٢٦.

ويقول:

«وهكذا فإن أى واحد منكم كائنًا من كان لا يضحى بكل ما لديه فإنه لا يمكن أن يكون تلميذى» ١٤/ ٣٣.

ونقرأ فى إنجيل متّى:

«لأن هناك بعض الأخصياء جاءوا على حالهم هذا منذ ولادتهم من بطون أمهاتهم، وهناك البعض الآخر أصبحوا كذلك على يد الناس، وهناك أخصياء جعلوا أنفسهم كذلك من أجل مملكة السماء، فمن استطاع أن يبلغها فليبلغها» متى ١٩/١٢.

---

* عن مجلة يقين انترناشنال النصف شهرية الصادرة فى باكستان عدد ٢٢ نوفمبر ١٩٦٨.

(١) يقصد: التعاليم التى دخلها التحريف البشرى لأننا نحن المسلمين نؤمن بصحة الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام.

ويقول المصدر نفسه:

«لا تحكم خشية أن يحكم عليك، لأنك ستحاكم بما تصدره من أحكام. وسيكال لك بالمكيال الذى تكيل به» متى ٧: ١-٢.

«ومن أجل ذلك لا تفكر فى الغد لأن الغد سيتولى التفكير فى شئون نفسه. وكفى اليوم ما به من الشرور» متى ٦ - ٣٤.

«ولكنى أقول لك: لا تقاوم الشر، وإنما من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الآخر كذلك، وإذا أراد أحد الناس أن يحاكمك أمام القانون وينتزع معطفك فدعه يأخذ رداءك أيضا، ومن أجبرك على المسير ميلا واحدا فسر معه ميلين» متى ٥: ٣٩-٤١.

هذه التعاليم تصلح للقساوسة والنساك ولا تناسب الناس العاديين من رجال ونساء. فلو شاءت حكومة إحدى الدول الحديثة أن تطبق هذه المبادىء، أو حتى لو أراد أفراد معينون أن يتخذوا منها قانونًا لحياتهم فستكون النتيجة الفوضى والاستهتار بالقانون.

والأمر الثانى الذى لم يعجبنى فى النصرانية هو الفصل بين الدين والسياسة. فقد نجم عن هذا قيام المذهب (الميكافيلى) فى الغرب.

قال السيد المسيح عيسى، كما يزعم إنجيل متى ١٠/٣٤:

«لا تحسب أننى جئت بالسلام وإنما أتيت بسيف».

وينصح تلامذته بقوله:

«من لم يكن لديه سيف فليبع لباسه ويشترى سيفا» لوقا ٢٢/ ٣٦.

القُوَّةُ البَاغِيَةُ:

ورغم ذلك فإن السيد المسيح، كما جاء فى الأناجيل المختلفة، لم يعلم أتباعه الطريقة الصحيحة لاستخدام السيف. فكانت النتيجة أن كان السيف دائما فى يد أتباعه، لكنهم استعملوه فى الشر، فكثيرا ما استخدمه الصليبيون فى مضايقة وذبح السكان الأبرياء فى الأقطار غير المسيحية. بل لقد استخدم السيف فى بعض الأحيان من قبل طوائف نصرانية لقتال بعضها البعض باسم المسيح والنصرانية. لقد استخدم السيف على يد

الدول الاستعمارية بتأييد من الكنيسة ومباركتها فى سبيل قهر شعوب آسيا وإفريقيا واستغلالها، ومحو سكان نيوزيلندا الأصليين تماما، كما فعلت فى استراليا وأمريكا الشمالية.

ثم جاءت نقطة التحول فى حياتى عندما أسقط الأمريكيون القنابل الذرية على اليابانيين فى نجازاكى وهيروشيما وذلك فى عام ١٩٤٥. وامتلأت نفسى بالرعب والفزع عندما قرأت عن الوفاة الفظيعة لملايين البشر من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء، وعندما علمت بالآلام الشديدة التى لا يمكن تصورها يقاسيها عدد لا حصر له من الناس الذين كان من سوء طالعهم أن نجوا من الموت الفورى، وقضيت عدة ليال لا أذوق طعمًا للنوم بعد أن قرأت عن هذه الأحداث، فقد كنت أشعر بالأسى وأنا أقرأ عن جرائم الجيش الأمريكى المحتل فى اليابان!!

كنت أستنكر الغزو الذى قام به جيش عظيم من المبشرين النصارى ضد الجزر اليابانية تحت سمع وبصر الجنرال (ماك آرثر) وذلك لاستعباد أرواح اليابانيين، وإنشاء طبقة من الخونة وأعنى بهم المتنصرين الذين من شأنهم أن يساندوا سادتهم البيض والرأسماليين ضد أبناء جلدتهم وبنى وطنهم!!

الحقائق تتكشف :

وفى الكلية التقيت برجال ونساء ينتمون إلى عقائد شتى، وكنت قد أوهمت أن جميع الناس من غير النصارى يعتبرون وثنيين، إلا أننى عندما دنوت منهم وأتيحت لى الفرصة لفهمهم بدأت أحترم «الوثنيين» وأتباع الديانات الأخرى احتراما حقيقيًا، فقد وجدت تسامحا ورحمة بين من يسمى بالوثنيين أكثر مما عرفت فى حياتى كلها بين النصارى، وأصبحت بصورة خاصة صديقا لأحد المسلمين فأخذ يشرح لى مبادىء الإسلام، وسرعان ما أيقنت أن هذا الدين أكثر صلاحية من الديانة النصرانية، فالإيمان بوحدانية الله فى الإسلام أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث النصرانى، كما أن وجهة النظر الإسلامية بأن جميع الأديان الكبرى فى العالم تنتمى إلى أصل سماوى واحد، تعتبر أقرب إلى المنطق والتسامح من موقف النصارى الذى يصم بالوثنية كافة الديانات الأخرى!!

الإسلام دين ودنيا :

إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجا تاما بين المثالية والواقعية. فبفضلها يستطيع الإنسان أن يعرف الله ويصبح ربانيا وهو يقوم بنشاطات الحياة اليومية، وليس فى الإسلام أى فصل بين الدين والسياسة. فعلى الحكومة الإسلامية أن تراعى نفس المبادئ الخلقية التى يراعيها الأفراد عند التعامل فيما بينهم، وذلك فى معاملتها للناس والدول الأخرى، وهكذا فليس فى الإسلام أى مجال للظلم أو الاستغلال مهما كان نوعه، كما أنه لا سبيل فى هذا الدين إلى وجود الاستعمار والرأسمالية والتفريق العنصرى والصراع الطبقى والحروب الجائرة المعتدية.

سمو الإسلام حتى فى الحرب :

إن الكمال لله وحده، وكل الناس خطاؤون لذلك لابد من فرص للدفاع المسلح. إلا أن قوانين الحرب فى الإسلام تعتبر أكثر القوانين إنسانية. فهى تضمن السلامة الكاملة للنساء والولدان وجميع غير المحاربين، وليس هناك أعظم من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة، ومساكن المدنيين فى المناطق المعادية.

فالإسلام يأذن بالحرب لرفع الاضطهاد كما يأذن بها لإزالة العراقيل التى تقف فى طريق الدعوة والدفاع عن النفس، ولكنه لا يكره أحدا على الدخول فى هذا الدين، كما لا يقر إبادة العزل على يد المستعمرين والمتعصبين، فمن واجب المسلم أن يقبل السلم حتى ولو أراد به العدو خديعته، وهو دين السلام.. السلام مع الله والسلام مع الناس جميعًا.

إن أعظم الفضائل فى الإسلام تتمثل فى محاولة القضاء على الفاقة والألم، كما تتمثل فى خدمة المسلمين. قال رسول الله ﷺ :«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته.. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة. ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (رواه البخارى ومسلم).

لقد تأثرت أعظم التأثر بمبدأ الأخوة فى الإسلام تلك الأخوة التى تشمل كافة بنى الإنسان بصرف النظر عن اللون أوالعنصر أو الاعتقاد. فالإسلام هو الدين الوحيد الذى استطاع أن يحقق هذا المبدأ فى عالم الواقع. فجميع الناس فى نظر هذا الدين متساوون، والأخوة الإسلامية عالمية تقدم على الوطن، وقد أفلح الإسلام فى إزالة كافة الحواجز التى تفرق بين الناس، وقدم للعالم فكرة أن الخلق عيال الله. قال رسول الله ﷺ:

«كل الخلق عيال الله. وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»(١)

۞۞۞

(١) عيال الله يعنى يتكفل برزقهم ومعاشهم، والحديث ضعيف كما فى تخريج مشكاة المصابيح للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ٢/ ٦١٣. ومعنى الحديث، وهو الإحسان إلى الناس كافة، من بديهيات الإسلام كما دل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا.. ﴾ الآية فإنها شملت الأمر بجميع أنواع الإحسان. وفى الحديث :«خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (حديث صحيح انظر المشكاة ج٢/ ٦١١ تعليق الشيخ ناصر).

الهند:

٢٧- محمد ضياء الرحمن الأعظمي

طالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تعريف في سطور

هذه قصة شاب هندوكي درس الإسلام كي يطعن فيه فأسلم، لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وهو الآن طالب يدرس الشريعة الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأهم ما يعجب المرء في قصته أنه صمد أمام أهل الكفر، وضحى بكل شيء في سبيل الفرار بدينه، وفيما يلي قصته كما أرسلها بخطه للمؤلف وقد كتبها بعنوان:

من ظلمات الوثنية إلى ضياء الإسلام:

حينما كنت طالبًا في كلية شبلي (Shibli College) بمدينة أعظم كره Azamgarh بالهند وذلك منذ تسع سنوات تقريبا(١) وقعت يدي على بعض الكتب التي تتعلق بقواعد الإسلام فأقبلت على دراستها بكل رغبة واجتهاد، وأول كتاب قرأته هو «الدين الحق» المترجم إلى اللغة الهندية(٢) لفضيلة الشيخ أبي الأعلى المودودي حفظه الله، ويبدأ هذا الكتاب بقول الله عز وجل: ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وكنت جاهلا بمعاني القرآن الكريم ومع ذلك فقد أثرت ترجمة الآية في نفسي تأثيراً شديداً لأنني كنت أعتقد اعتقاداً جازمًا أن دين آبائي هو الحق، وكانت العداوة للإسلام والمسلمين راسخة في قلوبنا نتيجة للاتهامات الكاذبة الشائعة عن ملوك المسلمين على لسان المؤرخين الهنادك الذين كنا ندرس كتبهم في المدارس الحكومية، ويزعم هؤلاء المؤرخون أن المسلمين قد حكموا البلاد بالظلم والعدوان، وإذ يتركز هذا في أذهان الطلاب الهنادك يجد الطالب نفسه مدفوعًا إلى معاداة المسلمين وبغضهم.

---

(١) وصلت هذه القصة إلى المؤلف في ٢٠ يناير ١٩٦٩.

(٢) وهي أقرب اللغات إلى اللغة السنسكريتية وقد صارت الآن لغة رسمية للحكومة الهندية.

وازدادت تلك العداوة حتى عادى الناس بعضهم بعضًا وكنت ممن يكنُّ البغضاء للمسلمين، فجعلت أبحث عن الإسلام فى الكتب الإسلامية ليلا ونهاراً لعلى بذلك أستطيع أن أطعن فيه، ولكن الأمر قد انعكس حينما أثرت هذه الكتب تأثيراً جميلا فى نفسى، مما ألجأنى إلى ترك قراءة الكتب الدراسية التى كنت أطالعها فى ذلك الحين.

وبدأ القلق والاضطراب يأخذ علىّ مجامع نفسى، فمن المعلوم أنْ الديانة الهندوكية - وأهم مؤلفاتها «ويدك دهرم» وهى عبارة عن أربعة كتب هى (رك ويد) و(وسام ويد) و(أجر ويد) و(أترّ ويد) - كانت منذ آلاف السنين المصدر الوحيد للحضارة الهندية وأساس قوانينها، وكنت قد قضيت بضع سنين فى هذه العصبية الجاهلية.

عداوة الإسلام تراث هندوسى:

فالمؤرخون الهندوكيون يكنون فى صدورهم عداوة شديدة للمسلمين، ويكشفون عنها الحجب فى كتبهم التاريخية، فهم أحيانًا يطعنون فى سيرة الرسول ﷺ الطاهرة بقولهم: إنه كان راغبًا فى الحياة الدنيا.. إلخ. وهذا الجهل المركب يتركز فى عقول الشباب الهندوكى.

ومهما يكن من أمر فإن معاداة الإسلام كانت من تراث آبائنا، كما أننى حين نظرت إلى أحوال المسلمين لم أجد فيها ما يرغبنى فى مخالطتهم، فهم متخلفون اقتصاديا وخلقيًا، لذلك كان معظم الناس يقولون: إن الإنسان اليوم فى أشد حاجة إلى الرشاد والهدى فمن يهديه إليهما بعد أن ضل ضلالا بعيداً ؟! وعلى الجملة فإن جميع الأسباب لمعاداة الإسلام والمسلمين كانت متوفرة لدى الطالب الهندوكى الذى لا يستطيع بمعلوماته القليلة الضيقة الأفق أن يبحث مباحث توصله إلى الدين الحق، ويكشف عن نفسه ظلمات اللبس وسحب الجهل، فليس من المعقول أن تعتبر هذه المعلومات الضيقة كافية لإيجاد حل لمسائل الحياة الإنسانية، فوجدت نفسى مضطراً للرجوع إلى «ويدك دهرم» كى يطمئن قلبى بما أختاره وأسير به على الطريق القويم، ولكنى لم أجد فيه إلا أساطير الأولين عن عبادة النار والبحر والأشجار والأحجار وغيرها من الجمادات والبهائم، التى لا تملك لأنفسها نفعًا ولا ضراً، فكيف بغيرها ؟!



كما يعلل خلق الكون فيها أحيانا بصورة شنيعة قبيحة تنبعث منها رائحة منتنة يفر منها الإنسان اللبيب. ودونك أيها القارىء الكريم بعض الأمثلة:

أَمْثِلَةٌ عَنْ أَسَاطِيرِ الهِنْدُوسِ الدِّينِيَّة :

يقول الدكتور تارا جند (TARA CHAND) الفيلسوى الهندوكى فى كتابه: «تأثير الإسلام فى الثقافة الهندية» (INFLUENCE OE ISLAM ON INDIAN CULTURE) ما يلى: «فكرة ويد: (VAIDICK THOUGHT) إن الأضحية (ذبح الحيوان) آية لصلاح العالم، وهى وسيلة القوة للخالق، فإنه إذا تعب من الخلق وذهبت قوته فإن الملائكة تسترد هذه القوة بالأضحية، فينزل بها المطر وتطلع بها الشمس ويأتى بها الطوفان، لأن هذه هى السبب الوحيد الذى تتم به إرادة الخالق» (ص ٣٠).

ويشرح «فكرة وشو» فيقول: «فكرة وشو (VISHWA THOUGHT) هو الإله الثالث وهو خالق السموات والأرض وما بينهما وهو على كل شىء حفيظ، له أعين فى جميع الجهات وله وجه فى جميع الجهات وله أيد وأرجل كثيرة، وهو وحده لا شريك له. (رك ويد ١٠-٨١-٢-٤). وهو ذات واحدة يسمى «برم برش» (PERAM PURUSH) أى أفضل الناس، له آلاف الرؤوس وآلاف الأعين وآلاف الأرجل. وهو محيط بجميع العالم ومنفصل عنه. وكل ما كان ويكون فهو صادر منه. وهو مالك الحياة الأبدية. ولا يعاقب على أى عمل يعمله لأن أعماله كلها خير.

«فكرة ويدانت» (VAIDANTIC THOUGHT) يقول المفكر الهندوكى وويكانند (VIVEEKANAWD): «خرج هذا العالم من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق. المادة والروح والخالق كل منها أزلى وقديم لا يجرى عليها زمان ولا يأتى عليها حدوث، تدوم الحياة كما يدوم الخالق وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن: أما الخالق فهو موجود فى كل زمان ومكان، عالم بكل شىء، ليس له صورة حسية ولن يستطيع أحد أن يصل إلى عليائه. إذا ادعى أحد لنفسه أنه الله فقد كفر به».(HINDUISM) (ص٦١-٦٤).

العُنْصُرِيَّةُ الأَبَدِيَّةُ المَلْعُونَة :

«فكرة منواسمرتى» (MANUISMIRTY THOUGHT) وهذا عنوان كتاب يعتبر



المصدر الأساسي لقانون الهندوكيين، وفيما يلي جزء من الباب الأول الذي يبحث في الخلق:

«إن هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة. وليس في مقدرة أحد أن يتوسل إليها بالحجج والبراهين ثم ظهر «بيرميشور» (PERMESHWAR) إله الآلهة بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقًا من ذاته فخلق الماء وألقى فيه نطفة فصارت هذه النطفة بيضة، فخرج منها «برهما» BRAHMA - الخالق- وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة ومن الثاني الأرض والسموات وما بينهما والجهات الثمان والبحور الهادئة، ثم أخرج من فمه «براهمن» BRAHMAN ومن عضده «كهترى» CHHATTRY ومن فخذه «ويش» VAISHYA ومن رجله «شودرا» SHUDRA. فما دام براهما مستيقظًا فالدنيا باقية. وإذا أخذه النوم تقوم القيامة!!!

المجون والبذاءة باسم الدين :

فكرة «بران» PURANIC THOUGHT يعد بران عند الهندوكيين من الكتب المقدسة وأسفاره أكثر من أن تحصى ولكن الكتاب كله ينسب إلى «ويدوياس» (VAIDVYAS) فاختلف أصحاب بران في خلق العالم وجاؤوا بقصص ماجنة بذيئة ودونك بعضًا منها:

يقول أصحاب بران إن «ديوى بهكوت» (DEVIBHGAAWAT) خالق هذا العالم امرأة من «شرى بور» SHRI PUR اسمها SHRI وهي التي خلقت الآلهة الثلاثة المعروفين لديهم وهم: برهما (خالق الحياة) وشنو (الرازق) ومهيسن (قابض الأرواح). ولما أرادت هذه المرأة أن تخلق العالم وضعت إحدى يديها على الأخرى فخرج «برهما». فأمرته أن يتزوجها فأبى لأنه اعتقد أنه ولدها، فغضبت المرأة غضبًا شديداً فأحرقته، ثم أعادت عملها فخرج منها «وشنو» فأمرته أن يتزوجها فأبى فأحرقته، ثم أعادت العمل فخرج «مهيسن» فأمرته أن يتزوجها فامتنع إلا بشرط وهو أن تغير صورتها وتأتي بصورة أخرى ففعلت، ثم طلب منها أن تحيي أخويه فأحيتهما، ثم طلب منها أن تخلق امرأتين ليتزوج كل من أخويه بواحدة منهما ففعلت، وتزوج الجميع، وهؤلاء هم الآلهة الثلاثة الذين خلقوا العالم وهم الذين يدبرونه» (ستيارتي بركاش الباب ١١).



الإسلام حصن الأمان:

في هذه الكتب المقدسة عند الهنادك ذكر لأفعال تنسب إلى الخالق مما لا يرضى أحداً من الناس أن تنسب إليه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) فكان مثلي بعد دراسة «ويدك دهرم» كمثل رجل فر من المطر خوفًا من البلل فوقف تحت الميزاب. أو كما قال الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد ذلك انشرح صدري للخروج من دين آبائي وطرح العقيدة الجاهلية، والدخول في الإسلام فسجدت شاكراً لله القائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

الأمور التي حملتني على دخول الإسلام:

١- إن الإسلام ليس دينًا موروثًا عن الآباء بل هو دين لكل من يفتح له صدره.

٢- ليس في الإسلام أية فوارق جنسية ولا عصبيات جاهلية. فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣- إن مبدأ الأخوة الإسلامية مقدم على جميع علاقات النسب والوطن كما بين الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

٤- كل من يعتنق الإسلام يصبح فرداً من عشيرة المسلمين لا فرق بينه وبين الذي يولد مسلمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. كما يكون العالم الإسلامي وطنًا حقيقيًا له لقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

٥- إن الإسلام قانون شامل لجميع شئون الحياة الإنسانية وهو يقدم أحسن الحلول

للمشكلات الفردية والجماعية، ومخطىء أعظم الخطأ كل من يحصر الإسلام فى حدود المساجد والمؤتمرات والرابطات.

لقد أدركت حقيقة هذه الأمور المهمة الثابتة قبل تسع سنوات خلت، وذلك فى أيام جاهليتى عندما كنت على دين آبائى، فما كان منى إلا أن اهتديت إلى الإسلام بحمد الله وتركت دين آبائى وأجدادى واتجهت بكيانى كله إلى الإسلام: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

المصائب التي واجهتها عند اعتناقي الإسلام:

لقد دخلت الإسلام وأنا أعلم أن لله فى خلقه شئونًا كما قال تعالى : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وفيما يلى المراحل التى مررت بها:

المرحلة الأولى :

ما أن علم والدى بإسلامى حتى حرمنى من التعليم العالى، وأخرجنى من مدينة (أعظم كره) وبعثنى إلى مدينة (كلكته) حيث أصبحت غريبًا لا أجد فيها أحدا من المسلمين أعرفه ويعرفنى، ولكن الله يسر لى فى غربتى من أرشدنى وأعارنى ما كنت بحاجة إليه من الكتب وغيرها ، ولولا ذلك لكان إسلامى فى خطر عظيم.

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت أشد على من أن يتصورها عقل، وبعد أن وصلت إلى (كلكته) أخذت أبحث عن مركز الجماعة الإسلامية فيها فوجدته، وحصلت على بعض الكتب الهندية المترجمة وشرعت فى مطالعتها استعدادا للمراحل التالية. فاطمأنت نفسى بمصاحبة فضيلة الشيخ عبد التواب حفظه الله، وكان أميرًا للجماعة الإسلامية فى كلكته آنذاك.

فأحمد الله وأشكره على ما يسر لى من الأمور إلى هذا الحد. كما أشكر إخوانى المخلصين الذين ساعدونى فى لحظات خطيرة، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا.



المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ :

كانت هذه المرحلة مرحلة بحث ومناظرة مع النساك الهندوكيين رغم صغر سنى وقلة علمى وبعدى عن المسلمين فى ذلك الحين، وكلما أفكر فى المناظرة التى جرت بينى وبينهم فى مدينة الله آباد ALLAHABAD أعجب كل العجب كيف تسنى لى أن أنتصر عليهم، إذ أن تلك القوى الكافرة كانت متألبة على إسلامى على اختلاف مسالكها ومذاهبها ، ولا أذكر الآن من أسئلتهم التى وجهت إلى إلا سؤالا واحداً هو قولهم:

لماذا تختار دين الإسلام مع أن المسلمين اليوم فى شدة وضيق وتفرق وفقر وبعد عن الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة؟

فأجبتهم قائلا: ما اخترت الإسلام إلا بعد مطالعة قواعد الإسلام لا بمجرد دراسة أحوال المسلمين، وإن كنتم فى ريب منه فاعرضوا على ما أشكل عليكم من أصوله وعقيدته؟!

إلا أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبهتوا وسكتوا وانقلبوا خائبين يلومون أنفسهم كما هى عادة المعاندين عند المجادلة فصدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، واستمر هذا البحث والنقد خمسة عشر يومًا متوالية، كنت أرجع خلالها إلى دارى وقلبى مطمئن بالإيمان.

المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ :

ثم جاءت مرحلة الأذى والتعذيب. فقد حبسوا عنى الماء والطعام وانهالوا على ضربًا بالعصى والنعال واستمروا على ذلك شهرين متتاليين، ولما يئسوا من رجوعى إلى دينهم تآمروا على قتلى، ولولا أن الله سبحانه وتعالى نجانى منهم بلطفه الخفى لقتلونى شر قتلة، فيسر الله لى طريق الهجرة فهاجرت إلى مكان هادىء تاركا والدى ورفقائى وأصدقائى وكثيراً من عشيرتى الأقربين، كى أحافظ على دينى وإيمانى بكل فرح وسرور مثلما هاجر أبونا إبراهيم عليه السلام قائلا: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

المَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ:

ولما خرجت من وطنى مهاجراً إلى الله ووصلت على بعد ٤٠٠ كيلو متراً غرب مدينة بدايوان BADAUN أردت أن أقرأ القرآن وأتعلم اللغة الأوردية فعينت لنفسى مدرسًا للغة الهندية والإنجليزية والتاريخ والرياضيات فى مدرسة إسلامية صغيرة، وفى أوقات فراغى كنت أتعلم القرآن، ولكن الهندوكيين علموا بوجودى هناك بعد عام ونصف فغاظتهم حياتى الهادئة المطمئنة، فجاؤوا بالمؤامرات الأخرى محاولين إلقاء القبض علىّ، فوجدت نفسى مضطرا إلى الخروج من تلك الناحية إلى جهة أخرى بعيدة عنها وهى منطقة مدراس MADRAS فى جنوب الهند.

ولما وصلت إلى مدراس التحقت بمدرسة دينية معروفة تدعى جامعة دار السلام، وهى محاطة بالجبال والأشجار ذات البهجة والمناظر الممتعة التى تسر الناظرين، وأصبحت طالبًا رسميًا فى تلك المدرسة، وهى تهتم بالتربية والتعليم ممسكّة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. بذلك عصمنى الله من التعصب للمذاهب واتباع الأهواء والفرق المبتدعة والطرائق الخرافية.

فطفقت أتعلم اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه. وتعلمت شيئًا من المنطق والفلسفة. وانتظمت فى دراستى ست سنين تخرجت بعدها من دار السلام، وقدمت طلبًا للالتحاق بالجامعة الإسلامية إلى صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كى أنهل العلوم الشرعية من مناهلها الصافية النقية. فقبل الشيخ طلبى بكل إخلاص ومودة وسافرت من بلاد الهند إلى مدينة الرسول ﷺ سائلا الله تعالى أن يجعلنى من الحنفاء المخلصين له الدين، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين، وأخيرا أرجو الله أن يثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، وأن يختم لى بالإيمان. وصلى الله على النبى محمد وسلم تسليمًا كثيراً.

محمد ضياء الرحمن الأعظمى

طالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٢٣ / ١٠ / ١٣٨٨ هجرية

ألمانيا:

٢٨- أحمد عبد الله كوبسيل
« مانفرد كوبسيل سابقًا »

Ahmad Abdullah Kopsel

زار الكويت في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٦٩ شاب ألماني مسلم يدعى (أحمد عبد الله كوبسيل) قدم إليها بطريق البر من إيران ضمن جولة في بعض البلاد الإسلامية نهاية المطاف فيها مكة المكرمة، وقد كان نصرانيا فأراد الله له أن يعلن إسلامه منذ ثلاث سنوات خلت، كان ذلك في تونس، وفيما يلي ترجمة تسجيل لمقابلة جرت بينه وبين المؤلف باللغة الإنجليزية.

- أهلا وسهلا بالأخ الكريم أحمد عبد الله!

- أهلا بك يا أخي!

هل لي أن أتعرف عليكم؟

- نعم.. أنا أحمد عبد الله كوبسيل، واسمي السابق هو مانفرد كوبسيل (MANFRED KOPSEL) ولدت في مدينة برلين في الخامس من يونيو عام ١٩٣٧، ويبلغ عمري الآن حوالي إحدى وثلاثين سنة ونصف.

- نود أن نعرف عن أسرتك وظروف نشأتك في برلين؟

- لقد عشت مع والديّ وإخوتي عيشة هنيئة حتى كانت الحرب العالمية الثانية فقدت على أثرها جميع أفراد أسرتي في عام ١٩٤٥، ولم يبق لي منهم أحد على الإطلاق. فاحتضنت تربيتي أسرة كريمة في برلين، وعشت بين أعضائها كفرد منها، وذهبت إلى المدرسة مع أبنائها حتى كان عام ١٩٥٥ عندما حصلت على شهادة الدراسة الثانوية فهاجرت إلى الجزء الغربي من برلين، ثم انتقلت إلى بلجيكا فالتحقت بمدرسة المعلمين فيها وقضيت فيها عامين حتى عام ١٩٥٧. ثم عدت إلى ألمانيا واشتغلت فيها برهة

من الزمن غادرتها بعدها في عام ١٩٦١ إلى تركيا حيث اشتغلت مدة عامين كمدرس للغة الألمانية في كلية أتاتورك بلواء الإسكندرونة الواقع جنوبي تركيا، ولما انتهى عقدي مع تلك الكلية سافرت إلى تونس حيث يعمل أخ لي بالتبني(١) اسمه مانفرد (MANFRED) وهو مهندس يعمل في الحفر والتنقيب عن البترول في ليبيا وتونس، وهناك - أي في تونس - افتتحت مدرسة لتعليم اللغات سميتها مدرسة البرليني لتعليم اللغة (BERIINER LANGUAGE SCHOOL).

- ولكن كيف اعتنقت الإسلام؟

دُعَاةٌ بِأَخْلَاقِهِمْ:

حدث أن التحق بمدرستي المذكورة سبعة من الطلاب كانوا في فصل واحد، وكلهم من عائلة مشهورة عريقة في تونس هي عائلة بن غوربال. وكانوا جميعًا على درجة كبيرة من الخلق والذكاء الخارق. فاسترعى ذلك انتباهي كمدرس لهم فأخذت أسألهم عن سر ذلك؟

- إننا مسلمون.

- ولكني رأيت كثيراً من المسلمين في كل مكان من أوروبا وتركيا وغيرهما فلم يعجبني حالهم.

- نحن نحاول يا أستاذنا الفاضل أن نعيش بالإسلام كمنهج حياة، إننا نحاول تطبيق الإسلام في الواقع.

- هل لكم أن تحدثونني عن هذا الدين الذي تؤمنون به؟

- بكل سرور يا أستاذنا! لقد أنزل الله القرآن على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ وبجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، كما دعاهم إلى الإيمان بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، هل لك أن تتقبل نسخة من القرآن هدية كي تقرأ بنفسك وترى مدى صحة ما نقول؟

(١) الإسلام لا يعترف بالتبني. قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

- يسعدنى ذلك! ولكنى لا أعرف العربية، وعلى كل حال سأبعث رسالة إلى ألمانيا لطلب نسخة من الترجمة الألمانية لمعانى القرآن!

- حسنا تفعل!

تَرجَمَةُ مِعَانِي القُرآنِ :

وجاءت نسخة القرآن المفسر باللغة الألمانية. فاستلمتها ووضعتها على مكتبى ومضت فترة من الزمن حتى كانت مناسبة عيد رأس السنة الميلادية لعام ١٩٦٦. وكعادة النصارى فى ذلك العيد ذهبت وأخى (مانفرد) إلى حفلة عيد الميلاد فى تونس. وما أن جلست فى الحفل وارتشفت رشفتين من الخمر حتى أحسست بألم شديد لم أستطع عليه صبراً، ثم أصبت بغيبوبة، فما كان من أخى (مانفرد) إلا أن أخذنى بسيارته إلى السكن الذى كنت أعيش فيه، وحاول إعادتى إلى حالتى الطبيعية فلم تفلح مساعيه، ومضى الليل كله حتى إذا كان اليوم الذى يليه استيقظت من غيبوبتى وتحسنت صحتى، وكنت أشعر برغبة شديدة وإقبال على القراءة.. قراءة أى شىء، فالتفت حولى فإذا بنسخة القرآن باللغة الألمانية أمامى وكأنها تدعونى إلى قراءتها، فأمسكت بها، وأخذت فى قراءتها بدون توقف، وما تركتها حتى فرغت من قراءتها بأكملها. واستغرق ذلك منى يومين كاملين كان الخدم أثناءهما يقدمون لى الطعام.

أَنَا مُسْلِم :

لقد أحسست حين أكملت قراءة الترجمة الألمانية لتفسير القرآن بروح جديدة تدب فى عروقى، شعرت بحياة متجددة تسرى فى كيانى، كل شىء فى جسمى ونفسى كان يهتف قائلا: أنا مسلم! أنا مسلم. لقد كنت واثقًا من أننى لابد أن أعلن إسلامى فتوجهت إلى مفتى تونس الشيخ الفاضل بن عاشور الابن وأشهرت إسلامى أمامه.

- وماذا فعلت بعد أن أعلنت إسلامك!

- لقد ذهبت إلى مدرستى الخاصة وقررت بيعها بكاملها، فقد تغيرت مهمتى فى الحياة، وتبدلت رسالتى فيها، وأحسست برغبة فى تعلم هذا الدين، فساعدنى صديق لى وهو وزير الشباب فى ليبيا على الحضور إلى الدار البيضاء والالتحاق بالجامعة الإسلامية فيها، ومضى عام ١٩٦٧م - ١٩٦٨م وأنا طالب فى تلك الجامعة، ولكننى لم

أوفق كثيرا فانتقلت إلى مصر والتحقت بعد بضعة أشهر بالجامعة الأزهرية، وكان أول فندق نزلت فيه فى القاهرة هو فندق فلسطين حيث تأثرت كثيرا بالناس من نزلاء الفندق وهم يصطفون للصلاة الجماعية، وكان موضوع الحديث بينهم الكارثة التى حلت بالمسلمين أخيرا وهى حرب حزيران ١٩٦٧م.

- بهذه المناسبة ماذا كان شعورك حين حدث العدوان الإسرائيلى الأخير على بعض البلاد العربية؟

- منذ أن أعلنت إسلامى وأنا أحس أننى عضو فى جسم واحد هو الأمة الإسلامية، فكل ما يصيبها يصيبنى، ولقد تمنيت أن تتاح لى الفرصة للمشاركة فى معارك الفدائيين الفلسطينيين، فاستغرب ذلك بعض من حدثتهم به فى مصر قالوا:

- إنك ألمانى، وما شأنك بفلسطين العربية؟

- أنا مسلم أولا، وفلسطين قضية المسلمين قبل أن تكون قضية العرب، فكل مسلم فى العالم يشعر أن من واجبه الجهاد فى سبيل تحرير الأراضى المقدسة، ولقد زرت الأردن وتأثرت كثيرا بحال اللاجئين الفلسطينيين فيها، وبالمناسبة أنشأت فى الباكستان داراً لإغاثة اللاجئين.

- فى الباكستان! وهل ذهبت إليها أيضا؟

- نعم، كنت أحسب أن الدراسة فى الأزهر إسلامية صرفة، ولكنى وجدت غير ذلك فتركت الأزهر وهاجرت إلى باكستان حيث التحقت بمعهد العليمية التابع للاتحاد العالمى للدعوة الإسلامية، ثم استقر بى المقام فى أبوت أباد (ABBOIT ABAD) وهى مدينة قريبة من كراتشى يعيش فيها الناس على الفطرة وهم متحمسون للإسلام ولكنهم فقراء من الناحية المادية.

- هل لنا أن نعرف عن نشاطاتك الحالية ومشاريعك فى المستقبل؟

- نعم: لقد التقيت فى أبوت أباد بدكتور ألمانى مسلم يدعى الدكتور علاء الدين شلبى، اعتنق الإسلام منذ نيف وعشر سنوات، وأنشأنا مركزاً للدعوة الإسلامية فى تلك المدينة، وكانت إمكاناتنا المادية محدودة رغم تعاون أهل تلك المدينة تعاوناً تاماً،



ويسرني أن أقول إننا شيدنا المركز المذكور بأيدينا ، لقد اشتركنا في عملية البناء وإعداد كل شيء فيه حتى الموائد الخشبية والدهان، وقد وفقنا الله إلى افتتاح المركز ويوجد في معهد تدريب المعلمين التابع له الآن حوالي ٣٦ طالباً، حسب ما جاء في آخر رسالة تسلمتها من أخي الدكتور علاء الدين، وهؤلاء الطلبة يجدون ما يلزمهم من مسكن ومأكل في المركز، وكلنا أمل أن يوفقنا الله لتخريج دعاة إلى الإسلام على بينة من ربهم ودينهم.

- ما هو هدفك من زيارة الكويت؟

- إن هدفي من زيارة الكويت هو تبليغ الدعوة الإسلامية لإخواني، أريد أن أذكرهم بواجبهم لحمل لواء هذا الدين، فقد قدمت مع جماعة التبليغ ومعي فرقة مؤلفة من ١٥ رجلا من ذوي الأعمار المختلفة، كما أنني آمل أن أجمع بعض التبرعات من إخواني المسلمين من أجل المركز الإسلامي المذكور، فأنا أعتبر نفسي جندي من جنود الله، وأسأل الله أن يتقبل مني.

هل واجهت أية مشكلة على أثر إسلامك؟

- عندما علم أخي (ما نفرد) بإسلامي غضب غضبا شديداً وقاطعني واستخف بالأمر، ولكنه لما علم أن المسألة تختلف عن ذلك، وأنني أصبحت رجل عقيدة، بدأ يحترمني، وتركني وشأني، ولا أزال أحافظ على صلة المودة معه، وقد يكون من الممتع لك أن تعلم أنه لما علم أحد القسس الألمان العاملين في الجزائر باعتناقي للإسلام أخذ يجادلني، ولما أفحمته عرض عليّ في إحدى رسائله مبلغاً كبيرا جدا من المال شريطة أن أرتد عن الإسلام وأعمل معه في سلك التبشير، فأبيت بطبيعة الحال وقلت: ما عند الله خير وأبقى.

- شكرا لك يا أخي، هل تود أن تضيف شيئاً قبل أن نختم لقاءنا؟

- نعم ، أود أن أبين أن المسلمين في الباكستان في خطر، فالإرساليات التبشيرية النصرانية تقوم الآن بتربية أبناء المسلمين في معاهدها العلمية لإخراجهم عن دينهم وعقيدتهم، وهذه الإرساليات تنفق مئات الألوف من الجنيهات على هذا العمل الخطير،



ولقد آلينا على أنفسنا نحن أعضاء المركز الإسلامى فى أبوت أباد أن نتحدى نشاط هؤلاء، وكلنا أمل أن يساعدنا المسلمون فى ذلك، كما أود أن أشير إلى أننا أنشأنا - كما ذكرت آنفا - داراً لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين، وقد ذهبت إلى الأردن لإحضار بعضهم إلى باكستان لتشغيلهم وإيوائهم، ولقد تحمس المسلمون فى باكستان لهذه الفكرة فجادوا بالمال وكل شىء لمساعدة إخوانهم فى الدين، حتى إن امرأة مسلمة كبيرة فى السن تبرعت بقطعة أرض كبيرة جدا لإقامة مساكن لهم عليها، ولا شك أن ذلك يستحق كل تقدير وإعزاز.

- شكراً لك يا أخى، وأسأل الله أن يكلل مساعيك بالنجاح والتوفيق.

- شكرا. اللهم آمين.

❁❁❁

سوريا:

٢٩- أمل الصايغ *

الفتاة الأرمنية تهتدي إلى الإسلام

قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة. وأبواه يُهوادنه أو يُنصرانه أو يمجسانه.

تعريف

نشأت أمل الصايغ في عائلة نصرانية كانت تعيش في قلعة ماردين التركية، ثم نزح أهلها من موطنهم ماردين إلى «الحسكة» الواقعة على الحدود السورية، وكان أهلها يعملون في حرفة «الصاغة» صياغة الذهب إلى حلي شتى. وقد حصلت أمل على تعليم عال فتعلمت اللغة التركية والإنجليزية والكردية والعربية والفرنسية، وتدرجت في حياتها المهنية من ممرضة إلى أن أصبحت رئيسة ممرضات في مستوصف الحسكة العام.

س: متى كانت ولادة أمل؟ وماذا عن حياتها الأولى؟

هي من مواليد ١٩٣١ تقريبًا. وكانت منتسبة إلى حزب القوميين السوريين إذ كانت رئيسة لإحدى خلاياهم في الحسكة التي تعتبر مسرحًا كبيراً للنشاطات الحزبية المختلفة، وللأرمن - عائلة أمل- الحظوة الكبرى في هذه النشاطات وكذلك النصارى الشرقيين، كما أن الحسكة تعتبر واحة لطلب الرزق حيث يوجد فيها نهر الخابور الشهير.

س: ومتى بدأت قصة إسلام أمل وكيف؟

شاءت إرادة الله أن يكون في الحسكة في حوالي عام ١٩٥٣ عدد من المدرسين المسلمين والمدرسات المسلمات الذين قدموا من حمص وحماة للعمل في مدارس الحسكة.

(*) كانت هذه القصة نتيجة لجلسة طيبة أجراها المؤلف مع الحاج رسلان الخالد من الجالية السورية في الكويت، وقد كانت على شكل سؤال وجواب.



وكانت المسحة الغالبة عليهم هى المسحة الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين الحنيف والتقوى، وكان كثير من هؤلاء يراجعون المستوصف العام فى الحسكة للتداوى والعلاج، وكان بين المدرسات القادمات من حماة مدرسة مسلمة تقية تدعى «علية الجواد». وكانت تعيش فى الحسكة مع أخيها الصغير الذى جاء معها من حماه كَمَحْرَمٍ لها، وكان طالبًا فى الصف السابع الابتدائى.

وذات يوم جاءت الآنسة علية الجواد إلى المستوصف الذى كانت تعمل فيه أمل، وكان أول لقاء بينهما بمحض الصدفة، فتعارفتا ودار بينهما حوار ودى حول الإسلام والمسيحية، انتهى بأن قدمت المدرسة الفاضلة لرئيسة الممرضات نسختها التى تحملها من القرآن الكريم كهدية منها إليها.

ولما فرغت أمل من عملها أخذت تطالع بشغف آيات القرآن الكريم، فلاحظت الفرق الشاسع بينه وبين الإنجيل، وتكررت زيارات علية الجواد لها وتوطدت الصداقة بينهما وكانت فى كل مرة تسائلها عن بعض المعانى التى لم تكن تفهمها من الآيات والسور، ولما تجلت لها معانى القرآن الكريم وجلاله وصدق رسالته قالت أمل لعلية الجواد ذات يوم:

- أريد منك يا أختى أن ترشدينى إلى رجل فى حماة له مكانته وجبروته، ويستطيع أن يحمينى إذا نويت الهجرة إلى حماة لاعتناق الإسلام، فقالت لها المدرسة المسلمة علية وقد تهلل وجهها فرحًا:

سآتيك برجل موجود هنا من حماة يتم لك على يديه ما تريدين.

واتفقتا على موعد لذلك، وجاء الرجل بصحبة علية والتقى بالآنسة أمل فقالت له بعد أن تطهرت وأخذت القرآن فى يدها:

- إن هذا القرآن بيدى، أحمله بيمينى وأومن به فى صدرى، فإذا كنت ممن يؤمن بهذا القرآن فعاهدنى عليه حتى أكون فى عداد المسلمين منكم وأذهب معكم إلى حماة.

فقال الرجل:

- ذلك على عهد الله إن شاء الله تذهبين إلى حماة وتكونين فى حصن حصين.

ومرت أيام، فإذا بالآنسة أمل تلمس من ذلك الرجل أنه غير صادق، إذ كان ينظر إليها خلسة نظرة غير بريئة. فالتفتت إليه وهى تتلو آية من كتاب الله هى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] وقالت له:

- يا هذا أنا عاهدتك على هذا القرآن لأكون من المسلمات وأذهب إلى بلدكم. ولكنى لم أجد منك هذه الرجولة المطلوبة بمعناها الصحيح. لذلك انصرف عنى، والله ما اندفعت لاعتناق الإسلام رغبة فى التزوج من شبان وسيمين. فلدينا بين النصارى مثل ذلك وربما أفضل منك، فما أكثر من طلب يدى. ولكنى جئت أريد الإسلام أولاً وقبل كل شيء. فانصرف عنى.

انصرف ذلك الرجل عن أمل، ورغم ما عانته من صدمة نتيجة لهذه التجربة ظلت لديها رغبة ملحة لاعتناق الإسلام والهجرة فى سبيله إلى حماة فى حمى رجل أمين. ومضى عام آخر، وفى ربيع العام التالى ١٩٥٤، وفى بداية السنة الدراسية قدم إلى الحسكة مدرس مسلم أمين ذو نخوة وشهامة يدعى بدر الشواف، وكان نقيبًا للمعلمين فى الحسكة فانتهزت علية الجواد هذه الفرصة وفاتحته بموضوع أمل، فما كان منه إلا أن أبدى اهتمامًا كبيراً بأمرها، واستعد أن يضمها إلى أسرته لتكون بمثابة واحدة من أخواته الشقيقات فى حماة، وعاهدها الله على الوفاء والصدق، فجمعت بينه وبين أمل وعاهدها بذلك قائلاً:

- والله على ما أقول وكيل.

ومضت الأيام واتفق الأستاذ بدر الشواف مع أمل أن ينقلها إلى حماة ، فى نهاية السنة الدراسية. وفى غضون ذلك أخذت تتعلم أمور دينها الجديد. وسرعان ما حان الوقت وطويت السنة وكأنها طرفة عين وعاد المدرسون وفيهم بدر الشواف إلى حماة، وما كاد يصل إلى بلاده ويستقر بها قليلاً حتى وصلته برقية من أمل بالحسكة تقول:

« إن القوم قد اقتربوا من زرعكم وكادوا يحصدونه فعجلوا بحصده ونقله».

فهم الأستاذ بدر أن أمل فى خطر ولابد من إنقاذها فوراً، فهب لتوه لنجدتها واتفق مع سائق على السفر فوراً إلى الحسكة. وما هى إلا لحظات حتى كان الاثنان فى السيارة، وهى تطوى الأرض مسرعة إلى الحسكة، ومضت ساعات أخذوا يغذون فيها السير حتى كانوا فى الحسكة قبيل صلاة الظهر بعد سفر طويل، فأوقفوا السيارة أمام أحد المساجد القريبة من المستوصف -حيث تعمل أمل- وجلس الاثنان ينتظران.. وبعد برهة وجيزة خرجت أمل من المستوصف وكأنها كانت على موعد. والتفتت حولها فرأت سيارتهما ولمحت فيها بدر الشواف، فأدركت أنه حضر لأخذها إلى حماة. فسارت فى طريقها حتى كانت بمجاذاة المسجد ثم دخلته وتبعها الأستاذ بدر. فألبسها ملاءة كانت معه فى السيارة. وخرج بها إلى السيارة. ولما ركبت انطلقت السيارة كالصاروخ عائدة إلى حماة.. ومضت ساعات حتى بلغوا حماة قبيل الفجر.. ولكن بعد طلوع الشمس كان والد أمل ووالدتها وأخوها ويصحبتهم قسيس فى سيارة فى حماة، وكانوا يتجهون إلى مقر الشرطة للسؤال عن مصير ابنتهم أمل. وكانت فى صدورهم شكوك تحوم حول بدر الشواف. ولما اجتمعوا برئيس الشرطة قالوا له:

- إنا نتهم رجلاً هنا فى حماة كان يعمل مدرسًا عندنا فى مدينة الحسكة باختطاف ابنتنا أمل الصايغ.

- فقال لهم رئيس الشرطة:

ومن هو هذا الرجل؟ فأجابوا بقولهم:

- إنه بدر الشواف نقيب المعلمين فى الحسكة.

أمر رئيس الشرطة جنوده باحضار الأستاذ بدر ولما جاء سأله:

- أين وضعت أمل الصايغ؟ فأجابه قائلاً:

- إنها فى عهدة الشيخ محمد الحامد والشيخ توفيق الصباغ رئيس هيئة العلماء فى حماة، فطلب منه احضارها من هناك، ولما جاءت طلب القس السماح له بالاجتماع بها على انفراد، ولما تم له ذلك قال لها:

- يا هذه، لماذا لا تعودين إلى أهلك وإخوانك فى الحسكة وتتركين هذا الدين الذى خدعت لاعتناقه؟

فأجابته قائلة :

- الإسلام دين الفطرة ! ولم يخدعني أحد لاعتناقه بل هداني الله إليه . فالحمد لله على ذلك وأنني أدعوكم أنت ووالدي ووالدتي للدخول في هذا الدين الحنيف لتنقذوا أنفسكم من النار.

عندئذ دهش القس وفغر فاه تعجبًا من أمر هذه الفتاة. وأخذته العزة بالإثم فخرج لا يلوى على شيء، واجتمع بوالدها ووالدتها وأخبرهما بما سمع، فقرروا جميعًا اتهامها بالسرقة، وطالبوا بعودتها معهم إلى الحسكة للتحقيق معها.

فأجاب رئيس الشرطة:

- أنا لا أملك هذا ولكن يمكنكم أن ترفعوا ضدها دعوى في الحسكة وتبقى هي هنا في حماة عند الشيخ توفيق الصباغ، وهنا أسقط في يد أهلها فزعموا أنها مجنونة، وأنها دخلت دين الإسلام على أثر جنونها لا من جراء تفكير عاقل رزين. لذلك فإنهم أعربوا عن رغبتهم في أخذها إلى الحسكة لمعالجتها. فقال رئيس الشرطة :

- تستطيعون أن تزعموا ما تشاؤون، قولوا إنها سرقت أو إنها مجنونة. ولكن لا أستطيع أن أمسها بسوء. لأنها في حماية رئيس هيئة العلماء، وهي فتاة راشدة تقرر مصيرها بنفسها. ويمكنكم أن ترفعوا دعوى ضدها بما تشاؤون. فرفعوا دعوى بأنها مجنونة وشكلت لجنة في دمشق- بعيدًا عن حماة- للتحقيق في مدى صحة ذلك. وحدد موعد لانعقاد اللجنة.

لماذا أسلمت ..؟

وفي الموعد المحدد ذهبت أمل إلى دمشق برفقة بدر الشواف وشخص مسلم آخر. ولما مثلت أمام اللجنة وجه إليها أحد الأعضاء السؤال التالي:

حدثيني يا بنتي عن سبب اعتناقك الإسلام؟

فقالت أمل بصوت هادئ:

الأمر في غاية البساطة، لقد قرأت الإنجيل فوجدت فيه تحريفًا كبيرًا وطالعت الكتب

السماوية الأخرى فلمست فيها الأمر نفسه. ثم قرأت كتاب الله- القرآن الكريم- فلم أجد فيه أي شيء من التحريف أو المتشابه. ووجدت أنه يجمع بين دفتيه كل شيء من خلق آدم إلى قيام الساعة. لذلك فقد وجدت أن الإسلام دين الفطرة، دين البساطة، فآمنت به وهجرت دين آبائي وأجدادي.

فقال الطبيب العضو معجبًا. شيء رائع حقًا.

ثم التفت إليها عضو آخر في اللجنة وقال:

إنك تؤمنين باليوم الآخر، أليس كذلك؟

فأجابت: نعم.

فقال:

كيف يمكنك إقناعي بذلك؟

فقالت: يا سيدي، أنا لا أزعم أنني متخصصة في الدين. ولكن الإجابة عن هذا السؤال أمر فطري. فلو ظُلم إنسان في الحياة الدنيا، ومات هو والظالم من غير أن يأخذ المظلوم حقه، وحيث إن لهذا الكون ربا عادلاً مدبراً، فلابد أن يكون هناك يوم آخر يأخذ فيه المظلوم حقه من الظالم. وإلا فلا يكون هناك عدل عند ملك الملوك، قيوم السموات والأرض، وحاشاه من ذلك!

فقال لها: والله يا ابنتي إنك أعقل مني! فلو سئلت أنا هذا السؤال لما استطعت أن أجيب عليه بمثل هذا الوضوح، اذهبوا عنها فما بها من بأس، ولا شأن لكم بها.

قررت اللجنة الطبية في دمشق أن أمل بريئة من تهمة الجنون وعادت معززة مكرمة إلى حماة. ولكن مؤامرات أهلها لم تنته. فأقاموا ضدها دعوى بأنها فرت من المستوصف العام بالحسكة من غير إذن. والقانون يقضي بحبس الفار من عمله دون إذن شهراً ونصف الشهر. ولما رفع أهلها هذه الدعوى ضدها عادوا إلى بلادهم خائبين. إذ أن ملابسات المحاكم تستغرق زمنًا طويلاً قبل أن تقضي في الحكم.

جاءت بداية العام الدراسي التالي، وأمل تعيش مع علية الجواد في بيتها في حماة. وجاء أمر بنقل علية إلى ضاحية برى الشرقي- وهي قرية شرقي حماة وتبعد عنها حوالي

٥٠ كيلو متراً- فانتقلت معها أمل محاولة الهرب من السجن المذكور، وآملة أن تتغير الأحوال وتحصل على عفو. أما أهلها فى الحسكة، فقد لجأوا إلى اتباع كافة السبل التى يمكنهم القيام بها ضدها، فاتصلوا بمدير المستوصف العام وكان رجلاً نصرانيًا منصفًا. قالوا له:

- نحن نعلم أن أمل قد سرقت بعض حاجيات المستوصف فهل لك أن تكتب لنا شهادة بذلك؟ فقال الرجل:

- واعجبًا إننى رجل نصرانى مثلكم ولا أحب لأمل أن تسلم، ورغم ذلك أقول: إننى لم أعرف امرأة شريفة ولا صادقة ولا أمينة قط مثل ما عرفت أمل! وهذه هى شهادتى بحقها فإن شئتم كتبتها لكم.

فى تلك الأثناء كان بعض القوميين السوريين يجتمعون فى حماة فى صيدلية لهم تسمى «صيدلية الجامعة»، وصاحبها شخص لبنانى كان يدعى «الجردينى» وكان هؤلاء القوم يترقبون أخبار أمل وتنقلاتها عن كثب. وذات يوم قام صاحب هذه الصيدلية بإبلاغ أسرة أمل بأنها انتقلت إلى قرية بري الشرقى. ودعاهم إلى القدوم لاختطافها. ولما علم أهلها بذلك سارعوا بالذهاب إلى حماه ثم توجه ثلاثة نفر مع أم أمل وأخيها واستقلوا سيارة إلى برى الشرقى فوصلوها عند الظهيرة. وأخذوا يتربصون بأمل قريبًا من المدرسة التى تعمل بها علية الجواد. ولما قرع جرس المدرسة الأخير ايذانًا بانتهاء اليوم المدرسى وأخذت الطالبات يتدفقن من المدرسة تباعًا، شوهدت أمل خارجة من المدرسة بصحبة بعض المدرسات وفيهن علية الجواد. فهاجمها أحد الرجال الثلاثة القادمين بالسيارة وخضها خضة كادت تُكسر أضلاعها، فصرخت ولكن دون جدوى. إذ حملها الرجل إلى السيارة وانطلق الجميع بها ظافرين رغم استنجاد المشاهدين بالشرطة، ورغم توجه بعض المدرسات إلى قرية السلمية وقيامهن بإبلاغ الشرطة بما حدث. هذا بينما كانت السيارة التى تقل أمل منطلقة كالسهم فى طريقها إلى الحسكة وكانت أمل تعانى من غيبوبة تامة على أثر ما حدث.

ومضت ساعة، استيقظت بعدها أمل وأحست بالوضع على حقيقته فأخذت تكيد للتخلص من سخط أهلها عليها فقالت:

- لقد أبطأتم الوصول! إذ أن القوم قد خطفونى رغم أنفى وأخذونى إلى حماة. وكنت انتظر الهروب إلى طرفكم بالحسكة. ولكن دون جدوى. ولقد فرضوا على الإسلام فرضًا.. فقبلته مكرهة، رغم وجود الرغبة الشديدة فى نفسى كى أعود إليكم بالحسكة وكان من الخطأ أن تطلبونى بواسطة المحاكم أو مركز الشرطة. إذ كان بإمكانكم أن تقبلوا أن أعود معكم بحجة دعوتكم جميعًا للإسلام، وهناك فى الحسكة نعود إلى ما كنا عليه.

عند ذلك تبدلت نظرات الغضب إلى حنين وعطف وعناق، وأخذت أمها تغنى وتصفق وأخذت أمل تشاركها فى ذلك . والجميع فرحون مسرورن والسيارة مسرعة إلى الحسكة. ثم وصلت السيارة إلى جسر الرقة فى منتصف الطريق إلى الحسكة تقريبًا. وهنا اعترض سبيلهم اثنان من الشرطة المسماة «شرطة الدرك» فأشاروا إلى السيارة بالوقوف. وما كادت السيارة تقف حتى نزلت أمل منها وهرعت إليهم قائلة:

- إن هؤلاء القوم قد خطفونى من سلمية بعد أن أسلمت. وهم أمي وأخى ورجال ثلاثة آخرون، ويريدون أن يذبحونى بعد إعادتى إلى الحسكة، فأنقذونى من أيديهم! فما كان من رجال الدرك إلا أن أمسكوا بالسيارة ومن فيها وقادوهم جميعًا إلى مركز شرطة الرقة.

وفى مخفر الرقة سألت أمل عن رجل مسلم يحميها ويقف جانبها فاستدعى مختار حى الشراكسة وكان اسمه عبده اليوسف، ولما جاء وعلم بقصتها أخذها إلى بيت أمه وزوجته.

وكلاهما تجيد اللغة التركية. وظل أهل أمل وعصابة الخطف فى المخفر. ثم أرسلت أمل إلى المحتجزين فى المخفر كى يحضروا إلى دار المختار، وأخذت تدعوهم إلى الإسلام فأبوا وامتنعوا، فطلبت من المختار العمل على إطلاق سراحهم جميعًا إذ أن الله أنجاها من بطشهم وهى لا تحمل لهم أى حقد أو ضغينة. وإنما تريد أن تمن عليهم بالفك من الأسر. فأطلق سراحهم. وفى اليوم التالى أرسلت إلى بدر الشواف كى تعود معه إلى حماة.

عادت أمل إلى حماة وفتح لها بيت، وعملت قابلة خاصة للسيدات المسلمات. ولما



شاع خبرها واشتهرت قصتها أقبل عليها الخاطبون وكلهم يطلبون يدها ويخطبون ودها.

ولكنها أبت عليهم وقالت:

ما اعتنقت الإسلام لهذا ولا لغيره.وإن كان ولابد فلن أتزوج إلا من شقيق علية الجواد التى كانت السبب فى هدايتى إلى الإسلام.

وكان هذا الشاب فى الصفوف المتوسطة من المدرسة. فانتظرت أمل عامين حتى فرغ من دراسته وخطبت إليه وزفت، فغبطه كل مسلم كان يتمناها لنفسه من قبل. وهكذا تنتهى قصة أمل وهى لاتزال تعيش مع زوجها فى حماة بعد أن أنجبت منه عدة أبناء ولاتزال مؤمنة صامدة مصابرة. فسبحان الهادى العظيم!!.

❁❁❁

لبنان :

٣٠- وليد أحمد أسعد

(شاكر جورج نايل رشيد سابقًا)

س : لقد سعدنا يا أخ وليد، بسماع قصة إسلامك من بعض الإخوة الكرام هنا في الكويت، فنرجو أن نسمعها منك حتى نستفيد ونفيد. فتفضل حدثنا عن نشأتك وقصة إسلامك.

نشأت في أسرة ريفية، فأصلنا من قرية تدعى تعنايل في البقاع ثم انتقل أهلي إلى قرية أخرى تدعى الفريديس. وكان والدي يعتبر من المزارعين رغم أنه كان في الوقت ذاته مديراً عامًا للسكك الحديدية في لبنان. وقد وضعني والدي في مدرسة القلبين الأقدسين في القسم الداخلي.

س : لطفًا، قبل المدرسة، لو حدثتنا عن تاريخ الميلاد؟

ولدت عام ١٩٣٨م، ونلت الشهادة الابتدائية من مدرسة القلبين الأقدسين، ثم انتقلت إلى المدرسة اليسوعية في بيروت- داخلي- وحصلت منها على الشهادة الإعدادية.

ولما انتقل والدي بحكم وظيفته إلى الزبداني، وكانت السكك الحديدية مشتركة بين سوريا ولبنان، التحقت بالكلية الأمريكية بمدينة زحلة وقدر لي أن أعيش فيها في القسم الداخلي كذلك. وكان يقاسمني الغرفة شاب مسلم يدعى محمد الشحيمي، وكان الطالب المسلم الوحيد بيننا نحن أبناء النصارى، ولم تكن لدي أية فكرة عن الإسلام في ذلك الحين. وكل ما كنت أعلمه هو أنني نصراني وحسب.

وذات يوم وجدت لدى زميلي المسلم كتابًا جديداً لفت نظري فسألته:

ما هذه القصة الجديدة يا محمد؟

هذا هو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم، اسمه جزء عمّ.

(فاقتربت قليلاً وحاولت التقاط الكتاب لأطلع عليه فنهرني صديقي المسلم بلهجة حازمة).

- لا يمسه إلا المطهرون.

وظننت أنه يمازحني لما بيننا من مودة ومزاح. ولما علمت أنه كان جاداً فيما يقول، قلت له: حسنًا! إنني على استعداد أن أتطهر فالأمر بسيط. وتقدمت نحو الكتاب فمنعني وقال:

- اذهب وتوضأ كما سأعلمك ثم اغتسل. فقلت له:

- أرني كيف أتوضأ. ففعل صديقي ذلك أمامي.

فقلدته ثم ذهبت واغتسلت. ولما فرغت أمسكت الكتاب وفي نفسي لهفة لمطالعة ما فيه. فقرأت سورة عم وبعض السور الأخرى. شعرت أن هذا الكلام يلقى حنينًا وتجاوبًا من أعماق قلبي. وواصلت القراءة حتى بلغت قوله تعالى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ.. ﴾ [عبس: ١-١١]

فالتفت إلى صديقي متسائلاً:

- هل لك أن تشرح لي مناسبة هذا الكلام؟ فقال:

- لست بمتفقه في الدين. ويكفيك من تقصيري أنني لا أصلي. فقلت له:

- ولكني متشوق لمعرفة سبب هذا العتاب وقصته، ومن هو المخاطب به؟ فقال:

- سآخذك إلى أحد العلماء في هذه المدينة. فأجبته:

- سأكون شاكراً لك لو أخذتني إليه غداً الأحد في عطلتنا الأسبوعية. وهكذا اتفقنا على موعد في اليوم التالي لزيارة الشيخ المسلم المذكور.

وفي اليوم التالي جلسنا إلى الشيخ المسلم في بيته، فوجدته رجلاً وقوراً متواضعًا أليفًا، لايملك المرء نفسه عند مخاطبته من مودته. فقلت له:

- هل لك أن تشرح لى معنى الآيات : «عبس وتولى...»إلى قول القرآن «كلا إنها تذكرة» ؟ فقال لى الشيخ الوقور بلسانه العذب :

- يا بنى، إن هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالى، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمد ﷺ. وفى هذه الآيات يتوجه الله سبحانه إلى معاتبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام لأنه التفت إلى رهط من سادة العرب طمعًا فى إسلامهم، وترك رجلاً أعمى جاء يسأله عن أمور دينه. ولما قاطعه الأعمى وألحّ عليه فى السؤال بدا شيء من العبوس على وجه النبى الكريم. فنزلت هذه الآيات لتصحيح الموقف ووضع الأمر فى نصابه فقلت متعجبًا :

- الله! الله! إذن ليس هذا القرآن من عند نبيكم محمد كما يقول رهباننا. فقال الشيخ:

- هذا زعم باطل يا بنى. فقلت:

- لقد ثبت لى الآن فعلاً أن القرآن لابد أن يكون من عند الله. فقال الشيخ:

- وماذا سمعت من مزاعم أخرى من هؤلاء الرهبان المضللين؟ :

- سمعت منهم أن محمداً قد تعلم القرآن من الراهب بحيرا. وقد عرفت الآن أن القرآن ليس من عند بحيرا. وإنما هو من إله الكون الذى يعاتب محمداً هذا العتاب لالتفاته عن الرجل الضعيف الأعمى. فقال الشيخ:

- بهذا ترى أن دين الإسلام هو الدين الحق، وقد جاء به الرسول الكريم من عند الله ليقوم الناس، بالقسط لا فرق بين غنيهم وفقيرهم.

- نعم. نعم. شكراً لك أيها الشيخ الكريم. وأرجو أن تتاح لى فرصة أخرى للقائك.

- وأنا يسعدنى مثل هذا اللقاء فى أية لحظة.

- وداعًا..

- فى رعاية الله.



هِدَايَةُ اللَّهِ :

عاودت قراءة القرآن. وكان يشدنى إليه شعور خفى لم أكن أعرف تفسيراً له. وبدأت أوازن بين ما أقرأه في القرآن وبين ما تعلمته طوال حياتى الدراسية الماضية من العقيدة النصرانية، فشعرت أننى أعيش فى دوامة، وجاء يوم الأحد التالى فذهبت إلى الكنيسة واستمعت إلى القداس، وبعد أن فرغ الراهب من تلاوته قلت له:

- يا أبانا!

- نعم ..

- أنا إنسان، ألست كذلك؟ فقال:

- بلى .. فقلت:

- إذا تحولت إلى جماد ألا تذهب عنى صفات الإنسان؟ قال نعم. فقلت:

- فكيف تقولون بأن الله قد تحول من إله إلى إنسان ولم يفقد صفات الألوهية؟!! فقال:

- اذهب فإن لك بعل زبول(١). فقلت له:

- أبانا. أقنعنى أن الله عندما أصبح إنسانًا وفدانا بدمه قد بقيت فيه صفات الألوهية. فقال بعد صمت:

- تعال عندى بعد غدٍ كى أعطيك الإجابة على ذلك.

***

وبعد يومين، وبينما كنت أستعد الذهاب إلى الخورى - كما نسميه - حسب الموعد المضروب بينى وبينه جاءتنى الأنباء من بيروت بأن والدتى مريضة، فأسرعت بالسفر إلى بيروت لزيارتها، وهناك التقيت بجار لنا كان يدعى على جاسم الشيخ. وهو رجل سورى الأصل. وكان لاجئًا سياسيًا فى بيروت. وقد لمست أنه رجل طيب القلب، مسلم فيه

(١) أى شيطان.

رجولة وصدق وإخلاص ولكنه لم يكن مسلمًا ملتزمًا بالمعنى الصحيح، فقد كان لا يواظب على إقامة الصلاة. ولم يكن ذلك يهمنى كثيراً فى ذلك الحين. وذات يوم التقيت به فى بيتنا ودار بيننا الحوار التالى:

- يا سيد على، أنت رجل مسلم، أليس كذلك؟

- نعم، ولكنى للأسف مسلم عاص.

فقلت له وفى نفسى دهشة من أمره من غير أن أفصح له عنها: هل لك أن تفسر لى مطلع سور عبس وتولى..؟ فقال:

- لا تأخذ بقولى أبداً، وإنما أستطيع أن أحضر لك بعض الكتب الإسلامية الخالية من الشبهات. فقلت له: إننى بحاجة إلى هذه الكتب فقال: ولكن لماذا تريدها؟ فقلت له:

- لقد بدأت أتساءل حول الأقانيم الثلاثة وحول ألوهية المسيح. فقال:

- يا أخى. إن القرآن الكريم يعلمنا كيف نؤمن بالمسيح بكل بساطة ومنطق سليم. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. وإننى رغم بُعدى عن تعاطى الخمور وتجنبى للزنا، لا أصلى ولا أصوم. فقلت له:

- وهل أنت على حق فى ذلك؟ فقال:

- لا والله! لست على حق أبداً. فما أنا بمسلم ما دمت أترك العمل بأركان الإسلام.

البحث عن الحقيقة :

اتفقت مع السيد على جاسم الشيخ أن يأخذنى إلى شيخ يعرفه يدعى الأستاذ نمر الخطيب. ولما ذهبنا إليه رحب بنا وزودنى ببعض الكتب المهمة وشرح لى بعض الآيات وأعطانى نسخة من القرآن.

كنت فى تلك الأثناء أواظب على الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد. فلما كان يوم الأحد التالى ذهبت إلى الكنيسة كالمعتاد، فوجدت القسيس يتلو القداس. ولما فرغ من أدائه سألته:

- يا أبانا ! تقولون فى الإنجيل بأن عيسى ينتسب في سلالته إلى الله فهو عيسى بن فلان بن فلان ونهاية السلسلة كما تزعمون هى الله . فأريد منك أن تذكر لى السلسلة كاملة إلى أن تربط لى نسب عيسى بالله . فقال :

- يا بنى! هذه معجزة! والمعجزة لا نقاش فيها .

فقلت: تقولون عيسى هو ابن الله. ولكن النسب لا يتعلق إلا بالإنسان.

فقال: هذا كلام غير معقول. ولذلك أومن به من غير بحث.

فقلت له:

- إنك لم تقنعنى.

ثم خرجت من الكنيسة وانطلقت إلى بيتنا . ولما جلست مع والدتى قالت لى:

- تعالى يا شاكر فاجلس معنا - أنا وإخوتك - حول تمثال العذراء هذا لنصلى لمريم أم الرب. فقلت لها:

- لماذا تفعلين ذلك يا أماه؟ فقالت:

- يا بنى هذه هى صورة مريم العذراء حامية الجميع وأم الإله.

فقلت: يا أماه! إن المرأة لا تلد إلا إنسانًا مثلها. فكيف ولدت مريم إلهها وربها ؟

فقالت: لا يا ولدى. هذه مريم العذراء ذات العجائب السبع.

فقلت لها : إذا كانت مريم العذراء أمًا لله، فلماذا تركها الرب وولدها تموت رغم كونها أمه. هل تتصورين لو أن أحداً اعتدى عليك، أيمكن أن أسكت عنه؟ أفلا يجب على أن أدافع عنك؟ فإذا كان المسيح إلهًا فلماذا لم يدرأ الموت عن أمه؟ ولا أريد أن أقول عن نفسه؟

فقالت أمى:

- إن كلامك هذا كلام فارغ.

فأصابنى الوجوم وانصرفت من مجلسها ، وتوجهت إلى والدى فقلت له:

- يا أبتى! لقد قرأت فى الإنجيل أن المسيح يقول: «أستطيع أن ابنى الهيكل وأبنيه

فى ثلاث ليال». وتفسير ذلك فى الإنجيل هو أنه إذا قتل المسيح فإنه يستطيع أن يعود إلى الحياة خلال ثلاث ليال. فما دام المسيح قد مات وهو الله، فمن الذى دبر هذا الكون بعده؟ فأجاب والدى بقوله:

- يا بنى، إن الخورى لا يفهم هذا، فهل أستطيع أنا أن أفهمه؟!

لم أجد فى أسرتى أحداً يفسر لى ما فى نفسى من تساؤلات حول العقيدة النصرانية فأخذت أزداد لهفة لمقابلة العلماء المسلمين فى بيروت. وكنت أنتهز فرصة ذهابى إلى بيروت كل يوم سبت لزيارة الشيخ نمر الخطيب، والشيخ حسن تميم، والشاب السورى على جاسم الشيخ. فقال لى أحدهم ذات مرة:

- إذا كنت يا أخى تريد الإسلام فعليك بالقرآن الكريم وبالسّـنّة النبوية المطهرة، ولا تلتفت إلى واقع المسلمين وما هم فيه من انحراف بعيد عن الإسلام.

فقلت له:

- إن هذا لشىء مؤسف حقًا. فقال:

- هذا هو واقع كثير من المسلمين. وإذا كنت تريد إتباع هذا الدين فعليك بالتحلى بصبر أيوب.

فقلت: وما حاجتى إلى صبر أيوب.

فقال: لا تتوقع أية مساعدة من أحد هنا فى هذا السبيل. ولكنى سأعرفك بعائلة (العيتانى) وهى عائلة مسلمة كبيرة فى بيروت لها وزنها، وقد تحتاج إليها إذا فكرت فى اعتناق الإسلام.

بَيْنَ العَقْلِ وَالعَاطِفَة :

لقد عَرَّفَنِى صديقى على جاسم الشيخ بالسيد مصطفى العيتانى. والحق أننى أصبحت فى ذلك الحين أعانى من بلبلة فكرية عنيفة. فإذا رجعت إلى القرآن وجدت أنه يخاطب الفطرة والعقل البشرى، ويخلو من الرموز الغامضة. وإذا عدت إلى نصرانية الكنيسة وجدتها تقتصر على مخاطبة العاطفة وتدور فى حلقة مفرغة. وظل الحال على ذلك حتى كان عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ حين حصلت على شهادة الدراسة الثانوية العامة

وقررت الالتحاق بدار المعلمين كى اعتمد على نفسى وأعلن إسلامى. وانتسبت لجامعة دمشق قسم التاريخ، ثم تخرجت من دار المعلمين وعينت مدرسًا فى بيروت.

وجاء شهر رمضان فأخذت أصومه وشجعت على جاسم الشيخ على الصيام معى وكنت أفطر معه فى بيته، كما كنت احتفظ بالكتب الإسلامية التى كنت أطالعها فى بيته أيضًا. وذات يوم جلست مع أخى جوزيف وهو عضو فى حزب الكتائب حاليًا ويعمل فى سلك المحامين، فأخذت أناقشه فى الوصايا العشر. وقلت له:

- إن هذه الوصايا العشر لسيدنا موسى لا للمسيح عليه السلام. فالمسيح ترك أمثالاً ولم يترك شريعة. ثم جاء الحواريون من بعده وجمعوها.

فقال لى أخى:

- ومن أين لك هذه الكلمة «حواريون»؟ فقلت:

- إنها من القرآن، اقرأ القرآن تعلم أن المسيح لم يترك شريعة أبداً. فقال:

- وكيف ذلك؟ فأجبته بقولى:

- الأمر بسيط. هل هناك قانون للميراث مثلاً فى الإنجيل. هل هناك نظام اقتصادى سياسى، أو اجتماعى فى النصرانية؟ فأجاب:

- أبداً .. فقلت:

- وهذا معنى قولى بأنه لا توجد شريعة للحياة فى الديانة النصرانية.

حِوَارٌ وَجَدَل طَوِيل:

لم يسكت أخى جوزيف عن هذا النقاش، بل نقله إلى أبيه وأمه. ولما أحس الجميع بتحول أفكارى أخذوا يفكرون فى طريقة تصرفنى عنها. فقرروا أن يزوجونى واختاروا لى ابنة خالى «فوزى المعلوف» فى لبنان فوافقت على ذلك. ولما تمت الخطبة وأخذت أخرج مع خطيبتى صرت أناقشها فى مسائل العقيدة النصرانية.

قلت لها:

- ألا يجوز أن نعبد الله فى أى مكان؟ لماذا نقتصر على عبادته فى الكنيسة؟ ولماذا

نقول: باسم الأب والابن والروح القدس؟ أفلا يكون أقرب إلى المنطق أن نعتقد أن الله واحد لا شريك له؟ فقالت:

- لا أفهم كثيراً مما تقول؟ قلت لها:

- كيف نقول باسم الأب والابن والروح القدس ثم نقول إله واحد آمين؟ فما هذا التناقض؟

لقد صارحت خطيبتى برأيى فى الديانة النصرانية. فما كان منها إلا أخبرت والدى حال عودتنا إلى البيت.

فقال لى والدى:

- ما هذا الذى أسمع؟ هل أنت مجنون؟

وجاء أخى جورج وأخى جوزيف.

فقال لى جورج، وهو مهندس طيران:

-هل تريد أن تضيع مستقبلك؟

وقال لى بعد صمت:

- دعك من هذا الأمر وتمتع بما تحب ولتشغل بالك فى شيء آخر.

ثم خرجت من البيت وجلست فى حديقة الدار وأخذت أفكر:

إلى متى أستطيع أن أكتم أمرى؟ لقد كفرت بالنصرانية المعقدة الغامضة، وآمنت بالله وبالإسلام ديناً. وقلت لنفسي: إننى إن كشفت الحقيقة لأهلى فسوف أحارب بشدة. فنحن فى بلد شرقى ولسنا فى أوربا. لأن لبنان بلد ذو طائفية وتعصب مقيتين. ثم تركت الأمر لله تعالى.

يَوْمُ الإِكْلِيلِ وَصَيْحَتِي بِالإِسْلَامِ:

وبعد ستة أشهر عين يوم الإكليل فى الكنيسة لى ولخطيبتى، فوجهت دعوة إلى أصدقائى المسلمين وخاصة السيدين مصطفى العيتانى وسليمان باعتبار أنهما صديقان لى وحددت لهما موعد الإكليل، وفى الموعد دخلت الكنيسة وجاء القسيس والشاهدان.

وأخذ القسيس يؤدى مراسيم الزواج والناس أمامه جلوس يشاهدون. فأحسست أننى لم أعد حراً، وأخذ جبينى يتفصد بالعرق فما وجدت نفسى إلا أن قمت واقفًا وقلت بأعلى صوتى:

- اسمعوا أيها الناس، إننى أعلنها صريحة مدوية كالرعد القاصف فى هذا المكان:

إننى أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله.

فما كان من الخورى الذى كان يوقد الشموع وقد أعطانى ظهره، فما كان منه إلا استدار نحوى ووقع على الأرض، وأخذ ينظر إلىّ نظرة المغشى عليه من الموت. وأسرع أخي جوزيف وتقدم إلى المنصة التى كنت فيها وصفعني، فما كان من مصطفى العيتانى إلا أن هب واقفًا وسحب مسدسًا كان فى حوزته وأطلق رصاصتين فى سقف الكنيسة سقط على أثرها تمثال معلق. وقال للحاضرين:

- أديروا وجوهكم إلى الحائط. وكل من يمس شاكر بسوء سوف يقتل فى الحال.

فامتثل الجميع لأمره واستداروا نحو الحائط، وسادت برهة من الصمت، ثم أخذنى صديقى مصطفى من يدى وخرجنا من الكنيسة، وركبنا أول سيارة أجرة توقفت لنا وذهبنا إلى بلدة صديقنا سليمان. وقضينا فيها تلك الليلة(١).

وفى اليوم التالى عدنا إلى بيروت وذهبنا إلى المحكمة الشرعية حيث أعلنت إسلامى وسجلت نفسى فى سجل المسلمين.

عَقَبَاتٌ وَصُعُوبَاتٌ:

س: يا أخي وليد، هل تتكرم بأن تحدثنا عن الصعوبات التى واجهتها بعد ذلك؟

ج: نعم. ولكن أرجو أن تتحلى بالصبر.

لقد علم أهلى بطبيعة الحال فأرسلت الكنيسة مطرانها إلى المحكمة الشرعية وزعم

(١) مع ترحيبنا وفرحنا بإسلام هذا الأخ الكريم إلا أننا نعترض على طريقة إعلانه إسلامه بهذه الكيفية القاسية!! لأن الإسلام يفضل دائمًا الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن.

أننى مجنون، وحيث أن والدى يتمتع بمكانة مرموقة وله لفيف من الأصدقاء من كبار الشخصيات اللبنانية. فقد استطاع أن يثبت زوراً أننى قد جُننت، فحملونى إلى مستشفى المجانين وقضيت فيه سبعة أيام، حتى استدعانى طبيب المستشفى لأحدثه عن قصتى. فلما سمعها منى قال مستغربًا:

- ما هذه العصبية. إن هذا الأمر لمستغرب.

وقال للمسئولين عن المستشفى:

- افتحوا له الباب وأطلقوا سراحه. والتفت إلى وقال:

- أنت يا أخى حر. فلتعتقد بما تشاء.

خرجت من المستشفى وتوجهت إلى المحكمة الشرعية، ورفعت دعوى طلبت فيها إعادة تسجيلى فى سجل المسلمين. فاستدعى الخورى لحضور الجلسة. وعند الباب قال لى:

- خذ هذا الشيك بمبلغ ١٥,٠٠٠ ليرة لبنانية بشرط أن تقول للمحكمة أنك كنت سكرانًا.

فقلت له:

- هل أنت جاد فيما تقول؟

فقال:

- ولو !؟ خذه من الآن.

فأخذت الشيك منه ودخلت المحكمة.

ولما جلست بين يدى القاضى قلت له:

- يا سيدى الشيخ. ماذا تعطون من يعتنق الإسلام؟

فقال:

- نعطيه الله ورسوله! فقلت:

- لقد أعطانى هذا الخورى شيكًا بمبلغ ١٥,٠٠٠ ليرة لبنانية، وها أنذا أدفعه إليكم متبرعًا به لدار الأيتام.

وهنا أسقط فى يد الخورى. وانفضت الجلسة لصالحى. وتركنى أهلى. فكنت من ذلك الحين فى كنف الأخ مصطفى العيتانى، وأخذت أتردد على المساجد وأجالس الإخوة المسلمين. ومضت فترة من الزمن وأنا بعيد عن أهلى، فتحرك الشوق خلالها فى نفس والدى. فعمل على إلقاء القبض على، فأمسكونى وسلمونى للمطران فوضعنى فى دير صليبيا الواقع على سفح جبل صنين. وكان للدير جدران عالية. وقد حاولت الفرار منه عدة مرات فلم أفلح.

س: هذه هى العقبة الثانية فى طريقك، أليس كذلك؟

المحبسة والفرار:

جـ: نعم. لقد كنت خلال إقامتى فى الدير أحاول استفزاز الرهبان وإثارتهم كى يعملوا على التخلص منى. فكنت أدعوهم بأسماء إسلامية. وكنت أناقشهم فى الدين فلم يجدوا مجالاً لتحويلى عن عقيدتى. فوضعونى فى «المحبسة» - وهى عبارة عن مغارة تحت الأرض وفى مكان رطب، فانتابنى شىء من الخوف فلم أصبر وقلت لهم:

- يا جماعة الخير. أنا لست مسلمًا. وإنما أنا نصرانى من منشأى.

فأخرجونى من «المحبسة» وتجنبت مناقشتهم. وكنت أوافقهم فى كل ما يقولون لعلى أجد مخرجًا مما كنت فيه. وذات يوم قدم لزيارة الدير وفد من الرهبان الهنود، ففتح باب الدير على مصراعيه فى تلك المناسبة. والتفتُ فوجدت الملابس الخارجيةَ لأحد الرهبان عند الباب فأخذتها وارتديتها، وخرجت هاربًا من الباب، وسرت مسافة عشرين كيلو مترًا تقريبًا، حتى مرت سيارة فأشرت للسائق فتوقف وقال:

- أين تريد الذهاب يا أبانا؟ فقلت:

- إلى بيروت.

فرحب بى. ولما كان سنى فى ذلك الحين لا يناسب لباس الرهبان قلت له وقد أدرت عنه وجهى:

- ليباركك الرب فى ملكوته.

وسار بنا حتى وصلنا بيروت فنزلت من السيارة بعد أن عرضت عليه الأجرة فلم يقبل. فصلّيت على وجهه ومضيت إلى بيت صديقى المسلم مصطفى العيتانى.

رحب بى الأخ مصطفى واكتشفت بعدها أن على الشيخ جاسم قد عاد من زيارة قصيرة إلى القاهرة. ومضت فترة من الزمن قضيناها سويًا إلى أن كان يوم من أيام الجمع ذهبت فيه لأداء الصلاة بصحبة على الشيخ جاسم فى مسجد الجامع العمرى. وبعد أن فرغنا من أداء الصلاة وخرجنا من المسجد صادفنا أحد أخوتى فى باب أدريس بصحبته ثلاثة نفر من النصارى. فهاجمنى أخى وضربنى بالخنجر فأردانى على الأرض جريحًا. ثم انقض صديقى علىّ عليه وعلى الثلاثة المرافقين واستطاع أن يتغلب عليهم. ولما عدنا إلى بيت العيتانى أخذنا نفكر فى وضعى. فتقرر أن أذهب إلى حماة مع جماعة من تجار الغنم الحمويين فى بيروت للعلاج. ولما تماثلت للشفاء عدت إلى بيروت. ثم قررت أن أترك بلدى وأهاجر بدينى إلى الله ورسوله حتى يقضى الله فى أمراً كان مفعولاً.

الهجرة والمطاردة :

استحسن أصدقائى فكرة الهجرة وخرجت إلى الحدود ومعى على الشيخ جاسم ولما كنا ببطن الوادى كى نجتاز الحدود قال لى:

- هل لديك استعداد لمواجهة مزيد من الصعاب. أنك بحاجة إلى قوة إيمان تفل الصخور حتى تستمر فى إسلامك. فإذا لم تكن كذلك فعد إلى أهلك وتب ولا تعرض نفسك للهلاك.

فقلت له:

- توكل على الله. وامض بنا.

وسرنا حتى لقينا أحد رعاة الأغنام فنبهنا إلى وجود حقل ألغام أمامنا. فتقدم السيد على أمامى واجتزنا الحقل وسرنا حتى وصلنا إلى الزبدانى. وهناك ودعنى وعاد إلى بيروت بعد أن سلمنى رسائل توصية إلى أصدقاء له فى دمشق وسرت مشيًا على

الأقدام إلى درعًا بعد أن أمضيت فترة فى دمشق. واجتزت الحدود الأردنية حتى وصلت إلى قرية جنين، فى الضفة الغربية المحتلة الآن من الأردن. وذهبت إلى صديق قديم لأبى وهو رجل مسلم يدعى أحمد أسعد. فلما قصصت عليه قصتى احتضننى واعتبرنى واحداً من أبنائه. فاستخرج لى جنسية أردنية مدعيًا أننى واحد من بنيه وهيأ لى عملاً مناسبًا. وهكذا استراحت نفسى قليلاً.

ومضت سنوات حتى كان يوم من الأيام كنت خلاله فى أحد شوارع مدينة نابلس، أمام بلديتها. فإذا بسيارة تقف بالقرب منى ويطلق منها الرصاص نحوى فأصبت فى رجلى. وحاول ركاب السيارة الفرار. إلا أننى تمكنت من أخذ رقمها. وبعد التحقيق فى الجريمة تبين أن الجناة من الجيش المريمى بالقدس التابع للكنيسة.

لم أشأ أن أحمل أصدقائى فى الأردن مشقة حمايتى من الخطر الذى أصبح يتهددنى فى الأردن، فعزمت على الهجرة فى سبيل الله إلى سوريا. وشرعت فى الهجرة فعلاً حتى استقر بى المقام فى حماة، معقل الإسلام والمسلمين فى سوريا. وتعرفت على فضيلة الشيخ محمد الحامد وغيره من الرجال الأفاضل هناك. وبعد ضيافة دامت فترة من الزمن استقر رأى أصدقائى فى حماة على إرسالى إلى الكويت بحثًا عن عمل فيها بمساعدة رجل كريم مضياف يدعى الحاج رسلان الخالد، فاستحسنت الفكرة وحملونى رسائل توصية إليه، وأعطونى النقود الكافية للرحلة. فسافرت ولما وصلت إلى الكويت ذهبت إلى الحاج رسلان الخالد فوجدته كأحسن ما وصفوه لى، واستطعت بمساعدته أن أحصل على عمل وأن استقر.

الزَّوَاجُ:

كنت حتى هذه اللحظة اعزبَ أود التزوج بأبنة خالة لى فى لبنان لديها الاستعداد لأن تكون مع المسلمين. وكان أن جاءتنى رسالة منها فى أحد الأيام تستنجدنى أن أحضر لمساعدتها. إذ أن أهلى يريدون أن يزوجوها من رجل نصرانى وهى تريد الإسلام والمسلمين. فسافرت ابتغى إحضارها .. وبينما كنت مستقلاً سيارة شحن متجهة إلى قريتى وقع صدام مفاجئ لم أشعر به. وفتحت عينى فوجدت نفسى فى أحد مستشفيات حلب وقد لفت رجلى بالأربطة من جراء الصدام. وبدلاً من أن أذهب إلى ابنة خالتى



جاءت هي لزيارتي وبصحبتها شقيقتي ومعها بعض النقود. فانتقلت وإياهما إلى مستشفى آخر. ولما قدر الله لي الشفاء جئت بهما إلى الكويت. كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٧ - أوائل عام ١٩٦٨م. ولما تهيأ لي عمل مناسب تزوجت من ابنة خالتي، وأرسلت شقيقتي إلى حماة. وها أنذا أعيش مع أسرتي بعد أن رزقني الله ولداً سميته ياسر.

وبعد:

نشكر الأخ وليد أحمد أسعد على تفضله بسرد قصة إسلامه للقراء ونعتذر للإطالة راجين أن تتحقق بها العبرة المرجوة.

✿✿✿

بلجيكا :

٣١- إسماعيل

(روجيه سابقًا) (*)

بين روودس وبروكسل

أبٌ عصاميٌ ناجح :

بدأ والد (روجيه) حياته المبكرة عامل كهرباء عند أحد المتعهدين الذين يتولون تمديد الأسلاك وتوقيع مرافقها المختلفة .. ولكنه كان من الفطنة ونفاذ النظر بحيث لا يفوته أن ينتفع بكل لحظة وكل سانحه، لذلك لم يكد يستوثق من قدرته الذاتية وخبرته المكتسبة حتى عمد إلى الاستقلال بعمله، فأحدث لنفسه مركزاً صغيراً فى أبرز شوارع (أنفرس) ثم لم يمض سوى القليل من الزمن حتى عرف لدى أصحاب الإنشاءات بأنه من أبرع العاملين فى هذه المهنة، وأكثرهم إخلاصًا وإتقانًا، ومن هنا شق الطريق إلى قمة النجاح حتى أصبح اليوم من أكبر تجار الأدوات الكهربائية، ليس فقط فى العاصمة بل فى مختلف الأنحاء من بلجيكا وما يجاورها من المدن الهولندية والفرنسية، ولعل من حسن حظ (روجيه) أن يلده هذا الرجل العصامى الناجح، وأن يتولى هو نفسه تربيته وتنشئته بالدقة نفسها التى اعتاد أن يبذلها فى ميدان العمل والتجارة، وكان من الأسس الأولى لهذه التربية أن يحرر مواهب ولده من كل ضروب التقييد، فيفسح له مجال البحث فى كل شىء، ويمكنه من الاطلاع على كل ما من شأنه مساعدة هذه المواهب على الانطلاق..

وقد تعمد بوجه خاص أن يقوى فى ولده جانب الاعتماد على النفس، فلم يكرهه على اتجاه محدد، حتى فى نطاق الدراسة ترك له أن يقف عند حدود الشهادة الإعدادية دون أن يضغط عليه لملازمة المدرسة .. وربما كان غرضه من ذلك أن يجعله أقرب إلى عمله هو .. الذى لا يتطلب منه انقطاعًا إلى الدراسة قد يحيد به إلى أى اتجاه آخر.

(*) بقلم الأستاذ محمد المجذوب.



السِّيَاحَةُ مَدْرَسَةُ الحَيَاةِ :

على أن انقطاع (روجيه) عن الدراسة لم يصرفه عن مواصلة الدرس بطريقته الخاصة، فلقد أقبل على المطالعة الحرة يلتهم منها كل ما وصلت إليه يده من الكتب ولاسيما فى موضوعات الأدب والتاريخ والآثار القديمة، وقد ركزت ذهنه فى هذا الطريق عناية والده بالسياحات الدورية، إذ كان شديد الحرص على هذه الهواية يخصص لها من كل عام شهراً كاملاً، فما أن تشرق شمس الربيع حتى يشحن سيارته الخاصة بضرورى الأمتعة وطيب الزاد، ثم ينطلق مع ولده إلى الجهة المقررة، فلا يزالان يتنقلان بين آثارها حتى يأتيا على إجازتهما، فيعودا وقد ملأ أعينهما، وأترعا صدريهما بالمتع التى لا تنسى.. وحتى الآن لم يدعا جانبًا مهمًا من أوروبة دون أن يأخذا بحظ من مشاهدته وتملى آثاره. وها هما ذان يتممان طوافهما بين آثار اليونان، وقد انتهت بهما الرحلة إلى جزيرة (رودس) حيث مضى عليهما قرابة الأسبوع ..

كان التقدير المبدئى أن لا تزيد إقامتهما فى ردوس عن اليومين، ولكن رغبة روجيه فى تمديدها، واهتمام والده بتحقيق رغبته فرضًا على الوالد أن يعدل تخطيطه السابق ليتيح لولده أن يستكمل مشاهداته فى الجزيرة.

المَسْجِدُ وَالجُمُعَةُ وَالضِّيَافَةُ :

وكان (روجيه) يقوم بجولة منفردة فى بعض شوارع رودس حين وجد نفسه أمام مسجدها الوحيد .. ورأى هيكل المسجد شيئًا طريفًا تقع عليه عيناه لأول مرة خارج نطاق الرسوم السياحية[1].. فلم يشأ أن يبارح ذلك الموقع قبل أن يطل على ما بداخله، ويشهد حالة رواده أثناء بعض العبادات..

واتفق أن حدث ذلك ظهر يوم جمعة إذ رأى أفواج المصلين يتجهون نحو المسجد فلم ينتبه لنفسه إلا وهو بينهم متجهًا إلى مدخله، وهناك خلع نعليه بالطريقة التى رآها من الناس، ثم جلس كما جلسوا وصمت كما صمتوا ولما نهضوا إلى الصلاة وجد نفسه يفعل فعلهم، ولكنه اكتفى بالوقوف ينظر إليهم دون أن يعلم ماذا ينبغى أن يعمل، ولما جلسوا قبل الصلاة يستمعون إلى الخطيب شاركهم فى الإصغاء دون أن يفهم حرفًا مما يسمع!!

---

(١) وكان المسجد ذا قبة بيضاء مستديرة، ومنارة قائمة فى الهواء فعرف روجيه ان هذا المكان للعبادة.

وانتظر روجيه حتى غادر معظم المصلين المسجد .. فتقدم صوب المحراب حيث كان الإمام الخطيب لا يزال مشغولاً بالدعاء، فما أن أحس هذا باقترابه حتى أنهى دعاءه ونهض ليصافحه! وكان من حسن حظ روجيه أن الرجل يحسن الفرنسية إلى حد كان كافيًا للتفاهم معه، فدارت بينهما المحاورة القصيرة التالية:

- أنا بلچيكى من أنفرس .. أقوم بسياحة مع والدى .. وقد استهوانى منظر هذا المعبد الشرقى فدخلته وشهدت صلاة الناس فيه ..

- ألف مرحبٍ هل سرك ما رأيت؟

- بل استهوانى.

- وبماذا؟

- بهذه البساطة وذلك الخشوع الذى رأيته يغمر الناس. وراح روجيه يحيل عينيه فى جدران المسجد ثم تابع:

- إن خلو هذه الجدران من الرسوم مما يساعد على الاستغراق فى أعمق الخشوع، لأنها لا تجد حولها ما يصرفها عن الله .. ولقد رأيتك تتحدث إلى الناس فى هيئتك العادية دون مساعدة من المغنين، ودون استعانة بالبخور فتتجاوب معك نفوسهم حتى لتسيل دموع الكثيرين منهم دون تصنع، وهذا ما لا يكاد المصلون الآخرون يحسونه فى معابدهم التى أحالتها أيدى الفنانين إلى متاحف تشغل الناظر عن نفسه وما جاء من أجله، ثم أصارتها حركات الكهنة وجوقات المغنين شبه مسارح لا يكاد المشاهد يفرق بينها وبين أية قاعة للتمثيل ..!!

- ذلك هو امتياز الإسلام .. لأنه الدين الذى أنزله خالق العباد لإسعاد عباده، فطبيعى أن لا يكون بينه وبين الفطرة البشرية أى تباين.

- يؤسفنى أن لا أعرف شيئًا ذا بال عن هذا الدين .. الإسلام!!

- أكثر ما يعرف هذا الدين .. الإسلام هو من خلال سلوك المسلمين .. وهذا ما يتعذر على الأوروبى أن يدركه. وهو الذى لا يعرف هذا الدين إلا من خلال أكاذيب.. أعدائه ..

- حقًا إن هناك أشياء سيئة قرأتها عنه فى بعض كتب (لامانس) القس اليسوعى البلجيكى، وكم أود لو يتاح لى قضاء بعض الوقت فى وسط إسلامى صحيح، لأتبين الحقيقة التى لا تتيسر معرفتها إلا من خلاله.

- كم يسرنا أن نستقبلك ضيفًا كريمًا بيننا .. لعلك بذلك تقف على بعض ما تشاء من هذا الأمر، مع العلم بأننا لا نعتبر أنفسنا أهلاً لتمثيل فضائل الإسلام على الوجه الذى يقتضيه.

وهنا صحب روجيه إمام المسجد إلى والده الذى كان ينتظر فى حديقة الفندق، وهناك قرّ الرأى على أن يكون الابن فى ضيافة الشيخ أيامًا ثلاثة، وبهذا قدّر لروجيه أن يعيش أحب أيام حياته، فى أوساط تلك الجالية التى تعرف من سلوكها وأخلاقها ومعاملاتها الكثير من حقائق الإسلام.

-٢-

الذكرى الثابتة:

لا يتذكر روجيه أنه عاد من رحلة ما خلال عشر سنوات مضت بمثل الشعور الذى يخالجه هذه الأيام التى أعقبت عودته من بلاد اليونان. كان فيما مضى إذا رجع من رحلة أعاد النظر فى مذكراته يرتبها وينقح عباراتها ويتحقق من صحتها ثم يطويها فلا يعود إليها، إلا فى الأحيان المتباعدة عندما يريد التحدث عن مشاهداته لأحد، أو عندما يقع فى مسمعه خبر عن هذه الأماكن التى ألمّ بها أثناء هذه الرحلات، وكلما أوغل الزمن فى الكر على هذه الأحداث أسرع النسيان بدوره إلى آثارها فى ذهنه، حتى تصبح أخيراً أشتاتًا من الذكريات لا تستيقظ فى نفسه إلا تحت ضغط المناسبات المشابهة.

على أن رحلته الأخيرة كانت شيئًا جديداً فى وجوده، أشبه بالبذرة الحية صادفت الجو المخصب فإذا هى تربو وتنمو، ثم تمدّ ساقها وتطلق أوراقها ولا تزال تنتشر هنا وهناك حتى تمسى دوحة ذات كيان وظل وجمال .. ولقد ضمرت فى ذهنه آثار (الكروبول) وعبر (بومبى) وتماثيل الآلهة المزعومة وروائع الطبيعة فى البندقية وصقلية حتى كادت تغيب أو تمحى .. ولكن شيئًا واحداً من بقايا هذه الرحلة ظل على بساطته ثابتًا لا تزيده الإصباح والإمساء إلا تعميقًا وامتداداً.

ذلك هو مشهد المسجد بقبته المستديرة البيضاء وبمنارته القائمة فى الهواء تشد أعين الناس لتذكرهم بما تحتها من خشوع لله لا يشوبه شاغل من زخارف الدنيا .. ثم ذلك الإنسان العجيب الذى ترك حديثه واطمئنانه وسمو روحه فى أعماق (روجيه) فلا يمكن زواله على مر الأيام وتتابع الأحداث.

إنه ليتذكر هيكله الفارع ونظرته الرحيمة وعمامته الناصعة البياض كقلبه النقى، فتتفاعل نفسه بالمعانى التى لا يسعه تحديدها، ولم يكن له بمثلها عهد من قبل .. وتستتبع ذكريات الشيخ صور الأسَر التى عاش فى ظلها تلك الأيام الثلاثة، ينتقل من ضيافة كريمة إلى أخرى مثلها وكأنه يعيش فى جنة من غير هذا العالم لا تقع منها العين على سوء، ولا يمس السمع ما يجرح أو يخجل، وإنما هى جلوات سعيدة يغمرها روح الإيمان الذى يستولى على قلوب أفرادها، فيصفيهم من الخطيئة حتى فى الضمير فإذا هم آية فى نقاء الخاطر وسلامة الفطرة وطهارة اليد، لا يأتون أمراً ولا يذرون شيئًا إلا على ضوء من روح إيمانهم، الذى نظم علاقتهم بما حولهم على أساس من تعاليم الوحى، فما من شىء إلا وله فى تعاليمهم هذه حكم الحلال أو الحرام أو الإباحة أو الكراهة، وقد بات انسجامهم مع هذه النظم شيئًا طبيعيًا كالملكة الأصيلة، لا سبيل إلى عصيانها، بل إنهم ليجدون أقل انحراف عن سبيلها باعثًا لأكبر الشقاء.

وشىء آخر لا يقل فى الروعة عن كل أولئك: هو ذلك التفتح الروحى الذى يمدهم بالحل المرضى لكل معضلاتهم، فهم يقبلون على أعمال الدنيا بأحفل طاقات النشاط البشرى، وأتم ما يملكون من وسائل الإتقان، فإذا ما انتهوا إلى ثمرات جهودهم تناولوها شاكرين راضين لا يحسد فقير منهم غنيًا ولا قروى مدنيًا، بل يعتبرون ذلك غاية ما قدر لهم ربهم فى عالم الغيب، ومع ذلك فليس ثمة موسر يضن بالمعونة عن معسر بل إنهم ليعتبرون ثرواتهم الخاصة حقًا للجميع ينال منها كل محتاج ما يعوزه عند الحاجة .. ويكاد لا يوجد بينهم فرد لا يحفظ حكمة نبيه العربى: (ليس منا من بات شبعان وجاره جائع إلى جواره وهو يعلم به) ومن هنا كان مجتمعهم لونًا جديداً لا مثيل له بين المجتمعات التى يعرفها روجيه، أو يقرأ عنها، فلا حقد ولا بغضاء ولا تحاسد بل أخوة سعيدة تنتظم الكل فى تفاهم عجيب يجعل الجميع كالجسد الواحد لكل فرد منه منزلة العضو الحى، ولا شك أن مثل هذه الجماعة أغنى الناس عن هاتيك النظريات

الفلسفية والاقتصادية التى تخض أوروبة بأجمعها، فتفكك الجماعات وتزلزل الأفراد وتثير حرب الطبقات حتى لتجعل الحياة كلها أشبه بالكرة فى كف عفريت. لا يستريح فيها الفرد إلى واقعة ولا يطمئن إلى مستقبله.

لا بل إن روجيه ليتذكر ما أحسه من سعة الشقة بين واقع تلك الجماعة وواقع الطوائف الأخرى مما يجاورها فى رودس نفسها. إذ ما يكاد المرء يخرج من نطاقها إلى غمار أولئك حتى يخيل إليه أنه انتقل من عالم إلى عالم، من عالم كل شيء فيه متجه إلى الله، مرتبط بتعاليمه، إلى عالم لا يكاد يذكر الله إلا فى أوقات العبادة المعينة، حتى إذا تفلت من طقوسها انطلق إلى أشكال أخرى من العبادات .. مركزها المال والجسد وألوان الشهوات.

ولقد بات قلب روجيه مرتعًا خصبًا لموحيات تلك البيئة، فهو اليوم يعيش الكثير من احساساتها، وكأنه قد زود من هناك بطاقة من نوع غريب فبها يطل على الحياة فيرى منها ما لم يكن يرى، ويسمع منها ما لم يكن يسمع إنه اليوم ليقف أمام الزهرة من حديقة فيتفاعل صدره بألوان المشاعر، وينظر إلى أشعة الشمس تنسكب على الأفق وتشحن الوجود بعوامل النشاط، فإذا قشعريرة لاذة تنساب فى كيانه، فيخطفه ذلك إلى ما فوق التراب، حتى ليخيل إليه أنه يسمع من خلاله صوتًا علويًا أو يشاهد فى اليقظة الجلال الإلهى يتبدى على كل المخلوقات.

أجل .. إنها لعين ثالثة لا يعرف مكانها من كيانه، ولكنه يحس فعلها فى أعصابه وخياله .. هى التى جعلته قادراً على تذوق الحياة، وتلقى إشارتها الخفية على هذا الوجه الذى لا يحسن له تحديداً ولا تفسيراً ..

نُورُ اللّهِ :

لقد أصبح على أتم اليقين أن الكون بما فيه من الناس شيئ تافه يبعث السأم ويهيج الغثيان حين ينفصل عن نور الله، ولكنه بهذا النور وحده يتحول إلى أنشودة ساحرة تنشيء الغبطة وتنبت السعادة وتفجر الإلهام وتنشر فى أعماق البشر روح الأخوة والمحبة والسلام .. وإنه لإدراك لا عهد له بمثله قبل أيام رودس، بل قبل الساعة التى جمعه القدر فيها بشيخ رودس ..!!

ولكم يؤسف روجيه أن لا يجد في يده أي كتاب عن الإسلام، يفصل له المزيد عن حقائقه ويجيبه على الكثير من أسئلته! لقد كانت أيامه في رودس محدودة لا تتسع لكل ما يجب معرفته، إذ كل ما حصل عليه من هناك هو كلمات ذلك الإمام التي لا تزال تعمل عملها في قلبه .. وتلك المشاهد السلوكية التي تبينها في حياة قومه فعلمته الكثير من فضائل ذلك الدين .. لقد أيقظت هذه المؤثرات في كيان روجيه عطش التطلع إلى الحق .. فلم يعد قادراً على الاكتفاء بما انتهى إليه، بل قد استحالت مبادئ المعرفة هذه عوامل دفع تحثه أبداً للمزيد من الاستكشاف.

إن شيخ رودس قد وصله بأسس الإيمان، القائمة على الإقرار بوجود الله واحداً لا شريك له ولا ولد، وبالكتب التي أنزلها على أنبيائه، وبالنشور لأداء الحساب على الأعمال، فلا يضيع سعي مهما يصغر ولا تُغفل ظُلامه مهما تستر، ثم بسلطان الله على الكائنات جميعًا بحيث لا يقع في الكون كله شيء إلا وفق قوانينه التي هي صورة العدل المطلق.

وإنه ليستشعر الاطمئنان الكامل إلى هذه الأسس لأن عقله لا يتصور الإنكار لخالق العالم إلا إذا أمكن للعقل أن يتصور إنكار نفسه وما يحس به من حوله .. وهو لم يقتنع قط بأن هذا الخالق يمكن أن يكون له ند أو ولد ما دام بحقيقته مخالفًا لأجناس الحوادث .. وأما الإيمان بالكتب والنبيين فإنما هو إيمان بوحدة الدين ووحدة الإنسانية ثم ليس في العقل حقيقة أكبر من النشور والحساب بعد الوحدانية لأنهما السبيل الوحيد إلى ضبط النفوس ضمن حدود الفضيلة العليا، ومن ثم إلى تحقيق العدل المطلق الذي كثيراً ما تنصرف النفوس البشرية عن جادته تحت وطأة الأهواء والمنافع الزائلة، وأخيراً أي جدوى من الدين كله لو رفعت سلطة الله عن مخلوقاته! أو ترك هذا الكون فوضى لا تضبطه سنة ولا قانون!..

نحو الهداية والطريق الصحيح :.

غير أن هذا كله، على جلال قدره، لا يروي ظمأ روجيه، فهو يريد أن يعلم بتفصيل تام أوامر الله ونواهيه، لأنه مستيقن أن الإنسان أعجز من أن يعرف طريق الحق الخالص، إذا لم يهتد إلى التعاليم الإلهية التي تحدد له معالمه .. ولاسيما بعد التعقيد الكثيف الذي طمس به الإنسان دروب الحياة، وكاد يحجب مساكلها عن العقل المجرد.



-٣-

وذات يوم قرأ (روجيه) نبأ حرك فضوله .. نبأ يتحدث عن نشاط مسلم هندى يدعى بشير، يقيم فى لاهاى، وقد جعل من داره مركزاً ثقافيًا جامعًا يرتاده أساتذة الجامعات وطلاب المعرفة .. وتدعوه بعض جامعات هولندة من حين لآخر للمحاضرة فى قضايا الإسلام والتعريف بفضائله.

لقد قرأ هذا فى صحيفة بلچيكية معروفة بالتعصب، فهى إذن لم تنشر ذلك الخبر خدمة للعلم، أو تقديراً لعمل هذا الهندى، وإنما تريد بذلك رفعه إلى من يهمهم الأمر من دعاة التبشير ورجال الاستشراق ليأخذوا حذرهم بإزاء هذه البادرة غير المأمونة ..!

وساورته الرغبة فى زيارة ذلك الهندى، وكانت رغبة قوية لم يستطع مقاومتها فلم يتردد إلا ريثما آذن أباه بالأمر، ثم قاد سيارته (البويك) عبر الحدود..

ولم يجد روجيه صعوبة فى العثور على الرجل إذ ألفى بين عملاء أبيه فى لاهاى من يعرفه ويشهد مجالسه، فأخذ هذا بيده إليه، وفى منزل الرجل شاهد روجيه كل مظاهر العلم والثقافة العالية، وحسب الزائر أن يلقى نظرة عابرة على تلك الكتب المذهبة، المالئة جدران قاعة الاستقبال، حتى يدرك أنه تلقاء رجل غير عادى. على أنه لم يلبث هناك إلا قليلاً حتى صدمته الخيبة، فعاد إلى أنفرس فى اليوم نفسه، وفى صدره شعور موجع بمرارة الإخفاق.

أين الرُّوح ...؟

لقد عبر الحدود إلى لاهاى وفى نفسه لهفة إلى روح كريم، يتعهد مشاعره المتوهجة بمدد من الخير الذى قبس أضواءه لأول مرة فى رودس، ولكن سرعان ما فقد ذلك الحلم لأنه وجد فى لاهاى العلم، ولم يجد الروح! وجد رجلاً يملك زمام البلاغة فيرد على كل سؤال ويجول فى كل ميدان، ولكنه يعجز عن ملامسة القلوب الظمأى إلى الاطمئنان والحب!! ويغلب على ظن روجيه أن موضع النقص فى الرجل إنما يتجلى فى غروره بوجه خاص، فهو شديد الثقة بنفسه، قوى الاعتزاز بمعرفته لمذاهب الفلاسفة وأصحاب النحل، يتحدث إلى زائريه فى كبرياء الكهنة لا فى تواضع الربانيين .. وكان هذا وحده كافيًا ليملأ نفس روجيه بالنفرة من هذا الإنسان الذى فى وسعه أن يعثر على أمثاله فى كل

مكان من هذا العالم المترع إلى حلقه بأساطين المنطق المادى، ممن لا يستطيعون مجتمعين أن يمنحوه لحظة من الإشراق الروحى الذى هو بحاجة ماسة إلى المزيد منه!

مَوْعِدٌ مَعَ الأَقْدَارِ الجَلِيلَةِ :

كان روجيه غارقًا فى غمرة هذه التصورات، وهو يقود سيارته فى شوارع أنفرس باتجاه متجر أبيه عندما لمحت عينه ذلك البناء الشرقى الضخم الذى يحمل اسم (مطعم قرطاجنة) وفى انسياق عفوى وجد نفسه يميل إلى ساحة المطعم ليوقف سيارته، ثم يعرج إلى داخله ليأخذ كأسًا من الشاى المبرد. وعندما هم بمغادرة المطعم خالجته فكرة فاقترب من صاحبه التونسى ليجرى معه، بعد تردد خجول هذا الحوار:

- أنت مسلم؟!

- طبعًا .. والحمد لله.

- ألا تعرف مركزًا أو جماعة يعملون لعرض الإسلام فى هذه البلاد؟

وأطرق التونسى مليًا قبل أن يجيب على سؤال روجيه هذا .. ثم قال:

- وهل لى أن أعلم الباعث لسؤالك؟

- إنها رغبة خالصة فى تعرف هذا الدين.

- هل قرأت عنه شيئًا؟

- قليلاً .. ولكنى اتصلت ببعض أتباعه من سكان رودس، فاستهوانى ما رأيت لديهم من فضائله ..

- إذن فسأرشدك إلى شابين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل وإنى لأرجو أن تجد لديهما ما ينقصك معرفته عن الإسلام.

وأخذ التونسى يحدد لروجيه الشارع والمنزل والاتجاه .. وذكر له رقم الهاتف الذى يوصله بمسكن الشابين وأشار عليه بكتابته. ولكن الغبطة أعجلت روجيه عن كتابة أى شىء ومضى إلى سيارته وهو يردد اسم الشارع، ورقم الهاتف واسم الشاب الشامى الذى لقنه إياه. واستمر على ذلك حتى دخل بروكسل غير أنه ما كاد يغيب فى زحامها

حتى فقدت ذاكرته كل علامة ورقم واسم، وراح يدور كاللولب فى دائرة مغلقة، على غير هدى أو تعيين! وكان مستحيلاً أن يستعين بأحد لمعرفة ما يريد، ما دام هو نفسه لا يملك أى إشارة تساعد على تعيين ما يريد..!

وبعد تجوال طويل أوقف سيارته فى زاوية أحد المفارق من شارع (١٠ فيلان ١٩) وفى نيته أن يتصل بهاتف المطعم، ليستعيد من صاحبه التونسى صورة المكان ورقم الهاتف .. وبينما هو متجه ناحية المكتبة المجاورة لاستعمال هاتفها إذا هو بفتى يغادرها وفى سمرته الجذابة هويته العربية فجمد قليلاً يتبين ملامحه كأنه يستعيد بعض الصفات التى سمعها من صاحب المطعم، ورأى الفتى يبتسم له ثم يحييه، فلم يتمالك أن دنا منه ثم صافحه كأنه صديق قديم. وقال فى أدب بالغ:

- إننى افتش عن فتيين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل .. وكنت أردد قبل قليل اسم أحدهما، غير أننى نسيته فى زحام الشوارع ونسيت معه صورة المسكن الذى ينزلانه..!

فابتسم الفتى مجدداً وقال:

- وأنا شامى. فلعلى أستطيع مساعدتك على الاجتماع بمن تقصد .. ألا تذكر بعض حروف الاسم الذى أضعته ..؟

- بلى إنه أ .. أ .. الحرف الذى ليس فى لغة الأوروبيين.

- لعله حرف العين .. عدنان مثلاً.

وصاح روجيه بمثل فرحة الإنسان الذى استرد مفقوداً عزيزاً.

- (أدنان)! هو نفسه.

- وأنا أيضًا اسمى عدنان.

ومرة أخرى يحدق روجيه فى وجه الفتى .. وفى نشوة آسره جعل يهز يده بكلتا راحتيه وهو يقول:

- يجب أن تكونه .. إنك هو حتمًا!

وضحك عدنان مشاركة للفتى وقال:

- أرجو أن أكونه .. فلنمض إذن إلى المسكن إنه قريب .. فى هذه البناية المقابلة.

-٤-

لم يراود روجيه أى شعور بالغربة وهو يلج مع عدنان مدخل الدور العلوى .. بل لقد صعد الدرج الحجرى الأنيق يده فى يده كأنّ بينهما وداً قديمًا، يسقط معه كل تكليف ولما صارا إلى قاعة الاستقبال راح يصافح الحضور بالروح نفسها التى دخل بها المنزل.

وقدم عدنان إليه كلاً من هؤلاء باسمه وجنسيته: هذا أخي محمد يستعد لإجازة الدكتوراه فى الكيمياء والصيدلة، وهذا السيد .. عامل منْ لاجئى الألبان الهاربين بدينهم من الشيوعية، وهذه هدى أخت لنا فى الله فرنسية الأصل بلچيكية المولد، قد شرح الله صدرها للإسلام، وهذه الأخت فاطمة ابنة سفير السنغال .. وهذه أخت لنا أخرى أندونيسية واسمها فاطمة أيضًا.

البحث عن الحق:

وأخذ روجيه محله فى المقعد الذى أخلى له فى صدر القاعة وهنا قدم نفسه للجميع بهذه الكلمات البسيطة! روجيه ابن .. تاجر الأدوات الكهربائية فى شارع .. من انفرس .. أساعد والدى فى تجارته، ولكن مشغلتى الكبرى فى هذه الأيام البحث عن الحق.

وجوابًا على بعض الاستيضاحات قص روجيه على الجماعة حكايته فى إيجاز بليغ ثم قال:

- إنى فى التاسعة عشر من سنى الزمنى، ولكن حياتى الروحية والعقلية لم تبدأ إلا منذ ربيع العام الفائت أيام كنت فى رودس .. تلك الرحلة التى قدحت فى صدرى جذوة القلق. فأصبحت ثائر الشوق مرهف الشعور إلى حد لا أجد معه قراراً.

ولم ينس أن يحدثهم عن سفره إلى لاهاى، والخيبة التى منى بها هناك حتى هداه القدر إلى سؤال التونسى صاحب مطعم قرطاجنة وختم ذلك بقوله: لقد بت على يقين أن يداً خفية تقود خطاى إلى مواطن الخير الذى أنا بحاجة إليه .. ولعل عثورى بعد يأس بمقركم هذا من طلائع التوفيق إلى هذا الخير.



وتصاعدت أصوات الحضور فى انسجام حنون: إن شاء الله! .. كان كل ما فى القاعة مساعداً على التركيز حول الهدف الروحى الأعلى .. الكتب المرصوفة على النضد النصفى، والمصحف فى غلافه الحريرى الشرقى ذى الوشى المذهب معلقًا فى صدر القاعة.. وبجواره تلك القطعة الفنية الأنيقة مرسومًا على جانب منها بخط عربى ساحر آية من القرآن، وعلى جانب آخر ترجمتها بالفرنسية التى تعنى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

مجتمع عجيب وقدوة حسنة :

وليست مظاهر الحضور دون ذلك كله إيحاء .. ولاسيما أولئك النسوة الثلاث اللواتى أضفين على المجلس فيضًا من المعانى السامية ضاعف من روعته .. ولقد وجد روجيه نفسه مدفوعًا إلى التفكير بهؤلاء النسوة وما يوحيه منظرهن .. أكثر من أى شىء يتعلق بأولئك الحضور من الرجال.

إن أول ما لفت نظره منهن تلك الوجوه الملائكية التى خلت من كل أثر للصنعة فبدت نسيج وحدها فى بلاد تحرم حضارتها على وجه الأنثى أن يواجه الناس بصورته الطبيعية .. ثم أرديتهن السابغة التى تشبه إلى حد بعيد أردية الرواهب الكاثوليكيات.. لا تكشف منهن أى جزء خارج حدود الوجه والكفين. وهى ظاهرة قد تكون مألوفة بالنسبة للأندونيسية والسنغالية بوجه خاص، ربما حملتاه من تقاليد أوطانهما، ولكنها شىء لا يصدق بالنسبة إلى تلك الفرنسية التى سلخت الأربعين من السنين فى مجتمع يعتبر التبرج، بل التعرى، أول معالم الأنوثة الراقية!!!(١)

وطبيعى أن يعجب روجيه لهذه المظاهر الغريبة فى محيطه، ولكن عجبه لم يكن ليحجب عن وعيه موطن العبره .. فقد تحقق لديه حتى الآن أن الإسلام نظام كامل متميز، لا يأتلف مع التلفيق والترقيع، يصفى النفس من كل انحراف عن الله، ويؤلف

(١) اعلم يا أخى أن الإسلام منذ ظهوره جعل صيانة المرأة عن الرذيلة من فضائله القيمة فلذلك فرض عليها الحجاب وليست النصرانية ولا الرهبانية وإنما الحجاب من تعاليم الإسلام وليس الحجاب تقاليد مجتمع وإنما هو النص القاطع الذى نزل من السماء بارتداء الحجاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩].

بينها وبين تعاليمه، حتى يصبحا معًا وحدة لا سبيل إلى تجزئتها. وبذلك يكون اعتناق الإسلام نقطة البدء فى هجرة تامة من عالم إلى عالم .. من عالم الظلام التى تمحى فيه معالم الحقائق، وينتهى السالك فيه إلى الضياع، إلى عالم النور الذى وضع فيه كل شىء وفق قوانين الفطرة، فكل سالك فى ضوئه موقن أنه على بينة من ربه .. وليس هذا التستر الذى يشهده الساعة فى ثياب هذه الفرنسية إلا توكيداً لهذه الحقيقة، حقيقة الهجرة إلى فضائل الإسلام، وهى بذلك تقرر لكل ناظر فلسفة هذا الدين، من حيث نظره إلى المرأة ككيان إنسانى كامل، عليها من المسئولية نحو المجتمع مثل الذى على أخيها الرجل، وذلك على النقيض من هذه الحضارة الأوروبية التى زيفت طبيعة الإنسان، حتى جعلت من المرأة أداة للتسلية الفاجرة فشغلت الرجل عن مواهبها وفضائلها بما عرضته لعينه من جسدها ومفاتنها.

وشىء آخر لا يقل عن ذلك أثراً فى قلب روجيه .. أن الانسجام الذى يطالعه بين هذه الأجناس التى يتألف منها مجتمع القاعة .. أن هنا الأسود والأبيض والأصفر، فى وحدة أخوية لا يشوبها شىء مما يجيش به مجتمع البيض خارج هذا المكان .. وهى صورة طالما غُذى بالنفور منها، بعد أن اقتنع بنظرية (مونتسكيو) التى تؤكد أن الله قد حمل الجنس الأبيض رسالته إلى الأرض، فهو وحده الجنس السيد، أما الآخرون فلا يجاوزون منزلة الحيوانات والحشرات، كل مهمتهم خدمة البيض وتوفير الوسائل المحققة لهناءتهم، حتى إذا ما فاضوا عن حاجتهم كان من حق السادة أن يتخذوا الوسائل الممكنة للتقليل من وجودهم إلى الحد الضرورى .. كما صنع رجال الدين النصرانى فى هنود أمريكا، إذ قتلوا الكثير منهم بوساطة الحصبة التى قدموا إليهم جراثيمها فى الأغطية الموبوءة.

أجل .. إنه لانسجام مدهش ومخالف لكل ما قرأه روجيه وما لقنه، ولكنه على غرابته أصبح شيئًا مقبولاً فى قلبه الذى بات فريسة للارتياب فى كل ما جاءه عن طريق هؤلاء الأوروبيين من فلاسفة أو رجال دين.

-٥-

وتناول الدكتور محمد الحديث فقال موجهًا الكلام إلى الضيف: «اليوم الاثنين .. وهو موعدنا الأسبوعى لقراءة بعض ما ينبغى معرفته عن الإسلام وما يفتريه خصومه من

المبشرين والمستشرقين .. وموضوعنا الآن حول النبوة فى كتاب (الوحى المحمدى) المترجم إلى الفرنسية .. ولكن لا بأس أن نؤخر هذه الحصة إذا شئت لنجعل منها فرصة لما عندك من الاستيضاحات .. فلعلنا واصلون بالتعاون إلى الخير الذى افتقدته عند ذلك (القاديانى) فى لاهاى!

وشكر روجيه للمتكلم اهتمامه وإخوانه .. وأعلن أن حاجته لا تنحصر فى سؤال أو جانب ولكنها واسعة تتطلب الالمام بكل ما أمكن الالمام به من حقائق هذا الدين .. ولا شك أن موضوع الوحى من أوليات هذه الحقائق لأنه من الغوامض التى قلما يعيها العقل الأوروبى المحبوس فى نطاق المادة ..! ولهذا فهو يؤثر الآن المشاركة فى الاستماع إلى ذلك البحث!

ولقد كان البحث شائقًا وممتعًا، وتناول موضوع الوحى الإلهى بطريقة لا تدع مجالاً للريبة فى حقيقته، إذ تعتمد فى الدرجة الأولى على موازيين الفطرة الإنسانية بكل ما فيها من قوى الفكر والحدس والتصور، حتى ليحس السامع والقارئ أنهما يتحدثان إلى نفسيها من خلال البحث نفسه، فلا يلبثان أن يستروحا نفحات الاطمئنان. ثم يخرجا من الحديث وقد أيقنا أن الوحى الإلهى إلى محمد (ﷺ) وإلى إخوانه من سابقى الأنبياء إنما يمثل ذروة الشرف بالنسبة إلى الجنس البشرى، لأنه المظهر الأسمى لعناية الله به ورعايته لمصالحه، واهتمامه بهدايته.

وعلى الرغم من قوة المؤلف فى عرض الموضوع لم يشأ القوم أن يتلقوه بالاستسلام، بل كانت الخطة أن يقرأ أحدهم البحث ثم يعمد الآخر إلى تقسيم فقراته وفق الفكر الرئيسية ثم يأخذوا فى مناقشتها جزءاً جزءاً. وكان الباب مفتوحًا لكل مستوضح .. فلم يحجم روجيه عن اقتحامه بما خالجه من تساؤلات لم تخل من الفائدة.

ولما آذنت حصة البحث بالإنتهاء نهض الحضور ليؤدوا صلاة العصر فى جماعة، وخيرّه الدكتور محمد بين أن يستريح قليلاً بانتظارهم أو ينتقل معهم إلى القاعة الأخرى ليشهد صلاتهم. ولكن روجيه لم يستطع إلا أن يعرب عن شوقه الحار إلى مشاركتهم فى تلك العبادة التى طالما شهدها فى رودس، فاستهوت لبه، وأسرت قلبه..

وهنا افتر ثغر الدكتور محمد عن ابتسامة سعيدة وقال لروجيه:



- ذلك حق لكل إنسان عندما يقتنع بحقائق هذا الدين.

فقال (روجيه) في حماسة لم يطق كتمانها:

- إنني مقتنع .. فما السبيل إلى إعلان هذا الاقتناع؟

- الشهادتان .. ثم تغتسل وبذلك تتهيأ للدخول في الصلاة التي لا تصلح إلا مع الطهارة.

وسرت رعشة بارزة في جسد روجيه. ثم نظر إلى محدثه بعينين تتوهجان بروعة الحزن ومضى يقول:

- أود لو أستطيع ذلك لفوري .. فإنني أخشى أن يدركني الأجل وأنا على هذه الحال.

وخرجت كلماته هذه في غصة مؤثرة لم تلبث أن هزت أعصاب الحضور جميعًا فإذا هي تلهب مشاعرهم وتفجر في أعماقهم منابع الغبطة حتى غلبت بعضهم دموعه فراح يزرفها في صمت وخشوع.

ولم يجد الدكتور محمد في لسانه القدرة على الكلام في هذا الجو المشحون بالانفعال فاكتفى بأن تأبط ذراع روجيه، ومضى به نحو مغتسل المنزل وفي جهد استطاع أن يقول له وهو يمسح جفونه:

- تستطيع أن تستحم، وسآتيك بثوبين داخليين طاهرين .. ولسوف تجدنا بانتظارك للصلاة.

***

وفي القاعة أعلن (روجيه) إسلامه على مسمع من شهود جمعتهم أخوة الإسلام من مختلف أقطار الدنيا وأجناسها .. واختار لنفسه اسم (إسماعيل) جد رسول الله ﷺ، ثم أخذ مكانه في الصف في أول صلاة قام بها لله، على نحو من الخشوع لم يحلم بمثله قبل اليوم.

❁❁❁



أمريكا:

٣٢- فرانك ستوك

الطريق إلى الإسلام:

مقدمة:

لقد أخذ الفرح بمجامع نفسى واستغرقتنى البهجة والسرور حين تسلمت الرسالة التالية من شاب أمريكى كاثوليكى هداه الله للإسلام يدعى فرانك ستوك. فقد أحسست حين قرأتها بأن الجاليات والأقليات المسلمة فى الخارج التى تعيش وسط مجتمعات غير مسلمة. هذه الجاليات لها دور بالغ الخطورة والأهمية. فهى النافذة الحقيقية والترجمة العملية للدعوة إلى الإسلام إن هى استمسكت بعقيدتها ودينها، إذ أنها فى هذه الحالة تقدم للناس القدوة العملية، وتحضهم بلسان الحال والمقال على أن يكونوا مسلمين.

كما أن تلك الجاليات يمكن أن تمثل حاجزاً منفراً للناس صاداً لهم عن الإيمان والهدى إذا هى باعت دينها بدنياها، وتقمصت شخصية المجتمعات المنحرفة التى تعايشها.

هذا شاب أمريكى قدر له الاحتكاك بأفراد من الجالية المسلمة فى نيويورك وانديانا، وكان من حسن طالعه أن هيأ الله له شبابًا متدينين طيبين. فنشأت بينه وبينهم صداقة متينة وعاش معهم يتأمل حياتهم ويرى ما يذهله من إخوة إسلامية تجمع بينهم وتشد أزرهم.

وهنا عاد بى الخيال إلى مئات من السنين خلت، وساح فكرى فى بلاد كثيرة من العالم انتشر فيها الإسلام على يد فئة قليلة مؤمنة من التجار المسلمين الذين ذهبوا إلى تلك البلاد فاحتكوا بأهلها وكانوا قدوة عملية رائعة أمامهم.

وهنا أيضًا عرفت السبب الجوهرى الذى أدى إلى تعثر انتشار دعوة الإسلام .. إن المسلمين ويا للأسف لا يمثلون قدوة عملية حسنة أمام الآخرين. ها هم أولاء المهاجرون

المسلمون والعرب إلى ديار الغرب والشرق من طلاب وعمال وموظفين وغيرهم، ما يكاد يصل الواحد منهم، وأعنى أغلبيتهم، إلى بلد من بلاد أوربا أو امريكا أو غيرهما حتى يذوب كيانه فيها ويستغرب فى كل جزئية من حياته! فبدلاً من أن يكون مشعل هداية ونبراس نور يهدى إلى الحق وإلى الخير الذى جاء به الإسلام، يتحول هذا المسلم المهزوز إلى عضو جديد فى مجتمع الضائعين المنهمكين فى الشهوات والملذات.

ولكن لابد هنا من تحية نوجهها إلى تلك الفئة القليلة المؤمنة المهاجرة بدينها المستمسكة به. فقد دأبت أن تقدم لنا كل يوم أنموذجًا جديداً من المهتدين إلى الإسلام. تحية إلى الشباب الصامد الذى آلى على نفسه أن ينشر النور فى الظلمات.

روى لى عن أحد أفراد الفئة الأولى وهم الكثرة الكاثرة للأسف أنه لشدة انغماسه فى الحياة الأمريكية ما كان يحب أن يصطدم بشيء يذكره بالعرب وبالمسلمين. وكان هذا الفتى الغر عربيًا مسلمًا كما تقول شهادة ميلاده. وحدث ذات يوم أن التقى بشاب عربى مسلم آخر راسخ القدم ثابت الجنان: ذى عقيدة صادقة. فما كان من هذا الشاب المؤمن إلا أن حيا صاحبه بتحية الإسلام قائلاً: السلام عليك يا فلان؟ فما كان من هذا الفتى الغر إلا أن أشاح عنه وجهه وتجاهله. ولما كرر عليه ذلك التفت إليه وخاطبه بحدة باللغة الإنجليزية فقال:

«أمازلت تستمسك بهذه التحية هنا؟!» لماذا أتيت بها من هناك؟! وأشار بيده إلى جهة الشرق.

حين أتذكر هذا الشاب وأمثاله أعرف الجواب على التساؤل: لماذا لا يصل الإسلام إلى العالم؟ فالإسلام بحاجة إلى رجال يحملونه إلى الناس لا بالقول والبيان وحدهما بل بالعمل والقدوة الحسنة.

ونقطة أخرى سيلاحظها القارئ فى قصة هذا الشاب الأمريكى فرانك ستوك. وهى نقطة لا تقل إيلامًا عن سابقتها، وأعنى بها العقبات التى يلقاها المهتدى الجديد إلى الإسلام حين يتصل بالجامعات الإسلامية لاجئًا إليها لينهل منها علم الدين. إذ كان الجواب على اتصاله بالجامعات الإسلامية هو الاعتذار عن قبوله، فلم يجد أى تشجيع

منها. أليس جديراً بنا نحن المنتسبين إلى الإسلام أن نأخذ بيد من يأتينا مسلمًا بدلاً من أن ننفره ونتركه فى مهب الريح؟ اللهم اهد قومى واغفر لهم فإنهم لا يعلمون[1].

والآن إلى رسالة الأخ الأمريكى التى تشرح طريقه إلى الإسلام:

-١-

البقالة وصاحباها:

قبل حوالى خمس سنوات خلت تم بيع البقالة المحلية فى ضاحية أوزين بارك الجنوبية بولاية نيويورك لرجل يدعى عيسى عباسى وأخيه عمر، وهما رجلان عربيان مسلمان من فلسطين هاجرا إلى أمريكا من القدس عبر طريق عمان. وكانت أسرتنا تسكن على مقربة من هذه البقالة. فسرعان ما أصبحنا على مودة مع هذين الرجلين إذ أن والدتى ليست من أصل أمريكى، فهى لذلك تقدر الصعوبات التى يواجهها الأجنبى حين يسعى إلى التكيف مع الحياة فى أمريكا.

ولقد تعودت عند عودتى كل يوم من المدرسة أن أتوقف قليلاً لأتحدث مع عيسى، وكنت حينئذ طالبًا فى المدرسة العليا. وكان عيسى حريصًا على إحضار أسرته الكبيرة إلى هذه البلاد، ولما كان خطه باللغة الإنجليزية رديئًا فقد كنت أقوم بالكتابة له وملء النماذج المطلوبة لذلك. فأتيحت لى فرصة المناقشة المستفيضة معه تناولت كافة جوانب الحياة الفلسطينية والأمريكية، وكنا فى غالب الأحيان نبحث فى أمور الدين ثم فى السياسة. ولأول مرة عرفنى بالثقافة العربية. إذ كان يشرح لى العادات العربية ويذيقنى الطعام العربى الشهى.

وأول شىء نجم عن هذا الاتصال هو تشوقى الشديد لمعرفة اللغة العربية: فقد كنت حينئذ أجيد الفرنسيـة والنرويجية بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية. وكانت الأصوات والكتابة العربية تخلب لُبِّى آنذاك.

وأخيراً جاءت أسرة عيسى إلى أمريكا. وأخذت أعلم ابنه دروسًا فى الفرنسية يوم

(١) الحمد لله الصورة الآن أحسن كثيراً من ذى قبل وكثير من المسلمين انتبهوا ويقومون بمهمة عظيمة فى العمل بدينهم، ودعوة الناس إليه قولاً وعملاً، مما كان له آثار طيبة ندعو الله أن تزيد باستمرار.

السبت من كل أسبوع، وكان عيسى يعلمنى اللغة العربية فى المقابل. وكان تقدمى فى ذلك بطيئًا إذ إننى لم أكن أعرف الخط العربى، فلم أحفظ سوى عبارات ضرورية معدودة مثل «صباح الخير» و«كيف حالك» و«شكراً». وهكذا أدى إطلاعى الأول على الإسلام إلى اهتمامى باللغة العربية. ولكن هذا كله كان من شأنه أن يتغير عندما ذهبت إلى الكلية للدراسة العليا.

الكُلِّيَّةُ وَزُمَلَاؤُهَا :

كانت الكلية التى التحقت بها للدراسة العالية هى كلية كوينز الواقعة فى منطقة فلاشنج من مدينة نيويورك وهى كلية أهلية، كان حوالى ٩٥٪ من طلابها من اليهود. فتخصصت فى اللغة الفرنسية هنا، إلا أنه تبعًا لآرائى المؤيدة للعرب ونتيجة المجتمع المغلق الذى كان يهيمن على الجالية اليهودية فى نيويورك لم يكن أصدقائى إلا من الطلاب الأجانب. وكان فى الكلية معهد خاص لتعليم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية للطلاب الأجانب: فقابلت بعض الطلبة الليبيين الذين قدموا لتوهم إلى أمريكا، وكانوا يدرسون فى المعهد المذكور.

كان هؤلاء الطلبة الليبيون ينزلون بيتًا فسيحًا، ولما لمست فيهم الرغبة فى تعلم اللغة الإنجليزية، وأبديت لهم رغبتى فى إجادة اللغة العربية، من أجل ذلك دعونى للإقامة معهم فى منزلهم. فرحبت بذلك، وأخذت أقضى عندهم ثلاث أو أربع ليالى من كل أسبوع أبيت فيها عندهم. فكانت دهشتهم عظيمة حين وجدوا فى شابًا أمريكيًا يعرف شيئًا عن الإسلام، كما يعرف شيئًا لا يستهان به عن سياسة بلادهم ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية. ومن هنا نشأت بيننا صداقة ومودة متينة.

الأُخُوَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ :

لقد بدأت أتأمل حياة هؤلاء الطلبة فأدهشنى من أمرهم جانب واحد هو أنهم كانوا خمسة شبان جاءوا إلى أمريكا من خمس مدن ليبية متفرقة، لم يتعرفوا على بعضهم بعضًا ولم يرْ بعضهم بعضًا إلا هنا، ولكنهم رغم ذلك كانوا يتعاملون مثل تعامل الأخوة الأشقاء. وكنت شغوفًا جداً لمعرفة الأساس الذى تنبنى عليه هذه الإخوة. وسرعان ما علمت أن ذلك الأساس هو الإسلام. فقد كان الإسلام يهيمن على كل تصرف يأتونه.

فكلما فعل أحدهم شيئًا أو همّ بعمل شيء ما رجع إلى دينه الذى كان بمثابة ميزان حساس لأعماله، فإما أن يحضهم دينهم على ذلك الشيء وإما أن ينهاهم عنه. وكانوا جميعًا على ذلك.

-٢-

باحث عن الإسلام:

وبعد، فقد ولدت ونشأت فى أسرة نصرانية كاثوليكية، وأرسلت إلى مدرسة ابتدائية ثم مدرسة عليا كاثوليكية. ولقد فهمت مذاهب النصرانية فهمًا جيداً وكنت كاثوليكيًا متعصبًا ... ولكن ها هم أولاء المسلمون يتعاملون بروح من الحب الحقيقى، وبمزيد من الإحسان والروح النصرانية الحقة تجاه بعضهم بعضًا رغم أنهم ليسوا من النصارى، ولكنهم يفوقون كل نصرانى رأيته فى حياتى. فلئن كان دينهم هو أساس هذا كله فإنى قررت البحث فى دينهم باستقصاء. ها هم يقدموننى إلى طلاب مسلمين آخرين من ليبيا كان مجموعهم أربعة وعشرين طالبًا. فكان منهم ستة طلاب يحافظون على صلواتهم اليومية ... فأخذت أراقب هؤلاء الستة وأتأمل تصرفاتهم .. فوجدتهم يقيمون الصلاة خمس مرات كل يوم دون انقطاع .. فتملكنى شعور بأن هؤلاء لابد مؤمنون حقًا بهذا الدين، وأنه لابد من وجود شيء ما فى دينهم يلهمهم ويدفعهم إلى الصلوات الخمس اليومية.

لقد بدأت أقرأ كل كتاب أجده فى متناول يدى عن الإسلام .. وشيئًا فشيئًا أخذت تتكون لدى فكرة عن حقيقة الإسلام من الناحية النظرية والعلمية. وفى تلك الآونة كان اهتمامى بالإسلام عظيمًا، ولكنه كان اهتمامًا أكاديميًا - علميًا - صرفًا. ثم تبدل ذلك برّمته حين رحل أربعة من الطلبة الليبيين من مسكنهم، وجاء خامسهم ليعيش مع أسرتنا لمدة شهرين كاملين.

لقد كان ذلك الشاب الليبى متدينًا، ولقد شاركنى غرفة نوم واحدة، وكنا نقضى الساعات الطوال نناقش ونبحث موضوع الإسلام وكنا نقارن بينه وبين الديانة الكاثوليكية .. فبحثت معه كل ركن فى العقيدة الكاثوليكية وكان يقدم لى التصور الإسلامى المقابل. وكنت أوجه إليه العديد من الأسئلة التى كنت استقيها من قراءاتى.



وهكذا انقضت مدة الشهرين، رحل بعدهما الشاب الليبى المسلم من بيتنا ... وبعد شهر واحد من مغادرته .. كنت ذات مساءٍ جالسًا أفكر بهدوء فى الدين الإسلامى.

نداء ضميرى:

وإذا بخاطرة مفاجئة وفكرة غريبة ترد فى ذاكرتى .. لقد شعرت فجأة أننى أؤمن بالإسلام وعقيدته .. وسمعت صوت ضميرى يخاطبنى ويقول لى:

(إذا بقيت نصرانيًا فستكون منافقًا لأنك تومن بالإسلام .. لابد أن تكون مسلمًا).

لقد حاولت التهرب من هذا الشعور المخيف المرعب بالنسبة لى آنئذٍ .. فلم تكن لدى أية فكرة البتة حول كيفية اعتناق الإسلام، رغم أننى كنت أعرف أننى لابد فاعل ذلك لا محالة.

وهنا تذكرت البيت القديم الذى كنت أشارك فيه الطلاب الليبيين فى سكناهم فعدت إليه لأتلمس بعض الذكريات من الواقع .. لقد تغير البيت ونزل فيه بعض الطلاب الإيرانيين الذين كنت أعرف واحداً منهم معرفة طفيفة وهنا أحسست بالرغبة الشديدة فى زيارتهم. فلما لقيتهم وتعرفت عليهم وجدتهم أيضًا متدينين مسلمين رغم اختلاف لغتهم وثقافتهم عن أصدقائى الليبيين الذين كانوا نزلاء البيت نفسه.

لقد جلست مع الشاب الذى كنت أعرفه من قبل منهم، وحدثته عن تجربتى وقلت له: إننى أريد أن أكون مسلمًا. وطلبت إليه مساعدتى فى تحقيق تلك الرغبة، والدخول فى دين الله الذى آمنت به.

أَسْلَمْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:

وهنا سر الفتى الإيرانى المسلم، وقلت له:

ولكن أرجو أن تجيب على بعض الأسئلة المتعلقة بالإسلام قبل الشروع فى اعتناقه. فرحب بذلك وأخذت أسرد عليه أسئلتى واحداً بعد الآخر، وهو يجيب عليها ويبدد الشبهات التى كانت ما تزال عالقة فى ذهنى عن الإسلام. ثم جاءت الخطوة التالية...

فقد أخذ يعلمني كيفية الصلاة، فلم أستطع بادئ ذي بدء أن أحفظ الكلمات التي يجب أن تقال .. فأخذ يصلي أمامي ويطلب مني أن أقلد أفعاله وأن أردد كلماته بقدر ما أستطيع .. وقد استغرق ذلك جهداً ووقتًا طويلاً حفظت بعده كل ما يجب أن يقال أو يؤدى لإقامة الصلاة ..

وجاءت الخطوة التالية .. فقد كتبت إلى المركز الإسلامي في مدينة نيويورك، وإلى مديره الدكتور محمد عبد الرؤوف .. فشرحت له رغبتي في اعتناق الإسلام، فما كان منه إلا أن اتصل بي هاتفيًا ورتب لي لقاءً به .. كان ذلك في السادس عشر من شهر أغسطس عام ١٩٦٧م. ولما تم اللقاء المنشود في وقته المحدد أخذ الدكتور محمد عبد الرؤوف، مدير المركز الإسلامي في نيويورك يسألني عن الإسلام. ولما اقتنع بصحة فهمي له وصدق عزمي على اعتناقه أعلن رسميًا دخولي في الدين الإسلامي الحنيف في ١٩٦٧/٨/١٦م فالحمد لله على ذلك.

-٣-

حملة شعواء ودعوة هادئة :

لم يصدق والداي في بادئ الأمر أنني قد غيرت ديني حتمًا، ولكنهم عندما أيقنوا بصحة ذلك استبد بهم الغضب وذهب بهم كل مذهب. فقد كان يعوزهم التسامح والفهم الصحيح للإسلام، ومن ثمة حاولوا منعي من الصلاة بأقسى الطرق، وأخذوا يعملون على إحباط عزمي على أن أظل مسلمًا. وأخيراً، وبعد أن يئسا من تحولي عن ديني الجديد، طردني أبي من البيت. فخرجت هائمًا على وجهي، لا أدري ماذا أصنع وإلى أي مكان أتجه؟! ثم هداني الله إلى فكرة جيدة، وهي أن أحاول تفهيم والدي حقيقة الإسلام الذي آمنت به.

عدت أدراجي إلى البيت وأخذت أحدث والدي عن فضائل الإسلام، ولقد وفقني الله في ذلك كثيراً. إذ ما أن شعر والداي بحقيقة ما كنت أريد ولمسوا حاجتي الماسة إلى هذا الدين الذي جعلني رجلاً أفضل كثيراً في نظرهم مما كنت في السابق. هنا .. وفي تلك اللحظة انقلب غضبهما إلى رضا وتحول حقدهما إلى مودة. وأصبحت علاقتي بوالدي

أمتن وأوثق مما كانت عليه من قبل، بل إن حبهم لى قد غدا أكبر من أى وقت مضى ... فالحمد لله على ذلك أيضًا.

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةِ ضَرُورَةٌ لِلْمُسْلِمِ:

ولما ازداد مع الأيام فهمى واستيعابى للإسلام قررت أن أكرس جل حياتى لهذا الدين القويم، وأن أبدأ فى دراسة اللغة العربية والقرآن الكريم دراسة جادة. وتملكتنى رغبة شديدة لنيل درجة الماجستير ثم الدكتوراه فى دراسة علوم الدين الإسلامى. فعندها فقط أكون أهلاً لأن أحمل الإسلام للأمريكيين. وفى ظل هذه الرغبة، وتحت راية هذا الهدف تقدمت بطلب الدراسة فى الجامعة الإسلامية فى مدينة البيضا بليبيا، ولكننى للأسف لم أستلم أى رد منها رغم أننى كتبت إليها أربع أو خمس رسائل. كذلك اتصلت بجامعات إسلامية شتى فى المملكة العربية السعودية وفى باكستان، وكلها زعمت بأنها ملأت الشواغر الموجودة لديها.

وأخيراً كان من حسن طالعى أن حصلت على منحة دراسية فى اللغة من جامعة أنديانا لدراسة اللغة العربية خلال عام ١٩٧٠ - ٧١م وإننى سعيد غاية السعادة بهذه المنحة إذ أنها تمكننى من تعلم اللغة العربية .. ونحن هنا فى جامعة انديانا لدينا جالية مسلمة كبيرة، كما لدينا دائرة إسلامية. وأنا الآن أمين سر الدائرة الإسلامية المذكورة. وكلى أمل أن أوفق فى يوم من الأيام للدراسة فى إحدى الجامعات الإسلامية، وأن أتخصص فى موضوع التأويل والتفسير اللذين يشكلان اهتمامًا كبيراً لدى. فمما يؤسف له أن هذا الفرع من الدراسات الإسلامية لا يُدَرّس فى الولايات المتحدة الأمريكَية. ولم توافق أية جامعة إسلامية حتى الآن على قبولى طالبًا بها، رغم أننى على ثقة من أنها لا تضم حاليًا سوى عدد ضئيل من الأمريكيين المسلمين الذين يريدون دراسة برنامج فى الدراسات الإسلامية. وإننى أرحب بكل عون واقتراح يقدم إلى فى هذا الخصوص.

-٤-

الدِّينُ الوَاضِحُ:

وقبل أن أختتم حديثى هناك نقطة تستحق الذكر وهى أن المبادئ الإسلامية التى

استوقفت نظرى واستقطبت جل اهتمامى أكثر من غيرها، كما كانت بارزة واضحة فى فكرى حين أقبلت على الإسلام ... هذه المبادئ هى:

أولاً: كثيراً ما تترك النصرانية جوانب «باهتة» غامضة فى التصور الاعتقادى يملؤها الشك والريب .. نقاط سكت عنها الدين النصرانى .. ولم أكن أدرى ماذا أفعل تجاهها؟ أما الإسلام فكل شيء فيه واضح لا لبس فيه ولا غموض .. وهو يستغرق كافة جوانب الحياة الإنسانية ويشملها فلا أحس بأدنى شك أو ارتياب، كما لا أشعر فى ظله أننى تائه أو ضال. بل أعتقد من صميم قلبى أن الإسلام منهج كامل للحياة يغاير النصرانية، والحق أن الإسلام هو الدين الكامل الوحيد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثانيًا: إن الإسلام يستقطب العقل والمنطق، فليس فيه أية أسرار أو طلاسم لا سبيل إلى استيعابها، بل كل شيء معروض للاستفسار والسؤال عن حكمته وعلة تحريمه أو تشريعه، وكل شيء يعتبر محلاً لأعمال الفكر وإنعام النظر قبل اعتناق الإسلام. كما أن عقيدة الإسلام عن التوحيد أقرب إلى المنطق والفطرة السليمة من مبدأ التثليث عند النصارى، لأن مذهب التثليث يسهل دحضه وإثبات بطلانه بقليل من التأمل وسعة الأفق.

كما أن الإسلام لا يسمح بفصل الدين عن الدنيا، وإنما يزود المرء المسلم بهداية شاملة كاملة تملأ حياته الدنيا وتعده بالأمان والفوز بالجنة فى الدار الاخرة.

وفى الختام نسأل الله أن يثبتنا على دينه الحق، وأن يرزقنا جميعًا العمل الصالح.

فرانك ستوك

(انديانا - أمريكا)

فهرس الجزء الثانى

الموضوع		الصفحة
مقدمة للصفحات التالية		١٢٩
١٥- فاطمة هيرين	ألمانيا	١٤٢
١٦- حسين رؤوف	انجلترا	١٤٨
١٧- الشيخ رحمة الله الفاروق (اللورد هيدلى سابقًا)	انجلترا	١٥٤
١٨- محمد أسد	النمسا	١٥٧
١٩- الدكتور عبد الكريم جرمانوس	هنغاريا (المجر)	١٦١
٢٠- جوليوس ورفر	هنغاريا (المجر)	١٦٧
٢١- عبد الله آرشيبالد هاملتون	انجلترا	١٧٢
٢٢- وليم بيرشل بشير بيكارد	انجلترا	١٧٥
٢٣- آمنة ناكامورا وأختها	اليابان	١٧٩
٢٤- محمد عبد الله (دونالد ركويل سابقًا)	أمريكا	١٨٢
٢٥- فاطمة تزفسكن	تشيكوسلوفاكيا	١٨٤
٢٦- بيجى رودريك	الهند	١٩٠
٢٧- محمد ضياء الرحمن الأعظمى	الهند	١٩٥
٢٨- أحمد عبد الله كويسيل	ألمانيا	٢٠٣
٢٩- أمل الصايغ	سوريا	٢٠٩
٣٠- وليد أحمد سعد	لبنان	٢١٨
٣١- إسماعيل (روجيه سابقًا)	بلجيكا	٢٣٣
٣٢- فرانك ستوك	أمريكا	٢٤٨

السعر ٤ جنيهات

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها والإنسان خلق من روحٍ وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

و قد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجالٍ ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا فى مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع

و هذا الكتاب موجه إلى المسلمين فى المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذى بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

و هذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت :"يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والإنسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ماجد أحمد يحيى



رجال ونساء أسلموا

إعداد وترجمة

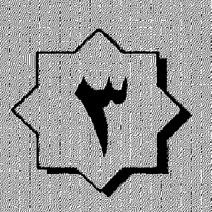
الدكتور عرفات كامل العشي

مراجعة وتعليق

الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد

الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقاً

٣



المكتب المصري الحديث

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات



شخصيات الحلقة الرابعة

- بدرية (هيدى مرعى) سابقا
- نجوى آدمون شوفانى
- أحمد جيرمان
- عبدالله كوبيناوا
- فيصل محمد
- المنصور بالله الشافعى
- الدكتور عبدالله
- السيدة سامية وديع
- عبدالرحمن بن جورد
- الدكتور عبدالله إبراهيم
- يوسف عبدالسلام
- بلال باهايا
- عبدالله ديوك لين جيون
- محمد كومياما
- عبدالحفيظ محمد
- الدكتور أحمد سوسة
- الدكتور على سليمان بنوا
- السيدة جين اليعقوبى
- علياء ستيرلنج
- عائشة (جوان لابير - عالمة الذرة)
- أمين عبدالغنى
- السيدة إيفا ماريا
- بول رتشارد هنز
- ثلاثة من زعماء الهنود يسلمون
- ح.ف. فيلويز
- كولونيل نيجيرى من بيافرا
- السيد موسى ريوشين جورا
- مولانا عبيد الله السندى
- إدريس عبدالسلام ميزر
- السيد خالد لطيف جابا
- بيجى رودريك
- الدكتور ر.ل. ميليما

الهند :

٣٣- ك.ل.جاويا

محام كبير بالمحاكم العليا

هذه انطباعات رجل هندوكى مثقف .. محامٍ كبير .. درس الإسلام ولم يرض أن يظل على دينه الذى ورثه عن آبائه وأجداده .. كان هندوكيًا فلما شب عن الطوق واكتملت لديه أسباب الدراية والفهم أخذ يقارن ويوازن بين الأديان .. إذ أحس أنه لابد له من دين يضبط سلوكه ويكون ميزانًا لحياته .. وهنا اختار الإسلام فتمثل فيه قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

صحيح أن ما يأتى ليس قصة كاملة يعرف من خلالها القارئ الكريم تفاصيل حياة صاحبها[١]، إنما هى انطباعات مفيدة سجلها المؤلف عن رجل كبير هداه الله إلى هذا الدين. فلعل فيها درسًا للذين ورثوا دينهم وهم لا يعلمون من أمره شيئًا.

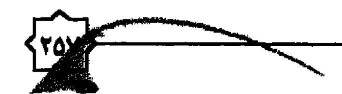
المترجم

***

أحمد الله العظيم الذى اختارنى من بين ملايين كثيرة من الناس ووفقنى لإعلان إسلامى كى أكون مثلاً يحتذى، وعبرة للآخرين أدلهم على الصراط المستقيم الذى يهدى إلى الحق وإلى خير الدنيا والآخرة.

عندما يولد الطفل يكون على الفطرة السوية كامل الخلق. ولكنه لا يعى من أمره شيئًا. وهكذا يستوى الناس مع الجمادات فى هذه الحقبة من حياة البشر. فكل الناس أمام المولود الجديد سواء. ثم يبدأ بالتدريج يتعرف إلى والديه ويميز الأشياء ويشعر بسحر الحياة.

(١) لما توفرت المراجع للمؤلف - بعد ذلك - ذكر قصة إسلامه تفصيلاً (انظر القصة رقم ٨٧).



الطُّفُولَةُ الرّوحِيَّة :

وكما للإنسان طفولة جسدية وعقلية، فإن له طفولة روحية وكلما مرت الأعوام يستقيظ الإنسان حتى تبلغ الناحية الروحية فيه مداها، وعندها يؤمن الإنسان بالمصير الذى ينتظره. ولكن الناس يتفاوتون فى نموهم الروحى مثل تفاوتهم فى نموهم البدنى..

لقد أحسست رغم منصبى الكبير كمحامٍ فى المحاكم العليا بالهند أننى مازلت طفلاً من الناحية الروحية .. وكان إيمانى بالهندوكية كمثل الطفل الذى يحبو لا يقدر على شىء .. لذلك رأيت لزامًا على أن أبحث عن دين جديد.

لماذا اخترتُ الإسلام ..؟

وإذا أراد الناس أن يعرفوا لماذا اخترت الإسلام وفضلته على سائر العقائد الأخرى فهذه هى أهم الأسباب بإيجاز:

إن أول شىء شدنى إلى هذا الدين هو بساطته ووضوحه التام المطلق. فأساس العقيدة الإسلامية قائم على دعامتين بسيطتين يستطيع أن يعيهما أبسط الناس. وهاتان الدعامتان هما: أن النبى الكريم محمداً ﷺ قد جاء بالوحى الربانى من عند الله، والثانية أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولا يقبل التعدد ولا التشكيل فى طين أو حجارة أو خلافة.

والصفة الثانية التى جذبتنى إلى الإسلام العظيم تلك الروح الديمقراطية الأصلية التى يتميز بها هذا الدين. فالمساواة فى الإسلام تختلف عنها فى الاشتراكية أو البلشفية التى تعمل على سحق الأغنياء لصالح الفقراء والصعاليك، ولا هى كالمساواة عند النصارى حيث يجلد الرجل الزنجى لا لشىء إلا لأنه وقع بصره على امرأة بيضاء، ويعبد الزنوج ربهم فى كنائس خاصة بهم مستقلة عن كنائس البيض، أما فى الإسلام فجميع المساجد مفتحة أبوابها لكل مسلم غنيًا كان أم فقيراً، أسودَ كان أو أبيضَ، ملكًا كان أو عبداً.

وهذه الصفة تقيم صرح وحدة حقيقية راسخة بين المسلمين، ومن أجل ذلك فإن الدين الإسلامى لا يقيم مراسيم خاصة لكل داخل فى الإسلام كما تفعل الأديان الأخرى، وإنما



حسب المرء أن ينطق بالشهادتين حتى يغدو عضواً فى أعظم أخوة عالمية، يتساوى فى ظلها الناس جميعًا فى الواقع العملى الملموس إلى جانب الناحية النظرية المجردة، ويصبح من حق المسلم الجديد أن يقف فى المسجد كتفًا إلى كتف وعلى قدم المساواة مع الملك. كما يكون من حقه أن يشاركه طعامه من إناء واحد. وليس فى العالم كله أشمل وأصدق من هذه الأخوة الإسلامية.

المنبوذون فى دين الهندوك:

هناك خلاف كبير يقوم حاليًا بين مجتمعات الهندوكية حول دخول فئة منها تعرف باسم «الممنوع لمسهم» «The untouchables» إلى المعابد الهندوكية. وهناك فئة معينة بين الهندوس تزعم لنفسها أنها تحول هؤلاء «الممنوع لمسهم» إلى أشخاص عاديين بواسطة ما يسمى «شوذى». وليس بوسع أحد من الهنادك أن ينتقل من طبقة إلى أخرى. كذلك تؤمن الديانة الهندوكية أن فى استطاعة إنسان أن يطهر إنسانًا آخر.

جلال الدين الإلهى:

أما فى الإسلام فإن هذا الدين لا يعرف مبدأ «لا مساس» أو ما يسمى «الممنوع لمسهم» كما أنه لا يطهر الإنسان فيه أخاه الإنسان. ولا سبيل إلى التطهر إلا بالتقرب إلى الله دون وساطة من أحد من خلقه. إذ كيف يتسنى لبشر أن يطهر بشراً آخر وهو نفسه فى حاجة ماسة إلى تطهير نفسه!!

إننى بهذه المناسبة أتوجه بالدعوة إلى كل فرد فى الذين يلقبونهم بـ «الممنوع لمسهم» للدخول فى الإسلام الحنيف، فهو وحده الذى يُسَوِّى بينهم وبين بقية الناس. وهو وحده الذى ينتفى فيه الاعتقاد بأن ظل إنسان ما يمكن أن يدنس طعام أو حاجيات إنسان آخر .. وهذا الاعتقاد سائد فى الهندوكية .. فلا فضل فى الإسلام لأى إنسان على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

والأمر الرابع الذى من أجله اخترت الإسلام هو قدرة الإسلام على التلاؤم والتكيف مع متطلبات الحياة الحاضرة. فليس هناك أى دين من الأديان المعاصرة يتمتع بمثل هذه

المقدرة على حل المشكلات الحاضرة التى تواجه الإنسان فى هذا الزمان، فالعالم اليوم يتشدق بالأخوة والمساواة وهذان مبدءان أساسيان صميمان فى الإسلام .. ولكنهما مطبقان عمليًا بين المسلمين على النقيض من المبادئ الأخرى الزائفة.

كذلك يتحدث العالم اليوم عن ضرورة الاعتراف بالمؤهلات، والإسلام يعترف بالفضل لذويه .. كما نسمع صيحات حول حقوق المرأة ومآسى الحياة الزوجية المعاصرة، والإسلام يمنح المرأة كل حقوقها واستقلالها، فعلاقتها بالرجل قائمة على أساس عقد كريم، لقد وضعت الشرائع الإسلامية للبشر لا للملائكة، أما ما يحدث اليوم من شغب وفوضى ومهازل وتواطؤ وزنى، وما يسمى بالأم غير الشرعية، فكل هذه المشكلات غريبة عن المجتمع الإسلامى.

اللهم خذ بناصية عباك إلى هذا الدين الحنيف!!

❖❖❖

السويد:

٣٤- أحمد زيتونى

- لقيته رجلاً يناهز الأربعين من عمره فارع الطول أبيض البشرة أزرق العينين ذا لحية كثة .. كان يرتدى ملابس من الخاكى البسيط الذى ينم عن مهنته .. فهو (ميكانيكى) يعمل لحامًا للأوكسچين .. إذا نظرت إليه شعرت للوهلة الأولى أنه رجل بسيط برئ. لقد قدمه إلىَّ شاب مسلم من أرتيريا أسود البشرة طويل الوجه له لحية خفيفة. فقال:

- هذا الأخ أحمد زيتونى، مسلم جديد من السويد.

فهتفت مرحبًا به وسألته:

- هل تجيد الإنجليزية يا أخى؟

فأومأ ثم أردف قائلاً:

- قليلاً منها فقط.

فجربت التعرف على أحواله بالإنجليزية فإذا هو لا يعرف منها القدر الذى يمكن به التفاهم معه. وبصعوبة خرجت بما يلى عن هذا الأخ الجديد.

***

ولدت فى عام ١٩٣٤ من ميلاد المسيح فى بلدة صغيرة فى السويد تدعى «فلين»، وتقع على بعد عشرة كيلو مترات من مدينة استكهولم العاصمة. وكان أبى يعمل راعيًا للبقر. أما أمى فكانت تقوم برعاية شئون البيت.

ولما بلغت من العمر ثلاث سنوات انفصل والداى بالطلاق، وكنت نجلهما الوحيد. فالتحقت بوالدتى وعشت معها بعيداً عن أبى الذى كان يبعث لنا المال اللازم. وقد واجهت والدتى كثيراً من المشكلات فكنت أعيش معها بعض الوقت، ولكنها فى أوقات أخرى لم يكن بوسعها الإنفاق علىّ .. من أجل ذلك كنت أعيش بين الغرباء .. وظللت

على تلك الحال حتى بلغت السابعة من عمرى فجاء والدى لزيارتى، وكانت تلك أول مرة أراه فيها فيما أذكر .. ثم توفى فى عام ١٩٥٣، فكانت تلك أيضًا آخر عهدى بأبى.

دين السويد :

وعندما غادرت السويد كانت والدتى على قيد الحياة .. وجميع الناس فى بلادنا يولدون نصارى باستثناء عدد قليل من اليهود. ولكن الدين الحقيقى لجميع سكان السويد هو التحرر والانطلاق من كل قيد. فهم يؤمنون بالأمور المادية فحسب، بحجة أنهم يلمسونها بأيديهم ويشاهدونها بأعينهم.

أما والدتى فهى نصرانية مؤمنة تعتقد أن عيسى عليه السلام هو ابن الله، وأنه الحاكم الذى سيفصل فى أمور العباد وشئونهم!! ولقد كانت أمى تسائل نفسها أحيانًا:

-ألا يستطيع الشاب الغض أن يعيش نظيفًا فى حياته؟! وكان هذا السؤال يحيرها لما كانت تراه من انحطاط بين الشباب. وكانت تسعى كثيراً إلى استدراجى للإيمان بالديانة النصرانية. ولكنى كنت دائمًا أخيب رجاءها.

أما عن تعليمى فقد أمضيت ست سنوات فى المدارس العادية، ثم التحقت بمدرسة خاصة تعلمت فيها حرفة «ميكانيكى» فقضيت فيها عامين كاملين أخذت بعدها أتمرن وأتدرب فى شتى الورش الميكانيكية كخبير فى لحام الأوكسچين.

رؤيا عجيبة :

عندما كنت صبيًا يافعًا رأيت فى منامى أن شيئًا ما لا أعرفه يرفعنى إلى أعلى .. ونظرت تحتى فشاهدت حيات وأفاعى وحيوانات قذرة هنا وهناك ولكنى رغم ذلك لم أحس بالخوف منها .. فكأن شيئًا قد ملأ قلبى بالاطمئنان.

وكنت أحلق بيسر وسهوله فوق تلك القاذورات ..ولما استيقظت من نومى لم أفهم لتلك الرؤيا أى معنى، فانصرفت عن التفكير فيها.

الوحدانية :

لقد واجهت مشكلات عديدة فى حياتى، فنبت فى قلبى وعقلى شعور وانبعثت رغبة قوية صادقة للبحث عن منهج مثالى للحياة يناسب جميع الناس ويصلح حالهم. وكنت

على ثقة من أنَّ هذا المنهج الأفضل موجود لا محالة، وفى تلك الآونة - وكان ذلك فى عام ١٩٥٨م - وردت فى خاطرى كلمة «وحدانية». أخذت أقلب هذه الكلمة على وجوهها حتى اكتشفت الحقيقة، فقد أيقنت أنه ليس هناك إلا رب واحد لا تحده حدود، لا شريك له. مستقل عن كل شىء، أحد صمد، وهو من يدعوه الناس بكلمة «الله».

عند ذلك شعرت بالطمأنينة وبرد الإيمان يملأ قلبى، فأخذت أبحث عن شىء أقرأه، لأعرف المزيد عن ربى .. أخذت أقرأ القرآن الكريم وسرعان ما علمت أن هذا هو الدين الذى كنت أبحث عنه .. هذا هو الدين الحق الذى يدعو إلى خير السبل.

ثم اتصلت برجل من بلاد الشرق، وكان رجلاً باكستانيًا مسلمًا يعمل فى سفارة باكستان بالسويد، فأخبرته أننى أومن بالإسلام دينا فدعانى إلى داره وأخذ يعلمنى كلمة التوحيد، والصلاة، كما علمنى سورة الفاتحة وسورة الإخلاص، وأرانى كيف أقيم الصلاة. فأخذت أواظب على ذلك. كذلك أخبرت أننى لابد أن أتخذ لنفسى اسمًا إسلاميًا، ولما أتيحت لى فرصة السفر سافرت فى عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥م إلى تونس فأشهرت إسلامى على مرأى ومسمع من المسلمين.

نُورٌ عَلَى نُورٍ :

وفى إحدى الليالى التى قضيتها فى تونس رأيت فى منامى رؤيا جميلة .. رأيت نوراً ساطعًا قويًا لا هو حار ولا هو بارد، وإنما كان نوراً جليًا لم يحدث قط أن رأيت مثله فى واقع الحياة. فأخذت أتساءل:

- ما هذا؟

وكان الجواب أن تذكرت المنام القديم الذى رأيته أثناء طفولتى. كذلك رأيت أننى لابد أن أتصل بالناس الذين كنت أبحث عنهم. فانطلقت إلى جامع الزيتونة فى تونس، وأطلق علىّ اسم أحمد زيتونى .. «أحمد» تيمنًا باسم نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام، و«زيتونى» من جامع الزيتونة.

وبعد:

فإننى أحب الإسلام لأنه النور الكامل الذى يناسب كل زمان ومكان، كما أنه منهج



حياة عملى يأخذ بيد الناس إلى الصلاح والاستقامة .. إننى أريد أن أحقق إرادة الله المتمثلة فى هذا الدين - دين الإسلام الحنيف.

لقد هاجرت من بلدى السويد لأنها بلاد كافرة لا تُعجبنى طريقة حياة أهلها، فأنا أشعر أننى غريب بينهم. لذلك جئت إلى بلاد المسلمين كى أتعلم الإسلام. وأنوى السفر إلى باكستان لهذه الغاية. وسأقضى الأشهر الخمسة القادمة فى الكويت استعداداً لبدء العام الدراسى الجديد. وفى هذه الأثناء أرجو أن أتمكن من تعلم اللغم العربية كى ازداد قربًا من القرآن الكريم.

وأخيراً أتوجه بالشكر إلى إخوتى المخلصين فى الإسلام، الذين أخذوا بيدى وأعانونى على حل المشكلات التى أواجهها فى حياتى، مبتغين بذلك وجه الله عز وجل.

۞۞۞

ألمانيا:

٣٥- فاطمة سى لامير

(مسلمة ألمانية تروى قصة إسلامها)

قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

لقد جاءنى الإسلام كما يأتى النبع الدافئ إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم، فأدفأ روحى وسربلنى بثوب من تعاليمه القشيبة. فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها وما أعظم منطقها!

«لا إله إلا الله محمد رسول الله»! هل هناك عبارة أسمى وأرفع من هذه العبارة؟ إنك إن تأملتها لا تجد فيها أى أثر للطقوس الغريبة المبهمة، كتلك التى تؤمن بالتثليث - الأب والابن والروح القدس-. صحيح أن هذه الطقوس ربّما تثير فى النفس الخشية، إلا أنها لا ترضى العقل المتفتح الذكى.

موازنة بين الإسلام والنصرانية:

فالإسلام دين عصرى صالح للتطبيق فى عالمنا المعاصر .. خذ مثلاً مبدأ المساواة بين البشر الذى تنادى به الكنائس النصرانية أيضًا .. ثم تأمل كيف يسعى البابوات والبطارقة والقسس وغيرهم من رجال الكنيسة إلى استغلال اسم الله الطاهر بغية كسب النفوذ والسلطة .. ثم قارن بين ذلك وبين الإسلام .. تجد عجبًا!! تجد البون الشاسع بينهما. فما أصدق تعاليم النبى محمد ﷺ التى أنزلت عليه من عند الله تعالى. .

لقد كان من الطبيعى بالنسبة لى أن أكون نصرانية بحكم معيشتى فى بلد نصرانى كألمانيا الغربية، إلا أننى لم أكن قط مسيحية بالمعنى الصحيح .. فقد كان الغموض يكتنف الديانة النصرانية .. وكانت فكرة قتل المسيح عليه السلام بالقوة لإنقاذ الآخرين

غير معقولة فى نظرى. وأقل ما يمكن قوله هو أن الديانة النصرانية كانت لغزاً محيراً بالنسبة لى، فهجرت الكنيسة النصرانية منذ زمن طويل، ولا يزيد عمرى الآن عن إحدى وثلاثين سنة فقط .. لقد أحسست أننى لم أعد أطيق أن ألعب دور المنافقة باتباع «دين يوم الأحد» - وهذا ما آلت إليه النصرانية فى وقتنا الحاضر -.

الإسلام صوت ضميري

ومضى زمن لم أكن أعتنق فيه أى دين من الأديان. إلا أننى لابد أن أوضح إننى لم أكن قط ملحدة فى يوم من الأيام. وفى مطلع عام ١٩٥١م بدأت أتصل ببعض المسلمين الذين أخذوا يشرحون لى الدين الإسلامى. كان ذلك بطريق المراسلة، بناءً على طلب منى، ولا أستطيع أن أسجل مدى فرحتى بهذا الدين الذى أخذ ينفرج أمام ناظرى، فقد أحسست أن هذا هو الدين الذى كنت أنتظره وأنه الدين الذى آمنت به، لقد كان إعلان دخولى فى الإسلام ترجمة ظاهرة لصوت ضميرى. فهل يمكن أن يكون هناك أى شىء أعظم حجة من العقيدة الإسلامية!؟

ولا ريب أننى سأواجه اللوم من أفراد أسرتى وأقربائى وأصدقائى إلا أننى على ثقة من أننى عندما أشرح لهم دينى الجديد فسوف يؤدى ذلك إلى تبديد كافة الشبهات العالقة فى أذهانهم حول الإسلام. وهى شبهات يجرى تدريسها فى هذا البلد، ألمانيا. وأعتقد أن عقولهم مشحونة ببعض هذه التصورات المزعجة.

الإسلام دين العلم:

إن الإسلام هو أقدم وأول الأديان جميعًا، وهو بتصوره الشامل للحياة قد أثر فى ثقافة جل بلاد العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبصفة كلية أو جزئية. وسبب ذلك أنه دين يساير الفطرة.

وفى الوقت الذى تهاوت تعاليم الأديان الأخرى ومبادؤها أمام جبروت العلم أخذ علماء الدنيا فى الوقت الحاضر يتطلعون إلى الإسلام طالبين السلوى، لأن تعاليمه أقرب إلى العلم من أى دين آخر، بل إن الإسلام يحض على العلم، وهو دين تقدمى يناسب كافة المناخات والبلاد كما يصلح لجميع العصور.

الإسلام رسالة للعالم:

إنه دين زاخر بالحياة والحركة، وأنه من واجب جميع المثقفين أن يملأوا الفراغ الروحى بالإسلام .. وهذه هى أعظم المهمات الملقاة على عاتق العالم الإسلامى بأسره. فالإسلام لديه رسالة لابد أن يقدمها للعالم .. إنه نور بوسعه أن ينير العالم أجمع، فليقم كل واحد منا ممن يستطيع أن يخدم الدعوة الإسلامية بتبليغ هذا الدين لأهله وذويه أولاً ثم للناس كافة(١).

٭٭٭

(١) عن مجلة «مسلم نيوز» الصادرة فى جنوب أفريقيا.

أمريكا:

٣٦- توماس محمد كلايتون

Thomas Muhammad Clayton

من الغريب أننى كنت أعتقد منذ نعومة أظفارى حين كنت طالبًا أذهب إلى مدرسة الأحد أن الديانة النصرانية ليست صادقة في كل ما تزعمه، كما أنها لا تمثل إرادة الله كاملة .. ومضت أيام الأحد تباعًا وكنت خلال ذلك أمشى فى موكب إلى مدرسة الأحد وأتلقى القدر اللازم من المعرفة الدينية الذى كانت تقدمه لطلابها، والذى لم يكن يبدو رغم تسليته لى أنه هو نفسه ما يمكن أن يعلمه لنا السيد المسيح الإنسان لو أنه ما زال حيًا يرزق ويدب على أديم هذه الأرض.

وهكذا ظلت الكنيسة الأسقفية فى إنجلترا تمدنى بزاد الفكر مدة من الزمن تراوحت بين ست وسبع من السنوات، إلا أنها لم تكن تعلمنى أبداً كيف أفكر، وبعد هذا القدر الهائل من الطقوس المعقدة غدوت عضواً موثقًا فى الكنيسة وأصبحت كغيرى من الأمريكيين .. بمعنى أننى لم أعد أهتم بالدين، وأخذت أقضى وقتى فى مشاغل بلهاء أو هكذا تبدو إذا أخذنا بعين الاعتبار قضية الإسلام والإذعان لأمر الله سبحانه.

تفتح عينى للإسلام:

ومضت فترة طويلة كنت خلالها غافلاً عن الدين، إلى أن جاء اليوم الذى قدر لى فيه أن أكتشف شيئًا جديداً كان من شأنه أن يغير حياتى من جذورها ومن حيث لا أدرى .. هذا الشيء الذى اكتشفته كان عبارة عن ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية بقلم الكاتب الإنجليزى النصرانى (جورج سيل) وجدتها صدفة فى مكتبة صديق لى. فجلست على انفراد وبدأت فى قراءتها .. ولعل يد الله وحدها هى التى أضاءت سراج الوعى الدينى فى رأسى، فبالرغم من انتقادات المؤلف (جورج سيل) المقذعة المجحفة للإسلام ونبيه، وعلى الرغم من أوهامه السوداء فقد انسابت كلمات الله إلى عقلى.

وهكذا كانت تلك التجربة إيذانًا بفتح الباب الذهبى الذى أدخلنى إلى عالم جديد من السعادة والنور والإحساس بالإرادية الربانية السماوية .. فمن بعد ذلك اشتغلت فى قراءة جميع المؤلفات الإسلامية التى تقع عليها يدى مما يعالج العادات الإسلامية. ورغم أن جميع الكتب التى قرأتها كانت مفيدة فقد تيقنت من حقائق عدة:

أولها: أنه بالرغم من وجود مقدار ما من الحق فى تلك الكتب فإن فيها قدراً أكبر من الزيف والتشويه.

ثانيًا: أن مؤلفى تلك الكتب لا يريدون أن يحب الناس الإسلام ولا أن يفهموه، وهو النتيجة الطبيعية للفطرة السليمة لو ترك الناس وشأنهم. ولكن هؤلاء الكتاب يريدون أن يشيعوا البغضاء إلى درجة غير معقولة.

ثالثًا: أنه بالرغم من احتمال صحة ما نشر فى الكتب المذكورة فقد أحسست أن الأمر ليس كذلك. وأخذت أشعر بمزيد من الحب للإسلام وتعاليمه.

المهرجان الكشفى العالمى:

وبعد ذلك بفترة وجيزة أتيحت لى الفرصة لحضور المهرجان الكشفى العالمى الذى أقيم فى مدينة مويسون - بفرنسا فى صيف عام ١٩٤٧م. وكان ذلك المهرجان يتألف من أربعين ألف شاب - كشاف - كانوا يمثلون اثنين وأربعين بلداً من بلاد العالم. وفى ذلك المهرجان التقيت بكشاف مسلم من الجزائر أحببته ولا يزال صديقًا لى حتى اليوم، رغم أننى لم أره منذ عامين كاملين. لقد كان اسمه «مجدى جمال» وهو مثال الشاب المسلم الصادق الذى يعتبر قدوة صالحة للناس كافة، أعنى فئة الشباب من أمثاله. ولقد كنت أقضى بصحبته معظم وقتى فتعلمت منه بالقدر الذى كانت تسمح به معرفة كل منا الطفيفة بلغة الآخر .. لا بل بالقدر الذى كانت معرفتى الضئيلة للغة العربية تعيننى على التفاهم معه، فقد كان يجيد اللغة الإنجليزية إجادة تامة ولكننا كنا نتشوق للتخاطب باللغة العربية.

وبالإضافة إلى ما حصلته فى المهرجان من معرفة عن الإسلام بقراءاتى لبعض الكتب

الصادرة فى الغرب، فقد نلت قدراً من المعرفة الإسلامية من خلال العادات والتصرفات التى لمستها من الأمثلة الحقة للدين الإسلامى. وهنا بيت القصيد حيث بدأت المثل الصحيحة تتخذ قوالب محددة فى مخيلتى. فعلمت أننى لا مناص من أن أصبح مسلمًا حتى أؤكد اعتقادى فى الله.

ولما عدت إلى بلادى عقدت العزم على البحث عن مراجع أصلية لدراسة الإسلام، وأخذت أقلب فى شتى فهارس الكتب الأدبية حتى عثرت على عنوان لجمعية إسلامية تدعى «جمعية نشر الدعوة الإسلامية» فى لاهور - باكستان. ولما راسلتها تسلمت عدة مؤلفات تعرض الإسلام فى صورته الناصعة النقية، فشرعت فى الكتابة إلى داعية مسلم طيب أعرفه فى الولايات المتحدة الأمريكية، ومن خلال ذلك المثل الصالح والقدوة الطيبة للعقيدة الإسلامية وقر فى قلبى الإيمان الصادق برسالة الله - الإسلام.

مَعْنَى الإِسْلَام :

هكذا أصبحت مسلمًا .. وحتى أبين لماذا؟ لابد لى أن أناقش بعض المبادئ والشعائر الإسلامية. إذ بعد أن نفهم حقيقة الإسلام يسهل علينا أن نعرف السبب الذى يجذب الإنسان للانضواء تحت لوائه. فكل مسلم يعرف أن الإسلام معناه الخضوع والإذعان الكامل لمشيئة الله. فعندما نولد نكون مسلمين. ولكننا بعد ذلك نترك سبيل الله ونتبع السبل المضلة المفرقة، والإسلام دين الفطرة. وكل مولود يولد على الفطرة قبل أن يشب عن الطوق لنفرض عليه عقيدة أخرى تتنافى وإرادة الله. ويمكن القول بأن الصخور والشجر مسلمة لأنها تخضع لسنة الله فى الخلق. ومن ذلك نعلم أننا إذا سعينا إلى صرف المسلم عند عقيدته ودينه وشده إلى أية ملة أخرى فمعنى ذلك أننا نتدخل ضد سنة الله الفطرية. ولابد للفطرة أن تغلب وتنتصر ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] (١).

تَجْرِبَةٌ نَيِّرَة :

كانت الشمس قد مالت عن الزوال، وبينما كنا نمشى عبر الطريق الحار المغبر سمعنا غناءً رتيبًا عذبًا غريبًا يملأ الجو حولنا، ولما دخلنا وسط مجموعة من الشجر وقعت

(١) مترجم عن مجلة يقين الدولية - الباكستانية عدد ٢٢/١٢/١٩٦٨م.

أبصارنا على مشهد غريب معجب لم تصدقه عيوننا. فهناك رأينا رجلاً عربيًا أعمى، يرتدى ملابس بيضاء نقية وعلى رأسه عمامة بيضاء كذلك، كان الرجل واقفًا على برج خشبى عال يكاد يقرع السماء بترنيمه الساحر، فجلسنا دون أن نشعر بذلك وقد أخذنا بإيقاعه الغريب وكأنه يصدر عن شبح، لم نكن نفهم الكلمات التى كان يرددها ولكن سحرها انساب إلى آذاننا وقلوبنا: الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله!

صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ:

قبل ذلك لم نكن نشعر بأى شيء يجرى حولنا، أما الآن فقد بدأنا نرى أعداداً كبيرة من الناس يتجمعون، إنهم أناس من مختلف الأعمار يرتدون ألوانًا شتى من الملابس، ويمثلون كافة قطاعات الحياة. لقد أخذوا يقتربون من المكان بانكسار ينم عن خشوع، يفرشون الحصر الطويلة على الأرض. لقد كان مشهداً ممتعًا حقًا يجمع تناقض الألوان، خضرة الأعشاب واصفرار الحصر. وظلت جموع الناس تفد إلى المكان حتى بدأنا نعجب: هل يا ترى سيتم التئام الجمع المحتشد!!

كان الناس يخلعون أحذيتهم أو نعالهم وينتظمون فى صفوف طويلة الواحد منها وراء الآخر. وقد أثار دهشتنا ونحن نرقبهم فى صمت أنه لا توجد فوارق من أى نوع بين أفراد هذا الاجتماع، فلقد كان البيض والصفر والسود، إلى جانب الفقراء والأغنياء، والشحاذين والتجار يقفون جنبًا إلى جنب دون أدنى التفات إلى العنصر أو المكانة الاجتماعية فى الحياة، ولم يحدث أن رجلاً واحداً من ذلك الجمع الحاشد رفع ناظريه بعيداً عن الحصير المفروش أمامه مباشرة.

إن روح الأخوة التى تجلت فى ذلك الجمع المتباين من الناس قد تركت انطباعًا لا يمكن أن يمحى من نفسى ما حييت. فقد انقضى الآن قرابة ثلاث سنوات على ذلك الحدث منها سنتان كنت فيها مسلمًا، وما زلت أجدنى وقد استيقظت أحيانًا فى منتصف الليل لأستمع وأصغى من جديد إلى ذلك الحداء الجميل الشجى، ولأرى ثانية أولئك الرجال الذين تجلت فيهم الصفات الحقيقية لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأخلصوا فى اتجاههم إلى الله.

❁❁❁

كوريا:

٣٧- عبد العزيز كانجولى

(مسلم جديد من كوريا الجنوبية)

مُقَدِّمَة:

كوريا الجنوبية عبارة عن جزء من شبه الجزيرة الكورية التى كانت ضمن الامبراطورية اليابانية طوال الفترة ما بين عام ١٩١٠ - ١٩٤٥م. ولما انتهت الحرب العالمية الثانية قسمت كوريا إلى دولتين هما كوريا الشمالية، وهى دولة شيوعية، وكوريا الجنوبية وهى دولة مستقلة. ويبلغ عدد سكان كوريا الجنوبية أكثر من ثلاثين مليون نسمة، وعاصمتها سيئول.

أما عن النشاط الإسلامى فى كوريا الشمالية فليس فيها أى نشاط يذكر، تبعًا لانتشار المبدأ الشيوعى فيها، الذى يتسم بالدكتاتورية والإرهاب الفكرى فلا يسمح لأى مبدأ آخر بمنافسته.

أما فى كوريا الجنوبية فهناك نواة للنشاط الإسلامى، إذ اهتدى إلى الإسلام عدد من الكوريين معظمهم من المثقفين والجامعيين. وذهب عدد منهم إلى الأقطار الإسلامية الأخرى لدراسة الإسلام فى جامعاتها. وعاد بعض هؤلاد إلى كوريا لنشر الإسلام فيها، ومن هؤلاء الحاج محمد وى والحاج صبرى سوه وغيرهم.

وهناك مشروع مركز ومسجد إسلامى بالإضافة إلى مدرسة إسلامية فى سيئول العاصمة، وقد جمعت التبرعات الكثيرة للمشروع من بعض الدول العربية والإسلامية، كما حيزت قطعة الأرض اللازمة له، وتمت ترجمة بعض الكتيبات المبسطة عن الإسلام إلى اللغة الكورية، وأخيراً تم تفسير معانى القرآن الكريم إلى تلك اللغة. وهناك أمل كبير فى انتشار الدعوة الإسلامية ودخول الإسلام إلى قلوب الكوريين، فكوريا تخلو

من أى دين تقريبًا، وهى لذلك تعتبر تربة خصبة لانتشار الإسلام. ويبلغ عدد المسلمين الجدد فى كوريا الجنوبية حوالى عشرة آلاف مسلم كورى فى وقتنا هذا: (١٩٧٥م).

فهلا ينشط المسلمون لتقديم العون المادى والأدبى لإخوانهم فى كوريا وغيرها من البلاد التى بها أقليات مسلمة كاليابان مثلاً؟ حتى يتمكن الإخوة المسلمون الجدد من الثبات على دينهم ونشره بين أبناء وطنهم؟ إذ بهذا النور الربانى وحده - الإسلام - يستطيع المسلمون أن يخدموا العالم كله، وأن يقهروا الطغيان لا بقوة السلاح ولكن بقوة الإيمان ونور الإسلام.

بِدَايَةُ الْقِصَّةِ:

والآن إلى قصة الأخ عبد العزيز كانجولى:

كان كانجولى شابًا جامعيًا كوريًا يبلغ السادسة والعشرين من عمره، قدم إلى الكويت ومعه زوجته المسلمة الكورية (زينب) التى تزوجته حديثًا. وكان العروسان يقيمان مؤقتًا عند الداعية الباكستانى السيد محمد جميل، الذى سبق أن تعرف عليهما فى كوريا كلاً على إنفراد، وأسلم الاثنان على يديه، وهو الذى زوجهما من بعضهما البعض، كما أحضرهما تحت إشرافه إلى الباكستان لدراسة الإسلام.

وكان كانجولى يدرس «الإدارة العامة» من قبل بجامعة سول بكوريا الجنوبية، وقد نشأ فى أسره راقية فأبوه طبيب، وكان الطالب الجامعى شديد الاهتمام بالتنظيمات السياسية الطلابية، وكان من أجل ذلك موضع اهتمام أساتذته، وقد انتخب رئيسًا للنشاطات الطلابية فى الجامعة المنبثقة عن اتحاد الطلبة الجامعيين بجامعة سول، الذى كان يضم فى عضويته عشرين ألف طالب، وكان للاتحاد المذكور نشاطات مختلفة ثقافية وسياسية وغيرها.

وفى عام ١٩٦٦م كان كانجولى طالبًا فى السنة النهائية، وبصفته مسؤول عن النشاطات الطلابية فى الجامعة التقى بالسيد محمد جميل الداعية الإسلامى المتجول، كان ذلك أول لقاء بينهما، وبعد تبادل عبارات التعارف قامَ كانجولى بدعوة السيد جميل لإلقاء كلمة عن الإسلام أمام طلاب الجامعة، فلبىّ السيد جميل الدعوة، وحدد موعد للمحاضرة وجاء إليها جمع غفير من الطلاب، وكان السيد كانجولى يتولى إدارة الندوة فقدّم المحاضر بقوله:



- يتحدث إليكم رجل وقور عن دين لا تعرفونه .. إنه دين الإسلام، وإننى أدعوكم باسم اتحاد طلاب الجامعة أن تنصتوا إلى المحاضرة بكل تدبر واهتمام، وذلك من باب التعرف على هذا الدين.

وتحدث السيد محمد جميل عن الإسلام بلغة إنجليزية سهلة مفهومة واضحة، وكان يعقد مقارنات علمية بين الإسلام وغيره من الأديان السائدة فى العالم ، ويستعين بإحصاءات علمية دقيقة مما جذب اهتمام الطلاب إليه، وما كادت المحاضرة تنتهى حتى أقبل الطلاب بأسئلتهم الكثيرة عليه. وكانت ندوة ناجحة وعلق كانجولى فى ختام المحاضرة بقوله:

- وهكذا استمعتم أيها السادة إلى كلمة موجزة عن الإسلام .. ذلك الدين الذى يجهله أكثر الناس هنا فى كوريا، لا بل إن بعضهم لديه فكرة خاطئة مشوهة عنه، ولنا لقاءات أخرى مع السيد جميل.

***

وأشد من تأثر من محاضرة السيد جميل هو (كانجولى) الذى أقبل عليه بعد المحاضرة قائلاً:

- كانجولى .. لقد أصبحت تدعو معى إلى الإسلام .. وضحك الصديقان. ثم افترقا على خير ما يفترق الأصدقاء ..

صداقة ودعوة وإسلام:

وهكذا انعقدت صداقة متينة بين الاثنين تمت بعدها عدة لقاءات أدت إلى اقتناع كانجولى بالإسلام، فرضية لنفسه دينًا، وكم كان سرور السيد جميل عظيمًا حين آنس من كانجولى ذلك فأسلم على يديه، وسماه باسم «عبد العزيز كانجولى».

واستأنف عبد العزيز دراسته الجامعية حتى حصل على البكالوريوس فى الإدارة العامة فى شهر فبراير من عام ١٩٦٨م. ولما تخرج أخذ يعمل فى وكالة سفريات فى سول واستمر يعمل بها حتى شهر أكتوبر ١٩٦٨م.

وعاد السيد محمد جميل إلى كوريا للاطمئنان على البذرة التى غرسها، والاطلاع على أحوال أخيه الجديد فى الله «عبد العزيز كانجولى»، ولما التقى الاثنان ثانية فى شهر يونيو عام ١٩٦٨م دعا الأول أخاه المسلم إلى دراسة الإسلام فى باكستان تحت

إشرافه الشخصى، فرحب عبد العزيز بذلك واستقال من عمله وذهب إلى باكستان فى شهر فبراير ١٩٦٩م. والتحق بجامعة كراتشى للدراسات العليا، وكان لا يزال أعزبَ.

وفى المساء كان عبد العزيز يدرس الإسلام فى جمعية القران الكريم التى يرأسها السيد محمد جميل، كما رتب له الأخير مدرسًا خاصًا لذلك. وفى شهر سبتمبر عام ١٩٧٠م عاد عبد العزيز إلى بلاده للزواج. فتزوج من فتاة مسلمة تدعى زينب .. وهى التى قدمنا الحديث عنها. وهى فتاة جامعية حاصلة على ليسانس فى اللغة الإنجليزية من جامعة سول.

وعاد الزوجان إلى كراتشى تحت إشراف أبيهما الروحى، إذا جاز التعبير. فأخذت زينب تدرس فى جامعة كراتشى لنيل الماجستير فى اللغة الإنجليزية، هذا بالإضافة إلى تعميق دراستها الإسلامية فى جمعية القرآن الكريم.

وبعد، فإن الأخ عبد العزيز سيتخرج قريبًا من جامعة كراتشى وقد جاء إلى الكويت على أثر الحرب الهندية التى شنت ضد باكستان الشقيقة، وسيعود إلى كراتشى بصحبة السيد محمد جميل.

تَنظِيمُ الدَّعْوَةِ:

وقد سئل عن أسرته وهل أسلم أحد من أفرادها غيره؟

فأجاب: بأن والده الطبيب قد التقى بالسيد محمد جميل الذى عرض عليه الإسلام وعلى والدته، فأبديا احترامهما لهذا الدين وأعربا عن تقديرهما للجهود التى بذلها الشيخ جميل لتربية ولدهما، كما أبديا رضاهما الكامل عن ذلك. ولكنهما اعتذرا عن الإيمان بهذا الدين فى الوقت الحاضر بسبب ضغط التقاليد الكورية التى عاشاها سنوات طوالاً، إذ ليس من السهل على أمثالهما من الكبار فى السن أن يهجرا تقاليد بلادهما مثلما يفعل الشباب الغض.

كما سئل الأخ عبد العزيز عن أمله؟

فقال: إن أملى أن أعود إلى كوريا فى أقرب فرصة بعد الفراغ من دراستى لأنظم العمل للدعوة الإسلامية، لأننى أؤمن أن التنظيم أهم أسباب النجاح، وأعتقد أن من السهل جداً انتشار الإسلام فى كوريا الجنوبية بسبب الفراغ الروحى فيها. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

❊❊❊

أمريكا :

٣٨- عبد الله بنيامين
(يهودي) أسلم

هذه قصة شاب أمريكي يهودى الديانة اعتنق الإسلام فى قلب أمريكا ، وقصته تستوجب الحديث عن اليهود وموقفهم من الإسلام:

معجزة القرآن

سئل الأخ عبد الله عن فكرته فى سبب اهتمام القرآن الكريم بذكر اليهود ، فهم من أكثر الأقوام ذكراً فى القرآن الكريم؟ وكان الجواب:

إن هذه معجزة من معجزات هذا القرآن، فالله العليم الخبير مُنزل هذا الكتاب يعلم أن أشد الناس عداوة للمؤمنين إلى يوم القيامة هم اليهود ، لذلك كان لا بد من التحذير منهم وبيان ما غَبَرَ من تاريخهم وموقفهم من أنبيائهم، وتاريخ اليهود مع الإسلام أكبر شاهد على خصومتهم الشديدة للإسلام ونبيه، فقد تآمروا على الرسول ﷺ وحاولوا قتله، وخانوا العهود التى أبرموها معه، ونصروا الكفار عليه، فكان جزاؤهم الطرد والتشريد والقتل لمحاربيهم، وهذه هى اللغة الوحيدة التى يفهمها اليهود ، وكان رسول الله ﷺ يناديهم وهو يحاصرهم فى حصونهم: «يا أحفاد القردة والخنازير، انزلوا »، ولن يعصم المسلمين اليوم من كيد يهود إلا تمسكهم بالقرآن الكريم، وعودتهم الصادقة إلى الإسلام من جديد.

دراسة ثم إسلام :

سئل الأخ عبد الله عن تاريخ اعتناقه للإسلام؟ فقال:

كان ذلك فى مكتب رابطة العالم الإسلامى بنيويورك عام ١٩٧٧ ، أمام الشيخ سليمان بن منيع نائب مدير إدارات البحوث والإفتاء بالسعودية، والشيخ محمد بن ناصر العبودى أمين الدعوة الإسلامية فى الرياض.

لقد درست جميع الأديان وكان اقتناعى بالدين الإسلامى لأن الدعوة الإسلامية دعوة

عالمية، ولأن الإسلام أقام نظامه على أساس أن الناس جميعًا أمة واحدة، كما أنه أعلن موقفه بكل وضوح من جميع مشكلات الإنسان، فأعلن أن صلة الإنسان بربه أساسها الإيمان والتقوى، وأن صلة الإنسان بأخيه أساسها البر والأخوة، وأن صلة الإنسان بحاكمه أساسها السمع والطاعة فيما أحل الله، وأن صلة الحاكم بالمحكومين أساسها العدل والمساواة.

ويضيف الأخ عبد الله بنيامين قائلاً: لقد أكثر القرآن من الحديث عن اليهود لأن تاريخهم امتد زمنًا طويلاً، فتعاقب فيهم كثير من الأنبياء، ولم يستأصلهم الله كما استأصل أقوامًا كثيرة غيرهم، وإن كانت جرائمهم وآثامهم لا تقل عن جرائم من سبقهم من الأمم الضالة، إذ ظلوا يحاربون الله ورسله، فحاربوا عيسى عليه السلام، وزعموا أنهم صلبوه، وحاربوا محمداً ﷺ ولكنه هزمهم فى النهاية.

تحريف الكتب الإلهية:

بعد ذلك سئل الأخ عبد الله عن رأيه فى التوراة الحالية المتداولة اليوم بين اليهود ؟ فقال:

إن التوراة تعتمد على أسفار خمسة يسندها اليهود إلى موسى عليه السلام، ولكن الواقع التاريخى ينقض هذا القول من أساسه، لأن الأسفار الخمسة التى هى التوراة كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان. قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ صدق الله العظيم [البقرة: ٧٩].

والبراهين على ذلك تأتينا أيضًا من النصوص ذاتها، فهناك الازدياد التدريجى للشرائع الذى سببته مناسبات عصر (القضاة) ثم عصر (الملوك)، وهناك أسماء قبائل ومدن تتحدث عنها التوراة ولم تكن موجودة فى عهد موسى، أضف إلى ذلك النصوص التى تحدثنا عن وفاة موسى، وأنه لم يعد يوجد إنسان يعرف مكان قبر موسى عليه السلام[1].

(١) نؤمن – نحن المسلمين – بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وأن أصولها باقية، ولكن وقع فيها كثير من التحريف والتغيير الذى يتحدث عنه (عبد الله بنيامين) هنا، والله أعلم.



كتبوها بأيديهم ونسبوها لموسى عليه السلام:

وللمرء أن يتساءل: فمن أين جاءت التوراة الحالية؟

والجواب هو لا بد أن نعود إلى فترة ما بعد الغزو البابلى لمملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م. إذ عندما حمل الأسر البابلى أعضاء بيت يهوذا إلى بابل، لم يسعهم إلا الجلوس على ضفة الفرات يبكون ويتباكون على حالهم، فجرت أقلامهم بخيال محموم، وكتبت هذه الأسفار الخمسة التى يجرى فيها شريان واحد ينتقص سائر بنى إسرائيل بينما يمجد يهوذا، وهذا الشريان هو الذى ينبض ببدعة الأرض الموعودة كأرض أبناء يهوذا يرثونها وحدهم، فهذا الوعد كان حلم هؤلاء المبعدين فى الأسر البابلى، وحتى يضفوا صفة شرعية على هذه الدعوى رأى مؤلفو هذه الأسفار أن يكون الوعد سابقًا للعهد الذى يعيشون فيه، فبدأوا بإبراهيم عليه السلام، وجعلوا هذا الوعد يأتى إليه بادئ ذى بدء، ثم تسلسلوا به حتى أوصلوه لأنفسهم، إذ حولوه من إبراهيم إلى إسحق إلى يعقوب الذى هو إسرائيل، ومنه لابنه الرابع يهوذا الذى هو جدهم، ولكى يضفوا القدسية على الوعد، نسبوا تلك الأسفار التى كتبوها بأيديهم إلى موسى، وقالوا إنها توراة موسى.

أساطير اليهود التي أقاموا عليها دولتهم:

ويرد هنا سؤال آخر وهو: كيف آمنت اليهود بهذه التوراة المفتراة على أنها هى توراة موسى عليه السلام؟

والجواب كما يقول الأخ عبد الله بنيامين هو: دعنا نعود إلى ما بعد الغزو الفارسى لبابل قبل الميلاد، هذا الغزو الذى أعاد اليهود إلى فلسطين، فحيث إن عودتهم هذه لم تعد عليهم بفائدة تذكر، وما أرادوه من إعادة دولتهم وبناء هيكل سليمان من جديد، من هنا كان استشعارهم بالحاجة إلى توثيق عرى الرابطة فيما بينهم، واضطلع (عزرا)[1] بهذه المهمة، فدعاهم إلى اجتماع عام، وناولهم هذه التوراة بعد أن قرأ عليهم النصوص الخاصة بالأرض الموعودة، فاحتضن كل يهودى هذه التوراة التى تمنحه فلسطين (من الفرات إلى النيل) لإقامة دولة إسرائيل عليها.

(١) عزرا كاتب التوراة هو أحد أحبار اليهود، وهو غير العزير الذى زعم اليهود أنه (ابن الله) تعالى الله.



ولنا أن نتساءل: هل حمل اليهود هذا الزعم خلفًا عن سلف؟

فكان جواب الأخ عبد الله: نعم، فبعد مذبحة اليهود فى روسيا، وكذلك فى ألمانيا النازية بدأت فكرة العودة تظهر على مسرح التاريخ الحديث، ووجد الغرب الصليبى المستعمر فى ذلك وسيلة لتحقيق غاياته العديدة، فساند الغرب اليهود إما خشية من مكرهم وإجرامهم وتجنبًا لأذاهم، وإما استغلالاً لأموالهم المودعة فى المصارف الغربية والتى بها يسيطر الغرب على مراكز الصناعة والتجارة والاقتصاد، وإما استجلابًا لأصواتهم فى المعارك الانتخابية، وإما لاتخاذهم مطايا للوصول إلى المآرب الامبريالية وإما لذلك كله. ومن هنا كان منطلق الحركة الصهيونية التى ارتكزت على شريعة التوراة المحرّفة فى دعوتها السياسية، تلك التوراة المزيفة التى كتبتها مخيلات اليهود فى ليالى المنفى البابلى.

البشارة بمحمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف:١٥٧] وقال النبى ﷺ مخاطبًا اليهود: «والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله وإنى لرسول الله، تجدون ذلك عندكم فى التوراة»، فهل يحدثنا الأخ عبد الله عن ذلك؟.

يقول الأخ عبد الله جوابًا على هذا السؤال:

الحديث فى هذا يطول، ولكنى سأوجزه، فقد جاء فى التوراة المتداولة أنه عندما طلب الله عز وجل من موسى عليه السلام أن يجمع بنى إسرائيل إلى جبل (حوريب) خافوا من الرعد والبرق، وطلبوا من موسى أن لا يحدث هذا مرة ثانية، وقالوا له: إذا أراد الله أن يكلمنا فليكلمنا بواسطة نبى يرسله إلينا، وقد استجاب الله لطلبهم ووعدهم بإرسال نبى إليهم مثل موسى لعلهم يسمعون ويطيعون،.

أوصاف النبي ﷺ:

وهناك نص فى التوراة يحدد تسعة أوصاف للنبى الآتى فى المستقبل وهى:

١- أنه نبى، ومحمد عليه الصلاة والسلام نبى.

٢- أنه من بين أخوة اليهود، ومحمد من بنى إسماعيل، وإسماعيل وإسحق أخَوَان.

٣- أنه مثل موسى، والتوراة ذاتها نصت على المماثلة فى أمور ثلاثة وهى: الآيات والمعجزات، واليد القديرة فى الحروب والانتصار، والمخافة والمهابة والعظمة فى قومه.

٤- وأنه نسخ شريعة موسى لقول التوراة «له تسمعون» وعيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى وإنما جاء مصدّقًا لها، أما نبى الإسلام فمصدق لها ومهيمن عليها.

٥- أنه نبى أمّىّ، لقول التوراة «أُلْقِي كَلامِي فِي فِيهِ» وهذه صفة واضحة فى نبى الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨] أما عيسى فقد كان كاتبًا وقارئًا وكان دارسًا للتوراة.

٦- وأنه أمين على الوحى لقول التوراة «فيكلمهم بكل ما أوصيته به» قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [يونس: ١٥].

٧- أنه يقضى على ملك بنى إسرائيل فى الأرض المقدسة وما حولها، والذى قضى على ملك بنى إسرائيل بالحرب هو نبى الإسلام.

٨- أنه لا يُقتل وسيدنا محمد توفاه الله، وأين هذه الصفة من زعمهم عن عيسى عليه السلام؟!

٩- وأخيراً أنه يتحدث عن أمور غيبية وعن مستقبل الأيام، وقد تم ذلك فى عدة مواقف.

تعليق المؤلف:

وبعد، فإن مظلة الإسلام التى تظل كل يوم قلبًا جديداً فى ظلال الإيمان من كل جنس ولون، والتى أظلت فى العام الماضى (١٩٧٩م) هذا الأخ الذى كان يهوديًا، فقد آوت من قبل كثيراً من اليهود الذين حسن إسلامهم على مر التاريخ. ومن أوائل هؤلاء

الحصين بن سلام حبر اليهود وعالمهم الذى كان فى المدينة قبل هجرة الرسول، ولما أسلم أصبح اسمه عبد الله بن سلام.

تروى لنا كتب الحديث النبوى والسيرة العطرة أن (عبد الله بن سلام) طلب من الرسول ﷺ أن يدعو زعماء اليهود إلى اجتماع، ويختبئ هو فى نفس المكان دون علمهم ليسألهم عنه وعن مكانته فيهم، ففعل، ولما سألهم الرسول عن عبد الله بن سلام قالوا: هو سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا.

فخرج إليهم عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. يا معشر يهود، أدعوكم إلى الإيمان به فإنكم والله تعلمون أنه الحق. فقالوا عن عبد الله بن سلام: هو شرنا وابن شرنا، وانصرفوا.

وهذه هى طبيعة اليهود فى كل زمان ومكان إلا من هدى الله منهم وحسن إسلامه.

❁❁❁

أمريكا:

٣٩- كريم عبد الجبار

(فرديناند ليو السندور سابقًا)

(أشهر لاعب كرة سلة)

على طريقة محمد على كلاى.. رياضى آخر من الزنوج يتحدى كراهية الأمريكيين البيض للسود فى أمريكا ويعتنق الإسلام. فمعلوم ما يواجهه بطل العالم السابق للملاكمة فى الوزن الثقيل من عقبات بسبب إسلامه وقوله: أنا من المسلمين. وهذا زنجى آخر من مشاهير لاعبى كرة السلة فى العالم يعتنق الإسلام.. إنه ليو السندور أفضل لاعب كرة سلة فى الولايات المتحدة الأمريكية والعالم. لقد أصبح اسمه الآن كريم عبد الجبار.

أين الحقيقة ؟:

- هل أنت ليو السندور؟
- لا! أنت غلطان.
- ظننتك السندور بسبب طولك ومشاهدتى إياك فى إحدى مباريات كرة السلة!
- لا لست أنا ذلك الذى تقصده.

أحدنا يسأل، والآخر يجيب بالنفى. وكلانا قال الحقيقة!

فالذى يجيب هو ليو السندور ذاته، لاعب كرة السلة الزنجى المشهور فى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن لماذا أنكر السندور ذاته؟

فى الواقع أن السندور لم ينكر ذاته، بل أنكر اسمه الذى تخلى عنه منذ ثلاث سنوات ونصف. ذلك أن فرديناند ليو السندور الذى تلقى علومه فى مدارس نيويورك شب على تعاليم الروم الكاثوليك، ثم اعتنق الإسلام وغير اسمه قانونيًا فصار اسمه الجديد: كريم عبد الجبار.

لماذا؟

عنصرية الألوان الظالمة:

يبدأ كريم عبد الجبار بسرد فقرات من حياة ليو السندور: «كنت أشعر فى كل لحظات حياتى أنى غير مقبول فى هذا العالم لكونى أسود. كانوا يذكروننى دائمًا فيقولون بأننى زنجى. حتى مدربى فى مراحلى الأولى فى لعبة كرة السلة كان يقول لى دائمًا:

- ما زلت تلعب كأى زنجى قذر!

وفى أيام الجامعة كانت إحدى الفتيات من الجنس الأبيض تخرج معى، وكنت أتلقى مكالمات هاتفية بسبب ذلك يقول أصحابها لى:

- أنت عبد قذر!!

وكانت الفتاة تتلقى مكالمات بذيئة!!

وفى إحدى الأمسيات كنت أستقل سيارة فارهة بصحبة اثنين من السود، فاستوقفنا رجال الشرطة وفتشونا بدقة.. وعندما سألتهم عن السبب؟! قالوا أنهم اشتبهوا بنا لأنهم لم يعتادوا رؤية السود فى سيارة فخمة إلا إذا كانت السيارة مسروقة..

هذه الحوادث.. وحوادث غيرها كثيرة جعلتنى أكره البيض قسراً، حتى إننى تشاجرت مرة مع والدتى لسبب من الأسباب، فصرخت فى وجهها قائلاً:

كنت أتمنى لو لم يكن فيك نقطة دم بيضاء واحدة، لأننى أكره كل البيض فى العالم!! (بشرة والدته لم تكن سوداء كثيراً).

الإسلام يسوى بين البشر:

وبسبب ذلك الشعور المفروض علىّ من المجتمع الأبيض انسحبت من الحياة الاجتماعية، وأصبحت من المؤمنين بتعاليم ما لكولم أكس[1]، ومنذ ذلك الوقت اعتنقت الإسلام لأنى آمنت بهذا الدين الذى يستطيع فيه الناس أن يعيشوا بإخاء حقيقى.

---

(١) ما لكولم أكس أو (مالك شباز) شهيد من شهداء كلمة الحق. كان فى مبدأ حياته أحد زعماء حركة المسلمين السود فى أمريكا التى تسمى نفسها اليوم (أمة الإسلام) وهى جماعة يتزعمها شخص يدعى أليجا محمد، يقول أتباعه بأنه رسول الله إلى المسلمين السود فى أمريكا مثلما كان موسى رسول الله إلى اليهود، وعيسى رسول الله إلى النصارى، ومحمد ﷺ رسول الله إلى العرب على حد زعمهم.=

وهل أنتهت متاعب كريم عبد الجبار بعد الإسلام؟

لقد زادت على متاعب الزنجى، متاعب كريم لأنه غيّر دينه. فأخذ البعض يصرخون:

- أيها القزم الحقير ما زلت السندور. جبار جبار إنّك لا تساوى شيئًا!!!

حتى الصحافة لم أنج من تهجمها، ولكن الآن أصبح الجميع مقتنعين أن اسمى الجديد هو اسمى الحقيقى.

***

قد لا يكون كريم عبد الجبار محبوبًا من جميع الناس، لكن الجميع يعرفون أن ذلك الشاب البالغ من العمر ٢٤ ربيعًا، قد أثبت جدارة أنه أحسن لاعب كرة سلة فى العالم وذلك عندما حاز على لقب أحسن هداف ونال لقب أحسن لاعب، وجعل الجميع يعترفون بأنه يحمل وحده على اكتافه نادى (مليوكى باكس) بل منظمة كرة السلة الأمريكية كلها.

ذلك أن كريم يستحوذ على إعجاب ١٧ فى المائة من المتفرجين. ورغم أن أولئك المتفرجين يكرهونه لأنه أسود، فإنهم يصفقون له لا شعوريًا عندما يخلص فريقهم من المأزق ويقوده إلى النصر. حتى أنه عندما امتنع عن الاشتراك فى الألعاب الأولمبية الأخيرة تلقى تهديدات عديدة بالقتل.

وفى مكتب نادى (مليوكى باكس) يتولى رئيس النادى (زاى باترسون) الحديث عن كريم وفوق رأسه لوحتان زيتيتان له:

«إن ما يقال عما فعله كريم لمستقبل النادى يجب أن نضاعفه ألف مرة حتى يستوفى

= كما تؤمن هذه الحركة التى لا تزال فى أمريكا حتى يومنا هذا أن الله قد ظهر لزعيمها أليجا محمد فى صورة رجل يدعى فارد، فكلفه بالرسالة ثم اختفى.. يمكن مراجعة ذلك من صحيفة الحركة بالإنجليزية وتسمى (محمد يتحدث).

أما مالكوم أكس فقد زار البلاد العربية لأداء فريضة الحج، فأنعم الله عليه بالهداية الحقة، وصحح إيمانه وعقيدته، وعاد إلى بلاده فأخذ يدعو قومه إلى الإسلام الحق. فآمن بدعوته الصحيحة عدد قليل من الشباب منهم أخونا كريم عبد الجبار. لكن الأغلبية ظلت على تبعيتها للزعيم أليجا محمد، فأخذت تكيد له حتى قتل على يد خصومه وهو يخطب. فرحمه الله رحمة واسعة. لكن حركته الصحيحة لم تمت بموته إذا لا تزال تنمو فى صفوف الشباب.. (وانظر قصة إسلامه برقم ٤٥) المؤلف.

قليلاً من الواقع. ذلك أن النادى فى السنة الأولى التى انضم إليه فيها كريم لم يبرز كما يجب. ولكن فى نهاية عام ١٩٦٩ وطوال موسم ١٩٧٠م فاز النادى بجائزة فلتة الموسم. وفى الموسم الماضى فاز بـ ٦٦ مباراة من ٨٢ مباراة. وبعد ذلك فاز ببطولة العالم.

ويجب القول أن النادى صار يربح ٨٦٥ ألف دولار كل موسم منذ قدوم كريم إلينا. وإنى لا أستبعد أن تتحقق نبوءات النقاد الرياضيين بأن نادينا سيصبح أحسن فريق عرفه تاريخ كرة السلة إذا بقى كريم معنا».

أما مدرب النادى كوستلو فيقول عن كريم:

«إنه بدون جدال أعظم لاعب رأيناه حتى اليوم. إن وزنه اليوم ١١٠ كيلو جرام، وطوله ٧ أقدام وبوصتان - أى متران و١٨ سم. وإنى أعتقد أن المجال ما يزال مفتوحًا أمامه ليصبح لاعب كرة سلة خارقًا».

آفاتُ المجتمع :

ثم يتولى كريم عبد الجبار الحديث عن نفسه ثانية فيقول:

نشأت فى عائلة محافظة جداً. والدى كان خريج معهد جوليور للموسيقى، لكنه عمل كمراقب لقطارات المترو. ففى ذلك الوقت لم يكن هناك عمل له كقائد أوركسترا لأنه زنجى!!

أنا إنسان حساس، كثير التأمل، لم تمنعنى الثروة والشهرة اللتان عرفتهما فى سن الخامسة عشرة من التفكير دائمًا:

بأن (العنصرية، والجوع، والنفاق) آفات المجتمع الذى أعيش فيه. لقد كنت ألاقى الصعوبات بسبب التفرقة العنصرية، وكانت النار لا تنطفىء فى داخلى، تشعلها هذه العيوب، لأجل ذلك كنت أفضل البقاء وحيداً إلى أن اعتدت الوحدة، ومكتفيًا بأن أعيش مع أهلى فقط ومع كرة السلة...

إنى أعشق كرة السلة لأنها نوع من الفن، ثم إنها طريقة جيدة لكسب العيش -أليس كذلك؟ باسمًا - فهو يتقاضى مليونًا ونصف المليون دولار سنويًا. هوايتى هى سماع الجاز. أنام ١٢ ساعة وأحلم كثيراً. وكل أحلامى بالألوان! ليس لى أصدقاء

كثيرين. وأنيسى الأول والأخير هو الله، ثم زوجتى (حبيبة) - عمرها ٢٤ سنة، وقد تزوجتها فى شهر أيار الماضى. معها أقضى أوقات اللهو، فهى التى طردت الوحشة من حياتى.

أحب عمل الخير. لقد اشتريت منزلاً فى واشنطن فى الربيع الماضى ثم قدمته إلى الوقف الإسلامى هناك. واشتركت لمدة طويلة فى برنامج يهدف إلى منع الصغار من تعاطى المخدرات، لكنى تركت ذلك العمل لأن اثنين من العاملين معى اعتقلهما رجال البوليس بتهمة الاتجار فى المخدرات[١].

❊❊❊

(١) نقلاً عن ركن الرياضة من مجلة الأسبوع العربى الواسعة الانتشار فلطفاً نستأذن فى نشرها.



إنجلترا :

٤٠- خالد ج. س بروندیش

مُقَدِّمَة :

خالد ج. س بروندیش مسلم جدید من مدینة داربی بإنجلترا، أسلم علی ید شاب باکستانی فی شهر یونیو من عام ١٩٦٧م، وأخذ یعیش وفق التعالیم الإسلامیة، وله مراسلات مع کثیر من الشباب المسلم فی العالم. وکله أمل أن یعینه الله علی الثبات علی هذا الدین الحنیف.

وهو رجل حساس، رزق رقة العاطفة، وشفافیة الحس، ونصاعة الفطرة، تعرض لامتحانات کثیرة وتجارب جمة کانت نهایتها دخوله فی دین الله. فسبحان الله رب العالمین.

والآن لنستمع إلیه یحدثنا بنفسه عن حیاته.

رِعَایَةُ اللّٰهِ لِی :

لعل القارئ الکریم یُحس معی أن ید الله تعالی ظلت ترعانی منذ عهد طفولتی المبکرة.

* فقد کنت واحداً من أربعة أخوة، وکنت الوحید الذی تم (ختانه) بینهم. فهل کان یا تری تبعًا لتأثیر الیهود؟ حیث کان والدی یخالطهم رغم إلحاده.

* ولما بلغت السابعة عشر من عمری قدم لی شاب ألمانی یهودی نسخة من الترجمة المحرفة لمعانی القرآن. والسؤال المحیر هو: لماذا لم أقرأ منها إلا النزر الیسیر؟! لقد عرفت الآن أن ذلك خیر. فقد صرفنی الله عنها لکونها علی تلك الحال التی ذکرت.

* لقد نشأت نشأة نصرانیة، وکنت أذهب إلی مدرسة نصرانیة ومع ذلك کنت أخالط الیهود، إلی درجة أننی کنت أرافقهم فی الذهاب إلی معابدهم وحضور حفلات الزفاف،

وتعلمت الطقوس المناسبة الواجب أداؤها فى تلك المناسبات، وقد حسب البعض أننى شاب يهودى حقًا فدعانى إلى التزوج من فتاة يهودية. فقلت له: لست يهوديًا. فأجابنى بقوله:

- ولكن يمكنك أن تتزوجها وتصبح يهوديًا.

وأغريت بالمال فلم أستجب. ترى هل كانت عناية الله هى التى تمنعنى من اغتنام تلك الفرصة التى يتمناها الكثيرون للثراء؟ لقد كنت - بفضل الله - صنفًا فريداً من الشباب. فلم أكن أطمع فى شىء من مغريات هذا العالم المادى. لذلك لم أرضخ للإغراء مهما بلغ.

* ولما كنت فى الحادية والعشرين من عمرى مالت نفسى إلى اعتناق الديانة الكاثوليكية، وورد فى خاطرى حينئذ أنه إذا كانت هناك كنيسة نصرانية بحق منذ العام الأول بعد الميلاد فالكنيسة الكاثوليكية بوسعها أن تزعم لنفسها ذلك، ومن هنا آمنت بالكاثوليكية، لكن والدى الذى كان ملحداً فى ظاهر أمره، سرعان ما ثار ضد هذا التصرف من جانبى، وطردنى من البيت، ومنع عنى الملابس والنقود، ولم يكتف بذلك بل حرض الآخرين على طردى من عملى إذ أنه كان يتمتع بنفوذ للقيام بذلك.

وهكذا ألقيت فى الشارع، فأخذت أنام فى حديقة عامة على أحد المقاعد الخشبية فيها، أغسل ثيابى فى نافورة بها، وأقتات كل يوم بإنفاق بضع ملاليم (بنسات) فلماذا أصبحت كاثوليكيًا؟ لم أكن مستعداً لطلب العون من أحد من البشر، واعتقدت أن الله لن يتركنى هملاً أذوق من العذاب أكثر مما أطيق. لا لن يهملنى ربى.

وهكذا كان. فقد صادف أن شاهدتنى والدة صديق كاثوليكى لى فى الحديقة العامة أحاول الاغتسال فى النافورة فسألت عما كنت أفعل؟ فأخبرتها، مما جعل قلبها يغلى غليانًا. وتساءلت: أليس هناك أحد يقدم لك العون؟

وهكذا صحبتنى إلى بيتها كى أبدأ حياة جديدة. فحصلت على عمل أتقاضى منه مرتبًا ضئيلاً، وأخذت أكافح بغية أن أكسب المزيد حتى أتمكن من العيش عيشة لائقة. وقد نجحت فى تحقيق ذلك، فأصبحت أملك شقة لى وحدى، وأصبحت قادراً على الإنفاق على نفسى، والتصدق على بعض من هو أسوأ حظًا منى.



* ولعل الله عز وجل كان يختبرنى ليرى هل احتمل المزيد من الفتنة. من يدرى؟! إذ عندما وقعت الحرب فى الشرق الأوسط وذهبت إلى مصر سمعت عند مدينة السويس ملاحظات وتعليقات سيئة وجهها الأجانب ضد المواطنين المصريين. وكنت جنديًا إنجليزيًا فى الحملة الإنجليزية على مصر، فلست أدرى لماذا قلت لزملائى الجنود الإنجليز وصرخت فيهم قائلاً:

بالله عليكم هل تحبون أن يخاطبكم أحد بمثل ما تخاطبون به هؤلاء القوم؟.

* وذات مرة أخذ بعض الموظفين الإنجليز ليشاهدوا المساجد فى القاهرة، وأعطى كل منهم نعلاً يرتديه فوق حذائه، فلماذا أبيت ذلك وخلعت حذائى وتركته فى الخارج تمامًا كما يفعل المواطنون؟ إنها هداية الله كذلك.

وذات يوم ذهبت إلى المسجد الأقصى فى مدينة القدس ونزعت حذائى وتركته خارج المسجد وذهبت وحدى إلى مكان منعزل وجلست فى سلام مع أفكارى، ومع الله. ولم يسألنى أحد، لماذا تجلس أيها الإنجليزى وماذا تفعل هنا؟ لماذا لم يتساءل، لماذا؟ ألا تحدثوننى يا أخوتى ألا تمدون إلى يداً بالأخوة، فأنا رجل إنجليزى أبحث عن شىء ما، لا أدرى ما هو؟!

الطريق إلى الإسلام:

ثم عدت إلى وطنى، وتزوجت وأصبحت مسئولاً عن أسرة كبيرة، فتلاشت تلك الخواطر تمامًا. إلا أن شيئًا غريبًا حدث ذات يوم، فقد كنت أفتش فى إحدى المكتبات المحلية عن كتاب مسلّ إذ وقعت يدى على كتاب شاب يهودى المولد، نشأ فى مدينة القدس القديمة، يقول الكاتب:

إنه كان يعجب لماذا كان يمنع من التحدث إلى الصبية العرب الذين كانوا يلعبون ويمرحون فى الخارج.. فى الحارة نفسها؟ لماذا جعله الله مختلفًا عنهم؟ هل هم خلق من نوع مختلف؟ أبداً، كل ما فى الأمر أن أبويه قالوا له ذلك. وهكذا اكتشف الإسلام، وهو بسبيل البحث عما إذا كانوا مختلفين عنه حقًا. أليس إله اليهود وإله النصارى وإله المسلمين إلهًا واحداً؟

ومضت أعوام، حتى جاء عام ١٩٦٧، وكنت فى تلك الفترة مهتمًا بفن المعمار العربى والحضارة العربية، فى ذلك العام قرأت فى إحدى الصحف المحلية خبراً مفاده أن الجمعية الإسلامية ستعقد اجتماعًا تدعو إليه كل من يهتم بذلك. فشعرت أننى من المهتمين وهكذا توجهت لحضور الاجتماع، وكنت الإنجليزى الوحيد بين الحاضرين.

بدأ الاجتماع بتلاوة من القرآن تلاها شاب باكستانى، ثم تحدث رئيس الجمعية حديثًا طويلاً باللغة الأردية لم أفهم منه بالطبع كلمة واحدة، إلا أننى كنت أحس أننى لست وحيداً. وكنت جالسًا فى المقعد الخلفى فى صالة الاجتماع، وكلما دخل أحد حييته بقولى: السلام عليكم، فكانوا يعجبون من أمرى.

وأخيراً انتهى الاجتماع وعدت إلى بيتى، وودعنى رئيس الجمعية إلى باب القاعة: وأعرب لى عن استعداده لتقديم أى عون، وزودنى باسمه وعنوانه للاتصال به عند الحاجة.

ومضت بضعة أيام كنت أحلق خلالها بفكرى بين السحب. فلم أكن أحس أننى أعيش على الأرض. حتى وجدت نفسى ذات يوم واقفًا أبحث عن الرئيس، ولما لم أجده تركت له رسالة قلت فيها: إننى فى انتظاره يوم الجمعة القادم ليلاً عند باب المسجد، أريد أن أدخل المسجد وأعيش بداخله، وجاء الموعد وانتظرت ساعات فى الخارج والمطر يصب فوق رأسى دون أن أبدى حراكًا. حتى جاء شابان فطرحت عليهما السلام فأخذا مدهوشين.. ثم أعدت السلام، فَرَدّاً على وأخذانى إلى مكان الطهور، وكان أول وضوء أمارسه، إذ لا بد من ذلك حتى أدخل المسجد.

جلست فى المسجد وهما يصليان، ولم أكن أفهم كلمة واحدة مما قالا، إلا أنه تملكنى شعور قوى. هل كان مجرد اهتمام بالصلاة؟ لا، بل أكثر من ذلك.

ثم أخذت أتردد مرتين كل أسبوع على المسجد، والتقى بالشابين وبدأ الاثنان يوقفانى معهما فى الصلاة، وكنت أمارسها معهما دون أن أفهم ما يقولان.

وبعد شهرين جاء إلى بيتى ذات مساء رجل قال إن الواعظ فى المسجد يريد أن يرانى، وكانت فى انتظارى عند الباب سيارة خاصة.

أنتَ الآنَ مُسلم:

وهكذا ذهبت إلى المسجد، وأخذت أردد «لا إله إلا الله.. محمد رسول الله». فقال لى القوم: أنت الآن مسلم، فاختر لنفسك اسمًا: ياسر أو خالد، فاخترت اسم خالد سيف الله. وهكذا خرجت من عزلتى وأصبح لى إخوة من كل جنس وفى كل قطر. ولا يستطيع أحد أن يقدر الصعوبات التى يواجهها المرء حين يتعلم الصلاة باللغة العربية. إلا إننى أتقدم مع مرور الزمن. ولكن ببطء.

أما عن الحاضر والمستقبل. فالمستقبل بيد الله والحاضر أتمنى أن أرى فلسطين الحبيبة وقد استعادها إخوانى من أيدى الغزاة الأجانب.

لم يكن إسلامى بالأمر الهين، فعندما اكتشفت زوجتى وأسرتى أننى اهتديت إلى الإسلام بدأت من جديد أقاسى، فكانوا يقولون لى: إن وجودك بيننا غير مرغوب فيه، وأن بوسعى أن أذهب لأعيش مع إخوانى المسلمين. لكن الأمر استقر حاليًا ورضى الجميع بالوضع الحاضر، إلا أن هناك بعض المشكلات لا تزال قائمة.

إننى أتوجه إلى ملايين من إخوانى الجدد أن يتوجهوا بالدعاء لى. أن يثبتنى الله على الدين، هذه الجوهرة الغالية.

❁❁❁

ألمانيا :

٤١- الحاج أحمد بن عبد الله

ديتريش فون دنفر سابقًا

مفكر ألمانى يستسلم للتوحيد(١)

البداية :

عندما كنت بعد يافعًا آمنت بتعاليم الديانة النصرانية، فلم أكن أرتاب فيها ؛ إلا إننى لما كبرت قليلاً فبلغت الرابعة عشرة من عمرى أو نحو ذلك، بدأت أفكر.

إننى أتذكر الآن أن أكثر ما كان يشوش تفكيرى ويشغل بالى لم يكن مجرد الزعم بأن المسيح عيسى عليه السلام هو (ابن) الله، مثلما يزعم النصارى، وإنما قولهم وادعاؤهم بأن أعدل العادلين وأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى قد قتل (ولده) بزعمهم وذلك لإنقاذ البشرية. لم يمكن فى مقدورى أن أبرر لماذا يقتل الله العزيز أحداً ما ؟ لا بل يقتل (ابنه) هو من أجل أن يغفر للناس اعتداءاتهم!!

صفات الإله الحق :

من هذا المنطلق بدأت أكوّن نتيجة هى أنه إذا كان هناك إله فليس هو الإله الذى تحدثنا عنه الديانة النصرانية، بل لا بد أن يكون الله فوق حاجات الناس ومفهومهم العقلى المحدود. ورغم ذلك بقيت أعتقد أن الله موجود لا محالة، إذ كنت أفكر دائمًا فى وجودى نفسه، وفى الطبيعة من حولى وفى الناس، وتطور البشرية من العصر الحجرى إلى عصر العقول الألكترونية.

(١) تحت هذا العنوان كتبت نشرة الجهاد الإسلامية الصادرة فى جنوب أفريقيا باللغة الإنجليزية قصة إسلام مفكر ألمانى. ونشرة الجهاد هذه تنطق بلسان حركة الجهاد الدولية التى تتزعمها مجموعة من المهتدين الجدد من الأوربيين وغيرهم الذين اهتدوا إلى الإسلام وأخذوا يعملون بحماس على نشره. وقد أحرزت الحركة نجاحًا ما فى هداية عدد من الشباب، وانتشرت لها فروع فى غانا وجزائر القمر وغيرها من البلاد الأفريقية المجاورة.



كنت أشاهد وأتأمل الثلج الأبيض يسيح بفعل أشعة الشمس الدافئة، وأرى الأزهار تتفتق وتزدهر بعد أن كانت مستورة وبعد أن كانت أزراراً خضراء، وكنت أشاهد الحشرات وهى تطير متنقلة من زهرة إلى زهرة تغذى نفسها، وفى الوقت ذاته تحفظ للأزهار بقاءها فتعمل كوسيط للتلقيح، لقد رأيت الإنسان نفسه وهو يعتمد على الحشرات والأزهار، فهو يأخذ العسل من الجهود المتضافرة التى تبذلها الحشرات كالنحلة مثلاً مع الأزهار، وهكذا يُخرج لنا العسل، لقد لاحظت أن الطبيعة كلها ليست إلا حلقات متعاونة يعتمد بعضها على بعض فى استمرار حياته وفى وجوده ذاته، وفهمت أن الإنسان أيضًا جزء من هذه السلسلة من الحلقات المتصلة، ولما كان الإنسان جزءاً من الطبيعة، ولما كانت الطبيعة ذاتها طيبة بعيدة عن الخبث فلا بد أن تكون فطرة الإنسان طيبة، لذلك فلا بد أن قصة قتل المسيح عليه السلام كلها من أجل خلاص الإنسان، لا بد أن هذه القصة مجرد خيال لا حقيقة وراءه.

فى هذه المرحلة من تفكيرى وعمرى تكونت فى ذاكرتى فكرة جلية واضحة عن الله، فكرة واحدة من بين صفات الله الكثيرة، تلك هى أن الله هو خالق هذا الكون كله، وأيقنت أن الإنسان عندما ينتكس ويصبح شريراً خبيثًا فإنه بذلك يكون متمرداً خارجًا على فطرته، وكان علىّ أن أعرف بنفسى مزيداً من صفات الله تعالى، وأن أتعرف على المزيد من جوانب فطرة الإنسان الحقة والمجتمع المثالى الذى يجب أن يعيش الإنسان فيه.

قراءات ورحلات :

هنا.. شرعت فى المطالعة والقراءة، فقرأت عن مختلف الديانات فوجدت منها ديانات بدون إله، وأخرى جاءت لقوم مختارين، وثالثة تؤمن بتعدد الآلهة، وتقيم مجتمعًا منافيًا لطبيعة البشر، أما الديانة النصرانية فقد نظرت إليها نظرة الشك منذ أمد بعيد.

فى تلك الآونة قرأت عن الإسلام، إلا أننى كَوّنت عن الإسلام رأيًا من خلال ما كُتب عن المسلمين فى العصور الوسطى، إذ شعرت أن المسلمين يمتازون بالعنف مثلهم فى ذلك مثل الصليبيين، وذلك بسعيهم لبناء إمبراطوريات بالدم والعرق الذى يبذله رجال رُحّل بسطاء ورجال فلاحون.

فى ذلك الحين، أى فى صيف عام ١٩٦٦ للميلاد ذهبت إلى تركيا وسوريا وأذكر أننى زرت مسجد السلطان أحمد فى أسطنبول، كما زرت قبر (الرومى) فى مدينة

(قونيه)، وكذلك زرت إفسوس (Ephcsus) وهى عبارة عن مكان أثرى للرومان، يقع على هضبة قريبة منه معبد صغير يقال إن العذراء مريم توفيت فيه.

وقد اكتشفت هنا شيئًا رائعًا ذلك أن النصارى والمسلمين وجدتهم يصلون سويًا فى نفس المكان، ولقد أحببت أن أصلى معهم، إلا أننى لم أكن أعرف الله مثلما عرفه الآخرون، إلا أننى دعوت الله الذى لم أكن أعرفه أن يغرس فى قلبى معرفته.

مَشْهَدٌ لا أَنْسَاهُ:

وبعد أيام قليلة وصلت إلى أزمير فشاهدت شيئًا لن أنساه أبداً ما حييت. رأيت فى وسط طريق رئيسى فى مدينة أزمير برجًا يقع على قطعة أرض صغيرة ومن حوله الأعشاب والأزهار، وحركة المرور قوية تندفع ذات اليمين وذات الشمال. نظرت وتأملت المكان فرأيت رجلاً يفرش سجادة للصلاة على الحشائش، ويرفع يديه إلى مستوى رأسه، ويسكن برهة من الزمن (ليست قصيرة)، ثم ينحنى عند خاصرته (يركع) ثم (يسجد)، بقيت أتأمل الرجل وأنظر إليه حتى طوى السجادة؛ وهمّ بالانصراف عند ذلك عبرت الطريق إليه وفى نيتى أن أسأله عما فعل، ولِمَ فعل ذلك؟ لكنه كان رجلاً مسنًا فلم أستطع محادثته بلغته (التركية) واكتفى بالابتسام لى...

على الرغم من ذلك.. ورغم أننى لم أحظَ بتفسير من الرجل ظلت الحقيقة واضحة فى ذهنى وهى:

أننى رأيت شخصًا يصلى فى منتصف النهار، وفى قلب المدينة لا بل فى قلب حركة المرور الدائبة المندفعة؛ لقد استقر فى اعتقادى أن هذا رجل يعرف ما يفعل ولولا ذلك لما فعله بهذه الطريقة بالذات، فقررت أن أعرف المزيد من الإسلام أكثر مما كنت أعرف عن هذا الدين من قبل.

دِرَاسَةُ الإِسْلَامِ:

عدت أدراجى إلى ألمانيا فحاولت الحصول على مزيد من الكتب عن الإسلام، فلم أجد إلا النزر اليسير منها، فاشتريت فى حدود ما سمحت لى إمكاناتى الضئيلة من كتب رغم انشغالى بالدراسة.

بدأت أقرأ عن الإسلام، ولم أنسَ أن أقارنه بالعقائد والديانات الأخرى. وأحسست

أننى سأصبح مسلمًا إن عاجلاً أو آجلاً، إلا أن سؤالاً واحداً ظل يراودنى ويحيرنى؛ وهو مسألة القضاء والقدر. فكل كتاب وقعت عليه يداى وطالعته كان يقرر أن كل شيء مقدر عند الله للإنسان، وكما كنت أنتقد تصور النصارى بأن الله لا بد أن يقتل (ولده) فى سبيل إنقاذ البشرية، كذلك تصورت أن من المحال أن يعاقب الله الإنسان على ذنب مقدر عليه.

قرأت ترجمة معانى القرآن الكريم مرةً إثر أخرى فوجدت فيه آيات كثيرة تشير إلى القدر، كما وجدت آيات كثيرة أيضًا تقرر أن الإنسان له مشيئة خاصة به. هذا هو الإشكال الذى لم أتمكن من إيجاد مخرج منه.

حدث ذلك كله وأنا مازلت عَزَبًا لم أتزوج. وما إن التقيت بزوجة المستقبل وكانت مسلمة ماليزية، كان طبيعيًا أن أبحث معها مسألة (التقدير) فهيأت لى فرصة لمناقشة أقربائها، وهكذا دارت مناقشات أفدت منها فهمًا أفضل للإسلام والقرآن إلا أننى لم أجد فيها حلاً لقضية القضاء والقدر.

دَخَلْتُ فِي الْإِسْلَامِ :

وأخيراً تزوجت وفعلت شيئًا لم أكن أتصور أننى فاعله فقد قررت الدخول فى الإسلام دون أن أحل مشكلتى! فقد تأثرت تأثراً شديداً من زوجتى التى وضعت كل ثقتها بى وغيرت حياتها كلها دون أن تعلم ما يخبئه المستقبل لها، لقد هزنى هذا الإحساس بموقفها وثقتها بى فبادلتها ثقة بمثلها، كما اطمأننت إلى دينها بالرغم من استمرار قضية (التقدير) شائكة فى مخيلتى.

.وهكذا دخلت فى الإسلام رسميًا رغم تذمر أصدقائى وأفراد أسرتى من هذا التصرف الذى وصفوه بأنه تصرف غريب شاذ!

شرعت فى تلاوة القران مرة بعد أخرى وبدأت أتعلم الصلاة، وامتنعت عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر.

وبعد ذلك بأشهر قليلة ذهبت إلى سنغافورة ومعى زوجتى لمقابلة أسرتها؛ وذات صباح بينما كنت أتجاذب أطراف الحديث مع خالة لزوجتى وكنا نتحدث عن الإسلام وكيفية دخولى فيه وعن مسألة (التقدير) وكيف كانت لا تزال لغزاً محيراً بالنسبة لى؟ دخلت حماتى إلى الغرفة التى كنا نجلس فيها وبعد أن استمعت طويلاً لحديثنا قالت:

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ :

- نعم. صحيح أن هناك تقديراً؛ إنه فى القرآن. إنه كله مسجل فى القرآن، فإذا بدأت فى قراءة سورة من القرآن فأول كلمات تنطق بها هى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فالله عز وجل ليس فقط القاضى الحاكم، بل هو الرحمن الرحيم كذلك.

هذه الكلمة السهلة غير المعقدة كانت بمثابة كشف جديد بالنسبة لى، فأيقنت أن (قضية التقدير) التى ظلت تؤرقنى وتشغل فكرى طوال هذه السنوات الكثيرة قد انتهت بشىء واحد، هو ثقتى فى الله تمامًا، وهكذا انتهت الشبهة.

إننى أعلم الآن أنه لا جواب على مسألة التقدير إلا بالثقة الكاملة والاطمئنان إلى عدل الله، وهكذا بلغت عملية إسلامى مرحلتها النهائية، ولم يبق أمامى حتى أكون مسلمًا إلا أن أستسلم وأخشع وأخضع خضوعًا كاملاً لإرادة الله، وحكمة الخالق سبحانه وتعالى.

وبعد، فهكذا انتهت قصة إسلام الأخ الحاج أحمد بن عبد الله (ديتريش فون دنفر سابقًا) من ألمانيا الاتحادية (الغربية) ونحن نشكر مجلة الجهاد الإسلامية الدولية الصادرة فى جنوب أفريقيا لإتاحة الفرصة بنشر هذه القصة. ونتمنى للأخ الجديد استقراراً فى عقيدته وإيمانًا راسخًا لا يتزحزح.

والله الموفق والهادى إلى ما يريد.

الاسم والعنوان:

Hajji Ahmad Ibn Abdullah,

655, Bad Kreuznach, Stettinerstrasse 24,

Fed. Republic of Germany

مُلاحَظة :

لقد من الله على هذا الأخ حين صدق فى عقيدته، فمنحه الله القوة وحصل على (ماجستير) فى الدراسات الإسلامية، وأخذ يؤلف ويترجم الكتب الإسلامية إلى اللغة الألمانية فسبحان الهادى إلى خيرى الدنيا والآخرة.

المترجم

الولايات المتحدة الأمريكية:

٤٢ - محمد طاهر

فى الزاوية الجنوبية الغربية من ولاية (ميسورى) تلتقى جبال الأوزارق بالسهول العظيمة ذات المزارع الفسيحة.. هنا قلب أمريكا حيث تمت ولادتى قبل الحرب العالمية الثانية بعشرة أشهر، وهنا قضيت طفولتى المبكرة فى مزرعة العائلة بالقرب من خط ولاية كنزاس.

لقد قضى والدى نحبه بعد ولادتى بوقت قصير فترك والدتى تتحمل مسئولية ضخمة تتمثل فى تربية ثلاثة أبناء وابنة واحدة، إلا أن والدتى التى ساهمت إبان طفولتها فى فتح المنطقة الهندية كانت تتمتع بشخصية صارمة كما هو حال الفاتحين؛ فأعانها ذلك على أداء مهمتها فى تربيتنا.

لا ننتمى للكنيسة:

والحق أننا لم نكن ننتمى لأية كنيسة من الكنائس، إلا أن والدتى كانت عميقة التدين تتمتع بإيمان راسخ بالله القوى، فلا زلت أذكر ليالى كثيرة قضيناها حول المدفأة نغنى أناشيد الإنجيل بالطريقة الريفية، وباختصار يمكن تلخيص تعليمنا الدينى الرسمى بكلمات سمعت والدتى ترددها مرات كثيرة جداً وهى:

«ليس من الضرورى أن تذهب للكنيسة حتى تصبح نصرانيًا حقًا».

فى تلك الأيام المبكرة من حياتى نشأت فى المزارع الفسيحة فى ميسورى الغربية وحيداً، وكانت جدتى هى أقرب جار لنا على بعد ميلين اثنين. فتكونت لى شخصية مستقلة استقلالاً شديداً. كنا نعيش فى بيت كبير قلَّ استخدامنا له بعد أن غادرتنا شقيقتى ثم أخى.

لا زلت أذكر كيف اكتشفتُ العالم الكبير من حولى لأول مرة، كنت آنذاك فى الخامسة أو السادسة من عمرى، ألعب فى إحدى الغرف المهجورة التى لم نكن نستخدمها، فعثرت على موسوعة شاهدت فيها خارطة للعالم بهرتنى بسحرها وألوانها

المختلفة التي تميز بها كل بلد عن غيره، ولعلي عقدت العزم حينئذٍ على أن أنطلق لأرى بنفسي بعض البلاد التي صورتها لي تلك الخارطة.

ولقد استقطب اهتمامي بالذات، اللون الوردي الذي رسمت به أرض تسمى (الإمبراطورية العثمانية).. ومضت فترة من الزمن وكنت في الصف الرابع عندما كنا نعيش في (كنتاكي) قرأت خارطة أخرى للإمبراطورية العثمانية وكنت مشغوفًا بدراساتي الجغرافية بشعب وادي دجلة والفرات، وظل الحال على ذلك حتى بلغت الصف السادس، وعندها بدأ كل شيء يتبلور أمام ناظري.

خطأ المعلمة يدفعني للإسلام:

كانت معلمتنا المعمدانية تتأجج حماسة، وكان همها أن تنقذ أرواحنا قبل كل شيء أكثر من أن تعلمنا، وفي صباح كل يوم اثنين كنا نُؤْمر بالوقوف واحداً تلو الآخر لنردد جملة من الإنجيل، ونجيبها عما إذا كنا في الكنيسة في يوم الأحد السابق، ولن أنسى أبداً كيف كنت أشعر بالضيق عندما كنت أضطر إلى الإجابة بـ «لا»، وأحيانًا كنت أكذب مما كان يبعث في نفسي خوفًا أكبر بأنني سأذهب إلى جهنم لأنني كذبت.

لقد عرفت الإسلام لأول مرة في حصة التاريخ حين كنا ندرس العصور الوسطى وكانت هناك - إذا لم تخنى الذاكرة - صفحتان عن محمد وانتشار (المحمدية) فقالت معلمتنا ما يلي:

(في الوقت الذي نؤمن فيه نحن النصارى أن عيسى ابن الله، فهم يؤمنون أن محمداً ابن الله).

فتساءلت وفي نفسي خوف من أن ينزل عليّ غضب الله القوي ورغم ذلك رفعت يدي وقلت:

«ولِمَ لا؟ إذا كان المسيح عيسى هو ابن الله فلست أفهم لماذا لا يكون محمد ابن الله أيضًا؟!» وتابعنا درس التاريخ فقضينا ما تبقى من الحصة نتحدث عن نظام الإقطاع في أوربا، المهم أنه ثار في نفسي اهتمام بالإسلام وقررت أن أعرف كل شيء عن هذا الرجل محمد الذي «زعم أنه هو أيضًا ابن الله» - على حد قول معلمة التاريخ- وبالرغم من صغر حجم المكتبة الموجودة في مدرستنا مما لم يهيئ لي العون

المطلوب للاطلاع ومعرفة الحقيقة إلا أننى سرعان ما اكتشفت أن المسلمين، على النقيض مما اعتقدت مدرّسة التاريخ فى الصف السادس يعتقدون أنه لا محمد ولا عيسى ابن الله، وإنما يؤمنون أنهما رسولان صالحان من عند الله عليهما الصلاة والسلام.

هذه الحقيقة كانت معقولة بالنسبة لصبى فى الثانية عشرة من عمره أكثر من صراع النصارى وجلبتهم حول أى من الرجلين ابن الله حقًا!

وفى يوم سبت، بينما كنت أتجول فى السوق مع والدتى عثرت على طبعة جيب من كتاب (المحمدية) للمؤرخ الإنجليزى الكبير «جب» فاشتريت الكتاب وقرأته مرات عديدة.

فى الكتاب المذكور يورد المؤلف عدداً من الآيات من القرآن الكريم، حفظت كثيراً منها باللغة الإنجليزية ولا أزال أذكر حتى الآن أن آيتى المفضلة بالذات هى الآية التالية:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

كم من ليلة كنت أجلس وحيداً تمامًا عند نافذة غرفتى أتأمل السماء المزينة بالنجوم وأردد هذه الآية مرات ومرات، وفى ليلة من هذه الليالى أحسست أننى أصبحت مسلمًا! كنت آنذاك شابًا صغيراً فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرى، لم يسبق لى أن قابلت أى أخ مسلم، لقد أسلمت نفسى ووضعت مصيرى فى يد خالقى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③ ﴾ [النصر: ١ - ٣].

* * *

النشاط العملى:

بهذه الكلمات يختتم الأخ محمد طاهر حديثه عن نفسه، وهذا هو الاسم الذى اتخذه لنفسه بعد أن أسلم، ولقد سافر الأخ محمد طاهر إلى الكويت بعد ذلك تحدوه رغبة لتعلم المزيد عن دينه الجديد، وفى الكويت أصبح تلميذاً لداعية إسلامى معروف فى أحد مساجد الكويت، وبعد عام أو يزيد عاد إلى بلده الولايات المتحدة الأمريكية وأنشأ

جمعية إسلامية سماها (جمعية الفرص الإسلامية اللامحدودة) فى مدينة واشنطن، وأخذ يدافع عن الإسلام والدعوة الإسلامية، وأخذ يصدر نشرة تحت عنوان: (إسلامك آيتمز) (Islamic Items) وفيها يتبنى القضايا العربية الإسلامية ويدافع عنها، ويرد على كتابات الصهاينة فى الصحافة الأمريكية، ويلقى فى سبيل ذلك الكثير من التهديد والمشقة، كل ذلك وحده وعلى نفقته بالتعاون مع بعض الشبان المتحمسين من أمثاله. كما أنه يدعو غير المسلمين إلى الدخول فى الإسلام.

لقد تأسست جمعية (الفرص الإسلامية اللامحدودة) فى ديسمبر عام ١٩٧٠ وهدفها حمل الإسلام إلى الشعب الأمريكى وبخاصة إلى الشبان الأمريكانيين بأسلوب يفهمونه، وهذه أهم أوجه نشاط الجمعية المذكورة:

- برنامج إذاعى أسبوعى مدته خمسة عشرة دقيقة يصدر من سيشل - واشنطن، ويبث من أربع محطات إذاعية مختلفة والبرنامج بعنوان: (الإسلام وماذا يعنى لأمريكا المعاصرة؟).

- إقامة أجنحة ضيافة إسلامية فى شتى معسكرات الشباب فى الولايات المتحدة الأمريكية.

- نشر وتوزيع مختلف الرسائل والنشرات الإسلامية التى تهم الشباب، وقد قامت الجمعية بتوزيع ٥٠,٠٠٠ نشرة إسلامية.

- برنامج محاضرات تتحدث عن الإسلام وموجهة لرواد الكنائس وقاعات الدرس فى الجامعات ونوادى رجال المهن ومنظمات الشباب.

ويبلغ أعضاء الجمعية التى بدأت برجل واحد مائتى عضو الآن.

وهذا هو عنوانها الكامل لمن شاء الاتصال بها وبالأخ المذكور:

Mr. Muhammad Tahir,

Executive Director, Islamic Opportunities Unlimited I 000 Connecticut Avenue N. W. Washington D. C. 20036 U.S.A.

❁❁❁

إنجلترا:

٤٣- الدكتور م. ح. دورانى

لماذا أصبحت مسلماً؟

رؤيا هادية:

قبل ثلاثين عامًا، وفى مرحلة مبكرة من حياتى أصبحت نصرانيًا تحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضيت معظم حياتى السابقة فى كنيسة إنجلترا حيث كنت قسيسًا فى الكنيسة الإنجليزية منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ للميلاد. وجاءنى الإسلام كما يأتى فصل الربيع، فعدتُ إلى دين آبائى وأجدادى السابقين وأعنى به الإسلام.

بهذه الكلمات يبدأ الدكتور (م. ح. دورانى) قصة عودته إلى الإسلام، إذ أنه يمثل نمطًا جديداً من الشخصيات، فهو سليل أسرة مسلمة منذ القدم، وكل ما فى الأمر أنه تربى فى مدارس التبشير فتعلم فيها علوم الدنيا ونجحت المدرسة التبشيرية فى إخراجه من دينه، وهذا يذكرنى بقصة رئيس السنغال (ليوبولد سنجور) الذى نشأ فى أسرة مسلمة وتربى فى مدارس المبشرين حتى تخرج قسيسًا كبيراً، وعاد إلى بلاد السنغال ليحكمها علمًا بأن جميع أفراد عائلته مسلمون، بل إن جميع سكان السنغال تقريبًا مسلمون، والفارق الوحيد بين الدكتور دورانى وبين سنجور هو أن الأول عاد إلى الحق المبين.

ويستأنف الدكتور دورانى قصته قائلاً:

إن سبب عودتى إلى دين الإسلام يرجع إلى الإلهام الذى اقتبسته من منام ظهرت لى فيه بركات النبى الكريم محمد ﷺ (يقصد أنه رأى النبى محمداً فى المنام) وإننى أحمد الله الآن وأثنى على رسوله، وإنّ نفسى تجيش بالسعادة لأننى وجدت النبى عليه الصلاة والسلام منقذ الخطائين.

هداية الله ولطفه :

فهداية القلب وتحوله بيد الله سبحانه، والحق أننا بدون هداية رب العالمين لا ينفعنا العلم الذى نحصلُه كله، ولا تفيد جهودنا وبحوثنا عن الحقيقة قيد أنملة، بل ربما ساقنا ذلك إلى الضلال، فنحن بحاجة إلى العقيدة التى بدونها لا ينفع منطق مهما عظم، ولا تجدى فصاحة مهما اشتدت، كما لا يفيد أى علم مهما كان عميقًا، كل ذلك لن يحقق للإنسان الرضا إلا إذا حظيت روحه بالدليل والبرهان، والسبيل الوحيد لتحصيل ذلك هى فى تلقيه هبة من عند الله.

وإن النقطة التى أود التركيز عليها بالذات هى أن كل واحد منا معشر الناس فى أعماقه بصيص نور هادٍ إذا اتبعناه بصدق وإخلاص أضفى علينا الرضا، وفى وقت من الأوقات، وربما كان ذلك فى ريعان الشباب أو فى سن الشيخوخة يحسّ المرء بما يشبه الطيف أو الرؤيا أو الإلهام ويشعر بمثل أعلى، وكأن إصبعًا تُشير إليه، وكأن صوتًا يدعوه: أنْ هيا انهض وقم إلى حياة أسمى، هذا هو الطريق، فسر على هديه».

وربما لا نستطيع أن نفسر ذلك، ولكن الله يتجلى لنا بطرق وأساليب كثيرة، فيغرس فى أعماق كل منا حاسة مبصرة يفهمها كل واحد منا نحن البشر...

نور وهدف أسمى :

هناك نور يشرق فى نفس الإنسان عندما يشعر للمرة الأولى أن هناك أهدافًا وغايات سامية للحياة. ألست تذكر تجربة كهذه مرت بها نفسك فى لحظة من لحظات الهم والشعور بخيبة الأمل؟! وروحك كلها تصرخ متمردة ضد وجودك التافه الخاوى من كل معنى وحياتك الرتيبة المملة؟ وقلت لنفسك: ألم يخلقنى الله لهدف أفضل من هذا؟ إذ أنهض كل صباح وأذهب إلى عملى لأخدم صاحب العمل الذى يجر كرشهُ ويمتص زبدة عمل رجاله، أو أن أستعبد فى مقعد أو فى حانوت، وأعيش فى دوامة قلق لا نهاية لها ساعيًا إلى التوفيق بين غايتين متناقضتين؟ لا بد أن فى الحياة أموراً أفضل من هذه وأكثر إرضاءً، إن لى عقلاً وروحًا وشخصية مستقلة، ومقدرةً على تحقيق شئ سامٍ، إلا أن جبروت الظروف القاسية التافهة قد سحق ذلك كله من نفسى... أعتقد أنك مررت بهذه التجربة ورأيت فى وسط هذا الليل المدلهم من الشقاء النفسى أن نوراً قد سطع

فجأةً من نجم الأمل المتلألىء، لقد شاهدتَ رؤيا حول ما تعنيه حياتك وما يمكن أن تكون عليه.

لقد خاطب الله روحك، من خلال كلمة فى كتاب سماوى، أو صوت داعية يدعو، أو من خلال قصيدة وردت بخاطرك، لقد فتح عينيك لرؤية المعنى والغرض الحقيقى من عملك، لقد أراك أن الحياة الروتينية والشقاء والتعب، وهى أمور كانت تبدو لك أنها تنتزع الحياة منك شيئًا فشيئًا، إلا أنها فى الحقيقة وسائل يسخرها الله لتشكيل شخصيتك، وفرص لخدمة بنى قومك، يا لها من نقلة رائعة ينتقلها تصور الإنسان الشامل حين يمسك بالحقيقة الكبرى وهى أن الحياة عبارة عن مُهمَّة، عبارة عن دعوة جعلت هذا العالم الصغير مكانًا أفضل وأروع وأجمل وأسعد، ما أعظم القوة الكامنة فى الخير البسيط، الذى يأخذ بأيدى الناس نحو السماء.

قد يساء فهم الكلمات، وقد تفسر الأفعال تفسيراً سيئًا ولكن النور الذى يسطع فى النفس التى تسعى أن تعيش فى الآفاق السماوية العليا - هذا النور يلمس ويبارك كل من يقترب منه، وهذا هو ما ندين به لله تعالى، ثم للنبى الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واجد لا يحمل فى نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام، فهو القدوة الطيبة التى أرسلها الله رحمة بنا وحبًا لنا حتى نقتفى أثره.

ولعلنا جميعًا قد مررنا بتجربة هذا العالم لا مرة واحدة بل مرات عديدة، ورأينا نفس المثال، ونفس الإلهام الداخلى العميق الذى يبعثنا من غفلتنا وعدم مبالاتنا، فيحيى فينا روح التحرك الروحى، ويأمرنا أن نكرس كافة جهودنا للمضى قدمًا على الطريق الذى يفضى بنا إلى الله، أما أنا فلم أكن عاصيًا للرؤيًا السماوية، وهذا فضل الله علىّ.

دراستى لحياة النبى محمد ﷺ:

ولكننا نحن البشر ونحن نعود أدراجنا كثيراً ما نجد أنفسنا أننا نسير فى الطرق المهجورة، وتقودنا الإلتواءات المفاجئة مرة ثانية إلى الأيام الخوالى، وفجأة نَضلّ، رغم أن الطريق قد يبدو لنا سويًا ونجد أننا سرنا على الدرب الذى كنا عليه فى الأعوام



المنسية... وأخيراً أخذت أدرس حياة النبى محمد ﷺ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الربانى، الذى أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الأوثان، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد، وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التى لم تنجب رجلاً عظيماً واحداً يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التى انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد.

لقد قام النبى محمد ﷺ برسالته لا عن طريق أى إغراء دنيوى، أو اضطهاد أو جبروت، بل بفضل خُلقه الذى يأسر القلوب وشخصيته الحبيبة وتعاليمه المقنعة، فهو بأسلوبه وأخلاقه العالية الرفيعة استطاع أن يحول الأعداء أنفسهم إلى أصدقاء، كما استقطب قلوب الناس بحبه لهم.

ولكن عندما بدأ النبى محمد ﷺ دعوته انقلبت الأمة الجاهلية ضده، وألقيت عليه الشتائم والحجارة، كما تعرض شخصه الكريم لكل ما يمكن تصوره من صنوف التعذيب والقسوة. واستمر ذلك لا لمدة يوم أو يومين وإنما ظل بدون انقطاع طوال ثلاثة عشر عامًا كاملة من المتاعب، وأخيراً خرج إلى المنفى، وحتى فى المنفى لم ينعم بالراحة، وإنما صادف المتاعب المختلفة، فقد قامت جزيرة العرب كلها قومة رجل واحد ضده، فهددته وهاجمته بدون توقف لمدة ثمان سنوات كاملة، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامداً، رابط الجأش صُلبًا فى أهدافه وموقفه، عرضت عليه قبائل مكة أن تنصبه ملكًا عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته، فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعانى من أجل دعوته، لماذا ؟ لماذا لم يكترث أبداً للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لابد أن يفكر المرء فى ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه.

المَثَلُ الأعْلَى للتَّضْحِيَة :

هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى

من هذا المثال، حيث نجد رجلاً يقضى على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده فى سبيل ذلك، يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى فى منفاه، وأنه رغم ذلك كله يرفض أن يكف عن السعى لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أى متقول غير مخلص، خصب الخيال أن يبدى هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق، دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التى يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟!

إنه حقًا رسول الله ﷺ :

فهذا الإيمان وهذا السعى الحثيث وهذا التصميم والعزم الذى قاد به محمد ﷺ حركته حتى النصر النهائى، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق فى دعوته، إذ لو كانت فى نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبداً أن يصمد أمام العاصفة التى استمر أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل فى الهدف واستقامة فى الخلق وسمو فى النفس؟ ... كل هذه العوامل تؤدى لا محالة إلى الاستنتاج الذى لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد ﷺ، إذ كان آية فى صفاته النادرة، ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزاً للصدق والإخلاص، إنه رسول الله العظيم، رسول الله للعالمين. فحياته وأفكاره، وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وشخصه وخلته، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأى إنسان يدرس دون تحيز حياة النبى محمد ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذى جاء به للناس هو كتاب الله حقًا، وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابد أن يصل إلى هذا الحكم.

الإسلام دين الحياة العملية :

أما عن الإسلام فأكثر ما استهوانى إليه كان ولا يزال جوانبه العملية. فإذا أردت أن تشاهد علاقة الحب الحقيقية التى تقول: «أحبب جارك مثلما تحب نفسك» فستجدها فى

أخوة الإسلام، لا فى الكنيسة حيث يسعى البابا والمطارنة والأساقفة وغيرهم وراء السلطة مستخدمين اسم الله كمبرر لما يفعلون.

من تعاليم المسيح: «لا تقاوم الشر، ولا تفكر فى الغد» فيا لهذا من تعليم عظيم للسمو الروحى، ولكنه عند التطبيق فاشل تمامًا، قد يكون شعوراً بالرضى الفكرى، إلا أن هذا التعليم لا قيمة له على الإطلاق كوسيلة لإحداث ثورة فى العالم وتحسين أحوالهم روحيًا وفكريًا وماديًا، إننى أكنّ أعظم إعجاب لأولئك الرجال الذين يتبعون حقًا تعاليم المسيح عليه السلام، ولكننى واثق أيضًا أن هذه التعاليم لا تطبق بحال من الأحوال. فالكنائس النصرانية تعجز عن تحقيق أهدافها لأنها فى شئونها الإدارية تحدث فجوة بين الله والعالم، وليس لديها حلول عملية لمشكلات الحياة الإنسانية، فهى لا توفق بين تعاليمها وبين الحياة فى هذه الدنيا، من أجل ذلك تفتقر الكنائس باستمرار إلى الناحية الروحية، ورغم أن رجال الكنائس فى صحة جيدة وهندام حسن إلا أنهم بين ضلوعهم يضمون نفوسًا شقية وأرواحًا تعيسة بائسة.

عَبقَرِيّةُ التّطبيقِ:

إن الدّين الذى ليس لديه إلا الناحية النظرية بينما يفتقر إلى التطبيق لا يمكن أن يكون نافعًا لأحد من الناس، ومن الطبيعى أن يتحول إلى صورٍ وأحلامٍ جوفاء، فالإنسان العادى ليس فيلسوفًا، إذ يحتاج إلى قوانين وإرشادات إيجابية تهديه فى حياته، ومن ذلك افعل كذا ولا تفعل كذا، فالدين الذى ليس فيه مثل هذا القانون لا فائدة منه، لأنه لن يؤثر فى الأفراد فى حياتهم اليومية ولا يمكنه أن يرشد إلى قواعد الأخلاق العامة.

أما الإسلام، فلديه كل من النظام والقانون، فالشعائر الدينية المفروضة على الأشخاص لها هدف خلقى، وليس القصد منها مجرد الحصول على الرضا من السماء، وإنما تهدف إلى تنظيم الفرد خلقيًا وروحيًا بطريقة معقولة، كما تهدف إلى تطهير عقله وتنقيته وكذلك تقويته كى يؤدى واجباته تجاه الآخرين الذين يعيشون معه، فالإسلام هو الدين الوحيد من حيث إنه نظريًا وعلميًا لا يطلب من المرء أن يؤمن بمبادئ هامدة وأسرار غامضة كما هو الحال فى الديانة النصرانية، إذ أن الإسلام يتقبل جوانب الحياة الروحية والمادية على حد سواء، ويضع كلاً فى موضعه اللائق به، ويقيم فلسفته على أساس أن تغطى كافة جوانب السلوك الإنسانى.



أضف إلى ذلك أن القانون لابد أن يكون قائمًا على أساس العدل والمساواة والضمير الحسن، وليس على أفكار كالمولد والطبقة أو الامتيازات الطائفية، وإنما على المبادئ الخلقية، على المساواة الأساسية بين جميع الناس دون أدنى تمييز بسبب العنصر أو المولد أو الطائفة أو الطبقة أو الغنى.

والإسلام، بادئ ذى بدء يركز أعظم تركيز على النظافة الشخصية والصحية، لا نظافة المناسبات والمراسيم، فالاستحمام الإسلامى كما هو معروف، يختلف كثيراً عن الاستحمام عند الآخرين. والمسلمون يمتنعون عن أطعمة معينة تبعًا لأثرها الضار بأخلاق الناس، ويحرم الإسلام المشروبات المسكرة لأنها تحيل الإنسان إلى وحش!!

والصلوات الخمس اليومية تنأى بالمرء عن الخبث والآثام. ثم هناك شهر للصوم يمتنع المسلم فيه عن الطعام والشراب وحتى التدخين طوال النهار، وهو دورة رائعة للنظام يتدرب فيه المسلم ويقوى نفسه للصمود فى وجه الشدائد، فيتحمل الجوع والحاجة برباطة جأش وصبر، ويصير سيداً لشهواته ونزواته. فالرجل الذى تعلم أن ينتصر على شهواته ورغباته وأن يقود نفسه هو رجل قوى.

ولا داعى لأن أنوه أن هذا النظام الدينى الإسلامى هو نظام شخصى تمامًا لأنه ليس فى الإسلام رجال دين.

القانون الإسلامي أوسع وأسبق:

أما على صعيد القانون فى مجال العدل والإنسانية وفى مجال الحكمة والشفقة فإن قانون الإسلام لا مثيل له بين أديان العالم. فهو يحدد واجبات الفرد تجاه أقاربه. وذويه وجيرانه وعائلته وتجاه المجتمع والأمة التى ينتمى إليها. والقانون فى الإسلام واسع اتساعًا لا سبيل معه إلى شرحه فى بضعة سطور. وسأكتفى بإبراز صفتين من صفاته تحققان الغرض المطلوب فى هذه العجالة:

- فالدعامة الأولى للقانون الإسلامى تتمثل فى أنه يقوم على أساس من المساواة والضمير الحى وليس على أية اعتبارات عقلية غريبة عليه، وهذا يعنى تناسبه وانسجامه مع تغير الزمان وصلاحيته لكل وقت، وهذه صفة كامنة فيه. وبذلك فهو جديد وحديث لا يبلى بمرور الزمان ولا يمكن أن يصبح قديمًا أو أن يعفى عليه الدهر.

• وأما الصفة الثانية فهى أن القانون الإسلامى لا يقيم وزنًا للأشخاص والذوات الشخصية، ولا يعترف بأية امتيازات أو طبقات أو تمييز بسبب المولد أو الغنى أو المكانة. فالملك والفلاح، والسائل المعدم والرأسمالى العريض الثراء كل هؤلاء يقفون على قدم المساواة أمام القانون الإسلامى.

وهنا أيضًا لا يوجد أى قانون حتى فى القرن العشرين يمكن أن يضاهى القانون الإسلامى، فهناك مئات الشواهد التى يزخر بها التاريخ الإسلامى والتى تذكر لنا كيف كان الملوك والأباطرة المسلمون يأتون مذعنين لأوامر القضاة الذين يطلبونهم للمثول فى المحاكم، والوقوف مع خصومهم جنبًا إلى جنب للدفاع عن أنفسهم فى قضايا شتى. حتى أن النبى الكريم نفسه ﷺ أعلنها ذات مرة بقوله:

«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

۞۞۞

اليابان :

٤٤- الدكتور شوقى فوتاكى

يعتبر إسلام الدكتور شوقى فوتاكى حدثًا بارز الأهمية بالنسبة لتاريخ الدعوة الإسلامية فى اليابان. فقبل إسلامه لم يكن عدد المسلمين اليابانيين يتجاوز الخمسة آلاف على أكثر تقدير، وكثير من هؤلاء قد أسلموا على يد الفرقة التركية التى اشتركت فى الحرب الكورية واستقر بها المقام فى اليابان فأقامت لنفسها مساجد، ومارست شعائر الإسلام فدخل على يديها أفراد من الشعب اليابانى هنا وهناك حتى بلغوا العدد المذكور.

ولكن حرب رمضان الأخيرة (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ساهمت فى إثارة اهتمام الشعب اليابانى بالشعوب العربية، واستعداده للتعرف على ثقافة العرب ودينهم وقضاياهم، وفى ظل هذا الاهتمام جاء إسلام الدكتور شوقى فوتاكى فاتحة خير لدخول آلاف من اليابانيين فى دين الله أفواجًا، وهكذا نرجو أن يكون إسلام هذا الرجل بداية لإسلام أمة بأسرها، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

صاحب القصة :

الدكتور شوقى فوتاكى طبيب يابانى يبلغ السابعة والستين من العمر، فارع الطول بالقياس إلى اليابانى العادى، تكسو رأسه شيبة تضفى عليه وقاراً ، وهو ذو شخصية اجتماعية محببة وجذابة بحيث يؤثر فى كل من كان على صلة به، وكانت ديانته (البوذية) وهو مدير مستشفى كبير فى قلب مدينة طوكيو عاصمة اليابان، وهذا المستشفى عبارة عن شركة مساهمة يملكها عشرة آلاف شخص، ولقد أعلن الدكتور فوتاكى منذ أن أسلم أنه سيعمل كل ما فى وسعه لإدخال العشرة آلاف مساهم فى أمّة الإسلام. وليسمح لى القارئ الكريم بالعودة إلى القصة من بدايتها.

رُبَّ ضارة نافعة :

فى عام ١٩٥٤م كان الدكتور فوتاكى رئيسًا لتحرير مجلة شهرية يابانية تدعى

(سيكامى جيب) وكان مهتمًا بقضية تأثير القنبلة الذرية على الضحايا اليابانيين بعد الحرب العالمية، وكان يريد جمع مبلغ من المال لصالح هؤلاء الضحايا، ولما لم يستطع ذلك انتزع ستين مليون (ين) يابانى - عملة اليابان - من عشرة من الشركات اليابانية بعد تهديدها بنشر أخبار داخلية سرية عنها تؤثر على مصالحها، وفى عام ١٩٧١م وبعد محاكمات طويلة قررت المحكمة إدانته وأمرت بحبسه ثلاث سنوات كما سحبت رخصته الطبية!!

ورب ضارة نافعة، فقد كان الدكتور فوتاكى مفكراً بطبعه يحب القراءة، فعكف على التأمل والاطلاع فقرأ عدة كتب فلسفية وسياسية وروحية، وقد وصف شعوره فى تلك الفترة بقوله:

وحدانية الله:

كنت أشعر حين كنت أخلو لنفسى بأن فكرة الوحدانية لهذا الخلق ترد فى خاطرى طواعية، وكنت أدور فى دوامة التأمل والتفكير فى هذا الوجود وخالقه، ورويداً رويداً بدأت فكرة الوحدانية تتفاعل فى نفسى، وكنت أتساءل عن صاحب الإبداع والخلق لهذا الوجود الدقيق الصنع والتكوين؟ وعند هذا الحد من التفكير انتهت فترة سجنى، فخرجت من السجن وأخذت أستكمل هذه القناعات خارجه من خلال اتصالى بعدد من الشخصيات الإسلامية، فكان من بين أصدقائى رجل مسلم يدعى (أبو بكر مورى موتو) الرئيس السابق لجمعية مسلمى اليابان. فكانت تدور بيننا أحاديث طويلة حول قضايا التوحيد وأمور المسلمين وشريعتهم، وكان يزورنى ضمن حملات التبرع لدعم حركة الدعوة الإسلامية فى اليابان، وكنت أساهم عن اقتناع فى تلك الحملات حتى قال لى ذات مرة:

إن أعمالك هى أعمال المسلمين فلماذا لا تعلن إسلامك؟! ولكن لكل شىء أوان.

أعلنت إسلامى أنا وأسرتى:

وفى إحدى المرات، وفيما كان صديقى أبو بكر مورى موتو يقول: بأنه كلما زاد عدد المسلمين فى العالم كلما انتهت مشكلة المستضعفين فى الأرض، لأن الإسلام دين محبة وإخاء، وما أن سمعت هذه الكلمات حتى نهضت واقفًا وأخبرته بأننى أنا وابنى وصديق

آخر قد اعتزمنا اعتناق الإسلام، فهتف صاحبنا مكبراً. وأخذنا جميعًا إلى المركز الإسلامى فى طوكيو، وما هى إلا لحظات جلسنا خلالها على الأرض مع إمام المسجد التركى الجنسية ونطقنا الشهادتين، وسميت نفسى (شوقى) وسميت ابنى (خالد)، ودخل باقى أفراد أسرتى فى دين الإسلام على الفور.

وَحْدَانِيَّةُ اللهِ خَالِقِ الكَوْنِ:

سئل الدكتور شوقى السؤال التالى:

بصفتكم طبيبًا ألا تعتقد أن المعجزات الموجودة فى الجسم والتكوين الإنسانى تدل على وحدانية الخالق كما حدثنا القرآن الكريم؟ فأجاب بقوله:

لقد قرأت لعالم فرنسى كتبًا عن أسرار الجسم الإنسانى، وكانت آراؤه دعوة صادقة وصريحة لوحدانية الخالق وقوته، وأنه إله عظيم واحد لأن الجسم الإنسانى يدل على وحدة الخالق. وأضاف قائلاً:

إن لهذا الكون نظامًا دقيقًا ليس عفويًا، وأنا بصفتى طبيبًا وجراحًا كانت تصدمنى حقائق مذهلة تستدعى التأمل والحيرة، كما أكدت لى هذه الحقائق أن هذا الكون له خالق واحد قادر فوق تصورات البشر، فلابد من إله واحد وراء عظمة هذا الكون ودقة تنظيمه.

ثم سئل الدكتور فوتاكى عن الفارق بين الله فى الإسلام وبين الآلهة عند البوذيين؟ فقال: إن البوذية تقول بأن الإله موجود كما أن العنصر موجود حتى ولو كان العنصر غير موجود ماديًا. فالبوذية تستنتج الإيمان بالله عن طريق الرياضيات والعلوم، أما الإيمان بالله فى الإسلام فهو واضح وجلى بالعقل، والبوذيون يَصلون إلى الإيمان بالله عن طريق الأصنام، بينما يقودنا الإسلام إلى الله بالعقل والإدراك.

يَدْخُلُونَ فِى الإِسْلَامِ أَفْوَاجًا:

ولعل القارئ الكريم يتساءل:

ولكن لماذا يعتبر إسلام هذا الرجل مبشّراً بإسلام اليابان كلها؟

والجواب هو أن الدكتور شوقى فوتاكى ليس رجلاً عاديًا، فهو رغم كبر سنه وشيخوخته متوقد الحماس؛ فقد أعلن فور إسلامه بأنه مصمم على نشر الإسلام فى

اليابان كلها، وشرع فعلاً فى الدعوة إلى الإسلام، وفى يوم من أيام شهر مارس ١٩٧٥م وكان يوم جمعة كان الدكتور شوقى فوتاكى على رأس ثمانية وستين شخصًا بين رجل وامرأة من كافة مراحل العمر، يدخلون مسجد طوكيو قبيل صلاة الجمعة، وكانوا موشحين بوشاح أبيض مكتوب عليه بخط أخضر اسم (جمعية الأخوة الإسلامية) وهو اسم الجمعية التى أنشأها د. فوتاكى، لقد حضر هؤلاء جميعًا صلاة الجمعة وما أن انتهت الصلاة حتى أعطى كل احد منهم ورقة مكتوب عليها نص الشهادتين وأركان الإيمان بالخط اليابانى، وكان المسجد خاصًا باليابانيين المسلمين وغير اليابانيين وبعض السفراء العرب والمسلمين فى طوكيو، لقد جلس هؤلاء المسلمون الجدد وشرح لهم الإمام معنى الشهادتين ومفهوم الإيمان بالله وبدأ يلقنهم الشهادتين وهم جميعًا يرددونهما وراءه، ثم أعدت قائمة بالأسماء الإسلامية ومعانيها باللغة اليابانية فاختار كل واحد منهم الاسم الذى يعجبه، ثم أقبل المسلمون على الترحيب بإخوانهم الجدد والكل يهتف: (الله أكبر. الله أكبر) حقًا إنه يوم من أيام الله فى اليابان، فلأول مرة تشهد طوكيو هذا الدخول الجماعى فى الإسلام ومن كل الطبقات ومختلف الأعمار، وقد نشرت الصحف اليابانية هذا الحدث فى صفحاتها الأولى، وكان الدكتور فوتاكى واقفًا فى مؤخرة الصفوف تعلو وجهه الفرحةُ وقد أعلن فى نهاية الحفل بأنه لن ينتهى عام ١٩٧٥م حتى يدخل فى الإسلام ثلاثة آلاف شخص آخرون، وسيأخذ العديد منهم معه لأداء فريضة الحج هذا العام.

لم يكن الحفل السابق إلا البداية، ففى يوم الجمعة الموافق ١٩٧٥/٤/٤م جاء الدكتور شوقى إلى مسجد طوكيو على رأس مائتى شخص يابانى آخرين وقد اعتنق هؤلاء جميعًا الإسلام كما فعل إخوانهم من قبل، وهكذا أخذ الدكتور شوقى يقود إخوانه اليابانيين للدخول فى دين الله أفواجًا، حتى بلغ عدد أعضاء جمعية الأخوة الإسلامية التى يرأسها من هؤلاء المسلمين الجدد ما يقارب العشرين ألف مسلم يابانى، وكل ذلك حدث فى أقل من عام واحد، فأنت معى إذن أخى القارئ الكريم أن إسلام هذا الرجل يعتبر نقطة تحول فى تاريخ اليابان، لا بل فى تاريخ منطقة جنوب شرق آسيا بأسرها إن شاء الله تعالى.



وَاجِبُ الدُّعَاةِ :

إلا أن هناك ظاهرة تبرز أحيانًا من قبل بعض من يدخلون في الإسلام، وخاصة من أولئك الذين لا يجيدون اللغة العربية ولا يعيشون في بلاد المسلمين، وهذه الظاهرة نعني بها بقاء بعض الشوائب في نفوس المسلمين الجدد من أثر الجاهلية، فقد علمنا مؤخراً أن الدكتور شوقي فوتاكي يتساهل مع بعض المسلمين الجدد من أفراد جمعيته الإسلامية في مسألة تحريم لحم الخنزير وشرب الخمور، وربما كان له بعض العذر لجهله، وربما كان يريد أن يأخذهم بالتدرج، ولكن ذلك يبين ضخامة المسئولية الملقاة على الدعاة إلى الله في البلاد العربية والإسلامية، إذ أن من واجبهم تنبيه الدكتور فوتاكي إلى هذا الزلل قبل أن يستفحل الأمر لا سمح الله.

ولقد آن الأوان للدول الإسلامية وفي مقدمتها الدول العربية أن تنهض بواجب الدعوة الإسلام، فتبعث بالدعاة إلى كل أرض، وبالمطبوعات الإسلامية وبالمدرسين لنشر دعوة الله في الأرض والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

❊❊❊

أمريكا :

٤٥- مالك شباز

مالكولم إكس سابقًا

قصة رجل يمثل أمة

يستقبل الإسلام كل يوم مهتدين جدداً من شتى أنحاء العالم، وهؤلاء وإن افترقوا في ذواتهم وأجناسهم وألوانهم وأوطانهم، إلا أنهم رغم كل ذلك إخوة في الدين. فقد وحد الإسلام بينهم برباط وثيق لا انفصام له.

هذا الرجل:

إن الرجل الذي سنتحدث عنه هذه المرة ليس رجلاً عاديًا، بل هو زعيم كبير من زعماء المسلمين السود في أمريكا، إنه (مالكولم إكس) أو (مالك شباز) الذي يقول عنه أحد السفراء العرب المسلمين واصفًا نشاطه الوثاب في خدمة الإسلام في أمريكا:

لو أننا أنفقنا مليون دولار لإحداث نفس الأثر الذي أحدثه هذا الرجل لفشلنا في ذلك، ويقول سفير عربي مسلم آخر: إن هذا الرجل يذكرني بقصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب، ويمكن اعتباره بحق عمر أمريكا.

وللمرء أن يتساءل: فيم كل هذا الثناء على هذا الرجل؟ وقبل الاجابة عن هذا التساؤل لنسرد القصة من بدايتها:

بداية صعبة:

ولد مالكولم إكس أو مالك شباز - كما يحب أن يسمى نفسه بعد أن أسلم - في قلب المجتمع الأمريكي الذي يعتبر الزنجي الأسود مخلوقًا منحطًا لا قيمة له، وقد قضى طفولته خادمًا لأسرة أمريكية من البيض، وتلقى تعليمه الإبتدائي في مدرسة للبيض في مدينة مايسون بولاية متشجان، ولكن معاملة البيض زرعت في نفسه بذور الحذر وعدم

الثقة بهم منذ حداثة سنه. وذات مرة سأله مدرس اللغة الإنجليزية عن نوع المهنة التى يرغب فى مزاولتها فى المستقبل فأجاب مالكولم إكس: (المحاماة) فما كان من مدرسه إلا أن نصحه ساخراً بالعدول عن هذه الفكرة، والاتجاه نحو تعلم النجارة ومزاولتها، هذا مع أنه كان دائمًا أحد الثلاثة الأوائل فى فصله!!

نُقْطَةُ تَحَوُّلٍ مَرِيرَةٍ:

وفى صيف عام ١٩٤٠ ترك مالكولم ولاية متشجان وكان فى الخامسة عشرة من عمره، واتجه إلى مدينة بوسطن الواقعة عل الساحل الشرقى من الولايات المتحدة الأمريكية ليعيش مع أخت كبرى له هناك، وكانت تلك الرحلة نقطة تحول مهمة فى حياته كما يروى هو عن نفسه فى ترجمته الشخصية.

دخل مالكولم المراهق آنذاك فى بوسطن عالم الليل ينظف الأحذية ويغسل الصحون فى المطاعم والقطارات، كما دخل أيضًا عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب، وحيث تقوم الحياة كلها على الخداع والممالأة والتحايل والمكر والدهاء، دخل مالكولم ذلك الخضم وأخذ نصيبه وافراً كاملاً، ونزل إلى أعماق مواخير الحياة الأمريكية حتى صار مدمن مخدرات مما دفع به إلى عالم الإجرام والسرقة، وانتهى به إلى السجن، يقول مالكولم واصفا شعوره فى تلك الآونة:

(لقد صرت أعتقد أن المرء يجب أن يقوم بأى عمل يجد فى نفسه كفاية من المكر والسوء أو الوقاحة تمكنه من القيام به ...، وأن المرأة لا تزيد عن كونها شيئًا من الأشياء) !!

نِعْمَةٌ بَعْدَ مِحْنَةٍ:

قبض على مالكولم إكس فى جريمة سرقة، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات وذلك فى فبراير عام ١٩٤٦م وهو فى الحادية والعشرين من عمره، ولقد كان السجن نعمة فى صورة نقمة، فرب ضارة نافعة، إذ أنه فى داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصى، وتعلم فن الخطابة والنقاش، وفى السجن تعرف على الإسلام لأول مرة، يقول واصفًا ذلك:

«قبل ذلك الحين لم تذكر أمامى لفظة إسلام ولا مسلمين، وكنت أشاهد كلمة (الله) فى دور السينما فحسب» ثم يستطرد قائلاً: «فى داخل السجن كنت أعمل فى المكتبة وقد أتاح لى ذلك الفرصة للقراءة عن الإسلام، فدرست الحضارة الإسلامية وقرأت كتبًا تاريخية عن النبى محمد، ولقد تأثرت أعظم التأثر حين قرأت أن المسلمين كانوا يكسبون المعركة تلو الأخرى، فقد كان هذا هو السبب الحقيقى الذى دفعنى إلى اعتناق الإسلام، لأننى أخذت أفكر فى سر قوة المسلمين المذهلة، وكنت أتوق لاكتشاف شىء زاخر بالقوة والكرامة والثقة حتى وجدته فى الإسلام».

إيمان أم جنون ؟!

وليسمح لى القارئ الكريم بأن أورد مزيداً من كلام مالكولم عن نفسه إذ يقول:

«عندما أيقنت بهذا الدين تركت جميع عاداتى الأمريكية السيئة كشرب الخمر والتدخين والقمار، وأول شىء تعلمته من الإسلام هو سورة (الفاتحة) فكنت أقف فى زنزانتى فى السجن ميممًا وجهى نحو الشرق ويداى مرفوعتان إلى أعلى فأقرأ الفاتحة مرة بعد أخرى ... ثم اكتشفت سلطات السجن أننى تركت تلك العادات الذميمة فأخذوا يرتابون فى سلامة عقلى، حتى أنهم نقلونى إلى عيادة طبيب نفسانى»!!

اختلاط المفاهيم:

«ولكن الشىء المؤسف هو أنه فى أمريكا كلها لا يكاد يوجد أحد يستطيع أن يتكلم اللغة العربية بما فى ذلك معظم الأمريكيين السود، ونتيجة لذلك لا يعرض الإسلام عرضًا صحيحًا خاليًا من الشبهات، وهذا هو الإسلام الذى عرفته فى مبدأ الأمر، فكنا نُعلَّم أن المسلمين هم الأمة السوداء فقط، وأن الرجل الأبيض غريب عن الإسلام، كما كان يلقى فى روعنا من جهة من عرفونا بالإسلام أن الشيطان (إبليس) هو الرجل الأبيض وأن الله يأتى إليهم فى صورة شخص، وأنه طالبهم بنشر الإسلام لأنه يريد إنقاذنا نحن السود حيث إننا نشكل الجزء المغتصب من مملكته».

لقد تعرف مالكولم إكس على الإسلام من خلال حركة نشطة فى صفوف الأمريكيين السود تدعى «أمّة الإسلام»، وهى حركة كانت عنصرية إلى عهد قريب جداً، فقائدها وزعيمها المدعو أليجا محمد يصفه أتباعه بأنه رسول الله، ويزعمون أنه رأى الله فى



صورة شخص قابله يدعى والاس فارد، وقد برزت هذه الحركة إلى حيز الوجود كرد فعل قوى ضد سياسة التفرقة العنصرية الموجهة ضد الزنوج فى أمريكا، وقد استطاعت الحركة على كل حال أن تقيم لأفرادها مجتمعًا خاصًا بهم، له نظامه المميز ومشاريعه المستقلة وحياته المنفصلة عن المجتمع الأمريكى، وقد استطاعت الحركة أن تنتشر فى صفوف العشرين مليون زنجى أمريكى حتى بلغ أعضاؤها ما يقارب المليون شخص، وللحركة قوتها الخاصة المدوية للدفاع عن نفسها ويبلغ عدد أعضائها حوالى مائة ألف شخص، ومن مبادئ الحركة أنه كما أن موسى هو رسول الله إلى اليهود، وعيسى رسول الله إلى النصارى، ومحمد رسول الله إلى العرب، فكذلك أليجا محمد هو رسول الله إلى الزنوج الأمريكيين.

يقول مالكولم إكس: «هذا هو الإسلام الذى آمنت به حينئذٍ، ولقد كان مفهوم مالكولم للإسلام حين خرج من السجن بعد صدور عفو عنه مبنيًا على ما وصله عن طريق أليجا محمد وأتباعه، فكان أليجا محمد نفسه يكتب الرسائل لمالكولم إكس أثناء سجنه. وهكذا دخل مالكولم إكس (منظمة أمة الإسلام) فكان من أنشط رجالها العاملين حتى أصبح الرجل الثانى بعد أليجا محمد فى المنظمة. وقد زاد عدد أتباع اليجا محمد أضعافًا كثيرة بفضل الجهود التى بذلها مالكولم.

كان عام ١٩٦٤م يؤذن بتحول ضخم فى حياة مالكولم إكس، إذ كانت شخصيته إذ ذاك تطغى كثيراً على شخصية ومكانة أليجا محمد، فنشاطه وإخلاصه لقضية المستضعفين السود ونفسه الجذابة، وذكاؤه الوقاد كل ذلك كسب له ولحركته سيلاً متدفقًا من الأتباع والمعجبين مما أشعل فى الوقت ذاته نار الحقد والكراهية له فى نفس أليجا محمد، وجعله يترقب فرصة لإزاحة مالكولم إكس من مكانته فى المنظمة، ومن جهة أخرى بدأ مالكولم يعرف أن أليجا محمد رجل مستغل يخالف فى حياته الشخصية كل ما يدعو إليه من أفكار وآراء.

الطريق إلى الإسلام الصحيح:

وفى تلك الآونة بدأ مالكولم يعرف حقيقة الإسلام الصحيح، وأخذ يتبين سمو هذا الدين، وأنه الطريق الوحيد لبناء مجتمع إنسانى راقٍ لا مجال فيه لتفرقة عرقية ولا

لاستغلال طائفة من الناس طائفة أخرى. ووضحت له الشقة الهائلة بين حقيقة الإسلام وبين تلك الدعوة الشوهاء التى كان يدعو إليها أليجا محمد باسم الإسلام وهى ليست من الإسلام فى شيء. وتفتحت عندئذٍ فى نفسه رغبة أصيلة وقوية لمعرفة هذا الدين معرفة وثيقة كى يصلح ما ساعد هو على بنائه من حركة زائفة تتسمى باسم الإسلام.

وهكذا خرج مالكولم إكس فى عام ١٩٦٤ من الولايات المتحدة الأمريكية قاصداً بيت الله الحرام فى مكة لأداء فريضة الحج، وكان الحج تجربة هزت كيانه من الأعماق، وقد كتب فى مذكراته يقول:

«لقد لقيت هنا أناسًا من مختلف الألوان والأجناس، فشاهدت أن الإسلام قد انتزع الكراهية والحقد من نفوس البيض الذين قابلتهم، وأحل محلها روح الأخوة الحقيقية، ولقد عشت أسبوعًا فى خيمة واحدة مع أناس كان شعرهم أشد صفرة من الذهب، وعيونهم كزرقة السماء، فأيقنت أن الإسلام يستطيع القضاء على سرطان التفرقة العنصرية المستحكمة فى صفوف الأمريكيين. فبعثت رسالة بهذا المعنى إلى إخوانى المواطنين فى أمريكا».

قضى مالكولم إكس شهرين بعد الحج فى البلاد الإسلامية حتى تعلم أكبر قدر ممكن عن الإسلام، وعاد إلى بلاده الولايات المتحدة وكتب يقول:

إننى الآن أقوم بشن حملة على الأباطيل التى تسيطر على نفوس أمة الإسلام السوداء فى أمريكا، وإننى أقدر تمامًا مسئولية العمل الذى أقوم به.

داعية وشهيد وآثار خير:

بلغ نشاط مالكولم إكس ذورته بعد عودته من الحج. ولقد دفع الثمن غاليًا حين شن الحملة التى أشار إليها، ففى ٢١ فبراير ١٩٦٥ سقط مالكولم إكس شهيداً برصاص الحقد والغدر بينما كان يلقى خطابًا يدعو الناس فيه إلى الإسلام الصحيح، ويشرح لهم تعاليمه.

ولكن هل ماتت دعوته - رحمه الله - بموته هو؟! أبداً بل أثمرت وآتت أكلها فآمنت طائفة من شباب أمة الإسلام بدعوة الإسلام الحقة، وأخذت تدعو إليه فى صفوف



الأمريكيين السود، وهكذا كان مالكولم إكس طليعة ونبراس هدى للأخذ بيد المضللين من إخوانه إلى الصراط المستقيم، وظلت الفئة المؤمنة تجاهد وتلقى المقاومة الشديدة والتآمر والكيد والإرهاب حتى جاء التغيير الكبير حين مات أليجا محمد الزعيم المضلل للحركة، وبوفاته تولى أمر قيادة الحركة من بعده ولد من أولاده يدعى (والاس محمد) وتشاء إرادة الله تعالى أن يكون هذا القائد الجديد على الطريق الصحيح، فكانت عقيدته صافية إذ أنه تلميذ من تلامذة مالكولم إكس رحمه الله تعالى. فأخذ الزعيم الشاب بحكمته يعمل على القضاء على الأباطيل التى كانت سائدة فى عهد والده، وبدأ ينشر حديثًا يوميًا فى صحيفة الحركة المسماه (محمد يتكلم) يعلم فيه إخوانه الإسلام الحق، ويشهد أن لا له إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو يسعى الآن لتعليم الإسلام لحوالى مليون شخص، وهذه المهمة الضخمة لا يقدر عليها شخص واحد بمفرده مهما أوتى من قوة، بل لابد من دعمه وتقديم كل عون لازم له، فمن أهدافه الآن نشر الإسلام بين العشرين مليون زنجى أمريكى.

ولأول مرة فى تاريخ أمريكا قام (والاس محمد) وأتباعه بصيام شهر رمضان المنصرم، وكان على رأس خمسة عشر ألف شخص من أتباعه يشهد صلاة عيد الفطر المبارك مع المسلمين، وهذا يبشر بخير كثير؛ إذ أن أمريكا قد أصبحت الان على عتبة الإسلام، وهذا يحتاج إلى جهود ضخمة وتلك مسئولية العالم الإسلامى بأسره، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

جَمْعِيَّةُ الطَّلَبَةِ المُسْلِمِينَ

ولا ننسى أن نشيد هنا بدور (جمعية الطلبة المسلمين) فى أمريكا التى تقودها نخبة ممتازة من الشباب المسلم، فقد كان لهذه الجمعية الفضل بعد الله فى الاتصال بحركة المسلمين السود، والتودد لقادتها وأعضائها، وتعليمهم الإسلام الصحيح ومدِّهم بما يتوفر لديها من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، وقد بلغ من توفيق الله للجمعية أن تمكنت من غرس الإسلام الصحيح فى نفس (والاس محمد) القائد الحالى للحركة، إذ ظل هذا الشاب خمس سنوات كاملة عضواً فى جمعية الطلبة المسلمين حتى استقامت عقيدته وصفت رسالته فأصبح أهلاً للمسئولية الحالية الملقاة على عاتقه.

وتتحمل جمعية الطلبة المسلمين فى أمريكا وفروعها فى جميع الجامعات الأمريكية مسئولية ضخمة فى نشر الإسلام فى أمريكا. إذ يتصل بها كل يوم ألوف من المسلمين السود الذين اكتشفوا الطريق الصحيح وأرادوا تعلم الإسلام فنسأل الله أن يعين هذه الجمعية على أداء مهمتها والقيام برسالتها على أكمل وجه. كما نسأله سبحانه أن يوفق الحكومات الإسلامية إلى تقديم كل دعم ممكن للجمعية والحركة حتى يسود دين الله فى الأرض ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

❁❁❁

إنجلترا:

٤٦- ميخائيل هيمز

ما الذى جذبنى إلى الإسلام؟

من العسير على رجل أوروبى نشأ فى ظل التراث النصرانى أن يقدر قيمة الأديان والثقافات الأخرى، إلا أنه فى أيامنا هذه بعد أن زادت سرعة السفر عن ذى قبل وكثرت الأسلحة الخطرة، أصبح من الضرورة القصوى الاطلاع على وجهات نظر الشعوب الأخرى فى بقية أنحاء العالم المختلفة من أجل تحقيق التعاون والسلام الدولى.

وكثير من الناس فى هذا البلد لا يعرفون شيئًا يذكر عن الديانات الشرقية، وينسون أن النصرانية جاءت من الشرق. فهم لا يعرفون عن الإسلام إلا النزر اليسير، ويدعونه فى الغالب «المحمدية Mohammadism» وهناك طائفة منهم أحسن حالاً تظن أنها تعلم شيئًا عن الإسلام، وتحمل أفكاراً غريبة جداً كزعمها أن الإسلام انتشر بالسيف، وأن المسلمين يعتقدون أن المرأة لا روح لها، وأن محمداً كان يدعو إلى تعدد الزوجات، ولكن الذين يتحملون عناء البحث المجرد سرعان ما يكتشفون وضعًا مخالفًا لذلك ومغايراً له كل المغايرة، ولعل حب الاستطلاع أو الإيمان بالتسامح العالمى هو الذى يقود إلى البحث الأولى، وهناك طرق شتى للقيام بذلك إلا أن أكثر ما يستهوينى هو دراسة القرآن الذى هو على كل حال كتاب الإسلام الأول، وهو وحى سماوى نزل على النبى محمد ﷺ.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

هذا ما نقرأه فى القرآن. ولا شك أن الشاعر والفيلسوف الفارسى جلال الدين الرومى كان يشير إلى هذه الفقرة من الآيات عندما قال:

«المصابيح مختلفة ولكن النور واحد، فهو يصدر من أعلى، فإذا أطلت النظر إلى المصباح لابد أن يُزغلل بصرك، ومن هنا ينشأ العدد والكثرة، ثبت نظرك إلى النور تخلص من الازدواجية الكامنة فى الجسم المحدود».

ويقول:

«أنا لست من الشرق ولا من الغرب ولا من الأرض أو البحر، لقد وضعت الازدواج جانبًا، لقد رأيت أن العالمين عالم واحد، فأنا أنشد واحداً وأعرف واحداً وأدعو واحداً».

الإسلام الدين العالمى للإنسانية:

هذه الأبيات الشعرية الرائعة تؤكد الحقيقة الأساسية فى الإسلام - وهى الوحدانية - الله واحد، ومحمد رسول الله. أما الشرك فقد وضع جانبًا. فلا أب ولا ابن ولا فصل بين ما هو مقدس وما هو دنيوى وما هو شرقى وغربى، فهناك عالم واحد ودين واحد وإنسانية واحدة.

لهذا نجد تركيزاً شديداً على أخوة الإنسان فى الإسلام. وليس هذا من الأمثلة التى لم تحقق بعد، بل هو حقيقة واقعة مشهودة. ولا سبيل إلى التفرقة العنصرية فى ظل هذه الأخوة. وسواء كانت بشرة الإنسان بيضاء أو صفراء أو حمراء أو برونزية أو سوداء، فليس لذلك أدنى اعتبار أو وزن. فقد جاء لكل من هذه الأمم المتباينة الألوان رسل فى أزمان شتى يحملون رسالة واحدة ويعلمون دينًا واحداً، رغم اختلاف اسمه فى كل لسان.

ولقد كانت الجزيرة العربية آخر بلاد استقبلت آخر رسول هو محمد خاتم الأنبياء، لأن رسالته تتمثل فى إكمال نشر الدين بين من لن تصله الدعوة ولم يسمع بها. إلا أن الحقيقة تظل قائمة وهى أنه لم يدعُ إلى دين جديد. كما أنه لم يزعم لنفسه ذلك. ولم يدّع الألوهية لنفسه، بل كان يعلن دائماً بكل وضوح أنه عبد الله ورسوله. ولم يُلَمِّح مجرد تلميح إلى فكرة الوسيط المنقذ فلا تملك نفس لنفس شيئًا. فالمسئولية الكاملة تقع على عاتق الفرد لعمل الصالحات دون أدنى وساطة من قسيس بينه وبين الله. وقد حطمت التصاوير لأنها تركز الاهتمام على الأمر

المحدود بدلاً من اللامحدود، وحرم الخمر لأنه يغطى العقل والرجل المخمور لا يدرى هل هو على الطريق الصحيح أم أنه على الطريق الخطأ؟!

وهذه بعض الأمور التى تجذبنى إلى الإسلام، فهناك عقيدة التوحيد بأن الله واحد لا يشبهه شىء، والاعتراف بالأنبياء السابقين كموسى وعيسى الذين جاءوا بالدين نفسه وعدم وجود رجال دين أو صور وهى أمور تخلق فجوة مصطنعة بين السماء والأرض، وهناك توكيد على نظام محدد للأخلاق. فالمسلم الحق هو من وافق كلامه عمله وفكره، كما جاء فى بعض الأحاديث التى تعتبر مهمة جداً لمن أراد أن يدرس الإسلام. ويمكن للإسلام أن يحقق نجاحًا أكبر فى هذا البلد - الأوروبى - لو أن بعض الشبهات والأكاذيب الشعبية المتوارثة بين الناس تبدد وتزال من رؤوسهم!!

الحُروبُ الصَّليبيَّةُ الجَائِرَةُ :

فمما يؤسف له أنه فى أواخر العصور الوسطى قام سياسيون جشعون تغمرهم الكراهية والخديعة فجيشوا الجيوش تحت راية الصليب وخاضوا الحرب باسم الدين، وفى نفس الوقت تقريبًا كانت جحافل التتار - المغول - تكتسح آسيا، وبعد أن دخل المغول فى الإسلام اعتقد النصارى اعتقاداً جازمًا أن الإسلام انتشر بالسيف. ولابدّ أن يكون واضحًا أن الدين الحق لا يرضى عن استخدام القوة للاعتداء، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول ما معناه: «ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

والإسلام يعتبر الجهاد الأكبر هو جهاد النفس.

ومن السخريات اللاذعة أن تلوم المسلمين بسبب جرائم المغول قبل اعتناقهم الإسلام، لأن حضارة الإسلام نفسها كانت ضحية جرائمهم الوحشية، ولعل هذا هو السبب الذى أدى إلى الدمار والخراب الذى وقع بعد ذلك مباشرة، فقد ظلت البلاد الإسلامية قرونًا عديدة تحقق أعظم المنجزات فى مجال الآداب والفنون والعلوم والشعر والطب والرياضيات، وعندما نتحدث عن حضارة القرون الوسطى تقفز إلى أذهاننا فوراً مشاهير كالرازى وابن رشد وابن سينا، وكلمة الجبر والكيمياء اللتين تحملان «ال» التعريف العربية باللغة الإنجليزية دليل واضح على أنهما مستوردتان من الأقطار الناطقة باللغة



العربية والحقيقة أنه أتى زمان كانت اللغة العربية لا اللغة اللاتينية هى لغة دولية إذ انتشرت فى عدة أقطار خارج الجزيرة العربية ذاتها، والغريب أن مركز الحضارة (الإسلامية) انتقل من الجزيرة العربية شمالاً إلى العراق وفارس (إيران) والأقطار المجاورة، وكانت هناك أعداد كبيرة من المسلمين من غير العرب، وعلى أيدى هؤلاء تحققت كثير من المنجزات الحضارية العظمى.

وهذه نقطة مهمة لابدّ أن نذكرها عن الإسلام وهى أن الإسلام ليس دين العرب وحدهم، بالرغم من أن اللغة العربية هى لغته الرسمية، فقد دخل فى هذا الدين جماهير غفيرة من الناس فى إفريقيا وأندونيسيا والشرق الأوسط. وحتى النهضة الأوروبية لابد أن تعزى لتأثير الإسلام فيها.

لقد بدأنا الآن نرى كيف تتم المحافظة على الحضارة عبر العصور، فأحيانًا تقوم إحدى الأمم بذلك، وأحيانًا أخرى تتولى الزمام أمة أخرى، فالإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية البريطانية كلها لها مكانتها فى التاريخ الإنسانى. ولعله لولا الواحدة منها لما كان قيام الأخرى ممكنًا، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن القوة السياسية يجب أن لا تختلط فى أذهاننا مع الحضارة والدين.

فالإمبراطورية البريطانية لم تعد قائمة اليوم، إذ أن كلاً من باكستان والهند وبورما والملايو وغيرها قد حققت استقلالها. والعالم الإسلامى ينشط فى كل من الجزائر ومصر والعراق وإندونيسيا، بالإضافة إلى أقطار أخرى كثيرة وما هذه الأقطار إلا جزء يسير منها. فلابد أن هناك شيئًا يدبر فى العالم. فلا يقتصر العالم اليوم على معسكرين اثنين هما روسيا وأمريكا، بل هناك أطراف أخرى برزت على مائدة الشطرنج، فالأقطار الإسلامية بدأت تنال استقلالها وفى بعض الأحيان تتم وحدة اندماج بين بعضها، وكلما حققت هذه الأقطار استقلالها ووحدتها كلما برزت قوة ثالثة فى العالم إلى حيز الوجود.

تحذير المسلمين من العلمانية:

ولكن بالرغم من أن هذه الأقطار تحمل اسم الإسلام رسميًا، فإلى أى مدى يا ترى يؤثر الإسلام فى التغيرات الحاضرة؟ إذ أن العلمانية تستقر على ما يبدو فى بعض هذه الأقطار، ولعل هذه بادرة ليست حسنة، فالبعض يزعم أن الدين يجب أن يقتصر على

الحياة الشخصية لأنه ليس من العملى تطبيقه على شئون الدولة. ولكن المؤكد الذى لا يقبل الشك هو أن الإسلام دين لابد أن يقوم بمهمته فى العالم اليوم، فالإسلام يعلم الناس أن من واجبهم أن يجعلوا الدينا مكانًا أفضل لحياتهم، بدلاً من أن يطالبهم بهجر الدنيا والانزواء فى ركن منها وفى عيونهم الدموع، وهذا هو الجهاد الحق، ومعناه الحق ضد الأنانية والجهل والألم، فإذا قيل إن الإسلام ليس مجرد دين بل هو بالإضافة إلى ذلك نظام اجتماعى وسياسى واقتصادى، هذا القول ليس انتقاداً للإسلام بل هو اعتراف بفكرة التوحيد فيه. فنحن نقرأ فى القرآن الكريم أنّ (الله حكيم عليم)، (له مقاليد السماوات والأرض) فكيف إذن نفصل جزءاً من الحياة عن الجزء الآخر ونقول أن الدين يتعلق فقط بأمكنة وأزمنة معينة؟

الدِّينُ للوَاقِع:

فليس الدين مقتصراً على المسجد يوم الجمعة، مثلما هو الحال بالنسبة للكنيسة يوم الأحد. فانجلترا تسمى بلداً مسيحيًا، مع أن معظم الناس هناك لا يكادون يشهدون أى اجتماع دينى. وكثير من أولئك الذين يذهبون إلى الكنيسة يفعلون ذلك من قبيل الاعتياد البحت. فهناك إحساس بأن الدين ليس له أية صلة مباشرة بالحياة الواقعية.

فالإسلام كالمسيحية نشأ فى آسيا، ومما يبعث الأمل أن تجد دعاة مسلمين فى أوروبا حاملين الرسالة مباشرة من الشرق. والمبشرون النصارى الذين يذهبون إلى الشرق لهداية الوثنيين على حد زعمهم ويتناسون على ما يبدو أن جميع الأديان الأوروبية الأصلية قد ماتت وانقرضت، وأن الدين الذى تملكه أوروبا الآن كله قدأتاها من الشرق الأوسط. والإسلام لا ينكر المسيح ولا يعبد محمداً، كما يريدنا بعض الناس أن نعتقد. بل على العكس من ذلك أنه يمضى من حيث توقف النصارى، ولقد أخطأ اليهود حين أنكروا المسيح عيسى، والنصارى أخطأوا بإنكار محمد.

وأخيراً فإن الإسلام يشدنى إليه لأنه يقدم لنا فلسفة كاملة للحياة، ولأنه دين حقيقى صحيح ينتشر ويطبق على أيدى أناس يفهمونه. إننى أعتقد أنه ليس بوسع أحد اليوم أن ينكر الإسلام فى هذا العصر. فعلى كل إنسان على الأقل أن يدرسه بعقل متفتح حتى يكتشف ما هو الإسلام فى حقيقته العملية.

بولندا:

٤٧- عمر أمين شوارك

راجنهولد هنريك سابقًا

تساؤلات مبكرة:

اسمي الرسمي هو راجنهولد هنريك شوارك، لي أبوان وأخوان اثنان وأخت واحدة، وقد أكملت دراستي الثانوية عام ١٩٦٩. ولدت في مدينة لوتز، في بولندا في الثاني عشر من يوليو عام ١٩٤٥ لأسرة بروتستانتية لوثرية. وفي سن مبكرة أصبحت مهتمًا بالقضايا الدينية. فشرعت في تحليل التعاليم النصرانية ودراستها. فلم أستطع قبولها. إذ أنه لم يكن بمقدوري فهم (عقيدة التثليث) لأنه ليس لها أية إجابة منطقية، فكيف يمكن أن يطالب عيسى عليه السلام بأن يحترمه الناس بصفته ابنًا لله بينما نجده يقول:

«لا أملك لنفسي شيئًا» يوحنا ٢٨/٨.

ويقول:

«اعبدوا الله ربكم، ولا تشركوا بعبادته شيئًا» متى ٤/ ١٠.

كذلك لم أفهم لماذا نعتقد أن الطفل يولد آثمًا؟ فما هو الذنب الذي ارتكبه الطفل حتى يعتبر آثمًا؟ ولماذا يوجد بين الله وبين عباده وسطاء كالمسيح عيسى والقساوسة؟ ولماذا يوجد في بعض الأقطار كنائس مستقلة للبيض وكنائس أخرى منفصلة عنها للملونين؟

شكوك بلا جواب:

لقد ناقشت هذه الشكوك مع بعض القسس فلم يستطع أي واحد منهم أن يعطيني الإجابة المقنعة. فبدأت أقرأ كتبًا عن البوذية والهندوكية وغيرهما من الأديان. أما البوذية فلم أجد فيها إلهًا على الإطلاق، وأما في الهندوكية فقد وجدت أكثر من ثلاثة

آلهة، وجدت فيها مئات من الآلهة، لقد آمنت بدافع من فطرتي بوجود إله واحد، إلا أنني لم أكتشف حتى ذلك الحين الطريق الصحيح الذي يوصلني إليه.

وذات مرة اشتريت كتابًا عن الإسلام، إلا أنني مع الأسف لم أجد فيه سوى قدر ضئيل جداً من المعلومات المجردة من التعصب والأهواء. والشيء الوحيد الرائع الذي مررت به هو الشهادة:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله!

فأخذت أردد الشهادة مرة بعد أخرى حتى حفظتها عن ظهر قلب. ومنذ تلك اللحظة بدأت أشعر أن من واجبي أن أعرف المزيد عن الإسلام. ولم يكن ذلك بالأمر الهين لأنه في بولندا لا يكاد يوجد أي كتاب إسلامي، ولم أكن في ذلك الحين قد تعرفت على أي مسلم.

أصبحت مسلماً:

ولما علمت بوجود بعض الطلبة المسلمين في (لوتز) نفسها اتصلت بهم وسألتهم عن الإسلام، فأخبروني بالكثير عن هذا الدين العظيم، وهكذا أصبحت مسلمًا واتخذت لنفسي اسمًا جديداً هو (عمر أمين)، وبهذه المناسبة لابد أن أعرب عن جزيل شكري وامتناني لبعض الطلاب السودانيين المسلمين، وعلى الأخص الأخ هاشم الطيب عمر، والأخ أحمد عبد الله حمدين، وقد قدما لي كل ما كنت أحتاج إليه من مساعدة، كما زوداني بعدة مطبوعات ونشرات يصدرها المركز الإسلامي في جنيف، وبعث إليَّ الدكتور سعيد رمضان بنسخة من الترجمة الألمانية لمعاني القرآن الكريم، وأرسل لي الأخ محمد صديق[1] وهو من برلين الغربية بنسخة من المصحف الشريف مع الترجمة الانجليزية، وأنا مدين بالعرفان بالجميل للشيخ عمر شوبرت الذي هو من سكان برلين الغربية أيضًا لمساعدته الأخوية لي.

أين دعاة الإسلام.؟

وأعتقد أنه لولا مساعدة هؤلاء الأخوة لي لكان من العسير عليَّ جداً أن أبلغ الصراط

(١) انظر قصة إسلامه برقم (١) سابقًا.

المستقيم. ولكننى لا زلت أشعر بالوحدة والعزلة لأنه لا يوجد مسلمون فى بلدى، أعنى مدينتى الصغيرة (لوتز) والجالية المسلمة فى بولندا صغيرة للغاية وضعيفة ولا تكاد تفعل شيئًا لمصلحة الإسلام، فمعظم المسلمين هنا فى بولندا هم مسلمون بالاسم فقط إذ أنهم رضوا بمنهج الحياة المغايرة للإسلام، كما أنه فى بلادى بولندا هناك سوء فهم فظيع للإسلام، من أجل ذلك هناك حاجة ماسة إلى نشر الحقيقة عن ديننا بشكل واضح.

ولقد تمكنت بالاستعانة بكتاب الحاج خواجة كمال الدين «الإسلام وصلاة المسلم» من وضع كتاب للصلاة موجه للناطقين باللغة البولندية، وكل دعاء له مقابله فى الترجمة البولندية، ولكن ليست هناك فرصة لنشره فى بولندا وهذا أمر مؤسف للغاية حقًا.

الإسلام المنهج الكامل للحياة :

ولو أن أحداً سألنى عن أهم شيء أعجبنى وشدنى إلى الإسلام؟ فلابد أن أجيب قائلاً: إننى معجب بتعاليم الإسلام الكاملة فيا لها من تعاليم واضحة منطقية! فالإسلام يمنحنا منهج حياة كامل يشمل كافة الجوانب الروحية والمادية جميعًا، والإسلام معناه الأخوة بين البشر حيث لا مجال لأية حواجز عنصرية أو قومية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] صدق الله العظيم. «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى». حديث شريف. ولا شك أنه من الصعب علىّ أن أشرح الحقيقة الكاملة وروعة التعاليم الإسلامية فى هذه الكلمات القليلة.

الشكر الأعظم لله :

أنا سعيد أننى مسلم عبد لله، وأنا فرح أننى قد غدوت عضواً فى الأمة الإسلامية. «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

فى عام ١٩٦٥ حصلت على منحة دراسية بمساعدة سفارة جمهورية مصر العربية فى وارسو لدراسة الإسلام بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، ولكننى للأسف لم أتمكن فى ذلك الحين من مغادرة بولندا. أريد أن أعظم اسم الله تعالى وأن أشكره وأحمده لرحمته بى وإرشادى إلى الطريق المستقيم، لا بالقول والكلام فحسب، وإنما بالأعمال أيضًا. وكل

ما أرغب فيه الآن هو أن أكرس حياتى للإسلام، أسأل الله أن يوفقنى لرحمته وأن يأذن لى بدراسة الإسلام والعمل فى سبيله كداعية إسلامى. فهناك حاجة ماسة ونقص كبير فى حقل الدعوة إلى الإسلام فى العالم اليوم.

آمل هذا العام أن أبدأ دراستى للغات العربية والتركية والفارسية بجامعة وارسو، لأننى أود أن أعرف الحرف العربى المقدس، لأن من واجب كل مسلم أن يتعلم اللغة العربية فذلك من شأنه أن يقربه من كلام الله ألا وهو القرآن الكريم.

وفى ختام هذه المكاشفة عما يختلج فى صدرى أحمد الله كثيراً على نعمه علىّ حيث أعادنى إلى دين الفطرة الإنسانية الإسلام[1].

❁❁❁

(١) تلقى المؤلف هذه القصة من كاتبها الأخ عمر أمين شوارك مباشرة بعد مراسلة شخصية جرت بينهما. وقد ذكر فى خطاب آخر بعد ذلك أنه شرع فعلاً فى دراسة اللغات العربية والأوردية والفارسية.

أوربا :

٤٨- فرانسيس سترين

ذروة التألق الروحى والفكرى

هذه مرحلة روحية لشابة أوروبية لا تذكر اسم بلدها الأصلى، ولا اسمها الإسلامى، ولا حتى أى شيء عن حياتها المادية الدنيوية، إنها قصة فريدة من نوعها فى هذه الحلقات المسلسلة من قصص الذين اهتدوا، فالكاتبة التى هى نفسها موضوع هذه القصة مهتمة أولاً وقبل كل شيء بالجانب (الروحى) فقط، ولقد تمكنت من تحقيق السلام والطمأنينة والرضا فى حياتها. وبذلك حققت سعادتها المرجوة فى الحياة.

ولن أطيل على القارئ الكريم، ولنستمع إلى ما تقوله الأخت المسلمة فرانسيس سترين:

آمنت بالإسلام :

لقد أقبل كثير من الأوروبيين على اعتناق الإسلام نتيجة لزيارة أقطار إسلامية، وتأثرهم بإخلاص الشعوب المسلمة وحماسها للإسلام، وهذا ما يتناقض تمامًا مع روح اللامبالاة الدينية السائدة فى العالم الغربى، إلا أن ذلك لا ينطبق على حالتى، لأننى لم يحدث بعد أن قمت بزيارة أى بلد مسلم، كما أننى لم أكن قد التقيت بأى مسلم إلا بعد أن آمنت بالإسلام فى سويداء قلبى. لقد كان اهتدائى للإسلام بكل بساطة ثمرة دراستى الشخصية التى استطعت من خلالها التجوال فى شتى مجالات الروح حتى أتيت إلى نهاية المطاف، واختتمت الرحلة فى ديار الإسلام.

شكوك فى معتقدات الكنيسة :

ولدت وترعرعت فى أسرة رومية كاثوليكية، وتعلمت فى مدرسة تبشيرية مسيحية، إلا أنه قبل مغادرتى للمدرسة بوقت قصير بدأت أرتاب فى حقيقة كثير من معتقدات الكنيسة، كعقيدة التثليث، وربوبية عيسى، والخطيئة الأولى ومبدأ الغفران، لأنها بدت

لى غير معقولة بل ضارة فى الآثار التى تحدثها أحيانًا، ولا تبرهن على صحتها حتى الأناجيل والكتب المقدسة ذاتها.

لقد أحسست إحساسًا قويًا أنه إذا كان الله موجوداً فعلاً وكان طيبًا وعادلاً، فلا يمكن أن يكون قد أعطى الحقيقة كلها لأمة واحدة دون سائر الأقوام، وأن يكون قد ترك جميع بنى الإنسان الآخرين فى ظلام دامس وخطأ جسيم! لذا ظهر أمام ناظرى أحد احتمالين:

الأول هو أن جميع الأديان الكبرى صحيحة فى صورتها الأصلية، والثانى: أن تكون كلها زائفة لا معنى لها البتة.

دراسات روحية عميقة:

ثم تستأنف الأخت فرانسيس سترين حديثها فتقول:

«من الواضح أن كافة المعتقدات الدينية تعتقد بشكل أو بآخر أن روح الإنسان تبقى بعد موت الجسد، وحيث إن علماء الروح يزعمون أنهم قادرون على إثبات هذا البقاء، شرعت فى دراسة مزاعمهم. ومن بين الروحيين الكثيرين الذين اطلعت على مؤلفاتهم فإن المؤلف الشهير سير «أوليفر لودج» الذى وجه اهتمامه لهذا الموضوع، قد أقنعنى حين قال بأن روح الإنسان تعيش فعلاً بعد القبر. هناك الكثير من الخداع والدجل فى هذا المجال بالطبع، إلا أنه بكل تأكيد كذلك هناك نواة من الصدق لا يمكن تجاهلها أو إنكارها.

العقيدة الهندوكية:

وبعد أن أشبعت رغبتى فى دراسة هذا الجانب، بدأت فى دراسة الأديان التى ظهرت فى العالم الشرقى. ولما كانت تعاليم الديانة الهندوكية - ومنها تعاليم فيدانتا ويوجا - قد لقيت رواجًا كبيراً فى الغرب، فقد شرعت فى دراستها أولاً، وهكذا تعرفت على اليونيشاد واليوجاسوترا والباجفاد جيتا فاستقيت منها الكثير من الإلهام والبهجة النفسية. وعشت عدداً من السنين مستنيرة بضوء هذه الفلسفة وبالممارسة المنتظمة للتأمل. وبالرغم من أننى علمت أن العقيدة الهندوكية بالشكل الذى يمارسها الجمهور تشوهها الطائفية والخرافة، لا بل الوثنية البدائية، إلا أننى أحسست دون أدنى ريب أن المبادئ السامية فى الفكر الهندوكى تحمل طابع الوحى الإلهى.



ثم تنتقل الكاتبة إلى الحديث عن مرحلة أخرى من مرحلتها الروحية فتقول:

إلا أن الفلسفة، مهما بلغت من الشفافية والنبل، ليست طقوسًا دينية قابلة للتطبيق، بل تميل إلى أن تظل مجرد فكر وليست قوة محركة فى حياة الإنسان، لذلك فبعد أن تزوجت وأنجبت أطفالاً كان علىّ واجب العناية بهم، فأصبح من المحال علىَّ أن أحقق السلام والوحدة اللازمة للتأمل، لذلك اضطررت بتلكؤ إلى هجر الفلسفة وسعيت إلى الاهتمام فى أداء واجباتى وجولاتى المنزلية.

البُوذِيَّة:

لم أجد ذلك مُرضيًا لنفسى لفترة طويلة من الزمان وسرعان ما انجذبت لدراسة الديانة البوذية التى تلقى هى الأخرى اهتمامًا وتعاطفًا فى العالم الغربى لكونها عقيدة عالمية، لذلك درست الذمابادا ومختلف المذاهب البوذية كالشيرافادا والماهايانا، ورغم أن تعدد المذاهب كان مربكًا أحيانًا، بتفاوته من آفاق الفلسفة الماهايانا إلى عجلة الصلاة الآلية المتمثلة فى عبادة بوذا عند الجماهير - رغم كل ذلك شعرت أن الحياة البوذية الغنية بالتأمل والدراسة يمكن أن تكون هدفًا روحيًا نبيلاً يستحق الاهتمام.

رَهْبَانِيَةٌ ابْتَدَعُوهَا:

ولكنى وجدت أنه فى الديانة البوذية، تمامًا كما هو الشأن فى النصرانية لا يمكن بلوغ ذروة الحياة الروحية إلا من خلال وجود رهبانى منعزل فى الأديرة، وهو وضع لا يمكن للحياة الإنسانية فى الدنيا أن تعادله فى المكانة الروحية مهما بلغت من الشفافية والنبل، لذا بدا لى ذلك الأمر غير واقعى بشكل غريب، صحيح أن الحياة الدينية قد تكون أيسر فى ظل عزلة الأديرة، ولكنى لم أستطع أن أفهم كيف يمكن اعتبار ذلك أسمى من الانتصار الروحى الذى يتعمق بمواجهة محن الحياة العائلية، ومعضلاتها الكثيرة، والتغلب عليها والانتصار منها من خلال الحياة اليومية على ظهر كوكبنا الأرضى.

كما أنه من الواضح أن رهبانية الأديرة تفقد الحياة العائلية والأجيال القادمة بعض آثارها المهمة، فقبل كل شىء وجدت من المقلق لى كثيراً أن أتخذ لنفسى هدفًا فى الحياة لا يمكننى تطبيقه.



زهاد العالم العظماء:

وتستأنف الأخت فرانسيس سترين اعترافاتها فتتحدث عن تجربة جديدة وتقول:

من حين لآخر بينما كنت أجرى دراسات عامة في المقارنة بين الأديان، فاستقطبت اهتمامى مؤلفات الزهاد العظماء فى الأديان المختلفة من أمثال: دويسبروك، وايكهارت، وجلال الدين الرومي، ومؤلف «حيل طاوتى شنج» العميقة (Tao Te Ching). وقد مكنتنى تجربتى الخاصة فى التأمل من فهم شيء يسير من أهمية مؤلفاتهم التى تحدثت بوضوح تام عن تجربة عامة تشملهم جميعًا بالرغم من صدورها بلغة أديانهم وعقائدهم المختلفة.

ذروة المثنوى وجلال الدين الرومى:

هذه الدراسات كلها كانت تؤكد وجهة نظرى بأن جميع الأديان العظمى تنبثق أساسًا من مصدر ومشكاة واحدة، كذلك دفعنى هذا الاعتقاد إلى دراسة دين مؤلف «المثنوى» - أى جلال الدين الرومي - بصورة أكثر شمولاً، لأننى كنت أعتقد أحيانًا أن قيمة أى دين من الأديان يمكن أن تقاس بعظمة رجاله القديسين الزاهدين، مما يوحى بأن الإسلام قد تكون له مكانة أعظم مما يقره الناس له فى الغرب.

وكم حيرنى أن أرى أن «المثنوى» الذى ألفه الرومى يمكن اعتباره قمة من أعظم الروائع فى هذا المجال، بينما يُقدّم لنا الإسلام فى الغرب باعتباره الدين البدائى للقبائل العربية العنيفة المتخلفة. وحكامها الظلمة المتهورين الداعرين!!

ومن هنا قررت أن أكتشف السبب فى هذا التناقض الواضح.

نحو الإسلام الدين الشامل:

لقد ذهلت حقًا أن أكتشف فى الإسلام دينًا توحيديًا صافيًا يحض على إخلاص العبادة لله، ويضع نظامًا كاملاً عمليًا كى يتبعه الجميع، وبهذا النظام تتعمق الروح الدينية وتنمو بصورة مستمرة، هنا فى الإسلام نجد المبادئ الأساسية للدين الحق مصونة تمامًا بصورة مدهشة من كل الإضافات ومحاولات الحذف المعقدة التى فرضت على الأديان الأخرى، حتى غدا من العسير الإيمان بها أو اتباعها بإخلاص وصدق.

الإسلام أولاً وقبل كل شيء هو دين يأمر بالإيمان بأنبياء الله جميعًا ولا يزعم لنفسه



أن يكون خصمًا أو أنه المستودع الوحيد للحقيقة، وإنما هو ذكر وتوكيد لجوهر الهدى الصافى الذى جاء به جميع رسل الله السابقين إلى سائر الأمم من بنى الإنسان.

كذلك وجدت أن تعاليم الإسلام عبارة عن تعاليم واقعية إيجابية لا تسعى إلى إيجاد صراع خاطئ بين الجسد والروح، أو تتخذ موقفًا معاديًا من حياة الناس العادية وما تحمله فى طياتها من فرص كثيرة للاجتهاد والنظام الروحى، فالإسلام ينظر إلى الحياة بكل جوانبها على أنها فرصة لعبادة الله والتوجه الكامل إليه سبحانه، وهى فرصة مفتوحة لجميع الناس بالتساوى دون أدنى وساطة، أو تدخل من أى نوع من جهة كهنوت علوى متسلط!!

حينئذ شعرت أننى كنت دائمًا مسلمة بالمعنى الأساسى للكلمة، أو على الأقل منذ أن آمنت بأن كافة أنبياء الله العظماء جاءوا إلى الناس بنفس الرسالة السماوية من عند الله، وما الاختلاف بينهم إلا فى طريقة التعبير، كما أيقنت أن الإسلام قد حافظ عل الرسالة الأخيرة فى صورتها الصحيحة الأصلية.

روح الإسلام:

ولما سئلت الأخت فرانسيس عن قراءتها الإسلامية الأخرى والكتب التى أعجبتها من بين ما قرأت؟ قالت:

إن أكثر كتاب كان له عظيم الأثر فى نفسى ضمن دراساتى الإسلامية هو كتاب «روح الإسلام» لسيد أمير على، رغم ما يتعرض له هذا الكتاب من انتقاد فى بعض ما ورد فيه من قبل العالم الإسلامى بالنسبة لكثير من العادات والمواقف التى كان المؤلف يتمنى أن يتحقق إصلاحها، فهو يضع أمام المسلمين والعالم أجمع حقيقة عظمة الإسلام الصافى الملهم، الذى يقع على عاتق كل مسلم محاولة تطبيقه فى مجال الحياة العملية، فهو كتاب من واجب كل طالب مسلم أن يعمل على قراءته ودراسته.

فى عالمنا الحديث الذى تلتقى فيه جميع الأمم وتقترب من بعضها قربًا شديداً، بفضل معجزات النقل السريع التقت الحضارتان الإسلامية والغربية وتخالطت فى نقاط عديدة، وأخذت تؤثر وتتأثر ببعضها البعض. وهذا بلا شك له فائدته إذا تم بالروح الصحيحة. إلا أنه يقال أحيانًا أن الشباب المسلم قد سلب لُبَّهُ التقدمُ المادى الغربى حتى مال إلى الإعجاب بكل شىء غربى وتقليده إلى درجة أنه ضحى بالإسلام وتخلى عنه جريًا وراء المادية الكافرة بالله!!

الحضارة الغربية والعالم الإسلامي :

لست واحدة من أولئك الذين ينفضون أيديهم من الحضارة الغربية على اعتبار أنها شر كلها ، وبذلك تستحق عندهم الإدانة بعد الاتهام، وإنما أعتقد على العكس من ذلك بأنها قد حققت الكثير من الخير والفائدة الدائمة لأن جهد سيدنا عيسى عليه السلام لم يضع سدى، وأود أن أقول إن الأمور الطيبة التى تحققت تشمل التقدم العلمى والتكنولوچى والتقدم فى مجالات الطب والخدمات العامة، والتعليم وممارسة المساواة بين الجنسين والاعتراف بمبدأ التزوج بواحدة فقط(١).

ويمكن أن يقال بحق بأن كل هذه المنجزات قد أشار إليها القرآن الكريم منذ أمد بعيد، وإذا كان الغرب قد لحق بالشرق وسبقه فى هذه الأمور فليس ذلك ذنب الإسلام، وإنما يرجع إلى عجز المسلمين عن حمل تعاليمه الصحيحة ووضعها موضع التطبيق.

وبعد أن أعربت عن تقديرى لمنجزات الغرب فلابد لى، مع ذلك، أن أعترف بالجوانب المظلمة والمشينة من الحياة الغربية، وهى الجوانب التى يستنكرها كل المسلمين دون شك. وفى هذا المضمار أذكر الشعور العام باللامبالاة نحو القيم الدينية، والتى حلت محلها عبادة المال والراحة والمتعة، وتدنى المستويات الثقافية وامتهان العفة والكرامة جهاراً والتنكر العام لروابط الأسرة وواجباتها، والانغماس فى شرب الكحول ولعب القمار!!

دار الإسلام والقيادة العالمية :

من أجل ذلك، يتهيأ لى أنه تتاح الآن فرصة فريدة كى تنهض (دار الإسلام) وتتسلم زمام القيادة فى العالم على الصعيدين الأخلاقى والثقافى، وحمل نبراس التقدم مرة أخرى وتسليمه للأجيال القادمة، ولن يتم ذلك على كل حال، بالتقليد الأعمى للغرب، وإنما يتحقق عن طريق استيعاب منجزات الغرب النظيفة، وضمها إلى نظام التقدم الإسلامى الحق، الذى لا سبيل إلى وجوده ونشأته إلا بالفهم العميق والتطبيق الدقيق المخلص لروح الإسلام ومبادئه الصحيحة.

❁❁❁

---

(١) هذه هى وجهة نظر الكاتبة، وهى ليست بالضرورة موقف الإسلام فى هذه القضية، لأن الإسلام قد أباح التعدد ولم يعتبره منافيًا للفضيلة، وإنما جعله علاجًا حكيمًا لمشكلات كثيرة.

مصر:

٤٩- الحاج إبراهيم خليل أحمد

القسيس إبراهيم خليل فيلوبوس سابقًا

تمهيد: من عدو إلى داعية:

كان الحاج إبراهيم خليل أحمد قسًا مبصّرًا يحمل أرفع الشهادات فى اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية، وكانت مهمته تزييف حقيقة الإسلام والدعوة ضد مبادئه، وفجأة شاء الله له الهداية فأعلن انقلابًا ذاتيًا على مهمته واتخذ موقفًا مغايراً لها تمامًا، سبحان الله، كم من خصم لدود للإسلام يناصبه العداء ويتآمر ضده ويكيد له أعظم الكيد، ثم يتحول بإرادة ربانية سماوية إلى داعية مخلص للإسلام ولا يقتصر ذلك على زماننا، فبدءًا بعمر بن الخطاب الذى كان ألد أعداء محمد ﷺ والذى كان يريد قتل هذا النبى، ثم أسلم فأصبح الفاروق عمر الذى ملأ الدنيا عدلاً وسعادة، ومروراً بآل أبى سفيان وزوجه هند آكلة الأكباد والتى دفعت ثمنًا باهظًا لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، والتى كانت تقول للرسول بعد أن أسلمت: والله ما كان هناك بيت أبغض إلينا من بيتك، وها نحن الآن والله ما من بيت أحب إلينا من بيتك، وعلى مر العصور يحول الله من شاء من عباده من المحاولة لهدم هذا الدين والإجهاز عليه إلى التضحية بالروح والنفس والنفيس للذود عنه. وقضية القسيس إبراهيم خليل تضيف فصلاً جديداً فى هذا الكتاب الربانى الرائع، وسنة الله فى حفظ هذا الدين.

القصة من أولها:

يبدأ الحاج إبراهيم خليل أحمد قصته قائلاً والذى كان اسمه من قبل «القس إبراهيم خليل فيلوبوس»:

أنا من مواليد الإسكندرية فى ١٣ يناير ١٩١٩م درست فى مدارس الإرسالية الأمريكية حتى الثانوية العامة، ثم حصلت على دبلوم كلية أسيوط سنة ١٩٤٢م

وتخصصت فى الدراسات الدينية تمهيداً لدخولى (كلية اللاهوت)، ولم يكن الالتحاق بكلية اللاهوت بالأمر السهل، ولا يستطيع أى حاصل على الدبلوم أن يلتحق بهذه الكلية، بل لابد من تزكية الكنيسة واجتياز عدد من الاختبارات الدقيقة، ولقد حصلت على تزكية كنيسة العطارين بالإسكندرية، كما حصلت على تزكية (المجمع الكَنَسى) للوجه البحرى بعد إجراء اختبارات عديدة ودقيقة للتعرف على مدى استعدادى لأن أصبح رجل دين، ثم حصلت على تزكية المجمع (السنودس) وهو يضمّ مجموعة قساوسة من السودان ومصر ويعتبر كمؤتمر دينى عام. وقد قرر السنودس الموافقة على دخولى كلية اللاهوت سنة ١٩٤٤ بالقسم الداخلى، ودرست على يد أساتذة أمريكيين ومصريين وتخرجت فى عام ١٩٤٨.

وقد كان المفروض أن أعين فى القدس .. لكن حرب فلسطين نشبت فى ذلك العام فعينت فى بلدة إسنا بالوجه القبلى فى مصر، وسجلت رسالة فى العام نفسه عن طريق الجامعة الأمريكية فى القاهرة، وكانت رسالتى عن العمل التبشيرى بين المسلمين .. وقد بدأ تعرفى على الإسلام من خلال دراستى فى كلية اللاهوت، فنحن فى هذه الكلية ندرس الإسلام وكل الأساليب التى نستطيع من خلالها زعزعة إيمان المسلمين وتشكيكهم فيه!!!

مِنَ الظّلمَاتِ إلى النّور:

وفى سنة ١٩٥٢ حصلت على الماجستير من جامعة برنستون الأمريكية، وعينت أستاذاً بكلية اللاهوت فى أسيوط، وكنت أقوم بتدريس الإسلام والمغالطات والافتراءات والشائعات التى يرددها أعداؤه والمبشرون ضده .. وقد رأيت فى هذه الفترة أن أوسع دراستى لكل جوانب الإسلام، وقررت ألا أكتفى بالاطلاع على كتب المبشرين والمستشرقين التى تقتصر على الطعن فى الإسلام، ولثقتى بنفسى وحبى للعلم قررت أن أقرأ وجهة النظر الأخرى، وأدرس كتب المسلمين أنفسهم بل وقررت أن أدرس القرآن بتعمق.

وكان هدفى من هذا كله أن أصبح متمكنًا من مادتى تمامًا بحيث أستطيع دفع الحجة بالحجة، وأكون قادراً على أن أضيف إلى حجج المبشرين ضد الإسلام حججًا جديدة من

خلال دراستي وتعمقي .. لكن النتيجة فى الواقع كانت عكسية، فقد بدأ موقفى يهتز، وبدأت أشعر بصراع داخلى عنيف بينى وبين نفسى، واكتشفت أن ما درسته من قبل وما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب.

لكننى لم أستطع مواجهة نفسى وحاولت التغلب على هذه الأزمة الداخلية والاستمرار فى عملى. وفى سنة ١٩٥٤ نقلت إلى أسوان سكرتيراً عامًا للإرسالية الألمانية السويسرية، وكانت هذه وظيفة صورية، أما حقيقة مهمتى فكانت التبشير ضد الإسلام فى الصعيد الأقصى وخاصة بين المسلمين.

ثورة على نفسى وكذبى :

وفى تلك الأثناء عقد مؤتمر تبشيرى فى فندق «كتراكت» بأسوان ودعيت للكلام فيه، وتكلمت يومها كثيراً، ورددت كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام .. وبعد أن انتهيت من كلامى عاودتنى أزمتى الذاتية، وبدأت فى مراجعة موقفى مرة أخرى وعدت أسأل نفسى:

لماذا أقول هذا وأفعله وأنا أعلم أننى كاذب؟ وأن هذا الذى أقوله ليس هو الحق؟. واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر وخرجت وحدى متجهًا إلى بيتى، كنت مهزوزاً متأزمًا للغاية، وكنت أسير فى حديقة فريال واستمعت ساعتها للآية الكريمة:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ... ﴾ [الجن: ١، ٢].

إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ... ﴾ [الجن: ١٣].

فى تلك الليلة شعرت براحة نفسية عميقة .. عدت إلى بيتى وقضيت الليل كله وحدى فى المكتبة أقرأ القرآن. وسألتنى زوجتى عن سر سهرى وعما أقرأ؟ فطلبت إليها أن تتركنى وحدى. ولقد وقفت طويلاً عند الآية الكريمة:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ [الحشر: ٢١].

كما وقفت طويلاً أتأمل معنى الآية الكريمة:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ [المائدة:٨٢ - ٨٤].

وكذلك قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

والآية الكريمة:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

قراري النهائي: الإسلام:

في تلك الليلة اتخذت قراري النهائي .. وفي الصباح تحدثت مع زوجتي، وكان لي منها ثلاثة أولاد وبنت، لكن زوجتي بمجرد أنها سمعت أنني ميال للإسلام وأفكر في إشهار إسلامي، صرخت واستغاثت برئيس الإرسالية «مسيو شافتز» وهو سويسري وكان رجلاً داهية، وقد سألني عن حقيقة موقفي، فأكدت له ما أخبرته به زوجتي فقال لي: اعتبر نفسك موقوفًا عن العمل حتى نرى حقيقة ما أصابك.

فقلت له: بل هذه هي استقالتي من عملي .. حاول أن يقنعني بتأجيلها لكنني صممت عليها فأشاع في الناس أنني أصبت بالجنون، وتعرضت وقتها لمحنة شديدة واضطهاد عظيم، فاضطررت لترك أسوان نهائيًا والعودة إلى القاهرة.

كيف أعلن إسلامه ؟

وفى القاهرة تعرفت على أستاذ فاضل ساعدنى كثيراً على اجتياز محنتى دون أن يعرف شيئًا عن قصتى، وكان يعاملنى على أننى مسلم لأننى قدمت نفسى إليه كمسلم رغم أننى لم أكن قد أشهرت إسلامى بعد، كان هو الدكتور (محمد عبد المنعم الجمال) الذى كان وكيلاً لوزارة الخزانة، وكان مهتمًا بالدراسات الإسلامية وكان يريد إعداد ترجمة لمعانى القرآن لينشرها فى أمريكا.

وقد استعان بى لإتقانى اللغة الإنجليزية ولأننى حاصل على الماجستير من جامعة أمريكية، وعرف أيضًا أننى أقوم بعمل دراسة مقارنة للقرآن والتوارة والإنجيل، وقد تعاونًا معًا فى هذه الدراسة وفى ترجمة معانى القرآن، ولما عرف أننى استقلت من عملى فى أسوان وأننى لا أعمل، ساعدنى على إيجاد عمل فى شركة «ستاندارد ستيشنرى» فى القاهرة.

وهكذا استقرت أمورى فى ذلك الوقت، ولم أكن أتحدث مع زوجتى فى موضوع إشهار إسلامى، فاعتقدت أننى نسيت هذه الحكاية وأنها أزمة وانتهت .. لكننى كنت أعرف أن إشهار إسلامى رسميًا يحتاج إلى إجراءات طويلة معقدة، ومعركة رأيت أن أؤجلها إلى وقت لاحق حتى تستقر أمورى، وحتى أنتهى من دراستى المقارنة للقرآن والإنجيل والتوراة، وقد انتهيت منها فعلاً فى عام ١٩٥٩م كما أن أمورى المادية والمعيشية كانت قد استقرت حيث كنت قد استقلت من الشركة وأنشأت مكتبًا تجاريًا لاستيراد الأدوات الكتابية، ونجحت فيه ووهبنى الله رزقًا حلالاً كان يكفينى ويزيد عن حاجتى.

عقبات هائلة:

وقررت حينئذٍ أن أشهر إسلامى رسميًا .. وفى يوم ١٩٥٩/١٢/٢٥ أرسلت برقية للدكتور طومسون رئيس الإرسالية الأمريكية فى مصر، أخبرته فيها بأننى اعتنقت الإسلام، كما تقدمت فى اليوم نفسه بطلب إلى محافظة القاهرة لاتخاذ الإجراءات الرسمية لإشهار إسلامى، وأخبرت صديقى الدكتور الجمال بالأمر وقصصت عليه قصتى كاملة لأول مرة فذهل.



أما معركتى الحقيقية فكانت قد بدأت، إذ يقضى نظام المحافظة على أى مسيحى يريد أن يشهر إسلامه أن تنتدب الكنيسة التى يتبعها أحد القساوسة للحضور أمام لجنة المحافظة التى تعقد له جلسة مناقشة علنية بحضور القسيس، فإذا تأكدت اللجنة من صدق نيته وإصراره على إشهار إسلامه برضًا كامل، ودون أية مؤثرات أو عوامل غير طبيعية فإنها تحرر محضراً رسميًا بذلك وتعطيه شهادة بإشهار إسلامه.

مُحَاوَلاتٌ يَائِسَةٌ:

بالنسبة لى عندما أرسلت طلبى للمحافظة قامت بإخطار الكنيسة لانتداب أحد القساوسة، وحددوا لى جلسة للمناقشة، ولكن قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام عدت إلى بيتى فوجدت سبعة من كبار الشخصيات المسيحية ينتظروننى فى البيت!!

تحدثوا إلىّ طويلاً فى الأمر وبلهجة لينة وكثير من الترغيب، أما أنا فكنت قد انتهيت إلى قرار وتصميم فرفضت كل عروضهم وقلت لهم:

إننى لو كنت أسعى لمغنم لما آمنت، وإن عقيدتى وإيمانى فوق كل العروض والمغريات، فقالوا لى: كيف تترك دينك؟ قلت لهم: إن الإسلام هو الذروة الدينية التى أرادها الله للإنسانية كافة وأنتم تعرفون ذلك، فبدأ البعض يهاجم الرسول بكلمات نابية، وانقلبوا علىّ بتهديدات أولها أن الزوجة تترك البيت، فقلت لهم: الزوجة حرّة، لكنهم استمروا فى تهديدى بالقتل، فقلت لهم أخيراً: ماذا تريدون بالضبط؟ قالوا: نريدك ألا تذهب لحضور الجلسة فى المحافظة، فيسقط طلبك ويعتبر الموضوع منتهيًا .. وكان اليوم يوم أحد، فقلت لهم: سأفكر، وتركونى يائسين.

وفى اليوم التالى جاءنى قسيس أكبر منى سنًا، وكانت له صلة وثيقة بى، وظل يبكى فقرأت عليه قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣، ٨٤].

وقلت له: أولى بك أن تبكى خشوعًا لله عند سماع القرآن، وأن تؤمن بالحق الذى تعرفه وتنكره، فقام وتركنى بعد أن يئس وأدرك أن لا فائدة.

وعندما ذهبت إلى جلسة المحافظة علمت أنه هو المكلف بحضور الجلسة، لكنه أرسل يعتذر عن عدم الحضور بسبب المرض ويطلب تأجيل الجلسة، وظل يتغيب عن الجلسة بحجة المرض وبقصد التعطيل، لكن اللجنة كان من حقها أن تشهر إسلامى إذا تغيب القسيس أكثر من جلستين، وفعلاً وافقوا على إشهار إسلامى، وكان ذلك فى يناير ١٩٦٠م.

أسلم أولادى جميعًا، والزوجة قاربت:

ولما سئل الحاج إبراهيم خليل أحمد عن موقف زوجته قال:

فى ذلك الوقت تركتنى زوجتى وأخذت أثاث البيت، لكن أولادى جميعهم انضموا إلى صَفِّى وأشهروا إسلامهم، وكان أكثرهم حماسًا ابنى الكبير إسحق الذى غيَّر اسمه إلى أسامة، ثم ابنى يوسف وبقى اسمه على ما هو عليه، وابنى صموئيل الذى أصبح اسمه جمال، ثم ابنتى ماجدة وسميناها نجوى .. وأسامة اليوم دكتور فى الفلسفة ويعمل أستاذاً فى جامعة السوربون بباريس فى قسم الدراسات الشرقية، ويقوم بتدريس علم النفس وله كتابات فى مجلة «لوموند» الفرنسية.

أما زوجتى فقد غابت ست سنوات عن البيت، ثم وافقت على العودة إلىَّ فى سنة ١٩٦٦ على أن تتمسك بدينها، فوافقتها لأن الإسلام دين سماحة ولا إكراه فى الدين، وقلت لها: أنا لا أريدك أن تسلمى لإرضائى أو لتبعيتى ولكن عن اقتناع وإيمان، والواقع أنها الآن تشعر فى أعماقها وقرارة نفسها بالإيمان لكنها لا تستطيع إعلان ذلك خوفًا من عائلتها، ولكنها تتعامل معنا كمسلمة، بل وتصوم رمضان معنا لأن أولادى جميعًا يصومون ويصلون، وابنتى نجوى فى كلية التجارة، ويوسف دكتور صيدلى، وجمال مهندس.

اضطهاد ومقاطعة:

لا أريد أن أشرح تفاصيل ما تعرضت له من اضطهاد ومتاعب، وخاصة من جانب أهلى الذين قاطعونى وحاولوا قتلى، كما أننى اضطررت لتصفية أعمال مكتبى لأن كل البيوتات التجارية التى كنت أتعامل معها فى الخارج تضافرت على مقاطعتى، وعدم التعامل معى، وجميع أصحاب هذه البيوتات أجانب، لكننى لم أهتز وقررت أن أصرف

وقتى وبقية عمرى فى الدعوة للإسلام والكتابة عنه، وساعدنى على ذلك أننى عُينت فى ١٩٦١م فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء ولجنة إحياء التراث الإسلامى.

مُؤلفات وَنشاط فِي الدعوة :

وقد استطعت خلال هذه الفترة من عام ١٩٦١ حتى الآن أن أصدر عدة كتب تكشف عن حقائق الإسلام، وعن أساليب المبشرين والمستشرقين ضده، وكتبى التى نشرتها فعلاً هى:

١- «محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن» وهى الدراسة المقارنة للأديان الثلاثة التى بدأتها فى عام ١٩٥٦م وانتهيت منها فى عام ١٩٥٩.

٢- المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى.

٣- إسرائيل والتلمود.

٤- «تاريخ بنى إسرائيل» وهو ثلاثة أجزاء هى:

(أ) إسرائيل فتنة الأجيال.

(ب) إسرائيل فى العصور القديمة.

(جـ) إسرائيل فى العصور الحديثة.

٥- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية.

٦- المسيح إنسان لا إله.

٧- الإسلام فى الكتب السماوية.

٨- المخطط التبشيرى والإستعمار.

٩- أعرف عدوك: إسرائيل عقيدة وسياسة.

١٠- وأقوم الآن بإعداد دراسة مقارنة لوضع المرأة فى الأديان الثلاثة وإبرازمكانة المرأة فى الإسلام ..

هذا وقد حججت إلى بيت الله في عام ١٩٧٣ وأديت مناسك العمرة مرتين، وأقوم بنشاط واسع في الدعوة للإسلام، وأجرى ندوات فى الجامعات والمساجد والجمعيات الخيرية، وقد جاءتنى دعوة من السودان فى عام ١٩٧٤ وأحييت عدة ندوات فى السودان.. وعمومًا فإن أوقاتى كلها مكرسة لخدمة الإسلام وأرجو الله أن يهدى بى من لم يهتد بعد.

عناصر الإسلام التى استوقفته:

قلت للحاج إبراهيم خليل: أريد أن تحدثنى عن العناصر الأساسية التى استوقفتك فى الإسلام وعمّقت إيمانك به فقال:

١- صدق الرسول وإعجاز القرآن:

إن الإيمان لابد أن ينبع من القلب أولاً، والواقع أن إيمانى بالإسلام تسلل إلى قلبى خلال فترات طويلة، منذ بدأت دراستى للإسلام فى كلية اللاهوت ومن قراءتى للقرآن ودراستى لتاريخ الرسول ﷺ ودعوته أيقنت أنه نبى مرسل من عند الله، وبدأت قناعتى بما كانوا يقولونه لنا من أنه مُدَّعٍ أو أنه كاذب بدأت قناعتى بهذا الكلام تهتز... فكيف لرجل أمى لم يتعلم أبداً على بشرٍ أن يأتى بهذا القرآن الذى بلغ حد الإعجاز؟ وما زال حتى الآن وسيبقى إلى الأبد معجزة؟! إذ لا يمكن لبشر مهما أوتى من موهبة أن يأتى بآية واحدة منه؟ ثم هذا النظام المحكم الذى عالج كل قضايا الدين والإيمان والحياة بمنطق علمى فوق كل علم وفوق كل تصور بشرى، هل يمكن لبشر أن يأتى بهذا كله من عنده؟!

سؤال يجب أن يسأله كل مفكر:

ثم قال:

إن البداية تنطلق طبعًا من هذا التفكير، والسؤال الذى يجب أن يطرحه كل مفكر فى هذا الأمر هو:

هل يمكن لمحمد الرجل الأمى أن يؤلف هذا القرآن من عنده بما فيه من إعجاز فى الأسلوب وإعجاز فى التفكير وشمول موضوعى لكل قضايا الدين والدنيا؟ وهو الأمر الذى يعجز عنه أى مفكر، مهما بلغت درايته وعبقريته وسعة أفقه؟ وقد يكون ممكنًا أن

يأتى مفكر بنظام معين فى الاقتصاد، أو بنظرية فى الاجتماع أو فى الفلسفة، أو فى العلوم أو اللاهوت، لكن أن يأتى مفكر واحد بنظام شمولى يجمع كل هذه الجوانب، وفى كتاب محكم شامل معجز، فهذا فوق طاقة وقدرة أى بشر على مر كل العصور.

كنت دائمًا أقرأ القرآن الكريم وأقرأ تاريخ الرسول وأحاول أن أجد أساسًا واحداً يمكن أن يقنعنى أن محمداً هذا الإنسان الأمى الفقير اليتيم يستطيع وحده أن يؤلف هذا القرآن، ويُحدث كل تلك الثورة التى غيّرت تاريخ العالم ولا تزال؟!

وهل يمكن أن تبلغ بلاغة أى إنسان أو قدرته على مناقشة الآخرين الدرجة التى يقول معها:

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان:٧-١١].

٢- نظام التوحيد:

استوقفنى كثيراً نظام التوحيد فى الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ إن التوحيد يجعلنى عبداً لله وحده لست عبداً لأى إنسان، التوحيد فى الإسلام يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأى إنسان، وتلك هى الحرية الحقيقية فلا عبودية إلا لله وحده.

أما نظام الغفران فى الإسلام فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربه:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٣، ٥٤].

فالإنسان فى الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء ولا لصكوك غفران أو كراسى اعتراف، لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه.

٣- موقف الإسلام من المرأة:

كذلك استوقفنى كثيراً موقف الإسلام من المرأة، فالإسلام أعطى المرأة مكانة لم تحظ بها فى أية ملة أو دين غيره، لقد أعطاها الإسلام حقوقًا كأم وبنت وزوجة كما أعطاها سيادة: استمع إلى الآية الكريمة التى تقول:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

فالعلاقة بين الرجل والمرأة علاقة مودة ورحمة، والاتحاد بين الرجل والمرأة آية من آيات الله تعالى، وليس هناك تكريم للمرأة مثل هذا التكريم فى أى دين من الأديان، فالمرأة فى الديانة اليهودية تعتبر مجرد متعة ولا حق لها ولا قيمة، وفى النصرانية تعتبر المرأة همّاً ومعطلاً للرجل عن العبادة، وانفصال المرأة عن زوجها فى المسيحية يمنعها من الزواج وهذا يعرِّضها للفتنة.

إن نظرة الإسلام للمرأة تأتى فى نطاق بناء متكامل لمجتمع حر عادل ليس فيه عبودية ولا طغيان، ولا إكراه ولا كهنوت ولا وسطاء يستغلون الناس باسم الدين أو باسم الدنيا.

الحمد لله الذى هدانا لهذا:

وعلى العموم لو أردت أن أتحدث عما جعلنى أعتنق الإسلام لاحتاج الأمر لمجلدات أتحدث فيها عن كل ما فى الإسلام من مزايا، لكننى أكتفى بقولى: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله[١].

❁❁❁

(١) عن ملحق جريدة القبس الغراء بتاريخ ٣٠ من أغسطس ١٩٧٦م.

إنجلترا:

٥٠- قمر الدّين عبد الله

أفكار مشبوهة:

لقد كان أول اتصال لى بالإسلام فى سنغافورة فى شهر مايو عام ١٩٦٤. وكنت نصرانيًا آنذاك وكنت أستمسك بدينى تمسكًا شديداً، لم أكن أعرف شيئًا يذكر عن الإسلام، ولم أكن أفكر فى أى دين آخر إلا الدين المسيحى، وكان المسلمون بالنسبة لى مخلوقات غامضة ربما كانت تعبد الأوثان، وبوسع الواحد منهم أن يتخذ أكثر من زوجة فى آن واحد!!

ثم صادقت كثيراً من الأجناس الآسيوية فى سنغافورة ولكنى كنت أحب الملايويين بشكل خاص، إذ كانوا يتحلون بصفة لا أستطيع تتبعها إلا أنها جذبتنى نحوهم، وكنت أفكر - وعقلى يقشعر لهذه الأفكار الآن - بأنه قد يكون من قبيل القسوة الشديدة أن لا يدخل الله بعض هؤلاء على الأقل فى الجنة.

وعدت إلى انجلترا فى عام ١٩٦٥ لزيارة والدتى التى كانت مريضة مرضًا شديداً. ولما كنت فى إجازة لمدة شهر كامل هناك، رأيت أنه لن يضيرنى أن أقرأ عن الدين الإسلامى، فلعلى أفهم طريقة الحياة التى يعيشها شعب الملايو بصورة أفضل قليلاً.

قراءات فى الإسلام:

وبدأت بقراءة القرآن من طباعة سلسلة «بنجوين» لكتب روائع التراث وهى من ترجمة ن.ج. داود، كما قرأت كتاب و. منتجومرى وات «محمد نبى ورجل دولة». وقد ساعدنى الجمع بين قراءة هذين الكتابين على تحقيق فهم أفضل للإسلام. ولكنى أعترف أننى لم أجلس وأقرأ وأفكر ثم أهضم ما قرأته مثلما يفعل الطالب الدارس، إلا أن الانطباع العام كان من تلك القراءة أن محمداً ليس إلا مجرد مُدَّعٍ للنبوة، وأن القرآن لا يعدو أن يكون تقليداً هزيلاً لكتبنا النصرانية المقدسة(١).

---

(١) مما يؤسف له أن هذا الانطباع المشوه هو ما يحرص على تركيزه المستشرقون حين يكتبون عن الإسلام وعن نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام، وما ذلك إلا بسبب الروح الصليبية الحاقدة التى تملى عليهم كتابتهم. هذه هى الحقيقة فى معظم كتابات المستشرقين. وهى حقيقة مؤسفة على كل حال.

ورغم عدم تأثرى كثيراً من قراءتى الأولى عن الدين الإسلامى، إلا أننى شعرت أننى أصبحت أكثر قربًا من أصدقائى شعب الملايو، إذ أننى عرفت أنهم يعبدون نفس الإله الذى أعبد، ويؤمنون بأمور تشبه ما أؤمن به.

تكاليف الإسلام:

ولقد كنت مسروراً أننى لم أكن مسلمًا لأسباب عديدة، إذ أن الإسلام بدا لى حينئذٍ شديد الحركة والجهد قويًا يتدخل كثيراً فى الشئون الشخصية للإنسان، فمن يستطيع أن يصحو مبكراً كل يوم فى الصباح الباكر ليصلى ثم يستمر فى الصلاة كل يوم خمس مرات بشكل مستمر؟ ومن بوسعه أن يصوم دون أن يتناول قليلاً من الماء فى يوم لافح شديد الحرارة كما هو الحال فى سنغافورة؟

إن من يستطيع ذلك هو بلا شك معقد للغاية، وكان لحم الخنزير بالبيض يمثل وجبة الإفطار المفضلة لدى، لا، لم أكن أرى حينئذٍ أى شىء فى الإسلام، فماذا فى الخنزير؟ ألم يخلق اللهُ الخنزير؟ أليست الأناجيل السماوية تخبرنا أنه:

«لا يوجد شىء خلقه الله ربك غير طاهر»؟

حتى ذلك الحين كنت مواظبًا على حضور القُدَّاس فى الكنيسة، وكنت أشهد فقط درس الوعظ الأول من يوم الأحد، وكان ذلك أهم درس دينى بالنسبة لى حيث يشارك كل نصرانى فى تناول الخبز والنبيذ ويرمزان إلى جسد المسيح ودمه، وكنت أشعر أثناء هذا الدرس أننى أقرب ما أكون إلى الله، إذ كنت أرتفع إلى مكان أسمى وأستعلى على نفسى المجردة!!

حوار نفسى هائل:

ولكنى لست أدرى لماذا ظللت أفكر فى الإسلام؟ كل ما أعرفه أن شيئًا ما ظل يتحدث لى كالشريط المسجل، وظلت الأفكار ذاتها تدور فى ذهنى مرة تلو أخرى، وكثيراً ما يطرح عقلى قضايا للحوار ويرد عليها بمثلها، فكنت أسائل نفسى:

لماذا لا تصوم؟ هل تعجز عن ترك الطعام لمدة يوم واحد تكريمًا لربك الذى منحك كل

ما ترى؟ وكنت أجد الجواب على ذلك يقول: إن الرب يعلم إذا كان قلبى مخلصًا أم لا، وهو ليس بحاجة إلى دليل على ذلك، لأنه يعلم.

ثم أسمع النداء التالى من أعماق نفسى يخاطبنى:

«أنت أيها المعجب كثيراً بنفسك، هل أنت أكبر من بضع صلوات تؤديها لربك؟» ويأتى الجواب: «أنا أصلى، إننى أصلى كثيراً أنا فقط لا أسجد على يدى وركبتى لإثبات ذلك».

ثم تتردد العبارة التالية فى صدرى لإخماد جميع الشكوك: المسيح ابن الله، المسيح ابن الله، المسيح ابن الله!!

كما كنت أردد العقيدة التى كنت أقولها فى الكنيسة فى صباح كل يوم أحد: أنا أؤمن بالله، الأب خالق السموات القوى، وخالق الأرض، وأؤمن بالمسيح عيسى ابن الله المقدس الوحيد»!!!

ثم جاء وقت بدأت أشعر فيه بصوت خافت من أعماق نفسى يسأل:

«هل كان هو ابن الله، أم كان نبيًا؟» ويصرخ عقلى بالجواب قائلاً: لا، لقد كان ابن الله! لقد كان! لقد كان!.

أين الطريق الصحيح؟

وفى ذات يوم أحد، وبينما كنت أركع أمام المحراب لأتسلم الخبز والنبيذ فى الكنيسة أحسست بالدم بصعد إلى وجهى، وشعرت أننى مريض واستحييت من نفسى، كنت أعلم أننى كاذب، وقد عرفّنى بذلك شىءٌ آخر فى داخلى، شىء كان يمزقنى جهة قلبى ويصرخ بصمت قائلاً: أيها المنافق!!

لم أذهب إلى الكنيسة ثانية لعدة أشهر بعد ذلك، ومضى الوقت بسرعة بطريقة لاهية ضحلة. وكنت كثيراً ما أحس باكتئاب عميق، لقد آمنت بالله كما كنت دائمًا، ولكنى لم أعد أعرف الطريق إليه!!!

ولما جاء شهر رمضان من عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦ صُمت مع أصدقائى من أبناء الملايو، ولم يكن ذلك الصيام لمجرد الاستخفاء من النقد الناطق فى نفسى، صحيح أننى لم

ألتزم بشروط الصيام كما يجب أن يكون، ولكن الاستيقاظ فى الساعات الأولى من الصباح، والترنح تجاه المطبخ الإسلامى وأنا ألبس السارى الملايوى والقميص كاد أن يقتلنى، وكنت أتضايق من الطعام الذى يقدمه لى أصدقائى من أبناء الملايو وهم ضاحكون، إلا أننى رأيت النور، لقد وجدت شيئًا ما فى الصيام، شيئًا جعله يستحق العناء والاهتمام.

استمر صومى لمدة ثلاثة أيام فقط حيث أرسلت بعدها فى مهمة مؤقتة إلى (ملقا) فى ماليزيا ، وبدلاً من أن أقضى وقتى كله فى المعسكر كنت أسير على الساحل شبه الاستوائى الذى يعشقه جميع الإنجليز ويطربون له كثيراً ، وقبل عودتى إلى سنغافورة بأسبوع واحد لقيت مجموعة من شباب الملايو، وكانوا جميعًا يقاربون سنى فبدأت معهم مناقشة عابرة على سبيل الاهتمام المشترك مما هو مختلف لدى كل منا ، وقد دعيت إلى بيوت عديدة وكنت ضيفهم الذى يلقى كل ترحيب، لقد تأثرت من طريقة الحياة الإسلامية التى يعيشها الناس هناك بصورة طبيعية، وهى طريقة ليست يسيرة دائمًا ، وكثيراً ما تكون مأساوية إلا أنها تشعر المرء بالراحة والرضا والحب.

الله أكبر:

وعندما عدت إلى سنغافورة تسلمت خطابًا من هؤلاء الأصدقاء الذين صادقتهم فى (ملقا) يدعوننى فيه إلى الانضمام إليهم ومشاركتهم الاحتفال بالعيد، فلبيت الدعوة وقضيت ليلة العيد فى منزل إمام القرية، ولقد أيقظنى فى الساعات المبكرة من الصباح نشيد إسلامى، ونظرت فشاهدت من الشرفة التى وجدتها فى غرفتى جمعًا من الناس كانوا يرتدون زيًا موحداً هو الزى الملايوى، لقد كانت عيونهم ووجوههم وأصواتهم والمحيط كله من حولهم يشع بالسعادة. وكانوا يرددون عبارة واحدة هى «الله أكبر» إنها العبارة الوحيدة التى فهمتها ، فقد كانت أذناى تمتلئان بالسعادة والبهجة كلما سمعت هذه الكلمات.

الدخول في الإسلام:

ومر العام بسرعة دون أن أتخذ أية حركة إيجابية نحو الإسلام. ولكن عندما اقترب

موعد رجوعي إلى انجلترا أحسست أنني قررت أن أصبح مسلمًا دون أن أعرف متى سيكون ذلك. ثم تم اعتناقي الإسلام في اليوم الثاني عشر من أكتوبر عام ١٩٦٦، فأصبحت في عداد المسلمين منذ ذلك الحين، رغم أنني أسلمت في قرارة نفسي قبل ذلك بوقت طويل.

وفي اليوم الرابع من شهر كانون أول - ديسمبر عام ١٩٦٦ عدت إلى انجلترا في فصل الشتاء البارد الموحش، ولما علمت أسرتي باعتناقي للإسلام واجهني أبي بالعداء علنًا، ولما علم أن موقفه قد أصبح معروفًا لم يتحدث في الموضوع ثانية، أما أخي الذي يصغرني بعامين اثنين فقد رضي بالوضع مع شيء من اللامبالاة، وكانت جدتي متحمسة لرجوع حفيدها إلى درجة أنها كانت حريصة على معرفة ما أحب أن آكله وما لا أحب أكثر من اهتمامها بمسألة الدين.

مَتَاعِبُ الطَّرِيق:

وفي الأشهر الأولى من اعتناقي للإسلام في سنغافورة لم أكن ألتزم بأوامر ديني الجديد التزامًا كاملاً. صحيح أنني كنت أعرف كيفية الوضوء والصلاة، إلا أن هذه المعرفة البسيطة لم تكن لتصمد أمام أي انتقاد ولو كان انتقاداً وديًا للغاية. لذا كنت أشعر بنفور شديد حين زرت المركز الإسلامي الثقافي في لندن للمرة الأولى. خرجت يومها، وكان يوم جمعة في ساعة مبكرة من الصباح لأداء فريضة الجمعة، لم أكن أعرف المنطقة جيداً وهكذا فقدت طريقي في منطقة (ريجنت بارك) وأخذت أتجول في المنطقة وأدور، وكنت أنظر بتفاؤل إلى خط السماء عند الأفق أفتش عن أي شيء يشبه المسجد. ولكن للأسف بدأت السماء تمطر، ولم أتمكن من الوصول إلى المركز إلا وأنا مبلل تمامًا، واكتشفت أنني تأخرت عن موعد الصلاة ثلاث ساعات كاملة، وعدت في الأسبوع التالي في الوقت المناسب. وشعرت بالراحة حين وجدت أن قليلاً من الحاضرين يعرفون بالضبط ما يجب عليهم عمله، كما أنني عندما هممت بمغادرة المركز سألني أحد المسلمين قائلاً: أنت قادم من أي جزء من سوريا؟ لقد دهشت وشعرت بالارتياح حين لم يعتبرني الحاضرون انجليزيًا، فمن الواضح أنني لست غريبًا في هذا المكان كما كنت أحسب من قبل.

وفي شهر رمضان كنت أشعر في بداية الأمر أنني اعتنقت الإسلام في لحظة غير مناسبة، إذ كان الصيام شاقًا بالنسبة لي، لأنه رغم قصر النهار بالنسبة إلى مثيله في الملايو، كان لدى وقت فراغ طويل وكان صعبًا على نفسي أن أجلس وأنتظر، كما أن الجو البارد في انجلترا إذا قيس بالجو الاستوائي في سنغافورة كان شديد البرودة بالنسبة لي ومعدتي خاوية، وكانت أشد ساعة في النهار ما بين الواحدة والثانية بعد الظهر حيث شعرت بالبرد الشديد. والتعب.

الإسلام روح الحياة :

ثم بدأت في قراءة ترجمة أخرى لمعاني القرآن الكريم وكانت من إعداد محمد مرمادوك بكثال[1] ،لقد أحببت هذا الكتاب أكثر من الترجمة السابقة، وهكذا فحين جمعت بين الصوم وقراءة القران والصلاة، وخاصة صلاة الجمعة بدأت أفهم معنى الإسلام. لقد أحسست بوعي ويقظة في أعماق نفسي، شعرت بحياة جديدة،وإثارة وأمل.

وعندما عدت إلى الجيش ثانية في أواخر شهر يناير سمح لي المسئولون بالعيش في بيتي وحضور صلاة الجمعة. ولم أقض في معسكرات الجيش كمسلم إلا أسبوعين وكنت ملتحقًا بمستشفى ولوش. وهناك قابلني الناس بدهشة واستغراب مسلٍّ.

وذات يوم سألني أحد أصدقائي القدامى في سنغافورة: إلى أي مدى كنت جاداً في اتباع ديني؟ فسألته عن سبب هذا التساؤل؟ فأجاب قائلاً بأن أحد زملائي في الغرفة استفسر منه عما إذا كنت قد اعتنقت دينًا شرقيًا غريبًا؟ وأضاف وهو لا يكاد يصدق ما يقول: إنه يلبس تنورة طويلة ويقف على حصيرة ويعبد بوصلة. هذا ما قاله الزميل المندهش. لم أكن أتصور أن يعتبر الناس الساري الملايوي تنورة طويلة، أما الباقي فأنتظره من غير المسلم.

لا أستطيع أن أعبّر في كلمات عن الفرحة التي أجنيها من صلاة الجمعة. كما لا يمكنني أن أعرب عن شعوري بالرضا الروحي الذي كسبته من حضور بعض المخيمات

(١) ستأتي قصة إسلامه فيما بعد برقم (١٠٠).



والتجمعات الإسلامية مع بعض إخوانى المسلمين فى بريطانيا . كما أصبحت الصلاة تعنى بالنسبة لى الكثير حين تعلمت الفاتحة باللغة العربية. لذلك فحين أنظر إلى صلاتى فى بداية إسلامى وأحس بأنها كان ينقصها الإخلاص والخشوع والتركيز، أخذت أعيد تلك الصلاة ثانية.

وأقوى إحساس ينتابنى هو شعورى بالوحدة مع بقية المسلمين، ويقينى بأننا نفوز باتحادنا ، ونخسر بفرقتنا ، وأكثر شىء أؤمن به هو ما يتردد كثيراً فى القرآن الكريم بأن الله هو (الرحمن الرحيم) وفى بعض الأحيان وأنا أصلى بالليل تفيض عيناى بالدموع ويهيج قلبى وينقبض حلقى بدافع من الحب والخجل من نفسى، ولشعورى بالشكر والأمل، الشكر على الصراط الذى اهتديت إليه، والأمل لما أحس به كغيرى من المسلمين بما لدينا من رصيد ضخم لإيماننا بهذا الدين.

❊❊❊

النمسا:

٥١- جميلة قرار

مسلمة نمساوية جديدة

هذه قصة فتاة مسلمة نمساوية التقت بشاب أفغاني مسلم وتعرفت على الإسلام ثم آمنت به وتزوجت الشاب، ولنستمع إليها وهي تحكي لماذا أسلمت؟ تقول الأخت جميلة قرار التي ترتدي اللباس الأفغاني:

نَشَأْتُ بِلَادِين !!

ولدت في النمسا عام ١٩٤٩ ونشأت بلا دين لأن والديَّ كانا ملحدَين، وأرادا أن تكون أختي الصغرى وأنا مثلهما. وأذكر أنني منذ أن كنت حديثة السن تقريبًا، أي عندما كنت طالبة في المرحلة الثانوية كنت أحس بعدم الرضا لكوني بلا دين، فلم أكن أؤمن بقوة عظمى بوسعها وحدها أن تقدم العون والأمان بصورة تفوق تصور البشر ومقاييسهم، ولكن لعلي لم أكن أشعر في ذلك الحين بمثل هذا في الظروف التي عشتها، إلا أنني أذكر أن العزلة التي كنّا نعيشها في ظل المجتمعات النصرانية كان من الصعب احتمالها.

وعندما بلغت الرابعة عشرة من العمر بدأت أعمل بوظيفة ضاربة على الآلة الطابعة، وكنت أتردد على مدرسة مهنية للتجارة بالإضافة إلى ساعات العمل كطابعة، لقد نشأت في مجتمع مادي انحطت فيه القيم الدينية، وليس من العجب إذن أن تكون اهتماماتي في ذلك الحين ذات طابع مادي بحت أيضًا.

وبالرغم من ذلك فقد حاولت أن أعرف شيئًا عن مبادئ المسيحية لأنني مازلت حتى ذلك الوقت أفكر في أن أكون مسيحية متمسكة بديني، إلا أن مبادئ المسيحية لم تفلح في إقناعي بالحقيقة، لأنني كإنسانة ملحدة آنذاك كنت أريد براهين واضحة، لا مجرد مبادئ جامدة غامضة يقدمها لنا البشر، ولا تثبت أمام المنطق الفاحص والدراسة الناقدة.

قراءات مشوهة عن الإسلام:

ولقد كان عمري ثمانية عشر عامًا حين أصبحت مشكلة الشرق الأوسط - في عام ١٩٦٧ المشئوم - حديث الساعة في العالم كله، ولقد أدى الحديث الكثير عن السياسة في تلك المنطقة إلى اهتمامي بالثقافة والحضارة العربية، فقد أردت أن أعرف المحرك الأساسي للعرب، وأن أطلع على نظرتهم إلى الحياة، لذا أخذت أقرأ عن الإسلام وقرأت ما وقعت عليه يدي، وقد علمت اليوم أن معظم ما قرأته من روايات وتقارير غربية عن الإسلام والمسلمين كان مشوهًا للحقيقة، وبالرغم من ذلك ازداد اهتمامي بالإسلام.

ولقد سعدت كثيراً حين اتصلت بجمعية ثقافية إسلامية في (ڤينا) وكم سررت وأنا أقرأ ما يقول المسلمون عن أنفسهم وما يصفون به دينهم، وتأثرت كثيراً بدافع المساواة بين المسلمين، كما أعجبني أن يكون الإسلام دينًا عالميًا، فقد وجدت في الإسلام دينًا يوحد جميع الأديان والألوان في ظل نظام ديني فريد، فهناك أخوة حقيقية بين المسلمين لا ولم يعرف مثلها المجتمع المادي الغربي على الإطلاق، كما لا تستطيع العبارات الجوفاء كالشيوعية مثلاً أن تقدم مثلها أبداً.

الإسلام تغيير وتحرير:

لقد اعتنقت الإسلام وأنا في العشرين من عمري تقريبًا، إذ شعرت عندها أنني كمسلمة يمكنني أن أحيا حياةً كاملة جديرة بالحياة، وأن الإسلام يجعل المرء يشبع حاجاته الروحية والمادية على حد سواء، في توازن يضمن تطور عقلية ثقافية مبدعة، ويحقق اجتهاداً دائبًا لتحسين الوضع المادي للإنسان، على أساس من الإصلاح ليس للإنسان وحده بل لجميع الخلائق.

وغني عن البيان أن أذكر أن الإسلام قد أحدث تغييراً ثوريًا في حياتي كلها، إذ حررني من اليأس العنيد والتذمر والاستسلام، وهي نتائج نجمت عن النظرة المادية التي تهيمن على كثير من الناس في المجتمعات الغربية. وقد استطعت بفضل الاعتماد على نفسي أن أتعلم الكثير عن الإسلام مما مكنني من الإسهام في الحركات الثقافية الإسلامية، ثم تزوجت من طالب مسلم من أفغانستان وها نحن نعيش الآن في بلاده منذ عام واحد، ومعنا ابننا وابنتا الصغيران، بعد أن أكمل زوجي دراسته في النمسا.

نظرات فاحصة :

وأحب أن أقول على كل حال إننا كمسلمين سواء كنا نعيش فى مجتمعات أو بلاد إسلامية أو خارجها علينا أن لا ننظر إلى أنفسنا نظرة مثالية معرضين عن عيوبنا وجوانب الضعف فينا، بل لابد أن نتحلى بنظرة فاحصة ومواقف ناقدة لمجتمعاتنا، كما أن علينا أن نعترف بأنه حتى فى المجتمعات الإسلامية التى لا يزال أفرادها يعيشون عيشة تقليدية لم تكد تتأثر بالحضارة الغربية، فى هذه المجتمعات لا يطبق الإسلام إلا ظاهريًا وبطريقة شكلية، ويقتصر الوعى الإسلامى على الهيمنة فقط على عقول بعض المسلمين التقليديين، ورغم ذلك فحياتهم وأعمالهم لا تتأثر بالإسلام إلا فى الظاهر، وليس معنى ذلك أن نيأس ويخيب ظننا، بل على العكس تمامًا، إذ أننا بالتركيز على النشاطات التربوية لابد لنا أن نبين لهؤلاء المسلمين التقليديين، وكذلك للمسلمين المستغربين - أى الذين فتنوا بالحضارة الغربية وبريقها الكاذب - أن الإسلام بصفته دينًا عالميًا وعقيدة كونية يعتبر مناسبًا لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية فى المستقبل. فهو ينسجم مع منجزات الإنسان الحديثة فى كافة مجالات النشاط الإنسانى.

الإسلام دين الحركة والعمل :

كذلك من واجب نشاطات المسلمين فى ميدان البحث والعلم أن نبرهن لأولئك الذى يظنون أن جمود المجتمعات المسلمة وتخلفها خلال القرون الأخيرة هو تطور ضرورى نجم عن تعاليم الإسلام فى زعمهم، وأن نثبت لهم أن الإسلام الحقيقى والإسلام الأصيل هو فى الحقيقة دين حركة، يستطيع بفضل جهود المسلمين بعد عون الله أن يشكل قوة ثورية تحرر الإنسان من العبودية للقوة، وخاصة المدمرة المهلكة، وأن تقوده إلى التقدم البناء وتمكنه من تطوير قدراته وإمكاناته الإيجابية المختلفة.

ولا شك أن الكلمات الرنانة وحدها لا يمكن أن تحدث أى تغيير نحو الأفضل، وإنما من المهمات الحساسة الملقاة على عاتق المسلمين المستنيرين والمثقفين، أن يكرسوا جهودهم المختلفة للقيام ببحوث بناءة فى ظل روح الإسلام، ومبادئه الحقيقية وإحياء وبعث طريقه المستقيم واستخراج كنوزه الحيوية، وأن يبينوا للمسلمين اليائسين الذين يتطلعون إلى العقائد الأخرى وكذلك لغير المسلمين الذين يبحثون عن غايات جديدة وقيم لحياتهم أن الأسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الإنسانية جمعاء.

السلوك الحسن أفضل دعاية للإسلام:

وفى سبيل مواصلة هذه الجهود وعلى الأخص بين الجاليات والأقليات المسلمة لا بل حتى فى المجتمعات الإسلامية التقليدية يعتبر السلوك الشخصى للمسلم الواعى أفضل سبيل للتعريف بمزايا الإسلام ونظامه الصالح للإنسانية بحق، فالحياة المستقيمة الصالحة تحقق للفرد السلام الداخلى والتقدم الروحى، كما أن الأعمال الصالحة الملتزمة بأوامر الله يستطيع المسلم عن طريقها أن ينقل هذا السلام إلى مجتمعه وبذلك يتحقق التفاهم والاحترام بين الناس وهو ما نحتاج إليه كثيراً.

ومما يؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن الأمور المفيدة التى تعيننا على القيام بواجباتنا الإنسانية بطريقة أفضل إجراء الدراسات حول التعاليم الإسلامية، وعلى الأخص أقوال الرسول ﷺ وأفعاله. كما أن نظرة إلى تاريخ الصحابة الكرام ودراسة تحليلية لطريقة فهمهم للرسالة المحمدية من شأنها أن تنير لنا الطريق.

بقى شىء مهم على كل حال وهو مدى استعدادنا الشخصى لتنفيذ هذه التوجيهات الهادية، والحكمة الخلاقة فى حياتنا الفردية وذلك من خلال أعمالنا اليومية، وعن طريق كسبنا للمعرفة وتعليمنا ومحاولاتنا للتطور والتقدم فى كافة المجالات، وأن يهيمن على ذلك كله شعور بالخوف من الله وتقواه بدلاً من الأنانية فى أية صورة من صورها الذميمة.

وعلينا أن نذكر ما وعدنا الله به حين قال سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨] صدق الله العظيم.

❊❊❊

كندا: ٥٢- خليل شاه

وهذه أول قصة من نوعها في هذه السلسلة الإسلامية، إنها لرجل كندى اهتدى إلى الإسلام عن طريق التصوف، أو الرياضة النفسية، إنه يبدأ قصته بقوله:

ولدت فى الخامس من شهر أغسطس عام ١٩٤١ فى مدينة لندن الكندية، بمقاطعة أو نتاريو - كندا، وكان والدى يعمل مدرسًا فى مدرسة ثانوية، ولكنه بعد ولادتى بوقت قصير، اتخذ لنفسه مهنة أخرى فعمل كمصلح أخلاقى ومخرج للكتب المصورة، أما أمى فكانت هى الأخرى مصلحة اجتماعية لها ميول سياسية قوية. إذ أنها ولدت فى أسرة عاملة، وانضمت أثناء سنوات الكساد إلى جمعية تسمى .C.C.F والتى عرفت فيما بعد باسم .N.D.P

أسرة متحررة من الدين:

ولقد شعرت وأنا بعد صبى بالضيق والملل من واجبات المدرسة وأعمالها، وكان لى قليل من الأصدقاء، وكنت مشاغبًا بصورة مستمرة. ولما بلغت العاشرة من عمرى التحقت بفرقة موسيقى كنيسة كانت تبعد ميلاً أو ميلين عن دارنا، ولم يكن والدى مسروراً بذلك، إذ كان أبوه بطريقًا فى الكنيسة الإنجيلية، وعندما كان أبى طالبًا فى قسم التبشير وهو فى العشرين من عمره، تمرد على الكنيسة وهجرها بصورة نهائية، لذلك كان يعتبر نفسه من المتحررين ولم يحتفظ بشىء من الدين إلا ما كان فى صورة التحرر الإنسانى وغيره من الشعارات، وكان يعتقد أن الله هو العالم كله، أو حتى الكون كلُّه والقوانين والسنن التى تحكم سيره، أى أنه كان ينظر إلى العالم على اعتبار أنه نوع من ساعات نيوتن، وبالرغم من ذلك فقد كان أبى يتمسك بشدة بآداب السلوك المسيحية، كما كان يؤمن بضرورة العيش فى ظل المحبة.

بهذه المقدمة يبدأ السيد خليل شاه قصته، ولا يفوتنى أن أذكر للقارئ الكريم أننى لقيت السيد خليل شاه أثناء زيارته التى قام بها للكويت فى مطلع العام الحالى حيث

كان عضواً فى وفد يمثل المسلمين الكنديين بقيادة رجل باكستانى الأصل مسلم يدعى الدكتور قديربيج، الذى يعمل أستاذاً فى إحدى الجامعات الكندية بمنطقة أونتاريو.
والملاحظ فى قصة الأخ خليل شاه ميله إلى الصوفية والتصوف الإسلامى - إذا صحت التسمية - بشكل خاص. إنه يستأنف قصته بقوله:

حياة بلا معنى:

ولما دخلت المدرسة العليا وبلغت سن المراهقة أحسست أن الحياة تكتسحنى اكتساحًا، واعترتنى تغيراتٌ حاسمة، فقد زاد اهتمامى بالحياة الاجتماعية، وقررت أن أكتسب شعبية كبيرة من غير أن يدفعنى أى إحساس أو وازع طبيعى، ووضعت خطة لحملة تكسبنى الكثير من الأصدقاء وتمكننى من التأثير فى الناس، فعقدت صداقة مدروسة مع كبار المسئولين فى مدرستنا العليا، كما شمل ذلك برنامجًا شاقًا من التدريب الجسمى حسنت فيه من مهاراتى، ثم فقدت كل اهتمام بالحياة الاجتماعية، وربما كان سبب ذلك أننى حققت كل ما أريد، ووجدت أن ذلك كله لا معنى له، ومن هنا بدأت أركز اهتمامى على دراستى، وبعد ستة أشهر من العمل الدائب بلغت درجة جعلت من اليسير علىّ دخول الجامعة.

تجربة غريبة:

وذات صباح، بينما كنت فى السنة الأولى بجامعة أونتاريو الغربية تعرضت لتجربة غريبة ومثيرة، فمنذ شهور وأنا أجلس عدة ساعات كل أسبوع محاولاً أن أجد حلاً لأحد الألغاز فى لعبة الداما، حيث يطلب من المرء أن يجمع عدداً من القطع الغريبة الشكل على رقعة الداما، وكان أسلوبى فى تجميعها يتميز بالتمهل والتسلية حتى جاء اليوم الذى نجحت فى المحاولة، إلا أننى فى الليلة السابقة لذلك شعرت فجأة بالجدية، فقد درست الموقف وقلت لنفسى إننى لم أنجز شيئًا خلال هذه السنة الأولى من حياتى الجامعية، وقررت أن أفوز بشيء، ولذلك عزمت على أن لا أذهب إلى فراشى إلا بعد أن أحل اللغز، فعكفت عليه حتى الساعة الثالثة صباحًا، ولكنى لم أقترب من الحل قيد أنملة، فلجأت إلى فراشى وأنا مرهق حتى العظم، وكنت أبكى من خيبة أملى، وفى اليوم التالى لم أستيقظ بالطريقة المعتادة، بل استيقظت وأنا يتملكنى شعور بأننى أمتلك

شيئًا ، لم أكن كعادتى، وإنما كنت كمن يشاهد جسمًا يتحرك، لقد شاهدت هذا الجسم ينهض ويتجه نحو المقعد الملقاة عليه قطع اللغز مبعثرة كما تركتها الليلة، وأخذت أرقب وكلى إحساس بالثقة والإثارة الغريبة، لقد أمسكت اليدان بسرعة وخفة القطع الملقاة قطعة قطعة وصففتها فى مكانها ، وحل اللغز! ثم عدت إلى جسدى وأنا أشعر بالنشوة التى تنتابنا فى الأحلام.

ماوراء الظواهر والأشياء :

لقد أدت هذه التجربة وما شابهها من التجارب النفسية إلى تشجيعى على دراسة الرياضيات، فقد بدأت أكتشف نظامًا رياضيًا فيما وراء الحقيقة، كما شعرت أن هناك «موجوداً» وراء الحقيقة، ولم أكن أعتقد أن هذا الشيء الموجود (هو الله) وإنما ظننت أنه كائن حكيم جداً جاء ليرشدنا ويهدينا ، هذا الكائن كان مستقلاً عنى تمامًا ، وعلى كل حال، كان لدّى انطباع بأننى حين أفرغ من دراسة الرياضيات فإننى سأحقق مزيداً من الهداية.

حركات التمرد الاجتماعى :

ويتحدث السيد خليل شاه عما جرى له فى السنين التالية فيقول:

وفى السنوات القليلة التالية أجدت الرياضيات إجادة تامة، وتخرجت ثم درست فى جامعة (واترلو) لمدة عام واحد وحصلت على درجة الماجستير منها ، وتزوجت من امرأة تدعى (باتريشيا) وذهبت إلى الولايات المتحدة حيث شرعت فى دراسة الدكتوراه فى الرياضيات بجامعة متشجن فى آن آربر.

وبدا لى أن الأمور ستسير على ما يرام هنا فى الجامعة، وفجأة برزت أمامى حركة (الهيبيين) وأخذ أصدقائى يقعون فريسة لهذا العالم الغريب الواحد تلو الآخر، فطلعوا علىّ بشعورهم الطويلة المسترسلة ووجوه باسمة وبدأت أنا نفسى أخوض التجربة فى هذا العالم، فأخذت أدخن (الماريجوانا) بانتظام، كما أخذت أحلق فى رحلات حبوب (ل.س.د) المخدرة، وغيرها من العقاقير المنتشرة بين الناس. وأخذت أتعلم مع أصدقائى أشياء عن الملاحة فى هذه الأكوان الغريبة التى خضنا غمارها. فشاهدنا حجب الحقيقة



العادية تتساقط وتتلاشى، وحل محلها جمال أخاذ وأحيانًا شناعة وقبح شديدان. واكتشفنا نسبية التعبير، كما تعلمنا كيف نقرأ أفكار الناس من خلال تعبيرات وجوههم وغير ذلك من الأمور الغريبة، وهكذا انزوت دراساتى طى الإهمال، وكنت على وشك السقوط نهائيًا، وترك زوجتى وطفلى (جوناثان) الذى كان يبلغ من العمر عامين.

ثم تدخلت يد الأقدار فى صورة رئيس قسم علوم الكمبيوتر بجامعة أونتاريو الغربية فعرض علىّ منصبًا فى إدارته، وعدنا إلى لندن بكندا وأخذت بالتدريج أعيد ترتيب حياتى فى شكلها الأصلى المتماسك.

الروحية الغامضة:

نسيت أن ذكر أننى قبل ذلك، وبينما كنت فى آن آربر عثرت عند كثير من أعضاء مجموعتنا على كتاب بعنوان «بحثًا عن المعجزة» بقلم ب.د. اوسبنسكى وقد تحدث هذا الرجل عن شخص يدعى جورديبيف كان يعلم الناس عن فطرة الإنسان فى أعماقها الداخلية، فطرة الحقيقة المطلقة، وعرفنا أن هذا الأخير هو تلميذ لحركة غريبة غامضة من المتصوفة، وقد طالعنا كل ما استطاعت أيدينا الوصول إليه عن هذا الموضوع.

وفى لندن واصلت هذه المطالعة وبطريق المصادفة البحتة عثرت فى إحدى الصحف على عنوان لسيدة، ولما خاطبتها هاتفيًا شجعتنى على زيارتها فما كان منى إلا أن توجهت إليها فى الحال، وكم أثار دهشتى أن أرى امرأة تعيش حياة تقليدية مع عمة لها، وكل رأسمالها الابتسامات والحديث المستمر عن الله لقد تأثرت كثيراً بهاتين السيدتين اللتين ظهرت لى بعض كراماتهما من خلال الأدعية والصلاة. وفى السنة التالية سمعت عن مجموعة من المتصوفين مركزهم سيشل بواشنطن، فطرت إليهم مع صديق لى وقابلت قائد المجموعة وكان يتبع تعاليم حضرة عنايت خان. فدخلت وصديقى وانتسبنا للمجموعة وعدنا إلى بلدنا سعداء. وقد تمسكت بإخلاص بتعاليم هذه الطائفة حتى مطلع عام ١٩٧٤ حين سمعت عن رجل يدعى الدكتور قدير بيج فى تورنتو. وكان هو الآخر صوفيًا له مجموعته، وكان يدخل الناس فيها، فشرعت فى زيارته فشعرت بالتزام هذا الرجل وإخلاصه، وقربه من الله وانشغاله به. والواقع أننى شعرت أن هذا الرجل متصوف حقًا أكثر من أى رجل آخر قابلته من قبل.

اهتديت إلى الإسلام:

بدأ الدكتور قدير بيج فى تعليمى أصول التصوف فى الإسلام، فأحسست أن الصوفية لا معنى لها بعيداً عن الإسلام. وبعد ذلك بزمن يسير انتسبت إلى الطريقة الشستية على يد الدكتور قدير بيج وأصبحت بفضل الله مسلمًا منذ ذلك التاريخ وأخذ كل شيء فى حياتى يتغير إلى الأفضل.

بهذه الكلمات ينهى الأخ خليل شاه كلماته واعترافاته عن كيفية دخوله الإسلام، وما أن قام بجولة إلى البلاد العربية والإسلامية حتى تعرف على الإسلام أكثر فأكثر من منابعه الصافية، وهو الآن مسلم مجاهد فى سبيل عقيدته ودينه الجديد.

✿✿✿

نيجيريا :

٥٣- زينب توراه

ليديا لنسى سابقًا

الآنسة زينب توراه، المعروفة من قبل باسم ليديا لنسى فتاة نيچيرية فى العشرين من عمرها، كان أجدادها من عبدة الطبيعة، ثم تحولوا إلى النصرانية على أيدى المنصرين.

تبدأ الآنسة زينب حديثها عن إسلامها فتقول:

أسرة نصرانية :

ولدت وترعرعت فى أسرة مسيحية، وكان أبواى مطبقين للنصرانية، فقد اعتنقا الديانة النصرانية نتيجة للنشاطات المبكرة التى قامت بها الحركة التنصيرية فى شمال نيچيريا، وقد تركا موطنهما الأصلى فى مقاطعة بيرنو وانتقلا إلى جوردوكا بمقاطعة أدماوا، وهذه الأخيرة كانت مركزاً مهمًا للنشاط التنصيرى.

وفى موقعة الجديد أصبح والدى مبشراً بالإنجيل، إلا أن ضعف صحته أجبره على ملازمة الفراش فى أيامه الأخيرة، ولكنه مع ذلك نجح فى تنصير عدد كبير من الناس قبل وفاته، أما والدتى، فلا تزال عضواً فى الكنيسة، وقد كانت ذات يوم خادمة فى الكنيسة، وهكذا نشأت فى بيئة مسيحية مئة فى المئة، ولم يحدث قط فى طفولتى أن سمعت شيئًا عن أى دين باستثناء الدين النصرانى.

أسئلة بلا جواب :

وتستأنف الأخت زينب حديثها فتقول:

وكون والدىَّ من النصارى لا يستلزم بالضرورة أن أكون نصرانية أيضًا، ولذلك فعندما كبرت لم أكن مقتنعة بمعظم التعاليم والمبادئ النصرانية، وبدأت أسأل أسئلة كثيرة، ولكن لسوء الحظ لم أجد إجابة عليها. ومن هذه الأسئلة سؤال عن (الثالوث المقدس) والخلاص عن طريق دم (المسيح عليه السلام)، فكلما كنت أوجه هذه الأسئلة



وغيرها كنت أجد جوابًا واحداً هو: أن هذه القضايا فوق فهم البشر، وأنها أسرار مقدسة على المرء أن يؤمن بها دون محاولة لمعرفتها، وهذا بالطبع لم يقنعنى على الإطلاق.

وكان جوابى دائمًا هو قولى:

ولكن كيف لى أن أؤمن بما لا أفهم؟! ولقد شعرت أن ذلك لا يعنى منطقًا مقبولاً عندى، فلم يقبله عقلى، وإذا سلمت به من غير اقتناع فذلك نوع من خداع النفس، وذات مرة، عندما كنا فى المدرسة الثانوية أخبرنا المدرس بأن علينا أن لا نسأل بأى حال من الأحوال عن الكتب المقدسة، لأن ذلك يجعلنا من الآثمين، وهكذا ازدادت شكوكى بصورة مستمرة، وبدأت أترك الكنيسة تدريجيًا، وكلما أكثرت من قراءة الكتاب المقدس كلما ازداد ضيقى، حيث إننى لم أستطع حل بعض التناقضات؛

فعلى سبيل المثال يقول الكتاب المقدس شيئًا ما، بينما يقول المبشر شيئًا آخر مختلفًا عنه تمام الاختلاف، وتوقفت عن توجيه الأسئلة خشية التعرض للمهاجمة، إلا أننى لم أستطع الإيمان بتلك التعاليم على الإطلاق!!

إنعدام الإيمان:

وعندما كنت فى المدرسة الثانوية بلغ عدم إيمانى حده الأقصى، لذلك حاولت التغيب عن القُدَّاس بقدر الإمكان، لأننى فى حال ذهابى إلى سماعه كنت أقع نائمة طوال مدة قراءته بدلاً من متابعة المراسم الدينية، وبقيت على هذه الحالة من عدم الإيمان رغم بقائى نصرانية بالاسم فقط حتى عام ١٩٦٧ حين قررت أن أجرب شيئًا، فى ذلك الحين التحقت بالكنيسة الرومية الكاثوليكية، لا بصفة عضو، وإنما كمراقبة فقط، وبعد بضعة أسابيع حضرت خلالها قداسهم بالكنيسة شعرت أن مبادئهم وتعاليمهم أكثر استبداداً وبعيدة عن المنطق. وكرهت فكرة الاعتراف بخطاياى كل أسبوع أمام القسيس. فمهما يكن شخصُه أحسست أنه بشر مثلى وكل إنسان خَطَّاء، وأبغضت رؤية الصور والتماثيل فى الكنيسة لأنها بدت لى كنوع من عبادة الأوثان!!

ثم تضيف الآنسة زينب إلى قصتها فتقول: وهكذا تركت الكنيسة الكاثوليكية دون أدنى تردد، ومنذ ذلك الحين فقدت كل اهتمام بالدين، وعشت كنصرانية اسمًا فقط إذ كنت نادراً ما أحضر القداس.

بداية التحول في حياتي:

وقد جرت نقطة التحول فى حياتى فى شهر فبراير عام ١٩٧٠ عندما لقيت بعض الأصدقاء المسلمين فى كادونا، فأخذوا يشرحون لى معنى الإسلام بعد أن عرفوا أننى نصرانية بالاسم فقط، وفى بداية الحديث أبديت قليلاً جداً من الاهتمام، وحتى هذا الاهتمام الطفيف كان لمجرد إظهار مشاركتى لهم خشية أن يصاب أصدقائى بخيبة الأمل، ولم أكن أخشى اعتناقى للإسلام لأننى أوصدت حينئذٍ قلبى لكل الأديان قاطبة، والسبب فى موقفى هذا كان ينبع من فكرة خاطئة لدى وهى أن جميع الأديان سواء، وأن كل دين من الأديان له أسراره المقدسة الغامضة وعقائده البعيدة عن منطق المناقشة الإنسانى، ويا له من تغير عظيم حَلَّ فى قلبى حين علمت بعد ذلك أننى كنت مخطئة تمامًا، لأنه إذا كان هناك دين يخلو من التعاليم التعسفية والمعتقدات الخرافية فذلك الدين هو الإسلام.

الإسلام دين السهولة واليسر:

ولقد سئلت زينب بعد ذلك عن انطباعاتها الأولى عن الإسلام؟ فأجابت قائلة:

عندما سمعت قدراً كافيًا عن تعاليم الإسلام وجدت أنها تعاليم بسيطة يسيرة الفهم، واكتشفت أنها خالية من كل معتقد لا يفهمه بنو الإنسان، ولقد غمرتنى الدهشة حقيقةً حين لاحظت الاستقامة المطلقة لهذا الدين، فليس هناك أى وسيط بين الله وبين الإنسان فى الإسلام، ولا وجود فى الإسلام لأية معتقدات تعسفية تفرض على المرء فرضًا دون أدنى نقاش.

«لا إله إلا الله» هى ذلك الشعار العظيم لدين تقبّله عقلى، فليس فى الإسلام أى شىء لا أستطيع فهمه.

نعمة الإيمان أقوى من الصعاب:

وعلى الرغم من ذلك كله ظللت متلكئة عن اعتناق الإسلام. وقلت لنفسى: ولكن هذا الموقف غير منطقى بتاتًا، إذ كيف لى أن أقبل الإسلام وأؤمن به وأنا نصرانية بحكم

ولادتي، ومن أصل نصراني حيث كان آبائي وأجدادي من النصارى؟ وليس ذلك فحسب بل كان آبائي وأجدادي معروفين بإخلاصهم ووفائهم وثباتهم على الديانة النصرانية؛ كما خشيت أن ينخلع قلب أمي وأخواتي وأن يتنكر لي إخوتي وأصدقائي، لذلك أحسست أنني لا أجرؤ على الإقدام على ذلك، وهكذا استمر تمردي على ضميري وصوت عقلي، فقد علمت في أعماق قلبي أنني لم أكن نصرانية بمعنى الكلمة، والآن وبعد أن اكتشفت النور لم أستطع منع نفسي من الإسلام، وفي اليوم التاسع عشر من شهر يونيو عام ١٩٧٠ أعلنت إسلامي أمام حشد كبير من المسلمين، والآن أدعى زينب، وأنا سعيدة بديني الجديد، إذ لم أتمتع من قبل بمثل هذا السلام بيني وبين نفسي، كما أشعر الآن بالرغم من المصاعب الكثيرة التي أواجهها بسبب ذلك أنني أحمد الله دائمًا على نعمة الإيمان.

۞ ۞ ۞



الدنمارك:

٥٤- على يول

ومن نيچيريا فى غرب القارة الإفريقية حيث الصراع يجرى على أشده بين الإسلام والكنائس، بين المبشرين النصارى الذين شنوا حملة ضخمة وجندوا كل إمكاناتهم لتنصير القارة السوداء، وبين الإسلام وجنوده المجهولين تحفهم عناية الله وتأييده، ونصرة الله لدينه، ألا إن حزب الله هم الغالبون.

من نيچيريا وسط هذا الخضم والمعترك الحاسم، إلى شمال أوربا إلى الدنمارك حيث نلتقى مع شاب دنماركى يدعى على يول ليحدثنا عن كيفية إسلامه. ويبدأ الأخ على حديثه قائلاً:

بدأ تعرفى على الإسلام للمرة الأولى على ما أذكر، من خلال تعرفى على أخ مسلم من المغرب فى عام ١٩٧٣م. هذا الشاب كان متزوجًا من سيدة دنماركية، وقد لقيته فى إحدى جولاتى التى قمت بها فى المغرب، كغيرى من الشبان الدنماركيين الذين يقومون بجولات فى أنحاء العالم كل عام، هذا اللقاء أدى إلى تعرفى على شاب مسلم آخر من المغرب أيضًا أخذت عنوانه معى فى رحلة عودتى إلى الدنمارك، حيث كان يقيم فى الدنمارك وقد طَلب إلىَّ أن أتصل به حتى أبلغ أقاربه عن صحته وأحواله.

وقد قمت فعلاً بالاتصال بالشاب المذكور حال وصولى إلى كوبنهاجن، ومرت الأيام مسرعة حتى جَدَّت لدى الرغبة ثانية لزيارة المغرب، وفى هذه المرة كانت تحدونى رغبة قوية لمقابلة أستاذ جامعى بجامعة القرويين لسؤاله بعض الأسئلة عن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى، وكانت معلوماتى عن الإسلام فى ذلك الحين قليلة للغاية.

ثم زرت المغرب بعد ذلك عدة مرات عقدت خلالها العديد من الصداقات مع عدد من الأسر المغربية حيث أحببت الجو العائلى المغربى كثيراً؛ وفى إحدى زياراتى الأخيرة قابلت عدداً من العائلات المغربية المستقرة فى المدن، والذى أدهشنى فعلاً أننى لم ألاحظ أى اختلاف بين طريقتهم فى الحياة وبين أسلوب الحياة فى المدن الأوروبية؛ فلم أستطع أن أميز بين أخلاق هؤلاء الناس وبين أخلاق الأوروبيين. وهكذا كنت أفضل أن أختلف إلى القرى والمدن الصغيرة حيث أجد التقاليد الشرقية الأصيلة.



اهتديت إلى الإسلام :

وهكذا كان أول اتصال لى بالإسلام من خلال تعرفى على الأسر المغربية واطلاعى على عاداتها الشرقية التى علمت أن بعضها إسلامى والآخر غير إسلامى، ولما عدت إلى كوبنهاجن علمت بوجود المركز الثقافى الإسلامى هناك، فزرت المركز المذكور وتعلمت الكثير عن الإسلام فيه، وقد مضى عامان كاملان واظبت خلالهما على زيارة المركز، وها أنذا أؤدى كل أسبوع صلاة الجمعة فيه بعد أن اهتديت للإسلام طوعًا وبمحض اختيارى.

ولقد أحسست باطمئنان وسلام غامر وأنا أشارك فى صلاة الجماعة، حدث ذلك حتى قبل أن أعلن نفسى رسميًا من المسلمين. وها هو قد مضى عام واحد فقط على إعلان إسلامى رسميًا. وقد تم ذلك فى المركز الإسلامى بكوبنهاجن.

وهنا لابد من كلمة عن المركز الإسلامى الثقافى فى كوبنهاجن. هذا المركز أنشأه عدد ضئيل من الشبان المسلمين المقيمين فى الغرب، والمتمسكين بإسلامهم رغم مفاتن وإغراءات الحضارة المادية الغربية، والعاملون فى المركز متطوعون، وهم يمثلون الإسلام فى سلوكهم وأخلاقهم، فيصلحون قدوة حسنة أمام الغربيين، وقد كان لهذه القدوة الحسنة الفضل بعد الله فى هداية عدد من الدنماركيين للإسلام، ومن أخبار المركز أنه بدأ يصدر عدداً من الكتيبات عن الإسلام باللغة الدنماركية التى تفتقر افتقاراً شديداً إلى كتب التعريف بالإسلام، لذلك فإن المركز الثقافى الإسلامى فى كوبنهاجن جدير بكل دعم وتأييد باعتباره ثغرة من ثغور الإسلام فى ديار الغرب.

كذلك هناك المدرسة العربية الإسلامية فى كوبنهاجن حيث يتعلم عدد من أبناء المسلمين المغتربين والمسلمين الجدد أمور دينهم، وهى مدرسة ناشئة تحتاج للدعم من المسلمين الغيورين حتى تستمر فى أداء رسالتها الإسلامية.

أسر وشعب بلا دين :

والآن نعود إلى الأخ على يول لنسأله عن موقف أسرته منه بعد أن علموا أنه بدل دينه. يقول الأخ على: عندما اعتنقت الإسلام أخبرت أسرتى دون أدنى تأخير وحيث إنهم لا يتمسكون بأى دين من الأديان، كغيرهم من أبناء الشعب الدنماركى، لم يظهروا لى أى ضيق. ولا زلت أعيش مع والدى فى دارنا، صحيح أننى أواجه أحيانًا بعض الصعوبات فيما يتعلق بالطعام والزوار المعتادين والحفلات التقليدية التى اعتاد الدنماركيون إقامتها، ولكن فى الحقيقة أستطيع أن أقول أننى لا أواجه أية مشكلة. إننى أسعى الآن للعيش فى بيت مستقل، وهذا يتوقف على إمكاناتى المالية. والحمد لله على كل حال.



أوربا:

٥٥- دونالد س. روكويل

وفيما يلى ضيف آخر من أوربا لم يحدد اسم بلده وكل ما نعرفه عنه أنه اسمه السابق هو دونالد س. روكويل، لذلك سندعه يتحدث إلينا عن بعض انطباعاته عن الإسلام دون أن نفرد له فصلاً مستقلاً. يقول الأخ دونالد س. روكويل:

خصائص الإسلام:

إن بساطة الإسلام والتأثير القوى للمساجد وجدية المؤمنين المتمسكين به - هذه العوامل هى التى جذبت انتباهى منذ البداية. إلا أننى عندما عزمت على الدخول فى هذا الدين واتباع تعاليمه وجدت أسبابًا أكثر عمقًا مما أكد عزمى وشد من أزرى.

فالنظرة الواقعية إلى الحياة، والمشورة الصادقة، والدعوة إلى الإحسان والرحمة، والنزعة الإنسانية الخيرة العريقة وإعلان حق المرأة فى التملك - هذه وغيرها من العوامل كانت بالنسبة لى أعظم دليل على صدق هذا الدين الذى يتلخص بشكل رائع فى بضع كلمات قالها النبى محمد ﷺ حيث يقول: «إعقلها وتوكل».

فقد جاءنا النبى محمد ﷺ بنظام دينى يصلح للتطبيق فى الحياة العادية، ولم يقدم لنا رسول الله ﷺ عقيدة عمياء تحميها قوة غيبية بالرغم من إهمالنا الذاتى، فالثقة فى الإسلام عبارة عن ثقة بأننا إذا فعلنا كل شىء على أحسن وجه ممكن عندها يمكننا أن نثق بما تأتى به الإرادة الإلهية.

ويتطرق الأخ روكويل إلى نقطة جوهرية وخاصية مهمة يتميز بها الإسلام فيقول: إن التسامح الواسع الأفق الذى يتسم به الإسلام فى معاملة الأديان الأخرى يجعله محببًا لدى جميع من يحبون الحرية. فالنبى محمد ﷺ يأمر أتباعه أن يحسنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل، كما أن كلاً من إبراهيم وموسى وعيسى أنبياء يؤمن بهم الإسلام وهم جميعًا رسل الله إلى الناس، وهذا موقف كريم بكل تأكيد حقق سبقًا كبيراً على موقف

الأديان الأخرى، كما أن تحرر الإسلام الكامل وخلوه من عبادة الأوثان يعتبر علامة واضحة على قوة العقيدة الإسلامية ونقائها التام.

اللهُ الواحِدُ:

ثم إن الاعتدال والتوسط في كل شيء هما الصفة الأساسية للإسلام، وقد رحبت بذلك كل الترحيب. فقد كان النبي ﷺ يهتم بصحة المسلمين إذ كان يدعوهم إلى الاهتمام الشديد بالنظافة كما أمرهم بالصيام وكبح غرائز الجسد، وعندما وقفت في المساجد الرائعة في اسطنبول، دمشق، القدس، القاهرة، الجزائر، طنجة وفاس وغيرها من المدن أحسست بشعور قوي بمدى الرفعة التي يحققها الإسلام للبشر، دون الاستعانة بأي زخارف أو صور أو تماثيل أو موسيقى أو مراسم وتراتيل، فالمسجد عبارة عن مكان للتأمل الهادئ وإنكار الذات أمام الحقيقة الأولى، وهي الله الواحد.

النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ:

بعد ذلك يتحدث السيد روكويل عن الديمقراطية فيقول: لقد جذبتني ديمقراطية الإسلام - إن صح التعبير - إليها منذ زمن، فالسلطان والفقير لهم نفس الحقوق على أرض المسجد، كلاهما راكع على ركبتيه في عبادة خاشعة ذليلة. فليس هناك أي مقعد مستأجر أو محجوز كما هو الحال في الكنائس. والمسلم لا يقبل وساطة أي إنسان بينه وبين ربه، مهما كان ذلك الإنسان، بل يلجأ مباشرة إلى مصدر الخلق والحياة، وهو الله سبحانه دون الاعتماد على مراسيم معينة للتوبة من الآثام، كما لا يعتقد بقوة أو سلطان أستاذ يمكن أن يمنحه الخلاص.

ثم يختم الأخ دونالد روكويل حديثه بقوله:

كما أن الأخوة العالمية في الإسلام، بصرف النظر عن الجنس أو الانتماء السياسي أو اللون أو البلد قد جذبتني إليها بشكل قوي عدة مرات في حياتي، وهذه صفة أخرى للإسلام قربتني إلى هذا الدين.

۞۞۞

كندا :

٥٦- السيد إحسان شاه

كندا هى من أجمل بلاد الدنيا قاطبة، فهى أكبر مساحة من الولايات المتحدة، وتغطيها الغابات وبحيرات المياه العذبة.

وقد وصلت دعوة الإسلام إلى كندا على أيدى أفراد مجهولين عملوا متطوعين بإخلاص بوازع من دينهم فأثمرت جهودهم وصدق الله العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وهذه قصة إسلام السيد إحسان شاه، من المهتدين الكنديين الجدد إلى الإسلام، والملاحظ فى هذه القصة أن السيد إحسان سافر إلى كثير من الأقطار، وحصل على خبرات متعددة، وأخيراً استقر به المقام فى ديار الإسلام فدخل فى دين الله.

يبدأ السيد إحسان حديثه فيقول:

ولدت فى مدينة هاملتون - أونتاريو عام ١٩٥١ وكنت أكبر الأولاد فى أسرة تتألف من ستة أبناء، وكانت أسرتنا من الطبقة المتوسطة. وفى المدرسة تعلمنا التعاظم والقسوة، تعلمنا إخفاء المشاعر الحساسة وإظهار وجه جامد يعلوه الكبرياء وعدم المبالاة. وبوسع الطالب أثناء اليوم المدرسى أن يشتم الأساتذة، ويغيظهم ويقلل من احترامه لهم، وأن يظهر استخفافه بالتعليم وأن يغتاب قرناءه.

ألوان من الخلل والانحلال :

أما بعد اليوم المدرسى، فإذا لم ينهمك الواحد منا فى الرياضة والألعاب الرياضية لإرضاء نزعاته الأنانية المحضة، فإنه يعود إلى بيته ليشغل نفسه فى مشاهدة برامج ضحلة تافهة من التلفاز، أو فى معاكسة الجنس الآخر فى الشارع، أو المنطقة المجاورة.

أما فى أيام العطل الأسبوعية فقد ينقطع بعض الأصدقاء فى بيوتهم، ويدعون بعض

الشبان من الجنسين لإحياء حفل تسوده الغرائز والنوازع الحيوانية الطبيعية.وفى المدرسة إذا حدث أن أجاد المرء فى الاختبارات والامتحانات فقد كانت قوانين التقبل الاجتماعية تقتضى منه أن يلتمس أعذاراً لهذا الامتياز العلمى، إذ كان يعتبر الإنجاز العالى علامة من علامات الضعف بين الطلاب، ورمزاً للاحترام الزائد للسلطة القائمة.

احتقار الدين والتدين:

ولقد كان لقائى الوحيد مع الدين أثناء فترة شبابى من خلال القراءات العابرة الآلية غير المؤثرة للإنجيل فى اجتماعات المدرسة أو فى مناسبات متفرقة أخرى. وكان الحديث عن الدين بمثابة شىء محرّم الاقتراب منه، وكان ذكره يرد على الألسنة مع شىء من الضيق فحسب، وكان الدين يعتبر من قبل الأغلبية بمثابة عكاز وركيزة خرافية، وكان كل إنسان ذكى لا يؤمن بالهذيان والعبث الذى يسمى الله (أستغفر الله العظيم) هذا الفكر كان يؤيده آباؤنا ويساندونه، وكذلك المدرسون ورؤوس المجتمع. كان جدى مبشراً وحتى هو كان يواجه أوقاتًا صعبة حين يذكر الله بإخلاص، ففى أوقات وجبات الطعام كان يقرأ صلاة الشكر كإنسان آلى، ولم يحدث قط أن حضنى على البحث عن الله، كما لم يحاول أبداً أن يربط الدين بنشاطات الإنسان اليومية.

عناية الله بى:

ثم ينتقل إلى مرحلة جديدة من حياته فيقول:

ولكن الله برحمته الواسعة حفظنى من كل هذه اللامبالاة، وغرس فى نفسى حبًا عميقًا للطبيعة والتأمل فى الخلوات، وعندما بلغت الثامنة عشرة من عمرى أنهيت السنة الأولى من الدراسة الجامعية بسهولة ويسر، إلا أننى كنت ناقمًا غير راضٍ عن كل شىء، كنت بحاجة إلى شىء ما ينقصنى، ولكنى لم أكن أعرف حقيقة هذا الشىء، كنت إنسانًا كثير الأحلام ميّالاً إلى الخيال نزّاعًا إليه كثيراً، كان المال ذا قيمة وأهمية ضئيلة بالنسبة لى، حيث إنه من فضل الله كان متوفراً دائمًا.

وخلاصة القول أن ألهمنى الله بالسفر، وهكذا ذهبت إلى المكسيك فعشت هناك



عيشة متواضعة لبعض الوقت مع عائلات شتى، وكان الناس مستعدين دائمًا لمساعدتى يجذبهم إلى ذلك كونى أجنبيًا، وبذلك عشت بسهولة ويسر دون نقود فى ظل ظروف مختلفة، وبدأت أستهلك كثيراً من المسكرات من غير أن يضطرنى مضيفىٌ إلى ذلك، فقد كان السكر هو القاعدة المتبعة بين خلطائى، وقد تجولت كثيراً، فسافرت من المكسيك إلى سان فرانسيسكو عدة مرات، وهناك تبلور لدى اهتمام بالكتابات الرمزية الخفية، رغم أننى لم أكن قد قابلت أحداً من الناس ذوى الخبرة العملية فى الرمزية الغامضة، ولقد منحنى الله حرية عظيمة، فكنت أحيانًا أنطلق بدافع من نزعة طارئة فى رحلة تمتد بضعة آلاف من الأميال، وقد أجرى لى ربى عدة اختبارات، فكنت أنام على شواطئ البحار، وعملت فى البحر، وكنت أستجدى النقود من الناس، وارتكبت الأعمال الشريرة، ورغم ذلك كله فإن الله بفضل رحمته لم يطفئ من صدرى إعجابى وتأثرى بخلقه المبدع.

قوانين الله ودموعي :

ولقد واصلت ارتكاب أخطاء الغرور والطمع، ولكن فى كل مرة كانت رحمة الله توقفنى عند حدى، رغم أننى لم أتوجه إليه، وكان من فضله علىَّ أن لا يسمح لى أن أستقر على الغرور والطمع، بل كان دائمًا يقطع علىَّ ذلك ويضطرنى للتجول، وذات مرة ذهبت إلى إحدى المدن الصغيرة فى أواسط المكسيك، وهناك أسرتنى فتاة كانت تتمتع بجمال فائق وعطف وحنان، وكان من نتيجة انجذابنا نحو بعضنا أننا تزوجنا بعد فترة وجيزة. وسرعان ما حملت زوجتى وأخذت أهجر الدنيا شيئًا فشيئاً.

وأعتقد أننى كنت أعلم حينئذٍ أن هناك إلهاً واحداً هو خالق كل شىء إلا أننى لم أكن أطيع قوانينه، بل لم أكن أعرف تلك القوانين، وقد لقيت أعداداً كبيرة من الناس - وكثير منهم مسافرون - وكانت تجرى مناقشات دائمة بيننا حول الدين، وفى إحدى المناسبات تحولت إلى كومة من الدموع وندمت أشد الندم على ما بدر منى من آثام، ودعوت الله أن يمنحنى قلبًا أستطيع به أن أعيش بسلام ورضا، وأجد فيه ملاذاً من طوفان الأطماع الكثيرة التى كانت تحرمنى من السلام والاطمئنان.



جلال الدين الرومي :

وكنت حينئذٍ قد اطلعت على بعض الكتابات الصوفية، فتملكني شعور من الاحترام نحوها أكثر من أى شيء آخر، ولما رزقنا أول مولود ذكر أخذت أحيا حياةً عادية تمامًا إلا أننى أصبت بخيبة أمل لأننى خشيت أن لا أستطيع تطبيق نظام الحياة الصوفية، وشعرت بالأسى على ولدى الذى أحسست أنه خاضع لأب جاهل.

لقد أسميته جلال الدين أملاً منى فى أن يكتشف شيئًا عن القوم الذين ينتمى إليهم الشاعر الصوفى الكبير جلال الدين الرومى، وأعنى بهم المسلمين، ثم قررت العودة إلى كندا حتى أؤمّن شيئًا من المال لزوجتى وولدى، وقد يسر الله لى ذلك رغم أننى لم أكن أحمل نقوداً ولا أية أوراق تمكننى من مغادرة المكسيك. عدت إلى كندا ومكثت مع والدتى، وعبثًا حاولت أن أجد لنفسى عملاً يحقق لى بعض الاستقلال، فعلانى شعور باليأس بسبب ذلك، وذات يوم وبينما كنت ماشيًا أبحث بيأس عن عمل مًّا وصلت إلى حديقة عامة، وجلست فى أحد أركانها، ونظرت حولى علّنى أجد ما يلهمنى بعمل شيء ويخرجنى من هيامى على وجهى دون هدف، وفكرت فى أننى يمكن أن أكتشف شيئًا قد يقودنى إلى الصوفية ويحقق لى الانسجام والتوازن، فعبرت الحديقة ودخلت فى محل لبيع الكتب، وقابلتنى فجأة لافتة تعلن عن قرب اجتماع سيعقد عن التصوف، فلم أصدق عينىّ أن الاجتماع سيعقد فى نفس ذلك المساء، فأخذت أعدو إلى البيت وقلبى يهتز من الفرح.

لقد سارع ربى فى الاستجابة لى، لقد هدانى إلى الإسلام، كما فتح قلبى للخير وحقق لى السلام، عسى الله أن يقبلنى إليه ويجعلنى من المسلمين. آمين.

❁❁❁

الدنمارك:

٥٧- الحاج ولى محمد

فلديمير بيير سابقاً

فلديمير بيير، رجل دنماركى يبلغ الرابعة والسبعين من عمره، اتخذ لنفسه بعد أن أسلم اسمًا جديداً هو الحاج ولى محمد. وهو يحدثنا كيف أسلم قائلاً:

لقد ظل أقربائى وعلى الأخص أشد الناس قرابة لى من أسرتى يتمسكون بالديانة النصرانية، ولم يكونوا نصارى بمجرد الاسم، فكان أبى قسيسًا، وكان رجلاً فطنًا وعالمًا كبيراً؛ وكان محبًا لأبنائه متفاهمًا معهم، لذلك كنت شغوفًا به كثيراً، فكنت فى شبابى أتبع هداه ولم أكن قط أشك فيما كان يلقننى إياه.

عقائد لا تصمد للتفكير:

ويضيف السيد فلديمير بيير قائلاً:

ولكن لما كبرت فى السن قليلاً، بدأت استقل فى التفكير فى الموضوعات الدينية، وكانت زوجتى ملحدةً لا تؤمن بوجود إله إلا أنها لم تحاول قط أن تؤثر فى عقيدتى، رغم أنها استطاعت أن تفعل ذلك تلقائيًا ودون أدنى قصد منها، وعلى كل حال بدأت أرتاب فى كثير من مبادئ الكنيسة، وعبثًا حاولت البحث عن الحقيقة فى عدة كنائس وطوائف نصرانية، ففيها جميعًا يقولون لى: «أنا أومن بالأب والابن والروح القدس»، ثم يقولون: ليس هناك سوى إله واحد، وقد كان ردهم على هذه المسألة وعن كثير غيرها أن زودونى بعدد من التفسيرات والبيانات، ولكننى ظللت أبحث عن الحقيقة، ومن هنا شرعت فى دراسة كتب الأديان الأخرى.

وبهذه الطريقة اكتشفت أن كثيراً من الأديان التى كانت سائدة زمن عيسى المسيح عليه السلام وحتى قبله كانت تسيطر عليها فكرة تقول بأن على الإنسان أن يضحى بنفسه من أجل تخفيف غضب الآلهة، وهذا يعنى أن المسيح عيسى نفسه قد مات من أجل آثام الناس.

ثم قررت أن أذهب إلى اليهود وقلت لنفسي: إنهم يؤمنون بإله واحد ولعلي أحصل على شيء آخر مختلف، ولكن كل ما وجدته كان مزيداً من التشدد ونفرت من ادعائهم وزعمهم بأن إلههم جيهوفا (يهوه) هو إله اليهود فقط دون غيرهم من الناس!!

ويعود بنا الأخ بيير الدنماركي الشيخ إلى فترة شبابه فيقول مستذكراً تلك الفترة من حياته: في شبابي كما هو حال غيري من الشباب في الدنمارك، لم أكن أعرف شيئًا عن الإسلام ونبيّه محمد - اللهم إلا النزر اليسير - فكانت المادة التي كنا نقرأها عنهما في المدرسة وكتبها المدرسية عبارة عن مادة مضللة في معظمها لا بل في مجملها العام.

أسلمت بعد دراسة واعية :

وفي الستينات من القرن الحالي جاء إلى البلاد عدد كبير من العمال الضيوف وكان من بينهم كثير من العمال القادمين من الأقطار المسلمة، وقد اعتدت أن أقرأ عنهم وعن دينهم الإسلام، في الصحافة المحلية، وكنت أحدث نفسي قائلاً: لعل هذا ما تبحث عن وتصبو إليه! لذلك اتصلت ببعضهم فلقيت ترحيبًا صادقًا. وقدموا إلى كتبًا عنه الإسلام ومحمد ﷺ، وأخذتُ أحضر اجتماعاتهم وصلواتهم، وعلموني الشيء الكثير وهكذا قضيت عامًا أو يزيد أدرس الدين الإسلامي، وبعد دراسة واعية قررت اعتناق دين الإسلام.

ولقد سئل السيد بيير عن مشاعره عندما أعلن أنه مسلم؟ فأجاب قائلاً: صحيح أن أمامي طريق طويل قبل أن أكون مسلمًا بمعنى الكلمة، إلا أنني الآن سعيد جداً، فأنا أشعر بالسلام بيني وبين نفسي، وهو إحساس ظللت أفتقده طيلة سنوات كثيرة من حياتي.

ثم سئل الأخ بيير عما قام به من نشاط منذ أن دخل في الإسلام؟ فأجاب قائلاً: قمت بالسفر في أنحاء العالم الإسلامي، واتصلت بالمسلمين الطيبين في كل مكان قمت بزيارته، وفي مصر وجدت كثيراً من الأصدقاء والأساتذة الذين ساعدوني في اجتياز امتحان صعب بجامعة الأزهر، وهناك في مصر أعلنت إسلامي، وتلقيت وثيقة مكتوبة بذلك.



الحجّ وأخوّة الإسلام:

بعد ذلك كنت المسلم الدنماركى الوحيد الذى شاركت عدداً من الأخوة المسلمين من جنسيات شتى من المقيمين فى الدنمارك فى أداء فريضة الحج، وخُضت هذه التجربة الرائعة التى لا أكاد أصدقها وزرت مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومشيت فى نفس الأماكن التى سار فيها وعاش فيها رسول الله ﷺ، وهو يعمل لرفع كلمة الله ولصالح بنى الإنسان.

ومما أثار مشاعرى وأثر فى نفسى كثيراً أن ألتقى بإخوانى المسلمين من جميع أنحاء العالم؛ أناس من كل الأمم والأجناس من رؤساء الدول إلى أشد الناس فقراً، والجميع يرتدى لباساً واحداً بسيطًا يدعون ربًا واحداً لا شريك له. وأود هنا أن أذكر بعض الآيات من القرآن الكريم حول معنى الأخوة فى الإسلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفى هذا المعنى يقول النبى الكريم محمد عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

بعد هذه المقتطفات الكريمة من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية يختتم الأخ بيير قصته قائلاً:

أنا لست شابًا الآن، فعمرى يبلغ الرابعة والسبعين لذلك وجدت فى البداية من العسير علىّ جداً أن أغيّر دينى فى هذه السن من الشيخوخة، إلا أن إخوتى المسلمين



الطيبين ساعدونى على ذلك وأخذوا بيدى، لذلك فأنا دائمًا أذكرهم وأدعو لهم فى صلاتى، ولقد كانت فترة طفولتى وشبابى طيبة، إلا أننى لم أر ولم أشاهد قط مثل هذه الأخوة الإسلامية وهذا العون الكريم، كما أجد الآن بين المسلمين هنا فى الدنمارك وفى كل بلاد المسلمين التى قمت بزيارتها.

اللهم اهد بلادى للإسلام:

ومن الطبيعى أن لا أضيع أصدقائى القدامى من النصارى وأن لا أنسى أسرتى أبداً. فعلى العكس من ذلك، إذ أن الإسلام يأمرنى أن أحسن إليهم، وبالرغم من ذلك فلا أحس بالسعادة إلا بين المسلمين الذين أثق بهم. أسأل الله عز وجل أن يهدى بلادى وقومى إلى العقيدة الصحيحة، ألا وهى الإسلام، وأن يعيننى على أن أكون مسلمًا حقيقيًا بمعنى الكلمة. ومن فضل الله علينا أن لدينا الآن فى الدنمارك مسجداً جميلاً وواسعًا، ومدرسة عربية يعلمنا فيها بعض المدرسين المسلمين نحن وأبناءنا اللغة العربية والقرآن الكريم.

تعليق:

وهنا لابد من تعليق يسير أرجو أن يأذن لى القارئ الكريم به وهو الشعور بالإكبار والاحترام لهذه الروح الكريمة التى يتمتع بها هذا الأخ بيير، فرغم كبر سنه يشعر وكأنه ولد من جديد حين أسلم، ويبدأ التعلم مع أبنائه أمور دينهم، وليس ذلك عيبًا بالطبع بل هو شرف كبير، لأن الحياة مدرسة ممتدة، ولأن الإسلام يأمرنا بطلب العلم من المهد إلى اللحد كما هو معنى حديث شريف.

❊❊❊

أوربا :

٥٨- السيدة مارى أوليفر

تبدأ السيدة مارى أوليفر قصتها قائلة:

الدين الوحيد الذى يأسر القلوب :

بعد أن درست الأديان المختلفة فى العالم توصلت إلى الاستنتاج بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يؤثر فى أولئك الذين يؤمنون به، وكذلك الذين لا يؤمنون به على حد سواء، فأعظم فضيلة للإسلام أنه يأسر قلوب البشر بصورة تلقائية، ومن أجل هذا تجد فى الإسلام سحراً غريبًا وجاذبية عظيمة تجتذب إليها ذوى العقليات المتفتحة من غير المسلمين.

وهذه هى أهم الجوانب فى الإسلام التى أثرت فى نفسى:

أولاً: بساطة تعاليمه وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التى يحياها المسلمون المتمسكون بتعاليم الإسلام.

ثانيًا: أن الإسلام لا يعتبر أحداً خاطئًا منذ ولادته.

ثالثًا: أن الإسلام هو دين السلام، فهو يدعو إلى إشاعة السلام والانسجام بين المسلمين، وليس ذلك فحسب بل يضع المسئولية على عاتق المسلمين لإقامة السلام فى العالم كله.

تفصيل بعد إجمال :

بعد هذا العرض المجمل لأهم خصائص الإسلام التى أثرت فى نفس السيدة مارى أوليفر تبدأ فى الحديث المفصل عن كل منها فتقول عن الخطيئة الأولى ما يلى:

لقد شعرت بالقلق دائمًا كأم عندما ترد فى خاطرى الفكرة التى تقول:

بأن الأطفال الذين تلدهم أمهاتهم وتربيهم مع تحمل الكثير من المشاق فى سبيل ذلك

لا ينجو أحد منهم من الخطيئة الأولى، حسب ما تنص عليه العقيدة النصرانية، وهكذا يأتى كل إنسان إلى هذه الدنيا ويولد على الخطيئة، ويعيش حياته آثمًا شقيًا، ويموت على الإثم. ويعتمد خلاصه على القسس والرهبان الذين أشك فى براءتهم أنفسهم، لم يستطع ضميرى أن يتقبل هذه التعاليم، إلا أننى كنت مضطرة كمسيحية أن أؤمن بها، ومع ذلك كنت متشوقة للتخلص من قيود هذه التعاليم المنافية للمنطق، ولهذا بدأت أدرس الأديان العظمى الأخرى فى العالم.

دِرَاسَةُ الأَدْيَانِ:

بدأت بدراسة الهندوسية والبوذية فاكتشفت أن كلتا هاتين الديانتين تدعوان إلى مبدأ تكرر الولادة، وظهور الروح فى هذا العالم فى أجسام مختلفة بسبب الخطيئة، وهكذا تؤمنان كذلك كالنصرانية أن الخطيئة مركبة فى فطرة الإنسان.

هذه الأديان لم تستطع أن تزيل شكوكى ولا أن تحل مشكلاتى، وعلى العكس من ذلك نجد أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يدعو إلى أن الإنسان يولد طاهراً من الذنوب، كما يؤكد أنه بعمل الصالحات يستطيع الإنسان ليس فقط أن يحرر نفسه من الذنب طوال حياته، بل وأن ينال الخلاص إلى الأبد على هذا الأساس بالذات.

ثم درست أثر هذا المبدأ الإسلامى فى حياة المسلمين فوجدت أن كل من يؤمن بصدق وإخلاص بهذا الدين يسعى إلى تحرير نفسه من الذنب والخطيئة، ويعمل على أن تكون حياته تجسيداً وتعبيراً صادقًا عن كافة هذه الفضائل، وهذه الرغبة من جانب المسلم تورث الانسجام والاعتدال فى المجتمع الإنسانى، وهذا الاعتدال بدوره يمهد السبيل نحو تقدم الأفراد والمجتمع، وهذا الإكتشاف بالذات هو الذى شجعنى على مزيد من الدراسة للإسلام، وأخيراً دفعتنى بساطة الإسلام وتعاليمه السهلة على التخلى عن دين أجدادى واعتناق الإسلام.

التَّفكِيرُ فَرِيضَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ:

ومن الأمور المهمة التى جذبتنى نحو الإسلام أثناء دراستى لهذا الدين أنه على



عكس الهندوكية والنصرانية، فالإسلام لا يحتفظ بأى جزء من تعاليمه ويجعله حكراً لطبقة معينة خاصة من الناس، بمعنى أنه فى الإسلام لا يوجد كهنوت ولا رجال دين كطبقة منفصلة متميزة لها امتيازاتها مثلما هو الحال بين الرهبان النصارى، ورجال الدين الهندوسى، فالتعاليم الإسلامية موجهة إلى كافة البشر وهى بسيطة سهلة يستطيع كل إنسان أن يفهمها بكل يسر، فالإسلام يؤكد فى تعاليمه أن على الناس أن يفكروا وأن يستخدموا عقولهم فى الأمور الدينية. والذى استنتجته من دراسة الإسلام هو أن هذا الدين هو دين التيسير والفطرة، وهذه الخاصية هى دليل صحته، وحيث إن الإسلام هو الدين الحق دون أدنى شك فى ذلك، فإنه يدعو الناس إلى فحص تعاليمه بعيون مفتوحة ناقدة.

مثال نادر للتسامح الدينى :

وهناك مجال للنيات السليمة والمودة فى الإسلام الذى يتسع لدرجة أنه يشمل الذى يرفضون الإيمان بهذا الدين والذين يبيتون العداء له، والإسلام يعتبرهم أعضاء فى إطار الإخوة الإنسانية، ويمنحهم جميع الحقوق والامتيازات الاجتماعية والسياسية، ويضع على عاتق المسلمين مسئولية حماية عاداتهم وتقاليدهم الدينية، مهما اعتبرهم المسلمون مخطئين ضالين، وهذا مثال نادر على التسامح والحب لا يوجد شبيه له حتى فى التاريخ النصرانى، بالرغم من أن النصرانية توصف بأنها دين الرحمة والتسامح، وبالرغم من أنها تأمر أتباعها بأنه من «ضربك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر» فالإسلام لا يأمر بهذه المبادئ غير القابلة للتطبيق، وإنما يتمشى مع الكرامة الإنسانية واحترام الذات، لذلك كانت تعاليم الإسلام فى التسامح والسلام فريدة من نوعها، لا يوجد مثيل لها فى أى دين من الأديان.

الإسلام دين اليسر والوضوح :

ويمكن أن نقسم تعاليم الإسلام إلى نوعين:

النوع الأول ويتألف من المبادئ والعبادات.

والقسم الثانى ويشمل علاقة الإنسان ومعاملاته مع أخيه الإنسان ومع بعض

المخلوقات الحية، وليس هناك أى سر غامض أو تعقيد فى هذا الجزء من تعاليم الإسلام ونعنى به الجزء المتعلق بالمعتقدات والمبادئ. فهو يدعو الناس إلى الإيمان بوحدانية الله وبنبوة محمد ﷺ ويقترح لتقوية هذه العقيدة طرقًا معينة وعبادات سهلة ومؤثرة وعملية فى آن واحد.

فالإنسان الذى يؤمن بإله واحد يصبح متحرراً تمامًا من الخوف من كافة القوى الأخرى سواء كانت قوى حقيقية أو وهمية، كما أن ملكاته الفكرية المبدعة تغدو متحررة تمامًا فى التعبير عن كل شىء، وهذا التحرر الفكرى والعملى قد أثبت فائدته العظيمة للإنسان، كما أن الاعتراف بنبوة محمد ﷺ ليس إلا تعبيراً عن ذلك الشعور بالاعتراف بالجميل الذى بدونه لا يمكن لأى مجتمع إنسانى أن يحقق الوحدة والانسجام. فليس بوسع أحد أن يتنكر لأعظم نعمة خلقها الله للإنسانية عَلَى يد سيدنا محمد ﷺ حين دعاها إلى الإسلام، وما الإيمان بنبوة محمد إلا اعتراف متواضع بهذه الحقيقة.

والعبادات فى الإسلام بسيطة سهلة للغاية هى الأخرى، فلا يحتاج تطبيقها إلى أمور معينة أو مكان معين أو جو خاص، والهدف من هذه العبادات هو تحقيق الوحدة الإنسانية وتنمية الشعور بضبط النفس وتعويد النظام فى حياة الإنسان.

وإذا تناولنا جانب العلاقات الاجتماعية فى الإسلام نجد أن الإسلام يطالب الناس بالحياة فى عيشة صادقة كلها سلام، فلا تمييز بين غنى وفقير، ولا بين مسلم وغير مسلم فى النظام الاجتماعى الإسلامى، فالإسلام يبين للناس كيف يحيون متساوين ويتعاملون كأعضاء فى أخوة إنسانية واحدة.

عشر سنوات فى راحة ورضا:

لقد تأثرت بهذه الخصائص التى يتميز بها الإسلام وها قد مضت عشر سنوات على دخولى فى الإسلام، وأنا أحس الآن براحة ورضا عظيمين، وأنا أقول بأنه لم يحدث قط أن ندمت على تركى لدين آبائى وأجدادى.

فرنسا:

٥٩- عبد الله
جاك سابقًا

أما ضيفنا فى هذه الحلقة فهو شاب فرنسى كان يدعى قبل إسلامه (جاك) ثم اتخذ لنفسه اسم عبد الله بعد أن أسلم، لقيته فى وزارة الأوقاف حين جاء ليعلن إسلامه أمام لجنة الفتوى، يقول الأخ عبد الله وكان يتحدث بلغة إنجليزية ضعيفة:

لقد اكتشفت الإسلام فى المغرب - يقصد بالمملكة المغربية الشقيقة - منذ عام ١٩٦٧م خلال زيارتى لها حيث أمضيت فيها سنة كاملة، لاحظت خلالها المعاملة الإنسانية الطيبة، والعلاقات الإنسانية العاطفية التى تربط بين المسلمين، وقد جعلنى ذلك أشعر بخلجات داخلية تشدنى نحو الإسلام هذه الإحساسات لا أستطيع شرحها وترجمتها إلى كلمات، لأنها أحاسيس. ولكننى تأكدت بفضل ذلك أن الإسلام هو الدين الوحيد الملائم والكفيل بحل مشكلات العالم المعاصر بأسلوب واقعى وبعدالة لا مثيل لها.

كما أيقنت أن الإسلام هو أقوى ديانة سماوية على وجه الأرض فى الوقت الحاضر، إذ تستقطب إليها الملايين من البشر، لا من الشيب والشيوخ بل من الشباب والشواب.

قلت للأخ عبد الله: هل أنت متزوج؟ فأجاب قائلاً: لا لست متزوجًا، ولا أفكر الآن فى الزواج[١].

وماذا عن ماضيك فى وطنك فرنسا؟ كان ذلك هو السؤال التالى للسيد جاك. فأجاب عليه بقوله:

لقد كنت أعمل فى الفترة السابقة فى وطنى فرنسا موظفًا بقسم الإعلانات والبرامج الخاصة بالتليفزيون، إلا أننى منذ خمس سنوات أصبحت أعمل موسيقيًا، وقد جئت إلى

(١) الإسلام يدعو الشباب إلى الزواج، عفة للنفس، وصيانة للأخلاق، وعمارة للأرض.

الكويت بناء على عقد عمل باسم فندق (ماريوت) حيث أعمل حاليًا فى إحدى الفرق الموسيقية.

قلت للسيد جاك: ولكن ألا تعتقد معى أن طبيعة عملك تتعارض مع إسلامك؟ فقال:

دعنى يا أخى أولاً أقوى إيمانى وأدرس دينى الجديد، وبعدها سأعمل على تغيير عملى بما يلائم تعاليم دينى[1].

ثم قال: أنا لا أعرف كيف أتوضأ ولا كيف أصلى، فهل لديكم أحد يعملنى ذلك عمليًا؟ فأخذه مترجم الوزارة الفرنسى المسلم وعلمه كيف يؤدى فرائض الوضوء، ثم صلى أمامه وعلمه الصلاة، ووعدنا أن نعطيه المزيد من الدروس العملية فى دينه الجديد.

❖❖❖

(١) سؤال جميل ومهم ذلك الذى وجّهه المؤلف إلى المسلم الجديد (عبد الله)، لأن الإسلام معناه: الاستسلام لأحكام الله تعالى فى كل شئون الحياة، والموسيقى لا تصلح مهنة للكسب الحلال.

وجواب (عبد الله) هو أيضًا جميل، لأنه يدل على توفيق الله له بالفقه المبكر فى دينه، لأن الإسلام يأخذ الناس بحكمة التدرج فى التطبيق، ولا شك أن ترك الموسيقى متفرع من قوة الإيمان، ودراسة الدين، وإقامة الفرائض.

وفقنا الله جميعًا للخير والهدى والفقه الصحيح.

فهرس الجزء الثالث

الموضوع		الصفحة

السعر ٤ جنيهات

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

و قد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجال ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا فى مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع

و هذا الكتاب موجه إلى المسلمين فى المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذى بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

و هذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت :"يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والانسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس
ماجد أحمد يحيى



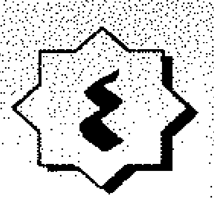
الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com
القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧
الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢
المطابع : طريق مصر - اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٧٤ / ٤٤٤١٠٧٠

رجال ونساء أسلموا

إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل العشي

مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقاً



رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات



شخصيات الحلقة الخامسة

- السيد موسى ريوشين جوزا
- عبيد الله السندى (ابن رام ستيج سابقًا)
- إدريس عبد السلام ميرز
- ح . ف. فيلويز
- الدكتور: ر.ل. ميليما
- البروفسور: هارون مصطفى ليون
- بشير أحمد شاد
- عمر بيلانتى (بيير جيوردجيو سابقًا)
- داود إيسن
- د. علاء الدين (ألبرت فردريك سابقًا)
- دكتور جرينيه
- محمد مارمادوك بكثال
- يوسف على كابرى (جوزيف سابقًا)
- عائشة وزوجها (موهنى وزوجها الهندوسيان سابقًا)
- عبد الغفار أباه (جورج سابقًا)
- جارى واندرو وأسرته
- السيدة راشيل فيشيان
- عامر على داود
- السيدة آن باكستون

النمسا

٦٠ - بدرية
هيدى مرعى سابقاً

هيدى مرعى - سيدة نمساوية فى الخامسة والثلاثين من عمرها فهى من مواليد عام ١٩٤٤، متزوجة من دكتور مسلم مصرى يعمل أستاذاً بجامعة الكويت منذ عام ١٩٧٦، وله منها طفلان، وهى تعمل أيضا أستاذة للغة الإنجليزية بجامعة الكويت كذلك.

جاءت السيدة هيدى مرعى مع زوجها إلى مقر لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف لتعلن عن رغبتها فى إشهار إسلامها، فالتقت بها وبزوجها مجموعة من علماء الدين وسألوها:

- هل حقاً ترغبين فى اعتناق الإسلام، أو أن أحداً مّا يريد إكراهك على الدخول فى هذا الدين؟

فقالت وقد عقدت ما بين حاجبيها إعرابًا عن الجدية فيما تريد قوله:

- لا، لم يكرهنى أحدٌ على الدخول فى هذا الدين، وإنما أردت دخوله لاقتناعى التام بصدقه.

وهنا تدخَّل زوجها الدكتور فقال:

- لقد عشت فى النمسا سنوات عديدة، وعندما تزوجت من هيدى لم أكن مسلماً بمعنى الكلمة، ثم حضرنا إلى الكويت، فالتقت هيدى بأفراد أسرتى، والدتى وشقيقتى وبعض أقاربى، ولاحظت أنها أسرة متدينة تحافظ على الصلاة، لقد أحبَّت الأسرة الشرقية الإسلامية، وما تتميز به من حب وبر وتراحم، وعلمت أن هذا كله مصدره الدين الإسلامى، كما أغرمت بحب والدتى الحاجة بدرية، وهى امرأة متدينة للغاية شديدة العطف والودّ.

ومنذ عام ١٩٧٦ تركت زوجتى وشأنها وانشغلت عنها بأعمالى الكثيرة، وفجأة لاحظت أن هيدى تقلد والدتى وتصلى، ولما سألتها قالت: أنا مسلمة يا مرعى، إننى

أصلي وأحب الصلاة، ولما جاء رمضان أخذت تصوم معنا.

هنا تدخَّل أحد العلماء الجالسين فقال:

– قل لها يا أخي أنت مسلمة وعضو في مجموع المسلمين، وهي الآن أخت لنا في الإسلام، ولها علينا الكثير من الحقوق، ونحن في خدمتها.

وهنا شكرته السيدة هيدي وقالت:

– أنا أعلم أنني مسلمة، ولكني جئت إلى هنا لإشهار إسلامي وتغيير اسمي.

فتدخل زوجها وقال:

– منذ عدة أسابيع وهيدي تطالبني أن أحضرها إلى هذه الوزارة، فقلت لها: إن جواز سفرك في الجامعة، فسكتت، وبعد أيام أبرزت لي جواز سفرها وقالت: ها هو جواز سفري فخذني لكي أستريح، لا أحب أن أظل معلقة هكذا، ولما رأيت منها كل هذا الإصرار سألت شاباً كويتياً مسلماً أعرفه، فقام مشكوراً بالاتصال بالوزارة، ولما حصل على المعلومات الكافية حول الطريقة المتبعة في مثل هذه المناسبة، أبلغني بذلك، وكانت هيدي متلهفة على معرفة النتيجة، وها نحن قد حضرنا لهذا الغرض.

– أهلاً بكم ومرحباً.

ثم توجه أحد العلماء مخاطباً السيدة هيدي عن طريق المترجم للغة الإنجليزية بالوزارة، فقال لها: هل تؤمنين بأركان الإسلام الخمسة وهي الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج؟ فقالت: نعم فقال لها: إذن ردِّدي معي:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر».

أخذت السيدة هيدي تردِّد هذه العبارات باللغة العربية المكسرة، وبعد كل فقرة منها تردِّد بالإنجليزية معناها الدقيق، لتكون على علم بما تقول، حتى فرغت من ذلك.

الزي الجديد:

كانت السيدة هيدي تلبس ملابس محتشمة نوعاً، فثوبها العلوي له أكمام طويلة كما

كانت تلبس جوربين طويلين سميكين في قدميها يصلان إلى الركبتين، إلا أنها كانت متزينة وشعر رأسها مكشوف وعلى عينيها نظارة، فقال لها أحد العلماء:

– اسمحي لي أن أخاطبك بكلمة يا أختي في الإسلام! وأن أقدم لك نصيحة الأخ المسلم لأخته المسلمة.

فأبدت اهتماماً بذلك فقال:

– ما دمت قد أصبحت مسلمة فمن واجبك الآن أن تلبسي اللباس الإسلامي الكامل، وأن تخفي زينتك حسب ما يأمرك دين الإسلام الذي آمنت به.

وهنا تدخل زوجها وقال: الحق أنها كثيرا ما تتساءل في البيت: لماذا تفعلون هذا؟ إن الإسلام يأمر بخلافه، فهي على علم تام بأوامر الإسلام ونواهيه ومتحمسة للالتزام بذلك.

فقال له العالم المسلم:

– إن من واجبك أنت باعتبارك زوجاً لها أن تكون قدوة طيبة أمامها، وأن تشجعها على الالتزام بآداب الإسلام.

فوعد الدكتور الزوج بذلك، وقال:

– لقد أطلعت زوجتي على ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وباللغة الألمانية، وأخذت فكرة كاملة عن العقيدة الإسلامية وقارنتها بعقيدة النصارى بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام، فاقتنعت بعقيدة القرآن رغم حاجز الترجمة، وهي تعرف الألمانية والإنجليزية وشيئا يسيراً من اللغة العربية.

فقال أحد العلماء الجالسين: يستحسن أن تطّلع على أكثر من ترجمة لمعاني القرآن الكريم حتى تعوض ما فاتها من معانيه، مع أن القرآن الكريم مهما اجتهد المترجمون فلن ينقلوا معناه إلى أية لغة.

فقال الزوج: إنني أفضّل أن أقوّي إجادتها للغة العربية حتى تقرأ القرآن وتفهمه باللغة العربية، وهنا استحسن الحاضرون ذلك كثيراً.

كتب إسلامية:

وقبل أن ينتهى اللقاء أهدت لجنة الفتوى للسيدة هيدى مجموعة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، لتعميق فهمها للإسلام، كان من أهمها كتاب (مبادئ الإسلام) للأستاذ المودودى، وكتاب: (التعريف بالإسلام) للدكتور محمد حميد الله وكتاب : (شبهات حول الإسلام) للأستاذ محمد قطب، الذى قالت بأنها سمعت به من قبل، وكتبًا أخرى... واتفق على أن تعود إلى الوزارة لإتمام معاملة إشهار الإسلام، بعد بضعة أيام.

وهنا سُئلت السيدة هيدى عن الاسم الإسلامى الذى تختاره لنفسها ؟ فهتفت قائلة: بدرية! ولما سُئلت عن السبب قالت: لأننى أحب والدة زوجى الحاجة بدرية، فأريد أن أتسمى باسمها.

وهكذا انفضت الجلسة والكل يقول: سبحان الهادى! سبحان الله!

تعليق (الدين المعاملة)

وبعد، فهذه ليست مجرد قصة تحكى كى يعجب الناس بها ويفرح الغيورون على الدين الإسلامى بما يسمعون أو يقرأون، وإنما هى تفاصيل ما حدث يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٩ هـ، الموافق ٢٢ فبراير عام ١٩٧٩م. وقد صاحب الزوجين فى زيارة وزارة الأوقاف رجل ثالث هو زوج أخت الدكتور مرعى وهو أيضا وزوجته من المتدينين المتمسكين بالدين الإسلامى الحنيف.

وهكذا نرى أثر القدوة الطيبة فى نشر هذا الدين بين الناس كافة، فإذا رأى الناس مسلماً يحيا بالإسلام دون أن يتكلم بكلمة واحدة، فإنهم يتأثرون به أعظم التأثر، لأن الإسلام هو دين الأمانة والصدق والوفاء فى المعاملة، دين المحافظة على الوعد، هو الدين الذى يأمر التاجر أن يصدق فى تجارته فلا يغشّ، ويأمر الصانع أن يتقن صناعته، ويأمر الموظف والعامل أن يحسن عمله، كما يأمر صاحب العمل أن يُعين العامل فى عمله وأن يعطيه أجره قبل أن يجفّ عرقه، وأن ينصفه فى ذلك.

فلما عاشت السيدة هيدى فى وسط إسلامى من هذا النوع ورأت كيف يخلص الرجل

لزوجته وكيف تكون المرأة العجوز موضع تكريم وحب من جميع أفراد الأسرة بدلا من أن يُلقى بها في دور العجزة، وعندما شاهدت الروابط الأسرية الوثيقة بين أفراد العائلة المسلمة، واطّلعت على الحياة النظيفة الخالية من السكر والقمار والاختلاط والمجون، عندها أخذت تتساءل في نفسها، ثم بعدها أقبلت هي على الإسلام حتى دخلت فيه راضية سعيدة. وهذا يذكرنا كيف انتشر الإسلام ولا يزال ينتشر كل لحظة بين ملايين البشر، وسيظل ينتشر بهذا الأسلوب في أرجاء المعمورة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولعل هذا من الوسائل التي يحفظ الله بها هذا الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فالذكر الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية قد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظه، لا في السطور فحسب، بل في القلوب، ومترجمًا في أعمال رجال ونساء صالحين، فهو ذكر مترجم إلى عمل، والفائز من اقتبس من هذا النور، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

❁ ❁ ❁

لبنان :

٦١ - نجوى أدمون شوفانى

سلسلة خالدة :

حين شرعت فى تسجيل القصة الأولى من هذه السلسلة عن رجال ونساء أسلموا من كل بلد من بلاد الدنيا ، كنت أحسب أننى سأفرغ منها وينتهى بى المطاف عند حلقة نهائية من حلقاتها ، وما علمت أنها سلسلة خالدة خلود الحياة ، فهى باقية إن شاء الله ما دام على الأرض إنسان.

لقد رأيتنى ، بعد أن أتيحت لى الفرصة لمقابلة شخصيات مختلفة من الذين أسلموا ، وكأننى أقف على شرفة عريضة تطل على العالم أجمع ، وأمامى أيدٍ ممتدة من كل مكان فى الدنيا تتلهف لحمل كتاب الله ، لا فى الأيدى فحسب ، بل وفى الصدور والقلوب ، إنه الزحف الإسلامى ، والنور الربانى الذى ينتشر وينتشر حتى يعمَّ نور الله الأرض بأسرها .

والعجيب أيضا أن مَن يدخل فى هذا الدين لا يخرج منه أبداً ، وهذا أكبر دليل على أنه دين الله لا دين أحد من البشر. فما أن تخالط بشاشتُه القلوب حتى يعمرها ويمتزج بكيان الإنسان كله ، فسبحان الله العظيم ، ألم يكن ذلك ضمن الأسئلة التى وجهَّها هرقل ملك الروم إلى أبى سفيان قبل إسلامه ، عندما التقى به على رأس وفد من قريش ليسأله عن رسول الله ﷺ ؟!

قال هرقل يتساءل عن أتباع محمد ﷺ : هل يزيدون أم ينقصون؟ فأجاب أبو سفيان: إنهم يزيدون ، فلا يدخل أحد منهم فى هذا الدين حتى يثبت عليه ويفديه بحياته ، فقال هرقل: فذلك شأن الرسل ودين الله الذى يأتون به إلى الناس.

قصة جديدة :

والآن لنبدأ قصة جديدة ، إنها لشابة من لبنان ، فقد نشرت جريدة الرأى العام



الكويتية الغراء، فى ملحق عددها الصادر يوم الأحد الرابع من شهر فبراير عام ١٩٧٩، قصة إسلام السيدة نجوى أدمون شوفانى، فكتبت تقول: مسيحية مارونية من لبنان تعلن إسلامها فى الكويت، وتقول: أحمل لأهلى كل حب، وأدعو الله أن يهديهم إلى الطريق المستقيم كما هدانى، لقد وجدت القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] فاستجابت فطرتى لذلك وعلمت أنه الحق.

وقد توجَّه الأخ محمد رشيد العويد، محرر الرأى العام، إلى السيدة نجوى، مع زوجها، فأجرى معها حواراً حول أسباب إسلامها، وفيما يلى ما قاله الأخ رشيد:

ما أحسبها كانت مصادفة أبداً، فبعد خروجى من لقاء الأخت نجوى أدمون شوفانى، التى حدثتنى عن تأثرها بزوجها المسلم، وكيف كان يجادلها بالتى هى أحسن، ويبين لها مبادئ الإسلام الحنيف.. بعد خروجى وجلوسى فى السيارة، امتدَّت يدى إلى مفتاح الراديو وأدَرْته فسمعت القرآن الكريم يرتله شيخ من إذاعة الكويت بلغة الأوردو، وكانت الآية التى سمعتها هى قول الله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ووجدت نفسى أردِّد: سبحان الله! الحمد لله، الله أكبر!

البداية.. والتأثر بالزوج الصالح

لقد كان السؤال الأول الذى طرحه محرر الرأى العام على السيدة نجوى هو: ما هى الصورة التى كنت تحملينها عن الإسلام قبل زواجك؟ فأجابت بقولها: لقد كانت صورة مشوّهة غير واضحة، وفيها الكثير من التحريف، والمعلومات التى مُلئ بها ذهنى عن الإسلام كانت معلومات مغلوطة غير صحيحة، وكنت أجهل كثيراً من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء، وهى شريعة الله التى أنزلها لخير عباده.

* بعد ذلك سُئلت الأخت نجوى متى بدأ اهتمامها بالإسلام ورغبتها فى اعتناقه؟ فأجابت بقولها: كان ذلك بعد زواجى، فزوجى شاب مسلم، أعجبت بأخلاقه وسلوكه، وعرفت أن هذه الأخلاق الحميدة نابعة من تديُّنه وتمسُّكه بإسلامه، وكنت أراقبه وهو

يصلي واقفا بين يدي الله في خشوع فأتأثر بذلك كثيرا، وكنت بين الفينة والأخرى أسأله عن بعض الأمور في الإسلام فيوضحها لي، ويبين لي حكمتها، ومع مرور الأيام بدأت الصورة الحقيقية للإسلام تتضح أمام ناظريّ، وبدأ حب الإسلام يشيع في نفسي ويمتلك عليّ قلبي، حتى عزمت ذات يوم أن أعلن إسلامي، ففاتحت زوجي بذلك، ففرح به كثيرا وأعرب عن سعادته بعد أن تأكد من صدق عزمي، وهكذا ذهبنا إلى وزارة العدل معاً حيث أعلنت اعتناقي للإسلام، وزُوِّدتُ بإعلان رسمي يُثبت ذلك.

* وهنا سُئلت السيدة نجوى أدمون شوفاني المارونية الأصل: هل تؤدِّين العبادات الإسلامية بانتظام؟ فقالت: نعم ولله الحمد، فأنا أصلي الصلوات الخمس اليومية وأحافظ عليها في مواعيدها، وسيكون شهر رمضان القادم أول شهر أصومه، إن شاء الله، بعد إسلامي، وأمنيتي أن يوفقني الله سبحانه وتعالى لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

* ثم كان السؤال التالي: هل قرأت كتبًا كافية عن الإسلام لزيادة إطلاعك على دينك الجديد؟ فأجابت السيدة نجوى بقولها: لقد أحضر لي زوجي بعض الكتب عن الإسلام وسيرة الرسول ﷺ ، وقرأتها بشغف عظيم.

* وكيف وجدت النبي محمداً ﷺ بعد قراءة سيرته؟ على هذا السؤال أجابت الأخت نجوى قائلة بأسلوب السيدة البسيطة الصادقة: إنه رسول كريم، لا أثر للكبر في نفسه، متواضع، يحب الخير للناس جميعًا ويحرص على هداهم، رحيم بالمسلمين.

بين الحقائق والأباطيل :

* بعد ذلك قال محرر الرأي العام للأخت نجوى: ما هي الجوانب التي لم ترتاحي لها في دينك السابق، والتي أعجبك ما يقابلها في الإسلام؟ فقالت: الواقع أن هناك عدداً كبيرا من الأفكار التي لم يطمئن إليها عقلي، ولم يقبلها فكري ولقد عرفت فيما بعد أن كثيرا مما ليس في الإنجيل أصلا قد أُضيف إليه، كما حُرِّف ما فيه، قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن هذه الأفكار المحرّفة مثلا ما يلي قرأت في الإنجيل الفقرة التي تقول عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه «صُلبَ وقام»، بينما وجدت القرآن الكريم يقول: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩].

كذلك يوضح القرآن الكريم مكانة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في عدة آيات من سورة المائدة، تلخص عقيدة المسلم بهذا الخصوص، فيقول: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧].

ويقول أيضاً: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٥].

وبمنطق لا يمكن رفضه يخبر القرآن الكريم عن قضية خلق عيسى عليه السلام فيضرب لها مثلاً لا مجال إلا للتسليم به، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩- ٦٠].

وهذه آيات أخرى عن سيدنا عيسى عليه السلام من سورة المائدة أيضاً: ﴿ وَإِذْ قَالَ

اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

وأخيراً هذه آيات من سورة النساء حول الاعتقاد الصحيح بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٢].

فعندما قرأت الأخت نجوى هذه الآيات الكريمة عن سيدنا عيسى عليه السلام عرفت الحق فآمنت به دون تردد .

وسبب آخر تضيف الأخت نجوى إلى هذا السبب الجوهري في اعتناقها الإسلام سببًا وجيهاً آخر فتقول: ومن الدوافع الأخرى التي جعلتني أختار الاسلام دينًا قضية الاعتراف لدى رجل الدين، مع أنه رجل من البشر مثلنا لا يملك لنفسه المغفرة فكيف يملكها لغيره؟! بينما في الاسلام نجد التوبة مفتوحة للناس جميعًا بينهم وبين ربهم، دون أي وسيط من البشر . قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهنا سُئلت الأخت نجوى هل علم أهلها بإسلامها ؟ وكيف كان موقفهم من ذلك؟ فأجابت بقولها: لقد علموا بإسلامي، وحاولوا أن يقنعوني بالعدول عنه والعودة إلى ديني السابق، ولكن محاولاتهم لم تنجح، فأنا ثابتة على إسلامي بعد أن أنعم الله عليَّ بالهداية.

دعاء جميل ورجاء كريم:

أما موقفي أنا منهم فإنني أحمل لهم في قلبي كل حب وودّ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يهديهم إلى الإسلام، دين الفطرة، كما هداني إليه.

وأخيراً دُعيت الأخت نجوى إلى توجيه كلمة إلى إخوانها وأخواتها في الإسلام فقالت: أُريد أن أتوجه بالرجاء إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة أن يعودوا إلى التمسك بدينهم العظيم، دين الإسلام، لأنه دين الرحمة والعدل، الدين الذي ختم الله به الأديان جميعاً، وجعل فيه الخير والسعادة للناس في دنياهم وآخرتهم.

❁❁❁

ألمانيا الغربية:

٦٢- أحمد جبرمان

وولده نورى نوربارت سابقاً

هذه قصة إسلام السيد أحمد جبرمان - رئيس المسلمين الألمان فى ولاية رينانيا وست فاليا - وهى الولاية التى تقع فيها مدينة كولون، ويبلغ من العمر ٤٩ عامًا، وهو يعمل فى مكتب ألمانى لشئون السياحة.

وقد حصلت عليها من ولده نورى، الذى كان يدعى قبل إسلامه نوربارت والبالغ من العمر ٢٩ عامًا، وذلك أثناء زيارته الأولى للكويت (عام ١٩٨٠م) ضمن وفد المركز الإسلامى فى كولون الذى ضمَّ أربعة من المسلمين برئاسة الأستاذ محمد أحمد رسول وعضوية نورى، ومسلم ألمانى آخر ودكتور ألمانى مسلم من أصل تركى ترك عمله وعيادته وجاء ضمن هذا الوفد الإسلامى للحصول على العون المالى من الكويت لإنشاء مسجد للعمال الأتراك المسلمين فى كولون ثانية المدن الصناعية الألمانية، والتى يقطنها أكثر من خمسين ألف عامل مسلم من تركيا. كما أن هذا المركز يقوم بجهد مشكور لتعليم أطفال المسلمين أمور دينهم، فلديهم مدرسة لأطفال المسلمين الأتراك، ولكن إمكانات هذا المركز ضئيلة جداً ويحتاج إلى الدعم المالى الكبير حتى يقوم بواجبه على خير وجه ممكن.

وقد حدثنى الأخ محمد رسول رئيس الوفد، أن المسلمين فى أوروبا عامة يواجهون مع الأسف تعصبًا وكبتًا لحقوقهم، رغم أنهم يعيشون فى أرقى بلاد الدنيا التى تنادى بحرية الاعتقاد وحرية الفكر، ولكنها عندما تواجه الإسلام تتصرف بحقد وتعصب شديدين. وهذا أمر يؤسف له حقًا. كما ذكر لى الأستاذ محمد رسول أن الأتراك المسلمين فى ألمانيا شديدو التمسك بدينهم ولهم أئمتهم الذين يسمى الواحد منهم «خوجه» يقوم على تربية الأبناء تربية إسلامية طيبة وهم بحاجة إلى العون المالى. وقد رأى أحد الزائرين المسلمين طفلة صغيرة فى مدرسة المركز الإسلامى فى كولون، وكانت طفلة صغيرة نحيلة الجسم تحفظ شيئًا من القرآن الكريم وتجيد التلاوة إجادة تامة، فأبدى الزائر تأثره مما

رأى، فقال له الخوجه الإمام التركى المسلم الذى يقوم على تدريسها: «إن لدينا ٤٥ طفلة أخرى مثلها فى المدرسة».

كيف أسلم؟

نعود الآن إلى الأخ أحمد جيرمان وأسرته. يقول ولده الأخ نورى: يبلغ أبى من العمر حاليًا ٤٩ عامًا، وله أسرة مكونة من أربعة من الأبناء وزوجة، والأبناء اثنان من الذكور وبنتان. وقد أسلم الأب قبل حوالى ١٢ عامًا، ثم أسلم بعده ولده الأخ نورى، وذلك بعد إسلام الأب بسنتين اثنتين.

سألت الأخ نورى، وهو لا يجيد العربية، قلت له عن طريق مترجم ألمانى جلس معنا: كيف أسلم والدك يا أخى؟ فقال:

– لقد كان والدى يعمل فى الأصل مسئولاً فى كنيسة البلدة التى يقيم فيها، وكان عمله عبارة عن رعاية شئون العمال المسلمين الأتراك فى تلك المنطقة، وتقديم العون المالى والمعنوى لهم باسم الكنيسة، وهذا أسلوب من أساليب التبشير النصرانية كما هو معلوم، فكان الوالد يساعد العمال الأتراك المسلمين المهاجرين إلى كولون للعمل، فى تأمين السكن لهم، وإنجاز مصالحهم وتسهيل معاملاتهم لدى سلطات الحكومة الألمانية.

ومن خلال عمله المذكور فى الكنيسة، تعرف الوالد على إمام تركى كان مسئولاً عن مسجد صغير فى بلده منشن غلادباخ، وكان يدعى الشيخ حسن زاجر، وهو عبارة عن عامل متديّن يقوم بالإمامة فى المسجد المذكور للمسلمين الأتراك، وكان حسن زاجر هذا من أسرة يونانية الأصل مهاجرة من شمال اليونان، وكانت أسرته على علاقة واحتكاك بالنصارى اليونانيين.

وهكذا كان الشيخ حسن زاجر يعرف كيف يناقش النصارى فى أمور دينهم ويدحض حججهم، حيث أطلع على تعاليم الديانة النصرانية إبان طفولته وصباه بشكل جيد يؤهله لمثل تلك المناظرات. وهكذا فقد كان السيد أحمد جيرمان، بصفته ممثلاً للكنيسة، يدخل فى مناقشات حامية الوطيس مع الشيخ حسن زاجر، ويشترك معه فى مناظرات كلامية أحيانًا، تتضمن مقارنة بين النصرانية والإسلام، وقد استمرّ ذلك حوالى ثلاث أو أربع

سنوات وانتهى الأمر بعقد صداقة وثيقة بين الرجلين. ومرّت فترة بعد ذلك هدأت فيها نفس السيد جيرمان، فما كان منه إلا أن اعتنق الإسلام على يد الشيخ حسن زاجر نفسه.

شبهة حول لغة القرآن :

تذكرني هذه الحادثة بلقاء تمّ بيني وبين مسئول كبير في شركة الملاحة العربية المتحدة، وهو مدير العمليات البحرية بالشركة، وهو رجل انجليزي لطيف. ذهبت إلى الشركة لمقابلة صديق لي فيها فلقيت عنده المدير المذكور، فجرى بيني وبينه حوار بدأه هو بالسؤال التالي، بعد أن رأى نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، قال لي: لا شك أن الله سبحانه وتعالى موجود، ولا شك أن هذا الكتاب هو من عند الله، ولكن إذا كان هذا القرآن موجهًا إلى الناس كافة كما يقول المسلمون، فلماذا أنزله الله باللغة العربية بالذات بحيث أحوجنا إلى عناء ترجمته ونقله إلى لغات أخرى كما يفعل الداعون إلى الأديان الرئيسية في العالم؟ لقد كان بوسع الله القادر على كل شيء، أن ينزل كتابه في عدة لغات رئيسية فتتضح رسالته للناس كافة، ويقيم الحجة عليهم جميعًا.

وهنا قلت له: إنك تعني أنه لماذا أنزل القرآن الكريم باللغة العربية بالذات؟

فنظر إليَّ صديقي (مرؤوسُه) نظرة فهمت منها طلبه أن أرفق بمديره الذي أناقشه، فطمأنته بأنني ارحِّب بالنقاش الحرّ. وقلت للمدير: إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو تكريم وتشريف للناطقين بهذه اللغة (العرب) كما أن فيه مسئولية ضخمة يحمِّلها الله لهم.

وأعود بك إلى أول قرن من تاريخ انتشار الإسلام، منذ بعثة النبي محمد ﷺ حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز تقريبًا، ألم تكن رسالة الإسلام منتشرة من الصين شرقًا إلى شواطىء الأطلسي غربًا؟ أي أنه انتشر في كافة أنحاء العالم القديم، ولم يمنع حاجز اللغة من انتشاره، بل على العكس من ذلك، لقد انتشرت اللغة العربية مع انتشار

الإسلام وأصبحت بلاد كثيرة تنطق بالعربية بعد أن تركت لغتها الأصلية، ألست معى فى ذلك؟

ثم أضفت قائلاً: لذلك أعتقد أن من الأفضل تعليم الناس اللغة العربية تمهيداً لنشر الإسلام بينهم بدلاً من ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغات عدة، لأن الترجمة لن تكون هى القران أبداً، ولست هنا أدعوك لاعتناق الإسلام، وإنما أدعوك إلى دراسته ومحاولة التعرُّف عليه، وأطمئنك أن الإسلام ينتشر فى كل بقعة من بقاع العالم اليوم، واللغة العربية هى عامل مهم من عوامل توحيد المسلمين فى العالم، وبهذا انتهى ذلك اللقاء الذى يبين ما فى نفوس الغربيين من شبهات حول الإسلام.

لا إكراه فى الدين :

نعود إلى قصة السيد أحمد جيرمان الذى أسلم لله على يد رجل مؤمن أثر فيه رغم رصيد ذلك الألمانى من الحضارة المادية، وفى أرقى بلاد الدنيا - ألمانيا. فرغم ذلك، فقد أسلم الرجل الغربى المتقدم على يد عامل مسلم بسيط، بيده سلاح واحد هو الحق الذى يتهاوى أمامه كل باطل: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

إسلام الابن :

وهنا سألت الولد، واسمه بعد إسلامه نورى: ومتى كان إسلامك؟

فقال: لقد أسلمت بعد والدى بعامين، وقد أمضيت معظم ليلة أمس مع الأستاذ محمد رسول فى الفندق، أتعلم منه كيف أقوم بإمامة الناس فى الصلاة، لأننى أتطلع إلى خدمة هذا الدين والدعوة إليه.

وسألته بعد ذلك: وماذا عن باقى أفراد أسرتك؟

فأجاب: فى الحقيقة إننى أنا الوحيد من إخوانى الذى اعتنق الإسلام، وأملى كبير أن نوفق أنا ووالدى إلى هداية إخوانى الثلاثة الباقين، أما والدتى فلا تزال متمسكة بدينها، وطبيعى أن من العسير إقناع المرأة الكبيرة بتغيير دينها. ونحن بالطبع لا نعمل

أبداً على إكراهها لأنه لا إكراه في الدين، وسنصحبها خير صحبة ونعاملها أفضل معاملة، لأن الإسلام هو دين التسامح.

دعوة إلى الخير

وبعد، فلابد من كلمة نوجهها إلى الغيورين على نشر هذا الدين في كل مكان من عالمنا الإسلامي، الذين آتاهم الله من الإمكانات ما يتيح لهم الفرصة لعون إخوانهم المسلمين، نقول لهؤلاء الإخوة: إن من الواجب دعم إخوانكم المسلمين الأتراك المهاجرين إلى ألمانيا، حتى يثبتوا على دينهم ويكونوا سفراء للإسلام في ألمانيا، لأن إقامة مركز إسلامي في كولون بألمانيا مثلاً هو بمثابة وضع حجر أساس لنشر الدعوة الإسلامية هناك. والله يشرح الصدور لكل خير.

❁❁❁

غانا :

٦٣ - عبد الله كوبيناوا

الفريد... سابقاً

هذه هي قصة رجل من غانا كان يدعى قبل إسلامه الفريد كوبيناوا، ثم سمّى نفسه بعد أن أسلم عبد الله كوبيناوا، هذا الرجل شبَّ على الضلالة، فجرفته الغواية حتى كاد يتشبع بها لولا أن حفظته هداية الله، وحماه نور اليقين من الشك القاتل، فانبلج أمامه صبح الإيمان بعد جهاد مرير مع نفسه وعقله.. كان يلحُّ على عقله بأن يفكر ويناقش تلك الأباطيل التي لا يقبلها العقل ولا يساندها المنطق.

أكاذيب وأسرار

رأى الفريد كوبيناوا الضلالة أمام عينيه يتلقاها إخوانه على أيدي رجال الدين، وتجسَّمت له هذه الأباطيل عندما سمع في دروسه الدينية أن عيسى بن مريم هو الله في زعمهم، وأن السيدة مريم هي أم الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

كانت هذه الترهُّات شبحاً مخيفاً يقضُّ مضجعه ويؤرق جفنيه. وأراد أن يعترض فلم يسمح له أي إنسان، وأراد أن يناقش فاتهموه بالزندقة والكفر وتوعَّدوه بالعذاب، وهدَّدوه بالحرمان من الجنة ونعيمها.

قالوا له إن هذه أسرار لا يعلمها إلا رجال الدين وعليه أن يؤمن بها على علاتها دون أدنى اعتراض أو مناقشة. وقد شعر يومها أن شيئاً عظيماً يجب أن يحدث في حياته، فخرج مسرعاً من قاعة الدرس، وقرَّر أن لا يعود إلى هؤلاء الناس الذين يمسخون الحقائق ويشوِّهون معالم الوحدانية، وعاهد نفسه أن يصل إلى الحقيقة وحده مهما كلفه ذلك من ثمن، فأعمل عقله وأجهد نفسه في القراءة والتفكير يريد أن يصل بروحه وكيانه إلى مبدع هذا الكون، لأنه يتحرّق شوقاً إلى الهدى والنور.. فتوسَّل هذا العبد القلق الحائر إلى الله أن يهديه إلى طريق الصواب، ويرشده إلى معرفة الحق، فاستجاب الله دعاءه، لأنه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه، وخرج من ظلمة الشك إلى نور اليقين، وعندها

شعر لأول مرة فى حياته بالاطمئنان يغمر قلبه وبالسعادة تملأ جوانحه، وذلك حينما نطق بالشهادتين على يد الحاج شعيب شيخ الإسلام فى غانا وأصبح من وقتها مسلماً.

الفريد كوبيناوا.. إنه أخ جديد من غانا.. جلست أستمع بشغف بالغ إلى قصة إسلامه، وأتأمل ملامحه الجادّة المعبرة التى تدلُّ على الثقة الكاملة والإيمان العميق. أخذ يقصُّ عليَّ قصته فى رويّةٍ وتمهل، وكان يتخلل حديثه لحظاتٌ قصيرة من الصمت يقطعها بقوله «الحمدلله»، وكأنه فى صمته هذا يسترجع بعض الذكريات أو يمسح عن نفسه آثام الماضى البغيض.

تناقض وحيرة :

بدأ السيد عبد الله كوبيناوا حديثه معى قائلاً: ولدتُ نصرانياً مؤمناً بدينى كل الإيمان، وكنت دائم الذهاب إلى الكنيسة منذ أن وعيت، فضلاً عن إيمانى بالله وحبى له وتفانى فى ذاته، ومناجاتى إياه دائماً فى السرِّ والعلن، فقد كنت أبغى الهدى وأنشد الراحة من هذه الخرافات الكاذبة، لأننى - والحق يقال - أحسست فى قرارة نفسى أننى غير مطمئن لبعض هذه الأراجيف التى يلقنها لنا رجال الدين.

ثم يضيف الأخ عبد الله كوبيناوا الغانى المسلم قائلاً: كنت أعيش فى دوامةٍ نفسية قاسية وفراغٍ روحى مملّ يكاد يعصف بكيانى كله، وفى الوقت نفسه كنت أرى هاتفاً يهتف بى من داخلى أيضاً ليعترضنى ويقول: «لا.. يجب أن لا تثور على دين آبائك وأجدادك..»، فوجدت نفسى بين عاملين يتنازعنى كل منهما ويشدّنى إليه بقوة، فضاقت بى الدنيا حتى كدت أختنق، وتملّكتنى رغبة عارمة فى الفرار منها. ولم أجد مكاناً أذهب إليه، بعد أن التوَتْ أمامى الطرق، سوى الكنيسة، فلعل فيها ما يريحنى ويدفع عنى غوائل الشك والإلحاح، وفعلاً ذهبت إلى الكنيسة كعادتى، وكانت هناك صورة تمثل المسيح مصلوباً، وأحد رجال الدين يشير إليها قائلاً: «هذا هو الله، خالق الكون وأمه السيدة مريم هى أم الله»!.. فلم أتمالك نفسى ولم أستطع أن أكتم غيظى، وصحتُ معترضاً، ولكن هيهات فقد ضاع صوتى ولم يقبل اعتراضى، ورمُيت بالكفر والزندقة.. وحينما أردت أن أناقش مناقشة منطقية هددتُ بالحرمان من الجنة ونعيمها، وحينئذٍ لم أجد عوناً على ثورتى هذه إلا الفرار من هذا المكان مسرعاً، فمضيت من

فورى لا ألوى على شيء، وأخلدت إلى نفسى أحدِّثها وأستلهمها الجواب.. كيف يكون السيد المسيح هو الله، مع أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟ وكيف يكون الله بشراً مثلنا؟ ومن الذى خلقه هو إذن؟ وأيقنت أن خير وسيلة لى هى أن أبتعد عن هؤلاء الناس، فلم أذهب إلى الكنيسة بعد ذلك اليوم.

وهنا صمت الأخ عبد الله كويبناوا برهة، جاشت خلالها نفسه بشتى الأحاسيس ومختلف الذكريات. وبعد فترة وجيزة من الصمت عاود حمده لله واستأنف حديثه قائلاً:

وفى ليلة لن أنساها ما حييت ظللت أقرأ وأفكر حتى شعرت أن عقلى يكاد ينفجر، فقمت مسرعاً واتجهت إلى ربى وصلّيت له، وتوسلت إليه أن يهدينى وأن ينقذنى مما كنت فيه، وأن يأخذ بيدى إلى طريق الحق والخير وبرِّ النجاة والأمان.

على غير ميعاد:

وفى أحد الأيام، وبينما أنا أسير فى شارع من شوارع غانا، استوقفنى جمع كبير من الناس، وبينهم أحد الخطباء، فذهبت إليهم لأستطلع الأمر، فسمعتهُ ينشر فيهم بعض التعاليم الفاضلة كالنظافة والوضوء والإخاء والتسامح وحب الخيرِ والخضوع لله وحده والدعاء له باسمه عزّ وجلّ لا شريك معه. فتاقت نفسى لهذه المبادئ السامية وأشرقت روحى من قدسية النور الإلهى ووجدتنى أنتبه فجأةً وأصغى بكل جوارحى إلى هذا الحديث العذب الذى نزل على قلبى برداً وسلاماً.

وفى هذه اللحظة بالذات ذقتُ معنى السعادة لأول مرة فى حياتى وشعرتُ أن هناك قوة خفية تدفعنى إلى هذا الخطيب لأسأله المزيد من هذه النفحات الكريمة وأطلب منه إيضاحها لى، وقد كانت إجاباته تتفق مع ما فى نفسى فترطب إحساسى وتهدهد خاطرى وتمسح عنى ذلك الألم الدفين، فحمدت الله الذى هدانى أخيراً إلى طريق السلام الروحى وغمر قلبى بشعاع من الأمل الباسم، وشكرت هذا الواعظ على ما قدمه لى إذ أوصلنى إلى طريق الله، طريق الإيمان والأمان، فلم أتمالك نفسى وتلوت الشهادتين، ثم أشهرت إسلامى فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ على يد الحاج شعيب شيخ الإسلام فى غانا آنذاك.

لماذا الإسلام؟

قلت للأخ عبد الله: تقول إنك قرأت كثيراً، وبالطبع لم تقتصر قراءتك على دين بعينه، فلماذا أحببت الإسلام واخترته ديناً لك؟

فردّ قائلاً: يكفى إن الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لا يشرك مع الله أحداً غيره، ثم إنه يَعِدُ الإنسان بالجزاء مضاعفاً فى الآخرة، وأى مسلم حقيقى لا يذهب أبداً إلى أبعد من هذا، وليس هذا فحسب، بل هناك مئات المزايا الحسنة التى حببّت الإسلام إلى نفسى.

سألت الأخ عبد الله: وهل وجدت معارضة من أهلك أو من أحد من الناس على إسلامك؟

أجاب: أنا لا تهمنى إلا معارضة أهلى، وقد ثاروا علىّ فعلاً بادئ الأمر، إلا أننى استطعت أن أثبت لهم عملياً أن هذه الثورة لا معنى لها، وقد رحبوا بدينى الجديد عندما رأوا منى الاستقامة واجتناب المنكر والامتناع عن شرب الخمر، حتى التدخين عافته نفسى لأنه يضرّ بالصحة والمال وهذا لا يتفق مع تعاليم الإسلام، وقد تبعنى فى ذلك أخى الأصغر بإيعاز من أهلى.

همة عالية

وسألته أيضاً: هل كانت لك وظيفة فى غانا؟

فقال: نعم، كنت أتعهد الأغذية لمدارس الحكومة.

وسألته: ولماذا تركتها وجئت إلى بلاد العرب؟

فقال: فى الواقع إننى على استعداد لأن أضحى بكل عزيز وغالٍ فى سبيل الوصول إلى مزيد من المعرفة التى تكشف لى حقائق الإسلام، والسبب الرئيسى الذى جعلنى أحضر إلى البلاد العربية هو ظمأ المسلمين وغير المسلمين فى غانا إلى معرفة تعاليم الإسلام الحقة، وقد استطعت بحمد الله أن أقنع سبعة وخمسين من أبناء غانا وأهديهم إلى الإسلام، ولعلك تعجب من ذلك، رغم أننى فى بداية الطريق ولم أتعمّق فى دراسة الإسلام، فكيف إذا درست الإسلام وعلمت أصوله وحقائقه؟ أملى كبير فى أن أكون

هادياً إلى هذا الدين الحنيف إن شاء الله كى أفند الأباطيل التى يتشدق بها أعداء الإسلام من مبشرين وغيرهم. ولقد ذهبت إلى جامعة سيلان وتلقيت فيها بعض العلوم، ولكنى أردت أن أتعلم لغة الدين الذى أحببته فنصحنى أحد أصدقائى المسلمين وأنا فى طريقى إلى مكة سنة ١٩٥٩م بالتوجه إلى القاهرة باعتبارها المعين الفياض والمنهل العذب للعلوم الإسلامية والعربية. جئت إلى القاهرة لأتعلم الدين الإسلامى فى الأزهر الشريف، وعندما أعود سأجد كثيراً من إخوانى المسلمين والنصارى على السواء ينتظروننى بفارغ الصبر، لا سيما وقد استطعت إقناع أكثرهم باعتناق الإسلام، ولهذا أريد التفقه فى الدين والوقوف على تفاصيله وأسسه العادلة.

ويختم الأخ عبد الله كوبيناوا حديثه بقوله: وأول شىء سأفعله بعد تخرجى هو الدعوة إلى الإسلام فى بلدنا ومحاربة المنصرين والعمل على نشر هذا الدين السمح، فقد عاهدت نفسى على أن أكرس وقتى ومالى لرفع راية الإسلام، ومن فضل الله على أن ترك لى والدى مزرعة فأرجو أن يعيننى الله على تحقيق هذه الأمنية الغالية.

❃❃❃

هولندا :

٦٤- فيصل محمد

مستر واجنرم سابقاً

هذه هى قصة إسلام شاب هولندى كان اسمه قبل الإسلام مستر واجنرم، فاتخذ لنفسه بعد إسلامه اسم فيصل محمد، وقد نشرت قصته وانطباعاته عن الإسلام فى إحدى المجلات الإسلامية الواسعة الانتشار تحت عنوان «لماذا أسلمت»؟، كتبت المجلة تقول:

إذا غمرت الهداية قلب إنسان، ملأت صدره بالنور، وملأت فؤاده باليقين، وألبسته ثوباً قشيباً من الإيمان، وخلعت عنه رداءَ الشك والظلام، فينساب فى روض مشرق من التأملات الوردية الشائقة، ويسبح فى عالم الفكر والاستنتاج ليجد نفسه أخيراً على شاطئ الأمان والسلام، فيخرّ ساجداً لتلك القدرة الخارقة، قدرة الخالق العظيم التى تتحدى جميع القوى وتهيمن على سائر المخلوقات. وعندئذٍ يصبح المرء معترفاً من أعماقه: لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شىء قدير.. وهذه القصة التى بين أيدينا هى خير شاهد وأعظم دليل عملى ملموس على ذلك.

فيصل محمد أو واجنرم. كما كان يلقب قبل إسلامه هو أخ مسلم أشهر إسلامه فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٢ بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره، ولكنه بعون الله وفضله أجتاز التجربة بنجاح، ووصل إلى الحقيقة بعد أن أعياه البحث والتنقيب، يبدأ الأخ فيصل قصة إسلامه بقوله:

حيرة وبحث

هناك عدة أسباب جعلتنى أقرر اعتناق الإسلام، فقد كنت قبل ذلك فى حالة ذهنية مضطربة، وهى حالة تسود معظم الشباب فى أوروبا الغربية كما هو معلوم. وكنت حينئذٍ عضواً فى الكنيسة الكاثوليكية بهولندا. فى ذلك الحين لم تكن لدىّ الشجاعة الكافية لكى أدعو نفسى نصرانياً حقيقياً بمعنى الكلمة. فقد كنت أعانى صداعاً دائماً من جراء تفكيرى التقدمى من جهة وإيمانى بالعقائد المسيحية التى يجب أن يتقبّلها

الإنسان النصرانى من جهة أخرى، إلا أن كثره مصالحى المتعددة وأعمالى الكثيرة، وبحثى الدائب عن الدين الحق وتطلعى إلى حياة أهنأ وأسعد وأفضل، كل ذلك أدى بى إلى الانفعال بالأدب الإسلامى فتأثرت بالقرآن الكريم، فما أعظم قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

ويمضى الأخ فيصل فيذكر بعض الآيات القرآنية التى استوقفته أكثر من غيرها. ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٩ ، ٦٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦ ، ١١٨].

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٤٨]. فقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً فى نفسى لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمى الذى يتميز به الإسلام، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام. فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التى توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامى هو دين الحق والصدق والبرهان.

الإسلام دين العلم :

ثم يشير الأخ فيصل محمد الهولندى الجنسية إلى دعوة الإسلام إلى طلب العلم وكيف أنه يحض المسلمين على ذلك فيقول: ومما هو جدير بالذكر ذلك الاتجاه العلمى الذى جاء على لسان الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول فى الحديث الشريف:

«اطلبوا العلم ولو في الصين»[1] ويقول: «مداد العلماء خير من دماء الشهداء»[2]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3]. وفي حديث آخر: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة». وغير ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تحض على طلب العلم.

فالإسلام دين العلم، ويكفي أن أول آية في القرآن أنزلت على ﷺ هي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق:١]. كما أن الله تعالى يمجد أدوات القراءة فيقول: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١]. وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده في تاريخ الكنائس والأديان الأخرى، ولهذا تجدني وصلت من خلال هذه الدراسات الإسلامية ومما قرأته في كتاب الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرةً إلا أحصاها، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – وصلت بذلك إلى ما أبغيه لنفسي من الاستقرار والأمان، فالحمد لله على ذلك.

وهو دين شامل :

وهنا يتساءل الأخ الهولندي فيقول: من منا يسمع هذه الآيات البينات التي نزلت لتبين الأحكام الربانية وتشرح القوانين وتضع الأسس الكاملة لطريق الخير والرحمة ثم يعرض عنها ولا يؤمن بها؟ لا ينكر ذلك إلا مكابر معاند أعمته الضلالة، وتخبط في ظلام الشرك.

ويمضي الأخ فيصل في تساؤلاته فيقول: هل هناك أهدى من هذا الكتاب الذي يشتمل على حل لكل مشاكل الحياة بكل ما تشتمل عليه من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية؟ إن من يقف على تلك التعاليم السامية يجزم بأنها بمثابة روح الحياة ونعيمها، وأنها بعينها الحقيقة الخالدة التي لا مواربة فيها ولا التواء، ولهذا جاء اقتناعي بهذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير.

(١) رواه البيهقي والخطيب وغيرهما وهو حديث ضعيف وله طرق ربما وصل بمجموعها إلى الحسن لغيره (انظر كتاب: كشف الخفا للعجلوني حديث رقم ٣٩٧).

(٢) حديث ضعيف والصحيح أنه من كلام الحسن البصري (المرجع السابق حديث ٢٢٧٦).

(٣) حديث حسن لغيره (انظر كشف الخفا حديث رقم ١٦٦٥).

داعية جديد :

سُئل الأخ فيصل عن كيفية إشهاره لإسلامه فأجاب قائلاً: لقد أشهرت إسلامى على يد عالم جليل كان يزور بلدى هولندا فى ديسمبر عام ١٩٥٢ ثم قررت أن أزور القاهرة لأرى الأزهر الشريف، كعبة العلم وشعاع الأمل الذى يخرج منه عبير الإسلام قوياً ليهدى الحيارى ويسكب فى قلوبهم رحيق الحياة، وأنا دائم الإطلاع على الكتب الإسلامية منذ أن أعلنت إسلامى، بل لقد قمت بتأليف بعض الكتب رداً على هؤلاء المكابرين الذين يفترون على الإسلام فينسبون إليه تهماً هو منها براء، وليس هذا فحسب، بل لقد ألقيت محاضرة قيمة حول مزايا الإسلام هناك فى المسجد الكبير فى امستردام بهولندا، كان لها أثر طيب فى نفوس الحاضرين فالحمد لله على ذلك.

وقبل أن ينتهى اللقاء بالأخ فيصل قال:

إن الإسلام فى هولندا بخير والحمد لله، فهناك نشاط إسلامى ناشىء وهناك جالية إسلامية تنمو مع الزمن، وهناك اتحاد إسلامى يعمل على التعريف بالإسلام باللغة الهولندية. عسى الله أن يبارك فى هذا الغرس الطيب.

هذه هى قصتى أو على الأصح قصة إسلامى التى أعتبرها بداية طيبة لحياتى الجديدة، تلك الحياة الصحيحة البعيدة عن الزيف والخيال.

❁❁❁

فرنسا :

٦٥- المنصور بالله الشافعي

فنساي مونتاي سابقاً

(فنساي مونتاي) أو المنصور بالله الشافعي كما يلقب نفسه بعد إسلامه، هو رجل بحث وترحال اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية عن كثب، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق العربيين، وفي إيران والسنغال وإندونيسيا، وقام برحلات كثيرة إلى مالي وغانا وساحل العاج والنيجر وموريتانيا وسيراليون، وقد نشر حوالي مائة بحث ومقال، وما يقرب من عشرين كتاباً عن الإسلام والحضارة الإسلامية وعن المسلمين واللغة العربية، كما قضى ست سنوات من عمره في ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية صدرت في ثلاث مجلدات، وكانت نهاية هذه الرحلة الميدانية والفكرية، الإعلان عن إسلامه في مدينة نواق الشط المعروفة بنواكشوط، عاصمة موريتانيا في صيف عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م.

وقد نشرت له مجلة (فرنسا والبلاد العربية) في عددها الصادر في أبريل – مايو ١٩٧٨ مقالاً مسهبًا يشرح فيه الأسباب والدوافع التي حملته على اعتناق الإسلام، وقد نقلته جريدة (ديالوج) التونسية بحذافيره، ونظراً لما في هذا المقال من مزايا، فإننا ننقله حسب نصه الوارد في جريدة ديالوج مع بعض التعليقات هنا وهناك لإتمام الفائدة.

اختيار واع

يبدأ المنصور بالله الشافعي أو فنساي مونتاي حديثه عن إسلامه بقوله: إذا اعتنق الإنسان الإسلام، فإنه يكون قد اختار ديناً أعني اختار طريقاً فيه تجاوز للذات، أي أنه اتخذ لنفسه تصوراً للكون ومنهجاً للحياة، والتحق بصفة واضحة بأمة توحدها عقيدة، ويعني ذلك بالنسبة لي، وأنا في خريف العمر، أن ألقي بنفسي، رغم الشبهات التي تحيط بالنفط العربي، في صف الفقراء أو معسكر الفقراء، بمنطقة العواصف، وإلى جانب الفلسطينيين، ويعني ذلك أيضاً أن أضع نفسي على هامش القوى العظمى، وأن أضع المال جانباً دون إفراط في الزهد، أي أن أكون في جانب العدل والحق.

ويضيف الأخ المنصور بالله قائلاً: وفي الوقت الذي نرى فيه العالم المعاصر يجعل من التقنية غاية تبرر الواسطة، ويا للأسف،، فإن الالتجاء إلى الإسلام يجعل المرء يرفض هذا المفهوم ويتمسك بقيم أسمى، وعلى كل حال فإنني أبقى فرنسياً شأني شأن شارل ديغول، وتبقى فرنسا وطنى، أرضى وأرض أجدادي، ولكن (وطنى الروحى) هو العالم العربى.

إن انتمائى للإسلام يمثل بالنسبة لي تحقيق ما فى أعماق نفسي ونهاية المطاف المنطقية لوجودى، وليس هو تمزقاً بين وفا ءين، بل يعكس تعمقاً وشعوراً بأن كل الخطوط السامية تتلاقى، حسب عبارة الفيلسوف تيهارد دى شودان.

أسباب التحول:

وقبل أن يستعرض الأسباب التى أدت إلى اعتناقه للإسلام، يقول الأستاذ المنصور بالله: إن اعتناقى للإسلام يرجع لأسباب دينية وخلقية واجتماعية، ودوافع ثقافية، ومقتضيات تضامن دائم.

أما عن الأسباب الدينية فقد جاء فى صحيح البخارى حديث نبوى شريف يذكرنا بحقيقة لا جدال فيها، وهى قول الرسول ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (كتاب الجنائز) من رواية أبى هريرة. لقد نشأت فى وسط كاثوليكى وتخليت فى وقت مبكر عن كافة الشعائر الدينية، فالمعتقدات المسيحية كانت غامضة بالنسبة لى، وأعنى بها التثليث والحلول وصلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر، ويسمونها أسراراً لأنها حسب تعبيرهم لا يفهمها عقل، وبدون الإيمان بها لا يكون الإنسان نصرانياً، والطقوس كانت تبدو لى بلا جدوى، والشعائر والطقوس النصرانية أهمها: التعميد والصلاة، والصوم والعشاء الربانى، وتقديس الصليب وحمله، وفيما يخص رجال الدين فإننى وإن كنت لا أفهم معنى الخلوة والتأمل الفردى أو الزهد، لا أجدنى فى حاجة إلى وسيط بين الخالق والمخلوق.

ويستطرد الأستاذ المنصور بالله الشافعي فى قصته فيقول: وفيما بعد شعرت بوجود حجر عثرة بين الديانة النصرانية والإسلام وأعنى بها ألوهية المسيح عيسى عند النصارى التى يرفضها الإسلام ويفندها ويدحضها، ومن جهة أخرى رسالة محمد ﷺ ونبوته التى يعتبرها النصارى مجرد إدّعاء لا يؤمنون به، فكل محاولة للتوفيق بين الديانتين كانت

تبدو لي مصدر اضطراب وبلبلة، لذلك تحتم عليَّ الاختيار بينهما إما أن أؤمن بالمسيحية أو بالإسلام فاخترت الإسلام.

ثم يقول: لقد اكتشفت القرآن لأول مرة من قراءة ترجمته الفرنسية الصادرة عام ١٦٤٧م، كان ذلك في مدرسة سان سير فيما بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٦ وهي مدرسة عسكرية لتخريج الضباط توجد في ضواحي باريس (وكان الأستاذ المنصور بالله من طلابها، وجدير بالذكر أن أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم هي الترجمة المشار إليها، وقد تبعتها عدة ترجمات بلغت أكثر من ٤٠ ترجمة قام بأغلبها مترجمون فرنسيون، ولم تخل هذه الترجمات من تشويه أو تحريف) والمهم أنني كنت كل أسبوع أنسخ باعتناء بضع آيات أختارها من الترجمة.

لا إله إلا الله

بعد ذلك يتحدث عن قضية الإيمان بألوهية المسيح فيقول: وفيما يتعلق بقضية المسيح عليه السلام، فلم أستطع الاعتقاد بأن الله الواحد يمكن أن يكون له ولد، وكان الموقف الوحيد المنطقي والمرضي بالنسبة لي هو موقف القرآن الكريم الذي يقول ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النسا: ١٧١]. وفي سورة الإخلاص نقرأ قول الله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

ثم يعلق الأستاذ المنصور بالله الشافعي على ذلك بقوله: لم يكن النصارى الأوائل بعيدين كل البعد عن هذا المفهوم الإسلامي، فقد ظلوا على العقيدة الإسلامية الصحيحة حتى عام ٣٢٥ ميلادية حين عقد مجمع نيقية وأعلن رسمياً أن المسيح إله ابن وحيد لله!!

وأغرب من ذلك ما صدر عن مجمع روما الرابع الذي عقد في عام ١٢١٥ ميلادية لتحديد كنه الذات الإلهية بقوله عنها: «لا تلد ولم تولد» فهذا الإعلان ليس في حقيقته إلا ترجمة حرفية للآية الثالثة من سورة الإخلاص ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لذلك كله لم أستطع قبول العقائد المسيحية الكبرى الثلاث وهي التثليث والحلول والصلب. وفيما يخص المعتقد الأخير وهو الصلب فإنني أؤمن بما جاء في القرآن الكريم وهو قول الله

تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء:١٥٧]. وقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨].

ثم يقول بكل وضوح وجلاء معلناً إسلامه:

إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ، وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت خاتمة الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل، وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة، فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبي الحاقد على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة واحدة وهي قوله: ليس القرآن من تأليف محمد، كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى.

ويختم الأستاذ المنصور حديثه بقوله: لقد وصلتني مؤخراً رسالة من بيروت كتبها لي صديق نصراني لبناني يرجوني فيها أن أجتنب إيذاء النصارى، وأن أتفادى إزاءهم كل كلام فيه إثارة وعدوان من شأنه أن يصدر عن إنسان حديث العهد بالإسلام، وأنا عازم على الوفاء بذلك لأن النصارى في نظر المسلمين هم أهل كتاب، ولأن القرآن الكريم يدعو إلى التسامح، ولأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾ [المائدة:٨٢]. وأخيراً لأن النصارى هم أهل ذمة يوصينا رسول الله بهم خيراً فيقول: من آذى ذمياً فقد آذاني.

ويتابع الأستاذ المنصور الحديث عن الأسباب الخلقية التي جعلته يختار الإسلام ديناً فيقول:

إن الإسلام لم ينادِ بالخطيئة الأولى، فالقرآن الكريم يقول: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه:١٢١- ١٢٢].

وبناءً عليه فإننا لا نجد في الإسلام أي شعور بالذنب في مفهومه (الانكلوسكسوني) وهو مصدر العصاب النصراني حسب تعبير الدكتور (صولينياك) الطبيب الكاثوليكي، ومن جهة أخرى فإن العفة والزهد في نظر الإسلام ليسا مُثُلاً بعيدة المنال بالنسبة للبشر. فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] ويقول سبحانه: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦].

شبهات ضد الإسلام وردها :

ثم يتناول الأستاذ المنصور عدداً من الشبهات الرئيسية التى يثيرها خصوم الإسلام، فيرد عليها ويدحضها ويفندها بالدليل الدامغ فيقول:

أما الشبهات الخمسة الكبرى التى تثار دوماً ضد الإسلام فى الغرب، فأنا أراها غير ذات موضوع على الإطلاق، وأعنى بها: الجبرية، والتعصب، والقسوة، والرق، وتعدد الزوجات.

● وهنا يتحدث عن الجبرية فيقول: الجبرية ما هى فى الحقيقة إلا التوكل على الله والخضوع بين يديه، فالإرادة الإلهية تتمثل فى أوامر القدر، لكن القرآن لا يتعرض لقضية الجبر بمفهومها النظرى، يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: ماذا تعنى كلمة أمر الله؟ لنعد إلى القرآن الكريم نجد الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]. إذن أمر الله هو إرادة الله، والإرادة هى كلمة كن، وفيما يخص حرية الاختيار فإنه يجدر التأمل فى الآيتين التاليتين من سورة الإنسان ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان:٢٩، ٣٠].

● بعد ذلك يتناول التهمة الأخرى وهى التعصب فيقول:

إن الإسلام لا يوجب استعمال القوة إلا عند الدفاع الشرعى أو الحرب العادلة (الجهاد) جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». أو ليس الإسلام إذن هو الديانة الحنيفية السمحة؟

● ثم ينتقل إلى الشبهة الثالثة التى تثار ضد الإسلام من قبل أعدائه وهى القسوة فيقول: والمقصود بالقسوة هنا شدة العقوبات الشرعية، وعلى الأخص الرجم والتغريب وقطع يد السارق، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإسلام يقدّس العلاقات الأسرية، ويحرص أشد الحرص على أن ينسب الأبناء إلى آبائهم الحقيقيين من هنا نرى بشاعة جريمة الزنا فى نظر الإسلام مما استدعى عقوبة رادعة فى هذا الموضوع الشديد الحساسية، أما عن قطع يد السارق، فاليد لا تقطع إلا إذا ثبت بالأدلة الدامغة على أن الفاعل سرق دون حاجة أو إكراه، وإنما اعتدى على المال المحرم عليه، وحيث أن الإسلام قد كفل

للمسلم ولغير المسلمين دمه وماله، لذلك اعتبر جريمة السرقة بشروطها جريمة نكراء تستحق هذه العقوبة الشديدة، ولو أحصينا عدد الأيدى التى قطعت فى صدر الإسلام الأول لما تعدى ذلك أصابع اليد الواحدة. وفى مقابل ذلك أمن الناس على أعراضهم وأموالهم ودمائهم. قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وهكذا تسقط هذه التهمة الباطلة من تلقاء نفسها.

• بعد ذلك يتحدث الأستاذ المنصور بالله عن شبهة الرق، وأن الإسلام يشجع الرق والاسترقاق، وهذه فرية هزيلة، فالإسلام لم يبتدع الرق وإنما كان نظاماً سائداً فى العالم كله عند ظهور الإسلام، وعلى العكس من ذلك أخذ الإسلام يقضى على الرق بصورة تدريجية، فكثير من الذنوب جُعلت كفارتها تحرير رقبة، وعتقُ العبيد يعتبر قربة من أعظم القربات عند الله تعالى، والإسلام يعتبر الرقيق أخاً مساوياً لسيده في كل شيء، فهذا رسول الله ﷺ يقول: «إخوانكم خولكم، فأطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون»، ويكفى أن نذكر أن الإسلام كرم الأرقاء وجعلهم أسياداً فهذا بلال الحبشى، وصهيب الرومى وسلمان الفارسى جعلهم الإسلام أسياداً على رجال من أشراف العرب، فهل بعد هذا التكريم من تكريم؟

• وأخيراً يتناول الأستاذ المنصور بالله مسألة تعدد الزوجات ويقول بأن الإسلام حدّد التعدد ولم يبتدعه، كما أن التعدد لا يكون إلا حلاً لمواقف معينة ومشكلات كبرى، وقد اشترط الإسلام العدل فى التعدد والقرآن الكريم يقول: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء: ٣].

وعلى كل فإننى أجد راحة فى الإسلام لا أجدها فى غيره، لأن الإسلام لا يفرق بين قبضة الطين ونفخة الروح، ويعطى للفكر مكانته وللجسد مكانته. ولم أجد ديناً كالإسلام في إكرام الضيف والوفاء بالوعد. فالرسول ﷺ يقول: «والله لا يؤمن من لا يكرم ضيفَهُ». ويقول: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»، فماذا يريد الناس بعد ذلك؟!

أسباب اجتماعية

ثم ينتقل الأستاذ المنصور بالله إلى الأسباب الاجتماعية التى دعته لاعتناق الإسلام فيقول: إن انتمائى إلى الإسلام يعنى التحاقى بأمة تضم أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم

دون أن أقطع صلتي بوطني ومسقط رأسي. لقد عشت أكثر من ٣٠ سنة في أفريقيا الشمالية وإيران ولبنان وإندونيسيا وتجولت في الأرض وكأنني ابن بطوطة جديد فوجدت نفس المنهج في الحياة ونفس العقيدة، وقد حق للكاتب الفرنسي لوى ماسينيون أن يسمى الإسلام «تيوقراطية المساواة» وكان يرى في المجتمع الإسلامي مجتمع الشجاعة والبساطة وعدم الكلفة دون إفراط في التزهد. فيعجبني أكل التمر واللبن. وليس لي أية علاقة بالدولارات النفطية. أما الممنوعات من الأطعمة فهي لا تحرجني إذ أنني لم يحدث أن تناولت في حياتي خمراً ولا شربت كحولاً، ويمكنني الاستغناء عن الخنزير ولست من المدخنين.

أسباب أخرى :

ويتحدث عن الشعائر والعبادات فيقول: أما أركان الإسلام الخمسة فإنها تمثل بالإضافة إلى الالتزام الشخصي تضامناً في الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج. ثم يتناول الدوافع الثقافية فيذكر ما يدين به العالم أجمع للحضارة الإسلامية العربية وكيف أضفى المسلمون العرب طابعاً عملياً للفكر العلمي. ويشيد بدور القرآن الكريم في ذلك فيقول: إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني كمثل رجل أفرغ من دمه.

وأخيراً يتحدث الأستاذ المنصور بالله عن الدافع الأخير الذي جعله يختار الإسلام ديناً وهو التضامن مع معسكر الفقراء معسكر عالم يمتد من السنغال إلى أندونيسيا وهو في الحقيقة منطقة العواطف، معسكر العمال المهاجرين الذين يصل عددهم في فرنسا وحدها إلى مليوني نسمة، وهذا أحد أصدقائي المسلمين من إندونيسيا يقول لي: إن إعتناقك للإسلام يجعلك وفياً لفكر الفيلسوف الفرنسي لوى ماسينيون، وهذا قس عربي من المشرق يهنئني أيضاً لانتمائي إلى الإسلام مع احتفاظي بجنسيتي الفرنسية.

وبعد، فهذا هو التفسير الذي جعلني أشارك في صلاة الجمعة التي أقيمت في مسجد الرمال بنوا كشوط يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٧٧ وقد سميت نفسي المنصور الشافعي لأن اسم منصور في العربية يوازي اسمي فنساي، ولا منصور إلا بالله، واتخذت المذهب الشافعي لأنه الأكثر انتشاراً في العالم الإسلامي، وانتماءً لإخوتي في إندونيسيا أكثر المسلمين عدداً.

❁❁❁

جامايكا:

٦٦- الدكتور عبد الله

الدكتور دوجلاس أرشر سابقاً

هذه هى قصة إسلام الدكتور دوجلاس آرشر الذى يعمل الآن مديراً للمعهد التربوى فى منطقة الكاريبى - جامايكا، واسمه الإسلامى عبد الله، وقد جاء إلى الكويت من المملكة العربية السعودية ضمن جولة له قام خلالها بزيارة بعض البلاد العربية والإسلامية، لمس خلالها الكثير من التشجيع من قبل إخوانه المسلمين لدعم مهمته الإسلامية.

والدكتور آرشر شاب وسيم أسود البشرة، يبلغ من العمر حوالى ٤٢ سنة متحفز نشط، له طموحات كبرى، وقد كان لى اللقاء التالى معه أثناء زيارته الأخيرة لدولة الكويت فى مطلع هذا العام ١٩٧٩م.

الإسلام فى جامايكا:

يبدأ الدكتور عبد الله آرشر حديثه إلينا بقوله: جامايكا عبارة عن جزيرة صغيرة فى البحر الكاريبى تقع إلى الجنوب من جزيرة كوبا وفى مواجهة جواتيمالا وهندوراس وإلى الشمال من بنما وكولومبيا. وهى بهذا تشغل موقعا استراتيجيًا ممتازاً فى وسط هذه البلاد. ويبلغ عدد سكانها حوالى مليونين ونصف المليون نسبة ٩٨٪ منهم من النصارى. والأغلبية العظمى من سكان الجزيرة (جامايكا) هم من أصل أفريقى، ومن هنا جاء لون البشرة السوداء الغالبة، وهكذا فبالرغم من كون الأغلبية الساحقة للسكان من النصارى إلا أنهم على استعداد لفهم الإسلام وتقبله، وهذا الاستعداد لا يقتصر على جزيرة جامايكا وحدها بل يتعداها إلى منطقة الكاريبى بأسرها، ومن هنا فهناك فرصة ذهبية الآن لنشر الإسلام فى تلك المنطقة من العالم.

ويمضى الدكتور عبد الله آرشر فى حديثه فيقول:

لقد قدمت استقالتى من عملى كأستاذ لعلم النفس وبناء الأمة فى الولايات المتحدة

الأمريكية، حيث كنت أدرس وبعد أن تخرجت كنت أعمل فيها، وعدت إلى بلادي جامايكا لأسهم بدوري وبجهدي المتواضع في دعوة أبناء وطني إلى الإسلام، فقد لاحظت أن أبناء بلادي سكان جامايكا يشعرون بخيبة أمل وإحباط تجاه طريقة الحياة الغربية التي تشربوها ونفروا منها تماما، وبدأوا يقبلون على الإسلام ويتجهون إليه، وقد تصاب بالدهشة لو قلت لك أن هناك الآن حوالي أربعين ألف مسلم في جامايكا.

قصة إسلامي:

وبعد أن أعربت عن إعجابي ودهشتي لهذا العدد الطيب من المسلمين الذين لا يحس بهم أحد في بلادنا العربية، قلت لهذا البروفسور المسلم المتحمس لدينه: هل لك أن تحدثنا عن قصة إسلامك وكيف حدث ذلك؟ فأجاب قائلا:

قبل أن أعتنق الدين الإسلامي كنت بروتستنتيا من الطائفة المسماة سفنث دي أدفنتست (Seventh Day Adventist) وكنت وما زلت الولد الوحيد لوالدي، فليس لي إخوة، ولي أخت واحدة متزوجة ولها سبعة أبناء وتدعى لينا وهي لا زالت بروتستنتية، أما عن والدي فقد ماتت أمي من ناحية، وأبي البالغ من العمر الآن ٧٧ عاما، هو رجل متدين لا يزال على قيد الحياة، وهو محال على المعاش الآن بعد أن كان يعمل مديراً لأحد البنوك، هذا عن أسرتي.

أما بالنسبة لي فقد كنت أعمل في جامعة الينوي بأمريكا وكان بعض زملائي من المسلمين، ويعمل واحد منهم الآن في معهد الكويت للأبحاث العلمية.

وهنا قاطعت الدكتور عبد الله آرشر قائلا:

نعم، ولكن كيف حدث تحولك إلى الإسلام؟ فقال:

تأثير المقالة

في الفصول التي كنت أعقدها حول علم النفس بالجامعة كان بعض طلابي من المسلمين، وكانوا من بلاد الشرق الأوسط، وكانت البداية أنهم لم يكونوا يجيدون الحديث باللغة الإنجليزية بطريقة مناسبة، وهكذا لم يكن لي بد من الجلوس معهم بعد المحاضرات للتحدث في موضوع المحاضرات وغيرها، ومن خلال هذه اللقاءات وهذا

التفاعل أثاروا فى نفسى حب الاستطلاع والفضول لمعرفة المزيد عن معتقداتهم ومبادئهم، وكان هؤلاء الطلاب مثالا طيبا فى الرقة والأمانة والاحترام لدرجة أننى تأثرت بهم أعمق التأثر، وأحببت شخصياتهم الإسلامية وأعجبت بها إعجابا كبيرا.

ويمضى الدكتورآرشر فى حديثه فيقول:

ومن ناحية أخرى كنت أعلم الفلسفة، ومن هذا المنطلق أيضا قرأت شيئا عن الإسلام، ولذلك فلعلى أيضا تأثرت بصورة لا شعورية بهذا الدين، إلا أن اتصالى بهؤلاء الطلبة المسلمين يعتبر البداية التى دفعتنى إلى الاهتمام بهذا الدين وأثارت فى نفسى حب الاستطلاع لمعرفته أكثر وأكثر.

ثم ينتقل الدكتور عبد الله آرشر ويعود بنا إلى الأيام الخوالى فيقول: قبل تلك الفترة بوقت قصير كان هناك طالب سعودى فى قسم الدراسات العليا يسكن فى نفس البناية التى كنت أعيش فيها، وكنا نتحدث كثيرا عن الإسلام، وقد أعطانى عددا من الكتب الإسلامية أخذت بقراءتها باهتمام، وقد أخبرنى ذلك الصديق السعودى أن هناك أستاذين مسلمين فى نفس الجامعة، وقدمنى إليهما وتبادلنا الزيارات وأجرينا عدة مناقشات عن الإسلام. كان ذلك فى عام ١٩٧٦-١٩٧٧م ثم بدأت فى زيارة المساجد لمشاهدة صلاة الجمعة، وبذلك ازداد اهتمامى بالإسلام.

دين فريد :

بعد ذلك يتحدث الدكتور آرشر عن العامل المهم فى هذه العملية النفسية التدريجية التى تحول خلالها إلى الإسلام فيقول:

ونقطة أخرى مهمة هى أن بحثى لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة، ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى وكذلك البناء الروحى. واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساسًا عظيمًا وقاعدة قيمة لإعادة بناء الأمة اجتماعيًا واقتصاديًا وروحيًا، ولذلك فإذا سألتنى لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدى كلا من الضمير وكذلك حياة المؤمنين به على حد سواء.

إن تعاليم الإسلام هى تعاليم عملية تقدم نموذجًا لبناء الأمم كما يمنح الإسلام للضالين إحساسا بالأمل؟. ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله ونحو بنى الإنسان بصورة أفضل.

وفى الوقت الذى تتحدث فيه الأديان الأخرى عن إله واحد، نجدها تعبد ربين أو ثلاثة، أما المسلمون فيعبدون الله وحدهُ ولا يشركون به شيئا وهناك شعور قوى بالأخوة الإسلامية فى العالم الإسلامى خاصة بين أولئك الذين يؤمنون بالإسلام حقا ويطبقونه بصدق.

لماذا الإسلام اليوم؟

سألت الدكتور آرشر السؤال التالى: لماذا يحتاج العالم اليوم فى رأيك إلى الإسلام؟ فأجاب قائلا:

لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون فى ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء، فقد فشل هذان النظامان فى حل مشكلات الإنسان، أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء والأمل والهدى للحيارى والضالين. وهكذا فالإسلام لديه أعظم الامكانات لتحدى هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الانتاج والكفاية.

وأخيرا طلبت من الدكتور عبد الله آرشر أن يحدثنى عن المعهد التربوى فى الكاريبى الذى يرأسه فقال: نحن ملتزمون بنشر الإسلام فى جزر الهند الغربية عن طريق البرامج العلمية للمعهد، وسنعقد مؤتمراً لهذا الغرض فى ١٢ يوليو - ٢٣ يوليو ٧٩م وسيكون المؤتمر الثانى من نوعه، وقد خرجت من زيارتى للسعودية بتجربة ستفيدنى دائما، فقد عززت زيارتى لمكة والمدينة إيمانى بالإسلام. وإننى أتطلع بأمل إلى زيارتى للكويت، فالكويت بلاد تعمل على نشر الإسلام فى العالم، ويختم الدكتور آرشر حديثه بالدعاء أن يتفهم المسئولون حاجات الدعوة، وأن يرزقوا روح التعاون معه لصالح الإسلام والمسلمين.

❁❁❁

مصـــر :

٦٧- السَيدة سَامية وديع

وإسلام الأسرة كلها

هذه واحدة من أغرب القصص فى هذه السلسلة. وهى ليست قصة من نسج الخيال، وإنما بقدر ما هى غريبة فهى جزء لا يتجزأ من الواقع الذى نعيشه، فتحت عنوان «أخطر عملية جراحية يجريها الجن» كتبت صحيفة القبس الكويتية الواسعة الانتشار تقص على قرائها كيف اهتدت أسرة قبطية فى مصر بكامل أفرادها إلى الإسلام، وقد نشرت هذه القصة فى ملحق القبس ليوم الاثنين ٢٦ مارس عام ١٩٧٩. قالت الصحيفة:

أعجوبة طبية :

إليكم هذه الرسالة من القاهرة، فقد كتب مراسلنا هناك يقول: لقد استأصل الجن السرطان من جسد امرأة أخبرها الأطباء أنها ميتة لا محالة، أفراد أسرة المريضة يعلنون إسلامهم ويقولون بأن هذه الأعجوبة قد تمت على يد جارة مسلمة عادت مؤخرا من أداء مناسك الحج هذا العام.

وتمضى الصحيفة فى قصتها فتقول:

بعد خمس سنوات كاملة من الآلام المبرحة وعقب إعلان الأطباء عن عجزهم الكامل عن علاج المرأة وتحقيق الشفاء لها، استيقظت المرأة ذات صباح لتجد نفسها، ويا لدهشتها الكبيرة، أنها قد أجريت لها عملية جراحية تم فيها استئصال السرطان القاتل من جسدها!

ماذا نعرف عن الجن ؟

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه القصة المذهلة، لابد أن نعرف شيئا عن الجن، فهذا الحادث وغيره من الحوادث الكثيرة المتكررة تثبت بجلاء دون أدنى شك أننا نحن البشر لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، فديننا الإسلامى الحنيف يقرر أن الله سبحانه وتعالى قد

خلق الإنس والجن ليعبدوه. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]. فالإنسان مخلوق من الطين، والجان مخلوق من النار، ورغم أننا نحن البشر لا نرى الجن، فإنهم يعيشون بيننا. وهم يتزوجون ويتوالدون، ويموتون، وبعضهم مؤمن والبعض الآخر كافر، وإبليس هو زعيم الكفار من الجن وهم ما سمي بالشياطين، والواقع أن ما يقوم به أفراد الجن من أعمال عادية يعتبر في نظرنا نحن البشر من الأعاجيب، فهذا عفريت من الجن يقول لسيدنا سليمان عن عرش بلقيس الموجود في اليمن: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ [النمل: ٣٩]. وقد كان سليمان في مدينة القدس، أضف إلى ذلك ما كان يقوم به عفاريت الجن من مهمات لسليمان تعتبر خوارق في نظرنا نحن بني الإنسان، فسبحان الخالق العظيم.

والآن تعالوا بنا نبدأ هذا القصة من أولها، ورغم غرابتها الشديدة فإننا نحن المسلمين لا نملك إلا أن نصدقها.

مرض مفاجئ

بدأت القصة في القاهرة بمنطقة المنيل في صيف عام ١٩٧٤ عندما شعرت السيدة سامية وديع البالغة من العمر ٥٧ عامًا، شعرت بصداع حاد ناجم عن ألم شديد في معدتها، فما كان من زوجها السيد صفوت جريس إلا أن نقلها على الفور إلى المستشفى، وبعد ثلاثة أيام فاجأه الأطباء بقرار مؤلم مفاده أن زوجته المريضة كانت تعاني من السرطان، وأنه لا فائدة من أية عملية جراحية ما لم يظهر المرض الخبيث الذي يختبئ في العروق الدقيقة من معدتها.

وبناء عليه حملوا السيدة المريضة الميؤوس من علاجها إلى بيتها لتبدأ رحلة طويلة من العذاب انتهت بها بعد عام كامل إلى حالة من الغيبوبة استمرت شهرا واحدا كان الأطباء أثناءه يغذونها بإبر الجلوكوز وحقن جسمها بالدم النقي.

تدهور الحالة:

بعد ذلك استيقظت المرأة المسكينة ذات يوم لتجد نفسها مشلولة تماما، وهنا لجأ زوجها إلى قس نصح باللجوء إليه، فهرع إليه وشرح له حالة امرأته، ورجاه مساعدته، فأمره القس بالقيام ببعض الطقوس الدينية، ولكن ذلك لم يُجدِ فتيلا مع المرأة المريضة،

وفى هذه الأثناء وصل المرض الخبيث إلى كبدها الذى بدا منتفخا بشكل واضح، وهكذا صرح الأطباء أن أيام المرأة قد أصبحت معدودة، وأن الموت قادم إليها فى وقت قريب لا محالة.

أثر القرآن:

وهنا تصف الصحيفة التغير الهائل الذى وقع للمرأة المريضة فتقول:

وذات يوم جاءت جارة مسلمة لزيارة المريضة، فنصحتها بتلاوة آيات من القرآن الكريم، فما كان من السيدة سامية إلا أن أطاعتها، فشعرت بشىء من الراحة وخفت آلامها المبرحة، بل لقد استطاعت أن تنام نوما هادئا لأول مرة منذ أشهر طويلة من السهاد والسهر، فما كان من زوجها إلا أن أحضر لها عددا من أشرطة القرآن الكريم، أخذت تستمع إليها كثيراً.

وذات ليلة، كان ذلك فى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ فاجأت المرأة المريضة زوجها وطلبت منه أن يحضر لها زجاجة كولونيا من النوع الممتاز من الحجم الكبير، فلبى لها هذا الطلب على الفور، فطلبت إليه أن يغسل جسدها كله بماء الكولونيا ففعل، ثم رجته أن يخرج من الغرفة بعد أن يطفىء الأنوار تماما، لأنها تريد أن تستمتع بالظلام الدامس فى تلك الليلة. فاستجاب الزوج لكل ذلك وكان يراوده فى ذلك إحساس داخلى بأن نهايتها قد اقتربت جدا، فظل طوال الليل مضطربا قلقا، ولكنه دعا الله سبحانه وتعالى أن يريح زوجته من آلامها.

المفاجأة:

وفى الصباح قام الرجل من فراشه وتوجه إلى غرفة زوجته، وطرق الباب كعادته ليستأذن منها فى الدخول، فلم يجبه أحد، فأعاد الطرق مرات عديدة دون أن يسمع أى جواب، وهنا فتح الباب ورأى أغرب مشهد مذهل فى حياته، رأى مشهدا لا يصدقه إلا من يؤمن أن لله جنودا أقوياء بوسعهم تحقيق أى شىء يريده الله، فنحن البشر لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، بل يشاركنا فيه قوى كثيرة أهمها الجن، والقرآن الكريم يذكر لنا جانبا من قوى الجن العجيبة التى نستغربها نحن بنو الإنسان، ولنستمع إلى ما يدور من حوار بين سيدنا سليمان عليه السلام وبين جنوده كما يقصه القرآن الكريم:

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٣٨-٤٠].

فهذا الاستعداد من جانب بعض جنود سليمان عليه السلام حدث قبل عصر الصواريخ بمئات بل آلاف السنين، لا بل قبل عصر الطائرات وحتى السيارات، حدث ذلك عندما كان الناس يسافرون سيرا على الأقدام أو راكبين الحصان أو الجمل، بينما كان بوسع عفريت من الجن أن يسافر بسرعة توازي سرعة الصوت، فقد كان بإمكانه أن يذهب من بيت المقدس إلى اليمن ويعود ثانية إلى القدس ومعه عرش الملكة بلقيس قبل أن ينهض سليمان من مجلسه، بل هناك عبد من عباد الله كان في مجلس سليمان تمكن بإذن الله من إحضار العرش قبل أن يحرك سليمان رمش عينيه.

كذلك عندما طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يرزقه مُلكًا لا يكون لأحد من بعده واستجاب الله دعاءه ولبى رغبته. قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٦-٣٩].

ويصف القرآن الكريم واجبات الجن نحو سليمان فيقول:

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢-١٣].

ونحن المسلمين رغم اعترافنا بذلك، وبما يستطيع الجن وغيرهم من جنود الله أن ينجزوه من عجائب الأمور، وذلك لإيماننا بعالم الغيب، إلا أننا يجب أن لا نسمح للدجالين والمشعوذين أن ينفذوا من هذا الباب إلى خداع الناس وسلب عقولهم وأموالهم،

وتصديقنا بهذه الخوارق لا يكون إلا بعد التأكد من صحتها، وبعد توفر كافة الأدلة على صدقها وتحققها، وعلى ضوء ذلك فقط نصدق هذه القصة.

مشهد عجيب:

ترى ماذا رأى السيد صفوت جريس، زوج السيدة المريضة سامية وديع عندما فتح باب غرفتها في صباح اليوم التالي؟ لنترك ملحق القبس يصف لنا ذلك المشهد، يقول مراسل الصحيفة الذي بعث بالقصة من القاهرة مدعمة بالصور:

رأى السيد صفوت جريس زوجته وقد غطى نصفها الأعلى بلفائف طبية بيضاء، وأسدل على نصفها الأسفل ملاءة بيضاء كذلك، وكانت غائبة عن الوعي تماما، فأخذته الدهشة ثم صرخ بأعلى صوته فأيقظ أبناءه وهرعوا إلى غرفة المريضة ليروا ماذا حدث، وكانوا يحسبون أن والدتهم قد توفيت، فلم يصدقوا عيونهم، كذلك أقبل الجيران للاطلاع على ما يجرى، فوقف الجميع حول سرير المرأة المريضة وقد أذهلهم ما يرون، وبعد وقت قصير أفاق الزوج السيد صفوت من ذهوله ودهشته وأسرع بإحضار بعض الأطباء.

سبحان الشافي:

جاء الأطباء المختصون وأجروا فحوصًا طبية ثم أعلنوا أن المرأة قد أجريت لها عملية جراحية دقيقة للغاية، وأوصوا بنقلها فورا إلى المستشفى، وفعلا نقلت السيدة سامية وديع إلى المستشفى وهى لا تزال فى حالة من اللاوعى، وهناك قام الأطباء بإجراء المزيد من الفحوص الطبية الكافية، ثم أعلنوا أنه قد تم استئصال السرطان من معدتها وكبدها، وأنها شفيت تماما، وأن العملية الجراحية ناجحة بنسبة عالية وممتازة، وهذه الحقيقة حيرت الأطباء إلى درجة كبيرة، ولكنهم لم يجدوا مناصا من الاعتراف بها على كل حال.

إسلام الأسرة جميعًا:

وتمضى الصحيفة فى روايتها المذهلة لما حدث فتقول:

وبعد ثلاثة أيام من الحدث السار، أعلن جميع أفراد عائلة السيدة سامية وديع

اعتناقهم للإسلام بصورة جماعية، وقد التقى مراسل القبس في القاهرة بالسيدة س
وديع وهي الآن تتمتع بصحة ممتازة، وسألها عن صحة القصة المنسوبة إليها فأجابت
تكفكف دموعها قائلة:

تفاصيل مذهلة:

في الليلة نفسها طلبت من زوجي أن يحضر لي زجاجة كولونيا ورجوته أن يغمس
جسدي كله ففعل ذلك في الحال، ثم رجوته أن يطفيء الأضواء وأن يغلق الباب ويت
وحدي لأستريح حيث كنت أشعر بالتعب، وما أن فعل ذلك حتى استغرقت في
بينما كنت أتلو آيات من القرآن الكريم على سبيل طلب الشفاء، وفي حوالي ال
الواحدة صباحا شعرت أنني عارية تماما مجردة من جميع ملابسي، وقد وقف حول ،
أشخاص لم أستطع التحقق من وجوههم، فقد كنت في شبه غيبوبة، ومع ذلك كنت
بما كان يجري حولي، وأعتقد أنني رأيت بطني يفتح أمام عيني، ولكن دون أي أ
أي نوع، وبدأت أيدي هؤلاء الزائرين المجهولين تتناول أعضاء جسدي المريض الا
وتقتلع المرض وتستأصله، ثم شعرت بقطعة من القطن توضع على فمي، بينما
بعض الزائرين يضع لفائف بسرعة كبيرة حول جسدي، ورحت في غيبوبة تامة لمدة
أيام.

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ:

سُئلت السيدة سامية وديع عن رأيها فيما حدث ومن هم هؤلاء الزائر
اعتقادها؟ فقالت:

لقد أخبرتني جارتي المسلمة (أم أحمد) أن المؤمنين من الجن يمكن أن يجروا ع
جراحية للناس ذوي القلوب الطاهرة النقية، ولعلهم هم الذين قاموا بذلك، فالحـ
على فضله العميم، فقد غمرني ربي سبحانه وتعالى بعنايته وفضله، ولذلك فقد
على نفسي أن أكرس كل لحظة من حياتي الباقية لعبادة الله وحمده وشكره.

بهذه الكلمات اختتمت السيدة سامية وديع واحدة من أغرب القصص التي س
الإنسان في العصر الحديث. وقد نشرت الصحيفة صورة للسيدة سامية وقد كشف
بطنها وظهر فيها جليًا موضع العملية الجراحية، والغرز التي أغلق بها بطن الم
جنبها الأيمن إلى جنبها الأيسر، إنها لآية عجيبة حقا حيرت الأطباء، ولكنها لا

أى حيرة أو قلق للعالم المسلم الذى يؤمن بقدرة الله التى لا تحدها حدود فى عالمنا هذا.

وللمرء أن يتساءل: ترى هل بإمكان أى واحد منا أن يستدعى هؤلاء الأطباء من غير بنى آدم بمجرد أن يتلو بضع آيات من كتاب الله تعالى ليقوموا بإجراء عمليات جراحية على المرضى، تماما كما فعلت السيدة سامية وديع؟ أم أنهم يخصون أناسا دون غيرهم بتوجيه من الله سبحانه وعناية منه وكرم؟ الله وحده هو الذى يعلم ذلك إلا أن ما حدث يقع فى هذا الإطار والله أعلم.

الجن فى القرآن :

ولعل من المناسب هنا قبل أن نختم هذه القصة الغريبة أن نذكر أن هناك سورة كاملة فى القرآن الكريم تسمى (سورة الجن) وفيها نقرأ أن عددا من الجن استمعوا للقرآن الكريم من رسول الله ﷺ ، فآمنوا به وأسرعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام، وهذا بالطبع أكبر دليل على وجود الجن المؤمنين، ولنستمع إلى آيات من صدر السورة الكريمة المذكورة، قال الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١-١١].

هذا عن الجن المؤمنين وما يمكنهم القيام به وما يعجزون عنه، وهناك مسألة الشفاء بالقران الكريم، يقول الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. فليس غريبا أن يطلب الإنسان الشفاء بتلاوة آيات من القرآن، المهم صدق النية والإخلاص، وهذا لا ينافى الأخذ بالأسباب، والعلاج بالطب البشرى المعروف.

والله الموفق والهادى لكل خير.

الدانمارك:

٦٨- عبد الرحمن بن جورد

برين جورد سابقاً

هذه هي قصة إسلام سائق حافلة دانمركي. إنه الأخ عبد الرحمن ابن جورد الذي يحرص على أداء الصلاة في وقتها أكثر من حرصه على أي شيء آخر، وقبل أن نبدأ في قصته لعل من المناسب أن ننقل ما يقوله بعض علماء الغرب عما لاحظوه من أثر العبادة، والصلاة بشكل خاص في المسلمين، يقول الأستاذ (توماس آرنولد) في كتابه «العقيدة الإسلامية» ما يلي:

الصلاة ميزة إسلامية:

هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الخصائص المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيرا ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس، وإليك ما قاله الأسقف (لوفروا) بهذا الخصوص، يقول: لا يستطيع أحد يخالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم، فإنك حيثما كنت، سواء أوُجدت في شارع مطروق، أم في محطة سكة حديدية أم في حقل، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلا ليس عليه أدنى مسحة للرياء، ولا أقل شائبة من حب الظهور يذر عمله الذي يشغله كائنا ما كان، وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها المحدد.

ثم يقول: ولننتقل من صلاة الفرد إلى صلاة الجماعة فنقول: أنه لا يتأتى لأحد يرى ولو مرة في حياته ما يقرب من خمسة عشر ألف مصل في ساحة المسجد الجامع بمدينة دلهي بالهند، يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان وكلهم مستغرقون في صلاتهم، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم، نقول: إنه لا يتأتى لأحد يرى ذلك المشهد إلاّ ويبلغ تأثره به أعماق قلبه، وأن لا يلحظ ببصره القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها، كما أن توقيت الآذان اليومي للصلاة في

أوقات معينة، حينما يرن به صوت المؤذن فى أبكر البكور قبل الإسفار، وعند الظهيرة والناس مضطربون ومصطخبون فى أعمالهم، وعند المساء، هذا الآذان الذى يحصل فى هذه الأوقات على تلك الصورة كل يوم مشحون هو الآخر بذلك الجلال عينه.

تأثير الصلاة في غير المسلمين:

ويؤثر عن رينان الحكيم الفرنسى الشهير قوله: أنه ما دخل مسجدا قط إلا تأثر تأثراً شديداً بل شعر بشيء من الأسف أن لم يكن مسلمًا، وقد كان ذلك المشهد - مشهد الصلاة- من الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودى من أهل الإسكندرية فى الإسلام كما حكاه هو عن نفسه إذ قال: كنت مريضًا مرضًا شديداً فتمثل لى فى أثنائه أن هاتفا يهيب بى أن أعلن إسلامى، ولما دخلت المسجد، ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفا كالملائكة، سمعت فى نفسى صوتا يناديني بقوله: هذه هى الجماعة التى أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع فى نفسى وجدان الرهبة والخشية، ولما ختم خطبته بالآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وأقيمت بعد ذلك الصلاة آنست من نفسى أنها سمت سموا كبيراً، فقد بدت لى صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة، وأن الله سبحانه قد تجلى عليهم فى سجودهم وركوعهم، وسمعت فى نفسى مناجيا يناجينى بقوله: إن الله سبحانه إذا كان قد خاطب شعب إسرائيل مرتين فى جميع القرون الخالية، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات صلاتها، واقتنعت فى نفسى بأنى ما خلقت إلا لأن أكون مسلما.

بداية القصة:

هذا ما يقوله بعض الباحثين من غير المسلمين عن مشهد الصلاة، والآن لنبدأ قصة الأخ الدنماركى عبد الرحمن بن جورد الذى كان يعرف قبل إسلامه باسم برين، أنه يبدأ حديثه لإحدى الصحف الأجنبية بعد أن أعلن أنه أثناء عمله كسائق حافلة فى مدينة كوبنهاجن لا يهمل أمور دينه، وإنما يقطع عمله فى الوقت المحدد للصلاة أثناء دوامه اليومى ويؤديها فى أوقاتها الخمسة، وذلك بأن يغلق على نفسه باب الحافلة بعد نزول

الركاب منها في نهاية خط السير، وينشر سجادة صلاته ويصلي لله تعالى ضارعًا إليه أن يثبته على دينه الإسلام.

شمول الإسلام:

لقد بدأت علاقة عبد الرحمن بالإسلام عندما كان مبعوثا لمنظمة دنماركية أرسلته إلى كينيا لكي يعمل في أحد المشروعات المتعلقة بتربية الأطفال - وهي مشروعات تنصيرية، وكان هذا منذ سبعة أعوام، وفي عام ١٩٧٥ اعتنق الدين الإسلامي لأن الإسلام كما يصرح هو بقوله: هو إجابة منطقية على أسئلته الكثيرة المتعلقة بالحياة. كما أن الطابع الإسلامي يناسبه ويعجبه. يقول الأخ عبد الرحمن: إن الإسلام ليس فقط عبارة عن دين بالمفهوم التقليدي للكلمة، أو كما يفهمه الدنماركيون أبناء قومي، ولكن الإسلام يغطي كافة جوانب الحياة القانونية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

فهم خاطئ:

ويضيف الأخ عبد الرحمن بن جورد قائلا: إن الصحافة الدنماركية قد انشغلت في الآونة الأخيرة بمناقشة موضوعات عن الإسلام، من أهمها موضوع الحدود في الإسلام التي تأتي كصورة طبيعية لوجود دولة إسلامية، إلا أن جميع التعليقات الصحفية حول هذا الموضوع هي عبارة عن تعليقات خاطئة، إذ لا يحق للمرء أن يمسك طرفًا واحداً وخيطًا واحداً من الموضوع ويترك الأطراف والخيوط الأخرى، حيث إن الجلد والرجم وقطع اليد ليست إلا أنواعًا من العقوبة في الإسلام على جرائم شرب الخمر والزنا والسرقة، وهي في حقيقتها أمور فرعية في الدين الإسلامي.

تشريع حكيم:

ويضيف الأخ عبد الرحمن قائلا: إذا وجد شخصان متهمان بجريمة الزنا دون أن يكونا متزوجين، فعقوبة ذلك هي الجلد، ولكن هذه العقوبة لا تطبق إلا إذا ثبت عليهما الجرم بأدلة قطعية مادية لا تقبل الدحض، وفي هذا كل العدالة، كما أن السارق قد يعفى من العقاب إذا تبين أنه سرق عن حاجة أو اضطرار أو إكراه، ولكن إذا ثبت عليه جرم السرقة دون أي دافع ملجيء إليها هنا تقطع يده، وفي هذا أيضا الحق والعدل، لأن

السارق فى هذه الحالة لا يردعه غير العقاب الصارم الذى يحفظ للناس أموالهم وحقوقهم، ويحقق الطمأنينة والسلام فى النفوس.

وهنا سئل الأخ عبد الرحمن عن رأيه فى تطبيق حد السرقة فى الدنمارك فأجاب قائلا: إنه فى الدنمارك لو طبق هذا الحد فلن تقطع يد مسلم دنماركى، لأن المسلم الحق لا يسرق البضائع من محلات السوبر ماركت - أى الأسواق المركزية - مثلا كما أن القانون الجنائى الإسلامى لا يطبق على المسلمين إذا كانوا فى بلد غير إسلامى، كما أن شرب الخمر مشكلة لا يعرفها المسلم لأنه لا يستعمل الخمر ولا يقربها. لأن الخمر ممنوعة فى الشريعة الإسلامية وإذا تناولها المسلم فى ظل دولة إسلامية فإنه يعاقب بالجلد.

ويستطرد الأخ الدنماركى فى حديثه عن الخمر فيقول: إن شرب الخمر لن يفيد بطبيعة الحال فى حل مشكلات الناس كما يتوهم الكثيرون منهم، ولو أن الإنسان المصاب بدلا من ذلك توجه إلى الله وتقرب إليه ودعاه بإخلاص، فإنه يتلقى دفعات روحية تأخذ بيده بعيداً عن مشاكله.

ويختم الأخ عبد الرحمن حديثه بكلمات عن الصيام فى الإسلام فيقول:

إن من الأشهر التى يحبها المسلمون وينتظرونها بفارغ الصبر شهر رمضان المبارك، إننى أجد هذا الشهر الفضيل أجمل ما فى الحياة لأننى أجد فيه الكثير من العطف والود بين المسلمين، مما لم آلفه قط بين أى أحد غيرهم فى أى بلد من الدنيا.

❁❁❁

إيطاليا:

٦٩- الدكتور عبد الله إبراهيم

الدكتور لورانس إياكونو سابقاً

بروفسور (لورانس إياكونو) أو (عبد الله إبراهيم إياكونو)، كما يدعى الآن بعد أن أسلم، هو شخصية إسلامية من إيطاليا، ومن جزيرة صقلية على وجه التحديد، ملامحه عربية، يذكرنا بالماضي الإسلامي العريق لتلك الجزيرة، حصل على إجازة الدكتوراه من جامعة السوربون - بباريس - فرنسا. وكان موضوع دراسته الآداب، والفلسفة واللغات الأجنبية، والدكتور لورانس إياكونو يجيد أربع لغات أوروبية هي: الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية، وهو متزوج من سيدة فرنسية ولديه منها خمسة من الأبناء والبنات، وقد ولد في جزيرة صقلية عام ١٩٣٦، ويبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، وهو لذلك غاية النشاط والحيوية.

لقيت البروفسور لورانس إياكونو في الكويت بعد أن قدمه لي أحد الأصدقاء فبادرته بالسؤال التالي:

هل لك أن تخبرنا متى كان إسلامك؟

فأجاب قائلا: كان ذلك في عام ١٩٧٤، وعلى وجه التحديد في الخامس والعشرين من مارس عام١٩٧٤م. كنت روميا كاثوليكيًا، ولا تزال زوجتي وأولادي الخمسة من الروم الكاثوليك وحيث إنني أؤمن أنه لا إكراه في الدين كما علمني الإسلام، لذلك فإننا نعيش سعداء مع بعضنا البعض، إلا أن زوجتي بدأت تهتم بالإسلام.

أسرة متعددة الجنسيات:

قلت للبروفسور إياكونو:

هل لك أن تحدثنا المزيد عن أسرتك؟

فقال وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة: إنني أحمل الجنسية الأمريكية، وكذلك أخي

الأكبر منى سنًا، فهو أيضا مواطن أمريكي يعيش مع أسرته هناك، أما والداى فلا يزلان يعيشان فى إيطاليا مع شقيقتى الصغرى، وموطن إقامتهما هو جزيرة صقلية مسقط رأسى، وهكذا فأنا مواطن أمريكى من أصل إيطالى، ولو سألت عن جزيرة صقلية فهى جزيرة كبيرة آهلة بالسكان، إذ يبلغ عدد سكانها الآن تسعة ملايين نسمة أغلبيتهم العظمى من الكاثوليك. وهناك عدد ضئيل جداً من المسلمين، ولكن ليس فى الجزيرة مسجد واحد، مع أن صقلية كانت قبل حوالى ٢٥٠ عامًا جزيرة إسلامية بكاملها.

بين الأجداد والأحفاد:

ويضيف البروفسور إياكونو قائلا:

لقد تتبعت أصل عائلتى إياكونو فى الموسوعات العالمية فوجدت أن أجدادى كانوا مسلمين عربًا، وهذا ما كان يقول لى أبى منذ وقت طويل حتى قبل إسلامى، مع أنه لا يزال كاثوليكيا. وهذا ما وجدته فى أحد المراجع التاريخية بمكتبة الكونجرس الأمريكى والذى يقول بأن الملك شريف إدريس من الأسرة الفاطمية كان يحكم صقلية عندما أخذها الصليبيون وأجبروا سكانها على اعتناق الكاثوليكية بالقوة، وأجبروا أفراد الأسرة الإدريسية حتى على تغيير أسمائهم، فاحتفظوا بالحرف الأول من اسم العائلة وهو حرف الألف من كلمة إدريس، واتخذوا لأنفسهم أسماء إيطالية، وهكذا تجد الكثير من أسماء العائلات فى صقلية يبدأ بحرف الألف، ولم يكن للناس خيار، فكان أمامهم إما الموت أو التنصر.

البحث عن الدين:

وهنا ضحك الدكتور أيا كونو وقال: وهكذا تلاحظ أننى أشبه العرب وجميع أهل صقلية مثلى يشهبون العرب. قلت للدكتور أياكونو: ولكن كيف بدأ اهتمامك بالإسلام؟ فقال: لما كنت أدرس الفلسفة كنت أحس بالقلق تجاه الكثير من القضايا التى تتعلق بدينى، فشرعت فى دراسة الأديان العظمى الأخرى فى العالم كاليهودية والإسلام والطوائف المسيحية الأخرى، ولم أكف عن مقارنة هذه الأديان بدينى، فقرأت الكثير، وفكرت كثيراً، وسافرت كثيراً، حتى وجدت الحقيقة والسلام فى الإسلام والحمد لله أننى اليوم من المسلمين، وأننى أعمل للإسلام فى مدينتى سان انطونيو، بولاية تكساس

الأمريكية، وأشغل منصب رئيس الجمعية الإسلامية هناك، وهى جمعية مسجلة رسمية كجمعية خيرية إسلامية.

تطورات العمل :

وهنا سألت الدكتور أياكونو: ما هي الوظائف التي شغلتها بعد تخرجك من جامعة السوربون؟

فقال: عملت أولا في السلك الدبلوماسي، فشغلت منصب السكرتير الثاني بسفارة إيطاليا في باريس. فقاطعت الدكتور قائلا: لابد أنك تزوجت خلال هذه الفترة من السيدة الفرنسية التي هي الآن أم أولادك؟ فعلق بقوله: تمامًا. فقد تزوجنا ١٩٦١، ثم نقلت إلى كندا للعمل بالسفارة الإيطالية في أوتاوا، وبعد فترة من الزمن انتقلت إلى فلوريدا بالولايات المتحدة هربا من برودة الطقس في كندا. وبعد وقت قصير استقلت من عملي في السفارة وأخذت أعمل في الأعمال الحرة، ولدى الآن شركتي الخاصة بي التي تستورد الجرانيت ومختلف أنواع الرخام لأغراض البناء في أمريكا، وهذه الحجارة نستوردها من إيطاليا، والواقع أنني تعاقدت خلال زيارتي الأخيرة للسعودية مع أحد المقاولين هناك الذي يقوم بتشييد اثنين من الفنادق الكبرى في جدة على تزويده بالرخام لهذا الغرض، لذلك سأتوجه إلى إيطاليا في طريق عودتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وسأتوقف بالطبع لبعض الوقت في صقلية لزيارة والديّ وأختي هناك.

الجمعية الإسلامية :

ثم كان سؤالي التالي للدكتور لورانس أياكونو: هل لك أن تحدثنا المزيد عن الجمعية الإسلامية في سان أنطونيو؟ فأجاب قائلا: هذه هي الجمعية الإسلامية الوحيدة في المدينة حيث يعيش حوالي ١٥٠٠ من المسلمين بالإضافة إلى عدة مئات أخرى من الجنود العرب المسلمين الذين يتدربون في قواعدها العسكرية بعضهم من الكويت والسعودية، وليس للمسلمين في سان أنطونيو أي مسجد ولا مدرسة على الإطلاق.

وهكذا أنشأنا هذه الجمعية الإسلامية لتلبية حاجات المسلمين الدينية، ونحن الآن بحاجة لانشاء مسجد ومدرسة ومكتبة، وغير ذلك من الخدمات. لقد بدأنا من الصفر، ومشاريعنا تحتاج لمليوني دولار لا أستطيع تأمينها بمفردي، وهكذا فأنا بحاجة إلى

العون من إخوانى المسلمين فى كل مكان، وقد عينت أحد الشباب المسلم المتحمس للإسلام مديراً لمشروع المركز وسأعمل على إقامته مستعينا بالله سبحانه وتعالى.

جولات دعوية :

وهنا سألت الأخ الدكتور لورانس أياكونو عن جولته الحالية فقال: زرت فى البداية المملكة العربية السعودية حيث نزلت ضيفا على فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز العالم الإسلامى المعروف والذى تبرع لمشروع الجمعية الإسلامية بمبلغ عشرة آلاف دولار وذلك للترتيبات الأولية للمشروع، وطلب إلىّ عمل تقرير فعلى للتكاليف، وسأعود إليه فى شهر نوفمبر القادم بإذن الله ومعى كافة التفاصيل ثم جئت إلى الكويت وبعدها أنوى التوجه إلى إيطاليا ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كتب عن الإسلام باللغات :

قلت للأخ الدكتور أياكونو: هل أنتم بحاجة إلى مساعدات أخرى بالإضافة إلى الدعم المالى لمشروعكم الإسلامى؟ فأجاب قائلا: إننا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية، فقد شرعت فى دعوة أفراد عائلتى إلى الإسلام باعتبارهم ميدانى الأول للدعوة، وأنا واثق بعون الله أن أكسبهم إلى هذا الدين الحنيف، ولكننى بحاجة إلى الكتب الإسلامية لإقناعهم بذلك، إننى بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية لأقدمها لأخى وأسرته لعل الله يشرح صدورهم إلى الإسلام، وأحتاج إلى الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية لزوجتى وأولادى الكاثوليك، وقد بدأت زوجتى فعلا فى تفهم هذا الدين والإقبال عليه، وأنا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية لكى أستعين بها فى دعوتى لأهلى وقومى فى صقلية وكسبهم إلى الإسلام من جديد، دين آبائهم وأجدادهم، وأنها لمهمة ثقيلة أستعين عليها بالله وهو خير معين.

عودة إلى صقلية :

وأخيرا يختتم الدكتور لورانس إياكونو أو عبد الله إبراهيم إياكونو حديثه عن إسلامه بقوله:

أعتقد أن هناك فرصة ذهبية لدعوة تسعة ملايين شخص فى صقلية إلى الإسلام من

جديد. وإننى أشعر أن هذه هى مسئوليتى التى شرفنى الله بها، فمن واجبى العمل على انقاذ إخوانى من النار. ولذلك فبعد أن أفرغ من مشروع المركز الإسلامى فى سان أنطونيو سأتوجه إلى إيطاليا وأستقر فى جزيرة صقلية لأنشىء فيها أول مركز إسلامى فى العصر الحديث، وإننى على ثقة من نصر الله لى، فالناس فى صقلية يحبوننى ويعرفون أسرتى جيدا، وهم مستعدون للعودة إلى الإسلام، عسى الله سبحانه وتعالى أن يمنحنى الصحة والقوة وطول العمر للقيام بذلك، إنه على ما يشاء قدير.

اللهم آمين

❁❁❁

أمـريـكا :

٧٠- يوسف عبد السلام

جوزيف . ى . بتركين سابقاً

مسلمون خلف الأسوار :

لأول مرة فى هذه الحلقات سوف نستضيف مسلمين جدداً من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أرسل إلىَّ الأخ قاسم حسن محمود، أمين عام مجلس الجماعات الإسلامية (فى أوتاوا - بكندا) بعينات من الرسائل من بين كثير غيرها تلقاها من مهتدين أمريكيين جدد للإسلام من المعتقلات الأمريكية، كتب الأخ قاسم حسن محمود فى خطابه يقول: هناك عدة آلاف من المسلمين هم رهن الاعتقال فى سجون أمريكا الشمالية كثير منهم أسلم داخل السجن على يد معتقلين مسلمين، أو من خلال الزيارات التى قام بها بعض الدعاة المسلمين للسجون الأمريكية، ويقومون أثناءها بإلقاء المحاضرات عن الإسلام.

والواقع أن السجين هو أقرب الناس لتقبل دعوة الإسلام، وذلك لتطلعه إلى الحرية والسلام وهما ما يمنحه هذا الدين للنفس الإنسانية.

ويضيف الأخ قاسم حسن محمود قائلاً: إن المنظمات الإسلامية يمكنها أن تعمل فى هذا المجال بصورة جدية، فلو أنها تبعث بالدعاة المتفرغين لزيارة آلاف السجون والالتقاء بالمعتقلين وتقدم بعض المعونات المادية والمعنوية لهؤلاء الناس البؤساء، وهذا بالطبع يتطلب مبالغ كبيرة من المال، حتى يتمكن الدعاة من القيام بهذه المهمة الإسلامية العظمى.

أين المسلمون :

بعد ذلك يشير الأخ قاسم فى رسالته القيمة إلى فئة أخرى من الناس بحاجة ماسة إلى المساعدة والعون ويعنى بها المرضى المسلمين فى المستشفيات الأمريكية ويقول:

في كل مرة نقوم فيها بزيارة أحد المستشفيات نجد عدداً من القسس والرهبان إلى جانب المرضى يقدّمون لهم كل عون ممكن، ولا تقتصر زيارة هؤلاء القسس على النصارى، بل تتعداها إلى المرضى المسلمين الذين لا يجدون أحداً من رجال الدين المسلمين إلى جانبهم، وقد تأثر عدد من هؤلاء المرضى بما يقول به القسس، لما لمسوا منهم من المعاملة الطيبة والمساعدة الكريمة.

وقد آن الآوان أن يهب الدعاة المسلمون للعناية بهؤلاء الإخوة المسلمين سواء منهم المرضى في المستشفيات، أو المعتقلين في السجون الأمريكية.

من أجل حريتي :

وهذا مثال واحد لمسلم جديد اعتنق الإسلام في المعتقل، إنه يبدا حديثه بقوله: اسمي جوزيف ى. بتركين إلا أنني أفضل أن أدعى يوسف عبد السلام، وإن شاء الله أعتزم أن أغير اسمي رسميًا في المستقبل القريب، وأن الآن رهن الاعتقال في ولاية جورجيا الأمريكية في سجن رودزفيل ستيت، إنني بحاجة إلى ثلاثة آلاف دولار أمريكي لرفع قضيتي واستئنافها لدى إحدى المحاكم العليا. إن قلبي يدمى حين أضطر أن أطلب هذا المبلغ من إخواني المسلمين الذين أكن لهم أعمق مشاعر الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل، ولكن الله سبحانه وتعالى سوف يجزيكم كل خير على ذلك، فهذا الرسول محمد ﷺ يقول: أحبَّ لأخيك ما تحب لنفسك».

بعد ذلك يقول الأخ يوسف عبد السلام: هناك حديث نبوي آخر يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»، لقد جاءنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم، لقد علمنا كيف نعيش حياتنا بصورة مستقيمة ملؤها العدل وشعارها الصدق، وهكذا فلن نكون مسلمين حقًا ما لم تكن رغباتنا كلها تبعًا للقرآن الكريم وما جاء به النبي محمد ﷺ ، والاختبار الحقيقي هو ما تتجه بنا إليه رغباتنا اليوم، هل تجرنا إلى المتع الدنيوية والشهوات الهابطة أم تقودنا إلى القرآن الكريم؟

ويتحدث الأخ المعتقل يوسف عبد السلام - فك الله أسره- عن مشاعره حين اعتنق الإسلام والظروف التي شهدت هذا التحول فيقول: لقد كان قلبي مفتوحًا تمامًا منذ اليوم الأول الذي أعلنت فيه إسلامي ونطقت بالشهادتين، وأنا اليوم أُقيم الصلوات الخمس

اليومية في مواعيدها المحددة، وقد أرفقت طي هذا الخطاب صورة لابنتي الصغيرة نعيمة – الحديثة الولادة، وهي أولى أبنائي، وربما كانت الأخيرة إذا سارت الأمور على ما هي عليه الآن، ولكنني لست يائسًا، ولسوف أقبل بكل ما يكتبه الله لي بعد أن أبذل جهدي في تحسين أوضاعي والخروج من السجن.

سَبَب المأسَاة :

ثم يذكر الأخ يوسف عبد السلام السبب الذي جعله يعيش خلف القضبان فيقول: هذه هي أول مرة أصرّح بها بالسبب الذي أدى إلى اعتقالي، إن لي أخًا كان يسبب مضايقات عظيمة لوالدتي لسنوات عديدة، وكان أبي قد توفي منذ عام ١٩٦٩ على أثر مرض قلبي نجم عن إفراطه في تناول المسكرات، بسبب إحساسه بانتهاك كرامته لعدم استطاعته الحصول على عمل لائق كان بحاجة إليه لكي يعول أطفاله الستة، وهكذا ترى أننا ستة من الأبناء، خمسة ذكور وبنت واحدة، وتتناول والدتي حقنًا لمعالجة البول السكري من أجل الإبقاء على حياتها، وسبب هذا المرض كثرة ما تلقاه من قلق نفسي واضطهاد بسبب كونها امرأة سوداء في أمريكا، تنتمي إلى الآباء العبيد، ولي أخ متخلف عقليًا يعيش هو وأخر مع والدتي، وأخي (جوني) هو الذي سبّب الكثير من المتاعب لأمي، وتحت تأثير الخمر أخذ (جوني) يعتدي على والدتي بالضرب المبرح لظنه خطأ أنها السبب في دمار أسرتنا.

وهنا يشير إلى الحادث المؤسف الذي أدخله السجن فيقول: وذات ليلة أخذ (جوني) يضرب والدته بطريقة وحشية قاسية دخلت على أثرها المستشفى، فاعتقل جوني ولم تستطع والدتي أن تراه حسب ما نلقاه نحن السود من معاملة سيئة في أمريكا، في الرابع من شهر يونيو ١٩٧٨ ثار (جوني) وهدد بقتل والدتي، وكنت موجوداً أنا وزوجتي. وقد تلقت الوالدة عدة جروح وأجريت لها ١٧ غرزة، وأراد أن يطعن والدتي بالخنجر فأمسكت به وتناولت السكين من يده، ولا أعرف كيف طعنته بها، وهكذا سجنت بتهمة القتل، ولم يكن أحد من المسئولين مستعداً لسماع الحقيقة، لأنهم يكرهوننا نحن السود، وعلى الأخص المسلمين منا، والآن يريدون القضاء عليّ وإنهاء حياتي.

نداء للمسلمين :

ويمضى الأخ يوسف عبد السلام فيتحدث بلهجة مريرة للغاية فيقول: إن سلطات السجن تعلم تمامًا مع الأسف أن المسلمين لا يساعدون إخوانهم وأخواتهم فى السجون، لذلك حكموا علىّ بالسجن لمدة ٢٥ عامًا - أى السجن مدى الحياة، وهذا بالطبع يحطمنى تمامًا، إنهم مستعدون لإطلاق سراحى بكفالة مقدارها عشرة الاف دولار، وحماتى مستعدة لبيع منزلها الذى تقيم فيه ولكننى أحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى مبلغ ثلاثة آلاف دولار حتى أسترد حريتى، فهل يستجيب إخوانى المسلمين لهذا النداء من أخ لهم فى الله ، ويمنحون الحرية والحياة لى ولزوجتى ولطفلتى الأولى نعيمة؟ إنى على استعداد لتسديد هذا المبلغ بعد خروجى من السجن على أقساط مناسبة، إن شاء الله.

وأخيراً يختم الأخ المنكوب يوسف عبد السلام قصته بقوله:

إننى على استعداد لأن أموت فى سبيل الإسلام، فهو الهدف الذى أعيش من أجله، ولكننى لا أفهم لماذا يدير المسلمون ظهورهم لنا، لأننا سود فقراء؟ وزوجتى أيضًا تحس بالقلق تجاه المسلمين فهم لا يزورونها على الإطلاق، وختامًا الله أكبر، فالإسلام دينى والله ربى وخالقى.

بهذه الكلمات يُنهى الأخ يوسف عبد السلام نداءه الذى وجهه لكل مسلم غيور على دينه، ومن أراد التبرع له بشىء فليرسل ذلك إلى مجلس الجماعات الإسلامية فى كندا [1].

۞۞۞

---

(١) هذه قصة قديمة انتهت بظروفها وآلامها، وإنما ابقينا عليها لأنها تمثل صورة تاريخية لمتاعب بعض المسلمين، ولأنها تلفت انظار الدعاة والجمعيات الإسلامية إلى هذه الأماكن التى تحتاج إلى المساعدات الخيرية، وإلى الدعوة لدين الله الإسلام، وفقنا الله جميعًا إلى الخير

الهند :

٧١- بلال باهايا

لقيته في مبنى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، شابًا في العشرين من عمره عليه أمارات السكينة والهدوء، قال لي بلغة إنجليزية جيدة: لقد جئت إلى هذه الوزارة لأحصل على شهادة رسمية بإعلان إسلامي، وكان في المجلس شاب كويتي هو الذي أحضره إلى الوزارة، وعالم من علماء الوزارة العاملين في الدعوة إلى الله، ومقرر لجنة الفتوى بالوزارة.

رؤيا الخير :

فقال لي العالم: قبل أن يردد الشهادتين وراءك أرجو أن تستوثق من صحة عزمه على الدخول في الإسلام. فقلت للزائر الكريم: إنك تقول بأنك تريد أن تسلم، فهل تعرف معنى الإسلام؟ فأجاب – ونظراته تميل إلى الاكتئاب والتواضع الممزوج بالخشوع والتأثر – قائلاً:

أنا في الكويت منذ سنتين فقط، ديني الهندوكية ولم يخطر قط ببالي أن أغير ديني، ولكنني استيقظت من نومي ذات صباح بعد أن رأيت في منامي رجلاً يقول لي: عليك بالإسلام، وعندما تذكرت ما رأيت عزمت على الاستفسار عن هذا الدين الذي لم أكن أعرف عنه في ذلك الحين إلا النزر اليسير.

كان لي صديق كويتي شاب، فلما لقيته سألته عن الإسلام فشرح لي بإيجاز معنى هذا الدين، فاستراحت نفسي له واطمأن قلبي إليه وقررت أن أدرس هذا الدين لأعرف المزيد عنه.

الصلاة أولاً :

وبعد أيام لقيت بعض الشباب الهنود والباكستانيين المسلمين وصحبتهم إلى معهد خاص يقدّم دروسًا مسائية عن الإسلام للناطقين باللغتين الأوردية والإنجليزية، فتعلمت

منهم الكثير. وقدموا لي كتابًا بلغتي المسماة الكجراتية، عرفت منه كيف أصلي، وأنا منذ ذلك اليوم أقيم الصلاة والحمد لله.

لم يكن رفاقي في نفس الغرفة يعرفون ما قاله لي هذا المهتدي الجديد إلى الإسلام، لأنه كان يتحدث باللغة الإنجليزية التي يجهلونها، ولما حدثتهم بما أجاب، استبشروا خيراً، وقالوا: ما شاء الله سبحان الهادي، إنه مسلم جاهز، فأهلاً وسهلاً به بين إخوانه، وقاموا واحداً واحداً فصافحوه وقالوا له: مبارك، فنظر إليّ باستغراب، فقلت له: إنهم يهنئونك على إسلامك. فابتسم، وشكرهم.

قلت لأخي المسلم الجديد: ما هو الاسم الذي اخترته لنفسك وقد أسلمت؟ فقال: سأختار اسم بلال. فقلت له: نعم الاختيار، وأرجو بهذه المناسبة أن تردد معي النص التالي بالعربية أولا ثم باللغة الإنجليزية. قل: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن البعث بالجسد والروح حق، وأن الجنة حق والنار حق)، فردد ذلك كله ورائي ثم ردده باللغة الإنجليزية وقد فهم معناه.

موقف الأسرة :

وهنا سألت الأخ بلال عن موقف أسرته منه بعد إسلامه؟ فقال: إنهم في الهند، وإنني أكتب لهم كثيراً عن تجربتي الجديدة مع هذا الدين الحنيف، وأنقل لهم أولاً بأول ما أشعر به وألاقيه وأجد منهم ردوداً إيجابية. وسأعمل على دعوتهم إلى الإسلام، بعد عودتي إلى الهند ومقابلتي لهم. عسى الله أن يعينني على التمسك بهذا الدين.

فكر تؤمن

وقبل أن ينتهي لقائي بالأخ بلال سلمته الوزارة مجموعة من الكتيبات الإسلامية باللغة الإنجليزية المبسطة، ووعدته بتزويده بمجموعة أخرى عن الإسلام باللغة الكجراتية حتى يفهم أمور دينه ويثبت عليه لأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء، فالعلم طريق الإيمان، ولذلك نجد الكثير من آيات القرآن الكريم تقول: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [النمل: ٦٩]، وهذا ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى التي

شعارها: (فكِّر تَكْفُرْ)، أما فى الإسلام فالشعار المرفوع هو: (فكِّر تؤمن).

لاتؤخر الإسلام :

هذا ما حدث اليوم في وزارة الأوقاف، وبالأمس جاء ثلاثة نفر إلى الوزارة رجلان وفتاة، وكانوا أيضًا من الهند، جاءت الفتاة ومعها جواز سفرها وطلبت الدخول في هذا الدين، وأشارت إليه وقالت بأنها ترغب فى الزواج من أحد الشابين اللذين معها، وكانت كاثوليكية، كان ذلك فى موعد صلاة الظهر التى اعتاد الموظفون إقامتها فى مصلى الوزارة، فقلت للشيخ الوقور الذي جاءت الفتاة لتسلم أمامه: مولانا! لقد حان موعد صلاة الظهر. فقال لى: اسمع يابنى إن الإمام مالك رضى الله عنه يقول: إياك أن تؤخر إسلام أحد من الخلق مهما كان السبب. فوافقته على تأجيل الصلاة وجلسنا.

ليس إكراهًا :

بدأ الشيخ سؤاله للفتاة فقال: يا بنية إنك كاثوليكية وتريدين الزواج من هذا الشاب المسلم، والإسلام لا يكرهك على الدخول في هذا الدين من أجل ذلك، بل يمكنك الاحتفاظ بدينك وإتمام الزواج، فأجابت قائلة: أنا لا أريد الإسلام من أجل الزواج، وإنما لأننى أحببت هذا الدين وأريد الدخول فيه عن اقتناع.

الدين المعاملة :

فتوجه الشيخ إلى الشاب المسلم الذى ينوى الزواج منها وقال له: نصيحتى لك يابنى أن تكون قدوة حسنة أمام هذه الفتاة باعتبارك مسلمًا، لأننى أذكر مرة أن تزوجت فتاة مصرية نصرانية من شاب مسلم، واعتنقت الإسلام فعلاً، ولكن ذلك الشاب أساء معاملتها وكان بئس الزوج بالنسبة لها، ومن هنا فارقته، وارتدت عن الإسلام والعياذ بالله تعالى، ومما يؤسف له أن بعض أهل السوء يستغلونها فى الدعاية ضد الإسلام، ويقول للناس: هكذا يعامل المسلمون زوجاتهم، فإياك يا بنى أن تكون مثل ذلك.

فقال الشاب: أرجو الله أن يوفقنى لأكون خير زوج لها، وقال صاحبه: أنا واثق أنك بخلقك المسلم الذى أعرفه فيك ستكون نعم الزوج إن شاء الله.

فما كان من الشيخ الوقور إلا أن طلب إلى الفتاة تكرار الشهادتين وترجمتهما إلى الإنجليزية، وطلب منها الحضور فى اليوم التالى لاستلام شهادة بذلك (فخرج الثلاثة مسرورين).

والحمد لله رب العالمين.

❁❁❁

كوريا الجنوبية :

الإسلام في كوريا :

٧٢- عبد الله ديوك لين جيون

ضيفنا هذه المرة من كوريا الجنوبية، إنه الأخ عبد الله ديوك لين جيـون الذى أنعم الله عليه بأن أسلمت قرية بأكملها على يديه بالقرب من مدينة سيئول العاصمة.

وقد التقى به الشيخ سعيد مراكار محرر صحيفة كوريا إسلام هيرالد، الناطقة بلسان اتحاد كوريا الإسلامى فى سيئول. وقبل أن نذكر ما دار فى تلك المقابلة لا بدَّ أن نقول كلمات ولو قليلة عن المسلمين فى كوريا.

يقدَّر عدد المسلمين الآن فى كوريا الجنوبية بحوالى عشرة آلاف مسلم كورى، لهم مركز إسلامى فى (سيئول) ويعتزمون إنشاء كلية إسلامية هناك، وسيقيمون مركزاً إسلاميًا آخر فى مدينة بوسان ثانى أكبر مدينة فى كوريا الجنوبية[١].

قرية كاملة :

كما أن من المناسب أيضًا أن نقـول كلمة عن الوضع الجديد المثير فى كوريا ونعنى به إسلام قرية بأكملها وهى قرية (سانج ريونج) التى تقع فى مقاطعة (كيونج جى) إلى الجنوب الشرقى من العاصمة (سيئول)، حيث تقدر المسافة بينهما بحوالى ٤٧ كيلومتراً. هذه القرية تحيط بها أخصب الأراضى الزراعية وتمتاز بمناظرها الطبيعية الخلابة، ويقدَّر مجموع سكانها ٦٢١ شخصًا ينقسمون إلى ١٢٣ بيتًا أو أسرة.

لقد عاش هؤلاء الناس عيشة دنيوية بحتة، ولم يكونوا يؤمنون بأى دين من الأديان من قديم. وبالرغم من أن الأكثرية العظمى منهم يعملون إما كمزارعين أو عمال فى المزارع الشاسعة، إلا أن ٩٥٪ منهم متعلمون ويجيدون القراءة والكتابة. ومع هذا فإن انهماكهم اليومى التام من الصباح الباكر إلى الغسق لم يمنعهم من البحث عن الحقيقة والوصول إليها.

(١) كان هذا منذ ربع قرن، والحمد لله المسلمون الآن تضاعف عددهم ومؤسساتهم فى كوريا الجنوبية.

المدرس الداعية :

أما السيد عبد الله ضيفنا لهذه الحلقة، فهو إحدى الشخصيات البارزة فى هذه القرية اعتنق الإسلام فى عام ١٩٧٧م بينما كان يُدَرِّس فى إحدى المدارس التجارية الثانوية فى ضواحى سيئول. وأخذ يقدِّم الإسلام لإخوانه أبناء قريته بطريقة حسنة بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو أدب الإسلام العظيم، فلم يصادف أية مقاومة، وبدأ المزارعون يتعرفون على خالقهم الذى يعينهم دومًا فى كل ما يحتاجون إليه فى زراعتهم، وأخذوا يلمسون أن ذلك كله من عند الله ، وبمرور الزمن اهتدى معظمهم إلى الإسلام بطريق الإقناع البعيد كل البعد عن الإكراه. ولقد حقق الأخ عبد الله هدفه والحمد لله وزود إخوانه أبناء القرية باتحاد روحى متناسق يجمع بينهم برابطة الإخوة التى حلت محل الصراعات المادية الضيقة.

القرية الإسلامية :

واليوم تعرف قرية (سانج ريونج) بالقرية الإسلامية تسودها روح الأخوة الإسلامية ويرفع فيها صوت المؤذن الله أكبر فى مسجد مؤقت خمس مرات كل يوم، ليُعَلِّمَ القرويين بأن هذا هو وقت الوقوف بين يدى الله لشكره على ما هداهم إلى عبادته وحده دون سواه.

إن جميع أهل القرية، كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً وأطفالاً يؤدون الصلوات الخمس اليومية، ويحضرون فصول الدراسة الخاصة عن الإسلام فى مدرسة إسلامية مؤقتة بدأت قبل ثلاثة أشهر ونيف. ويخبرنا الأخ عبد الله بأن اتحاد كوريا الإسلامى قد بذل قصارى جهده لمساعدة سكان القرية المسلمين. ويقوم الدعاة المسلمون من كوريا ومن خارجها بإلقاء محاضرات أسبوعية فى القرية، وتجرى الآن الترتيبات للتوسع فى نشاط الدعوة لتشمل ثلاث قرى أخرى مجاورة للقرية الإسلامية.

كان ذلك التقرير من مجلة كوريا إسلام هيرالد - سيئول.

والآن نأتى إلى مقابلتنا مع ديوك لين جيون، أجرى المقابلة فضيلة الشيخ سعيد مراكار محرر مجلة كوريا إسلام هيرالد، وكان السؤال الأول على النحو التالى:

كيف تعرفت على الإسلام؟

فأجاب السيد عبد الله بلهجة هادئة للغاية قائلاً:

زيارة الإمام يونج

كنت معلمًا في مدرسة البنات التجارية العليا المسماة مدرسة الملكة (سانج دوك) وكان لي صديق مسلم يدعى معتز بلال هونج، وكان هو الآخر مدرسًا في نفس المدرسة. وذات مرة طلب إليّ الأخ بلال أن أتيح الفرصة للحاج (محمد يون) إمام مسجد المسلمين في سيئول لإلقاء محاضرة على الطالبات في المدرسة حول موضوعات إسلامية، وكنت آنذاك مديراً لشئون الطالبات، فوافقت على ذلك وألقى المحاضرة بنجاح. وكانت هذه هي البداية.

ثم يضيف الأخ عبد الله قائلاً: بعد هذه المقدمة الجيدة عن الإسلام، قام الإمام يون بزيارة مدرستنا للمرة الثانية في عام ١٩٧٧ وقدم الإسلام لي من جديد وللطالبات، وهكذا تعرفت على دين الله ثم أسلمت.

وهنا سألت الأخ عبد الله عن دينه السابق؟ فقال بأنه لم يكن يؤمن بأي عقيدة من قبل.

ثم عمدت إلى السؤال الهام التالي: عرفنا منك أن قرية سانج ريونج قد أصبحت قرية إسلامية، فهل لك أن تخبرنا بإيجاز كيف أسلم جميع سكانها؟ عند ذلك سكت الأخ عبد الله برهة ثم ابتسم قائلاً: منذ أن أسلمت في عام ١٩٧٧ كنت على اتصال دائم بالشخصيات البارزة في القرية، فعقدنا عدة اجتماعات ومناقشات، واستطعت من خلالها بفضل الله إقناعهم بأن الإسلام هو الدين الحق، فهداهم الله إلى الصراط المستقيم، ومنذ ذلك الحين ونحن نعمل معًا لنشر ديننا الجديد بين أبناء قريتنا.

قلت للأخ عبد الله: هل بقي في قريتكم أحد لم يسلم؟ فأجاب قائلاً: نعم ولكن قليل جداً. فقلت له: ما هي نسبة التعليم بين سكان القرية الإسلامية؟ فقال: هي نسبة عالية للغاية إذ تبلغ ٩٥٪ من السكان. وهناك عدد من خريجي الجامعة أيضًا.

نشعر بالاعتزاز :

سألت الأخ عبد الله : هل لديكم مسجد ومدرسة للدراسات الإسلامية؟ فقال:

لدينا الآن مسجد مؤقت نؤدى فيه الصلاة اليومية، كما أنشأت مدرسة مسائية مؤقتة لتعليم أبنائنا الدراسات الإسلامية، ونحن بحاجة إلى مبنى دائم لمدرسة إسلامية وآخر لاتخاذه مسجداً. ورغم أن ٦٥٪ من سكان القرية هم من العمال والمزارعين إلا أننا عازمون بعون الله على إنجاز هذين المشروعين، وكلنا أمل أن يتمكن اتحاد كوريا الإسلامي من مساعدتنا وإنجاز هذه المشاريع بعد أن يفرغ من مشروع الكلية الإسلامية فى سيئول العاصمة، وهو مشروع كبير ساهمت فيه بلاد عربية وإسلامية متعددة، ونحن المسلمون الكوريون نشعر بكل اعتزاز أن لنا إخوةً فى الله يهتمون لأمرنا ويهبون لمساعدتنا.

الاتحاد الكورى الإسلامى :

بعد ذلك أشار الأخ عبد الله إلى دور اتحاد كوريا الإسلامى فى سيئول فقال: إننا أعضاء فى الاتحاد، ولذلك نحصل على تعاون كامل ومساعدة جيدة منه. فنتسلم الكتب والمطبوعات الإسلامية باللغة الكورية، وكذلك الكتب الدراسية لمدرستنا، كما يزور القرية أساتذة من الاتحاد يلقون المحاضرات الإسلامية بين سكان القرية، ولا أنسى أن أذكر أننا نتلقى كذلك العون المالى، ولكننا فى الوقت ذاته قررنا أن نربى النحل فى مزارعنا الرائعة لجنى العسل وبيعه واستغلاله فى تخفيف العبء عن الاتحاد.

الداعية النشط :

وأخيراً يختتم الأخ عبد الله ديوك لين جيون قصته بقوله:

إن لدينا ثلاث قرى مجاورة لقريتنا الإسلامية، وقد تعرفت على أهم الشخصيات البارزة فيها، فهم من المدرسين مثلى، وقد أتيحت لى عدة مناسبات للالتقاء بهم والتحدث معهم عن الإسلام، وقد أبدى بعضهم اهتمامًا عظيمًا بهذا الدين الحنيف، وكلى أمل فى الله أن نتمكن من كسبهم وكسب الكثير من الكوريين إلى الإسلام.

وبعد: فمن حق سكان هذه القرية الإسلامية على المسلمين القادرين فى كل مكان أن يهبوا لزيارتها لرفع الروح المعنوية لدى سكانها وتقديم العون المناسب لهم حتى يثبتوا على دينهم، ومن يدرى فقد تقوم للإسلام دولة أخرى فى أقصى المشرق، والله غالب على أمره، وناصر دينه بفضله العظيم.

❁❁❁

اليابان :

٧٣- محمد كومياما

جوشيرو كومياما سابقاً

وزير ياباني :

تحت عنوان: «أول سياسي ياباني اعتنق الإسلام» كتبت صحيفة القبس الكويتية الغراء في عددها الصادر في يوم الاثنين الثامن من كانون ثاني/ يناير من العام الحالي (١٩٧٩) عدد رقم ٢٣٨٠ – الملحق تقول:

محمد كومياما يصرّح: آفاق واسعة للدعوة الإسلامية في اليابان.

الوزير الياباني السابق للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية «جوشيرو كومياما» أشهر إسلامه في ١٧ ديسمبر الماضي في طوكيو، وتسمى باسم «محمد كومياما» وهو أول شخصية سياسية بارزة في اليابان تعتنق الدين الحنيف، ويشغل حاليًا منصبين مهمين في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم وهما: رئيس مجلس أبحاث النقد، ورئيس وكالة العلوم والتكنولوجيا.

السيد محمد كومياما – ٥٢ سنة – من مواليد عام ١٩٢٧ – خَصَّ القبس بمقابلة مثيرة، تحدث فيها عن أسباب إسلامه ونظرته المستقبلية إلى الإسلام في اليابان والعالم، وذلك رداً على الأسئلة الموجهة إليه.

لماذا أسلمت؟

كان السؤال الأول الموجه للسيد محمد كومياما حول السبب الذي جعله يقرر اعتناق الدين الإسلامي الحنيف؟

قال السيد كومياما: لقد ترسخ لديَّ الاعتقاد بأن الإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها، فربع سكان العالم اليوم مسلمون، وقد أردت أن أشاركهم ذلك، وأنني آمل في أن تُفيد الدعوة الإسلامية في اليابان من نشاطي السياسي.

وهنا سأل مراسل القبس من طوكيو السيد كومياما قائلاً: ولمن يرجع الفضل في هدايتك إلى الإسلام بعد الله سبحانه وتعالى؟ فأجاب قائلاً: يرجع الفضل بعد الله في ذلك للبروفسور الدكتور شوقي فوتاكي رئيس المؤتمر الإسلامي الياباني، وهو صديقي الحميم منذ أيام الدراسة المبكرة، فأنا أحبه وأحترمه كثيراً منذ وقت طويل.

والدكتور شوقي فوتاكي، هو أحد الشخصيات الإسلامية المعروفة في اليابان، فهو رئيس مجلس إدارة مستشفى كبير في قلب مدينة طوكيو، وقد هداه الله إلى الإسلام قبل بضعة أعوام، وأسلم على يديه أعداد كبيرة من اليابانيين، وقد أنشأ جمعية إسلامية برئاسته سماها المؤتمر الإسلامي الياباني، وقد زار الكويت قبل حوالي عامين، أي في عام ١٩٧٧م. وقد أشار السيد محمد كومياما إلى جهود الدكتور فوتاكي فقال بأنه يكرّس كل وقته لخدمة المرضى والمراجعين في مستشفاه الواقع في حي «شبخيكو» بطوكيو، وفي نشر الدعوة الإسلامية على مدار أيام السنة بدون يوم إجازة واحد.

ويقول السيد كومياما: وقد بلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام على يده أكثر من ٢٥ ألف ياباني في غضون السنوات الخمس الأخيرة، مئات منهم من مرضاه الذين كتب لهم الشفاء على يديه في مستشفاه الذي يسمى العيادة الملكية.

تعليق المؤلف:

ونحن لا نقلل من جهود الدكتور فوتاكي، ولكننا للأمانة نقول بأن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، كما أن الدكتور فوتاكي يحتاج إلى بعض التوجيهات الإسلامية التي تقيه الشطط والزيغ عن الطريق المستقيم والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، وهذه هي مهمة الدعاة المسلمين المخلصين لمساعدة إخوانهم الذين أسلموا حديثًا.

ولكن نكبر في الدكتور فوتاكي جهوده ونشاطه وحماسه المنقطع النظير للدعوة الإسلامية وإتقانه لاستقطاب الجماهير إليها. فقد نظم مؤخراً أكبر مؤتمر إسلامي من نوعه تشهده اليابان، اشترك فيه السيد كومياما، وكان عبارة عن مظاهرة إسلامية رائعة، وعندما أسلم الدكتور فوتاكي اهتزت اليابان بأسرها لما قام به من نشاط، فقط أصبح حديث الصحافة اليابانية البارز بسبب الأعداد التي دخلت في الإسلام أفواجًا من اليابانيين على يديه.

وشقيقه أيضًا :

نعود الآن إلى السيد محمد كومياما فنقول له: هل تأثرت فى عملية اهتدائك للدين الحنيف الإسلام بغير الدكتور شوقى فوتاكى؟

فيجيب السيد كومياما عن هذا السؤال قائلاً:

نعم، لقد تأثرت أيضًا بشقيقى ميدبنك «هيوا ميوتشيال» الذى سبقنى إلى اعتناق الإسلام، فقد شاهدت عن قرب كيف حدث انقلاب كبير فى حياته إلى الأفضل بالطبع، مما كان له أعظم الأثر فى نفسى.

قيل للسيد كومياما: هل قرأت القرآن الكريم قبل إسلامك؟

فأجاب قائلا: نعم، قرأت معانى القرآن الكريم المترجمة إلى اللغة اليابانية على يد الحاج عمر ميتا، العالِم اليابانى المسلم المعروف، وأنا الآن أتعلم المزيد من أمور دينى كل يوم بفضل الله، ثم بفضل الأصدقاء اليابانيين المسلمين وغير المسلمين الذين لا يألون جهداً فى تزويدى بالثقافة الإسلامية.

ثم سئل السيد محمد كومياما عما إذا كان قد زار أيًا من البلدان العربية أو الإسلامية؟

فقال: لم تتح لى مع الأسف زيارة أى بلد عربى حتى الآن، ولكننى سبق أن زرت إيران وآمل أن أتمكن من زيارة الأماكن المقدّسة وأداء فريضة الحج.

قيل للأخ محمد كومياما: وما هى مشروعاتك للمستقبل؟

فأجاب قائلاً: آمل أن أزور الدول العربية الشقيقة، وأن أعمّق الصداقة مع إخوانى فى الدين، وأزيد معرفتى بالشئون العربية.

ولهذا فإننى مع بعض الإخوة المسلمين اليابانيين نسعى لتأسيس (المعهد الثقافى الإسلامى اليابانى) بغية دراسة شئون الثقافة والتعليم الإسلامى، ومساعدة الطلاب المسلمين اليابانيين وغيرهم على دراسة هذا الدين، وسوف يتم الإعلان، عن تأسيس هذا المعهد قريبًا خلال العام الجديد (بإذن الله)، ولما كان معظم اليابانيين لا يعرف شيئًا عن العرب والمسلمين فسوف يكون هذا المعهد تطوراً مهمًا فى هذا السبيل، وأعنى بذلك

سيتحقق للشعب الياباني فهم أفضل للعرب والمسلمين في جميع أقطارهم، فلا يخفى أن الدول العربية والإسلامية هي دول بعيدة من حيث المكان عن اليابان، ولهذا نأمل أن نوفق في التقريب.

الإسلام والمستقبل :

وهنا سئل الزعيم الياباني المسلم عن أهمية الإسلام ودوره في المستقبل بالنسبة للبشرية بأسرها؟ فقال بنظرة السياسي المتفحص: إن القرن الحادي والعشرين الذين نطل عليه الآن هو قرن الدين بلا جدال.. بمعنى أن الناس يعودون إلى الدين كمنقذ لهم من شقائهم المادي المهلك. وهذا يعني أيضًا تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية التي أعلنت إفلاسها من حيث زعمها تحقيق السعادة لبني الإنسان، والإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها، وهو دين القرن العشرين، إذ أن المليار مسلم الذين يقطنون كافة أنحاء المعمورة سوف يتضاعفون، وستدخل ملايين كثيرة من البشر في هذا الدين بإذن الله تعالى تحقيقًا لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ - ٣]، وتنفيذاً لوعد رسول الله ﷺ حين قال: بأنه لا يظل بيت مدر ولا وبر إلا ويدخله الإسلام. فهذه بشرى من رسول الله ﷺ بأن يعم الإسلام الكرة الأرضية بأكملها.

ثم يختتم محمد كوميياما حديثه بقوله: إنني أؤمن بالتضامن الإسلامي العالمي، وبالنسبة للدعوة الإسلامية في اليابان فهي تتطور تطوراً متحركًا، وأنا أرى أن آفاق هذه الدعوة سوف تتسع كثيراً في المستقبل القريب بإذن الله.

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

۞۞۞

غويانا (أمريكا الجنوبية)
٧٤- عبد الحفيظ محمد

زار الكويت في الشهر الماضي - سبتمبر ١٩٧٩ الإمام عبد الحفيظ محمد، إمام المسلمين في غويانا بأمريكا الجنوبية، وهذه هي أول زيارة يقوم بها لدولة الكويت ضمن جولة إسلامية شملت القاهرة، حيث قضى شهراً كاملاً معظمه في جامعة الأزهر الشريف تدرب خلاله على أيدي أساتذة متخصصين على ترتيل القرآن الكريم، وهي ليست مهمة سهلة بالنسبة له، فاللغة العربية لا تزال جديدةً عليه. فهو حتى الآن يعرف أقل من عشر سور من القرآن الكريم يقرؤها؟ وهو يؤدي الصلاة.

ورغم أن السيد عبد الحفيظ محمد هو إمام المسلمين في غويانا منذ أربع سنوات، إلا أنه حديث عهد بالإسلام، فقد أسلم قبل ثمان سنوات كان قبلها مسيحيًا ينتمي لكنيسة الميثودست، وعمره الآن ٣٥ عامًا، ولد وقضى الشطر الأول من حياته في وطنه (غويانا) ثم سافر إلى أمريكا للدراسة الجامعية، فدرس الهندسة ونال دبلومًا في الهندسة الميكانيكية من أحد المعاهد في (ميلان)، بكارولينا الشمالية، كما حصل على دبلومات أخرى من أحد المعاهد في شيكاغو في النظام الإلكتروني.

كلمة عن غويانا:

وقبل أن نسأله كيف أسلم، لا بدّ هنا من كلمة عن بلده غويانا.

غويانا هي إحدى البلاد الواقعة شمال أمريكا الجنوبية تحدها فنزويلا من الغرب، وسورينام من الشرق، والبرازيل من الجنوب، وتطل على البحر الكاريبي الذي يحدها من الشمال، وعاصمتها (چورچ تاون)، وتبلغ مساحتها ٨٣٠٠ ميل مربع، وعدد سكانها حوالي مليون نسمة منهم مائة ألف مسلم، أي ١٠٪ من مجموع السكان، وهناك عشر جمعيات إسلامية عاملة في (غويانا)، والمسلمون هناك من أصل هندي وباكستاني، بالإضافة إلى المسلمين الذين جلبوا إليها من أفريقيا السوداء.

لماذا أسلمت؟

ثم يتحدث الإمام عبد الحفيظ عن سبب إسلامه فيقول:

منذ أن كنت صغيراً لم يكن للديانة المسيحية أي وقع في قلبي، وأذكر أنني وأنا طفل لم تكن تروق لي فكرة الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد، وكانت لي مع والدتي بسبب ذلك مشاجرات كثيرة.

وعندما كبرت، ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذت أتنقل بين شيكاغو ونيويورك وغيرها فأحسست بالفراغ الروحي الذي يعانيه الجميع وبدأت أسأل نفسي أسئلة كثيرة حول دور الإنسان، وأهميته ومصيره وسط هذه الدوامة الطاحنة من الحياة المادية اللاهثة دوماً بلا سبب والشديدة التعقيد؟!!

حب استطلاع:

ويمضي الإمام عبد الحفيظ في حديثه الشائق فيقول:

وفي عام ١٩٧٢ ذهبت بصحبة أحد الأصدقاء لسماع محاضرة عن الإسلام، أقامتها جماعة إسلامية في شيكاغو، وكان ذهابي من باب حب الاستطلاع والفضول، ولم أكن أفكر قط في تغيير ديني، كما أنني خرجت دون أن أتأثر بشيء مما سمعت، إلا أنني حملت معي عدداً من مجلة (محمد يتكلم) وهي المجلة الناطقة بلسان جماعة المسلمين السود التي كان يرأسها أليجا محمد، والتي تحول اسمها الآن إلى جماعة (أمة الإسلام في الغرب) ويتزعمها الآن السيد وريث الدين محمد، وقد تغير اسم مجلتها فأصبح «مجلة البلاليين»، وهي أكبر جماعة إسلامية في أمريكا الآن، وتعمل بنشاط كبير في أوساط العشرين مليون مواطن زنجي بأمريكا، وتلقى هذه الجماعة كل تأييد وعون من مختلف الأقطار الإسلامية.

أثر الأخوة:

نعود الآن إلى الإمام عبد الحفيظ الذي يستأنف حديثه بقوله: خرجت من المحاضرة كما قلت لك ومعي عدد من مجلة (محمد يتكلم) وبعض المجلات والكتب الأخرى عن الإسلام، وبدأت أقرأ وأقرأ، لقد أعجبني شيء واحد من المسلمين الذين لقيتهم، أعجبني

فيهم النظام والإخلاص وصفاء القلب والحب الذى يمارسونه فيما بينهم، إلا أن قراءتى حتى ذلك الحين كانت لمجرّد البحث عن المعرفة ومن باب الفضول فقط.

أثر العنصرية :

ثم يعود بنا الإمام عبد الحفيظ إلى الماضى فيتذكر ما كان يحس به، يقول: لست عنصريًا، ولكنى منذ أن كنت صغيراً كنت أعرف جيداً أن البيض قد أساؤوا معاملة السود، وأذكر الكثير من صور المعاناة التى قاساها السود على أيدى البيض، لهذا ارتبطت الديانة المسيحية فى نفسي بالبيض، فلم أكن أحس بأى ميل قلبى نحو هذا الدين الذى هو دين البيض، الذين يستعبدون السود ويذلونهم، وقد أعاننى هذا الشعور على فهم الإسلام، فأخذت أقرأ وأقرأ.

هداية الله :

وذات يوم، كنت أقوم ببعض الأعمال فى منزلي، وكانت زوجتى وأطفالى بالداخل، وكنت منهمكًا فيما كنت أعمل به، وإذا بإحساس قوى يتملكنى، لقد أحسست برغبة قوية ملحة بأن أكون مسلمًا، وكأنى كنت أرزح تحت عبء ثقيل أريد التخلص منه، وكأن شيئًا ما يدق عنقى، وفى الحال ذهبت إلى حيث كانت تجلس زوجتى مع أطفالنا وقلت لها: أريد أن أكون مسلمًا، فلم تمانع فى ذلك بل شجعتنى عليه، وقالت لى فى الحال: وأنا معك، وهكذا ذهبنا معًا فى وقت لاحق وأعلنا إسلامنا. وهكذا أصبح اسمى (عبد الحفيظ محمد) واسم زوجتى (أمينة) وهى أمريكية حاصلة على ماجستير فى التربية وتعمل ناظرة مدرسة فى غويانا، وقد دخلت الإسلام عن اقتناع بحقيقة هذا الدين.

زيارة للزعيم الروحى :

قلت للأخ عبد الحفيظ محمد الذى لقيته أكثر من مرة أثناء زيارته للكويت مؤخراً: ماذا فعلت بعد أن أسلمت؟ فقال: لم يكن اعتناقى للإسلام إلا البداية لتغيير كامل شامل فى حياتى. فرغم أننى كنت مهندسًا ناجحًا فى مجال التبريد، أكسب الكثير من المال، وأعيش حياة مرفهة للغاية أنا وأسرتى، إلا أننى لم أكن أحس بالسعادة التامة،

كنت أشعر أن شيئًا ما ينقصنى، فلما جاء الإسلام إلى قلبى جاء معه تصميم من جانبى على أن أعمل على نشر الإسلام، فقابلت عدداً من أئمة المسلمين فى منطقة كارولينا الشمالية حيث كنت أعمل وأسكن، وأبلغتهم أننى أسلمت وأريد أكثر من ذلك، أريد أن أعمل على نشر الإسلام.

وهكذا انتقلت من إمام إلى آخر ومن جامع إلى جامع حتى وصلت إلى شيكاغو حيث كان يقيم الزعيم الروحى السابق للمسلمين السود أليجا محمد، ذهبت إليه ومعى خطاب من إمام آخر، ولكن أليجا محمد كان مريضًا جداً، وتوفى قبل أن أتمكن من مقابلته، وهكذا مكثت فترة من الزمن فى مدينة شيكاغو، قابلت خلالها خليفة أليجا محمد واسمه وريث الدين محمد، وقضيت معه فترة من الزمن تعلمت منه الكثير عن الإسلام.

تكليف بالدعوة :

سألت الأخ عبد الحفيظ عن رأيه فى الإمام وريث الدين زعيم المسلمين البلاليين الجديد فى أمريكا فقال: لقد أحببته وارتاحت له نفسى كما وثق هو بى كذلك، فكلفنى بالذهاب إلى وطنى (غويانا) لنشر الإسلام هناك، وعيننى إمامًا للمسلمين فى غويانا، فعدت إلى كارولينا الشمالية، فبعت منزلى وسيارتى وكل ما أملك وجمعت ما عندى من مال وتوجهت مع أسرتى إلى غويانا.

قلت للأخ عبد الحفيظ: متى كان ذلك؟ فأجاب قائلاً: كان ذلك قبل أربع سنوات تقريبًا. ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل على نشر الإسلام.

بدأت عملى وحدى، اتصلت بالناس، وأخذت أدعوهم إلى هذا الدين، ولم تكن المهمة سهلة فى البداية، لكننى - بفضل الله - كنت مصممًا على ما أريد، وخلال أربع سنوات من العمل فى غويانا انضم أربعة آلاف مواطن فى غويانا إلى الإسلام بفضل الله ثم بفضل جهودى المتواضعة، ولا زلت أواصل جهدى فى هذا المجال.

ويضيف الإمام عبد الحفيظ: هذا بالرغم من الحريق الذى التهم متجراً كان لدىَّ، وكنت أنفق من ريعه على نشاط الدعوة الإسلامية.

الداعية المهندس :

قلت للأخ عبد الحفيظ: كيف استطعت أن توفق بين تخصصك العلمي الأكاديمي وبين نشاطك في الدعوة إلى الإسلام وعملك كرئيس للمنظمة الإسلامية في غويانا ؟ فقال رداً على ذلك:

لقد كنت منذ صغري وحداثة سني ولا أزال ميالاً إلى النواحي الدينية، وكان تخصصي الجامعي في أجهزة التسخين والتبريد والتكثيف وأجهزة التبريد عامة والأجهزة الكهربائية والإلكترونية التي تحافظ على الأمن والسلامة، وما زلت أقوم بعمل دراسات كثيرة في مجال تخصصي الذي ذكرته، وقد أنعم الله عليّ بنعم كثيرة والحمد لله، فكنت دائمًا من الأوائل في دراستي بالجامعة، حتى عند تقدمي للامتحان النهائي كانت نتيجتي الأول على مجموعتي في التخصص.

لقد غير الإسلام من طبيعة ذاتي وأصبحت منصرفًا كليًا للدعوة إلى التوحيد، ولا غرابة في ذلك، فلقد تمكن الإسلام من نفسي والحمد لله الذي هداني للإسلام. أما عملي كداعية فهو شيء مفروغ منه ويجب أن يكون، لأنه يحقق السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا ما يجب أن يسعى إليه كل مسلم عاقل.

المراكز والمساجد الإسلامية

يتابع الأخ عبدالحفيظ حديثه قائلا: ليس في غويانا إلا مركزان إسلاميان و٥٢ مسجد. فقلت متعجبًا: سبحان الله ٥٢ مسجد في غويانا، ونحن لا نسمع عنها وعن إخواننا المسلمين فيها أي شيء؟!

فقال المسلمون يا أخي يوجدون في كل مكان وهم أمة واحدة، ولا يكاد يخلو أي مكان على وجه الأرض إلا وفيه مسلمون يذكرون الله عز وجل، ونحن في غويانا لدينا نشاط إسلامي جيد، إلا أننا بحاجة إلى تأسيس مكتبة إسلامية وتدعيم وسائل الاتصال بالدول الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

أحببت مصر :

وعن زيارته لمصر الشقيقة التي بدأ بها جولته يقول الأخ عبدالحفيظ: إن إقامتي في مصر أعطتني مفاهيم جديدة ومسئوليات كبرى، كما أن مفهوم التقوى قد ازداد عمقًا

في نفسي، لقد أحببت هذا البلد إلى درجة جعلت من الصعب على نفسي التفكير في مغادرته بعد أن أمضيت بين أهله شهراً ونصف ولكن لابدٌ لي من ذلك لأداء فريضة الحج، لقد تأثرت كثيراً بإخواني المسلمين في مصر، إذ أن ثلاثة أشخاص منهم في أماكن متفرقة، حينما عرفوا أنني مسلم من غويانا قام كل واحد منهم وعانقني وتمنى لي حياة طيبة في ظل الإسلام.

وبعد أن أمضى الأخ عبدالحفيظ المدة المتاحة له في مصر درس خلالها اللغة العربية والقرآن الكريم، وساعده في ذلك المراقب العام للبحوث الإسلامية بالأزهر الشريف توجه إلى المملكة العربية السعودية.

أداء الحَج :

قيل له وهو يطأ أرض الجزيرة العربية لأول مرة: ما هو شعورك وأنت تأتي للأراضي المقدسة في زيارتك الأولى لها؟ فقال:

جئت لتأدية فريضة الحج والعمرة. وشعوري كشعور كل مسلم مؤمن بالله سبحانه وتعالى إيمانًا لا تشوبه أية شائبة، لقد حضرت مع عائلتي وأحس بالسعادة والشكر لله عز وجل الذي هيأ لنا هذه الزيارة وأنار قلوبنا وهدانا للإسلام.

نحتاج لمساعدة إخواننا

ويمضي الأخ عبدالحفيظ فيقول: جئت إلى البلاد العربية لأستطلع إمكانية مد يد العون للمسلمين في غويانا - بأمريكا اللاتينية. فنحن بحاجة ماسة إلى المساعدة من إخواننا المسلمين. إننا منظمة إسلامية ترعى شئون المسلمين ويومًا بعد يوم يعتنق الكثيرون من مواطني غويانا الإسلام، لا عن طريق الإكراه، ولكن عن اقتناع وحب وعن هداية من الله سبحانه وتعالى. إنني أتكلم كإمام للمسلمين في غويانا ونيابة عن كافة المنظمات الإسلامية، فنحن بحاجة إلى الكتب الإسلامية وإلى المدرسين والوعاظ الدينيين حتى نحافظ على الجالية الإسلامية الكبيرة في غويانا، وننشيء أبناءنا تنشئة إسلامية صحيحة. واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، فلابدَّ من تدريسها لأبناء المسلمين في غويانا حتى يفهم المسلمون دينهم وقرآنهم.

ويضيف الأخ عبدالحفيظ قائلاً:

لدينا مشاريع كثيرة كبناء المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية والمدارس، وهذه تحتاج إلى عون مالى كبير، كما تفتقر إلى إذاعة مستقلة لبث الدروس والمواعظ الإسلامية لمن لا يتمكن من الحضور إلى المركز الإسلامى، واعتقد أن حكومة غويانا لا تعارض مثل هذا الإجراء.

الدعوة فى غويانا :

ويتحدث عن نشاطه الإسلامى فيقول:

إننى عضو فى المجلس الإسلامى فى غويانا، وفى المجموعة التى تقوم بزيارة نزلاء السجون فنقوم بعمل ندوات إسلامية كثيرة داخل السجون لتوعية نزلائها وتعريفهم بمبادىء الإسلام وبقيمه الخالدة، كما نَمُد العون المالى لهم بقدر استطاعتنا، ونساعد الكثير من المحتاجين والفقراء، ونحن كمسلمين نساعد جميع الناس من مختلف الديانات، وهذه الأموال نحصل عليها من بعض المشاريع التجارية الخاصة التى تبيع المأكولات، إلا أن واحداً من أكبر هذه المشاريع قد تعرّض فى الآونة الأخيرة لحريق كبير سبب لنا خسارة كبيرة، وقد أثبتت التحقيقات أنه كان نتيجة لعمل تخريبى قامت به منظمات ضد الإسلام والمسلمين فى غويانا، ولكن بالرغم من ذلك فإن عدد المسلمين هنا فى ازدياد مستمر، وهذا يضايق بعض الأوساط فى غويانا مما يجعلها تقوم بهذه الأعمال التخريبية لمشاريعنا.

ويعلق الإمام عبدالحفيظ بحماس كبير فيقول:

لقد تركت عملى الأساسى فى مجال الهندسة ووهبت نفسى كليًا لدينى وعقيدتى الإسلامية، لإرشاد الناس وهذا شرف عظيم لى ولعائلتى، إننى أسعى دائمًا لعمل مشاريع تجارية تعود بالنفع على إخوانى المسلمين.

ماذا عن موقف المواطن الغويانى من الإسلام؟ هذا هو السؤال التالى الموجه للإمام عبدالحفيظ الذى أجاب عليه قائلاً:

إن المواطنين فى غويانا لديهم الرغبة الأكيدة للدخول فى الإسلام، فنحن نلاحظ حاليًا

انتشار الإسلام يومًا بعد يوم، إلا أننا بحاجة إلى المساعدة، فلا توجد أية قوة تستطيع أن توقف المد الإسلامي في غويانا. ولكن هناك بعض العقبات في الطريق، ونحن نريد أن نكسب أكبر عدد من أبناء البلاد للإسلام.

قلت للأخ عبدالحفيظ: وما هي قصة دخول الإسلام إلى غويانا؟ فقال: لقد كان دخول الإسلام إلى غويانا على يد المهاجرين الأفارقة الذين هاجروا قسراً من أفريقيا إلى دول أمريكا اللاتينية، وخاصة الذين أحضروا من السودان وأثيوبيا وتشاد وغيرها من دول شرق ووسط أفريقيا وغربها أيضًا. فعندما جاءوا إلى غويانا استطاع شعب غويانا من خلال مخالطته لهم ومعاملته معهم أن يتعرف إلى الدين الإسلامي، فقد لمس الناس منهم معنى التسامح والحب والسلام والوفاء وإنكار الذات، لقد عرفوا كل معاني الحق التي كانوا يفتقدونها، لذلك اعتنق الكثير منهم الإسلام عن حب وعقيدة راسخة دون إكراه أو إغراء.

وبعد فترة من الزمن حضر مهاجرون آخرون من الهند وباكستان، وقد أعطت هذه الدفعة من المهاجرين المسلمين مزيداً من القوة للإسلام في غويانا. كما أن حكومة غويانا لم تمانع من إقامة الشعائر الإسلامية، بل سمحت للمسلمين بحرّية العبادة والتحدّث والدعوة إلى الإسلام، وهكذا تضاعف عدد المسلمين. والمهم أن الإسلام لا يعترف بالعنصرية ولا بالطائفية، فالجالية الباكستانية المسلمة في غويانا لديها مرشد من السود هو من أعضائها البارزين، حيث لا فرق في الإسلام بين أسود وأبيض إلا بالتقوى، ولقد عملت الكثير لإنشاء رابطة إسلامية تضم كافة المسلمين في غويانا من مختلف الجنسيات، وقد وفقت في عملي هذا ولله الحمد.

الإسلام والأديان الأخرى:

قلت للأخ عبدالحفيظ الذي امتنع أن يذكر لي دينه السابق واسمه قبل إسلامه، لأنه لا يريد أن يتذكر هذا الماضي، قلت له: هل درست الأديان الأخرى؟ فقال:

إلى جانب دراستي للإسلام والقرآن الكريم درست الأديان الرئيسية الأخرى، فعرفت الفارق الكبير بينها وبين الإسلام والقرآن. لقد وجدت في القرآن الكريم الطريق السليم لعبادة الخالق الأحد، لقد اكتشفت أن الديانات الأخرى قد حرفت كتبها وأنها تمارس في

الواقع العملي أشياء مغايرة تمامًا لما تنادي به وتدعو إليه، إضافة إلى أن الدين الإسلامي لا يقتصر على العبادة فحسب، بل يعلمك كيف تعيش حياتك الدنيوية وتنظمها على أساسه في كل صغيرة وكبيرة، ويرشد الإنسان إلى أفضل الوسائل لمعاملة غيره. فالإسلام نظام شامل للحياة الإنسانية كلها وهو الدين الحق الصالح لكل زمان ومكان، كنت دائم التفكير والتأمل، فالذي خلق الإنسان ووهبه هذه النعم الكثيرة هو الذي خلق الحيوان والشجر وأنزل من السماء ماء، والقرآن الكريم يدعونا دائمًا إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض ويربط بيننا وبين الكون من حولنا، بعكس الأديان الأخرى التي تفرض الإيمان على أتباعها فرضًا.

مشروعات إسلامية :

وأخيراً قلت للأخ عبدالحفيظ: ما هو أهم مشروع إسلامي لديكم الآن؟ فقال: أهم مشروع لدينا هو إكمال مركز الدعوة الإسلامية في «جورج تاون» الذي يتألف من قاعة محاضرات، ومسجد ومكتبة، ومدرسة إسلامية، ومكاتب للإدارة، ولدينا جمعية لمساعدة الشيوخ والعجزة والمساكين، كما أن لدينا مشروعًا زراعياً يحقق لنا الاكتفاء الذاتي، عسى الله أن يشرح صدور المسلمين لدعم العمل الإسلامي في غويانا وغيرها حتى يهبَّ العملاق الإسلامي الجبار من غفلته، والله الموفق لكل خير.

❀❀❀



العـــراق :

٧٥- الدكتور أحمد سوسة

أسلم هو وأسرته

من اليهودية إلى الإسلام

الدكتور أحمد سوسة.. عضو المجمع العلمى العراقى، مرجع بارز فى دراسات الحضارة العربية ووادى الرافدين على وجه الخصوص. أسلم قبل عدة سنوات بعد أن تأثر بالقرآن الكريم، وأولع به ولعًا شديداً، كان يهوديًا عراقيًا ثم شرح الله صدره للإسلام: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وللدكتور «سوسة» عدة مؤلفات معتمدة فى مختلف المجالات العلمية. وقد ركز فى العديد منها على تفنيد ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية. وقد نال الجزء الأول من كتابه «فيضانات بغداد فى التاريخ» جائزة دولة الكويت لعام ١٩٦٣ وهى الجائزة التى تُمنح عادةً لأفضل دراسة تعالج جانبًا من التاريخ العربى والحضارة العربية.

طريقى إلى الإسلام :

وفى كتابه «فى طريقى إلى الإسلام»، يذكر الدكتور أحمد سوسة سبب إسلامه، وهو دكتور فى الفلسفة من إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، يقول:

- يرجع مَيْلى إلى الإسلام إلى ما قبل ثلاث عشرة سنة، حينما شرعت فى مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فى عهد دراستى فى الجامعة الأمريكية ببيروت، فولعت به ولعًا شديداً، وانصرفت إلى تلاوته مستعينًا بالكتب المزوّدة بحواشى التفسير لفهم معناه، حتى أهملت البعض من دروسى المدرسية الأخرى، وكنت أطرب لتلاوة آيات القرآن، وكثيراً ما كنت أنزوى فى مصيفى تحت ظل الأشجار وعلى سفح جبال لبنان، فأمكث هناك ساعات طوالاً أترنم بقراءته بأعلى صوتى، إلا أننى لم أفكر فى أمر

اعتناقى للإسلام إلا بعد أن قضيت فى أمريكا بضع سنوات، ودرست فلسفات الأديان، وتوغلت فى المواضيع التاريخية الاجتماعية، حتى أدركت كثيراً من الأمور الغامضة التى كان يصعب علىّ حلها.

ثم يشير الدكتور سوسة إلى طبيعة الحياة الأمريكية وأثرها فى اتخاذ قراره الحاسم، فيقول:

- وفى الوقت نفسه، فإننى أعتقد بأن محيط أمريكا الذى تتجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان، قد يستميل المرء الذى فُطر على حب الحرية والسذاجة، إلى الانقياد إلى تعاليم الدين الإسلامى المشبع بروح الديمقراطية الحقة والحرية والبساطة، فأستطيع أن أقول بدون تردد بأننى مسلم شعوراً وموطنًا منذ نعومة أظفارى، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعنى لأن أنفض عنى غبار الميراث من الدين والعنصر، وأن أسير أغوار الحقيقة لأهتدى بأنوارها إلى المذهب الصحيح الحنيف.

الإسلام دين الفطرة والعلم

- إلا أنى يجب أن أعترف - فى الوقت نفسه - بأن الميل لم يكن مستنداً على ما يقرّه الاستقراء العلمى والتمحيص الفكرى والتجارب الشخصية. وما أعظم سرورى الآن، حين جاء الاستدلال العلمى الصحيح مؤيداً للميل الفطرى، فانتميت إلى الدين الإسلامى بدافع طبيعى غريزى، وبتأييد علمى تمحيصى، فأصبحت بذلك مسلمًا شعوراً وموطنًا ودينًا.

ثم يردّ الدكتور أحمد سوسة على الفرية السائدة بأن الإلحاد هو الطراز الشائع بين المثقفين، فيقول:

- ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلمّ تعليمًا راقياً أصبح ملحداً بطبيعة الحال، قد تمكنت فى أذهان شبابنا المثقفين، بحيث أصبح الكثير منهم يستغرب ويدهش إذا أظهر أحد المتعلمين ظاهرة دينية، أو تطرق إلى البحث فى هذا الموضوع. وأنا أرى لزامًا علىّ أن أبحث فى مقدمتى هذه - ولو بصورة مقتضبة - فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائى، بعد أن أعلنت له رغبتى فى اعتناق الإسلام، إذ قال فى كتابه: «إنى لأشعر بخطورة رغبتك هذه، لا سيما أنها جاءت فى القرن العشرين، فى القرن

الذى طغت فيه المادة وسادت فيه الملموسات، وهى بنت فكر شخص عاش فى بيئة أمريكية، وأنه من حمَلة الدكتوراه».

العلم ضد الإلحاد :

يجيب الدكتور أحمد سوسة، العالم المؤمن الذى لا يغرّه ما أفسد إبليس من غرور، فيقول:

– وكأنى بصاحبى قد يخيل له أن من اكتسب علمًا حديثًا يحب عليه طرح ناحية الدين جانبًا، والانصراف إلى ما فى الحياة الدنيا من أعمال مثمرة ملموسة. وما أخطأ هذا الظن وأخطره على مصير مجتمعنا. فما هو العلم؟ هل يقتصر العلم على تدريبنا لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب؟ أنا لا أنكر أن العلم قد نستفيد منه و نستعين به فى مشاريعنا الفنية، ولكن أهى هذه الغاية من العلم؟! أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية؟! إذن، للعلم غاية سامية يرمى إليها صاحبه هى غير الأعمال الآلية المادية.

ويتساءل الدكتور أحمد سوسة عن الغاية من العلم، فيقول:

– وما هى هذه الغاية؟ إن الغاية المهمة من العلم الراقى فى نظرى هى تنبيه حس الطموح فى صاحبه إلى استكشاف الحقائق والتدقيق والتمحيص، سواء فى مجالات التفكير الروحى المعنوى أو فى منطقة الأعمال الملموسة لإدراك هذه الحقائق وإذاعتها، فيستفيد منها المجتمع فى سبيل التعاون والتعاضد، للنهوض بالإنسانية إلى أسنى درجات الكمال.

هذا ما كتبه الدكتور سوسة، فى مقدمة كتابه «فى طريقى إلى الإسلام».

وفى الآونة الأخيرة، طالعتنا صحيفة «القبس» الكويتية الغراء، بمقابلة نشرتها مع الدكتور سوسة تحت عنوان: اليهود دوّنوا فى بابل تاريخًا مزيفًا وتوراة مزيفة، ولا أصل لهم لا فى العراق ولا فى فلسطين. ثم يقول:

حضارة العرب تعود إلى ما قبل ٢٠ ألف سنة، وهم أول مَن أسّس الزراعة الاصطناعية فى العالم.

وقبل أن ندخل فى تفاصيل ما ذكر الدكتور سوسة عن اليهود والتاريخ، نودّ أن ننقل

المزيد عن قصة إسلامه. فعندما سُئل عن نظرته إلى اليهود في الإطار الإسلامي، قال:

- منذ الصغر كانت تدور في ذهني قضية الأديان، وكنت أتعجب لهذه الاختلافات وأنا في محيط مسلم وأصدقائي مسلمون. فلماذا مسلم ومسيحي ويهودي؟ وكانت هذه الأمور تشغلني و أنا من عائلة يهودية الأصل، وقد أسلم قسم من أفراد هذه العائلة. وبعد أن عكفت مدة على الدراسات الدينية توجهت إلى الأزهر الشريف في مصر حيث درست هناك فترة من الزمن. وانتهت تلك الحيرة، إذ أعلنت إسلامي بعد إيمان وفهم عميقين.

العرب واليهود في التاريخ :

لقد بدأ هذا الحوار مع الدكتور سوسة، في داره التي تضم مكتبة تُعتبر من أندر المكتبات الخاصة في بغداد. وكان السؤال التالي للدكتور سوسة حول كتابه المعروف «العرب واليهود في التاريخ» وماذا عنه؟ يقول الدكتور سوسة:

- خلال دراساتي وأبحاثي، وجدت أن الصهيونية تستند على الدين اليهودي في المطالبة بفلسطين، فتزعم أن التوراة قد منحتهم أرض فلسطين من ربهم «يهوه» لتكون وطنًا لشعبه المختار. وعلى هذا الأساس يزعم اليهود أنهم يمتلكون الحق المقدس لاحتلالها بالقوة، وطرد سكانها وأصحابها الشرعيين، بل إبادتهم، ليستقروا هم فيها. وهذا ما تنفذه الصهيونية استناداً لذلك الزعم الباطل.

ثم يستطرد في الحديث عن هذا الزعم، فيقول:

- ولما كان هذا الزعم يستند على التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم، وهي التي كتبها الحاخامون في بابل في وقت لاحق تحقيقًا لأغراض سياسية معينة، فلابد من تفهم تاريخ التوراة على حقيقته، مَن دَوَّنها؟ وكيف ومتى دُوِّنت؟ وما هي الأهداف الرئيسية من تدوينها؟ لقد أوضحت من خلال كتابي: «العرب واليهود في التاريخ» زيف الصهيونية واستنادها إلى التوراة التي هي أصلا محرَّفة ومدوَّنة حسب رغباتهم وأهوائهم وأطماعهم، وليست هي التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، بل أضافوا إليها وحرَّفوا فيها كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم نفسه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ

الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ويمضى الدكتور سوسة في حديثه عن التوراة المحرَّفة الموجودة بين أيدى الناس اليوم، وما أعد من دراسات لكشف زيفها وبيان عوارها ، فيقول:

- هذه الدراسات، كما يرى معى كثير من العلماء والمؤرخين، جاءت رداً ولطمة كبيرة لفضح زيف الصهاينة وبطلان ادعاءاتهم. فأرض فلسطين عربية إسلامية وستبقى كذلك إن شاء الله مهما طال أمد الاحتلال الغاصب.

نعود إلى الدكتور أحمد سوسة لنسأله عن قصة الحضارة العربية؟ فيجيب على هذا السؤال بقوله:

إن دراسة تاريخ العراق القديم قادتنى إلى دراسة تاريخ الأقطار العربية جميعها ، ومنها فلسطين، البلد العربى العريق فى تاريخه، فقد درست الحضارة العربية القديمة كيف نشأت؟ ومتى بدأت؟ وأين؟ فتوصلت فى دراستى إلى الكثير حول هذا الموضوع:

إن حضارة العرب قديمة وعريقة جداً تعود إلى ما قبل عشرين ألف سنة قبل الميلاد ، فجزيرة العرب التى كان مناخها حينذاك غير ما هو عليه الآن، كانت تمر بالعصر الجليدى الأخير الذى يتميز بالأمطار الغزيرة، وكانت الوديان الموجودة الآن فى الجزيرة أنهاراً تجرى فيها المياه طيلة مواسم السنة، ولهذا بدأت الحضارة فى الجزيرة، وكان العرب أول من أسس الزراعة الاصطناعية فى العالم، وهم أول من استعمل وسائل اصطناعية للرى والإرواء.

ثم يقول: وبانتهاء الدور الجليدى جاء دور الجفاف الذى اضطر أهالى الجزيرة إلى الهجرة فنقلوا الحضارة منها وهاجروا إلى الهلال الخصيب حيث وجدوا الأنهر، وعلى

الأخض وادى الرافدين، فاستقروا هناك مؤسسين أول امبراطورية سامية فى العالم، وهى الإمبراطورية «الأكادية» ثم تلتها الأمبراطورية «الأشورية» «والكلدانية»، وهؤلاء كلهم عرب هاجروا من الجزيرة. ثم جاءت الإمبراطورية العربية الإسلامية التى نقلت حضارة العرب المسلمين إلى أنحاء العالم.

تعليق المؤلف:

وقبل أن نمضى فى هذا الحديث مع الدكتور سوسة نقول: بأن الإسلام وجد العرب فى حالة من التخلف والتفكك لا مثيل لها، وأنهم قبيل ظهور الإسلام لم تكن للعرب حضارة، وإنما كان الفضل ولا يزال للإسلام العظيم الذى حول العرب من بدو رحل يقتل بعضهم بعضًا بالثأر، الذى استمرت حروبه بينهم عشرات السنين، ويأكل القوى فيهم الضعيف، جاء الإسلام فأحال العرب من هذا الوضع الشائن إلى أمة موحدة متحابة حملت النور والهداية والحضارة الإسلامية إلى الناس كافة، وهذا هو فضل الإسلام على العرب. لأن العرب لم يعزوا إلا بالإسلام إذ لم يكن لهم ذكر قبله. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

تاريخ اليهود:

بعد هذا التعليق الذى لابدَّ منه سئل الأخ الدكتور أحمد سوسة عن حقيقة اليهود فى التاريخ فقال:

لقد دون اليهود أثناء الأسر فى بابل تاريخًا زائفًا لأهلهم ذكروا فيه نسبهم وصلتهم بالأقوام الآخرين وبالعالم القديم، وحرروه وفق أهوائهم ورغباتهم الدنيوية ونزعاتهم الدينية، وقد قبل العالم مع الأسف هذا الزيف، وظل الباحثون والكتّاب يرددونه وكأنه حقائق تاريخية حتى ظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة فكشفت للناس زيف الادعاءات اليهودية كحقهم فى أرض العرب، وما إلى ذلك من الادعاءات الوهمية، وهذه المدونات المكتشفة تسجل أحداثًا بلغات الأقوام القديمة التى عاصرت تلك الأحداث ذاتها كالسومريين، والأكاديين، والكنعانيين، والفينيقيين، والحيثيين وأهل بابل، والأشوريين، والكلدانيين، كل ذلك قبل تدوين التوراة بعدة قرون. وهذه المراجع تزودنا بالمعلومات والبيانات التى كانت تعوز من سبقنا من الباحثين للتوصل إلى بعض الحقائق

التاريخية عن العصور القديمة، والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى صلب الحقيقة الواقعة.

بعد ذلك يقول الدكتور أحمد سوسة، المؤرخ العراقى المسلم: ولا توجد حسب علمى أية دراسة علمية لتاريخ يهود العراق القديم، فالمصدر الوحيد الذى يعول عليه الباحثون هو ما يلقنه لهم الصهاينة عن تاريخ اليهود القديم، وهو ادعاءهم خلافًا للواقع التاريخى بأن العراق هو وطن اليهود الأصلى لأنهم هاجروا مع إبراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وكان عددهم أربعة آلاف نسمة ، وهكذا ربطوا نسبهم وأصلهم بإبراهيم وبالعراق، هذا فى حين أن المعلومات التى تركها لنا الأقدمون تدل على أن اليهود قد ظهروا فى العراق لأول مرة فى عهد الأشوريين بصفة أسرى فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد ، أى بعد عصر إبراهيم الخليل بألف ومائتى سنة، لأن إبراهيم الخليل ظهر حسب التقدير التاريخى الراجح فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. هذا ما يقوله الخبراء المحدثون.

ومن جهة أخرى يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٦- ٦٧].

لا قيمة للعرب إلا بالإسلام :

قيل للدكتور سوسة: ما الجديد فى أبحاثكم؟

فأجاب قائلاً: لقد أعددت بحثًا جديداً حول إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية، وهو بحث وثائقى يظهر مدى تطور حضارة العرب منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا.

لابد أن نكرر هنا أن الحرص على إبراز عظمة العرب قبل الإسلام هى دعوة ساذجة غير دقيقة علميًا ، إذا افترضنا حسن الظن، وهى دعوة خبيثة ماكرة إذا علمنا حقيقة النوايا التى تخطط من ورائها ، فالإسلام هو الذى أوجد العرب كأمة، صاروا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس. والعرب بدون الإسلام يعودون إلى مكانتهم المنزوية على هامش التاريخ. هذا ما يقرره الواقع وهو ما ينص عليه القرآن الكريم. وقد آن للعرب أن يعتزوا

بنسبهم ونسبتهم إلى مصدر عزهم ومجدهم، وهو الإسلام ولا داعى لإضاعة الوقت والتنقيب فى الحفريات البالية. فالحاضر خير شاهد.

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨].

نعود الآن للدكتور أحمد سوسة الذى يقول:

تلقيت دعوة للمشاركة فى المؤتمر العلمى عن تاريخ الجزيرة العربية تقيمه جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية فى الربيع القادم. وقد بعثت بخلاصة بحثى للمؤتمر على أن أبعث التفصيل الوثائقى من البحث بعد انتهاء طبعه ليوزع على المؤتمرين من كل الأقطار العربية، كما وجهت لى دعوة من المؤسسات العلمية لزيارة تونس.

حياته الخاصة :

بعد ذلك سئل الدكتور سوسة عن حياته الخاصة فقال:

كنت متزوجًا من أمريكية، ولكنها مع إخلاصها وتعلقها بى لم تستطيع البقاء ومرضت، فطلبها أهلها فأخذتها إليهم، وكان لى منها طفل اسمه «جميل».

وهناك فى أمريكا قررت العودة إلى العراق مهما كانت الظروف لأنى وجدت الابتعاد صعبًا، وعدت.

هذا قبل إسلامك، فماذا بعد أن أسلمت؟

قال الدكتور سوسة جوابًا على هذا السؤال:

بعد أن أسلمت تزوجت من فتاة تنتمى إلى عائلة متدينة وعشنا معًا مدة ١٦ عامًا، لم نرزق خلالها بأولاد، ثم رزقنا بفتاة أسميناها «عالية» التى تتهيأ الآن لمناقشة أطروحتها للدكتوراه فى جامعة السوربون بباريس وعنوانها: «العراق من عام ١٩٢٢م إلى ١٩٣٩» وهى دراسة اجتماعية وسياسية باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وعالية الآن (١٩٨٠م) مدرسة فى جامعة بغداد لتاريخ الشرق الأدنى الحديث، وهى أيضا عضوة عاملة فى اتحاد المؤرخين العرب.

كما رزقنا بولد اسمه (على) وهو موظف بالشركة العراقية التجارية.

ثم يختتم الدكتور أحمد سوسة حديثه بقوله:

إننى أميل الآن إلى الراحة، أكثر من ذى قبل، بحكم سنى، وكلما شعرت بالتعب أذهب إلى منزل صغير لى فى الجبل، حيث أستريح فترة لأستعيد شيئًا من النشاط يساعدنى على الاستمرار فى العمل والبحث.

نتمنى للدكتور سوسة أن يختم الله له بالخير إنه سميع مجيب، ونشكر «القبس» الغراء على هذه المقابلة الجيدة، وإلى اللقاء.

❁ ❁ ❁

فـرنسـا :

٧٦- الدكتور على سلمان بنوا

نشرت مجلة «إسلامك ريفيو» الصادرة فى انجلترا فى عددها الصادر فى شهر مايو ١٩٥٤ القصة التالية عن مهتد جديد إلى الإسلام من فرنسا وهو الدكتور على سلمان بنوا. يبدأ الدكتور (على) قصته بقوله:

بـداية القصة :

لما كنت طبيباً بحكم المهنة، ومن أسرة فرنسية كاثوليكية، فإن هذه المهنة ذاتها قد منحتنى ثقافة علمية رصينة مما جعلنى بعيداً عن الحياة الصوفية الروحية، وليس معنى ذلك أننى لم أكن أؤمن بالله الواحد الأحد خالق هذا الكون، ولكن المبادئ والطقوس التى لاحظتها فى ديانتى لم تكن تشعرنى بوجوده، وهكذا فإن إحساسى بوحدانية الله، الخالق الوحيد للكون قد حال دون تقبلى لمبدأ (التثليث، والاعتقاد بألوهية عيسى) المسيح عليه السلام.

ثم يضيف الدكتور على سلمان بنوا، المسلم الفرنسى قائلاً:

وَحدانية الله تعالى:

وهكذا فقد كنت أؤمن بالقسم الأول من الشهادتين وهى «أشهد أن لا إله إلا الله دون أن أعرف شيئاً يذكر عن الإسلام، وكذلك آمنت بكل ما تقرره السورة رقم ١١٢ من القرآن وهى قول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص].

وهكذا تمسكت بالإسلام - بادئ ذى بدء - لأسباب وراء الطبيعة، ولكن أسباباً أخرى أيضاً دفعتنى إلى ذلك، فعلى سبيل المثال:

كنت أرفض ما يزعمه الرهبان لأنفسهم بأنهم يملكون صلاحية الغفران للذنوب نيابة عن الله سبحانه وتعالى.

كما أننى لم أستطع أبداً أن أتقبل مبدأ العشاء الربانى وهو الخبز المقدس الذى يرمز إلى جسد السيد المسيح عليه السلام، وهذا من الطقوس التى بدت لى بأن لها علاقة بالطقوس الوثنية التى كان يؤديها البدائيون من بنى الإنسان الذين يعتقدون أنه لابد من أكل المعبود التقليدى بعد وفاته من أجل تقمص شخصيته.

طهارة الروح والجسد:

ويمضى الدكتور على سلمان فى شرحه للدوافع التى هداه الله بها إلى الإسلام بعد أن هجر الدين الذى وجد فيه نفسه عند ولادته فيقول:

وناحية أخرى جعلتنى أترك دينى السابق الذى ولدت فيه هو سكوت هذا الدين سكوتاً تاماً ومطلقاً عن النظافة الجسدية، وعلى الأخص قبل أداء الصلاة، فقد أحسست دائماً أن هذه من المخالفات والاعتداءات على حرمات الله.

وقلت لنفسى: إذا كان الله سبحانه وتعالى قد وهبنا الروح، فإنه قد أعطانا أيضاً الجسد الذى لا يحق لنا بأى حال من الأحوال أن نهمله، بل علينا أن نعنى بنظافته وطهارته.

تعليق من المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦].

من هذه الآية الكريمة نفهم أن أساس الصلاة والعبادة بصورة عامة فى الدين الإسلامى النظافة أو الطهارة، النظافة الحسية، والطهارة المعنوية والروحية، وهذه فى الحقيقة هى إحدى خصائص هذا الدين العظيم المميزة له عن سائر الأديان. وقد يتبادر لسائل أن يسأل فى هذا المقام: ولماذا كانت الطهارة شرطاً للصلاة فى الإسلام؟ وقد يبدو لأول وهلة أن هذا سؤال وجيه. ولكننا إذا تأملنا الحكمة من الوضوء نجد أنه بالإضافة إلى أنه أمر من الله سبحانه وتعالى لابد من طاعته وامتثال أمره، نجد أنه له فوائد جمة. منها أن

الوضوء قبل الصلاة يومىء إلى أن الصلاة ليست عملاً اعتباديا يؤديه الإنسان كيفما اتفق، بل هو عمل ذو بال يستلزم نقاوة الجسد وطهارته هو والملبس والمكان الذى تقام فيه الصلاة، كما أنه يستلزم نقاء الشعور والإحساس. يروى أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان إذا أقبل على الوضوء ترتعد فرائصه لإحساسه بأنه يستعد للوقوف بين يدى الله سبحانه وتعالى.

هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فإن استخدام الماء فى عملية الوضوء قبل الصلاة يجعل المسلم فى قمة النشاط فى جسمه وعقله، وهكذا بكون المسلم بعد القيام بالوضوء فى أحسن حال من التنبه واليقظة وهما لازمان لكل عبادة لله سبحانه، وهكذا كان رسول الله ﷺ يحض على الوضوء قبل كل صلاة، فهذا من سنته ﷺ، فإذا تذكرنا أن المسلم يؤدى خمس صلوات كل يوم؛ نجد أنه يغسل وجهه ويديه وقدميه ضمن عملية الوضوء، خمس مرات يومياً، فهل هناك وسيلة أفضل من هذه لتحقيق النظافة؟!.

كذلك، لابد أن نتذكر هنا أن هذه النظافة والطهارة ليست مجرد طهارة حسية أو جسدية، بل هى كذلك طهارة روحية وجسدية فى آن واحد. فالرسول ﷺ يقول: «الطهور شطر الإيمان».وفى حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: أرأيتم لو أن نهراً عند باب أحدكم، يغتسل منه خمس مرات كل يوم، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا. أو كما قال رسول الله ﷺ. فهذه لعمرى هى صفة مميزة لهذا الدين لا تكاد توجد فى أى دين آخر.

عود إلى قصة المسلم الجديد :

وبعد هذه الكلمة التى لابد منها عن أهمية الوضوء فى الإسلام، نعود إلى الدكتور على سلمان بنوا المسلم الفرنسى الذى أعجب بالنظافة والطهارة كمبدأ أساسى فى الإسلام بعد أن قارنه بغيره فلم يجد مثيلاً له فى ديانته يضيف الدكتور على قائلاً:

إن هذا السكوت عن طهارة الجسد نجده أيضاً فى الأديان الأخرى غير الإسلام، بل يخالطه كذلك شعور بالعداوة فيما يتعلق بالحياة الجسدية للإنسان. بينما اتضح لى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتمشى مع الفطرة الإنسانية.

القرآن معجزة الدهور

بعد هذه الملاحظة المهمة التى أبداها الدكتور (على) نجده يتحدث بعد ذلك عن

القرآن الكريم على اعتبار أنه العامل الأساسي الذى أدى إلى اعتناقه الإسلام. يقول:

لقد كان القرآن هو العامل الأول الذى دفعنى إلى الإيمان بالإسلام. فقد بدأت بدراسته قبل إسلامى، بروح ناقدة فاحصة وكما هو موقف رجال الفكر الغربيين، وإننى مدين كثيراً للكتاب الرائع الذى ألفه الأستاذ المرحوم مالك بن بنى بعنوان «الظاهرة القرآنية» وهو بالفرنسية[1] إذ أنه اقنعنى بأن هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى، فالكتاب يتضمن صفحات رائعة وخاصة فى الفصل الذى أطلق عليه الأستاذمالك بن بنى «المصادفات» حيث يبرهن أن هناك آيات معينة من كتاب الله تعالى، الذى أنزل على محمد قبل ثلاثة عشر قرناً ونيف، تطابق تماماً أحدث النظريات التى توصل إليها الباحثون والعلماء فى عصرنا الحاضر، وهذا أقنعنى بالقسم الثانى من الشهادتين وهو أشهد أن محمداً رسول الله.

أعلنت إسلامي :

ثم يختم الدكتور على سلمان بنوا اعترافاته اللطيفة بقوله:

وهذا هو السبب الذى جعلنى أقدم نفسى فى يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٣ إلى المركز الإسلامى فى باريس وأعلنت إيمانى بالإسلام، وقام مفتى المسجد بتسجيلى رسمياً من المسلمين، ومنحى اسماً إسلامياً هو (على سلمان) وهو مركب من اسمين لصاحبيين جليلين أحببتهما وهما: على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه، ابن عم رسول الله ﷺ ورفيقه فى الجنة ، وزوج ابنته السيدة فاطمة. أما الاسم الثانى فهو سلمان تيمناً بسلمان الفارسى المستشار المسلم للرسول ﷺ والذى أقبل من بلاده فارس طوعاً ليعلن إسلامه. لقد كان سلمان واحداً من عدد من المستشارين عند رسول الله ﷺ وكانوا يجيدون اللغات الأجنبية. فسلمان يعرف الفارسية، وصهيب الرومى كان يعرف اللغة الرومية - اللاتينية - وبلال الحبشى كان يعرف لغة الأحباش. وهذا يشير إلى طبيعة هذا الدين العالمية.

يقول الدكتور على سلمان:

اننى الآن سعيد جداً بدينى الجديد، وأننى أعلن مرة أخرى: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

---

(١) ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عبد الصبور شاهين.

أمريكا :

٧٧- السيدة جين اليعقوبى

ضيفنا هذه المرة من أمريكا. إنها السيدة جين اليعقوبى التى كتبت خطاباً عاجلاً إلى إخوانها المسلمين القادرين تطلب فيه مساعدتها بمنحة دراسية لإكمال رسالة (الدكتوراه) وهى سيدة لامعة تريد أن تخدم الإسلام من خلال تخصصها الأكاديمى. ولنستمع إلى ما تقوله فى رسالتها.

رسالة :

تقول: أنا أمريكية مسلمة، أسلمت قبل ست سنوات، وإننى أحمد الله سبحانه وتعالى أن هدانى إلى الصراط المستقيم الصراط الوحيدة للبشرية، وهو الإسلام.

طالبة الدكتوراه :

ثم تتحدث عن مشكلتها التى تحتاج من أجلها المساعدة من إخوانها المسلمين القادرين فتقول: أنا طالبة فى قسم (الدكتوراه بجامعة كولورادو) قبلت بعد صراع دام عدة سنوات مع العناصر المعادية للإسلام فى القسم المذكور فقد حاولت تلك العناصر الحيلوله دون قبولى لأسباب خلاصتها أننى مسلمة ليس إلا، وقد حصلت على درجات ممتازة ونلت درجة (الماجستير) مع مرتبة الشرف، وأنا الآن فى سبيل دراسة الدكتوراه، وآمل أن اكتب بحثى عن الإسلام، وعلى الرغم من حماسى الشديد لإكمال دراستى وتعليمى فإننى أحسّ أن النفقات المالية الضخمة التى تستلزمها هذه الدراسة أكبر مما احتمل بكثير، فقد ارتفع مستوى المعيشة وتكاليفها إلى درجة لن تمكنى من مواصلة تعليمى ما لم أحصل على مساعدة مالية لتغطبة مصاريف الجامعة والحياة اليومية.

الإسلام هو البديل الوحيد :

وتمضى الأخت جين اليعقوبى فى شرح مشكلتها فتقول:

وإنه من العسير عليَّ، بل من المحال أن أحصل على منحة دراسية هنا في أمريكا. لذلك ها أنذا أتوجه إلى إخواني المسلمين طالبة منهم العون لأختهم في الإسلام. فأنا أول سيدة أمريكية مسلمة من ذوات البشرة البيضاء أواصل تعليمي لنيل إجازة الدكتوراه في العلوم السياسية، وسوف أكتب عن الإسلام في بحثي باعتباره البديل الوحيد أمام العالم وأمام أمريكا اليوم.

ثم تختم الأخت الأمريكية المسلمة خطابها قائلة:

إذا استلزم الأمر أرجو إرسال خطابي هذا إلى جهة الاختصاص التي تقدم لي منحة دراسية كاملة، وهذا طلب عاجل جداً حيث أنني سأبدأ دراستي في هذا الشهر سبتمبر ١٩٧٩. وسوف يكون تفهمكم لمشكلتي ومساعدتي عليها اعظم الأثر في نفسي. وتجدون طيه كافة الأوراق والوثائق اللازمة لإثبات ما أقول.

بهذه الكلمات تختم الأخت جين اليعقوبي رسالتها المؤثرة التي تخاطب بها ضمير كل مسلم غيور. وعنوانها الكامل هو (ص ب ٤٠٩٤ بولدر - كولورادو أمريكا) لمن أراد التبرع لها لتمكينها من الدفاع عن الإسلام من الثغرة التي تقف عليها، وحتى تثبت على قدميها، وتحس بالأخوة الإسلامية الحقة بين المسلمين. ولعل من المناسب في هذا المقام أن ننقل ما كتبه عنها أساتذتها المشرفون على دراستها في مراحلها الجامعية المختلفة فهي خير شاهد على صحة ما قالته هذه الأخت.

تزكيات وتفوق :

١- أما التزكية الأولى فقد صدرت عن الدكتور فيليب ميور، بجامعة كولورادو الذي كتب في ملفها السري قائلا: لقد كانت جين تلميذتي في علم النفس التربوي قبل تخرجها، وذلك في عام ١٩٧٤. وقد عرفتها جيداً، وأحب أن أبين أولاً وقبل كل شيء أن انجازها العلمي كان جيداً جداً. فهي طالبة مجتهدة، تشعر بالمسئولية، ناضجة، ولا ريب أنها تتمتع بملكه عقلية ممتازة، كذلك وجدت أنها شخصية مخلصة، عظيمة الاهتمام بتطوير تربية الأطفال، فهي تكشف عن اهتمام صادق بالطفل كفرد، وهي تتمتع بإحساس إنساني قوى أثناء أدائها لعملها مما سيكون له أثره الفعال في إجادتها لمهمتها كمدرسة، وبالإضافة إلى ذلك فهي شخصية قديرة

للغاية، وتتمتع بقيم ذاتية قوية، إلا أنها مستعدة للتفاهم والتعايش مع من يخالفها.

٢- أما التزكية الثانية فتصدر عن الدكتور كورتيس مارتن، الأستاذ في قسم العلوم السياسية بجامعة كولورادو والذى كتب، يقول:

لقد بقيت لمدة ثلاث سنوات كاملة مرشداً للسيدة جين اليعقوبى إذ كانت طالبة فى جميع الفصول التى علمتها، لذلك فأنا واثق من حكمى على مؤهلاتها ومقدراتها العلمية، فالسيدة جين عالمة ممتازة فى ميدان العلوم السياسية وتتمتع بكفاءة خاصة فى مجال السياسة، ويشير سجلها أنها طالبة جيدة جداً، أضف إلى ذلك أنها تجيد اللغة الإنجليزية، وتتمتع بخيال خصب حين تعالج الموضوعات الموكولة إليها، ولديها أفكار جيدة عن موضوعات عديدة. إلا أنها مستعدة دائماً لتغيير أفكارها إذا قدم لها الدليل الكافى على عكس ما تعتقد وأتوقع لها النجاح الكبير كمدرسة وكباحثة.

٣- ثم ننتقل إلى التزكية الثالثة، وهى من جمعية الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا فرع كولورادو التى تقول: نشهد بأن جين اليعقوبى مسلمة من حيث المعتقد حسب الإعلان الذى صدر عنها فى التاسع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٧٣م. هذه الشهادة موقعة من رئيس لجنة العلاقات الدينية بالجمعية وشهادة اثنين من المسلمين.

٤- نأتى الآن إلى التزكية الرابعة من السيدة كونى ستل جى، عضو الكلية التى كانت تدرس فيها السيدة جين. تقول السيدة كونى:

لقد وجدت جين ممتازة ومتفوقة حقًا أثناء عملها فى المؤسسات الاجتماعية، فهى تحسن التعبير عن رأيها، مرهفة الإحساس سريعة الفهم، بليغة. وقد أبدت الكثير من النضج والذوق والمواقف الواقعية وهى صفات لا تجدها كثيراً بين صغار السن من أمثالها، فهى تفكر وتتصرف بشكل مستقل، وتحسن الاختيار بعد تفكير كاف فى المشكلات التى تعرض لها.

وتضيف الأستاذة قائلة: لقد وجدت جين شخصية يمكن الاعتماد عليها تشعر

بالمسئولية في أداء مهماتها. كما أن شخصيتها وإيمانها بعملها يمنحانها فرصة أفضل للنجاح، إنني أزكيها دون أي تحفظ وأشعر أنها ستكون مرجعاً في أي موقع تشغله.

٥- وأخيراً تأتي تزكية أخرى من البروفسور بولس إياد الأستاذ بجامعة كولورادو الذي أعطى الشهادة التالية عن السيدة جين. يقول: إن السيدة جين اليعقوبي طالبة متحمسة تحب العلم من أجل العلم، إنني أجد فيها مقدرةً فكيرة وتحليلية تمكنها من تناول أية مشكلة بكل موضوعية وتجرد وجد. وهي تلتزم بأي مشروع يوكل إليها ولا تستطيع أية عقبة أن تقف في طريقها أو تمنعها من تحقيق أهدافها السامية. فهي مجدة دقيقة في عملها حتى آخر لحظة، ويتبدى من عملها ومنجزاتها ما تتمتع به من كفاءة عالية وذكاء خلاق.

امتياز في اللغة العربية :

ثم يضرب الدكتور بولس إياد مثالاً على ما يقول، فيبين أن السيدة (جين) حضرت الفصل الأول من الدروس العربية فنجحت في الفصلين التمهيدي والمتقدم معاً، وحصلت على درجة امتياز فيهما، وكانت أحسن طالبة في الفصلين. وبدأت تتكلم اللغة العربية قراءة وكتابة ومخاطبة، ولم يقتصر اهتمامها على الدروس في الفصل، بل اتخذت من الفصل نقطة انطلاق لتوسيع فهمها للغة العربية وللظروف السياسية والاقتصادية والنفسية والثقافية للعرب وللشرق الأوسط وللعالم الإسلامي كذلك، وكانت بذلك كسباً كبيراً للفصول الدراسية التي شاركت فيها، وقد كنا نبحث في عدة مناسبات عدداً من القضايا الراهنة المتعلقة بدراسة (جين) فكانت تظهر أثناء تلك المناقشات خلفية جيدة من المعلومات حول شتى الموضوعات، وأبدت تفهماً أوسع للاتجاهات والتصورات المختلفة، وهي تحترم آراء الآخرين وتستمع اليها باهتمام، وتعبر عن رأيها الراجح بهدوء وثقة وبأسلوب أخاذ وموضوعية فائقة، وهي ودودة للغاية، محترمة، تملك مؤهلات القيادة.

وبعد هذه التزكيات حول دين السيدة جين اليعقوبي[1]، وتفوقها العلمي لم يبق إلا

---

(١) لم يكتب المؤلف قصة إسلام (جين) تفصيلاً، ولكن ما نقله يدل على شيء غاية في الأهمية، وهو: أن الذين يقبلون على الإسلام إنما هم غالباً من صفوة المثقفين والدارسين والباحثين .. إلخ.

أن يتحمس الأخوة الغيورون على دينهم لمساعدة هذه الأخت المسلمة التى تناشدنا باسم الأخوة الإسلامية التى تؤمن بها كى تتمكن من إكمال دراستها ونيل درجة (الدكتوراه) حتى تخدم من موقعها الإسلام والمسلمين، وأيم الله لو أن هذه الكفاءة عرضت على أعدائنا من دعاة المبادئ الأخرى لسارعوا إلى احتضانها وكسبها لعلمهم أنها تخدم قضاياهم الباطلة، فأحرى بنا ونحن دعاة حق أن نقوم بذلك، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

❊❊❊

أمريكا: ٧٨- علياء ستيرلنج

هذه هي قصة إسلام فتاة أمريكية ولدت وتربت في قلب المجتمع الأمريكي، في عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد، حيث لا تزال تعيش أسرتها في إحدى ضواحي واشنطن الراقية، إنها الآنسة (سندار ستيرلنج) أو علياء استرلنج كما تحب أن تدعى، لقد بحثت الأخت علياء عن الحقيقة بإخلاص فهداها الله إليها، بحثت عن الخالق جل جلاله، الرب الواحد، رب العالمين الذي لا يفرق بين الناس إلا على أساس ما يقدم كل منهم من عمل صالح فدلها على طريقه. وهي حيث تحدثك لا تتمالك من إبداء دهشتك لأنها تجيب بهلجة خليجية صرفة وكأنها قد ولدت تتكلمها.

شاطئ النجاة

تقول الأخت علياء عن قصة إسلامها:

لقد أسلمت لأني وجدت الإجابة عن السؤال المحير في الإسلام، ثم تضيف قائلة: وجدتُ في حوزة والدتي بعض الكتب عن اللغة العربية وعن الدين الإسلامي، كانت قد اشترتها منذ سنوات طويلة أثناء تواجدها في القاهرة، حيث كان جدي لأمي يعمل في السفارة الأمريكية هناك وتعيش معه اسرته ومنها والدتي. وبين هذه الكتب وجدت مصحفاً مترجماً إلى اللغة الإنجليزية، ومع أن الذي قام بترجمته مستشرق إنجليزي من الطراز التقليدي الحاقد الذي يحاول أن ينال من دين الإسلام الحنيف، فقد أدى إلى إثارة اهتمامي بهذا الدين.

وتضيف الأخت علياء استيرلنج قائلة:

بعد ذلك قرأت كتاباً عن إعجاز القرآن مما زاد اهتمامي بالإسلام، فذهبت إلى المركز الإسلامي بواشنطن كسائحة عادية، وهناك أخذت عدداً من المنشورات والكتيبات التي تشرح معنى الإسلام وتاريخه وسيرة الرسول الكريم ﷺ، فأخذت أقرأها، وكانت هذه هي البداية.

التوحيد في الإسلام :

وتمضي الأخت علياء في قصتها فتقول: لقد أجابت العقيدة الإسلامية على كافة الأسئلة التي كانت تدور في ذهني، وأنا الآن أومن بالإله الواحد لا شريك له، لقد عرفت أن الإسلام أساسه التوحيد، ولكن التوحيد في الإسلام لم أجد مثيلاً له في الأديان السماوية التي تربيت على معرفتها. فاليهودية مثلاً تنادي بالتوحيد ولكن حسب ما يقول أتباع هذه العقيدة فإن الرب الواحد عندهم قد اختص شعباً واحداً بالذات يفضله وهم اليهود الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار، وهذا ليس من المنطق في شيء، إذ كيف يفضل الله خالق كل شيء بعضاً من خلقه سواء أكانوا مسيئين أم محسنين على سائر الخلق؟ لم يستطع عقلي قبولَ هذا المنطق.

ثم تشير الأخت علياء إلى الديانة النصرانية فتقول: والديانة النصرانية هي بالفعل دين عالمي، إلا أن فكرة التوحيد فيها تثير أكثر من تساؤل، إذ كيف يكون عيسى بن مريم عليه السلام ابنًا لله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً؟ فهذا شرك بالله مناف تماماً لعقيدة التوحيد ومناقض لها من الأساس. ولذلك، فعلى الرغم من أن الديانة النصرانية هي دين الكثير من الشعوب والأمم إلا أنها لا يمكن أن تزعم بحق أنها تنادي بعقيدة التوحيد، وهنا يأتي الإسلام دون سائر الأديان الأخرى المنزلة ليكون بحق دين التوحيد الخالص لله رب العالمين. وهذا يجعله دين الناس جميعاً.

قلت للأخت علياء: حين اقتنعت بذلك ماذا فعلت. هل غيرت من خط سير حياتك وفقاً لاعتقادك الجديد أم ماذا فعلت؟ فقالت:

الواقع إنني بالرغم من أن قلبي كان مقتنعاً تماماً بذلك مطمئناً إليه كل الاطمئنان، إلا أنني تمهلت ولم أتخذ قراري إلا قبل عامين فقط حيث أعلنت إسلامي على الملأ.

تشويه الإسلام في الغرب :

ولقد واجهتني بعض الصعاب في البداية وخاصة أن مفهوم الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية مشوه جداً مع الأسف تماماً كما هي الصورة في الغرب، فمثلاً لا يعرف الغربيون أن الإسلام يدعو إلى التوحيد، ويجهلون تماماً حقيقة شخصية الرسول محمد ﷺ، فليس سراً أن طلاب المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية يدرسون في المرحلة

الإبتدائية وحتى نهاية المرحلة الثانوية أن الإسلام دين بدائى متخلف انتشر بالسيف وأن المنادى به - ويقصدون النبى محمد ﷺ - كان تاجراً غنياً... إلى آخر هذا الكلام الذى شبّتْ عليه أجيال هنا فى أمريكا. لذلك كان من الصعب جداً على أهلى وأصدقائى أن يتفهموا الخطوة التى أقدمت عليها. واعتقدوا فى مبدأ الأمر أنها نزعة عارضة سريعاً ما تزول وأنساها تماماً.

ثم تقول: ولكن بعد أن مر عامان ورأى الجميع من حولى أننى أصبحت أكثر تمسكاً بدينى، الذى أخذ يزيد إيمانى به كلما ازددت اطلاعاً ودراسة لتعاليمه، عندها بدأ الأصدقاء يسألون أسئلة جدية حول طبيعة الإسلام بعد أن كانت أسئلتهم السابقة مجرد محاولات استهزاء وسخرية.

وسائل للعلاج :

وعن الصورة المشوهة للإسلام فى الغرب سألت الأخت علياء عن رأيها فى كيفية تغيير هذه الصورة فردت على ذلك بقولها:

يجب أولاً: أن يكون هناك اهتمام حقيقى من جانب العرب والمسلمين المتواجدين بصفة دائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا فى اعتقادى غير متوفر الآن بصورة منظمة وشاملة. فوسائل الإعلام فى أمريكا مثلاً حساسة جداً تجاه الرأى العام الأمريكى، وردود فعله. وهذه نقطة تستغلها الحركة الصهيونية فى أمريكا. فإذا قامت إحدى الصحف بنشر مقال أو قامت محطة من محطات الإذاعة أو التليفزيون بعرض برنامج يهدد المصالح الصهيونية، فإن المكالمات الهاتفية لا تنقطع بل تنقض عليها من كل صوب، كما تنهمر آلاف الخطابات والبرقيات من كافة انحاء أمريكا على المسئولين فى الصحيفة أو محطة الإذاعة أو التليفزيون، هذا بالإضافة إلى توجيه شتى التهم حقيقية كانت أم مزورة للصحيفة أو محطة الإرسال المعينة مما يهدد كيانها ذاته.

وهنا تعقد الأخت علياء مقارنة بين هذا النشاط الصهيونى المتحفز وما يقابله على الصعيد الإسلامى فتقول: ولكن هذا المجهود الجماعى، والاهتمام المتيقظ لا يوجد مثله بين المسلمين مع الأسف تجاه القضايا الإسلامية المصرية ولا حتى القضايا العربية. وإذا كان ثمة نشاط أو اهتمام فهو لا يعدو أن يكون نشاطاً فردياً لا يمكن أن يحقق تأثيراً

يذكر، وأعتقد أن اللوم هنا يقع على المسلمين والعرب الأمريكيين وغيرهم من الجماعات الإسلامية في أمريكا. فلو أن كل فرد أو جماعة من هؤلاء قام بإرسال خطاب احتجاج، أو أجرى مكالمة هاتفية كلما نشر شيء يسيء للإسلام والمسلمين، لو تم ذلك بصورة منظمة لتغيرت الصورة تماماً، ولتحسنت فكرة الغربيين كثيراً عن الإسلام والمسلمين وعن القضايا العربية والإسلامية بشكل عام، عما هي عليه الآن.

العربية لغة القرآن :

وأخيراً سئلت الأخت علياء عن قصتها مع اللغة العربية وكيف تم لها إتقانها بهذا الشكل المعجب؟ فأجابت بقولها:

منذ الصغر وأنا اهتم، وأملك القدرة علي تعلم اللغات الأجنبية، ففي المرحلة الابتدائية درست اللغة الفرنسية، وأتقنتها، وفي المرحلة الثانوية درست اللغة الأسبانية، أما اللغة العربية فقد بدأت قصة اهتمامي لها منذ خمس سنوات حين عثرت بين كتب والدتي التي أحضرتها من القاهرة على كتاب لتعليم اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، وحين سجلت في الجامعة لدراسة الطب سجلت أيضاً لأخذ بعض فصول اللغة العربية التي تدرس في نفس الجامعة بأمريكا، وقد أثارت العربية اهتمامي بشكل كبير مما جعلني أغير اختصاصي من الطب إلى اللغة العربية.

وأخيراً تقول الأخت علياء، معلقة على ظاهرة اتقانها للهجة الكويتية وكأنها ولدت كذلك: أما عن لهجتي الكويتية فقد شاركتني أخت كويتية كانت تدرس بواشنطن شاركتني السكن فترة من الزمن، فتعلمت منها هذه اللهجة، كما تعلمت منها أشياء أخرى كثيرة، فقد كنا نقوم معاً بإعداد الطعام على الطريقة الكويتية ونأكله معاً على الطريقة الكويتية كذلك.

تحية للأخت واعتزاز :

ولابد هنا من كلمة نحيي فيها إيجابية الأخت المسلمة الجديدة علياء التي شعرت بمسئولية كل مسلم في أمريكا تجاه قضايا الإسلام والمسلمين، والحق أن الإسلام يحض كل مسلم على القيام بواجبه، فكل واحد منا على ثغره على قدر المسئولية التي

يتحملها، ولو أ ن كل مسلم فى العالم، لا بل لو أن عشر المسلمين فى العالم فقط أحس بمسئوليته وقام بواجبه على قدر طاقته، لأصبح المسلمون اليوم أكبر قوة فى الدنيا، ومن هنا يعتبر مرض السلبية الذى يصيب الكثير من المسلمين اليوم آفة خطيرة يجب محاربتها والتخلص منها فى أسرع وقت ممكن. والله هو الهادى إلى كل خير.

ناحية أخرى تعتز بها الأخت علياء الأمريكية التى نشأت فى ظل عائلة أرستقراطية فى أرقى الأحياء الأمريكية، هذه الظاهرة هى شعورها بالسعادة وهى تتناول الطعام على الطريقة الشرقية، هذا الاعتزاز أيضاً هو ظاهرة صحية تستحق الإكبار والتشجيع، فعلينا كمسلمين أن نعتز بالحق الذى وهبنا الله إياه، وأن نعتبره خير ما فى هذا الكون، لأننا لن نتخلص من السلبية إلا بالاعتزاز بما فى أيدينا. عندها لن نستحى من الجهر بالحق والدعوة إليه علناً وعلى رؤوس الأشهاد.

حديث عن اللغة العربية :

نعود الآن إلى الأخت علياء التى انتهت من إعداد رسالة (الماجستير) فى الأدب العربى، والتى تقوم بتدريس اللغة العربية لطلبة الجامعة التى درست فيها - وهى إحدى الجامعات الأمريكية - تتابع الآنسة علياء حديثها عن العربية بقولها:

لقد أثرت معرفتى للغة العربية وساهمت فى فهم وتقدير الحضارة العربية بوجه عام، ففى العام الثانى من دراستى الجامعية ذهبت فى بعثة على حساب الحكومة الأمريكية إلى تونس، وكانت لغتى العربية آنذاك ضعيفة للغاية، هناك فى تونس وجدت العرب كرماء، واجتماعيين بشكل عام، وقد تحسنت لغتى كثيراً بفضل هذه الرحلات، كما تحسنت معرفتى للثقافة العربية، إذ أن اللغة كما هو معلوم هى الباب الذى يتعرف الإنسان من خلاله على شعب بأكمله، واللغة العربية لغة حية تملك تراثاً من الأدب العربى لا يقل عمره عن أربعة عشر قرناً، مما يجعلها واحدةً من أغنى اللغات وإننى حين أقوم بتدريس اللغة العربية للطلبة المبتدئين فى الجامعة أحاول التأكيد على هذه النقاط، والتركيز على رؤية قيمة اللغة من عدة جوانب، كمصدر للمعلومات حول حضارة العرب وكافة خصائصهم الاجتماعية.

القدوة العَملية :

وأخيراً قيل للآنسة علياء:

هل تعتقدين أن معرفتك بالأخوات والإخوة المسلمين قد أثرت على فهمك للإسلام واقتناعك به بنفس الطريقة التى أثرت معرفتك للغة العربية على فهمك لثقافة المنطقة وحضارتها؟ فأجابت تقول بصوت هادئ رزين وابتسامة لم تفارقها طيلة هذا الحديث:

لا. بل أستطيع أن أقول بأن العكس هو الصحيح. إذ أن اقتناعى بالإسلام واعتناقى لهذا الدين قد زاد مع ازدياد تعرفى علي الكثير من الإخوة المسلمين، فهناك الكثير من الإخوة المسلمين الذين يعتبرون أمثلة ممتازة وقدوة عملية للمسلم، وقد ساهم ذلك فى توكيد قوة إيمانى بالإسلام.

۞ ۞ ۞

فرنسا: ٧٩- عائشة

(جوان لابير - عالمة الذرة)

نأتى الآن إلى ضيفتنا فى هذه الحلقة وهى من فرنسا إنها الآنسة (جوان لابير) عالمة الذارة الفرنسية التى تحضر لنيل إجازة الدكتوراه فى هذا التخصص المهم. وقد تحدثت بإيجاز عن قصة إسلامها فقالت:

بداية القصة

لقد قررت أن اعتنق الإسلام من خلال بحوثى ودراساتى العلمية والإسلامية. وعندها قررت أن أتعلم اللغة العربية، فبدأت فى دراستها حتى أتقنتها فى وقت قصير. ثم توجهت إلى مصر حيث أعلنت إسلامى على يد شيخ الجامع الأزهر. ومنذ ذلك اليوم سميت نفسى باسم إسلامى هو (عائشة).

قيل للأخت جوان لابير: إنك فى اختيارك للإسلام قد سلكت طريقاً مغايراً تماماً للميول الاعتيادية للشباب الغربى الذى يميل إلى الإلحاد واللادينية. فما هو تعليقك على ذلك وما تفسيرك له؟ فقالت:

إن الإسلام هو خير دين يأخذ بعين الاعتبار مصلحة الشباب، ويضع الحلول الناجعة للمشكلات التى تواجههم فى حياتهم، فنحن كشباب فى الغرب نرفض (رومانسية) الدين، وكذلك الأوضاع المادية الراهنة، والمخرج الوحيد من هذا المأزق المعقد الصعب لا يتم إلا بالإيمان بالله الواحد الأحد. فقد بلغ شبابنا فى رفضه لقضية الإيمان بالله حداً جعلهم يسقطون تماماً كما سقط إبليس. وقليل جداً منهم أتيحت له مثلى فرصة الإيمان، فرصة التأمل والبحث والدراسة التى هدتنى إلى حل تلك المعضلة بالدخول فى هذا الدين.

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران:١٩].. ويقول عز وجل: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ

وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣] ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأخيراً تختم الآنسة عائشة أو جوان لابير عالمة الذرة الفرنسية المسلمة حديثها عن إسلامها بقولها:

إن الغرب لا يعرف إلا القليل عن الإسلام، ومعظم ما يقال عن الإسلام فى الغرب لا يعدو أن يكون شبهات وأباطيل، لذلك فقد آن الآوان أن تقوم المراكز الإسلامية فى أوروبا، والعلماء المسلمون، بواجبهم لنشر الإسلام وإنقاذ البشرية من الضلال.

اللهم حقق هذا الرجاء، ووفق عبادك إلى خير ما تحب وترضى

✿✿✿

أمريكا:

٨٠- أمين عبد الغنى

هذه هى قصة إسلام عضو بارز من أعضاء الجالية المسلمة فى إنديانا بولس بالولايات المتحدة الأمريكية. إنه الأخ أمين عبد الغنى الذى يبدأ قصته بقوله:

الإيمان السلبي:

نشأت فى أسرة تلتزم تعاليم الكنيسة ولم يكن والداى من الأثرياء، إلا أنه كانت لنا دار نعيش فيها بأمان، وكنا نلقى الاحترام كأسرة فاضلة فى المجتمع من حولنا فكان أبى يعمل فى هيئة التدريس فى كلية لاهوتية. وبطبيعة الحال كان الجو من حولنا مفعما دائما بالمبادىء والقيم الدينية المسيحية، ولكننى وأنا أتذكر ذلك كله الآن أجد أن الخوف من الله والإحساس بوجوده كان غائبا عنا تماما.

أقوال بلا أعمال:

بعد ذلك يضيف الأخ أمين عبد الغنى، الأخ الأمريكى المسلم الجديد قائلا: وكنا نقطن فى الجنوب وهو معقل تقليدى للديانة النصرانية، فكنت أسمع كثيراً عن الحب النصرانى وغير ذلك من الفضائل، إلا إننى كلما نظرت من حولى وجدت أن هذه الفضائل ذاتها مفقودة من حياة الناس، فكان الحب النصرانى بلاغة لفظية ليس إلا، أكثر مما هو حقيقة واقعة، أما معبود الناس حقًا فهو العنصرية، فكنت أشاهد هذه الازدواجية فى حياتهم، وبمرور الزمن ازداد غضبى ونما مع الأيام حتى ضقت ذرعًا بتلك العنصرية المكشوفة، وهكذا بدأت أسير فى حياتى بلا معنى، وأتحرك بلا محور، بل كنت أبحث عن الملذات وانغمس فى مزيد من الشهوات الحسية. إلا إن شيئا ما كان يضايقنى ويقض مضجعى.

لابد هنا من تعليق ضرورى ونحن نستمع إلى الأخ أمين عبد الغنى، إذ أن الناس حين تفقد القدوة الطيبة والمثال الحسن تضيع فى المتاهات، فبنو آدم يتأثرون بالأعمال أكثر من الأقوال. فإذا تحدثت ألسنتنا عن فضائل مفقودة فى حياتنا، عندها يسقط كل شىء، ولا يبقى أى إيمان بالمبادىء والمثل ولو لحظة واحدة، هذا هو بيت القصيد.

قلق وسقوط :

نعود الآن إلى السيد أمين عبد الغنى فنجده يقول: لقد تخرجت من المدرسة العليا والتحقت بجامعة بيردو بإنديانا ولأول مرة فى حياتى أصبحت أعيش بعيداً عن منزل أسرتى. فشعرت بالقلق والاضطراب، بل حتى داهمنى شعور بالعداء لمن حولى، لقد أحسست أن شيئًا ما مفقود من حياتى، فتركت جامعة بيردو وأقمت لنفسى عملاً حراً خاصًا بى وأسميته : «السوق السوداء». كنت حينئذ متطرفًا وثوريًا إلى درجة أننى كنت على استعداد لإشعال النار فى العالم كله . وأدمنت على تناول المخدرات وتعاطى الجنس!!

ثم يضيف السيد أمين عبد الغنى معلقًا على الدرك الذى وصل إليه من السقوط والانحراف فيقول:

لقد مضت فترة قصيرة فقط كنت أظن خلالها أننى حصلت على ما أريد. إذ تهيأ لى آنذاك أن لى فلسفة أحيا بها، وأن لى أصدقاء على درجة كبيرة من شفافية الإحساس والرفعة فى نظرتهم إلى الحياة، كما حسبت أننى أمتلك حريتى، ولكن سرعان ما تبدد سحر ذلك كله وبهجته الزائفة، واكتشفت أن البغضاء ذلك الشعور السلبى لا يكفى أن يكون أساسًا للحياة، وما حسبت أنه حرية أخذ يثقلنى بنوع جديد من العبودية، وهكذا أخذت أتوق إلى العفة والطهارة، وإلى شىء إيجابى أقيم حياتى على أساسه، لقد اكتشفت أن كل ما حولى لم يكن سوى هباءً وحطامًا، وأن الثوريين يفتقدون الإحساس والمبادئ والأخلاق. لقد كانوا يحتاجون إلى الشعور بأنه لا مناص من الموت.

بداية الاستقامة :

ويستمر الأخ أمين عبد الغنى فى سرد مزيد من التفاصيل حول التغير الجذرى الذى حدث فى حياته فيقول: فى صراعى ضد العنصرية البيضاء كنت أعتنق العنصرية السوداء ولكن اكتشفت أن من الضرورى أن أجد حلاً أفضل.فشرعت فى إعادة دراسة الفروض الأساسية من حياتى، وهكذا اكتشفت أنها جميعًا كانت مغلوطة، وذات يوم دعانى بعض أصدقائى إلى احتفالات عيد الميلاد التى يقيمها السود، وهناك التقيت لأول مرة فى حياتى بالمسلمين، وهؤلاء كانوا مسلمين جداً اعتنقوا الإسلام مؤخراً،

وكانوا يرتدون الملابس التقليدية للمسلمين في الشرق، ودون أن يلتفتوا إلى تلك المناسبة وما يصاحبها عادة من روح المرح والبهجة عندما يلتقى الناس فى حفلات عيد الميلاد أخذ هؤلاء المسلمون الجدد يرتلون آيات من القرآن الكريم، وقد بدأ كل شيء غريبًا فى تلك المناسبة، إلا أن شجاعتهم وإخلاصهم أثرا فى نفسى كثيراً، بل إن بعض الحاضرين اعتنق الإسلام على أيديهم فى الحفل نفسه.

دراسة الأديان:

ثم يصف الأخ أمين تأثير ذلك الجمع فى حياته كلها فيقول:

لم يمض إلا وقت قصير على تلك الأمسية حتى هجرت عملى باشمنزاز، وتركت منزلى وتوجهت إلى (أفونز فيل بإنديانا). وهناك حصلت على عمل جديد، وفى ساعات الفراغ كنت أقوم بدراسة مقارنة للأديان. لم أكن أبحث إلا عن الحقيقة، فشرعت فى دراسة الهندوكية والبوذية. فوجدت فيها كثيراً من الفلسفة وقليلاً من الحياة، وحيث إننى كنت قد اطلعت على الإنجيل بحكم كونى نصرانيًا، فقد راجعته على عجل خلال تلك الدراسة المقارنة، فلم أجد تعاليمه موافقه للعقل والمنطق.

معجزة القرآن والأديان:

أما القرآن الكريم، فقد وجدته على العكس من ذلك تمامًا، وجدته واضحًا، صريحًا يخاطب العقل بأسلوب غاية فى المنطق. وذات يوم قدمنى صديق لى إلى جمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة، فكتبت إليها وطلبت بعض المؤلفات المبسطة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، وسرعان ما جاءت تلك المؤلفات، وبعد دراسة دقيقة لها دامت قرابة تسعة أشهر قررت أن أصبح مسلمًا.

وهنا يشير الأخ أمين إلى التغير الذى طرأ على حياته بعد أن أسلم فيقول:

عندما عدت إلى إنديانا بولس وجدت رفيقى الذى كان يشاطرنى غرفة السكن قد أسلم هو الآخر، فأدى ذلك إلى تقوية إيمانى وتثبيتى على دينى الجديد، ولكن كان علىّ أن أواجه مشكلة جديدة هذه المرة، فقد بدأت أعمل فى وظيفة لحكومة الولاية كخبير فى برنامج التنمية، وكان عملى يتطلب وضع برامج لتنمية الشباب، ولما كنت قد أطلقت

لحيتي عملاً بالسنة النبوية الشريفة، وهجرت الملابس الحديثة وانسحبت من المجتمع الأمريكي وتخليت عن مبادئه لذلك أصبحت إنسانًا منعزلاً تمامًا، وكانت الحكومة الاتحادية تدفع ملايين الدولارات لبرامج الشباب، فاكتشفت الكثير من حوادث النهب وكان البرنامج سيئًا في تطبيقه، وهكذا تعطلت عن العمل، وكانت زوجتي حاملاً في أشهرها الأخيرة، وكان انسبائي أهل زوجتي يكادون يجنون من الغضب لأنهم ظنوا أنني أجريت غسيل مخ لابنتهم. وهكذا فعندما رزقنا مولودنا الأول لم يكن أحد من أقاربنا يقف إلى جانبنا. ولكن الله بالإسلام منحنا القوة، وأعاد إلينا إحساسنا بالكرامة والعزة.

ضغوط وثبات :

وأخيرا سئل الأخ أمين عبد الغني عن التغيرات التي أحدثها الإسلام في حياته فقال:

لقد آمنت بعد إسلامي بضرورة كسب رزقي بطريق شريف، فأخذت أعمل في صبغ المنازل وأعمال الحدائق، وهذه أعمال لم أكن ارضى القيام بها قبل إسلامي، وقد أدى تغيير اسمي إلى تقلص فرص العمل أمامي، إذ سبب لي اسمي الإسلامي مزيداً من العداوات الغريبة، وذات مرة استخدمت اسمي القديم في طلب للعمل فحصلت عليه، وهنا بدت ذلك الشعور وحسبت أنه نوع من الوهم ولكن سرعان ما اقتنعت بوجوده حين طردت من عملي بسبب اسمي، ولكنني رغم ذلك كله معتز لكوني مسلمًا فالحمد لله على ذلك.

لقد دفع الأخ أمين الكثير من أجل إسلامه، فتحمله واحتسبه عند الله الذي لا تضيع عنده الودائع، وتقبله بكل هدوء وسكينة. وهو يختتم حديثه بقوله:

«في ثلاث مناسبات مختلفة تسلمت بطاقات مخالفات مرور، فعندما توجهت بها إلى المحكمة ووقفت أمام القاضي أمر بتغريمي ثلاثمائة دولار أمريكي، فأعربت عن دهشتي الشديدة لذلك حيث أن أقصى غرامة في مثل هذه المخالفات لا تزيد عادة على مائة وخمسين دولارا، فأخذت أعترض على ذلك وأناقش القاضي، فاستاء من ذلك وأمر بحبسي رهن التحقيق وتأديبًا لي على اعتراضي على قرار المحكمة، وفي المساء

عندما فرغت المحكمة من النظر في القضايا المعروضة عليها في اليوم نفسه أخرجت من الزنزانة ومثلت أمام القاضى فى المحكمة ثانية، فسألنى قائلا: هل أنت موافق على دفع الغرامة؟ ، «فأجبته قائلا : نعم. ولكن ليس ٣٠٠ دولار. لأن ذلك ليس من العدل، وهنا سجلت المحكمة ملاحظة ضدى مفادها أننى أبديت التمرد والعصيان، وأننى لا التزم بقوانين المجتمع ولا أؤمن بقيمه ومثله، وأننى غيرت حتى إسمى نفسه.

ثم يبين الأخ أمين كيف خرج من تلك الأزمة فيقول:

أخذت أمسح حبات العرق الذى أخذ يتصبب من جبينى ودفعت الغرامة وخرجت من المحكمة، ولكننى لم أشعر بالأسف على ما حدث لى أبداً. فأنا سعيد بإسلامى حتى ولو غيرت مجرى حياتى كلها، فإننى أفضل أن أكون مسلمًا وأن أظل مسلمًا .اهـ.

تعليق المؤلف:

يقول الأستاذ سيد قطب فى تفسيره «فى ظلال القرآن» خاطرة لطيفة يحسن أن نوردها هنا: إذا كان الموت فى سبيل الله وهو أمنية كل مسلم صادق، إذا كان أمراً يسيراً على المخلصين، فإن الحياة فى ظل الإسلام أمر صعب يحتاج إلى مكابدة النفس وجهادها، لأنها الجهاد الأكبر، والقتال فى سبيل الله هو الجهاد الأصغر. فالله أمتنا على هذا الجهاد وشرفنا للعيش فى ظلال القرآن.

❁❁❁

ألمانيا:

٨١ - السيدة إيفا ماريا

ضيفنا فى هذه الحلقة هو السيدة إيفا ماريا من ألمانيا الغربية. إنها تبدأ قصتها بقولها: عندما عرفت الإسلام لأول مرة كنت بعيدة كل البعد عن أى نوع من المعتقدات الدينية، وقد يكون مرد ذلك إلى أننى أنتمى إلى أسرة لم تكن مهتمة بالمسائل الدينية، كما قد يكون السبب أيضًا هو أن ديانتى المسيحية قد بدت لى غير واقعية على الإطلاق، وليس بمقدورها حل أى من المشكلات التى كنت أواجهها.

تحريفات البشر في الدين:

بعد ذلك تتحدث السيدة إيفا ماريا بمزيد من التفصيل عن هذه الناحية فتقول:

لقد وجدت بادىء ذى بدء أن صورة المعبود عند النصارى قريبة جداً منا معشر البشر، وقد أضيفت عليها صفات الإنسان إلى درجة لا تجعلها تنطبق على خالق كل شىء، كما أن صورة السيد المسيح عليه السلام التى يجمع فيها بين الإنسان وصفة الخالق، هذه الصورة لا يمكن تصديقها أبداً.

ثم تضيف قائلة: وإلى جانب ذلك فقد ورد بخاطرى أن الديانة المسيحية ليست إلا علاقة بين الإنسان وربه، ولا شأن لها بأى حال من الأحوال بشئون الناس الاعتيادية كالشئون المالية مثلا أو العمالة أو أى نوع من أنواع التقنين لحياة الناس، أضف إلى ذلك التوجيهات العامة، التى وجدت أنها عسيرة التطبيق. ومن ذلك مبدأ المحبة، محبة الإنسان لأخيه الإنسان، هذا المبدأ لا يمكن أن تطبقه جماهير الناس فى ظل العقيدة النصرانية.

الإسلام دين الحق الشامل:

وهنا تتحدث عن نقطة التحول فى حياتها فتقول:

هذه الأفكار التى كانت ترد بخاطرى وقعت إبان الفترة التى تسمى فترة تمرد الطلاب على الرأسمالية، فعندما بحثت هذه القضايا مع زميل مسلم أصبح فيما بعد زوجًا لى،

وجدت أن الإسلام قد وضع فى اعتباره كل هذه المشكلات، واهتم بها أعظم الاهتمام كمشكلة الاستغلال أو القوانين العامة الديمقراطية، وغير الديمقراطية ومشكلة المال والاقتصاد.. إلخ. فقد أوجد الإسلام الحلول المناسبة لكافة هذه المشكلات الدنيوية. وكم كان تأثرى عظيمًا حين علمت أن الإسلام يعترف بالإنسان باعتباره مخلوقًا له روح وجسد فى آن وأحد، كما أحببت مبدأ الاتصال المباشر بين الإنسان وخالقه دون أية وساطة من أى نوع بينهما، فقد شعرت أن من اللائق جداً للإنسان أن يخضع لخالقه فقط لا لأى أحد من خلقه!!

وتمضى السيدة إيفا ماريا فى قصتها فتقول:

كذلك شرح لى زميلى المسلم بأنه فى الإسلام لا يوجد أى فصل بين الدين والدولة، فاقتنعت بذلك تمامًا، حيث وجدت من الضرورى أن لا يقتصر الإيمان والاعتقاد الدينى على الشئون الشخصية فحسب، بل لابد أن يشمل كافة جوانب الحياة الإنسانية. وهذه صفة مميزة وخاصية فريدة للدين الإسلامى الحنيف. فهو لا يرفع شعار دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، بل على العكس من ذلك تمامًا إذ أن العبادة فى الإسلام لا تقتصر على المساجد بل تمتد لتشمل الحياة البشرية بأسرها

ضغوط الواقع وحياة المرأة:

بعد هذا البيان النير والفهم الصحيح لطبيعة هذا الدين تضيف السيدة إيفا قائلة:

عندما كنت أمر فى هذه المرحلة من تجميع المعلومات والقيام بدراسات دينية فقد صادفت بعض المصاعب والعقبات، وكان عسيراً على نفسى أن أتقبل القيود التى يفرضها الإسلام على المرأة، والتى ظننت خطأ حينذاك أنها تحد من حريتها الشخصية، وهذه على كل حال هى نفس الحرية والتسيب الذى اعتدت أن انتقده فى ديانتى السابقة، وهى حرية يساء فهمها واستخدامها فقد اكتشفت أن الفهم النظرى شىء والتطبيق العملى شىء آخر تمامًا، وأذكر هنا أن اللباس الإسلامى للمرأة كان فى البداية مشكلة كبرى بالنسبة لى، وأظن أن هذا ينطبق على معظم السيدات الألمانيات المسلمات. فإلى جانب الإحساس بعدم الارتياح والشعور بالحر الشديد والمرأة فى لباس كامل فى الصيف، فقد كان من العسير على أن أصمد أمام اسئلة التهكم والاحتقار

التي كانت توجه لي، وقد استمر ذلك حتى وفقني الله إلى الرد بإجابات كريمة ردت لي اعتباري أمام نفسي وأمام الناس، دون أن أحس بأنني قد أوذيت أو خدش حيائي.

يد الله مع الجماعة

وهنا تقول السيدة إيفا: ثم تعرفت على مجموعة من الشابات المسلمات، فكم كان تأثري عظيمًا لما لمسته بين أفرادها من حب وجو أخوي يسود بين الجميع، وهو جو يختلف تمامًا عما هو سائد بين أي جماعة عرفتها من قبل، فقد منحني الانضمام إلى هذه الجماعة الإسلامية إحساسًا بالسعادة والثقة، وهكذا اقتنعت أنني اتخذت القرار الصحيح حين أصبحت مسلمة، وقد كان ذلك الإحساس بمثابة تعويض مناسب لكل ما لقيته من عقبات نتيجة لهذا القرار.

ولدينا الآن اجتماع أسبوعي للمرأة المسلمة مع أطفالنا حيث نتعلم المزيد عن ديننا الإسلامي الجديد.

ثم تختتم السيدة إيفا ماريا قصتها بقولها:

لقد وقع اختياري على كتاب باللغة الإنجليزية بقلم الإمام وهبي إسماعيل إمام المسلمين الألبان في أمريكا، وهو عن سيرة النبي محمد ﷺ وترجمته إلى اللغة الألمانية. وهو مؤلف خصيصًا للطفل الألماني المسلم.

وبعد، فإن جالية إسلامية جديدة قد بدأت بالظهور في ألمانيا الغربية مكونة من الألمان أنفسهم إلى جانب الأتراك المسلمين المهاجرين إلى ألمانيا، هذه الجالية تحرص على تطبيق الإسلام والعيش في ظلاله، والسيدة إيفا ماريا عضو في هذه الجالية. سائلين الله أن يبارك في هذا الجمع الطيب.

✿✿✿

أمريكا :

٨٢ - بول ريتشارد هنز

نستضيف فى هذه الحلقة شابًا من أمريكا يدعى «بول رتشارد هنز» جاء إلى الكويت قادمًا من السعودية بعد أن أشهر إسلامه أمام الندوة العالمية للشباب المسلم فى الرياض، وحصل منها على شهادة بذلك، كما زودته ببعض الكتب الإسلامية، والسيد بول شاب فى الثلاثين من عمره يعمل «مهندس ميكانيكي» فى بغداد، وقد أبدى رغبة فى الزواج من فتاة عراقية مسلمة، فاشترط أهلها عليه أن يأتيهم بشهادة رسمية من إحدى الوزارات فى إحدى البلاد الإسلامية تثبت أنه مسلم، فلما قدَّم لهم شهادة الندوة رفضوها وقالوا له لا نعرف هذا الاسم، وهكذا جاء إلى الكويت وراجع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

قلت لأخى المسلم الجديد: هل تريد أن تسلم حتى تتزوج من هذه الفتاة العراقية؟ فقال مستنكراً. لقد أسلمت قبل أن أعرفها، ولكن أبى أهلها إلا أن آتيهم بشهادة رسمية فأنا الآن مسلم.

قلت له: لماذا أسلمت؟ فقال: لقد أحببت الإسلام لسببين: أولاً أنه دين يدعو إلى الإيمان بإله واحد لا شريك له، على العكس من الأديان الأخرى التى تشرك مع الله أحداً من خلقه، وتجعل بين الناس وربهم واسطة أما الإسلام فيدعو إلى عبادة الله وحده، دون أية واسطة. كما أحببت فى هذا الدين إيمانه بالأديان السماوية الأخرى مع أنها مع الأسف لا تؤمن به.

وقد قال لى صديق مسلم من السعودية محاورة طريفة بهذا الخصوص. قال: اجتمع ثلاثة نفر يمثلون الأديان الرئيسية الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية. فقال المسلم للأول: أنا أومن بما جاء به نبيكم عيسى عليه السلام؟ فقال نعم. وقال لليهودي: وأنا أومن بما جاء به سيدنا موسى عليه السلام؟ فقال نعم. فقال المسلم: ولكنكما لا تؤمنان بما جاء به محمد ﷺ ، وليس ذلك فحسب بل لا يؤمن الواحد منكما بما جاء فى دين الآخر، فأنا الوحيد الذى أومن بالأديان الثلاثة كما أنزلت على أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد، فانظرا إلى هذا الفارق.

متى سمعت عن الإسلام؟

قلت للأخ بول هنز: متى كان أول ما سمعت عن الإسلام؟ فأجاب قائلاً: عندما كنت فى متشجن وهو موطنى الأصلى بالولايات المتحدة الأمريكية سمعت أن اللاعب الشهير كريم عبدالجبار، أشهر لاعب كرة سلة فى العالم قد غَيْر إسمه من «ليو السندور» إلى «كريم عبدالجبار» لأنه اتخذ الإسلام دينًا[1]. كما سمعت أن الملاكم الشهير كاسيوس كلاى قد أصبح اسمه محمد على فتساءلت عن الإسلام؟ ولما قدمت للعمل كمهندس ميكانيكى فى العراق عرفت المزيد عن هذا الدين حتى آمنت به، ولكن قومى فى أمريكا لا يعرفون شيئًا يذكر عن الإسلام.

ويضيف الأخ بول: أريد أن أقرأ المزيد عن الإسلام. وهنا قدمتُ له مجموعة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية فأخذها وأبدى اهتمامًا كبيراً لقراءتها.

قلت للسيد بول: هل سبق أن نطقت بالشهادتين؟ فقال: نعم، وعندى استعداد أن أرددها فى أى وقت. فأخذ يردد الشهادتين باللغة العربية ثم باللغة الإنجليزية وشهد أن عيسى عليه السلام هو عبدالله ورسوله، وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروح منه، كما شهد أن البعث بالجسد والروح وقال إننى برىء من كل دين يخالف الإسلام.

وقبل أن يغادر مبنى الوزارة زود بعناوين بعض المراكز والجمعيات الإسلامية فى متشجن ليقوم بالاتصال بها والتعرف عليها عند عودته إلى أمريكا.

قلت للسيد بول رتشارد هنز: هل اتخذت لنفسك اسمًا اسلاميًا جديداً؟ فقال: لا لم أفكر فى ذلك، لأن هذا يسبب لى الكثير من المتاعب فى أمريكا، لأنه يقتضى أن أغير اسمى فى كافة شهاداتى ومعاملاتى الرسمية، ولكن أحسب أن تغيير الاسم هو أمر شكلى، والعبرة فى الحقيقة والجوهر.

وهنا قلت للسيد بول: لا شك فى ذلك شريطة أن لا يتعارض اسمك مع مبادىء الإسلام، وعلى كل حال فاسمك لا بأس به، وهنا استأذن السيد بول رتشارد على أن يعود إلى الوزارة فى اليوم التالى ليأخذ شهادة رسمية بإسلامه.

❁❁❁

(١) انظر قصة إسلامه سابقا رقم (٣٩).

الهند :

٨٣ - ٨٥ - ثلاثة من زعماء الهنود يسلمون

ومن أقصى المغرب ننتقل إلى أقصى المشرق إلى الهند حيث أعلن ثلاثة من زعماء الهنود إسلامهم. جاء ذلك فى مجلة إسلامية كانت تصدر فى مصر قبل عدة أعوام تحت عنوان «البلاغ» تقول المجلة المذكورة.

علم القراء الكرام من الكتاب الذى نشرناه قبل بضعة أيام، للزعيم الهندى الكبير المسلم الأستاذ خالد لطيف جابا[1] «عضو المجلس التشريعى» خاصًا بالمنبوذين فى الهند، أن الهيئات الإسلامية هناك ألفت وفداً كبيراً برياسة هذا الزعيم لدعوة المنبوذين وغيرهم من الطوائف الهندية المضطهدة بسبب اعتقاداتها الدينية إلى اعتناق الديانة الإسلامية، ولحضور المؤتمرات التى يعقدها هؤلاء للنظر فى اختيار دين لهم يحقق المساواة بينهم وبين الطوائف الهندية الأخرى.

وتضيف المجلة الإسلامية قائلة:

وقد استطاع هذا الوفد الإسلامى أن يشير فى المنبوذين والتيازيين والأنجاس (وهم الممنوع لمسهم عند بعض الطوائف لاحتقارهم إياهم دينيًا) استطاع الوفد الإسلامى أن يثير فى هؤلاء جميعًا الرغبة فى اعتناق الدين الإسلامى، بما أوضحه لهم من مزايا هذا الدين العظيم التى تكفل لهم المساواة التامة التى يطلبونها من الهندوكيين وغيرهم من أمم العالم.

ثم تقول المجلة: ونزيد على هذا أننا تلقينا اليوم كتابًا خاصًا من الهند جاء فيه أن الزعيم الكبير خالد لطيف جابا رئيس وفد الدعوة الإسلامية بين المنبوذين والتيازيين والأنجاس اجتمع هو ونفر من العلماء بأحد كبار الزعماء الهندوكيين يدعى:

١- المستر (كيمبلر) ودارت بينهما مناقشات ومباحثات طويلة، انتهت بإعلان المستر (كيمبلر) عن رغبته فى اعتناق الدين الإسلامى وفى أن يتولى الدعوة للإسلام بين المنبوذين وغيرهم بدل الدعوة إلى ديانته السابقة.

---

(١) انظر قصة إسلامه رقم: «٨٧».

بعد ذلك تقول مجلة البلاغ:

وقد احتفلت جمعية تبليغ الإسلام فى بونا بهذا المسلم الجديد احتفالاً كبيراً، وقد تلقينا من مراسل البلاغ فى منتوجمرى: (البنجاب) التقرير التالى:

تزداد الحركة الإسلامية فى جنوب الهند قوةً وانتشاراً بنجاح الوفد الإسلامى الهندى، برياسة الزعيم خالد لطيف جابا فى إقناع زعماء المنبوذين ورؤساء التيازيين وغيرهم من الطبقات المضطهدة بسبب عقائدها الدينية، بأن الدين الإسلامى يحقق المساواة المطلقة بين جميع الطبقات والشعوب والأجناس، وقد نجح المسلمون فى مونتوجمرى نجاحًا جديداً، إذ أقنعوا بهذا:

٢- الزعيم الهندوكى الكبير (بنديت لاله كاشى رام) فأعلن إسلامه، وقد كان هذا الزعيم من أشد الزعماء الهنادك بأسًا فى مناهضة الحركة التى يقوم بها الوفد الإسلامى الهندى لإقناع المنبوذين والتيازيين باعتناق الإسلام.

ثم تختم المجلة حديثها عن إسلام هؤلاء الزعماء بقولها:

ومن أهم ما يذكر فى نجاح المسلمين استطاعة خطيب مسجد مونتوجمرى (البنجاب) المسجد الكبير فيها وهو مولانا محمد عبد الله التأثير على:

٣- المستر (جهنداسكى) أحد زعماء طائفة السيخ حتى اعتنق الإسلام وقد كان هذا الزعيم موفداً من مجلس السيخ لدعوة المنبوذين لاختيار العقيدة السيخية بدلاً من عقيدتهم.

جَوْرُ الأديانِ وَفَضْلُ اللهِ:

وللمرء أن يتساءل: ومن هم هؤلاء المنبوذون الذى يلقبون بالأنجاس فى الهند؟ إنهم طائفة من الهنادك الذين يحظر الدين لمسهم أو حتى الاقتراب من ظلمهم، فإذا وقع ظل أحدهم على شيء يملكه رجل آخر فقد أدى ذلك إلى وقوع النجاسة على هذا الشيء، ولا بد من تطهيره، فهى طائفة منبوذة بحكم دينها الجائر لا بسبب معاملتها أو أخلاقها، وإنما حكم عليها الاعتقاد الدينى هذا الحكم. فعندما عرض الإسلام على هؤلاء

المضطهدين ورأوا أن الناس فى الإسلام كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، اقبلوا على الإسلام. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣].

فلا غرابة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجًا من أقصى الدنيا إلى أقصاها ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

❁❁❁

نيجيريا:

٨٦- كولونيل نيجيري من بيافرا

من الظلمات إلى النور:

أما ضيفنا في هذه الحلقة فهو من نيجيريا من منطقة (بيافرا) التى انفصلت عن نيجيريا فى الحرب الأهلية التى دارت رحاها قبل بضع سنوات.

فتحت عنوان: «كولونيل نيجيري يعلن إفلاس الفكر الأوروبى المادى ويعتنق الإسلام» كتبت مجلة البلاغ الإسلامى الأسبوعية الغراء فى عددها الصادر فى الرابع عشر من شهر يناير مطلع العام الحالى ١٩٧٩ تقول:

كان ضابطًا فى جيش بيافرا، ثم وقع فى الأسر وحكم عليه بالسجن مدة طويلة من الزمن قضى منها سبع سنوات وتسعة أشهر فى غياهب المعتقل حتى أطلق سراحه فى العام الماضى. وقد درس الكولونيل داخل السجن اللغات والثقافات المختلفة، وكذلك العقائد الرئيسية فى نيجيريا وكان همه فى ذلك البحث عن سبيل لتوحيد بلاده نيجيريا، وفى غضون هذا البحث درس الإسلام، الإسلام النقى الصافى بصورته الواضحة المقنعة فلم يملك إلا أن يؤمن به وأن يتخذه دينًا. وهذا حديث أجراه معه مراسل مجلة سبير (الحرية). وجه المحرر سؤاله الأول للكولونيل النيجيرى المسلم فقال له: إنك تتحدث وكأنك أصبحت مسلمًا، فهل هذا صحيح؟ فأجاب الكولونيل النيجيرى المسلم قائلاً:

قبل اعتناقي للإسلام كعقيدة قرأت كتبًا كثيرة عن الإسلام، منها ترجمات معانى القرآن الكريم التى كتبها بالإنجليزية علماء نصارى كبار يظهرون فى كتابتهم تحيزاً واضحًا ضد الإسلام والمسلمين، ولم أكن آنذاك مدركًا لهذا التحيز، ولكنى أثناء قراءتى وبحثى فى تقاليد قبيلة الهاوسا تمكنت من قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث وسيرة النبى محمد عليه الصلاة والسلام، فأدركت أن تصورى السابق للإسلام كان خطأ وغير

صحيح، وهكذا فقد مكنتني معرفتي للغة العربية من فهم المعنى الكامل لكل كلمة كانت غامضة أو غريبة عليَّ في الدين الإسلامي.

مصطلح الإسلام:

وهنا يضرب بعض الأمثلة على ما يقصده فيقول:

فعلى سبيل المثال كلمة (إسلام) تعني إسلام المرء إرادته لله سبحانه وتعالى، وأنا واثق من أن هذا هو أساس كل دين سماوي، وكذلك وجدت أن كلمة «مسلم» لا تعني شيئًا أكثر من الإيمان بإله واحد لا شريك له، ولهذا فإن كل من يؤمن بإله واحد باللغة العربية يطلق عليه لقب مسلم. فهذا فهم تحدده اللغة العربية في النهاية، وقد يخفى معناه على من يجهلها[1].

تعليق المؤلف:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فأنبياء الله جميعًا جاءوا بدين واحد هو الإسلام، وكان كل نبي يأمر قومه كما نص على ذلك القرآن الكريم أن يقيموا الصلاة وأن يكونوا من المسلمين، فهذا سيدنا يعقوب عليه السلام يقول لأبنائه لحظة أن حضرته الوفاة، ويسألهم ليطمئن على دينهم من بعده: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. فدين الله واحد منذ أن أرسل آدم عليه السلام مرورًا بنوح وإبراهيم إلى أن ختم الرسالات كلها وأتمها وأكملها برسالة نبينا محمد ﷺ.

دين الفطرة والحياة كلها:

يقول الكولونيل النيجيري المسلم: عندما اكتشفت هذا قررت أن أدرس القرآن الكريم لأرى بنفسي الجوانب التي يخالف فيها ما تعلمته منذ نشأتي، وكم كانت سعادتي

(١) كلمة (الإسلام، أو مسلم) مصطلح ديني لا لغوي فقط، ولذلك لا يُطلق إلا على من آمن بالله الواحد، وآمن بأنبيائه، وبالوحي الذي أوحاه الله إليهم.

عظيمة حين اكتشفت أنه الدين الوحيد الذى يستطيع تحقيق الوئام بين الإنسان وبين فطرته، وبينه وبين بيئته وثقافته ونشأته، يقول النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا المعنى: كل مولود يولد على الفطرة.. أى على الإسلام. فالإسلام دين الفطرة. وتحضرنى هنا الآية الكريمة التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فهذه الآية تبين بجلاء كيف أن الإنسان بفطرته يهتدى إلى الإسلام.

إفلاس المادية والإلحاد:

ثم يختتم الكولونيل النيجيرى قصته قائلاً:

لقد أسلمت لأننى اكتشفت أيضًا وبوضوح صريح إفلاس الثقافة الأوروبية الأجنبية، وتصوراتها المادية التى فرضت على الشعوب المستضعفة فى أفريقيا وآسيا وغيرهما، والتى تحاول اقتلاع الشعوب الأخرى من ثقافتها وبيئتها، وتجعلها تتنكر لطبيعتها، وهى بهذا تنشىء شرخًا كبيراً وفصامًا فى شخصية الفرد المقلد فى مجال القيم والاعتقاد.

هذه هى العوامل التى جعلتنى أعتقد بالديانة الإسلامية، وأن أشارك الاعتقاد مع كل من يسلم إرادته لله الواحد، ويلتزم بمبادئ التوحيد.

❁❁❁

الهند :

٨٧- السيد خالد لطيف جابا (*)

كوفهى لال جابا - سابقاً

السيد كوفهى لال جابا أو خالد لطيف جابا كما أصبح يعرف بعد إسلامه هو رجل سياسة، ومؤلف وصحفي، ولد في مدينة لاهور وينحدر من أسرة هندوكية عظيمة الثراء، عالية التعلم، لها مكانتها وشرفها بين الهندوس. وبعد أن أعلن إسلامه انتقل للحياة في (بومبى) حيث إنه لم يكن من أنصار إقامة دولة مستقلة للمسلمين في شبه القارة الهندية ينفصل عن بقية الأمة الهندية التي ظلت تحت الحكم الإسلامي قروناً عدة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب بعنوان «الأصوات العاجزة» وآخر بعنوان «رسول الصحراء» تم نشرهما باللغة الأوردية.

الحمد لله على اختياره لي :

يبدأ السيد خالد اعترافاته التي نشرتها له إحدى المجلات الإسلامية الصادرة باللغة الأوردية بقوله:

أولاً وقبل كل شيء أتوجه إلى الله بالشكر الجزيل على اختياره لي من بين آلاف مؤلفه من الناس من بني قومي الذين يسيرون على الطريق المنحرف، وجعلني مثالاً طيباً أمامهم بأن جعلني مسلماً فأصبحت قدوة لهم كي يتبعوني، وحتى يعلم الناس جميعاً أن الإسلام وحده هو الطريق المستقيم.

ثم يقول: عندما يولد أي إنسان فلا بد له من المرور بمراحل عديدة، يكون في المرحلة الأولى باسماً بريئاً، بوسعه أن يلمس الأشياء ويشم الروائح، فتنشأ حواسه الخمسة، إلا أنه لا يتمتع بالكثير من الإحساس. صحيح أنه يستطيع أن يرى كافة الأشياء، ولكنه لا يمكنه التمييز بين الخير والشر، وبعد وقت يسير يتعرف إلى والديه ثم يعرف طعم

(*) سبق للمؤلف (تحت رقم٣٣) تسجيل بعض الإنطباعات الفكرية الرائعة لهذا المسلم، ولما توافرت له المراجع ذكر قصته هنا تفصيلاً، وقد رأينا بقاء الموضعين لفائدة كل منهما في موضعه.

الأشياء المختلفة وعواقبها، وهكذا يبدأ فى التمتع بالحياة وبهذه الطريقة يكتشف الحياة من حوله شيئاً فشيئاً.

ويمضى السيد خالد لطيف جابا فى حديثه قائلاً:

وكذلك حياة الإنسان الروحية لها هى الأخرى طفولتها المشابهة، التى يصل فى نهايتها إلى النضج وكامل النمو الروحى، بعد سنوات عديدة فيبلغ إلى الحياة الناصعة الحقة بعد أن يهجر طريقة الحياة الزائفة الخاطئة.

موقف الأسرة من إسلامه :

ثم يشير إلى موقف أسرته من إسلامه فيقول:

عندما اعتنقت الإسلام أعرب أقربائى من الهندوس عن ضيقهم الشديد حين علموا بذلك، وأصبحوا مناوئين لى يعادوننى فى كل مكان، وأخذوا ينتقدون هذا التحول من جانبى ويهاجمونه. ولكنى لا بد أن أضيف هنا، كما ذكرت الصحف الهندوكية، أننى لم أكن قط متمسكاً بالديانة الهندوكية فى يوم من الأيام.

ويخاطب السيد خالد لطيف جابا جمهوراً غفيراً من المسلمين فى بومبى فيقول: إخوتى المسلمين! فى هذه المرحلة الراهنة مثلى كمثل شاب وقع فى حب أميرة، فقال أناس فى دنيا الناس القاسية هذه بأنه يسعى إلى السلطة والثروة، وزعم آخرون بأنه مجنون، بينما الحقيقة هى غير ذلك تماماً. إلا أن الناس ليسوا على استعداد لتقبل الحق.

شعلة الإيمان :

ثم يقول: إن حبى هذا للإسلام ليس بالشىء الجديد، أن الشعلة الأولى التى قبستها من الإيمان بهذا الدين جاءتنى قبل قرابة خمسة عشر عاماً. وذلك حين كنت فى مصر، وهناك تركت الحضارة والثقافة الإسلامية انطباعاً لا ينمحى من نفسى. فتأثرت على وجه الخصوص ببساطة المجتمع الإسلامى وإحساسه بكرامته، وبالحب الإنسانى المتبادل بين أفراده، كما شدنى إليه ذلك الاحترام ومبدأ المساواة المطبق فيه. وظلت شعلة الإيمان بالإسلام متقدة فى قرارة نفسى بشكل مضطرد وبطىء. وأخيراً نجحت حرارة الإيمان فى كسبى نهائياً إلى الإسلام. وهكذا فإن كلاً من قلبى وعقلى اليوم هما بفضل الله يشرقان بحقيقة الإسلام.

ثم يتناول السيد خالد جابا بالحديث الفترة التى أعقبت عودته عن مصر فيقول: بعد عودتى إلى الهند من زيارة مصر كلما مررت بأحد المساجد للمسلمين فى الهند كان قلبى يفعم بالإحساس بعظمة هذا المكان وقدسيته، وكنت أشعر دوماً أن المؤذن وهو ينادى إلى الصلاة، كان يقصدنى أنا بالذات فى ندائه ذلك، وكأن هاتفاً من داخلى يجيبه قائلاً: هيا بنا إلى الصلاة، هيا بنا إلى الفلاح. كان قلبى يريد الانضمام إلى جماعة المؤمنين فى المسجد، وكان النداء والدافع قوياً إلى درجة أننى لم أتمالك نفسى من الدخول إلى المسجد والوقوف فى صف المصلين، والحقيقة أننى لم أستطع مقاومة ذلك وظللت أفعله فترة طويلة من الزمن.

لماذا أسلمت؟

قيل للأخ خالد: ولكن لماذا أسلمت؟ هل كان الأمر ببساطة مجرد استجابة لذلك النداء الخفى فى داخل نفسك؟ أم ماذا كان وراء هذا القرار المهم فى حياتك؟

يجيب الأخ خالد جابا عن هذا السؤال قائلاً:

إذا أراد الناس أن يعرفوا لماذا فضّلت الإسلام على سائر الأديان الأخرى بما فيها دين آبائى وأجدادى فسوف أقول لهم ببساطة:

١- إن أول ما جذبنى إلى الإسلام هو بساطته وصراحته التامة، ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نعدد على أصابعنا كافة المميزات والخصائص العظمى لهذا الدين الحنيف، ولكننى أستطيع أن أوكد بكل ثقة واطمئنان أن الإسلام يقوم على مبدئين أساسيين من اليسير جداً فهمهما وتقبلهما بالنسبة لرجل الشارع العادى.

المبدأ الأول هو أن الله واحد لا شريك له، والمبدأ الثانى هو أن محمداً عبده ورسوله.

ويمضى الأخ خالد فى شرح هذين المبدئين فيقول: الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد، وهذا واضح فى سورة معبرة من القرآن الكريم وهى قول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص].

٢- بعد لك يتحدث الأخ خالد جابا عن السبب الثانى الذى دعاه إلى اعتناق الإسلام فيقول:

والدافع الثانى إلى اعتناق الإسلام هو عدالة الإسلام أو مبدأ المساواة فى الإسلام. فهذا المبدأ لا يوجد مثيل له لا فى الاشتراكية، ولا فى البلشفية ولا فى أى من المبادئ الأخرى، فالشيوعية تدعو أتباعها إلى قتل الاغنياء لصالح الفقراء، كما أن المساواة الإسلامية تغاير تماماً الأديان الأخرى التى تجعل للسود أماكن مستقلة للعبادة، وإذا جرؤ أحد منهم على خطبة امرأة بيضاء أو حتى مجرد اتباع خطواتها فلا بد أن يشنق جزاء له على ذلك!!

أما فى الإسلام فالناس جميعاً سواسية كأسنان المشط. فالملك والفقير، والغنى والمعدم، والكبير والصغير يقفون جميعًا كتفاً إلى كتف فى صف واحد مستقيم بين يدى الله سبحانه وتعالى فى المسجد، خمس مرات كل يوم، يعبدون رباً واحداً لا شريك له. وهذا هو أعظم مظهر من مظاهر الأخوة الحقة بين البشر والمساواة المطلقة كما يجب أن تكون بين الناس، وهذا لا وجود له إلا فى الإسلام. والإسلام وحده.

بهذه الكلمات المضيئة النيرة يبين الأخ خالد لطيف جابا المهتدى الجديد إلى الإسلام لماذ أسلم؟ وقد أصبح فيما بعد من أنشط دعاة الإسلام فى الهند إذ أسلم على يديه مئات من الناس.

وقد استطاع السيد خالد بتوفيق من الله أن يكسب إلى الإسلام عدداً من قادة الفرق الدينية المختلفة فى الهند، وأعداداً أكبر من الأفراد الاعتياديين.

يواصل خالد لطيف جابا اعترافاته التى أدلى بها ضمن حديث ألقاهُ باللغة الأوردية على حشد كبير من المسلمين قال فيه:

لما كانت الأخوة فى الإسلام قائمة على أساس من مبادئ العدل والمساواة فليس هناك أية شعائر وطقوس معينة ولا إجراءات معقدة يقوم بها المرء عند اعتناق الإسلام، إذ يكفى أن ينطق بالشهادتين فيقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) حتى يصبح واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

وهكذا فعندما ينطق الإنسان بهذه الشهادة ينضم إلى الأمة الإسلامية الضخمة التى يتساوى فيها الناس جميعاً، وليست هذه المساواة نظرياً فقط، بل وعملياً كذلك، فمن الحقائق التى لا تخفى على أحد أن الملك والمسكين، والكبير والصغير والغنى والفقير

يقفون جميعاً في صف مستقيم واحد في الصلاة بين يدى الله يركعون ويسجدون للواحد الديان، وهذه المساواة تزداد وضوحاً في الحج، الركن الخامس من أركان الإسلام، حيث يتحد اللباس في الحج إلى مكة المكرمة وعرفات فلا ترى إلا بياضاً حيثما وجهت ناظريك.

ثم يضيف السيد خالد قائلاً:

المساواة في الإسلام :

ومن اليسير أن ترى في البلاد الإسلامية كيف يجلس الملوك مع خدمهم علي بساط واحد، لأن هذا أمر من النبي الذى يعلم المسلمين أن السيد والمسود أخوان لا بد أن يأكلا نفس الطعام، ويلبسا نفس اللباس دون أدنى تمييز من أى نوع، وقد جرت بذلك السنة مئات السنين حتى ابتعد الناس بعد ذلك عن تعاليم الإسلام فشقوا وأشقوا.

ويضرب السيد خالد جابا مثالاً على ما يقول:

فهذا خليفة رسول الله الثانى عمر بن الخطاب عندما دخل بيت المقدس بصحبة خادمة، لم يستطع الذين كانوا في انتظاره لتسليمه مفاتيح المدينة أن يميزوا الخليفة من خامدة حتى سألوا أى الرجلين هو؟

فهل هناك عدالة ومساواة أفضل من هذه؟

٣- بعد ذلك يذكر الأخ خالد لطيف جابا السبب الثالث الذى دعاه إلى اعتناق الإسلام فيقول:

والسبب الثالث الذى جعلنى أفضل الإسلام يقوم أيضاً على مبدأ الأخوة ولكن من زاوية مختلفة. ففى نفس الوقت الذى اكتشفت فيه الأخوة الإسلامية نظرياً وعملياً وقع شجار بين مختلف الطوائف التى يتشكل منها دين الأكثرية في الهند، فيما يتعلق بدخول ما يسمى (بالمندر) وهو مكان العبادة عندهم. إذ قالت إحدى الطوائف إن ما يسمى (بالشودرز) قد مسهم شوذى ولذلك أصبح من المحظور لمسهم، فيجب أن لا يسمح لهم بدخول المندر.

اللعنة الأبدية :

ثم يعلق السيد خالد على هذا التصرف فيقول:

لقد وجدت ذلك منافياً للمنطق تماماً، والسبب هو أولاً أن الشخص الهندوكي يولد كذلك ولا يربى أو يجعل، فهو لم ينتسب إلى ذلك الدين باختياره، وإنما وجد نفسه كذلك، ويكتشف الواحد منهم لدهشته وجود طوائف متعددة في الدين الواحد إلا أن هذه الطوائف تعاني الآن من خلافات جذرية، فعلى سبيل المثال لا يستطيع (الشودر) أن يصبح (خاتري) ولا يمكن للخاتري أن يكون (براهمن)[1] بينما نجد على الصعيد السياسي أن الخلافات الدينية يجري التغاضي عنها مؤقتاً لأسباب نفعية، ويزعم كاذب يتردد وهو لإنقاذ المهاتما غاندي من الانتحار، وهكذا يتحقق التأييد المؤقت سياسيًا. ولكن يظل الشودرز منبوذين في الحياة الاجتماعية، ولا يمكن أبداً كذلك أن يصبح الشودر زعيماً دينياً، وبذلك فكل مولود يولد لأسرة من الشودرز سيظل شخصاً دنيئاً مدى الحياة!!

ثم يقارن ذلك بالإسلام فيقول: أما في الإسلام فبمجرد أن يرضى الإنسان بهذا الدين يتمتع في الحال بنفس الحقوق التي يتمتع بها المسلمون، فالإسلام لا يعرف قدسية بعض الناس وعدم قدسية بعضهم الآخر، ولكن المسلمين سواء عند الله لا فضل بينهم إلا بالتقوى، وأحب هنا أن أوجه رسالة إلي (الشودرز) أدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام، هذا الدين الذي يفتح المجال أمامهم، هنا في ظل الإسلام يمكنهم أن يلمسوا جميع الناس، وأن يجالسوا من شاءوا وأن يتفقهوا في الدين كما يريدون، فليس في الإسلام أي قيد أمامهم ولا أمام أحد من الناس. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٤- بعد ذلك يتحدث الأخ خالد لطيف جابا عن السبب الرابع الذي جعله يتخذ الإسلام ديناً فيقول:

ومما جعلني أختار الإسلام ديناً كذلك أن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان

(١) هذه أسماء الطبقات في ديانة الهندوس، وهي تعني الذل الأبدي للطبقة الدنيا (الشودر).

فى العصر الحاضر، فليس هناك أى دين كالإسلام يستطيع أن يقدم أنجح الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة. فمثلاً أشد ما يحتاج إليه العالم اليوم الأخوة والمساواة، وهذه وجميع الفضائل لا تجتمع إلا فى الإسلام. لأن الإسلام لا يفضل بين الناس إلا على أساس العمل والبذل.

الإسلام والأنظمة الجائرة :

ثم يعقد الأخ خالد جابا مقارنة بين الإسلام والقوانين الحديثة فيقول: فى عالمنا اليوم هناك دعوة لحقوق الإنسان، ننظر إلى ما حولنا فماذا نجد؟

نجد العلاقات الأسرية وقد دمرت، بينما نجد الإسلام يمنح كافة الحقوق للمرأة، ويقيم نظام الزواج على أساس عقد حكيم عادل بين طرفين متكافئين، وميزة التشريع الإسلامى هو أنه وضع ليوائم طبيعة البشر الخطائين لا الملائكة المعصومين. فليس هناك إرهاب ولا مؤامرات فى الإسلام، ومشكلات الأمهات غير المتزوجات غريبة تماماً عن المجتمع الإسلامى وهذه واحدة من المظاهر الصحية الكثيرة فى التشريع الإسلامى، إذ أن الإسلام قد وضع عقوبات صارمة لجريمة الزانى على العكس من القوانين الحديثة التى تتساهل كثيراً فى ذلك، ومن هنا نجد المجتمع الإسلامي نظيفاً طاهراً من كل ذلك.

ثم يتحدث الأخ خالد لطيف جابا بروح المؤمن الصادق فيقول:

إن الإسلام هو أفضل دين للبشرية، فبينما نجد أماكن العبادة فى الأديان الأخرى خاويةً فى أغلب الأحيان، نرى أن المساجد تزخر بالمؤمنين وخاصة من الشباب الذين يعبدون الله خمس مرات فى اليوم بأعداد كبيرة، وهذا أكبر دليل علي أن الإسلام لا يزال بخير تماماً كما كان دائماً فى الماضى، فالإسلام يتغلغل فى حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل فى كل نشاط يقوم به المسلم، وليس هناك أى دين آخر غير الإسلام لديه الإمكانية لحل كافة مشكلات الناس فى العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده.

سعادتى القصوى بإسلامى :

بعد ذلك يقول الأخ خالد جابا، الداعية المسلم الهندى: فلنكرس حياتنا كلها لهذا

الهدف وهذه الغاية التى جاء بها النبى محمد ﷺ قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً، وأخيراً يختتم الأخ خالد حديثه بقوله:

أريد أن أعلن مرة أخرى عن سعادتي القصوى باعتناق الإسلام، عسى الله أن يرزقنى الفرصة المناسبة لأرد هذه الهبة العظمى التى منحنى إياها بهدايتى إلى هذا الدين، آملاً أن أكون فى خدمته حتى أخر لحظة من حياتي.

بهذه الكلمات ينهى الأخ خالد جابا كلماته، وقد ظل مسلماً صادقاً حتى آخر لحظة من حياته، رحمه الله ورضى عنه فى الصالحين من عباده المؤمنين.

❀❀❀

فهرس الجزء الرابع



هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

و قد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجال ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا فى مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع

و هذا الكتاب موجه إلى المسلمين فى المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذى بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

و هذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت :"يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والانسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ماجد أحمد يحيى



الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابع : طريق مصر ـ اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٧٤ / ٤٤٤١٠٧٠

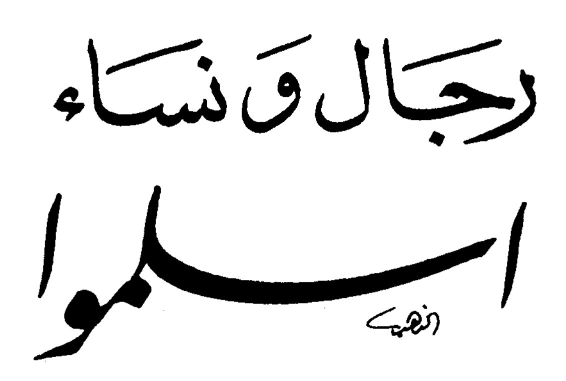

عرفات كامل العشي
رجال ونساء
أسلموا
الحلقة
٥
MUSLIM
HTTP://KOTOB.HAS.IT

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

« دار القلم » — الكويت — شارع السور — عمارة السور
ص. ب : ٢٠١٤٦ — هـاتف : ٤٢٥١٦٠ — برقياً : توزيعكو

الحلقة الخامسة



رجال ونساء أسلموا

إعداد وترجمة
عرفات كامل العشي




بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ هيدي مرعي ـ النمسا

هيدي مرعي ـ سيدة نمساوية في الخامسة والثلاثين من عمرها، فهي من مواليد عام ١٩٤٤ ، متزوجة من دكتور مسلم مصري يعمل استاذاً بجامعة الكويت منذ عام ١٩٧٦، وله منها طفلان. وهي تعمل أيضاً استاذة للغة الانجليزية بجامعة الكويت كذلك.

جاءت السيدة هيدي مرعي مع زوجها إلى مقر لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف لتعلن عن رغبتها في إشهار إسلامها . فالتقت بها وبزوجها مجموعة من علماء الدين وسألوها :

ـ هل حقاً ترغبين في اعتناق الاسلام . أم أن أحداً ما يريد إكراهك على الدخول في هذا الدين ؟

فقالت وقد عقدت ما بين حاجبيها إعراباً عن الجدية في ما تريد قوله :

ـ لا ، لم يكرهني أحدٌ على الدخول في هذا الدين ، وإنما أردت دخوله لاقتناعي التام بصدقه .

وهنا تدخّل زوجها الدكتور فقال :

– لقد عشت في النمسا سنوات عديدة ، وعندما تزوجت هيدي لم أكن مسلماً بمعنى الكلمة ، ثم حضرنا إلى الكويت ، فالتقت هيدي بأفراد أسرتي ، والدتي وشقيقتي وبعض أقاربي ، ولاحظت أنها أسرة متدينة تحافظ على الصلاة . لقد أحبّت الأسرة الشرقية الاسلامية ، وما تتميز به من حب وبر وتراحم ، وعلمت أن هذا كله مصدره الدين الاسلامي . كما أغرمت بحب والدتي الحاجة بدرية ، وهي امرأة متدينة للغاية شديدة العطف والودّ .

ومنذ عام ١٩٧٦ تركت زوجتي وشأنها وانشغلت عنها بأعمالي الكثيرة. وفجأة لاحظت أن هيدي تقلد والدتي وتصلي. ولما سألتها قالت: أنا مسلمة يا مرعي،إنني أصلي وأحب الصلاة. ولما جاء رمضان أخذت تصوم معنا .

هنا تدخّل أحد العلماء الجالسين فقال :

– قل لها يا أخي أنت مسلمة وعضو في مجموع المسلمين، وهي الآن أخت لنا في الاسلام ، ولها علينا الكثير من الحقوق، ونحن في خدمتها .

وهنا شكرته السيدة هيدي وقالت :

– أنا أعلم أنني مسلمة، ولكني جئت إلى هنا لإشهار إسلامي وتغيير اسمي .

فتدخل زوجها وقال :

– منذ عدة أسابيع وهيدي تطالبني أن أحضرها إلى هذه الوزارة ، فقلت لها : إن جواز سفرك في الجامعة . فسكتت ، وبعد أيام أبرزت لي جواز سفرها وقالت : ها هو جواز سفري فخذني لكي أستريح. لا أحب أن أظل معلقة هكذا. ولما رأيت منها كل هذا الإصرار سألت شاباً كويتياً مسلماً أعرفه ، فقام مشكوراً بالاتصال بالوزارة ، ولما حصل على المعلومات الكافية حول الطريقة المتبعة في مثل هـــذه المناسبة ، أبلغني بذلك ، وكانت هيدي متلهفة على معرفة النتيجة . وهـا نحن قد حضرنا لهذا الغرض .

– أهلاً بكم ومرحباً .

ثم قال أحد العلماء مخاطباً السيدة هيدي عن طريق المترجم الانجليزي بالوزارة ، فقال لها : هل تؤمنين بأركان الاسلام الخمسة وهي الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج ؟ فقالت: نعم . فقال لها : إذن ردّدي معي :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمـــداً رسول الله ، وأشهد أن عيسى بن مريم عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

أخذت السيدة هيدي تردّد هـــذه العبارات باللغة العربية المكسرة ، وبعد كل فقرة منها تردّد بالانجليزية معناها الدقيق ، لتكون على علم بما تقول ، حتى فرغت من ذلك .

كانت السيدة هيـدي تلبس ملابس محتشمة نوعاً ، فقميصها العلوي له أكمام طويلة كما كانت تلبس جرابات طويلة سميكة في قدميها تصل إلى ركبتيها ، إلا أنهـا كانت متزينة وشعر رأسها مكشوف وعلى عينيها نظارة . فقال لها أحد العلماء :

ـ اسمحي لي أن أخاطبك بكلمة يا أختي في الاسلام ! وأن أقدم لك نصيحة الأخ المسلم لأخته المسلمة .

فأبدت اهتماماً بذلك . فقال :

ـ ما دمتِ قد أصبحتِ مسلمة فمن واجبك الآن أن تلبسي اللباس الاسلامي الكامل وأن تخفي زينتك حسب مـا يأمرك دين الاسلام الذي آمنت به .

وهنا تدخل زوجها وقال : الحق أنهـا كثيراً ما تتساءل في البيت : لماذا تفعلون هـذا ؟ إن الاسلام يأمر بخلافه . فهي على علم تام بأوامر الاسلام ونواهيه ومتحمسة للالتزام بذلك .

فقال له العالم المسلم :

ـ إن من واجبك أنت باعتبارك زوجاً لها أن تكون قدوة طيبة أمامها ، وأن تشجعها على الالتزام بآداب الاسلام .

فوعد الدكتور الزوج بذلك ، وقال :

ـ لقد أطلعت زوجتي على ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية وترجمته باللغة الالمانية ، وأخذت فكرة عن العقيدة الاسلامية وقارنتها بعقيدة النصارى بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام ،

فاقتنعت بعقيدة القرآن رغم حاجز الترجمـــة . وهي تعرف الالمانية والانجليزية وشيئاً يسيراً من اللغة العربية .

فقال أحد العلماء الجالسين : يستحسن أن تطـّلع على أكثر من ترجمة لمعاني القرآن الكريم حتى تعوّض ما فاتها من معانيه ، مع أن القرآن الكريم مهما اجتهد المترجمون فلن ينقلوا معناه إلى أية لغة .

فقال الزوج : إنني أفضّل أن أقوّي إجادتها للغـة العربية حتى تقرأ القرآن وتفهمه باللغة العربية . وهنا استحسن الحاضرون ذلك كثيراً .

وقبل أن ينتهي اللقـــاء أهديت للسيدة هيدي مجموعة من الكتب الاسلامية باللغـة الانجليزية ، لتعميق فهمها للاسلام ، كان من أهمها كتاب : (شبهات حول الاسلام) للاستاذ محمـد قطب ، الذي قالت بأنها سمعت به من قبل ، وكتاب : (مبادىء الاسلام) للاستاذ المودودي ، وكتاب : (التعريف بالاسلام) للدكتور محمد حميد الله ، وكتباً أخرى ... واتفق على أن تعود إلى الوزارة لإتمام معاملة إشهار الاسلام ، بعد بضعة أيام .

وهنا سُئلت السيدة هيدي عن الاسم الاسلامي الذي تختاره لنفسها ، فهتفت قائلة : بدرية ! ولما سُئلت عن السبب قالت : لأنني أحب والدة زوجي الحاجـــة بدرية ، فأريد أن أتسمى باسمها .

وهكذا انفضّت الجلسة والكل يقول : سبحان الهادي ! سبحان الله !

وبعد ، فهذه ليست مجرد قصة تحكى كي يعجب الناس بها ويفرح الغيورون على الدين الاسلامي بما يسمعون أو يقرأون ، وإنما هي تفاصيل ما حدث يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٢ فبراير عام ١٩٧٩ م . وقد صاحب الزوجين في زيارة وزارة الأوقاف رجل ثالث هو زوج أخت الدكتور مرعي زوج السيدة هيدي ، وهو أيضاً وزوجته من الناس المتدينين المتمسكين بأهداب الدين الاسلامي الحنيف .

وهكذا نرى أثر القدوة الطيبة في نشر هذا الدين بين الناس كافة . فإذا رأى الناس مسلماً يحيا بالاسلام دون أن يتكلم بكلمة واحدة ، فإنهم يتأثرون به أعظم التأثر ، لأن الاسلام هو دين الأمانة والصدق والوفاء في المعاملة، دين المحافظة على الوعد، هو الدين الذي يأمر التاجر أن يصدق في تجارته فلا يغشّ ، ويأمر الصانع أن يتقن صناعته ، ويأمر الموظف والعامل أن يحسن عمله ، كما يأمر صاحب العمل أن ُيعين العامل في عمله وأن يعطيه أجره قبل أن يجفّ عرقه ، وأن ينصفه في ذلك .

فلما عاشت السيدة هيدي في وسط إسلامي من هذا النوع ورأت كيف يخلص الرجل لزوجته وكيف تكون المرأة العجوز موضع تكريم وحب من جميع أفراد الأسرة بدلاً من أن ُيلقى

بها في دور العجزة ، وعنـدما شاهدت الروابط الأسرية الوثيقة بين أفراد العـائلة المسلمة ، واطـّلعت على الحياة النظيفة الخالية من السكر والقهار والاختلاط والسفور . عندها أخذت تتساءل وعندها أقبلت هي على الاسلام حتى دخلت فيه راضية سعيدة . وهذا يذكـّرنا كيف انتشر الاسلام ولا يزال ينتشر كل لحظة بين ملايين البشر ، وسيظل ينتشر بهذا الاسلوب في أرجاء المعمورة حتى يرث الله الأرض ومَن عليها . ولعل هـذا من الوسائل التي يحفظ الله بها هذا الدين. قال تعالى : « إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون » . صدق الله العظيم . فالذكر الذي هو القرآن الكريم قـد تكفـّل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، لا في السطور فحسب، بل في القلوب ومترجماً في أعمال رجال ونساء صالحين، فهو ذكر مترجم إلى عمل ، والفائز مَن اقتبس من هذا النور . والله يهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

٢ ــ نجوى أرمون شوفاني ـ لبنان

حين شرعت في تسجيل القصة الاولى من هــذه السلسلة عن رجال ونساء أسلموا من كل بلد من بلاد الدنيا ، كنت أحسب أنني سأفرغ منها وينتهي بي المطاف عند حلقة نهائية من حلقاتها ، وما علمت أنها سلسلة خالدة خلود الحياة . فهي باقية إن شاء الله ما دام على الأرض إنسان .

لقد رأيتني ، بعد أن أتيحت لي الفرصة لمقابلة مختلف الذين أسلموا ، وكأنني أقف على شرفة عريضة تطلُّ على العالم أجمع ، وأمامي أيدي ممتدة من كل مكان من الدنيا تتلهف لحمل كتاب الله ، لا في الأيدي وحسب ، بل وفي الصدور والقـلوب . إنه الزحف الاسلامي ، والنور الرباني الذي ينتشر وينتشر حتى يعمّ نور الله الأرض بأسرها .

والعجيب أيضاً أن مَن يدخل في هــــذا الدين لا يخرج منه أبداً ، وهذا أكبر دليل على أنه دين الله لا دين أحد من البشر . فما أن تخـــالط بشاشتُه القلوبَ حتى يعمرها ويمتزج بكيان

الانسان كله . فسبحان الله العظيم . ألم يكن ذلك ضمن الأسئلة التي وجّهها هرقل ملك الروم إلى أبي سفيان قبل إسلامه ، عندما التقى به على رأس وفد من قريش ليسأله عن رسول الله ﷺ ! قال هرقل يتساءل عن أتباع محمد ﷺ : هل يزيدون أم ينقصون ؟ فأجاب أبو سفيان : إنهم يزيدون ، فلا يدخل أحد منهم في هذا الدين حتى يثبت عليه ويفديه بحياته . فقال هرقل: فذلك شأن الرسل ودين الله الذي يأتون به إلى الناس .

والآن لنبدأ قصة جديدة . إنها لشابة من لبنان . فقد نشرت جريدة الرأي العام الكويتية الغراء ، في ملحق عددها الصادر يوم الأحد الرابع من شهر فبراير عام ١٩٧٩ ، قصة إسلام السيدة نجوى ادمون شوفاني ، فكتبت تقول : مسيحية مارونية من لبنان تعلن إسلامها في الكويت . وتقول : أحمل لأهلي كل حب ، وأدعو الله أن يهديهم إلى الطريق المستقيم كما هداني . لقد وجدت القرآن الكريم يقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم ... » فاستجابت فطرتي لذلك وعلمت أنه الحق .

وقد توجّه الأخ محمد رشيد العويد ، محرر الرأي العام ، إلى بيت السيدة نجوى ومعه زوجها ، فأجرى معها حواراً حول أسباب إسلامها . وفيما يلي ما قاله الأخ رشيد :

ما أحسبها كانت مصادفة أبداً . فبعد خروجي من لقاء الأخت نجوى ادمون شوفاني ، التي حدثتني عن تأثرها بزوجها

المسلم ، وكيف كان يجادلها بالتي هي أحسن ، ويبين لها مبادىء الاسلام الحنيف .. بعد خروجي وجلوسي في السيارة ، امتدّت يدي إلى مفتـــاح الراديو وأدَرْته فسمعت القرآن الكريم يرتله شيخ من إذاعة الكويت بلغة الاوردو . وكانت الآية التي سمعتها هي قول الله تعالى : « ولا تجـــادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم » . صدق الله العظيم . ووجدتُ نفسي أردّد : سبحان الله ! الحمد لله ، الله أكبر !

لقد كان السؤال الأول الذي طرحه محرر الرأي العام على السيدة نجوى هو: ما هي الصورة التي كنت تحملينها عن الاسلام قبل زواجك ؟ فأجابت بقولها : لقد كانت صورة مشوّهة غير واضحة ، فيها الكثير من التحريف . والمعلومات التي مُلىء بها ذهني عن الاسلام كانت معلومات مغلوطة غير صحيحة. وكنت أجهـــل كثيراً من مبادىء الشريعة الاسلامية السمحاء ، وهي شريعة الله التي أنزلها لخير عباده .

بعـــد ذلك سُئلت الأخت نجوى متى بدأ اهتمامها بالاسلام ورغبتها في اعتناقه ؟ فأجابت بقولها : كان ذلك بعد زواجي ، فزوجي شاب مسلم ، أُعجبت بأخلاقه وسلوكه ، وعرفت أن هذه الأخلاق الحميدة نابعة من تديُّنه وتمسُّكه بإسلامه. وكنت أراقبه وهو يصلي واقفـــاً بين يدي الله في خشوع فأتأثر بذلك بذلك كثيراً. وكنت بين الفينة والأخرى أسأله عن بعض الأمور في الاسلام فيوضحها لي ، ويبين لي حكمتها . ومع مرور الأيام

بدأت الصورة الحقيقية للاسلام تتضح أمام ناظري ، وبدأ حب الاسلام يشيع في نفسي ويمتلك عليّ قلبي ، حتى عزمت ذات يوم أن أعلن إسلامي ، ففاتحت زوجي بذلك ، ففرح به كثيراً وأعرب عن سعادته بعد أن تأكد من صدق عزمي . وهكذا ذهبنا إلى وزارة العدل معاً حيث أعلنت اعتناقي للاسلام ، وزُوّدتُ بإعلان رسمي يُثبت ذلك .

وهنا سُئلت السيدة نجوى ادمون شوفاني المارونية الأصل: هل تؤدّين العبادات الاسلامية بانتظام ؟ فقالت: نعم ولله الحمد، فأنا أصلي الصلوات الخمس اليومية وأُحافظ عليها في مواعيدها ، وسيكون شهر رمضان القادم أول شهر أصومه ، إن شاء الله ، بعد إسلامي . وأمنيتي أن يوفقني الله سبحانه وتعالى لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله ﷺ ومثواه الأخير في المدينة المنوّرة .

ثم كان السؤال التالي : هل قرأت كتباً كافية عن الاسلام لزيادة اطلاعك على دينك الجديد ؟ فأجابت السيدة نجوى بقولها : لقد أحضر لي زوجي بعض الكتب عن الاسلام وسيرة الرسول ﷺ ، وقرأتها بشغف عظيم .

وكيف وجدت النبي محمداً ﷺ بعد قراءة سيرته ؟ على هذا السؤال أجابت الأخت نجوى قائلة بأسلوب المرأة البسيطة الصادقة : إنه رسول كريم ، لا أثر للكبر في نفسه ، متواضع ، يحب الخير للناس جميعاً ويحرص على هداهم ، رحيم بالمسلمين .

بعد ذلك قال محرر الرأي العـــام للأخت نجوى : ما هي الجوانب التي لم ترتاحي لها في دينك السابق ، والتي أعجبك ما يقابلها في الاسلام ؟ فقالت : الواقع أن هنــاك عدداً كبيراً من الأفكار التي لم يطمئن إليها عقلي ، ولم يقبلها فكري . ولقـــد عرفت فيما بعد أن كثيراً مما ليس في الإنجيل أصلا قد أُضيف إليه ، كما حُرّف ما فيه . قال تعالى : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممـا يكسبون » . صدق الله العظيم .

ومن هذه الأفكار المحرّفة مثلاً مـا يلي . قرأت في الإنجيل الآية التي تقول عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه « صُلِبَ وقام » ، بينما وجدت القرآن الكريم يقول : « وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله ، وما قتـــلوه وما صلبوه ولكن شُبّهَ لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ، مـا لهم به من علمٍ إلا اتّباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً . وإن من أهل الكتـــاب إلا ليؤمنَنّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » . صدق الله العظيم .

كذلك يوضح القرآن الكريم مكانة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في عدة آيات من سورة المائدة ، تلخص عقيدة المسلم بهذا الخصوص ، فيقول : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم

وأمه ومَن في الأرض جميعاً ، ولله مُلك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير » .

ويقول أيضاً : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشركْ بالله فقد حَرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلَتْ من قبله الرسل ، وأمه صدّيقةٌ كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون » . صدق الله العظيم .

وبمنطق لا يمكن رفضه يقول القرآن الكريم عن قضية خلق عيسى عليه السلام فيضرب لها مثلاً لا مجال إلا للتسليم به . يقول تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين » . صدق الله العظيم .

وهذه آية اخرى عن سيدنا عيسى عليه السلام من سورة المائدة أيضاً : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهين من دون الله ، قال سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسِك إنك أنت علاّم الغيوب . ما قلت لهم إلا ما

أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » . صدق الله العظيم .

وأخيراً هذه آية من سورة النساء حول الاعتقاد الصحيح بعيسى عليه السلام . قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورُسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقرّبون، ومَن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » . صدق الله العظيم .

فعندما قرأت الأخت نجوى هذه الآيات الكريمة عن سيدنا عيسى عليه السلام عرفت الحق فآمنت به دون تردُّد . وتضيف الأخت نجوى إلى هذا السبب الجوهري في اعتناقها الاسلام سبباً وجيهاً آخر فتقول : ومن الدوافع الأخرى التي جعلتني أختار الاسلام ديناً قضية الاعتراف لدى رجل الدين ، مع أنه رجل من البشر مثلنا لا يملك لنفسه المغفرة فكيف يملكها لغيره ؟! بينما في الاسلام نجد التوبة مفتوحة للناس جميعاً بينهم وبين ربهم ، دون أي وسيط من البشر . قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ،

إنه هو الغفور الرحيم » . صدق الله العظيم .

وهنا سُئلت الأخت نجوى هل علم أهلها بإسلامها ، وكيف كان موقفهم من ذلك ؟ فأجابت بقولها : لقد علموا بإسلامي ، وحاولوا أن يقنعوني بالعدول عنه والعودة إلى ديني السابق . ولكن محاولاتهم لم تنجح ، فأنا ثابتة على إسلامي بعد أن أنعم الله عليّ بالهداية .

أما موقفي أنا منهم فإنني أحمل لهم في قلبي كل حب وودّ ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يهديهم إلى الاسلام ، دين الفطرة ، كما هداني إليه .

وأخيراً دُعيت الأخت نجوى إلى توجيه كلمة إلى إخوانها وأخواتها في الاسلام فقالت : أُريد أن أتوجه بالرجاء إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة أن يعودوا إلى التمسك بدينهم العظيم ، دين الاسلام ، لأنه دين الرحمة والعدل ، الدين الذي ختم الله به الأديان جميعاً ، وجعل فيه الخير والسعادة للناس في دنياهم وآخرتهم .

٣ ـــ أحمد جيرمان ـــ المانيا الغربية

هذه قصة إسلام السيد أحمـــد جيرمان – رئيس المسلمين الالمان في ولاية رينانيا وست فاليا – وهي الولاية التي تقع فيهـا مدينة كولون، ويبلغ من العمر ٤٩ عاماً ، وهو يعمل في مكتب الماني لشؤون السياحة .

وقد حصلت عليها من ولده نوري ، الذي كان يدعى قبل إسلامه نوربارت والبالغ من العمر ٢٩ عاماً ، وذلك أثناء زيارته الاولى للكويت ضمن وفد المركز الاسلامي في كولون الذي ضمّ أربعة من المسلمين برئاسة الاستاذ محمـــد أحمد رسول وعضوية نوري ، ومسلم الماني آخر ودكتور الماني مسلم من أصل تركي ترك عمله وعيادته وجاء ضمن هذا الوفد الاسلامي للحصول على العون المالي من الكويت لإنشاء مسجـــد للعمال الأتراك المسلمين في كولون ثانية المدن الصناعية الالمانية ، والتي يقطنها أكثر من خمسين الف عامل مسلم من تركيا . كما ان هذا المركز يقوم بجهد مشكور لتعليم أطفال المسلمين امور دينهم ، فلديهم مدرسة

لأطفال المسلمين الأتراك ، ولكن إمكانات هـــذا المركز ضئيلة جداً ويحتاج إلى الدعم المالي الكبير حتى يقوم بواجبه على خير وجه ممكن .

وقد حدثني الأخ محمــد رسول رئيس الوفد ، أن المسلمين في اوربا عـامة يواجهون مع الأسف تعصباً وكبتاً لحقوقهم ، رغم أنهم يعيشون في أرقى بلاد الدنيا التي تنـــادي بحرية الاعتقاد وحرية الفكر ، ولكنها عندما تواجه الإسلام تتصرف بحقـــد وتعصب شديدين . وهذا أمر يؤسف له حقاً. كما ذكر لي الاستاذ محمد رسول أن الأتراك المسلمين في المانيا شديدو التمسك بدينهم ولهم أئمتهم الذين يسمى الواحد منهم « خوجه » يقوم على تربية الأبناء تربيـة إسلامية طيبة وهم بحاجة إلى العون المالي . وقد رأى أحد الزائرين المسلمين طفـــلة صغيرة في مدرسة المركز الإسلامي في كولون ، وكانت طفلة صغيرة نحيـــلة الجسم تحفظ شيئاً من القرآن الكريم وتجيد التلاوة إجادة تامة ،فأبدى الزائر تأثره ممـا رأى ، فقال له الخوجه الإمام التركي المسلم الذي يقوم على تدريسها : « إن لدينا ٤٥ طفلة اخرى مثلها في المدرسة » .

نعود الآن إلى الأخ أحمد جيرمان وأسرته . يقول ولده الأخ نوري : يبلغ أبي من العمر حالياً ٤٩ عاماً ، وله أسرة مكوّنة من أربعـــة من الأبناء وزوجة ، والأبناء اثنان من الذكور وبنتان . وقد أسلم الأب قبل حوالي ١٢ عاماً ، ثم أسلم بعـده ولده الأخ نوري ، وذلك بعد إسلام الأب بسنتين اثنتين .

سألت الأخ نوري ، وهو لا يجيـــد العربية ، قلت له عن طريق مترجم الماني جلس معنا : كيف أسلم والدك يا أخي ؟ فقال :

– لقد كان والدي يعمل في الأصل مسؤولاً في كنيسة البلدة التي يقيم فيها ، وكان عمله عبارة عن رعاية شؤون العمال المسلمين الأتراك في تلك المنطقة ، وتقديم العون المالي والمعنوي لهم باسم الكنيسة . وهذا اسلوب من أساليب التبشير النصرانية كما هو معلوم . فكان الوالد يساعد العمال الأتراك المسلمين المهاجرين إلى كولون للعمل ، في تأمين السكن لهم ، وإنجاز مصالحهم وتسهيل معاملاتهم لدى سلطات الحكومة الالمانية .

ومن خـلال عمله المذكور في الكنيسة ، تعرّف الوالد على إمام تركي كان مسؤولاً عن مسجد صغير في بلده منشن غلادباخ ، وكان يدعى الشيخ حسن زاجر ، وهو عبارة عن عامل متديّن يقوم بالإمامة في المسجد المذكور للمسلمين الأتراك . وكان حسن زاجر هـذا من أسرة يونانية الأصل مهاجرة من شمال اليونان ، وكانت أسرته على علاقـــة واحتكاك بالنصارى اليونانيين . وهكذا كان الشيخ حسن زاجر يعرف كيف يناقش النصارى في امور دينهم ويدحض حججهم ، حيث اطّلع على تعاليم الديانة النصرانية إبان طفولته وصباه بشكل جيـــد يؤهله لمثل تلك المناظرات . وهكذا فقد كان السيد أحمد جيرمان ، بصفته ممثلاً للكنيسة ، يدخل في مناقشات حامية الوطيس مع الشيخ حسن

زاجر، ويشترك معه في مشادات كلامية أحياناً، تتضمن مقارنة بين المسيحية والإسلام، وقد استمرّ ذلك حوالي ثلاث أو أربع سنوات انتهى بعقد صداقة وثيقة بين الرجلين. ومرّت فترة بعد ذلك هدأت فيها نفس السيد جيرمان، فما كان منه إلا أن اعتنق الإسلام على يد الشيخ حسن زاجر نفسه.

تذكّرني هذه الحادثة بلقاء تمّ بيني وبين مسؤول كبير في شركة الملاحة العربية المتحـــدة، وهو مدير العمليات البحرية بالشركة، وهو رجـل انجليزي لطيف. ذهبت إلى الشركة لمقابلة صديق لي فيها فلقيت عنده المدير المذكور، فجرى بيني وبينه حوار بدأه هو بالسؤال التالي، بعـد أن رأى نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية، قال لي: لا شك أن الله سبحانه وتعالى موجود، ولا شك أن هـذا الكتاب هو من عند الله، ولكن إذا كان هذا القرآن موجّهاً إلى الناس كافة كما يقول المسلمون، فلماذا أنزله الله باللغة العربية بالذات بحيث أحوجنا إلى عناء ترجمته ونقله إلى لغات أخرى كما يفعل الداعون إلى الأديان الرئيسية في العالم؟ لقد كان بوسع الله القادر على كل شيء، أن ينزل كتابه في عدة لغـــات رئيسية فتتضح رسالته للناس كافة، ويقيم الحجة عليهم جميعاً.

وهنا قلت له: إنك تعني أنه لماذا أُنزل القرآن الكريم باللغة العربية بالذات؟

فنظر إلى صديقي مرؤوسه نظرة فهمت منهـا طلبه منه أن

أرفق بمديره الذي أناقشه ، فطمأنته بأنني ارحّب بالنقـــاش الحرّ. وقلت للمدير : إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو تكريم وتشريف للناطقين بهذه اللغـــة ، العرب ، كما ان فيه مسؤولية ضخمة يحمّلهـا الله لهم . وأعود بك إلى أول خمسين سنة من تاريخ انتشار الإسلام ، منذ بعثة النبي محمـد ﷺ حتى خـــلافة عمر بن عبد العزيز تقريباً . ألم تكن رسالة الإسلام منتشرة من الصين شرقاً إلى شواطىء الأطلسي غرباً ؟ أي انه انتشر في كافة أنحاء العالم القديم ، ولم يمنع حاجز اللغـــة من انتشاره . بل على العكس من ذلك ، لقد انتشرت اللغة العربية مع انتشار الإسلام وأصبحت بلاد كثيرة تنطق بالعربية بعد أن تركت لغتها الأصلية . ألست معي في ذلك ؟

ثم أضفت قائلاً : لذلك أعتقـد أن من الأفضل تعليم الناس اللغة العربية تمهيداً لنشر الإسلام بينهم بدلاً من ترجمـــة معاني القرآن الكريم إلى لغـــات عدة ، لأن الترجمة لن تكون هي القرآن أبداً ، ولست هنا أدعوك لاعتناق الاسلام، وإنما أدعوك إلى دراسته ومحـــاولة التعرّف عليه . وأُطمئنك أن الإسلام ينتشر في كل بقعة من بقاع العالم اليوم، واللغة العربية هي عامل هام من عوامل توحيد المسلمين في العالم. وبهذا انتهى ذلك اللقاء الذي يبين ما في نفوس الغربيين من شبهات حول الاسلام .

نعود إلىقصة السيد أحمد جيرمان الذي أسلم لله على يد رجل بسيط أثر عليه رغم رصيد ذلك الالماني من الحضارة المادية وفي

أرقى بلاد الدنيا – المانيا . فرغم ذلك، فقد أسلم الرجل الغربي المتقـــدم على يد عامل مسلم بسيط ، بيد سلاح واحد هو الحق الذي يتهاوى أمامه كل باطل : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . صدق الله العظيم .

وهنا سألت الولد ، واسمه بعـد إسلامه نوري : ومتى كان إسلامك ؟

فقال : لقد أسلمت بعد والدي بعامين ، وقد أمضيت معظم ليلة أمس مع الاستاذ محمـــد رسول في الفندق، أتعلم منه كيف أقوم بإمامة الناس في الصلاة، لأنني أتطلع إلى خدمة هذا الدين والدعوة إليه .

وسألته بعد ذلك : وماذا عن باقي أفراد اسرتك ؟

فأجاب : في الحقيقة إنني أنا الوحيـــد من إخواني الذي اعتنق الإسلام ، وأملي كبير أن نوفق أنا ووالدي إلى هداية إخواني الثلاثة الباقين . أما والدتي فلا تزال متمسكة بدينها ، وطبيعي ان من العسير إقناع المرأة الكبيرة بتغيير دينها . ونحن بالطبع لا نعمل أبداً على إكراهها لأنـــه لا إكراه في الدين ، وسنصحبها خير صحبة ونعاملها أفضل معاملة ، لأن الإسلام هو دين التسامح .

وبعـــد ، فلا بد من كلمة نوجهها إلى الغيورين على نشر هذا الدين في كل مكان من عالمنا الإسلامي ، الذين آتاهم الله من

الإمكانات ما يتيح لهم الفرصة لعون إخوانهم المسلمين ، نقول لهؤلاء الإخوة : إن من الواجب دعم إخوانكم المسلمين الأتراك المهاجرين إلى المانيـــا ، حتى يثبتوا على دينهم ويكونوا سفراء للاسلام في المانيا ، لأن إقـامة مركز إسلامي في كولون بألمانيا مثلا هو بمثابة وضع حجر أساس لنشر الدعوة الإسلامية هناك .
والله يشرح الصدور لكل خير .

٤ ــ عبد الله كوبيناوا ــ غانا

هــذه هي قصة رجل من غانا كان يدعى قبل إسلامه الفريد كوبيناوا ، ثم لقب نفسه بعــد أن أسلم عبدالله كوبيناوا . هذا الرجل شبّ على الضلالة ، فجرفته الغواية حتى كاد يتشبع بهــا لولا أن حفظته هداية الله ، وحماه نور اليقين من الشك القاتل ، فانبلج أمامه صبح الإيمان بعد جهاد مرير مع نفسه وعقله .. كان يلحّ على عقـــله بأن يفكر ويناقش تلك الأباطيل التي لا يقبلها العقل ولا يساندها المنطق .

رأى الفريد كوبيناوا الضلالة أمام عينيه يتلقاها إخوانه على أيدي رجال الدين ، وتجسّمت له هــذه الأباطيل عندما سمع في دروسه الدينية ان عيسى بن مريم هو الله في زعمهم ، وأن السيدة مريم هي أم الله ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً . كانت هــذه الترّهات شبحاً مخيفاً يقضّ مضجعه ويؤرق جفنيه . وأراد أن يعترض فلم يسمع له أي إنسان ، وأراد أن ينـــاقش فاتهموه بالزندقة والكفر وتوعّدوه بالعذاب ، وهدّدوه بالحرمان من

الجنة ونعيمها .

قالوا له إن هـذه أسرار لا يعلمها إلا رجال الدين وعليه أن يؤمن بها على علاتها دون أدنى اعتراض او مناقشة . وقـد شعر يومها أن شيئاً عظيماً يجب أن يحدث في حياته ، فخرج مسرعاً من قـــاعة الدرس ، وقرّر أن لا يعود إلى هؤلاء الناس الذين يمسخون الحقائق ويشوّهون معالم الوحدانية ، وعاهد نفسه أن يصل إلى الحقيقة وحده مهما كلفه ذلك من ثمن ، فأعمل عقـــله وأجهد نفسه في القراءة والتفكير يريد أن يصل بروحه وكيانه إلى مبدع هذا الكون ، لأنه يتحرّق شوقاً إلى الهدى والنور .. فتوسّل هذا العبـــد القلق الحائر إلى الله أن يهديه إلى طريق الصواب ، ويرشده إلى معرفة الحق، فاستجاب الله دعاءه ، لأنه قريب يجيب دعوة الداعِ إذا دعاه ، وخرج من ظلمة الشك إلى نور اليقين ، وعندها شعر لأول مرة في حياته بالاطمئنان يغمر قلبه وبالسعادة تملأ جوانحه، وذلك حينما نطق بالشهادتين على يد الحاج شعيب وأصبح من وقتها مسلماً .

الفريد كوبيناوا .. إنه أخ جديد من غانا.. جلست أستمع بشغف بالغ إلى قصة إسلامه ، وأتأمل ملامحه الجادّة المعبرة التي تدلُّ على الثقة الكاملة والإيمان العميق . أخـذ يقصُّ عليَّ قصته في رويّةٍ وتمهل ، وكان يتخلل حديثه لحظاتٌ قصيرة من الصمت يقطعها بقوله « الحمد لله » ، وكأنه في صمته هـذا يسترجع بعض الذكريات او يمسح عن نفسه آثام الماضي البغيض .

بدأ السيد عبدالله كوبيناوا حديثه معي قـــائلاً : ولدتُ مسيحياً مؤمناً بديني كل الإيمان ، وكنت دائم الذهاب إلى الكنيسة منذ أن وعيت ، فضلاً عن إيماني بالله وحبي له وتفانيَّ في ذاته ، ومناجاتي إياه دائماً في السرّ والعلن ، فقد كنت أبغي الهدى وأنشد الراحة من هذه الخرافات الكاذبة ، لأنني – والحق يقال – أحسست في قرارة نفسي انني غير مطمئن لبعض هــذه الأراجيف التي يلقنها لنا رجال الدين .

ثم يضيف الأخ عبدالله كوبيناوا الغـاني المسلم قائلاً : كنت أعيش في دوامةٍ نفسية قاسية وفراغٍ روحي مملّ يكاد يعصف بكياني كله ، وفي الوقت نفسه كنت أرى هاتفاً يهتف بي من داخلي أيضاً ليعترضني ويقول : لا .. يجب أن لا تثور على دين آبائك وأجدادك .. فوجدت نفسي بين عاملين يتنازعني كل منهما ويشدّني إليه بقوة ، فضاقت بي الدنيـــا حتى كدت أختنق ، وتملّكتني رغبــة عارمة في الفرار منها . ولم أجد مكاناً أذهب اليه ، بعد أن التوَتْ أمامي الطرق ، سوى الكنيسة ، فلعل فيها ما يريحني ويدفع عني غوائل الشك والإلحاح . وفعلاً ذهبت إلى الكنيسة كعادتي ، وكانت هناك صورة تمثل المسيح مصلوباً ، وأحد رجال الدين يشير اليها قائلاً : هذا هو الله ، خالق الكون وأمه السيدة مريم هي أم الله ! .. فلم أتمالك نفسي ولم أستطع أن أكتم غيظي ، وصحتُ معترضاً ، ولكن هيهــات فقد ضاع صوتي ولم يقبل اعتراضي ، ورُميت بالكفر والزندقة .. وحينما

أردت أن أناقش مناقشة منطقية هُدِّدتُ بالحرمان من الجنة ونعيمها . وحينئذٍ لم أجد عوناً على ثورتي هذه إلا الفرار من هذا المكان مسرعاً ، فمضيت من فوري لا ألوي على شيء ، وأخلدت إلى نفسي احدّثها وأستلهمها الجواب .. كيف يكون السيد المسيح هو الله ، مع انه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ؟ وكيف يكون الله بشراً مثلنا ؟ ومَن الذي خلقه هو إذن ؟ وأيقنت ان خير وسيلة لي هي ان أبتعد عن هؤلاء الناس ، فلم أذهب إلى الكنيسة بعد ذلك اليوم .

وهنا صمت الأخ عبدالله كوبيناوا برهة ، جاشت خلالها نفسه بشتى الأحاسيس ومختلف الذكريات . وبعد فترة وجيزة من الصمت عاود حمده لله واستأنف حديثه قائلاً :

وفي ليلة لن أنساها ما حييت ظللت أقرأ وأفكر حتى شعرت ان عقلي يكاد ينفجر ، فقمت مسرعاً واتجهت إلى ربي وصلّيت له وتوسلت اليه ان يهديني وأن ينقذني مما كنت فيه ، وأن يأخذ بيدي إلى طريق الحق والخير وبَرّ النجاة والأمان .

ثم يحدثنا الأخ عبدالله عن تجربة مثيرة في حياته فيقول :

وفي أحد الأيام ، وبينما أنا أسير في شارع من شوارع غانا ، استوقفني جمع كبير من الناس ، وبينهم أحد الخطباء ، فذهبت اليهم لأستطلع الأمر ، فسمعته ينشر فيهم بعض التعاليم الفاضلة كالنظافة والوضوء والإخاء والتسامح وحب الخير والخضوع لله

وحده والنداء باسمه عزّ وجلّ لا شريك معه . فتـاقت نفسي لهذه المبادىء السامية وأشرفت روحي على قدسية النور الإلهي ووجدتني أنتبه فجأةً وأصغي بكل جوارحي إلى هذا الحديث العذب الذي نزل على قلبي برداً وسلاماً. وفي هذه اللحظة بالذات ذقتُ معنى السعادة لأول مرة في حياتي وشعرتُ ان هناك قوة خفيّة تدفعني إلى هذا الخطيب لأسأله المزيد من هذه النفحات الكريمة وأطلب منه إيضاحها لي ، وقد كانت إجابته تتفق مع ما في نفسي فتخدّر إحساسي وتهدهد خاطري وتمسح عني ذلك الألم الدفين ، فحمـدت الله الذي هداني أخيراً إلى طريق السلام الروحي وغمر قلبي بشعاع من الأمل الباسم ، وشكرت هـذا الواعظ على مـــا قدمه لي إذ أوصلني إلى طريق الله ، طريق الإيمان والأمان . فلم أتمالك نفسي وتلوت الشهادتين، ثم أشهرت إسلامي في ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ على يد الحـــاج شعيب شيخ الإسلام في غانا .

قلت للأخ عبدالله : تقول انك قرأت كثيراً ، وبالطبـع لم تقتصر قراءتك على دين بعينه ، فلماذا أحببت الإسلام واخترته ديناً لك ؟

فردّ قائلاً : يكفي ان الدين الإسلامي هو الدين الوحيـــد الذي لا يشرك مع الله أحداً غيره، ثم انه يَعِدُ الإنسان بالجزاء مضاعفاً في الآخرة ، وأي مسلم حقيقي لا يذهب أبداً إلى أبعد

من هذا ، وليس هذا فحسب ، بل هنـاك مئات المزايا الحسنة التي حببّت الإسلام إلى نفسي .

سألت الأخ عبدالله : وهل وجـدت معارضة من أهلك او من أحد من الناس على إسلامك ؟

أجاب : أنا لا تهمني إلا معارضة أهلي، وقد ثاروا عليّ فعلاً باديء الأمر، إلا أنني استطعت أن أثبت لهم عملياً أن هـــذه الثورة لا معنى لها . وقد رحّبوا بديني الجديد عندما رأوا مني الاستقامة واجتناب المنكر والامتناع عن شرب الخمر ، حتى التدخين عافته نفسي لأنه يضرّ بالصحة والمال ، وهذا لا يتفق مع تعاليم الإسلام . وقـــد تبعني في ذلك أخي الأصغر بإيعاز من أهلي .

وسألته أيضاً : هل كانت لك وظيفة في غانا ؟

فقال : نعم ، كنت أتعهد الأغذية لمدارس الحكومة .

وسألته : ولماذا تركتها وجئت إلى بلاد العرب ؟

فقال : في الواقع انني على استعداد لأن أضحّي بكل عزيز وغالٍ في سبيل الوصول إلى مزيد من المعرفـة التي تكشف لي حقـــائق الإسلام . والسبب الرئيسي الذي جعلني أحضر إلى البلاد العربية هو ظمأ المسلمين وغير المسلمين في غانا إلى معرفة تعاليم الإسلام الحقـــة . وقد استطعت بحمد الله أن أقنع سبعة وخمسين من أبناء غانا وأهديهم إلى الإسلام ، ولعلك تعجب من

ذلك، رغم أنني في بداية الطريق ولم أتعمّق في دراسة الإسلام، فكيف إذا درست الإسلام وعلمت أصوله وحقائقه ؟ أملي كبير في أن أكون هادياً إلى هذا الدين الحنيف إن شاء الله كي أفند الأباطيل التي يتشدق بها أعداء الإسلام من مبشرين وغيرهم . ولقد ذهبت إلى جامعة سيلان وتلقيت فيها بعض العلوم، ولكني أردت أن أتعلم لغة الدين الذي أحببته فنصحني أحد أصدقائي المسلمين وأنا في طريقي إلى مكة سنة ١٩٥٩ م بالتوجه إلى القاهرة باعتبارها المعين الغياض والمنهل العذب للعلوم الإسلامية والعربية. جئت إلى القاهرة لأتعلم الدين الإسلامي في الأزهر الشريف ، وعندما أعود سأجد كثيراً من إخواني المسلمين والنصارى على السواء ينتظرونني بفارغ الصبر ، لا سيما وقد استطعت اقناع أكثرهم باعتناق الإسلام ، ولهذا أريد التفقه في الدين والوقوف على تفاصيله وأسسه العادلة .

ويختم الأخ عبدالله كوبيناوا حديثه بقوله: وأول شيء سأفعله بعد تخرجي هو الدعوة إلى الإسلام في بلدنا ومحاربة المبشرين والعمل على نشر هذا الدين السمح ، فقد عاهدت نفسي على أن أكرّس وقتي ومالي لرفع راية الإسلام . ومن فضل الله أن ترك لي والدي مزرعة فأرجو أن يعينني الله على تحقيق هذه الأمنية الغالية .

٥ ــ فيصل محمّد ـ هولندا

هـذه هي قصة إسلام شاب هولندي كان اسمه قبل الإسلام مستر واجنر م . فاتخذ لنفسه بعد إسلامه اسم فيصل محمد . وقد نشرت قصته وانطباعاته عن الإسلام في إحدى المجلات الإسلامية الواسعة الانتشار. تحت عنوان «لماذا اسلمت» كتبت المجلة تقول:

إذا غمرت الهداية قلب إنسان، ملأت صدره بالنور، وملأت فؤاده باليقين، وألبسته ثوباً قشيباً من الإيمان، وخلعت عنه رداءَ الشك والظلام ، فينساب في روض مشرق من التأمـلات الوردية الشيقة ، ويسبح في عالم الفكر والاستنتاج ليجد نفسه أخيراً على شاطىء الأمان والسلام ، فيخرّ ساجداً لتلك القدرة الخارقة ، قـدرة الخالق العظيم التي تتحدى جميع القوى وتهيمن على سائر المخلوقات . وعندئذٍ يصيح المرء معترفاً من أعماقـه : لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير .. وهذه القصة التي بـين أيدينا هي خير شاهد وأعظم دليل عملي ملموس على ذلك .

فيصل محمد أو واجنر م . كما كان يلقب قبل إسلامه هو أخ

مسلم أشهر إسلامه في شهر ديسمبر من عـام ١٩٥٢ بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره ، ولكنه بعون الله وفضله اجتاز التجربة بنجاح ، ووصل إلى الحقيقة بعد أن أعياه البحث والتنقيب . يبدأ الأخ فيصل قصة إسلامه بقوله :

هناك عدة أسباب جعلتني أقرر اعتناق الإسلام ، فقد كنت قبل ذلك في حالة ذهنية مضطربة ، وهي حـــالة تسود معظم الشباب في أوروبا الغربية كما هو معلوم . وكنت حينئذٍ عضواً في الكنيسة الكاثوليكية بهولندة . في ذلـك الحين لم تكن لديّ الشجاعة الكافية لكي أدعو نفسي مسيحياً حقيقياً بمعنى الكلمة . فقد كنت أعاني صداعاً دائماً من جراء تفكيري التقدمي من جهة وإيماني بالعقائد المسيحية التي يجب أن يتقبّلها الإنسان النصراني منجهة أُخرى. إلا أن كثرة مصالحي المتعددة وأعمالي الكثيرة، وبحثي الدائب عن الدين الحق وتطلعي إلى حيـاة أهنأ وأسعد وأفضل، كل ذلك أدى بي إلى الانفعال بالأدب الإسلامي فتأثرت بالقرآن الكريم ، فمـا أعظم قول الله تعالى : « وان من امة إلا خلا فيها نذير » .

ويمضي الأخ فيصل فيذكر بعض الآيات القرآنية التي استوقفته أكثر من غيرها . ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« ان مَثلَ عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فـلا تكن من الممترين » . وقوله تعالى: « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني

وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مـا يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به . أن اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فإنهم عبادك . وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

وكذلك قول الله تعالى : إن الدين عند الله الإسلام . وقوله سبحانه : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً. صدق الله العظيم . فقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً في نفسي لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمي الذي يتميز به الإسلام ، فضلاً عما يمتاز بـه من النظم والتشريعات الأخرى ، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام . فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التي توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء ؟ لا شك أن الدين الإسلامي هو دين الحـق والصدق والبرهان .

ثم يشير الأخ فيصل محمد الهولندي الجنسية إلى دعوة الإسلام إلى طلب العلم وكيف أنه يحض المسلمين على ذلك فيقول : وممـا هو جدير بالذكر ذلك الاتجاه العلمي الذي جاء على لسان الرسول صلوات الله وسلامه عليـــه حيث يقول في الحديث الشريف : اطلبوا العلم ولو في الصين . ويقول : مداد العلماء خـير من دماء

الشهداء . ويقول عليه الصلاة والسلام: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وفي حديث آخر : من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة. وغير ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، التي تحض على طلب العلم . فالإسلام دين العلم . ويكفي أن أول آية في القرآن أنزلت على محمد ﷺ هي قوله تعالى : اقرأ . كما أن الله تعالى يمجد أدوات القراءة فيقول : نٓ والقلم وما يسطرون . وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده في تاريخ الكنائس والأديان الأخرى. ولهذا تجدني وصلت من خلال هذه الدراسات الإسلامية ومما قرأته في كتاب الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرةً إلا أحصاها ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وصلت بذلك إلى ما أبغيه لنفسي من الاستقرار والأمان . فالحمد لله على ذلك .

وهنا يتساءل الأخ الهولندي فيقول : من منا يسمع هذه الآيات البينات التي نزلت لتبين الأحكام الربانية وتشرح القوانين وتضع الأسس الكاملة لطريق الخير والرحمة ثم يعرض عنها ولا يؤمن بها ؟ لا ينكر ذلك إلا مكابر معاند أعمته الضلالة وتخبط في ظلام الشرك .

ويمضي الأخ فيصل في تساؤلاته فيقول : هل هناك أهدى من هذا الكتاب الذي يشتمل على حل لكل مشاكل الحياة بكل ما تشتمل عليه من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية ؟ ان من يقف على تلك التعاليم السامية يجزم بأنها بمثابة روح الحياة

ونعيمها ، وأنهـا بعينها الحقيقة الخالدة التي لا مواربة فيها ولا التواء ، ولهذا جاء اقتناعي بهـذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير .

سئل الأخ فيصل عن كيفية إشهاره لإسلامه فأجاب قائلاً :
لقد أشهرت إسلامي على يد عالم جليل كان يزور بلدي هولندا في ديسمبر عام ١٩٥٢ ثم قررت أن أزور القاهرة لأرى الأزهر الشريف، كعبة العلم وشعاع الأمل الذي يخرج منه عبير الإسلام قوياً ليهدي الحيارى ويسكب في قلوبهم رحيق الحياة . وأنا دائم الاطلاع على الكتب الإسلامية منذ أن أعلنت إسلامي ، بل لقد قمت بتأليف بعض الكتب رداً على هؤلاء المكابرين الذين يفترون على الاسلام فينسبون إليه تهماً هو منها براء . وليس هذا فحسب ، بل لقد ألقيت محاضرة قيمة حول مزايا الاسلام هناك في المسجد الكبير في امستردام بهولندا، كان لهـا أثر طيب في نفوس الحاضرين فالحمد لله على ذلك .

وقبل أن ينتهي اللقاء بالأخ فيصل قال :

ان الاسلام في هولندا بخير والحمد لله . فهناك نشاط إسلامي ناشىء وهناك جالية إسلامية تنمو مع الزمن ، وهناك اتحـاد إسلامي يعمل على التعريف بالاسلام باللغة الهولندية . عسى الله أن يبارك في هذا الغرس الطيب .

هذه هي قصتي أو على الأصح قصة إسلامي التي اعتبرها بداية

طيبة لحيـاتي الجديدة ، تلك الحياة الصحيحة البعيدة عن الزيف والخيال .

وبعد ، فهـذه القصة تحمل في طياتها أنبل المعاني وأنصع البراهين وفيها نبضة حية من نبضات الايمان الصادق إن شاء الله الذي تحرك بـه قلب هذا الرجل الهولندي . فسبحان الهادي . فهل هناك بعد ذلك أي مجال لمن يتخرص أو يفتري على هـذا الدين القويم ؟ دين العدالة والرحمة والإخاء ، دين الحق والحرية والمساواة ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

٦ ــــ فنسـاي مونتـاي ـ فرنسا
أو المنصور بالله الشافعي

\- ١ -

فنساي مونتاي أو المنصور بالله الشافعي كما يلقب نفسه بعد إسلامه، هو رجل بحث وترحال اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية عن كثب ، قضى سنوات عديـدة في المغرب والمشرق العربيين ، وفي إيران والسنغال واندونيسيا ، وقـام برحلات كثيرة إلى مالي وغـانا وساحل العاج والنيجر وموريتانيا وسيراليون . وقد نشر حوالي مئة بحث ومقال ، وما يقرب من عشرين كتابـاً عن الإسلام والحضارة الإسلامية وعن المسلمين واللغة العربية ، كما قضى ست سنوات من عمره في ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية صدرت في ثلاث مجلدات ، وكانت نهاية هـذه الرحلة الميدانية والفكرية ، الاعلان عن إسلامه في مدينة نواق الشط المعروفة بنواكشوط ، عاصمة موريتانيا في صيف عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧ م .

وقد نشرت له مجلة (فرنسا والبلاد العربية) في عددها الصادر في أبريل-مايو ١٩٧٨ مقالاً مسهباً يشرح فيه الأسباب والدوافع التي حملته على اعتناق الإسلام. وقد نقلته جريدة (ديالوج) التونسية بحذافيره، ونظراً لما في هذا المقال من مزايا، فإننا ننقله حسب نصه الوارد في جريدة ديالوج مع بعض التعليقات هنا وهناك لإتمام الفائدة.

يبدأ المنصور بالله الشافعي أو فنساي مونتاي حديثه عن إسلامه بقوله: إذا اعتنق الإنسان الإسلام، فإنه يكون قد اختار ديناً أعني اختار طريقاً فيه تجاوز للذات، أي أنه اتخذ لنفسه تصوراً للكون ومنهجاً للحياة، والتحق بصفة واضحة بأمة توحدها عقيدة، ويعني ذلك بالنسبة لي، وأنا في خريف العمر، أن ألقي بنفسي، رغم الشبهات التي تحيط بالنفط العربي، في صف الفقراء أو معسكر الفقراء، بمنطقة العواصف، وإلى جانب الفلسطينيين، ويعني ذلك أيضاً أن نفسي على هامش القوى العظمى، وأن أضع المال جانباً دون إفراط في الزهد، أي أن أكون في جانب العدل والحق.

ويضيف الأخ المنصور بالله قائلاً: وفي الوقت الذي نرى فيه العالم المعاصر يجعل من التقنية غاية تبرر الواسطة، ويا للأسف، فإن الالتجاء إلى الإسلام يجعل المرء يرفض هذا المفهوم ويتمسك بقيم أسمى. وعلى كل حال فإنني أبقى فرنسياً شأني شأن شارل ديغول، وتبقى فرنسا وطني، أرضي وأرض أجدادي، ولكن

« وطني الروحي » هو العالم العربي . إن انتمائي للإسلام يمثل بالنسبة لي تحقيق ما في أعماق نفسي ونهـــاية المطاف المنطقية لوجودي، وليس هو تمزقاً بين وفاءين، بل يعكس تعمقاً وشعوراً بأن كل الخطوط السامية تتلاقى، حسب عبارة الفيلسوف تيهارد دي شودان .

وقبل أن يستعرض الأسباب التي أدت إلى اعتناقه للإسلام ، يقول الأستاذ المنصور بالله : إن اعتناقي للإسلام يرجع لأسباب دينيــة وخلقية واجتماعية ، ودوافع ثقافية ومقتضيات تضامن دائم . أما عن الأسباب الدينية فقــد جاء في صحيح البخاري حديث نبوي شريف يذكرنا بحقيقة لا جدال فيها ، وهي قول الرسول ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه (كتاب الجنائز) من رواية أبي هريرة. لقد نشأت في وسط كاثوليكي وتخلّيت في وقت مبكر عن كافة الشعائر الدينية. فالمعتقدات المسيحية كانت غامضة بالنسبة لي، وأعني بهـا التثليث والحلول وصلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، ويسمونها أسراراً لأنها حسب تعبيرهم لا تفهم عقلاً ، وبدون الإيمان بها لا يكون الانسان مسيحياً . والطقوس كانت تبدو لي بلا جدوى . والشعائر والطقوس المسيحية سبعة أهمها: التعميد والصلاة والصوم والعشاء الرباني وتقديس الصليب وحمله. وفيما يخص رجال الدين فإنني وإن كنت لا أفهم معنى الخلوة والتأمل الفردي أو الزهد ، لا أجدني في حاجة إلى وسيط بين

الخالق والمخلوق .

ويستطرد الأستاذ المنصور بالله الشافعي في قصته فيقول : وفيما بعد شعرت بوجود حجر عثرة بين الديانه المسيحية والإسلام وأعني بها ألوهية المسيح عيسى عند النصارى التي يرفضها الإسلام ويفندها ويدحضها ، ومن جهة أخرى رسالة محمد ﷺ ونبوته التي يعتبرها النصارى مجرد ادّعاء لا يؤمنون به . فكل محاولة للتوفيق بين الديانتين كانت تبدو لي مصدر اضطراب وبلبلة ، لذلك تحتم عليّ الاختيار بينهما اما أن أؤمن بالمسيحية أو بالإسلام فاخترت الإسلام .

ثم يقول : لقد اكتشفت القرآن لأول مرة من قراءة ترجمته الفرنسية الصادرة عام ١٦٤٧ م. كان ذلك في مدرسة سان سير فيما بين عامي ١٩٣٤ – ١٩٣٦ وهي مدرسة عسكرية لتخريج الضباط توجد في ضواحي باريس ، وكان الأستاذ المنصور بالله من طلابها. وجدير بالذكر أن أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم هي الترجمة المشار إليها ، وقد تبعتها عدة ترجمات بلغت أكثر من ٤٠ ترجمة قام بأغلبها مترجمون فرنسيون، ولم تخل هذه الترجمات من تشويه أو تحريف . المهم أنني كنت كل أسبوع أنسخ باعتناء بضع آيات أختارها من الترجمة .

بعد ذلك يتحدث عن قضية الإيمان بألوهية المسيح فيقول : وفيما يتعلق بقضية المسيح عليه السلام ، فلم أستطع الاعتقاد بأن الله الواحد يمكن أن يكون له ولد ، وكان الموقف الوحيد المنطقي

والمرضي بالنسبة لي هو موقف القرآن الكريم الذي يقول : إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. سورة النساء، آية ١٧١. وفي سورة الاخلاص نقرأ قول الله تعالى : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

ثم يعلق الأستاذ المنصور بالله الشافعي على ذلك بقوله : لم يكن المسيحيون الأوائل بعيدين كل البعد عن هـــذا المفهوم الإسلامي . فقد ظلوا على العقيدة الإسلامية الصحيحة حتى عام ٣٢٥ ميلادية حين عقد مجمع نيقية وأعلن رسمياً أن المسيح إله ابن وحيد لله . وأغرب عن ذلك مـــا صدر عن مجمع روما الرابع الذي عقــد في عام ١٢١٥ ميلادية لتحديد كنه الذات الإلهية بقوله عنها : لا تلد ولم تولد . فهذا الاعلان ليس في حقيقته إلا ترجمة حرفية للآية الثالثة من سورة الاخلاص « لم يلد ولم يولد ». لذلك كله لم أستطع قبول العقائد المسيحية الكبرى الثلاث وهي التثليث والحلول والصلب. وفيما يخص المعتقد الأخير وهو الصلب فإنني أؤمن بما جاء في القرآن الكريم وهو قول الله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم » . وقوله تعالى : « بل رفعه الله إليه » . النساء آية ١٥٧ .

بعد ذلك ينتقل الأستاذ المنصور بالله إلى نقطة أُخرى فيقول: والملاحظ أيضاً أن كلام الله هو القرآن الكريم عند المسلمين في حين أنه المسيح لا الإنجيل عند النصارى .

ثم يتحدث عن أصل كلمة مسيحي ومسيح فيقول: إن لفظة

مسيح بالعربية تعود إلى أصل آرامي ، ثم ترجمت إلى اليونانية فأصبحت كريستوس .

ثم يقول بكل وضوح وجلاء معلناً إسلامه :

إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ . وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنه بعث للناس كافة ، وأن رسالته جاءت لختم الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل . وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة . فأنا أرفض خواطر بسكال العـــالم الأوروبي الحاقد على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة واحدة وهي قوله : ليس القرآن من تأليف محمد ، كما أن الانجيل ليس من تأليف متى .

ويختم الأستاذ المنصور حديثه بقوله : لقد وصلتني مؤخراً رسالة من بيروت كتبها لي صديق نصراني لبناني يرجوني فيها أن أجتنب إيذاء المسيحيين ، وأن أتفادى ازاءهم كل كلام فيه إثارة وعدوان من شأنه أن يصدر عن إنسان حديث العهـــد بالاسلام ، وأنا عازم على الوفاء بذلك لأن النصارى في نظر المسلمين هم أهل كتاب شأنهم شأن المسلمين أنفسهم ،ولأن القرآن الكريم يدعو إلى التسامح ولأن الله تعالى يقول: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . وأخيراً لأن النصارى هم أهل ذمة يوصينا رسول الله بهم خيراً فيقول : من آذى ذمياً فقد آذاني .

وإلى الحلقة القادمة لتكمل قصة إسلام الأستاذ المنصور بالله الشافعي .

٧ ـ فنساي مونتاي ـ فرنسا
أو المنصور بالله الشافعي

- ٢ -

قدمنا في الحلقة الماضية قصة إسلام الأستاذ فنساي مونتاي أو المنصور بالله الشافعي من فرنسا . وقد تحدث عن الأسباب الدينية التي دعته إلى اعتناق الإسلام . وفي هذه الحلقة يبدأ الأستاذ المنصور بالحديث عن الأسباب الخلقية التي جعلته يختار الاسلام ديناً فيقول :

إن الاسلام لم يناد بالخطيئة الأولى ، فالقرآن الكريم يقول : « وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » . صدق الله العظيم .

وبناءً عليه فإننا لا نجد في الاسلام أي شعور بالذنب في مفهومه الانكلوسكسوني وهو مصدر العصاب المسيحي حسب تعبير الدكتور صوليناك الطبيب الكاثوليكي . ومن جهة أخرى

فإن العفة والزهد في نظر الاسلام ليسا مُثُلاً بعيدة المنـــال بالنسبة للبشر . فالله تبارك وتعالى يقول : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » ، ويقول سبحانه : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ». (المائدة : ٦) .

ثم يتناول الأستاذ المنصور عدداً من الشبهات الرئيسية التي يثيرها خصوم الاسلام ، فيرد عليها ويدحضها ويفندها بالدليل الدافع فيقول :

أما الشبهات الخمسة الكبرى التي تثار دوماً ضد الاسلام في الغرب ، فأنا أراها غير ذات موضوع على الاطلاق ، وأعني بها : الجبرية ، والتعصب والقسوة ، والرق وتعدد الزوجات .

وهنا يتحدث عن الجبرية فيقول : الجبرية ما هي في الحقيقة إلا التوكل على الله والخضوع بين يديه . فالارادة الإلهية تتمثل في أوامر القدر . لكن القرآن لا يتعرض لقضية الجبر بمفهومهـــا النظري . يقول الشيخ محمد متولي شعراوي : ماذا تعني كلمة أمر الله . لنعد إلى القرآن الكريم نجد الآية الكريمة : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » . إذن أمر الله هو إرادة الله ، والارادة هي كلمة كن . وفيما يخص حرية الاختيار فإنه يجدر التأمل في الآيتين التاليتين من سورة الانسان «فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » .

بعد ذلك يتناول التهمة الأخرى وهي التعصب فيقول :

إن الإسلام لا يوجب استعمال القوة إلا عند الدفاع الشرعي أو الحرب العادلة الجهاد. جاء في صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. أوليس الإسلام إذن هو الديانة الحنيفية السمحة ؟

ثم ينتقل إلى الشبهة الثالثة التي تثار ضد الإسلام من قبل أعدائه وهي القسوة فيقول: والمقصود بالقسوة هنا شدة العقوبات الشرعية، وعلى الأخص الرجم والتغريب وقطع يد السارق. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإسلام يقدّس العلاقات الأسرية، ويحرص أشد الحرص على أن ينسب الأبناء إلى آبائهم الحقيقيين من هنا نرى بشاعة جريمة الزنا في نظر الإسلام مما استدعى عقوبة رادعة في هذا الموضوع الشديد الحساسية. أما عن قطع يد السارق، فاليد لا تقطع إلا إذا ثبت بالأدلة الدامغة على أن الفاعل سرق دون حاجة أو إكراه، وإنما اعتدى على المال المحرم عليه، وحيث أن الإسلام قد كفل للمسلم ولغير المسلمين دمه وماله، لذلك اعتبر جريمة السرقة بشروطها جريمة نكراء تستحق هذه العقوبة الشديدة، ولو أحصينا عدد الأيدي التي قطعت في صدر الإسلام الأول لما تعدى ذلك أصابع اليد الواحدة. وفي مقابل ذلك أمن الناس على أعراضهم وأموالهم ودمائهم. قال تعالى: « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » صدق الله العظيم. وهكذا تسقط هذه التهمة الباطلة من تلقاء نفسها.

بعد ذلك يتحدث الاستاذ المنصور بالله عن شبهة الرق، وأن الإسلام يشجع الرق والاسترقاق . وهذه فرية هزيلة ، فالإسلام لم يبتدع الرق وإنما كان نظاماً سائداً في العالم كله عند ظهور الإسلام ، وعلى العكس من ذلك أخذ الإسلام يقضي على الرق بصورة تدريجية، فكثير من الذنوب جعلت كفارتها تحرير رقبة. وعتق العبيد يعتبر قربة من أعظم القربات عند الله تعالى . والإسلام يعتبر الرقيق أخاً مساوياً لسيده في كل شيء . فهذا رسول الله ﷺ يقول : إخوانكم خولكم ، فاطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون. ويكفي أن نذكر أن الإسلام كرم الارقاء وجعلهم أسياداً فهذا بلال الحبشي ، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي جعلهم الإسلام أسياداً على رجال من أشراف العرب . فهل بعد هذا التكريم من تكريم ؟

وأخيراً يتناول الاستاذ المنصور بالله مسألة تعدد الزوجات ويقول بأن الإسلام حدّد التعدد ولم يبتدعه . كما أن التعدد لا يكون إلا حلاً لمواقف معينة ومشكلات كبرى . وقد اشترط الإسلام العدل في التعدد والقرآن الكريم يقول : « فإن لم تعدلوا فواحدة » . وعلى كل فإنني أجد راحة في الإسلام لا أجدها في غيره ، لأن الإسلام لا يفرّق بين قبضة الطين ونفخة الروح ، ويعطي للفكر مكانته وللجسد مكانته . ولم أجد ديناً كالإسلام في إكرام الضيف والوفاء بالوعد . فالرسول ﷺ يقول: والله لا يؤمن من لا يكرم ضيفه . ويقول : آية المنافق ثلاث : إذا

حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . فماذا يريد الناس بعد ذلك ؟!

ثم ينتقل الاستاذ المنصور بالله إلى الأسباب الاجتماعية التي دعته لاعتناق الإسلام فيقول: ان انتمائي إلى الإسلام يعني التحاقي بأمة تضم أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم دون أن أقطع صلتي بوطني ومسقط رأسي. لقد عشت أكثر من ٣٠ سنة في أفريقيا الشمالية وإيران ولبنان واندونيسيا وتجولت في الأرض وكأنني ابن بطوطة جديد فوجدت نفس المنهج في الحياة ونفس العقيدة ، وقد حق للكاتب الفرنسي لوي ماسينيون أن يسمي الإسلام « تيوقراطية المساواة » وكان يرى في المجتمع الإسلامي مجتمع الشجاعة والبساطة وعدم الكلفة دون إفراط في التزهد . فيعجبني أكل التمر واللبن . وليس لي أية علاقة بالدولارات النفطية . أما الممنوعات من الأطعمة فهي لا تحرجني إذ أنني لم يحدث أن تناولت في حياتي خمراً ولا شربت كحولاً ، ويمكنني الاستغناء عن الخنزير ولست من المدخنين .

ويتحدث عن الشعائر والعبادات فيقول : أما أركان الإسلام الخمسة فإنها تمثل بالإضافة إلى الالتزام الشخصي تضامناً في الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج . ثم يتناول الدوافع الثقافية فيذكر ما يدين به العالم أجمع للحضارة الإسلامية العربية وكيف أضفى المسلمون العرب طابعاً عملياً للفكر العلمي . ويشيد بدور القرآن الكريم في ذلك فيقول : ان مثل الفكر العربي الإسلامي

المبعد عن التأثير القرآني كمثل رجل أفرغ من دمه .

وأخيراً يتحدث الاستاذ المنصور بالله عن الدافع الأخير الذي جعله يختار الإسلام ديناً وهو التضامن مع معسكر الفقراء معسكر عالم يمتد من السنغال إلى أندونيسيا وهو في الحقيقة منطقة العواطف، معسكر العمال المهاجرين الذين يصل عددهم في فرنسا وحدها إلى مليوني نسمة . وهذا أحد أصدقائي المسلمين من أندونيسيا يقول لي : إن اعتناقك للإسلام يجعلك وفياً لفكر الفيلسوف الفرنسي لوي ماسينيون . وهذا قس عربي من المشرق يهنئني أيضاً لانتمائي إلى الإسلام مع احتفاظي بجنسيتي الفرنسية .

وبعد ، فهذا هو التفسير الذي جعلني أُشارك في صلاة الجمعة التي أُقيمت في مسجد الرمال بنواكشوط يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٧٧ وقد سميت نفسي المنصور الشافعي لأن اسم منصور في العربية يوازي اسمي فنساي ، ولا منصور إلا بالله . واتخذت المذهب الشافعي لأنه الأكثر انتشاراً في العالم الإسلامي وانتماءً لإخوتي في أندونيسيا أكثر المسلمين عدداً .

٨ — الدّكتور دُوجـلاس آرشر - جامايكا

هـذه هي قصة إسلام الدكتور دوجلاس آرشر الذي يعمل الآن مـديراً للمعهد التربوي في منطقة الكاريبي – جامايكا . واسمه الإسلامي عبدالله . وقـد جاء إلى الكويت من المملكة العربية السعودية ضمن جولة له قـام خلالها بزيارة بعض البلاد العربية والإسلامية ، لمس خلالها الكثير من التشجيع من قبـل إخوانه المسلمين لدعم مهمته الإسلامية .

والدكتور آرشر شاب وسيم أسود البشرة ، يبلغ من العمر حوالي ٤٢ سنة متحفز نشط ، له طموحات كبرى . وقد كان لي اللقاء التالي معه أثناء زيارته الأخيرة لدولة الكويت في مطلع هذا العام ١٩٧٩ م . يبدأ الدكتور عبد الله آرشر حديثه إلينا بقوله :

جامايكا عبارة عن جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي تقع إلى الجنوب من جزيرة كوبا وفي مواجهة جواتيمالا وهندوراس وإلى الشمال من بنما و كولومبيا . وهي بهذا تشغل موقعاً استراتيجياً

ممتازاً في وسط هذه البلاد . ويبلغ عدد سكانها حوالي مليونين ونصف المليون نسمة ٩٨ ٪ منهم من النصارى. والأغلبية العظمى من سكان الجزيرة (جامايكا) هم من أصل أفريقيا ، ومن هنا جاء لون البشرة السوداء الغالبة . وهكذا فبالرغم من كون الأغلبية الساحقة للسكان من النصارى إلا أنهم على استعداد لفهم الإسلام وتقبله . وهذا الاستعداد لا يقتصر على جزيرة جامايكا وحدها بل يتعداها إلى منطقة الكاريبي بأسرها ، ومن هنا فهناك فرصة ذهبية الآن لنشر الإسلام في تلك المنطقة من العالم .

ويمضي الدكتور عبدالله آرشر في حديثه فيقول :

لقد قدمت استقالتي من عملي كأستاذ لعلم النفس وبناء الأمة في الولايات المتحدة الأميركية حيث كنت أدرس وبعد أن تخرجت كنت أعمل فيها ، وعدت إلى بلادي جامايكا لأسهم بدوري وبجهدي المتواضع في دعوة أبناء وطني إلى الإسلام. فقد لاحظت أن أبناء بلادي سكان جامايكا يشعرون بخيبة أمل وإحباط تجاه طريقة الحياة الغربية التي تشرّبوها ونفروا منها تماماً ، وبدأوا يُقبلون على الإسلام ويتجهون إليه . وقد تصاب بالدهشة لو قلت لك أن هناك الآن حوالي أربعين ألف مسلم في جامايكا .

وبعد أن أعربت عن إعجابي ودهشتي لهذا العدد الطيب من المسلمين الذين لا يحس بهم أحد في بلادنا العربية ، قلت لهذا البروفسور المسلم المتحمس لدينه : هل لك أن تحدثنا عن قصة

إسلامك وحيث حدث ذلك ؟ فأجاب قائلاً :

قبل أن أعتنق الدين الإسلامي كنت بروتستنتياً من الطائفة المسماة سفنث دي أدفنتست (Seventh Day Adventist) وكنت وما زلت الولد الوحيد لوالدي . فليس لي إخوة ، ولي أخت واحدة متزوجة ولها سبعة أبناء وتدعى لينا وهي لا زالت بروتستنتية . أما والداي فقد ماتت أمي من ناحية ، وأبي البالغ من العمر الآن ٧٧ عاماً، هو رجل متدين لا يزال على قيد الحياة، وهو محال على المعاش الآن بعد أن كان يعمل مديراً لأحد البنوك، هذا عن أسرتي .

أما بالنسبة لي فقد كنت أعمل في جامعة الينوي بأميركا وكان بعض زملائي من المسلمين . ويعمل واحد منهم الآن في معهد الكويت للأبحاث العلمية .

وهنا قاطعت الدكتور عبدالله آرشر قائلاً :

نعم ، ولكن كيف حدث تحولك إلى الإسلام ؟ فقال :

في الفصول التي كنت أعقدها حول علم النفس بالجامعة كان بعض طلابي من المسلمين، وكانوا من بلاد الشرق الأوسط. وكانت البداية أنهم لم يكونوا يجيدون الحديث باللغة الإنجليزية بطريقة مناسبة. وهكذا لم يكن لي بدّ من الجلوس معهم بعد المحاضرات للتحدث في موضوع المحاضرات وغيرها . ومن خلال هذه اللقاءات وهذا التفاعل أثاروا في نفسي حب الاستطلاع والفضول

لمعرفة المزيد عن معتقداتهم ومبادئهم ، وكان هؤلاء الطلاب مثالاً طيباً في الرقة والأمانة والاحترام لدرجة أنني تأثرت بهم أعمق التأثر ، وأحببت شخصياتهم الإسلامية وأعجبت بها إعجاباً كبيراً .

ويمضي الدكتور آرشر في حديثه فيقول :

ومن ناحية أخرى كنت أعلم الفلسفة ، ومن هذا المنطلق أيضاً قرأت شيئاً عن الإسلام. ولذلك فلعلي أيضاً تأثرت بصورة لاشعورية بهذا الدين . إلا أن اتصالي بهؤلاء الطلبة المسلمين يعتبر البداية التي دفعتني إلى الاهتمام بهذا الدين وأثارت في نفسي حب الاستطلاع لمعرفته أكثر وأكثر .

ثم ينتقل بنا الدكتور عبد الله آرشر ويعود بنا إلى الأيام الخوالي عبر ذاكرته فيقول : قبل تلك الفترة بوقت قصير كان هناك طالب سعودي في قسم الدراسات العليا يسكن في نفس البناية التي كنت أعيش فيها . وكنا نتحدث كثيراً عن الإسلام ، وقد أعطاني عدداً من الكتب الإسلامية أخذت بقراءتها باهتمام. وقد أخبرني ذلك الصديق السعودي أن هناك استاذين مسلمين في نفس الجامعة ، وقدمني إليهما وتبادلنا الزيارات وأجرينا عدة مناقشات عن الإسلام . كان ذلك في عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ م ثم بدأت في زيارة المساجد لمشاهدة صلاة الجمعة ، وبذلك ازداد اهتمامي بالإسلام .

بعد ذلك يتحدث الدكتور آرشر عن العامل الهام في هذه

العملية النفسية التدريجية التي تحول خلالها إلى الإسلام فيقول :

ونقطة أخرى هامة هي أن بحثي لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة . ومن هنا عرفت مـــا تحتاج إليه الأمم لبنائها الإجتماعي والإقتصادي والسياسي وكذلك البناء الروحي . واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعـــدة قيمة لإعادة بناء الأمة إجتماعياً واقتصادياً وروحياً. ولذلك فإذا سألتني لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلاً من الضمير وكذلك حياة المؤمنين به على حد سواء .

إن تعاليم الإسلام هي تعاليم عملية تقدم نموذجاً لبناء الأمم كما يمنح الإسلام للضالين إحساساً بالأمل والإتجاه . ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله ونحو بني الإنسان بصورة أفضل.

وفي الوقت الذي تتحدث فيه الأديان الأخرى عن إله واحد، إلا أنها تعبد ربين أو ثلاثة . أما المسلمون فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً . وهنا شعور قوي بالاخوة الإسلامية في العالم الإسلامي وخاصة بين أولئك الذين يؤمنون بالإسلام حقاً ويطبقونه بصدق .

سألت الدكتور آرشر السؤال التالي : لماذا يحتاج العالم اليوم في رأيك إلى الإسلام ؟ فأجاب قائلاً :

لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ولأمكن تلبية الحاجات الإجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء . فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان . أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء والأمل والهدى للحيارى والضالين. وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية .

وأخيراً طلبت من الدكتور عبد الله آرشر أن يحدثني عن المعهد التربوي في الكاريبي الذي يرأسه فقال : نحن ملتزمون بنشر الإسلام في جزر الهند الغربية عن طريق البرامج العلمية للمعهد . وسنعقد مؤتمراً لهذا الغرض في ١٢ يوليو — ٢٣ يوليو ٧٩ م وسيكون المؤتمر الثاني من نوعه ، وقد خرجت من زيارتي للسعودية بتجربة ستفيدني دائماً. فقد عززت زيارتي لمكة والمدينة إيماني بالإسلام . وإنني أتطلع بأمل إلى زيارتي للكويت . فالكويت بلاد تعمل على نشر الإسلام في العالم . ويختم الدكتور آرشر حديثه بالدعاء أن يتفهم المسؤولون حاجاته وأن يرزقوا روح التعاون معه .

٩ — السّيّدة سامية وديع - مصر

- ١ -

هذه واحدة من أغرب القصص في هـــذا البرنامج . وهي ليست قصة من نسج الخيال، وإنما بقدر ما هي غريبة فهي جزء لا يتجزأ من الواقع الذي نعيشه . فتحت عنوان « أخطر عملية جراحية يجريها الجن » كتبت صحيفة القبس الكويتية الواسعة الانتشار تقص على قرائها كيف اهتدت أسرة قبطية في مصر بكامل أفرادها إلى الإسلام . وقد نشرت هذه القصة في ملحق القبس ليوم الاثنين ٢٦ مارس عام ١٩٧٩ . قالت الصحيفة :

إليكم هذه الرسالة من القاهرة، فقد كتب مراسلنا هناك يقول : لقـــد استأصل الجن السرطان من جسد امرأة أخبرها الأطباء أنها ميتة لا محالة . أفراد أسرة المريضة يعلنون إسلامهم ويقولون بأن هذه المعجزة قـــد تمت على يد جارة مسلمة عادت مؤخراً من أداء مناسك الحج هذا العام .

وتمضي الصحيفة في قصتها فتقول :

بعد خمس سنوات كاملة من الآلام المبرحة وعقب إعلان الأطباء عن عجزهم الكامل عن علاج المرأة وتحقيق الشفاء لها ، استيقظت المرأة ذات صباح لتجد نفسها ، ويا لدهشتها الكبيرة ، أنها قد أجريت لها عملية جراحية تمّ فيها استئصال السرطان القاتل من جسدها !

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه القصة المذهلة ، لا بدّ أن نعرف شيئاً عن الجن ، فهذا الحادث وغيره من الحوادث الكثيرة المتكررة تثبت بجلاء دون أدنى شك أننا نحن البشر لا نعيش وحدنا في هـــذا العالم . فديننا الإسلامي الحنيف يقرر أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنس والجن ليعبدوه . قـــال تعالى : « ومـــا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » صدق الله العظيم . فالإنسان مخلوق من الطين ، والجان مخلوق من النار . ورغم أننا نحن البشر لا نرى الجن ، فإنهم يعيشون بيننا . فهم يتزوجون ويموتون ويتوالدون وبعضهم مؤمن والبعض الآخر كافر . وإبليس هو زعيم الكفار من الجن وهم مـــا يسمى بالشياطين . والواقع أن ما يقوم به أفراد الجن من أعمال عادية يعتبر في نظرنا نحن البشر من المعجزات . فهذا عفريت من الجن يقول لسيدنا سليمان عن عرش بلقيس الموجود في اليمن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وقد كان سليمان في مدينة القدس . أضف إلى ذلك ما كان يقوم بـــه عفاريت الجن من مهمات لسليمان تعتبر

خوارق في نظرنا نحن بني الإنسان . فسبحان الخالق العظيم .

والآن تعالوا بنا نبدأ هذه القصة من أولها . ورغم غرابتها الشديدة فإننا نحن المسلمين لا نملك إلا أن نصدقها .

بدأت القصة في القاهرة بمنطقة المنيَل في صيف عام ١٩٧٤ عندما شعرت السيدة سامية وديع البالغة من العمر ٥٧ عاماً ، شعرت بصداع حاد ناجم عن ألم شديد في معدتها . فما كان من زوجها السيد صفوت جريس إلا أن نقلها على الفور إلى المستشفى. وبعـــد ثلاثة أيام فاجأه الأطباء بقرار مؤلم مفاده أن زوجته المريضة كانت تعاني من السرطان ، وأنه لا فائدة من أية عملية جراحية ما لم يظهر المرض الخبيث الذي يختبىء في العروق الدقيقة من معدتها .

وبناءً عليه حملت السيدة المريضة الميؤوس من علاجها إلى بيتها لتبدأ رحلة طويلة من العذاب انتهت بها بعد عام كامل إلى حالة من الغيبوبة استمرت شهراً واحداً كان الأطباء أثناءه يغذونها بأبر الجلوكوز وحقن جسمها بالدم النقي .

بعد ذلك استيقظت المرأة المسكينة ذات يوم لتجد نفسها مشلولة تماماً . وهنا لجأ زوجها إلى قس نصح باللجوء إليه ، فهرع إليـــه وشرح له حالة امرأته ، ورجاه مساعدته . فأمره القس بالقيام ببعض الطقوس الدينية ، ولكن ذلك لم يُجدِ فتيلاً مـع المرأة المريضة . وفي هذه الأثناء وصل المرض الخبيث إلى كبدها

الذي بدا منتفخاً بشكل واضح. وهكذا صرح الأطباء أن أيام المرأة قد أصبحت معدودة وأن الموت قادم إليها في وقت قريب لا محالة .

وهنا تصِف الصحيفة التغير الدرامي الذي وقع للمرأة المريضة فتقول :

وذات يوم جاءت جارة مسلمة لزيارة المريضة ، فنصحتها بتلاوة آيات من القرآن الكريم، فما كان من السيدة سامية إلا أن أطاعتها ، فشعرت بشيء من الراحة وخفّت آلامها المبرحة ، بل لقد استطاعت أن تنام نوماً هادئاً لأول مرة منذ أشهر طويلة من السهاد والسهر . فما كان من زوجها إلا أن أحضر لها عدداً من أشرطة القرآن الكريم ، أخذت تستمع إليها كثيراً .

وذات ليلة، كان ذلك في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ فاجأت المرأة المريضة زوجها وطلبت منه أن يحضر لها زجاجة كولونيا من النوع الممتاز من الحجم الكبير . فلبى لها هذا الطلب على الفور ، فطلبت إليه أن يغسل جسدها كله بماء الكولونيا ففعل، ثم رجته أن يخرج من الغرفة بعد أن يطفىء الأنوار تماماً ، لأنها تريد أن تستمتع بالظلام الدامس في تلك الليلة . فاستجاب الزوج لكل ذلك وكان يراوده في ذلك إحساس داخلي بأن نهايتها قد اقتربت جداً . فظل طوال الليل مضطرباً قلقاً ، ولكنه دعا الله سبحانه وتعالى أن يريح زوجته من آلامها .

وفي الصباح قام الرجل من فراشه وتوجّه إلى غرفة زوجته،

وطرق الباب كعادته ليستأذن منها في الدخول ، فلم يجبه أحد، فأعاد الطرق مرات عديدة دون أن يسمع أي جواب . وهنا فتح الباب ورأى أغرب مشهد مذهل في حياته . رأى مشهداً لا يصدقه إلا من يؤمن أن لله جنوداً أقوياء بوسعهم تحقيق أي شيء . فنحن البشر لا نعيش وحدنا في هذا العالم ، بل يشاركنا فيه قوى كثيرة أهمها الجن . والقرآن الكريم يذكر لنا جانباً من قوى الجن العجيبة التي نستغربها نحن بنو الإنسان . ونستمع إلى ما يدور من حوار بين سيدنا سليمان عليه السلام وبين جنوده كما يرويه القرآن الكريم :

« قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك . وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طَرْفُكَ . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ، صدق الله العظيم ».

فهذا الاستعداد من جانب بعض جنود سليمان عليه السلام حدث قبل عصر الصواريخ بمئات بل آلاف السنين . لا بل قبل عصر الطائرات وحتى السيارات . حدث ذلك عندما كان الناس يسافرون سيراً على الأقدام أو راكبين الحصان أو الجمل ، بينما كان بوسع عفريت من الجن أن يسافر بسرعة توازي سرعة

الضوء . فقد كان بامكانه أن يذهب من بيت المقدس إلى اليمن ويعود ثانية إلى القدس ومعه عرش الملكة بلقيس قبل أن ينهض سليمان من مجلسه . بـــل هناك عبد من عباد الله كان في مجلس سليمان تمكن من القيام بالرحلة وإحضار العرش قبل أن يحرك سليمان رمش عينيه .

كذلك عندما طلب سليمان عليه السلام من ربه يرزقه ملكاً لا يكون لأحد من بعده واستجاب الله دعاءه ولبى رغبته . قال تعالى : فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخـــاءً حيث أصاب . والشياطين كلّ بنّاءٍ وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب .

ويصف القرآن الكريم واجبات الجن نحو سليمان فيقول :

ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه . ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدورٍ راسيات . اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور ، صدق الله العظيم .

وبعد ، ففي الحلقة القادمة سنرى ما حدث للسيدة سامية وديع ونحن كمسلمين لا نستغرب ذلك . والله على كل شيء قدير وما يعلم جنود ربك إلا هو .

١٠ — السَّيِّدة سَامية وَديع - مصر

- ٢ -

هذا هو القسم الثاني من قصة السيدة سامية وديع ، السيدة المصرية القبطية التي أسلمت بعد أن عاشت معجزة ملموسة ، فقد أجرى لها الجن عملية جراحية ناجحة شفيت بواسطتها من مرض السرطان الخبيث بعد أن يئس الأطباء المتخصصون من شفائها . وقالوا لزوجها أن أيامها معدودة. وهي تتمتع الآن بصحة جيدة وتقوم بنشاطها بعد أن أصيبت بالغيبوبة التامة لمدة شهر كامل والشلل الذي أقعدها أكثر من عام كامل . فسبحان القادر على كل شيء قدير . وما يعلم جنود ربك إلا هو .

ونحن كمسلمين رغم اعترافنا بذلك ، وبمــا يستطيعه الجن وغيرهم من جنود الله أن ينجزوه من خوارق العادات ، وذلك لإيماننا بعالم الغيب ، إلا أننا يجب أن نسمع للدجالين والمشعوذين أن ينفذوا من هــذا الباب إلى خداع الناس وسلب عقولهم

وأموالهم . وتصديقنا بهذه الخوارق لا يكون إلا بعد التأكد من صحتها وبعد توفر كافة الأدلة على صدقها وتحققها . وعلى ضوء ذلك فقط نصدق هذه القصة .

ترى ماذا رأى السيد صفوت جريس ، زوج السيدة المريضة سامية وديع عندما فتح باب غرفتها في صباح اليوم التالي؟ لنترك ملحق القبس يصف لنا ذلك المشهد . يقول مراسل الصحيفة الذي بعث بالقصة من القاهرة مدعمة بالصور: رأى السيد صفوت جريس زوجته وقد غطي نصفها الأعلى بلفائف طبية بيضاء ، وأسدل على نصفها الأسفل ملاءة بيضاء كذلك . وكانت غائبة عن الوعي تماماً . فأخذته الدهشة ثم صرخ بأعلى صوته فأيقظ أبناءه وهرعوا إلى غرفة المريضة ليروا ماذا حدث ، وكانوا يحسبون أن والدتهم قد توفيت. فلم يصدقوا عيونهم كذلك أقبل الجيران للاطلاع على ما يجري . فوقف الجميع حول سرير المرأة المريضة وقد أذهلهم ما يرون . وبعد وقت قصير أفاق الزوج السيد صفوت من ذهوله ودهشته وأسرع باحضار بعض الأطباء.

جاء الأطباء المختصون وأجروا فحوصاً طبية ثم أعلنوا أن المرأة قد أجريت لها عملية جراحية دقيقة للغاية. وأوصوا بنقلها فوراً إلى المستشفى . وفعلاً نقلت السيدة سامية وديع إلى المستشفى وهي لا تزال في حالة من اللاوعي. وهناك قام الأطباء بإجراء المزيد من الفحوص الطبية الكافية ، ثم أعلنوا أنه قد تم استئصال السرطان من معدتها وكبدها ، وأنها شفيت تماماً ،

وأن العملية الجراحية ناجحة بنسبة عالية وممتازة. وهذه الحقيقة حيرت الأطباء إلى درجة كبيرة . ولكنهم لم يجـدوا مناصاً من الاعتراف بها على كل حال .

وتمضي الصحيفة في روايتها المذهلة لما حدث فتقول :

وبعد ثلاثة أيام من الحادث السار ، أعلن جميع أفراد عائلة السيدة سامية وديع اعتناقهم الإسلام بصورة جماعية . وقـــد التقى مراسل القبس في القاهرة بالسيدة سامية وديع وهي الآن تتمتع بصحة ممتازة وسألها عن صحة القصة المنسوبة إليها فأجابت وهي تكفكف دموعها قائلة :

في الليلة نفسها طلبت من زوجي أن يحضر لي زجاجة كولونيا ورجوته أن يغسل بهـــا جسدي كله ففعل ذلك في الحال . ثم رجوته أن يطفيء الأضواء وأن يغلق الباب ويتركني وحدي لأستريح حيث كنت أشعر بالتعب . ومـــا أن فعل ذلك حتى استغرقت في النوم بينما كنت أتـلو آيات من القرآن الكريم على سبيل طلب الشفاء . وفي حوالي الساعة الواحدة صباحاً شعرت أنني عارية تماماً مجرّدة من جميع ملابسي ، وقـــد وقف حول سريري أشخاص لم أستطع التحقق من وجوههم . فقد كنت في شبه غيبوبة. ومع ذلك كنت أشعر بما كان يجري حولي. وأعتقد أنني رأيت بطني يفتح أمام عيني ، ولكن دون أي ألم من أي نوع . وبدأت أيـــدي هؤلاء الزائرين المجهولين تتناول أعضاء جسدي المريض المصابة وتقتلع المرض وتستأصله ، ثم شعرت

بقطعة من القطن توضع على فمي ، بينما كان بعض الزائرين يضع لفائف بسرعة كبيرة حول جسدي. ورحت في غيبوبة تامة لمدة ثلاثة أيام .

سُئِلَت السيدة سامية وديع عن رأيهـا فيما حدث ومن هم هؤلاء الزائرون في اعتقادها فقالت : لقد أخبرتني جارتي المسلمة (أم احمد) أن المؤمنين من الجن يمكن أن يُجروا عمليات جراحية للناس ذوي القلوب الطاهرة النقية. ولعلهم هم الذين قاموا بذلك. فالحمد لله على فضله العميم . فقد غمرني ربي سبحانه وتعالى بعنايته وفضله . ولذلك فقد آليت على نفسي أن أكرّس كل لحظة من حياتي الباقية لعبادة الله وحمده وشكره .

بهـذه الكلمات اختتمت السيدة سامية وديع واحدةً من أغرب القصص التي سمعها الإنسان في العصر الحديث . وقـد نشرت الصحيفة صورة للسيدة سامية وقـد كشفت عن بطنها وظهر فيها جلياً موضع العملية الجراحية والغرز التي أغلق بها بطن المرأة من جنبها الأيمن إلى جنبها الأيسر ، إنها لمعجزة ربانية حقاً حيرت الأطباء ، ولكنها لا تسبب أي حيرة أو قلق للعالِم المسلم الذي يؤمن بمعجزات الله التي لا تحدها حدود في عالمنا هذا. وللمرء أن يتساءل: ترى هل بإمكان أي واحد منا أن يستدعي هؤلاء الأطباء من غـير بني آدم بمجرّد أن يتلو بضع آيات من كتاب الله تعالى ليقوموا بإجراء عمليات جراحية على المرضى ، تماماً كما فعلت السيدة سامية وديع ؟ أم أنهم يخصون أناساً دون

غيرهم بتوجيه من الله سبحانه وعناية منة وكرم ؟ الله وحده هو الذي يعلم ذلك إلا أن ما حدث يقع في هذا الإطار والله أعلم .

ولعل من المناسب هنا قبل أن نختم هذه القصة الغريبة أن نذكر بأن هناك سورة كاملة في القرآن الكريم تسمى سورة الجن. وفيها نقرأ أن عدداً من الجن استمعوا للقرآن الكريم من رسول الله ﷺ ، فآمنوا به وأسرعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام . وهذا بالطبع أكبر دليل على وجود الجن المؤمنين . ولنستمع إلى آيات من صدر السورة الكريمة المذكورة . قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً. وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً. وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً . وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندري أشرٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً . وأنّا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قِدَداً ، صدق الله العظيم .

هذا عن الجن المؤمنين وما يمكنهم القيام به وما يعجزون

عنه . وهناك مسألة الشفاء بالقرآن الكريم . يقول الله تعالى عن القرآن الكريم : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » . فليس غريباً أن يطلب الإنسان الشفاء بتلاوة آيـــات من القرآن ، المهم صدق النية والإخلاص .

والله الموفق والهادي لكل خير .

١١ — عبدالرّحمن بن جُورد - الدانمارك

هذه هي قصة إسلام سائق حافلة دانمركي. إنه الأخ عبدالرحمن ابن جورد الذي يحرص على أداء الصلاة في وقتها أكثر من حرصه على أي شيء آخر. وقبل أن نبدأ في قصته لعل من المناسب أن ننقل ما يقوله بعض علماء الغرب عما لاحظوه من أثر العبادة، والصلاة بشكل خاص في المسلمين. يقول الاستاذ توماس آرنولد في كتابه « العقيدة الإسلامية » ما يلي :

هـذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس، وإليك ما قاله الأسقف لوفروا بهذا الخصوص. يقول: لا يستطيع أحـد يخالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم. فإنـك حيثما كنت، سواءٌ أُوجدتَ في شارع مطروق أم في محطة سكة حديدية أم في حقل، كان أكثر مـا تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلاً ليس عليه أدنى مسحة

للرياء ، ولا أقل شائبةٍ من حب الظهور يَذَرُ عمـله الذي يشغله كائناً مـا كان وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها المحدد .

ثم يقول : ولننتقل من صلاة الفرد إلى صلاة الجماعة فنقول : أنه لا يتأتى لأحد يرى ولو مرة في حياته مـا يقرب من خمسة عشر ألف مصل في ساحة المسجد الجامع بمدينة دلهي بالهند يوم الجمعة الأخـيرة من شهر رمضان وكلهم مستغرقون في صلاتهم ، وقـد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم ، نقول : إنه لا يتأتى لأحد يرى ذلك المشهد أن لا يبلغ تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلحظ ببصره القوة التي تمتاز بهـا هذه الطريقة من العبادة عن غيرها . كما أن توقيت الأذان اليومي للصلاة في أوقات معينة ، حينما يرن بـه صوت المؤذن في أبكر البكور قبـل الإسفار ، وعند الظهيرة والناس مضطربون ومصطخبون في أعمالهم ، وعند المساء ، هذا الأذان الذي يحصل في هـذه الأوقات على تلك الصورة كل يوم مشحون هو الآخر بذلك الجلال عينهِ .

ويؤثر عن رينان الحكيم الفرنسي الشهير قوله : أنه ما دخل مسجداً قط إلا تأثر تأثراً شديداً بل شعر بشيء من الأسف أن لم يكن مسلماً . وقـد كان ذلك المشهد – مشهد الصلاة – من الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودي من أهل الاسكندرية في الإسلام كما حكاه هو عن نفسه إذ قال : كنت مريضاً مرضاً

شديداً فتمثل لي في أثنائه أن هاتفاً يهيب بي أن أعلن إسلامي ، ولمـــا دخلت المسجد ، ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفاً كالملائكة ، سمعت في نفسي صوتاً يناديني بقوله . هذه هي الجماعة التي أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع في نفسي وجدان الرهبة والخشية ، ولمـا ختم خطبته بالآية الكريمة التي يقول الله تعالى فيها : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكّرون ، وأقيمت بعد ذلك الصلاة آنستُ من نفسي أنهـــا سمت سمواً كبيراً ، فقـد بدت لي صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة ، وأن الله سبحانه قد تجلى عليهم في سجودهم وركوعهم . وسمعت في نفسي مناجياً يناجيني بقوله : إن الله سبحانه إذا كان قـــد خاطب شعب إسرائيل مرتين في جميع القرون الخالية ، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة في كل وقت من أوقات صلاتها . واقتنعت في نفسي بأني ما خلقت إلا لأن أكون مسلماً .

هذا ما يقوله بعض الباحثين من غـــير المسلمين عن مشهد الصلاة . والآن لنبدأ قصة الأخ الدنماركي عبد الرحمن بن جورد الذي كان يعرف قبل إسلامه باسم برين . أنه يبدأ حديثه لإحدى الصحف الأجنبية بعد أن أعلن أنه أثناء عمله كسائق حافـلة في مدينة كوبنهاجن لا يهمل أمور دينه ، وإنما يقطع عمله في الوقت المحـــدد للصلاة أثناء دوامه اليومي ويؤديها في أوقاتها الخمسة ،

وذلك بأن يغلق على نفسه باب الحافلة بعد نزول الركاب منها في نهـاية خط السير ، وينشر سجادة صلاته ويصلي لله تعالى ضارعاً إليه أن يثبته على دينه الإسلام .

لقــــد بدأت علاقة عبد الرحمن بالإسلام عندما كان مبعوثاً لمنظمة دنمار كية أرسلته إلى كينيا لـكي يعمل في أحد المشروعات المتعلقة بتربية الأطفال – وهي مشروعات تبشيرية ، وكان هذا منذ سبعة أعوام ، وفي عـام ١٩٧٥ اعتنق الدين الإسلامي لأن الإسلام كما يصرح هو بقوله : هو إجابــــة منطقية على أسئلته الكثيرة المتعلقة بالحياة. كما أن الطابع الإسلامي يناسبه ويعجبه. يقول الأخ عبد الرحمن : إن الإسلام ليس فقط عبارة عن دين بالمفهوم التقليدي للكلمة ، أو كما يفهمه الدنمار كيون أبناء قومي. ولكن الإسلام يغطي كافـة جوانب الحياة القانونية والإجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها .

ويضيف الأخ عبد الرحمن بن جورد قائــــلا : ان الصحافة الدنمار كية قد انشغلت في الآونة الأخيرة بمناقشة موضوعات عن الإسلام من أهمها موضوع الحدود في الإسلام التي تـأتي كصورة طبيعية لوجود دولة إسلامية ، إلا أن جميع التعليقات الصحفية حول هذا الموضوع هي عبارة عن تعليقات خاطئة ، إذ لا يحق للمرء أن يمسك طرفاً واحداً وخيطاً واحداً من الموضوع ويترك الأطراف والخيوط الأخرى حيث أن الجلد والرجم وقطع اليد ليست إلا أنواعــاً من العقوبة في الإسلام على جرائم شرب الخمر

والزنا والسرقة، وهي في حقيقتها أمور فرعية في الدين الإسلامي.

ويضيف الأخ عبد الرحمن قائلاً: إذا وجد شخصان متهمان بجريمة الزنا دون أن يكونا متزوجين، فعقوبة ذلك هي الجلد، ولكن هذه العقوبة لا يطبق إلا إذا ثبت عليهما الجرم بأدلة قطعية مادية لا تقبل الدحض. وفي هذا كل العدالة. كما أن السارق قد يعفى من العقاب في المرة الأولى والثانية إذا تبين أنه سرق عن حاجة أو اضطرار أو إكراه، ولكن إذا ثبت عليه جرم السرقة دون أي دافع ملجىء إليها هنا تقطع يده، وفي هذا أيضاً الحق والعدل، لأن السارق في هذه الحالة لا يردعه غير العقاب الصارم الذي يحفظ للناس أموالهم وحقوقهم، ويحقق الطمأنينة والسلام في النفوس.

وهنا سئل الأخ عبد الرحمن عن رأيه في تطبيق حد السرقة في الدنمارك فأجاب قائلاً: أنه في الدنمارك لو طبق هذا الحد فلن تقطع يد مسلم دنماركي لأن المسلم الحق لا يسرق البضائع من محلات السوبر ماركت – أي الأسواق المركزية – مثلاً كما أن القانون الجنائي الإسلامي لا يطبق مع الأسف على المسلمين إذا كانوا في بلد غير إسلامي كما أن شرب الخمر مشكلة لا يعرفها المسلم لأنه لا يستعمل الخمر ولا يقربها لأن الخمر ممنوعة في الشريعة الإسلامية وإذا تناولها المسلم في ظل دولة إسلامية، فإنه يقع تحت طائلة السوط فيعاقب بالجلد.

ويستطرد الأخ الدنماركي في حديثه عن الخمر فيقول: إن

شرب الخمر لن يفيد بطبيعة الحال في حل مشكلات الناس كما يتوهم الكثيرون منهم ، ولو أن الإنسان المصاب بدلاً من ذلك توجه إلى الله وتقرب إليه ودعاه بإخلاص ، فإنه يتلقى دفعات روحية تأخذ بيده بعيداً عن مشاكله .

ويختم الأخ عبد الرحمن حديثه بكلمات عن الصيام في الإسلام فيقول :

إن من الأشهر التي يحبها المسلمون وينتظرونها بفارغ الصبر شهر رمضان المبارك ، إنني أجد هذا الشهر الفضيل أجمل ما في الحياة لأنني أجد فيه الكثير من العطف والود بين المسلمين مما لم آلفه قط بين أي أحد غيرهم في أي بلد من الدنيا .

١٢ ــ الدكتور لورنس إياكونو - ايطاليا

بروفسور لورانس إياكونو أو عبدالله ابراهيم إياكونو، كما يدعى الآن بعد أن أسلم، هو شخصية إسلامية من ايطاليا، ومن جزيرة صقلية على وجه التحديد، ملامحه عربية مئة بالمئة، يذكرنا بالماضي الإسلامي العريق لتلك الجزيرة، حصل على إجازة الدكتوراه من جامعة السوربون - بباريس - فرنسا. وكان موضوع دراسته الآداب، والفلسفة واللغات الأجنبية. والدكتور لورانس إياكونو يجيد أربع لغات أوروبية هي: الانجليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية. وهو متزوج من سيدة فرنسية ولديه منها خمسة من الأبناء والبنات. وقد ولد في جزيرة صقلية عام ١٩٣٦، ويبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عام، وهو لذلك في غاية النشاط والحيوية.

لقيت البروفسور لورانس إياكونو في الكويت بعد أن قدمه لي أحد الأصدقاء فبادرته بالسؤال التالي:

هل لك أن تخبرنا متى كان إسلامك ؟

فأجاب قائلاً : كان ذلك في عام ١٩٧٤ ، وعلى وجه التحديد في الخامس والعشرين من مارس عام ١٩٧٤ م . كنت رومياً كاثوليكياً، ولا تزال زوجتي وأولادي الخمسة من الروم الكاثوليك وحيث أنني أؤمن أنه لا إكراه في الدين كما علمني الإسلام، لذلك فإننا نعيش سعداء مع بعضنا البعض ، إلا أن زوجتي بدأت تهتم بالإسلام .

قلت للبروفسور إياكونو :

هل لك أن تحدثنا المزيد عن أسرتك ؟

فقـــال وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة : انني أحمل الجنسية الأميركية ، وكذلك أخي الأكبر مني سناً ، فهو أيضاً مواطن أميركي يعيش مع أسرته هناك . أما والداي فلا يزالان يعيشان في ايطاليا مع شقيقتي الصغرى ، وموطن إقامتهما هو جزيرة صقليــة مسقط رأسي . وهكذا فأنا مواطن أميركي من أصل ايطالي . ولو سألت عن جزيرة صقلية فهي جزيرة كبيرة آهلة بالسكان ، إذ يبلغ عدد سكانها الآن تسعة ملايين نسمة أغلبيتهم العظمى من الكاثوليك . وهناك عدد ضئيل جداً من المسلمين ، ولكن ليس في الجزيرة مسجد واحد ، مع أن صقلية كانت قبل حوالي ٢٥٠ عاماً جزيرة إسلامية بكاملها .

ويضيف البروفسور إياكونو قائلاً :

لقد تتبعت أصل عائلتي إياكونو في الموسوعات العـــالمية

فوجدت أن أجدادي كانوا مسلمين عرباً ، وهذا ما كان يقوله لي أبي منذ وقت طويل حتى قبل إسلامي ، مع مـا أنه لا يزال كاثوليكياً . وهذا ما وجدته في أحد المراجع التاريخية بمكتبة الكونجرس الأميركية والذي يقول بأن الملك شريف إدريس من الأسرة الفاطمية كان يحكم صقلية عندما أخذهـا الصليبيون وأخبروا سكانها على اعتناق الكاثوليكية بالقوة . وأجـبر أفراد الأسرة الإدريسية حـتى على تغيير أسمائهم . فاحتفظوا بالحرف الأول من اسم العائلة وهو حرف الألف من كلمة إدريس واتخذوا لأنفسهم أسماءً إيطالية ، وهكذا تجد الكثير من أسماء العائلات في صقلية يبدأ بحرف الألف . ولم يكن للناس خيـار ، فكان أمامهم إما الموت أو التنصر .

وهنا ضحك الدكتور أياكونو وقال : وهكذا تلاحظ أنني أشبه العرب وجميع أهـــل صقلية مثلي يشبهون العرب . قلت للدكتور أياكونو : ولكن كيف بدأ اهتمامك بالإسلام ؟ فقال : لما كنت أدرس الفلسفة كنت أحس بالقلق تجاه الكثير من القضايا التي تتعلق بديني. فشرعت في دراسة الأديان العظمى الأخرى في العالم كاليهودية والإسلام والطوائف المسيحية الأخرى. ولم أكف عن مقارنة هـــذه الأديان بديني . فقرأت الكثير ، وفكرت كثيراً، وسافرت كثيراً، حتى وجدت الحقيقة والسلام في الإسلام والحمد لله أنني اليوم من المسلمين ، وأنني أعمل للإسلام في مدينتي سان انطونيو، بولاية تكساس الأميركية، وأشغل منصب رئيس

الجمعية الإسلامية هنـــاك ، وهي جمعية مسجلة رسمية كجمعية خيرية إسلامية .

وهنا سألت الدكتور أياكونو : ما هي الوظائف التي شغلتها بعد تخرجك من جامعة السوربون ؟ فقال : عملت أولاً في السلك الدبلوماسي ، فشغلت منصب السكرتير الثـاني بسفارة إيطاليا في باريس . فقاطعت الدكتور قائلاً : لا بدّ أنك تزوجت خلال هذه الفترة من السيدة الفرنسية التي هي الآن أم أولادك . فعلق بقوله : تماماً . فقد تزوجنا في عام ١٩٦١ . ثم نقلت إلى كندا للعمل بالسفارة الايطالية في اوتاوا ، وبعد فترة من الزمن انتقلت إلى فلوريدا بالولايات المتحدة هرباً من برودة الطقس في كندا . وبعد وقت قصير استقلت من عملي في السفارة وأخذت أعمل في الأعمال الحرة . ولديّ الآن شركتي الخاصة بي التي تستورد الجرانيت ومختلف أنواع الرخام لأغراض البناء في أمـــيركا . وهذه الحجارة نستوردها من إيطاليا . والواقع أنني تعاقـدت خلال زيارتي الأخيرة للسعودية مع أحد المقاولين هناك الذي يقوم بتشييد اثنين من الفنادق الكبرى في جـدة على تزويده بالرخام لهـــذا الغرض . لذلك سأتوجه إلى إيطاليا في طريق عودتي إلى الولايات المتحدة الأميركية . وسأتوقف بالطبع لبعض الوقت في صقلية لزيارة والديّ وأختي هناك .

ثم كان سؤالي التالي للدكتور لورانس أياكونو : هل لك أن تحدّثنا المزيد عن الجمعية الإسلامية في سان انطونيو ؟ فأجاب

قائلاً: هذه هي الجمعية الإسلامية الوحيدة في المدينة حيث يعيش حوالي ١٥٠٠ من المسلمين بالإضافة إلى عـدة مئات أخرى من الجنود العرب المسلمين الذين يتدربون في قواعدهـــا العسكرية بعضهم من الكويت والسعودية. وليس المسلمين في سان انطونيو أي مسلم ولا مدرسة على الإطلاق . وهكذا أنشأنا هذه الجمعية الإسلامية لتلبية حاجات المسلمين الدينية . ونحن الآن بحاجـــة لإنشاء مسجد ومدرسة ومكتبة ، وغـير ذلك من الخدمات . لقد بدأنا من الصفر، ومشاريعنا تحتاج لمليوني دولار لا استطيع تأمينها بمفردي. وهكذا فأنا بحاجة إلىالعون من إخواني المسلمين في كل مكان . وقـد عينت أحد الشباب المسلم المتحمس للإسلام مديراً لمشروع المركز وسأعمل على إقامته مستعيناً بالله سبحانه وتعالى .

وهنا سألت الأخ الدكتور لورانس أياكونو عنجولته الحالية فقـــال : زرت في البداية المملكة العربية السعودية حيث نزلت ضيفاً على فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز العالم الإسلامي المعروف والذي تبرع لمشروع الجمعية الاسلامية بمبلغ عشرة آلاف دولار وذلـك للترتيبات الأولية للمشروع وطلب إليّ عمل تقرير فعلي للتكاليف ، وسأعود إليـه في شهر نوفمبر القادم بإذن الله ومعي كافة التفاصيل ثم جئت إلى الكويت وبعدها أنوي التوجه إلى إيطاليا ثم إلى الولايات المتحدة الاميركية .

قلت للأخ الدكتور أياكونو : هل أنتم بحاجة إلى مساعدات

أخرى بالإضافة إلى الدعم المالي لمشروعكم الإسلامي ، فأجاب قائلاً : إننا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغـــات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية . فقـد شرعت في دعوة أفراد عائلتي إلى الإسلام باعتبارهم ميداني الأول للدعوة ، وأنا واثق بعون الله أن أكسبهم إلى هـــذا الدين الحنيف . ولكنني بحاجة إلى الكتب الإسلامية لاقناعهم بذلك . إنني بحاجـة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية لأقدّمها لأخي وأسرته لعل الله يشرح صدورهم إلى الإسلام . وأحتاج إلى الكتب الإسلامية باللغـــة الفرنسية لزوجتي وأولادي الكاثوليك ، وقـد بدأت زوجتي فعلاً في تفهم هذا الدين والإقبال عليه. وأنا بحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية لكي أستعين بهـــا في دعوتي لأهلي وقومي في صقلية وكسبهم إلى الإسلام من جديد ، دين آبائهم وأجدادهم . وأنهـــا لمهمة ثقيلة أستعين عليها بالله وهو خير معين .

وأخيراً يختتم الدكتور لورانس إياكونو أو عبدالله ابراهيم إياكونو حديثه عن إسلامه بقوله :

أعتقد أن هناك فرصة ذهبية لدعوة تسعة ملايين شخص في صقلية إلى الإسلام من جديد. وإنني أشعر أن هذه هي مسؤوليتي التي شرفني الله بها، فمن واجبي العمل على إنقاذ إخواني من النار. ولذلك فبعد أن أفرغ من مشروع المركز الإسلامي في سان أنطونيو سأتوجـه إلى إيطاليا واستقر في جزيرة صقلية لأنشىء

فيها أول مركز إسلامي في العصر الحديث وإنني على ثقة من نصر الله لي . فالناس في صقلية يحبونني ويعرفون أسرتي جيداً وهم مستعدون للعودة إلى الإسلام . عسى الله سبحانه وتعالى أن يمنحني الصحة والقوة وطول العمر للقيـــام بذلك . إنه على ما يشاء قدير .

والسلام ...

١٣ — يوسف عبد السلام - أمريكا

لأول مرة في هـذه الحلقات سوف نستضيف مسلمين جدداً من سجون الولايات المتحدة الأميركية . فقـد أرسل إليّ الأخ قاسم حسن محمود، أمين عام مجلس الجماعات الإسلامية في أوتاوا - بكندا بعينات من الرسائل من بين كثير غيرها تلقاها من مهتدين أميركيين جـدد للإسلام من المعتقلات الأميركية . كتب الأخ قاسم حسن محمود في خطابه يقول : هناك عدة آلاف من المسلمين هم رهن الاعتقال في سجون أميركا الشمالية كثير منهم أسلم داخل السجن على يد معتقلين مسلمين أو من خلال الزيارات التي قام بها بعض الدعـاة المسلمين للسجون الأميركية ، ويقومون أثناءها بإلقاء المحاضرات عن الإسلام .

والواقع أن السجين هو أقرب الناس لتقبل دعوة الإسلام ، وذلك لتطلعه إلى الحرية والسلام وهما ما يمنحه هذا الدين للنفس الإنسانية . ويضيف الأخ قاسم حسن محمود قائلاً : ان المنظمات الإسلامية يمكنها أن تعمل في هذا المجال بصورة جدية ، فلو أنها

تبعث بالدعاة المتفرغين لزيارة آلاف السجون والالتقاء بالمعتقلين وتقدم للنزلاء بعض المعونات المادية والمعنوية لهؤلاء الناس البؤساء. وهذا بالطبع يتطلب مبالغ كبيرة من المال حتى يتمكن الدعاة من القيام بهذه المهمة الإسلامية العظمى .

بعد ذلك يشير الأخ قاسم في رسالته القيمة إلى فئة أخرى من الناس بحاجة ماسة إلى المساعدة والعون ويعني بها المرضى المسلمين في المستشفيات الأميركية ويقول : في كل مرة نقوم فيها بزيارة أحد المستشفيات نجد عدداً من القسس والرهبان إلى جانب المرضى يقدّمون لهم كل عون ممكن . ولا تقتصر زيارة هؤلاء القسس على النصارى ، بل تتعداها إلى المرضى المسلمين الذين لا يجدون أحداً من رجال الدين المسلمين إلى جانبهم. وقد تأثر عدد من هؤلاء المرضى بما يبشر به القسس ، لما لمسوا منهم من المعاملة الطيبة والمساعدة الكريمة . وقد آن الأوان أن يهب الدعاة المسلمون للعناية بهؤلاء الإخوة المسلمين سواء منهم المرضى في المستشفيات أو المعتقلين في السجون الأميركية .

وهذا مثال واحد لمسلم جديد اعتنق الإسلام في المعتقل. إنه يبدأ حديثه بقوله : اسمي جوزيف ي . بتركين إلا أنني أفضل أن أدعى يوسف عبد السلام . وإن شاء الله أعتزم أن أغير اسمي رسمياً في المستقبل القريب . وأنا الآن رهن الاعتقال في ولاية جورجيا الأميركية في سجن رودزفيل ستيت . إنني بحاجة إلى ثلاثة آلاف دولار أميركي لرفع قضيتي واستئنافها لدى إحدى

المحاكم العليا . إن قلبي يدمى حين أضطر أن أطلب هذا المبلغ من إخواني المسلمين الذين أكن لهم أعمق مشاعر الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل . ولكن الله سبحانه وتعالى سوف يجزيكم كل خير على ذلك . فهذا الرسول محمد ﷺ يقول : أحبب لأخيك ما تحب لنفسك .

بعد ذلك يقول الأخ يوسف عبدالسلام : هناك حديث نبوي آخر يقول : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به . لقد جاءنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم ، لقد علمنا كيف نعيش حياتنا بصورة مستقيمة ملؤها العدل وشعارها الصدق. وهكذا فلن نكون مسلمين حقاً ما لم تكن رغباتنا كلها تبعاً للقرآن الكريم وما جاء به النبي محمد ﷺ . والاختبار الحقيقي هو ما تتجه بنا إليه رغباتنا اليوم . هل تجرنا إلى المتع الدنيوية والشهوات الهابطة أم تقودنا إلى القرآن الكريم ؟

ويتحدث الأخ المعتقل يوسف عبدالسلام ـ فكّ الله أسره ـ عن مشاعره حين اعتنق الإسلام والظروف التي شهدت هذا التحول فيقول : لقد كان قلبي مفتوحاً تماماً منذ اليوم الأول الذي أعلنت فيه إسلامي ونطقت بالشهادتين . وأنا اليوم أُقيم الصلوات الخمس اليومية في مواعيدها المحددة . وقد أرفقت طي هذا الخطاب صورة لابنتي الصغيرة نعيمة الحديثة الولادة . وهي أول أبنائي ، وربما كانت الأخيرة إذا سارت الأمور على ما هي عليه الآن. ولكنني لست يائساً، ولسوف أقبل بكل ما يكتبه

الله لي بعد أن أبذل جهدي في تحسين أوضاعي والخروج من السجن.

ثم يذكر الأخ يوسف عبد السلام السبب الذي جعله يعيش خلف القضبان فيقول : هذه هي أول مرة أصرّح بها بالسبب الذي أدى إلى اعتقالي . إن لي أخاً كان يسبب مضايقات عظيمة لوالدتي لسنوات عديدة . وكان أبي قد توفي منذ عام ١٩٦٩ على أثر مرض قلبي نجم عـــن إفراطه في تناول المسكرات بسبب إحساسه بانتهاك كرامته لعدم استطاعته الحصول على عمل لائق كان بحاجة إليه لكي يعول أطفاله الستة. وهكذا ترى أننا ستة من الأبناء ، خمسة ذكور وبنت واحدة . وتتناول والدتي حقناً لمعالجة البول السكري من أجل الإبقاء على حياتها ، وسبب هذا المرض كثرة مـــا تلقاه من قلق نفسي واضطهاد بسبب كونها امرأة سوداء في أميركا، تنتمي إلى الآباء العبيد. ولي أخ متخلف عقلياً يعيش هو وأخ آخر مع والدتي . وأخي جوني هو الذي سبّب الكثير من المتاعب لأمي . وتحت تأثير الخمر أخذ جوني يعتدي على والدتي بالضرب المبرح لظنه خطأ أنها السبب في دمار أسرتنا .

وهنا يشير إلى الحادث المؤسف الذي أدخله السجن فيقول : وذات ليلة أخـــذ جوني يضرب والدته بطريقة وحشية قاسية دخلت على أثرها المستشفى. فاعتقل جوني ولم تستطع والدتي أن تراه حسب ما نلقاه نحن السود من معاملة سيئة في أميركا . في الرابع من شهر يونيو ١٩٧٨ ثار جوني وهـــدد بقتل والدتي ،

وكنت موجوداً أنا وزوجتي . وقد تلقت الوالدة عدة جروح وأجريت لهـــا ١٧ غرزة ، وأراد أن يطعن والدتي بالخنجر فأمسكت به وتناولت السكين من يـــده ، ولا أعرف كيف طعنته بهـــا . وهكذا سجنت بتهمة القتل . ولم يكن أحد من المسؤولين مستعداً لسماع الحقيقة ، لأنهم يكرهوننا نحن السود ، وعلى الأخص المسلمين منـــا . والآن يريدون القضاء عليّ وانهاء حيـــاتي .

ويمضي الأخ يوسف عبد السلام فيتحدث بلهجة مريرة للغاية فيقول : إن سلطات السجن تعلم تماماً مع الأسف أن المسلمين لا يساعدون إخوانهم وأخواتهم في السجون . لذلك حكموا عليّ بالسجن لمدة ٢٥ عاماً - أي السجن مدى الحياة. وهذا بالطبع يحطمني تماماً. إنهم مستعدون لإطلاق سراحي بكفالة مقدارها عشرة آلاف دولار . وحماتي مستعدة لبيع منزلها الذي تقيم فيه ولكنني أحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى مبلغ ثلاثة آلاف دولار حتى أسترد حريتي . فهل يستجيب إخواني المسلمين لهذا النداء من أخ لهم في الله ، ويمنحونه الحرية الحياة لي ولزوجتي ولطفلتي الأولى نعيمة ؟ إنني على استعداد لتسديد هذا المبلغ بعد خروجي من السجن على أقساط مناسبة .

وأخيراً يختم الأخ المنكوب يوسف عبد السلام قصته بقوله : إنني على استعداد لأن أموت في سبيل الإسلام . فهو الهدف الذي أعيش من أجله . ولكنني لا أفهم لمـــاذا يدير المسلمون

ظهورهم لنا، ألأننا سود فقراء ؟ وزوجتي أيضاً تحس بالقلق تجاه المسلمين فهم لا يزورونها على الإطلاق . وختاماً الله أكبر ، فالإسلام ديني والله ربي وخالقي .

بهـــذه الكلمات يُنهي الأخ يوسف عبد السلام نداءه الذي وجهه لكل مسلم غيور على دينـــه ، ومن أراد التبرع له بشيء فليرسل ذلك إلى مجلس الجماعات الإسلامية في كندا .

والسلام ...

١٤ ــ بلال باهايا ـ الهند

لقيته في مبنى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت ، شاباً في العشرين من عمره عليه إمارات السكينة والهدوء. قال لي بلغة انجليزية جيدة: لقد جئت إلى هذه الوزارة لأحصل على شهادة رسمية بإعلان إسلامي. وكان في المجلس شاب كويتي هو الذي أحضره إلى الوزارة ، وعالم من علماء الوزارة العاملين في الدعوة إلى الله ، ومقرر لجنة الفتوى بالوزارة .

فقال لي العالم : قبل أن يردد الشهادتين وراءك أرجو أن تستوثق من صحة عزمه على الدخول في الإسلام . فقلت للزائر الكريم : إنك تقول بأنك تريد أن تسلم ، فهل تعرف معنى الإسلام ؟ فأجاب قائلاً : ونظراته تميل إلى الاكتئاب والتواضع الممزوج بالخشوع والتأثر . قال لي :

أنا في الكويت من سنتين فقط، ديني الهندوكية ولم يخطر قط ببالي أن أغير ديني. ولكنني استيقظت من نومي ذات صباح بعد أن رأيت في منامي رجلاً يقول لي : عليك بالإسلام . وعندما

تذكرت ما رأيت عزمت على الاستفسار عن هـذا الدين الذي لم أكن أعرف عنه في ذلك الحين إلا النزر اليسير .

كان لي صديق كويتي شاب . فلمـا لقيته سألته عن الإسلام فشرح لي بإيجاز معنى هذا الدين . فاستراحت نفسي له واطمأن قلبي إليه وقررت أن أدرس هذا الدين لأعرف المزيد عنه .

وبعد أيام لقيت بعض الشباب الهنود والباكستانيين المسلمين وصحبتهم إلى معهد خاص يقـــدّم دروساً مسائية عن الإسلام للناطقين باللغتين الأوردية والإنجليزية ، فتعلمت منهم الكثير . وقدموا لي كتاب بلغتي المسماة الكجراتية ، عرفت منه كيف أصلي ، وأنا منذ ذلك اليوم أقيم الصلاة والحمد لله .

لم يكن رفاقي في نفس الغرفة يعرفون ما قاله لي هذا المهتدي الجديد إلى الإسلام ، لأنه كان يتحدث باللغـــة الإنجليزية التي يجهلونها ، ولما حدثتهم بما أجاب، استبشروا خيراً ، وقالوا : ما شاء الله سبحان الهادي ، إنه مسلم جاهز . فأهلاً وسهلاً بـه بين إخوانه . وقاموا واحداً واحداً فصافحوه وقالوا له : مبروك . فنظر إليّ باستغراب ، فقلت له : إنهـم يهنئونك على إسلامك . فابتسم ، وشكرهم .

قلت لأخي المسلم الجديد : ما هو الاسم الذي اخترته لنفسك وقد أسلمت؟ فقال: سأختار إسم بلال. فقلت له: نعم الاختيار. وأرجو بهذه المناسبة أن تردد معي النص التالي بالعربية أولاً ثم

باللغة الإنجليزية . قـل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاهـا إلى مريم وروح منه ، وأشهد أن البعث بالجسد والروح حق ، وأن الجنة حق والنار حق ، فردد ذلك كله ورائي ثم ردده باللغة الإنجليزية وقد فهم معناه .

وهنا سألت الأخ بلال عن موقف أسرته منه بعد إسلامه . فقال: إنهم في الهند، وإنني أكتب لهم كثيراً عن تجربتي الجديدة مع هذا الدين الحنيف وانقل لهم أولاً بأول ما أشعر به وألاقيه وأجد منهم ردوداً إيجابية . وسأعمل على دعوتهم إلى الإسلام ، بعد عودتي إلى الهند ومقابلتي لهم . عسى الله أن يعينني على التمسك بهذا الدين .

وقبل أن ينتهي لقائي بالأخ بلال سلمته الوزارة مجموعةً من الكتيبات الإسلامية باللغة الإنجليزية المبسطة ووعدته بتزويده بمجموعة أخرى عن الإسلام باللغة الكجراتية حتى يفهم أمور دينه ويثبت عليه لأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء . فالعلم طريق الإيمان . ولذلك نجـد الكثير من آيات القرآن الكريم تقول : قل سيروا في الأرض فانظروا . وهذا مـا يميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى التي شعارها : فكر تكفر، أما في الإسلام فالشعار المرفوع هو : فكر تؤمن .

هذا ما حدث اليوم في وزارة الأوقاف، وبالأمس جاء ثلاثة نفر إلى الوزارة رجلان وفتاة ، وكانوا أيضاً من الهند . جاءت

الفتاة ومعها جواز سفرها وطلبت الدخول فيهذا الدين. وقالت بأنها ترغب في الزواج من أحـــد الشابين اللذين معها ، وكانت كاثوليكية. كان ذلك في موعد صلاة الظهر التي اعتاد الموظفون إقامتها في مصلى الوزارة ، فقلت للشيخ الوقور الذي جـــاءت الفتاة لتسلم أمامه : مولانا ! لقد حان موعد صلاة الظهر . فقال لي : إسمع يا بني إن الإمام مالك رضي الله عنه يقول : إياك أن تؤخر إسلام أحد من الخلق مهما كان السبب. فوافقته على تأجيل الصلاة وجلسنا .

بـــدأ الشيخ سؤاله للفتاة فقال : يا بنية إنك كاثوليكية وتريدين الزواج من هـــذا الشاب المسلم ، والإسلام لا يكرهك على الدخول في هذا الدين من أجل ذلك . بل يمكنك الاحتفاظ بدينك وإتمام الزواج . فأجابت قائـلة : أنا لا أريد الإسلام من أجل الزواج . وإنما لأنني أحببت هذا الدين وأريد الدخول فيه عن اقتناع .

فتوجه الشيخ إلى الشاب المسلم الذي ينوي الزواج منها وقال له : نصيحتي لك يا بني أن تكون قدوة حسنة أمام هذه الفتاة كمسلم. لأنني أذكر مرة أن تزوجت فتاة مصرية قبطية من شاب مسلم، واعتنقت الإسلام فعلاً، ولكن ذلك الشاب أساء معاملتها وكان بئس الزوج بالنسبة لها ، ومن هنا فارقته ، وارتدت عن الإسلام والعياذ بالله تعالى ، ومما يؤسف له أن بعض أهل السوء يستغلونها في الدعاية ضد الإسلام. ويقول للناس : هكذا يعامل

المسلمون زوجاتهم . فإياك يا بني أن تكون مثل ذلك .

فقال الشاب: أرجو الله أن يوفقني لأن أكون خير زوج لها.
وقال صاحبه : أنا واثق أنك بخلقك المسلم الذي أعرفـــه فيك ستكون نعم الزوج إن شاء الله .

فمـــا كان من الشيخ الوقور إلا أن طلب إلى الفتاة تكرار الشهادتين وترجمتها إلى الإنجليزية ، وطلب منها الحضور في اليوم التالي لاستلام شهادة بذلك . فخرج النفر الثلاثة مسرورين .

إنــه تيار متواصل .. ودخول جماعي في دين الله أفواجاً ، ليس في هذا البلد المسلم الكويت ، بـل في كل مكان وبعضه من هذا العالم. الناس يقبلون على هذا الدين حتى بدون داعٍ يدعوهم إليه فسبحان الله الهادي . إنك لا تهـدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء . ولقد آن الأوان للبشرية المعذبة أن تدخل في هذا الدين لأنه السبيل الوحيد للخروج من عذابها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

١٥ — عبد الله ديوك لين جيون

كوريا الجنوبيّة

ضيفنا هذه المرة من كوريا الجنوبية ، إنه الأخ عبد الله ديوك لين جيون الذي أنعم الله عليه بأن أسلمت قرية بأكملها على يديه بالقرب من مدينة سيئول العاصمة . وقد التقى به الشيخ سعيد مراكار محرر صحيفة كوريا إسلام هيرالد، الناطقة بلسان اتحاد كوريا الإسلامي في سيئول . وقبل أن نذكر ما دار في تلك المقابلة لا بدّ أن نقول كلمات ولو قليلة عن المسلمين في كوريا . يقدّر عدد المسلمين الآن في كوريا الجنوبية حوالي عشرة آلاف مسلم كوري لهم مركز إسلامي في سيئول ويعتزمون إنشاء كلية إسلامية هناك. وسيقيمون مركزاً إسلامياً آخر في مدينة بوسان ثاني أكبر مدينة في كوريا الجنوبية .

كما أن من المناسب أيضاً أن نقول كلمة عن الوضع الجديد المثير في كوريا ونعني بها إسلام قرية بأكملها وهي قرية سانج

ريونج التي تقع في مقاطعة كيونج جي إلى الجنوب الشرقي من العاصمة سيئول ، حيث تقدر المسافة بينهما بحوالي ٤٧ كيلومتراً. هذه القرية تحيط بها أخصب الأراضي الزراعية وتمتاز بمناظرها الطبيعية الخلابة. ويقدّر مجموع سكانها ٦٢١ شخصاً ينقسمون إلى ١٢٣ بيتاً أو أسرة .

لقـــد عاش هؤلاء الناس عيشة دنيوية بحتة ، ولم يكونوا يؤمنون بأي دين من الأديان منذ فجر التاريخ . وبالرغم من أن الأكثرية العظمى منهم يعملون إما كمزارعين أو عمال في المزارع الشاسعة ، إلا أن ٩٥٪ منهم متعلمون ويجيدون القراءة والكتابة . وهكذا فإن انهماكهم اليومي التام من الصباح الباكر إلى الغسق لم يمنعهم من البحث عن الحقيقة والوصول إليها .

أما السيد عبدالله ضيفنا لهذه الحلقة ، فهو إحدى الشخصيات البارزة في هذه القرية اعتنق الإسلام في عام ١٩٧٧ م بينما كان يُدَرّس في إحدى المدارس التجارية الثانوية في ضواحي سيئول. وأخذ يقدّم الإسلام لإخوانه أبناء قريته بطريقة حسنة بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما هو أدب الإسلام العظيم . فلم يصادف أية مقاومة ، وبـــدأ المزارعون يتعرفون على خالقهم الذي يعينهم دوماً في كل ما يحتاجون إليه في زراعتهم . وأخذوا يلمسون أن ذلك كله من عند الله. وبمرور الزمن اهتدى معظمهم إلى الإسلام بطريق الاقناع البعيد كل البعد عن الإكراه . ولقد حقق الأخ عبدالله هدفه والحمد لله وزود إخوانه أبناء القرية باتحاد روحي

متناسق يجمع بينهم برابطة الإخوة التي حلت محل الصراعات المادية الضيقة .

واليوم تعرف قرية سانج ريونج بالقرية الإسلامية تسودها روح الأخوة الإسلامية ويرفع فيها صوتُ المؤذن الله أكبر في مسجد مؤقت خمس مرات كل يوم ، ليعلم القرويين بأن هذا هو وقت الوقوف بين يدي الله لشكره على ما هداهم إلى عبادته وحده دون سواه . إن جميع أهل القرية ، كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً وأطفالاً يؤدون الصلوات الخمس اليومية، ويحضرون فصول الدراسة الخاصة عن الاسلام في مدرسة إسلامية مؤقتة بدأت قبل ثلاثة أشهر ونيف . ويخبرنا الأخ عبد الله بأن اتحاد كوريا الاسلامي قد بذل قصارى جهده لمساعدة سكان القرية المسلمين . ويقوم الدعاة المسلمون من كوريا ومن خارجها بإلقاء محاضرات اسبوعية في القرية، وتجري الآن الترتيبات للتوسع في نشاط الدعوة لتشمل ثلاث قرى أخرى مجاورة للقرية الإسلامية .

كان ذلك التقرير من مجلة كوريا إسلام هيرالد — سيئول . والآن نأتي إلى مقابلتنا مع ديوك لين جيون، أجرى المقابلة فضيلة الشيخ سعيد مراكار محرر مجلة كوريا إسلام هيرالد . وكان السؤال الأول على النحو التالي : كيف تعرفت على الإسلام ؟ فأجاب السيد عبدالله بلهجة هادئة للغاية قائلاً :

كنت معلماً في مدرسة البنات التجارية العليا المسماة مدرسة الملكة سانج دوك، وكان لي صديق مسلم يدعى معتز بلال هونج،

وكان هو الآخر مدرساً في نفس المدرسة. وذات مرة طلب إليّ الأخ بلال أن أتيح الفرصة للحاج محمد يون إمام مسجد المسلمين في سيئول لإلقاء محاضرة على الطالبات في المدرسة حول موضوعات إسلامية . وكنت آنذاك مديراً لشؤون الطالبات ، فوافقت على ذلك وألقيت المحاضرة بنجاح ، وكانت هذه هي البداية .

ثم يضيف الأخ عبدالله قائلاً : بعد هذه المقدمة الجيدة عن الإسلام ، قام الإمام يون بزيارة مدرستنا للمرة الثانية في عام ١٩٧٧ وقدم الإسلام لي من جديد وللطالبات . وهكذا تعرفت على دين الله ثم أسلمت. وهنا سألت الأخ عبدالله عن دينه السابق فقال بأنه لم يكن يؤمن بأي عقيدة من قبل . ثم عمدت إلى السؤال الهام التالي: عرفنا منك أن قرية سانج ريونج قد أصبحت قرية إسلامية ،فهل لك أن تخبرنا بإيجاز كيف أسلم جميع سكانها؟ عند ذلك سكن الأخ عبد الله برهة ثم ابتسم قائلاً : منذ أن أسلمت في عام ١٩٧٧ كنت على اتصال دائم بالشخصيات البارزة في القرية ، فعقدنا عدة اجتماعات ومناقشات ، واستطعت من خلالها بفضل الله اقناعهم بأن الإسلام هو الدين الحق. فهداهم الله إلى الصراط المستقيم . ومنذ ذلك الحين ونحن نعمل معاً لنشر ديننا الجديد بين أبناء قريتنا .

قلت للأخ عبد الله : هل بقي في قريتكم أحد لم يسلم ؟ فأجاب قائلاً : نعم ولكن قليل جداً . فقلت له : ما هي نسبة التعليم بين سكان القرية الإسلامية ، فقال : هي نسبة عالية للغاية

إذ تبلغ ٩٥٪ من السكان. وهناك عدد من خريجي الجامعة أيضاً.

سألت الأخ عبدالله: هل لديكم مسجداً ومدرسة للدراسات الإسلامية فقال: لدينا الآن مسجد مؤقت نؤدي فيه الصلاة اليومية. كما أنشأت مدرسة مسائية مؤقتة لتعليم أبنائنا الدراسات الإسلامية. ونحن بحاجة إلى مبنى دائم لمدرسة إسلامية وآخر لاتخاذه مسجداً. ورغم أن ٦٥٪ من سكان القرية هم من العمال والمزارعين إلا أننا عازمون بعون الله على إنجاز هذين المشروعين. وكلنا أمل أن يتمكن اتحاد كوريا الإسلامي من مساعدتنا وإنجاز هذه المشاريع بعد أن يفرغ من مشروع الكلية الإسلامية في سيئول العاصمة، وهو مشروع كبير ساهمت فيه بلاد عربية وإسلامية متعددة. ونحن المسلمون الكوريون نشعر بكل اعتزاز ان لنا إخوة في الله يهتمون لأمرنا ويهبون لمساعدتنا.

بعد ذلك أشار الأخ عبد الله إلى دور اتحاد كوريا الإسلامي في سيئول فقال: اننا أعضاء في الاتحاد، ولذلك نحصل على تعاون كامل ومساعدة جيدة منه. فنتسلم الكتب والمطبوعات الإسلامية باللغة الكورية، وكذلك الكتب الدراسية لمدرستنا، كما يزور القرية أساتذة من الاتحاد يلقون المحاضرات الإسلامية بين سكان القرية. ولا أنسى أن أذكر أننا نتلقى كذلك العون المالي، ولكننا في الوقت ذاته قررنا أن نربي النحل في مزارعنا الرائعة لجني العسل وبيعه واستغلاله في تخفيف العبء عن الاتحاد.

وأخيراً يختم الأخ عبدالله ديوك لين جيون قصته بقوله:

أن لدينا ثلاث قرى مجاورة لقريتنا الإسلامية ، وقد تعرفت على أهم الشخصيات البارزة فيها ، فهم من المدرسين مثلي . وقد أُتيحت لي عدة مناسبات للالتقاء بهم والتحدث معهم عن الإسلام . وقد أبدى بعضهم اهتماماً عظيماً بهذا الدين الحنيف . وكلي أمل في الله أن نتمكن من كسبهم وكسب الكثير من الكوريين إلى الإسلام .

وبعد ، فمن حق سكان هذه القرية الإسلامية على المسلمين في كل مكان أن يهبوا لزيارتها لرفع الروح المعنوية لدى سكانها وتقديم العون المناسب لهم حتى يثبتوا على دينهم . ومن يدري فقد تقوم للإسلام دولة أُخرى في أقصى المشرق . والله غالب على أمره .

١٦ ـ محمّد كومياما ـ اليابان

تحت عنوان : « أول سياسي ياباني اعتنق الإسلام » كتبت صحيفة القبس الكويتية الغراء في عددها الصادر في يوم الاثنين الثامن من كانون ثاني/يناير من العام الحالي (١٩٧٩) عدد رقم ٢٣٨٠ ـ الملحق تقول :

محمد كومياما يصرّح : آفاق واسعة للدعوة الإسلامية في اليابان .

الوزير الياباني السابق للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية « جوشيرو كومياما » أشهر إسلامه في ١٧ ديسمبر الماضي في طوكيو ، وتسمى باسم « محمد كومياما » وهو أول شخصية سياسية بارزة في اليابان تعتنق الدين الحنيف . ويشغل حالياً منصبين مهمين في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم وهما : رئيس مجلس أبحاث النقد ، ورئيس وكالة العلوم والتكنولوجيا .

السيد محمد كومياما ـ ٥٢ سنة ـ من مواليد عام ١٩٢٧ ـ خصّ القبس بمقابلة مثيرة ، تحدث فيها عن أسباب إسلامه ونظرته

المستقبلية إلى الإسلام في اليابان والعـالم ، وذلك رداً على الأسئلة الموجهة إليه .

كان السؤال الأول الموجه للسيد محمد كومياما حول السبب الذي جعله يقرر اعتناق الدين الاسلامي الحنيف . قـال السيد كومياما: لقد ترسخ لديّ الاعتقاد بأن الاسلام هو دين الانسانية بأجمعِها ، فربع سكان العالم اليوم مسلمون ، وقـــد أردت أن أشاركهم ذلك ، وأنني آمـل في أن تُفيد الدعوة الاسلامية في اليابان من نشاطي السياسي .

وهنا سأل مراسل القبس من طوكيو السيد كومياما قائلاً : ولمن يرجع الفضل في هدايتك إلى الاسلام بعد الله سبحانه وتعالى؟ فأجاب قائلاً : يرجع الفضل بعد الله في ذلك للبروفسور الدكتور شوقي فوتاكي رئيس المؤتمر الاسلامي الياباني ، والذي هو صديقي الحميم منذ أيام الدراسة المبكرة ، فأنا أحبه وأحترمه كثيراً منذ وقت طويل .

والدكتور شوقي فوتاكي ، هو أحـد الشخصيات الاسلامية المعروفـة في اليابان ، فهو رئيس مجلس إدارة مستشفى كبير في قلب مدينة طوكيو، وقد هداه الله إلى الاسلام قبل بضعة أعوام، وأسلم على يديه أعداد كبيرة من اليابانيين ، وقـــد أنشأ جمعية إسلامية برئاسة سماها المؤتمر الاسلامي الياباني. وقد زار الكويت قبل حوالي عامين ، أي في عام ٧٧ م . وقـــد أشار السيد محمد كومياما إلى جهود الدكتور فوتاكي فقال بأنه يكرّس جل وقته

لخدمة المرضى والمراجعين في مستشفاه الواقع في حي «شبخيكو» بطوكيو ، وفي نشر الدعوة الاسلامية على مدار أيام السنة بدون يوم إجازة واحدة .

ويقول السيد كومياما : وقد بلغ عدد الذين اعتنقوا الاسلام على يـــده أكثر من ٢٥ ألف ياباني في غضون السنوات الخمس الأخيرة. مئات منهم من مرضاه الذين كتب لهم الشفاء على يديه في مستشفاه الذي يسمي العيادة الملكية . ونحن لا نقلـــل من جهود الدكتور فوتاكي ، ولكننا للأمانة نقول بـأن هذا العدد مبالغ فيـــه كثيراً . كما أن الدكتور فوتاكي يحتاج إلى بعض التوجيهات الاسلامية التي تقيـــه الشطط والزيغ عن الطريق المستقيم والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك . وهذه هي مهمة الدعاة المسلمين المخلصين .

ولكن نكبر في الدكتور فوتاكي جهوده ونشاطه وحمـاسه المنقطع النظير للدعوة الاسلامية واتقانه لاستقطاب الجماهير إليها. فقد نظم مؤخراً أكبر مؤتمر إسلامي من نوعـه تشهده اليابان ، اشترك فيه السيد كومياما ، وكان عبارة عن مظاهرة إسلامية رائعة . وعندما أسلم الدكتور فوتاكي اهتزت اليابان بأسرها لما قام به من نشاط ، فقـد أصبح حديث الصحافة اليابانية البارز بسبب الأعـــداد التي دخلت في الاسلام أفواجاً من اليابانيين على يديه .

نعود الآن إلى السيد محمد كومياما فنقول له : هل تأثرت في

عملية اهتدائك للدين الحنيف الإسلام بغير الدكتور شوقي فوتاكي؟
فيجيب السيد كومياما عن هذا السؤال قائلاً :

نعم ، لقد تأثرت أيضاً بشقيقي ميدبنك « هيوا ميوتشيال » الذي سبقني إلى اعتناق الإسلام . فقد شاهدت عن قرب كيف حدث انقلاب كبير في حياته إلى الأفضل بالطبع ، مما كان له أعظم الأثر في نفسي .

قيل للسيد كومياما : هـــل قرأت القرآن الكريم قبل إسلامك ؟

فأجاب قائلاً : نعم ، قرأت القرآن الكريم المترجمة معانيه إلى اللغـــة اليابانية على يد الحاج عمر ميتا ، العالِم الياباني المسلم المعروف . وأنا الآن أتعلم المزيد من أمور ديني كل يوم بفضل الله ثم بفضل الأصدقاء اليابانيين المسلمين وغير اليابانيين الذين لا يألوا جهداً في تزويدي بالثقافة الإسلامية .

ثم سئل السيد محمد كومياما عمـــا إذا زار أياً من البلدان العربية أو الإسلامية . فقال : لم تتح لي مع الأسف زيارة أي بلد عربي حتى الآن ، ولكنني سبق أن زرت إيران وآمل أن أتمكن من زيارة الأماكن المقدّسة وأداء فريضة الحج .

قيل للأخ محمد كومياما : ومـــا هي مشروعاتك للمستقبل ؟
فأجاب قائلاً : آمل أن أزور الدول العربية الشقيقة وأن أعمّق الصداقة مع إخواني في الدين ، وأزيد معرفتي بالشؤون العربية .

ولهـذا فإنني مع بعض الإخوة المسلمين اليابانيين نسعى لتأسيس المعهد الثقافي الإسلامي الياباني بغية دراسة شؤون الثقافة والتعليم الإسلامي ومساعدة الطلاب المسلمين اليابانيين وغيرهم على دراسة هذا الدين . وسوف يتم الإعلان عن تأسيس هذا المعهد قريباً إن شاء الله ، خلال العام الجديد بإذن الله . ولما كان معظم اليابانيين لا يعرف شيئاً عن العرب والمسلمين فسوف يكون هـــذا المعهد تطوراً مهماً في هـــذا السبيل ، وأعني بذلك سيتحقق للشعب الياباني فهم أفضل للعرب والمسلمين في جميع أقطارهم . فلا يخفي أن الدول العربية والإسلامية هي دول بعيدة من حيث المكان عن اليابان ، ولهذا نأمل أن نوفق في التقريب .

وهنا سئل الزعيم الياباني المسلم عن أهمية الإسلام ودوره في المستقبل بالنسبة للبشرية بأسرها فقال بنظرة السياسي المتفحص: ان القرن الحادي والعشرين الذين نطل عليه الآن هو قرن الدين بـــلا جدال .. بمعنى أن الناس يعودون إلى الدين كمنقذ لهم من شقائهم المادي المهلك . وهذا يعني أيضاً تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية التي أعلنت إفلاسها من حيث زعمها تحقيق السعادة لبني الإنسان . والإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها، وهو دين القرن العشرين . إذ أن المليار مسلم الذين يقطنون كافة أنحاء المعمورة سوف يتضاعفون ، وستدخل مـــلايين كثيرة من البشر في هذا الدين بإذن الله تعالى تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت

الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره. إنه كان تواباً » . صدق الله العظيم، وتنفيذاً لوعد رسول الله ﷺ حين قال : بأنه لا يظل بيت مدر ولا وبر إلا ويدخله الإسلام . فهذه بشرى من رسول الله ﷺ بأن يعم الإسلام الكرة الأرضية بأكملها .

ثم يختتم الأخ محمد كومياما حديثه بقوله: إنني أؤمن بالتضامن الإسلامي العالمي . وبالنسبة للدعوة الإسلامية في اليابان فهي تتطور تطوراً ديناميكياً ، وأنا أرى أن آفاق هـــذه الدعوة سوف تتسع كثيراً في المستقبل القريب بإذن الله .

والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

١٧ ــ عبدالحفيظ محمّد ـ غويانا

- ١ -

زار الكويت في الشهر الماضي ـ سبتمبر ١٩٧٩ الإمام عبدالحفيظ محمد ، إمام المسلمين في غويانا بأميركا الجنوبية . وهذه هي أول زيارة يقوم بها للدولة الكويت ضمن جولة إسلامية شملت القاهرة حيث قضى شهراً كاملاً معظمه في جامعه الأزهر الشريف تدرب خلاله على أيدي أساتذة متخصصين على ترتيل القرآن الكريم . وهي ليست مهمة سهلة بالنسبة له ، فاللغة العربية لا تزال جديدة عليه . فهو حتى الآن يعرف أقل من عشر سور من القرآن الكريم يقرأها وهو يؤدي الصلاة .

ورغم أن السيد عبد الحفيظ محمد هو إمام المسلمين في غويانا منذ أربع سنوات ، إلا أنه حديث عهد بالاسلام ، فقد أسلم قبل ثمان سنوات كان قبلها مسيحياً ينتمي لكنيسة الميثودست . وعمره الآن ٣٥ عاماً ، ولد وقضى الشطر الأول من حياته في وطنه غويانا ثم سافر إلى أميركا للدراسة الجامعية . فدرس الهندسة ونال دبلوماً في الهندسة الميكانيكية من أحد المعاهد في

ميلان ، بكارولينا الشمالية ، كما حصل على دبلومات أخرى من أحد المعاهد في شيكاغو في النظام الالكتروني .

وقبل أن نسأله كيف أسلم ، لا بدّ هنا من كلمة عن بلده غويانا . غويانا هي إحدى البلاد الواقعة شمال أميركا الجنوبية تحدها فنزويلا من الغرب وسورينام من الشرق ، والبرازيل من الجنوب وتطل على البحر الكاريبي الذي يحدها من الشمال وعاصمتها جورج تاون ، وتبلغ مساحتها ٨٣٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها حوالي مليون نسمة منهم مئة ألف مسلم ، أي ١٠ ٪ من مجموع السكان . وهناك عشر جمعيات إسلامية عاملة في غويانا ، والمسلمون هناك من أصل هندي وباكستاني بالاضافة إلى المسلمين الذين جلبوا إليها من أفريقيا السوداء .

ثم يتحدث الإمام عبد الحفيظ عن سبب إسلامه فيقول :

منذ إن كنت صغيراً لم يكن للديانة المسيحية أي وقع في قلبي. وأذكر أنني وأنا طفل لم تكن تروق لي فكرة الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد ، وكانت لي مع والدتي بسبب ذلك مشاجرات كثيرة . وعندما كبرت ، ذهبت إلى أميركا – يعني الولايات المتحدة الأميركية – وأخذت أتنقل بين شيكاغو ونيويورك وغيرها فأحسست بالفراغ الروحي الذي يعانيه الجميع وبدأت أسأل نفسي أسئلة كثيرة حول دور الانسان ، وأهميته ومصيره وسط هذه الدوامة الطاحنة من الحياة المادية اللاهثة دوماً بلا سبب الشديدة التعقيد .

ويمضي الإمام عبد الحفيظ في حديثه الشيّق فيقول :

وفي عام ١٩٧٢ ذهبت بصحبة أحد الأصدقاء لسماع محاضرة عن الاسلام ، أقامتها جماعة إسلامية في شيكاغو ، وكان ذهابي من باب حب الاستطلاع والفضول ، ولم أكن أفكر قط في تغيير ديني . كما أنني خرجت دون أن أتأثر بشيء مما سمعت . إلا أنني حملت معي عدداً من مجلة (محمد يتكلم) وهي المجلة الناطقة بلسان جماعة المسلمين السود التي كان يرأسها أليجا محمد والتي تحول اسمها الآن إلى جماعة أمة الاسلام في الغرب ويتزعمها الآن السيد وريث الدين محمد ، وقد تغير اسم مجلتها فأصبح «مجلة البلاليين» . وهي أكبر جماعة إسلامية في أميركا الآن . وتعمل بنشاط كبير في أوساط العشرين مليون مواطن زنجي بأميركا . وتلقى هذه الجماعة كل تأييد وعون من مختلف الأقطار الإسلامية .

نعود الآن إلى الإمام عبد الحفيظ الذي يستأنف حديثه بقوله : خرجت من المحاضرة كما قلت لك ومعي عدد من مجلة (محمد يتكلم) وبعض المجلات والكتب الأخرى عن الإسلام . وبدأت أقرأ وأقرأ . لقد أعجبني شيء واحد من المسلمين الذين لقيتهم . أعجبني فيهم النظام والإخلاص وصفاء القلب والحب الذي يمارسونه فيما بينهم . إلا أن قراءتي حتى ذلك الحين كانت لمجرّد البحث عن المعرفة ومن باب الفضول فقط .

ثم يعود بناء الإمام عبد الحفيظ إلى الماضي فيتذكر ما كان يحس به . يقول : لست عنصرياً . ولكني منذ أن كنت صغيراً

كنت أعرف جيداً أن البيض قد أساؤوا معاملة السود ، واذكر الكثير من صور المعاناة التي قاساها السود على أيـدي البيض . لهذا ارتبطت الديانة المسيحية في نفسي بالبيض ، فلم أكن أحس بأي ميل قلبي نحو هـــذا الدين الذي هو دين البيض ، الذين يستعبدون السود ويذلونهم . وقد أعانني هـذا الشعور على فهم الإسلام . فأخذت أقرأ وأقرأ . وذات يوم ، كنت أقوم ببعض الأعمـال في منزلي ، وكانت زوجتي وأطفالي بالداخل . وكنت منهمكاً فيما كنت أعمل به ، وإذا بإحساس قوي يتملكني . لقد أحسست برغبة قوية ملحة بأن أكون مسلماً. وكأني كنت أرزح تحت عبء ثقيل أريد التخلص منه. وكأن شيئاً ما يدق عنقي. وفي الحال ذهبت إلى حيث كانت تجلس زوجتي مع أطفالنا وقلت لها : أريد أن أكون مسلماً . فلم تمانع في ذلك بل شجعتني عليه. وقالت لي في الحـال : وأنا معك ، وهكذا ذهبنا معاً في وقت لاحق وأعلنا إسلامنا . وهكذا أصبح اسمي عبد الحفيظ محمـد واسم زوجتي أمينة وهي أميركية حاصلة على ماجستير في التربية وتعمل ناظرة مدرسة في غويانا. وقد دخلت الإسلام عن اقتناع بحقيقة هذا الدين .

قلت للأخ عبد الحفيظ محمد الذي لقيته أكثر من مرة أثنـاء زيارته للكويت مؤخراً : ماذا فعلت بعد أن أسلمت؟ فقال : لم يكن اعتناقي للإسلام إلا البداية لتغيير كامـل شامل في حياتي . فرغم أنني كنت مهندساً ناجحاً في مجـــال التبريد ، أكسب

الكثير من المال ، وأعيش حياة مرفهة للغاية أنا وأسرتي ، إلا أنني لم أكن أحس بالسعادة التامة . كنت أشعر أن شيئاً ما ينقصني . فلما جاء الإسلام إلى قلبي جاء معه تصميم من جانبي على أن أعمل على نشر الإسلام . فقابلت عدداً من أئمة المسلمين في منطقة كارولينا الشمالية حيث كنت أعمل وأسكن ، وأبلغتهم أنني أسلمت وأُريد أكثر من ذلك . أُريد أن أعمل على نشر الإسلام. وهكذا انتقلت من إمام إلى آخر ومن جامع إلى جامع حتى وصلت إلى شيكاغو حيث كان يقيم الزعيم الروحي السابق المسلمين السود أليجا محمد ، ذهبت إليه ومعي خطاب من إمام آخر. ولكن أليجا محمد كان مريضاً جداً ، وتوفي قبل أن أتمكن من مقابلته ، وهكذا مكثت فترة من الزمن في مدينة شيكاغو قابلت خلالها خليفة أليجا محمد واسمه وريث الدين محمد. وقضيت معه فترة من الزمن تعلمت منه الكثير عن الإسلام .

سألت الأخ عبدالحفيظ عن رأيه في الإمام وريث الدين زعيم المسلمين البلاليين الجديد في أميركا فقال : لقد أحببته وارتاحت له نفسي كما وثق هو بي كذلك، فكلفني بالذهاب إلى وطني غويانا لنشر الاسلام هناك ، وعينني إماماً للمسلمين في غويانا . فعدت إلى كارولينا الشمالية ، فبعت منزلي وسيارتي وكل ما أملك وجمعت ما عندي من مال وتوجهت مع أسرتي إلى غويانا .

قلت للأخ عبد الحفيظ : متى كان ذلك؟ فأجاب قائلاً : كان ذلك قبل أربع سنوات تقريباً. ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل على

نشر الاسلام . بدأت عملي وحدي . اتصلت بالناس . وأخذت أدعوهم إلى هذا الدين ، ولم تكن المهمة سهلة في البداية . لكنني كنت مصمماً على ما أريد . وخلال أربع سنوات من العمل في غويانا انضم أربعة آلاف مواطن في غويانا إلى الاسلام بفضل الله ثم بفضل جهودي المتواضعة . ولا زلت أواصل جهدي في هـذا المجال .

ويضيف الإمام عبد الحفيظ : هذا بالرغم من الحريق الذي التهم متجراً كان لديّ وكنت أنفق من ريعه على نشاط الدعوة الاسلامية .

قلت للأخ عبد الحفيظ : كيف استطعت أن توفق بـين تخصصك العلمي الأكاديمي وبـين نشاطك في الدعوة إلى الاسلام وعملك كرئيس للمنظمة الاسلامية في غويانا؟ فقال رداً على ذلك:

لقـد كنت منذ صغري وحداثة سني ولا أزال ميالاً إلى النواحي الدينية . وكان تخصصي الجامعي في أجهزة التسخين والتبريد والتكثيف وأجهزة التبريد عامة والأجهزة الكهربائية والالكترونية التي تحافظ على الأمن والسلامة . وما زلت أقوم بعمل دراسات كثيرة في مجال تخصصي الذي ذكرته ، وقد أنعم الله عليّ بنعم كثيرة والحمد لله ، فكنت دائمـاً من الأوائل في دراستي بالجامعة ، حـتى عند تقدمي للامتحان النهائي كانت نتيجتي الأول على مجموعتي في التخصص .

لقـــد غير الاسلام من طبيعة ذاتي وأصبحت منصرفاً كلياً للدعوة إلى التوحيد . ولا غرابة في ذلـك ، فلقد تمكن الاسلام من نفسي والحمد لله الذي هداني للإسلام . أما عملي كداعية فهو شيء مفروغ منه ويجب أن يكون . لأنه يحقق السعادة في الدنيا والآخرة . وهذا ما يجب أن يسعى إليه كل مسلم عاقل .

١٨ ــ عبد الحفيظ محمّد ــ غويانا

ــ ٢ ــ

هذه تكملة قصة الإمام عبد الحفيظ محمد ــ إمــام المسلمين في غويانا . ذلك المهندس الشاب الذي لا يزيد عمره عن ٣٥ عاماً ، والذي ترك الهندسة وتفرغ للدعوة الإسلامية ليقف إلى جانب إخوانه المسلمين في غويانا ، وقد قــام بجولة حول بعض الأقطار الإسلامية شملت مصر ، والمملكة العربية السعودية والكويت .

يبدأ الأخ عبد الحفيظ حديثه قائــــلا : ليس في غويانا إلا مركزان إسلاميان و٥٢ مسجد . فقلت متعجباً : سبحان الله ٥٢ مسجد في غويانا ، ونحن لا نسمع عنها وعن إخواننا المسلمين فيها أي شيء . فقال: المسلمون يا أخي يوجدون في كل مكان وهم أمة واحدة ، ولا يكاد يخلو أي مكان على وجه الأرض إلا وفيه مسلمون يذكرون الله عز وجل . ونحن في غويانا لدينا نشاط إسلامي جيد ، إلا أننا بحاجــــة إلى تأسيس مكتبة إسلامية

وتدعيم وسائل الاتصال بالدول الإسلامية في جميع أنحاء العالم .

وعن زيارته لمصر الشقيقة التي بدأ بهـا جولته يقول الأخ عبد الحفيظ : إن إقامتي في مصر أعطتني مفاهيم جديـدة ومسؤوليات كبرى ، كما أن مفهوم التقوى قد ازداد عمقاً في نفسي . لقد أحببت هـذا البلد إلى درجة جعلت من الصعب على نفسي التفكير في مغادرته بعد أن أمضيت بين أهله شهراً ونصف ولكن لا بدّ لي من ذلك لأداء فريضة الحج . لقد تأثرت كثيراً بإخواني المسلمين في مصر إذ أن ثلاثة أشخاص منهم في أماكن متفرقة ، حينما عرفوا أنني مسلم من غويانا قـام كل واحد منهم وعانقني وتمنى لي حياةً طيبة في ظل الإسلام .

وبعد أن أمضى الأخ عبد الحفيظ المـدة المتاحة له في مصر درس خلالهـا اللغة العربية والقرآن الكريم ، وساعده في ذلك المراقب العام للبحوث الإسلامية بالأزهر الشريف توجـه إلى المملكة العربية السعودية .

قيل له وهو يطأ أرض الجزيرة العربية لأول مرة : مـا هو شعورك وأنت تأتي للأراضي المقدسة في زيارتك الأولى لها؟ فقال:

جئت لتأدية فريضة الحج والعمرة . وشعوري كشعور كل مسلم مؤمن بالله سبحانه وتعالى إيماناً لا تشوبه أية شائبة . لقـد حضرت مع عائلتي وأحس بالسعادة والشكر لله عز وجل الذي هيأ لنا هذه الزيارة وأنار قلوبنا وهدانا للإسلام .

ويمضي الأخ عبد الحفيظ فيقول : جئت إلى البلاد العربية لاستطلع إمكانية مد يد العون للمسلمين في غويانا - بأميركا اللاتينية . فنحن بحاجة ماسة إلى المساعدة من إخواننا المسلمين . إننا منظمة إسلامية ترعى شؤون المسلمين ويوماً بعد يوم يعتنق الكثيرون من مواطني غويانا الإسلام ، لا عن طريق الإكراه ، ولكن عن اقتناع وحب وعن هداية من الله سبحانه وتعالى . إنني أتكلم كإمام المسلمين في غويانا ونيابة عن كافة المنظمات الإسلامية ، فنحن بحاجة إلى الكتب الإسلامية وإلى المدرسين والوعاظ الدينيين حتى نحافظ على الجالية الإسلامية الكبيرة في غويانا ، وننشىء أبناءنا تنشئة إسلامية صحيحة. واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، فلا بدّ من تدريسها لأبناء المسلمين في غويانا حتى يفهم المسلمون دينهم وقرآنهم .

ويضيف الأخ عبد الحفيظ قائلاً :

لدينا مشاريع كثيرة كبناء المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية والمدارس، وهذه تحتاج إلى عون مالي كبير. كما تفتقر إلى إذاعة مستقلة لبث الدروس والمواعظ الإسلامية لمن لا يتمكن من الحضور إلى المركز الإسلامي . واعتقد أن حكومة غويانا لا تعارض مثل هذا الإجراء . .

ويتحدث عن نشاطه الإسلامي فيقول :

إنني عضو في المجلس الإسلامي في غويانا ، وفي المجموعة التي

تقوم بزيارة نزلاء السجون فنقوم بعمل نـدوات إسلامية كثيرة داخل السجون لتوعية نزلائها وتعريفهم بمبادىء الإسلام وبقيمه الخالدة ، كما نمد العون المالي لهم بقدر استطاعتنا . ونساعد الكثير من المحتاجين والفقراء . ونحن كمسلمين نساعد جميع الناس من مختلف الديانات . وهـذه الأموال نحصل عليها من بعض المشاريع التجارية الخاصة التي تبيع المأكولات . إلا أن واحداً من أكبر هذه المشاريع قد تعرّض في الآونة الأخيرة لحريق كبير سبب لنا خسارة كبيرة . وقد أثبتت التحقيقات أنه كان نتيجة لعمل تخريبي قامت به منظمات ضد الإسلام والمسلمين في غويانا. ولكن بالرغم من ذلك فإن عدد المسلمين هنا في ازدياد مستمر . وهذا يضايق بعض الأوساط في غويانا مما يجعلها تقوم بهـذه الأعمال التخريبية لمشاريعنا .

ويعلق الإمام عبد الحفيظ بحماس كبير فيقول :

لقد تركت عملي الأساسي في مجال الهندسة ووهبت نفسي كلياً لديني وعقيدتي الإسلامية ، لإرشاد الناس وهـذا شرف عظيم لي ولعائلتي . إنني أسعى دائماً لعمل مشاريع تجارية تعود بالنفع على إخواني المسلمين .

ماذا عن موقف المواطن الغوياني من الإسلام ؟ هـذا هو السؤال التالي الموجه للإمام عبد الحفيظ الذي أجاب عليه قائلاً:

ان المواطنين في غويانا لديهم الرغبة الأكيدة للدخول في

الإسلام . فنحن نلاحظ حالياً انتشار الإسلام يوماً بعد يوم . إلا أننا بحاجة إلى المساعدة ، فلا توجد أية قوة تستطيع أن توقف المد الإسلامي في غويانا. ولكن هناك بعض العقبات في الطريق، ونحن نريد أن نكسب أكبر عدد من أبناء البلاد للإسلام .

قلت للأخ عبد الحفيظ : وما هي قصة دخول الإسلام إلى غويانا ؟ فقال : لقد كان دخول الإسلام إلى غويانا على يد المهاجرين الأفارقة الذين هاجروا قسراً من أفريقيا إلى دول أميركا اللاتينية ، وخاصة الذين أحضروا من السودان وأثيوبيا وتشاد وغيرها من دول شرق ووسط أفريقيا وغربها أيضاً . فعندما جاءوا إلى غويانا استطاع شعب غويانا من خلال مخالطته لهم ومعاملته معهم أن يتعرف إلى الدين الإسلامي . فقد لمس الناس منهم معنى التسامح والحب والسلام والوفاء وإنكار الذات. لقد عرفوا كل معاني الحق التي كانوا يفتقدونها . لذلك اعتنق الكثير منهم الإسلام عن حب وعقيدة راسخة دون إكراه أو إغراء .

وبعد فترة من الزمن حضر مهاجرون آخرون من الهند وباكستان، وقد أعطت هذه الدفعة من المهاجرين المسلمين مزيداً من القوة للاسلام في غويانا . كما أن حكومة غويانا لم تمانع من إقامة الشعائر الاسلامية ، بل سمحت للمسلمين بحرّية العبادة والتحدّث والدعوة إلى الاسلام، وهكذا تضاعف عدد المسلمين. والطريف أن الاسلام لا يعترف بالعنصرية ولا بالطائفية بالجالية

الباكستانية المسلمة في غويانا لديهـــا مرشد من السود هو من أعضائها البارزين . حيث لا فرق في الاسلام بـين أسود وأبيض إلا بالتقوى . ولقـد عملت الكثير لإنشاء رابطة إسلامية تضم كافة المسلمين في غويانا من مختلف الجنسيات ، وقـد وفقت في عملي هذا ولله الحمد .

قلت للأخ عبد الحفيظ الذي امتنع أن يذكر لي دينه السابق واسمه قبل إسلامه ، لأنه لا يريد أن يتذكر هذا الماضي ، قلت له : هل درست الأديان الأخرى ؟ فقال :

إلى جانب دراستي للإسلام والقرآن الكريم درست الأديان الرئيسة الأخرى ، فعرفت الفارق الكبير بينها وبـــين الاسلام والقرآن . لقـد وجدت في القرآن الكريم الطريق السليم لعبادة الخالق الأحد . لقد اكتشفت أن الديانات الأخرى قد حرفت كتبها وأنها تمارس في الواقع العملي أشياء مغايرة تماماً لمـا تنادي به وتدعو إليه . إضافة إلى أن الدين الاسلامي لا يقتصر على العبادة فحسب، بل يعلمك كيف تعيش حياتك الدنيوية وتنظمها على أساسه في كل صغيرة و كبيرة ، ويرشد الانسان إلى أفضل الوسائل لمعاملة غيره. فالاسلام نظام شامل للحياة الانسانية كلها وهو الدين الحق الصالح لكل زمان ومكان. كنت دائم التفكير والتأمل ، فالذي خلق الانسان ووهبه هـذه النعم الكثيرة هو الذي خلق الحيوان والشجر وأنزل من السماء مـــاء ، والقرآن الكريم يدعونا دائماً إلى التفكر في ملكوت السموات والأرض

ويربط بيننا وبين الكون من حولنا ، بعكس الأديان الأخرى التي تفرض الإيمان على أتباعها فرضاً .

وأخيراً قلت للأخ عبد الحفيظ : ما هو أهم مشروع إسلامي لديكم الآن ؟ فقال : أهم مشروع لدينا هو اكمال مركز الدعوة الاسلامية في جورج تاون الذي يتألف من قاعة محاضرات ومسجد ومكتبة ومدرسة إسلامية ومكاتب الإدارة . ولدينا جمعية لمساعدة الشيوخ والعجزة والمساكين . كما أن لدينا مشروعاً زراعياً يحقق لنا الاكتفاء الذاتي ، عسى الله أن يشرح صدور المسلمين لدعم العمل الاسلامي في غويانا وغيرها حتى يهب المارد الاسلامي الجبار من غفلته ، والله الموفق لكل خير .

١٩ ـ الدكتور أحمد سوسة ـ العراق

- ١ -

الدكتور أحمد سوسة .. عضو المجمع العلمي العراقي ، مرجع بارز في دراسات الحضارة العربيـــة ووادي الرافدين على وجه الخصوص . أسلم قبل عدة سنوات بعد أن تأثر بالقرآن الكريم ، واولع به ولعاً شديداً ، كان يهودياً عراقياً ثم شرح الله صدره للاسلام : « فمَن يُرِد الله أن يهـــديه يشرح صدره للاسلام ومَن يُرِد أن يُضِلّه يجعلْ صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء » . صدق الله العظيم .

والدكتور سوسة عدة مؤلفات معتمدة في مختلف المجالات العلمية . وقد ركز في العديد منها على تفنيد ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية . وقـــد نال الجزء الأول من كتابه « فيضانات بغداد في التاريخ » جائزة دولة الكويت لعام ١٩٦٣

وهي الجـــائزة التي تُمنح عادةً لأفضل دراسة تعالج جانباً من التاريخ العربي والحضارة العربية .

وفي كتابه « في طريقي إلى الإسلام » ، يذكر الدكتور أحمد سوسة سبب إسلامه ، وهو دكتور في الفلسفة من جـــامعات الولايات المتحدة الأميركية ، يقول :

– يرجع مَيْلي إلى الإسلام إلى مـا قبل ثلاث عشرة سنة ، حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى في عهــد دراستي في الجامعة الأميركية ببيروت، فولعت به ولعاً شديداً ، وانصرفت إلى تلاوته مستعيناً بالكتب المزوّدة بحواشي التفسير لفهم معناه ، حتى أهملت البعض من دروسي المدرسية الأخرى . وكنت أطرب لتلاوة آيات القرآن ، وكثيراً مـا كنت أنزوي في مصيفي تحت ظل الأشجار وعلى سفح جبال لبنان ، فأمكث هناك ساعات طوالاً أترنم بقراءته بأعلى صوتي، إلا أنني لم افكر في أمر اعتناقي للاسلام إلا بعـــد أن قضيت في أميركا بضع سنوات ، ودرست فلسفات الأديان ، وتوغلت في المواضيع التاريخية الاجتماعية ، حتى أدركت كثيراً من الأمور الغامضة التي كان يصعب عليّ حلّها .

ثم يشير الدكتور سوسة إلى طبيعة الحياة الأميركية وأثرها في اتخاذ قراره الحاسم ، فيقول :

– وفي الوقت نفسه ، فإنني أعتقد بأن محيط أميركا الذي تتجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان، قد يستميل المرء الذي

فُطر على حب الحرية والسذاجة ، إلى الانقياد إلى تعـاليم الدين الإسلامي المشبع بروح الديمقراطية الحقـة والحرية والبساطة ، فأستطيع أن أقول بدون تردد بأنني مسلم شعوراً وموطناً منذ نعومة أظفاري ، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعني لأن أنفض عني غبار الميراث من الدين والعنصر ،وأن أسبر أغوار الحقيقة لأهتدي بأنوارها إلى المذهب الصحيح الحنيف .

ويضيف الدكتور سوسة قائلاً :

– إلا أني يجب أن أعترف – في الوقت نفسه – بأن الميـل لم يكن مستنداً على ما يقرّه الاستقراء العلمي والتمحيص الفكري والتجارب الشخصية . وما أعظم سروري الآن ، حين جـــاء الاستدلال العلمي الصحيح مؤيداً للميـل الفطري ، فانتميت إلى الدين الإسلامي بدافع طبيعي غريزي ، وبتأييد علمي تمحيصي ، فأصبحت بذلك مسلماً شعوراً وموطناً وديناً .

ثم يردّ الدكتور أحمـد سوسة على الفرية السائدة بأن الإلحاد هو المودة بين المثقفين ، فيقول :

– ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلّم تعليماً راقياً أصبح ملحداً بطبيعة الحال ، قد تمكنت في أذهان شبابنا المثقفين ، بحيث أصبح الكثير منهم يستغرب ويدهش إذا أظهر أحد المتعلمين ظاهرة دينية أو تطرّق إلى البحث في هذا الموضوع. وأنا أرى لزاماً عليّ أن أبحث في مقدمتي هـذه – ولو بصورة مقتضبة – فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائي ، بعد أن أعلنت

له رغبتي في اعتناق الإسلام ، إذ قال في كتابه : « إني لأشعر بخطورة رغبتك هذه ، لا سيما أنها جاءت في القرن العشرين ، في القرن الذي طغت فيه المادة وسادت فيه الملموسات ، وهي بنت فكر شخص عاش في بيئة أميركية ،وأنه من حمَلة الدكتوراه ».

يجيب الدكتور أحمد سوسة ، العالم المؤمن الذي لا يغرّه ما أفسد إبليس من غرور ، فيقول :

– وكأني بصاحبي قد يخيل له أن من اكتسب علماً حديثاً يجب عليه طرح ناحية الدين جانباً ، والانصراف إلى ما في الحياة الدنيا من أعمال مثمرة ملموسة . وما أخطأ هذا الظن وأخطره على مصير مجتمعنا . فما هو العلم ؟ هل يقتصر العلم على تدريبنا لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب ؟ أنا لا أنكر أن العلم قد نستفيد منه ونستعين به في مشاريعنا الفنية ، ولكن أهي هذه الغاية من العلم ؟! أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية ؟! إذن ، للعلم غاية سامية يرمي إليها صاحبه هي غير الأعمال الميكانيكية المادية .

ويتساءل الدكتور أحمد سوسة عن الغاية من العلم ، فيقول :

– وما هي هذه الغاية ؟ إن الغاية المهمة من العلم الراقي في نظري هي تنبيه حس الطموح في صاحبه إلى استكشاف الحقائق والتدقيق والتمحيص ، سواء في مجالات التفكير الروحي المعنوي أو في منطقة الأعمال الملموسة لإدراك هذه الحقائق وإذاعتها ،

فيستفيد منها المجتمع في سبيل التعاون والتعاضد ، للنهوض بالإنسانية إلى أسنى درجات الكمال .

هذا ما كتبه الدكتور سوسة ، في مقدمة كتابه « في طريقي إلى الإسلام » .

وفي الآونة الأخيرة ، طالعتنا صحيفة « القبس » الكويتية الغرّاء ، بمقابلة نشرتها مع الدكتور سوسة تحت عنوان : اليهود دوّنوا في بابل تاريخاً مزيفاً وتوراة مزيفة ، ولا أصل لهم لا في العراق ولا في فلسطين . ثم يقول : حضارة العرب تعود إلى ما قبل ٢٠ ألف سنة ، وهم أول مَن أسّس الزراعة الاصطناعية في العالم .

وقبل أن ندخل في تفاصيل ما ذكر الدكتور سوسة عن اليهود والتاريخ ، نودّ أن ننقل المزيد عن قصة إسلامه . فعندما سُئل عن نظرته إلى اليهود في الإطار الإسلامي ، قال :

– منذ الصغر كانت تدور في ذهني قضية الأديان ، وكنت أتعجب لهذه الاختلافات وأنا في محيط مسلم وأصدقائي مسلمون . فلماذا مسلم ومسيحي ويهودي ؟ وكانت هذه الأمور تشغلني وأنا من عائلة يهودية الأصل ، وقد أسلم قسم من أفراد هذه العائلة . وبعد أن عكفت مدة على الدراسات الدينية توجهت إلى الأزهر الشريف في مصر حيث درست هناك فترة من الزمن . وانتهت تلك الحيرة ، إذ أعلنت إسلامي بعد إيمان وفهم عميقين .

لقد بدأ هذا الحوار مع الدكتور سوسة ، في داره التي تضم مكتبة تُعتبر من أندر المكتبات الخاصة في بغـــداد . وكان السؤال التـــالي للدكتور سوسة حول كتابه المعروف « العرب واليهود في التاريخ » وماذا عنه ؟ يقول الدكتور سوسة :

– خلال دراساتي وأبحاثي ، وجـدت أن الصهيونية تستند على الدين اليهودي في المطالبة بفلسطين ، فتزعم أن التوراة قد منحتهم أرض فلسطين من ربهم « يهوه » لتكون وطناً لشعبه المختار. وعلى هذا الأساس يزعم اليهود أنهم يمتلكون الحق المقدس لاحتلالها بالقوة وطرد سكانها وأصحابها الشرعيين ، بل أبادتهم ، ليستقروا فيها . وهذا ما تنفذه الصهيونية استناداً لذلك الزعم الباطل .

ثم يستطرد في الحديث عن هذا الزعم ، فيقول :

– ولما كان هـــذا الزعم يستند على التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم ، وهي التي كتبها الحاخامون في بابل في وقت لاحق تحقيقاً لأغراض سياسية معينـــة ، فلا بد من تفهم تاريخ التوراة على حقيقته ، مَن دَوَّنها ؟ وكيف ومتى دُوِّنت ؟ ومـــا هي الأهداف الرئيسية من تدوينها ؟ لقد أوضحت من خلال كتابي « العرب واليهود في التـــاريخ » زيف الصهيونية واستنادها إلى التوراة التي هي أصلاً محرَّفة ومدوَّنة حسب رغباتهم وأهوائهم وأطماعهم ، وليست هي التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام ، بل أضافوا إليها وحرَّفوا فيها كما يحدثنـــا بذلك القرآن الكريم

نفسه ، قال تعالى : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون » .

ويقول سبحانه وتعالى: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون » (الأعراف / ١٥٧) .

ويمضي الدكتور سوسة في حديثه عن التوراة المحرّفة الموجودة بين أيدي الناس اليوم ، وما أعدّ من دراسات لكشف زيفها وبيان عوارها ، فيقول :

– هذه الدراسات ، كما يرى معي كثير من العلماء والمؤرخين ، جاءت ردّاً ولطمة كبيرة لفضح زيف الصهاينة وبطلان ادعاءاتهم . فأرض فلسطين عربية إسلامية وستبقى كذلك مهما طال أمد الاحتلال الغاصب .

ولنا لقاء آخر إن شاء الله مع الدكتور أحمد سوسة .

٢٠ ــ الدكتور أحمد سوسة ــ العراق

- ٢ -

هــذه هي تكملة المقابلة التي أجريت من الدكتور أحمد نسيم سوسة المهتدي الجديد إلى الإسلام من القطر العراقي الشقيق، بعد أن كان يهودياً إسرائيلياً وهو الآن عضو في المجمع العلمي العراقي فسبحان الهادي. وبعد أن كان في صف أشد الناس عداوةً للذين آمنوا أصبحوا اليوم مع المؤمنين يدافع عن قضاياهم . وأهم ثغرة يقوم عليها هي رده على إدعاءات الصهيونية وأباطيلها، وسنتابع في هذه المرة مــا يقوله في ذلك ، كما سنلتقي بابنته المسلمة عالية وهي عضوة عاملة في اتحاد المؤرخين العرب ومدرّسة في جامعة بغداد لتاريخ الشرق الأدنى الحديث ، وهي تستعد هــذا العام لمناقشة رسالتها للدكتوراه في جامعـــة السوربون بباريس ، واطروحتها بعنوان « العراق من عام ١٩٢٢ ميلادية إلى عـــام

١٩٣٩ » ، وهي عبارة عن دراسة اجتماعية وسياسية باللغتين الفرنسية والإنجليزية .

نعود الآن إلى الدكتور أحمد سوسة لنسأله عن قصة الحضارة العربية ، فيجيب على هذا السؤال بقوله: ان دراسة تاريخ العراق القديم قادتني إلى دراسة تاريخ الأقطار العربية جميعها ، ومنها فلسطين ، البلد العربي العريق في تاريخه . فقد درست الحضارة العربية القديمة كيف نشأت ومتى بدأت وأين فتوصلت في دراستي إلى الكثير حول هذا الموضوع .

إن حضارة العرب قديمة وعريقة جداً تعود إلى ما قبل عشرين ألف سنة قبل الميلاد . فجزيرة العرب التي كان مناخها حينذاك غير ما هو عليه الآن ، كانت تمر بالعصر الجليدي الأخير الذي يتميز بالأمطار الغزيرة ، وكانت الوديان الموجودة الآن في الجزيرة أنهاراً تجري فيها المياه طيلة مواسم السنة ، ولهذا بدأت الحضارة في الجزيرة ، وكان العرب أول من أسس الزراعة الاصطناعية في العالم ، وهم أول من استعمل وسائل اصطناعية للري والارواء .

ثم يقول : وبانتهاء الدور الجليدي جاء دور الجفاف الذي اضطر أهالي الجزيرة إلى الهجرة فنقلوا الحضارة منها وهاجروا إلى الهلال الخصيب حيث وجدوا الأنهر ، وعلى الأخص وادي الرافدين ، فاستقروا هناك مؤسسين أول امبراطورية سامية في العالم وهي الأمبراطورية الأكادية ثم تلتها الأمبراطورية الأشورية

والكلدانية . وهؤلاء كلهم عرب هاجروا من الجزيرة . ثم جاءت الامبراطورية العربية الاسلامية التي نقلت حضارة العرب المسلمين إلى أنحاء العالم .

وقبل أن نمضي في هذا الحديث مع الدكتور سوسة نقول بأن الاسلام وجد العرب في حالة من التخلف والتفكك لا مثيل لها وأنهم قبيل ظهور الاسلام لم تكن للعرب حضارة ، وإنما كان الفضل ولا يزال للاسلام العظيم الذي حول العرب من بدو رحل يقتل بعضهم بعضاً بالثأر الذي استمرت حروبه بينهم عشرات السنين، ويأكل القوي فيهم الضعيف، جاء الاسلام فأحال العرب من هذا الوضع الشائن إلى أمة موحدة متحابة حملت النور والهداية والحضارة الاسلامية إلى الناس كافة . وهذا هو فضل الاسلام على العرب . لأن العرب لم يفروا إلا بالاسلام إذ لم يكن لهم أي ذكر قبله. قال تعالى : «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » . صدق الله العظيم .

بعد هذا التعليق الذي لا بدّ منه سئل الأخ الدكتور أحمد سوسة عن حقيقة اليهود في التاريخ فقال : لقد دون اليهود أثناء الأسر في بابل تاريخاً زائفاً لأهلهم ذكروا فيه نسبهم وصلتهم بالأقوام الأخرى وبالعالم القديم ، وحرروه وفق أهوائهم ورغباتهم الدنيوية ونزعاتهم الدينية . وقد قبل العالم مع الأسف هذا الزيف ، وظل الباحثون والكتّاب يرددونه وكأنه حقائق تاريخية حتى ظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة فكشفت للناس

زيف الادعاءات اليهودية كحقهم في أرض العرب، وما إلى ذلك من الادعاءات الوهمية. وهذه المدونات المكتشفة تسجل أحداثاً بلغات الأقوام القديمة التي عاصرت تلك الأحداث ذاتها كالسومريين والأكاديين والكنعانيين والفينيقيين والحيثيين وأهـــل بابل والأشوريين والكلدانيين. كل ذلـــك قبل تدوين التوراة بعدة قرون. وهـــذه المراجع تزودنا بالمعلومات والبيانات التي كانت تعوز من سبقنا من الباحثين للتوصل إلى بعض الحقائق التاريخية عن العصور القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى صلب الحقيقة الواقعة.

بعد ذلك يقول الدكتور أحمد سوسة، المؤرخ العراقي المسلم: ولا توجـــد حسب علمي أية دراسة علمية لتاريخ يهود العراق القديم، فالمصدر الوحيد الذي يعول عليه الباحثون هو ما يلقنه لهم الصهاينة عن تاريخ اليهود القديم، وهو ادعاءهم خلافاً للواقع التاريخي بـأن العراق هو وطن اليهود الأصلي لأنهم هاجروا مع ابراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين قبل أربعة آف سنة قبل الميلاد، وكان عددهم أربعة آلاف نسمة. وهكذا ربطوا نسبهم وأصلهم بابراهيم وبالعراق. هذا في حين أن المعلومات التي تركها لنا الأقدمون تدل على أن اليهود قد ظهروا في العراق لأول مرة في عهـد الأشوريين بصفة أسرى في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد أي بعـــد عصر ابراهيم الخليل بألف ومائتي سنة لأن ابراهيم الخليل ظهر حسب التقـــدير التاريخي

الراجح في القرن التاسع عشر قبل الميلاد . هذا ما يقوله الخبراء المحدثون .

ومن جهة أخرى يقول الله تعالى: «ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (آل عمران ٦٦ ، ٦٧) .

قيل للدكتور سوسة : ما الجديد في أبحاثكم ؟ فأجاب قائلاً: لقد أعددت بحثاً جديداً حول إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية. وهو بحث وثائقي يظهر مدى تطور حضارة العرب منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا .

لا بد أن نكرر هنا أن الحرص على إبراز عظمة العرب قبل الإسلام هي دعوة ساذجة غير دقيقة علمياً ، إذا افترضنا حسن الظن . وهي دعوة خبيثة ماكرة إذا علمنا حقيقة النوايا التي تخطط من ورائها . فالإسلام هو الذي أوجد العرب كأمة ، صاروا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس.والعرب بدون الإسلام يعودون إلى مكانتهم المنزوية على هامش التاريخ . هذا ما يقرره الواقع وهو ما ينص عليه القرآن الكريم . وقد آن للعرب أن يعتزوا بنسبهم ونسبتهم إلى مصدر عزهم ومجدهم ، وهو الإسلام ولا داعي لإضاعة الوقت والتنقيب في الحفريات البالية. فالحاضر خير شاهد .

قال تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

نعود الآن للدكتور أحمد سوسة الذي يقول :

تلقيت دعوة للمشاركة في المؤتمر العلمي عن تاريخ الجزيرة العربية تقيمه جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية في الربيع القادم . وقد بعثت بخلاصة بحثي للمؤتمر على أن أبعث التفصيل الوثائقي من البحث بعد انتهاء طبعه ليوزع على المؤتمرين من كل الأقطار العربية . كما وجهت لي دعوة من المؤسسات العلمية لزيارة تونس .

بعد ذلك سئل الدكتور سوسة عن حياته الخاصة فقال :

كنت متزوجاً من أميركية ، ولكنها مع إخلاصها وتعلقها بي لم تستطع البقاء ومرضت ، فطلبها أهلها فأخذتها إليهم ، وكان لي منها طفل اسمه « جميل » .

وهناك في أميركا قررت العودة إلى العراق مهما كانت الظروف لأني وجدت الابتعاد صعباً ، وعدت .

هذا قبل إسلامك ، فماذا بعد أن أسلمت ؟

قال الدكتور سوسة جواباً على هذا السؤال :

بعد أن أسلمت تزوجت من فتاة تنتمي إلى عائلة متدينة وعشنا معاً مدة ١٦ عاماً ، لم نرزق خلالها بأولاد ثم رزقنا بفتاة

أسميناها عالية التي تتهيأ الآن لمناقشة أطروحتها الدكتوراه في جامعة السوربون بباريس . كما رزقنا بولد اسمه علي وهو موظف بالشركة العراقية التجارية .

ثم يختتم الدكتور أحمد سوسة حديثه بقوله :

إنني أميل الآن إلى الراحة ، أكثر من ذي قبل ، بحكم سني ، وكلما شعرت بالتعب أذهب إلى منزل صغير لي في الجبل حيث أستريح فترة لأستعيد شيئاً من النشاط يساعدني على الاستمرار في العمل والبحث .

نتمنى للدكتور سوسة أن يختم الله له بالخير إنه سميع مجيب، ونشكر « القبس » الغراء على هذه المقابلة الجيدة ، وإلى لقاء .

الفهرس